القمص بطرس السرياني

كتاب: شرح إنجيل القديس يوحنا ـ الجزء الأول
(من الأصحاح الأول حتى الأصحاح الثاني
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٩٠.
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٩٧٣/ ١٩٩٠.
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977 - 240 - 000 - 6
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

ثمن النسخة ثلاثون جنيهاً

مقدمة الكتاب

سبق أن أصدرنا مقدمة عامة في كتاب قائم بذاته تحت اسم «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ويقع في ٤١٦ صفحة من القَطْع الكبير. وهو يشمل دراسة وتحليلاً للإنجيل كله في ستة أبواب يحتوي على ٢٦ فصلاً.

ولا غنى عن قراءة المدخل لفهم شرح إنجيل القديس يوحنا. بل ونوصي بأن يكون المدخل في متناول يد القارىء أثناء قراءته للشرح، لأن العودة إليه لفهم بعض الأمور المحالة إليه تفيد القارىء في استيعاب المعنى.

القمص بطرس السرياني

اعتراف بالفضل

لقد طُبِع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الجمع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات الحسَّسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأُوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تخييط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنَى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارىء بهذا الإخراج البديع.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا	نسخ النسخة الخطية ومراجعة البروفات وعمل فهرس الموضوعات.
الأب وديد	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري	نسخ النسخة الأُولى عن المسودة التي بخط المؤلف.
الأب ويصا	عمل رتوش الأفلام وتصوير وتجهيز لوحات الطباعة الحسَّسة.
الأب برتي	جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأُولى.
الأب لونجينوس	آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة خياطة الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب أخنوخ	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب سوريال	المونتاج وتصوير الأفلام، وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأب يسطس	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب دوماديوس	مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب إبيفانيوس	المونتاج وتصوير الأفلام، وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأب داميانوس	تصوير الأفلام.

وأخيراً ـ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارىء، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار

الأربعاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٩٠
تذكار رئيس الملائكة الجليل ميخائيل

القمص بطرس السرياني

ترتيب الأماكن التي تردد فيها المسيح أثناء الخدمة

ينفرد إنجيل القديس يوحنا بتوضيح المراحل المتعددة التي مرت بها خدمة الرب بين اليهودية والسامرة والجليل . فبينما نجد بقية الأناجيل تقتصر على ذكر معمودية المسيح في اليهودية، ثم انتقاله إلى الجليل حيث تدور معظم تعاليمه ومعجزاته ثم صعوده مرة واحدة فقط إلى أورشليم التي انتهت بصلبه، نجد إنجيل يوحنا ينفرد بكشف انتقال الرب مرات متعددة بين اليهودية والسامرة والجليل، وذلك على النحو التالي(١) :

أولاً : في اليهودية أيام المعمدان : ١ : ٢٨ــ٥١ .

ثانياً : في الجليل : ٢ : ١ــ١٢ .

ثالثاً : في أورشليم واليهودية : ٢ : ١٣ــ٣ : ٣٦ .

رابعاً : في السامرة : ٤ : ٤ــ٤٢ .

خامساً : في الجليل : ٤ : ٤٣ــ٥٤ .

سادساً : في أورشليم : ٥ : ١ــ٤٧ .

سابعاً : في الجليل : ٦ : ١ــ٧١ .

ثامناً : في أورشليم : ٧ : ١ــ١٠ : ٣٩ .

أ ــ في عيد المظال : ٧ : ١ــ٨ : ٥٩ .

ب ــ في عيد التجديد : ٩ : ١ــ١٠ : ٣٩ .

(اعتزال مؤقت في عبر الأردن ١٠ : ٤٠ــ٤٢).

تاسعاً : في اليهودية في بيت عنيا : ١١ : ١ــ٥٣ .

(اعتزال مؤقت في مدينة أفرايم ١١ : ٥٤ــ٥٧).

عاشراً : من بيت عنيا إلى أورشليم : للمرة الأخيرة ١٢ : ١ــ١٩ : ٤٢ .

حادي عشر : بعد القيامة في أورشليم : الأصحاح العشرون كله .

ثاني عشر : بعد القيامة في الجليل : الأصحاح الحادي والعشرون كله .

---

(١) ارجع إلى المدخل ص ٣٠٠ــ٣٠١ ، حيث تجد السبب الذي جعل القديس يوحنا يتمسك بالتركيز على خدمة الرب في اليهودية .

المحتويات

مكان البشارة	الأصحاحات	تسلسل الموضوعات	الصفحة
	الأصحاح الأول	**وهو بمثابة مقدمة لإنجيل يوحنا**	١٨
		القسم الأول من المقدمة: استعلان الكلمة المتجسد: (١:١ــ١٨)	١٩
		القسم الثاني من المقدمة: الشهادة أن يسوع هو ابن الله: (١:١٩ــ٥١)	١٢٣
		١ ــ **شهادة المعمدان** وهي على عدة مراحل:	١٢٤
		أ ــ الجواب بالنفي: ١:١٩ــ٢٢	١٢٩
		ب ــ الجواب بالإيجاب: ١:٢٣ــ٢٨	١٣٤
أولاً: المسيح في اليهودية أيام المعمدان ١:٢٩ــ٥١		ج ــ الشهادة للمسيح: ١:٢٩ــ٣٤	١٣٦
		د ــ المعمدان يبدأ يسلّم الوديعة: ١:٣٥ــ٣٧	١٤٩
		٢ ــ **شهادة التلاميذ:** المسيح يبدأ عمله باختيار تلاميذه	١٥٢
		أ ــ شهادة أندراوس: ١:٤٠ــ٤٢	١٥٤
		ب ــ شهادة فيلبس: ١:٤٣ــ٤٦	١٥٦
		ج ــ شهادة نثنائيل: ١:٤٧ــ٥١	١٥٩

الجزء الأول: إنجيل التجديد ١٦٤

(٢:١ ــ ٤:٤٢)

مكان البشارة	الأصحاحات	تسلسل الموضوعات	الصفحة
ثانياً: في الجليل ٢:١ــ١٢	الأصحاح الثاني	١ ــ **معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل:** (٢:١ــ١٢)	١٦٨
		○ أعمال المسيح الأولى في اليهودية	١٨٣
ثالثاً: في اليهودية ٢:١٣ــ٣:٣٦		٢ ــ **تطهير الهيكل:** «السيد يأتي إلى هيكله بغتة»: (٢:١٣ــ٢٥)	١٨٤
		○ وقفة قصيرة	١٩٩
	الأصحاح الثالث	٣ ــ **مع نيقوديموس ليلاً:** ٣:١ــ٢١	٢٠٢
		أ ــ الحديث المباشر مع نيقوديموس: ٣:١ــ١٢	٢٠٤
		ب ــ الحديث غير المباشر مع نيقوديموس: ٣:١٣ــ٢١	٢٢٤
		٤ ــ **المعمدان يكمل شهادته:** ٣:٢٢ــ٣٦	٢٤٦
رابعاً: في السامرة ٤:٤ــ٤٢	الأصحاح الرابع	٥ ــ **في السامرة:** ٤:٤ــ٤٢	٢٦٣
		أ ــ الحديث مع السامرية: ٤:٧ــ٢٦	٢٧٦
		ب ــ الحديث مع التلاميذ: ٤:٢٧ــ٣٨	٣٠٠
		ج ــ إيمان السامريين: ٤:٣٩ــ٤٢	٣١٠

الجزء الثاني: إنجيل قوة الكلمة ٣١٣

(٤:٤٦ـ٥:٤٧)

خامساً: في الجليل ٤:٤٣ـ٥٤		□ شفاء ابن خادم الملك: ٤:٤٦ـ٥٤	٣١٤
		○ وقفة قصيرة	٣٢٢
سادساً: في أورشليم ٥:١ـ٤٧	الأصحاح الخامس	□ شفاء مريض بركة بيت حسدا والمصادمة الأولى مع اليهود: الأصحاح الخامس كله	٣٢٤
		١ ـ شفاء مريض بركة بيت حسدا: ٥:١ـ١٨	٣٢٥
		٢ ـ شرح مركز الابن من الله الآب: ٥:١٩ـ٣٠	٣٤٥
		٣ ـ الشهادة للابن: ٥:٣١ـ٤٠	٣٧٢
		أ ـ من المعمدان: ٥:٣٣ـ٣٥	
		ب ـ من الآب: ٥:٣٢و٣٧و٣٨	
		ج ـ من الأعمال: ٥:٣٦	
		د ـ من الأسفار: ٥:٣٩ـ٤١	
		٤ ـ أسباب عدم إيمان اليهود: ٥:٤٢ـ٤٧	٣٨٣

الجزء الثالث: إنجيل الاستعلان ٣٨٨

(٦:١ـ١٢:٥٠)

سابعاً: في الجليل ٦:١ـ٧١	الأصحاح السادس	استعلان طبيعة المسيح المحيية وشخصه السماوي: «أنا هو خبز الحياة»	٣٩٠
		١ ـ معجزة إشباع الجموع: ٦:١ـ١٥	٣٩١
		أ ـ ظروف المعجزة: ٦:١ـ٤	٣٩٣
		ب ـ التحضير للمعجزة: ٦:٥ـ١٠	٣٩٥
		ج ـ إشباع الجموع: ٦:١١ـ١٣	٣٩٩
		د ـ تأثير المعجزة: ٦:١٤ـ١٥	٤٠٥
		٢ ـ السير على الماء: ٦:١٦ـ٢١	٤٠٨
		٣ ـ حديث الرب في مجمع كفرناحوم: ٦:٢٦ـ٥٨	٤١٤
		تمهيد: ٦:٢٢ـ٢٥	٤١٥
		أ ـ الجزء الأول من الحديث: ٦:٢٦ـ٤٠	٤١٦
		ب ـ الجزء الثاني من الحديث: ٦:٤١ـ٥١	٤٣٣
		ج ـ الجزء الثالث من الحديث: ٦:٥٢ـ٥٨	٤٤٣
		التعقيب على حديث الرب في مجمع كفرناحوم: ٦:٥٩ـ٧١	٤٥٧

ثامناً: في أورشليم	الأصحاح	**استعلان طبيعة المسيح "الروحية" (الصخرة): [أنا هو الماء الحي]**	٤٧٤
أ ــ في عيد المظال	السابع	١ ــ ظروف زيارة المسيح لأورشليم في عيد المظال: ٧:١ــ١٣	٤٧٤
٧:١ ــ ٨:٥٩		٢ ــ محادثات في منتصف العيد: ٧:١٤ــ٣٦	٤٨٤
		أ ــ تعاليم موجهة لليهود: ٧:١٤ــ٢٤	٤٨٥
		ب ــ تعاليم موجهة إلى سكان أورشليم: ٧:٢٥ــ٣١	٤٩٠
		ج ــ تعاليم موجهة إلى الخدام المرسلين من الفريسيين: ٧:٣٢ــ٣٦	٤٩٢
		٣ ــ محادثات اليوم الأخير من العيد: ٧:٣٧ــ٥٣	٤٩٧
	الأصحاح	**استعلان طبيعة المسيح "النورانية":**	
	الثامن	**« أنا هو نور العالم »**	٥٠٨
		١ ــ المرأة الخاطئة: ٨:١ــ١١	٥٠٩
		٢ ــ حوار المسيح مع اليهود: ٨:١٢ــ٥٩	٥١٨
		أ ــ « أنا هو نور العالم »: ٨:١٢ــ٢٠	٥١٨
		ب ــ « أنا هو »: ٨:٢١ــ٢٩	٥٣٢
		ج ــ « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً »: ٨:٣٠ــ٥١	٥٤١
		د ــ « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »: ٨:٥٢ــ٥٩	٥٦٦
ثامناً: (تابع) في أورشليم ب ــ في عيد التجديد		مقدمة للأصحاحين التاسع والعاشر	٥٨٠
	الأصحاح	**التطبيق العملي لاستعلان طبيعة المسيح النورانية: الأعمى المستنير**	٥٨٣
٩:١ــ١٠:٣٩	التاسع	أ ــ آية تفتيح عيني المولود أعمى: ٩:١ــ٧	٥٨٣
		ب ــ الظلمة تطارد النور ولا تدركه والنور يدين الظلمة: ٩:٨ــ٤١	٥٩٣
	الأصحاح	أولاً: **استعلان عمل المسيح الفدائي من نحونا:**	
	العاشر	**« الراعي الصالح »**	٦٠٦
		أ ــ « أنا هو باب الخراف »: ١٠:١ــ١٠	٦٠٦
		ب ــ « أنا هو الراعي الصالح »: ١٠:١١ــ١٦	٦١٦
		١ ــ بذل نفس بنفس لإعطاء حياة: ١٠:١١ــ١٣	٦١٦
		٢ ــ الراعي الصالح يعرف خاصته وخاصته تعرفه: ١٠:١٤	٦٢١
		٣ ــ الراعي الصالح يضع نفسه عن الخراف: ١٠:١٥	٦٢٣
		٤ ــ الراعي الصالح لا يلتزم بحظيرة معينة: ١٠:١٦	٦٢٤
		ثانياً: **استعلان بنوة المسيح ومساواته للآب: ١٠:١٧ــ٣٩**	٦٣٠
		○ الإعلان الأعظم عن سر الحياة والأمان المطلق لمختاري الله: ١٠:٢٩و٣٠	٦٣٩

ثامناً: في أورشليم	الأصحاح	استعلان طبيعة المسيح "الروحية" (الصخرة): [أنا هو الماء الحي]	٤٧٤
أ ــ في عيد المظال	السابع	١ ــ ظروف زيارة المسيح لأُورشليم في عيد المظال: ٧:١ــ١٣	٤٧٤
٧:١ ــ ٨:٥٩		٢ ــ محادثات في منتصف العيد: ٧:١٤ــ٣٦	٤٨٤
		أ ــ تعاليم موجهة لليهود: ٧:١٤ــ٢٤	٤٨٥
		ب ــ تعاليم موجهة إلى سكان أورشليم: ٧:٢٥ــ٣١	٤٩٠
		ج ــ تعاليم موجهة إلى الخدام المرسلين من الفريسيين: ٧:٣٢ــ٣٦	٤٩٢
		٣ ــ محادثات اليوم الأخير من العيد: ٧:٣٧ــ٥٣	٤٩٧
	الأصحاح الثامن	استعلان طبيعة المسيح "النورانية": «أنا هو نور العالم»	٥٠٨
		١ ــ المرأة الخاطئة: ٨:١ــ١١	٥٠٩
		٢ ــ حوار المسيح مع اليهود: ٨:١٢ــ٥٩	٥١٨
		أ ــ «أنا هو نور العالم»: ٨:١٢ــ٢٠	٥١٨
		ب ــ «أنا هو»: ٨:٢١ــ٢٩	٥٣٢
		ج ــ «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»: ٨:٣٠ــ٥١	٥٤١
		د ــ «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»: ٨:٥٢ــ٥٩	٥٦٦
ثامناً: (تابع) في أورشليم ب ــ في عيد التجديد		مقدمة للأصحاحين التاسع والعاشر	٥٨٠
	الأصحاح	التطبيق العملي لاستعلان طبيعة المسيح النورانية: الأعمى المستنير	٥٨٣
٩:١ــ١٠:٣٩	التاسع	أ ــ آية تفتيح عيني المولود أعمى: ٩:١ــ٧	٥٨٣
		ب ــ الظلمة تطارد النور ولا تدركه والنور يدين الظلمة: ٩:٨ــ٤١	٥٩٣
	الأصحاح العاشر	أولاً: استعلان عمل المسيح الفدائي من نحونا: «الراعي الصالح»	٦٠٦
		أ ــ «أنا هو باب الخراف»: ١٠:١ــ١٠	٦٠٦
		ب ــ «أنا هو الراعي الصالح»: ١٠:١١ــ١٦	٦١٦
		١ ــ بذل نفس بنفس لإعطاء حياة: ١٠:١١ــ١٣	٦١٦
		٢ ــ الراعي الصالح يعرف خاصته وخاصته تعرفه: ١٠:١٤	٦٢١
		٣ ــ الراعي الصالح يضع نفسه عن الخراف: ١٠:١٥	٦٢٣
		٤ ــ الراعي الصالح لا يلتزم بحظيرة معينة: ١٠:١٦	٦٢٤
		ثانياً: استعلان بنوة المسيح ومساواته للآب: ١٠:١٧ــ٣٩	٦٣٠
		٥ الإعلان الأعظم عن سر الحياة والأمان المطلق لمختاري الله: ١٠:٢٩و٣٠	٦٣٩

(اعتزال مؤقت في عبر الأردن) ١٠: ٤٠ـ٤٢		□ ختام الأصحاح العاشر: ١٠: ٤٠ـ٤٢	٦٥٠
تاسعاً: في اليهودية في بيت عنيا	الأصحاح الحادي عشر	**استعلان قوة المسيح المحيية والمقيمة من الموت**	٦٥٤
		آية إقامة لعازر من الموت	٦٥٤
		مقدمة عامة:	
		○ القصد الأساسي من آية إقامة لعازر من الموت	٦٥٥
		○ العناصر التاريخية في الأناجيل الأخرى عن إقامة لعازر من الموت	٦٥٧
		○ العناصر التاريخية داخل القصة	٦٥٩
		○ القيمة اللاهوتية لآية إقامة لعازر من الموت	٦٥٩
		القصة:	
		○ لعازر ومريم ومرثا وبيت عنيا: ١١: ١ـ٢	٦٦١
		○ الرسالة الخاصة: ١١: ٣ـ١٦	٦٦٢
		○ المنظر في بيت عنيا: ١١: ١٧ـ١٩	٦٧٤
		○ المسيح ومرثا: ١١: ٢٠ـ٢٧	٦٧٥
		○ المسيح ومريم: ١١: ٢٨ـ٣٢	٦٨٣
		○ إقامة لعازر: ١١: ٣٣ـ٤٤	٦٨٤
		التعقيب على آية إقامة لعازر: ١١: ٤٥ـ٥٣	٦٩٧
(اعتزال مؤقت في مدينة أفرايم) ١١: ٥٤ـ٥٧		**ختام خدمة الرب: ١١: ٥٤ـ٥٧**	٧٠٨
		○ ما قبل الرحلة الأخيرة للفصح الأخير: ١١: ٥٥ـ٥٧	٧٠٩
عاشراً: من بيت عنيا إلى أورشليم للمرة الأخيرة ١٢: ١ـ١٩: ٤٢	الأصحاح الثاني عشر	**استعلان ملوكية المسيح ودينونة رئيس هذا العالم**	٧١٤
		١ ـ بيت عنيا وتكفين الجسد قبل الموت: ١٢: ١ـ١١	٧١٥
		٢ ـ دخول المسيح إلى أورشليم: ١٢: ١٢ـ١٩	٧٢٣
		٣ ـ رد المسيح على طلب اليونانيين: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع.» (١٢: ٢٠ـ٣٦)	٧٣٣
		□ ختام لإنجيل الاستعلان: ١٢: ٣٧ـ٤٣	٧٥٣
		□ ملخص لإنجيل الاستعلان: ١٢: ٤٤ـ٥٠	٧٥٩

الجزء الرابع: إنجيل المحبة ٧٦٩

(١:١٣ ــ ٢٦:١٧)

العشاء الأخير وأحاديث الوداع مع التلاميذ الأخصاء

عاشراً: في أورشليم للمرة الأخيرة — الأصحاح الثالث عشر

خدمة المحبة: غسل الأرجل ٧٧٤

بذل المحبة: ١:١٣ـــ٢٠ ٧٧٥

الرب يكشف مسبقاً عن خيانة يهوذا: ٢١:١٣ـــ٣٠ ٧٩٣

أحاديث ما بعد العشاء: ٣١:١٣ـــ٣٣ ٧٩٩

وصية المحبة: ٣٤:١٣و٣٥ ٨٠٤

الرب يحذّر بطرس من تجربة الإنكار: ٣٦:١٣ـــ٣٨ ٨٠٨

الأصحاح الرابع عشر

+ حديث الوداع الأول: الحديث عن الآب والمضيُّ إليه ٨١٤

تمهيد: جولة حول الأصحاح بأكمله ٨١٤

المسيح يعزّي تلاميذه بالرجاء السماوي: ١:١٤ــ٤ ٨١٥

يعرّف نفسه بأنه الطريق والحق والحياة وأنه واحد مع الآب: ٥:١٤ــ١٢ ٨٢٣

يَعِدُهم بتأكيد استجابة الصلاة التي تُقدّم باسمه: ١٣:١٤ــ١٤ ٨٤١

يوصي بالمحبة والطاعة: ١٥:١٤ ٨٤٤

الوعد بإرسال الروح القدس المعزي: ١٦:١٤ــ٢٦ ٨٤٤

يترك سلامه لهم: ٢٧:١٤ــ٣١ ٨٧٠

o «لأن أبي أعظم مني.» (٢٨:١٤) ٨٧٦

o «لو كنتم تحبونني، لكنتم تفرحون.» (٢٨:١٤) ٨٨٢

الأصحاح الخامس عشر

+ حديث الوداع الثاني: الوحدة العضوية مع المسيح ٨٩٢

o مثل الكرمة: ١:١٥ــ٤ ٨٩٣

o الثبات في المحبة: ٥:١٥ــ١٦ ٩٠٥

o مضايقات العالم: ١٧:١٥ــ٢٥ ٩٢٨

o الباراكليت: ٢٦:١٥و٢٧ ٩٣٩

الأصحاح السادس عشر

+ حديث الوداع الثالث: الانطلاق والعودة: ٩٤٦

معاناة التلاميذ بعد انطلاق المسيح: ١:١٦ــ١٥ ٩٤٧

o الوعد باستئناف الكلام فيما بعد: ١٢:١٦ ٩٦٢

o الروح القدس وعمله مع التلاميذ ليعدّهم للمستقبل: ١٣:١٦ــ١٥ ٩٦٤

قد أزفت الساعة، الحزن الحتمي ينشيء الفرح حتماً: ١٦:١٦ــ٢٤ ٩٧٠

o الزمن القليل: ١٦:١٦ ٩٧٠

المسيح يختتم تعليمه، و يَعِدُ بالاستنارة، وبمزيد من الخبر: ٢٥:١٦ــ٢٨ ٩٨٣

شجاعة مفتعلة واندفاع في إيمان صحيح، يفوق الإيمان الحاضر: ١٦: ٢٩–٣٢ ٩٩٢
فيّ سلام، وفي العالم ضيق: ١٦: ٣٣ ٩٩٥
● ملخص أحاديث الفراق ٩٩٨
الأصحاح السابع عشر + **صلاة المسيح للآب** ١٠٠٤
مقدمة: مقارنة بين صلاة المسيح الأخيرة،
في إنجيل القديس يوحنا والثلاثة الأناجيل الأخرى ١٠٠٤
تقسيم الصلاة:
١ – **القسم الأول: فيما يخص صلته بالآب: ١٧: ١–٥** ١٠١٠
٢ – **القسم الثاني: فيما يخص التلاميذ: ١٧: ٦–١٩** ١٠٣٠
(أ) كيف استعلن الآب وكيف قبلوه (٦–٨) ١٠٣٠
(ب) كيف كان يحفظ التلاميذ وقد حان وقت تركهم: (٩–١١) ١٠٣٧
(ج) العمل السابق والعمل اللاحق: (١٢و١٣) ١٠٤٥
(د) محنة التلاميذ في العالم: (١٤و١٥) ١٠٤٨
(هـ) المسألة المطلوبة من أجلهم: (١٦–١٩) ١٠٥٢
○ تذكرة ١٠٦٤
٣ – **القسم الثالث: المسيح والكنيسة:**
○ المسيح يصلي من أجل الكنيسة: ١٧: ٢٠–٢٦ ١٠٦٧
+ موضوع الوحدة أو الاتحاد بالآب والابن في الأصحاح السابع عشر ١٠٦٨
أولاً: الوحدة، كما سبق وعلَّم بها المسيح تلاميذه،
قبل أن يجعلها موضوع صلاته لدى الآب ١٠٦٨
ثانياً: العلاقة الوطيدة بين «المعرفة»،
ووحدة الوجود المتبادل (الاتحاد)، في إنجيل يوحنا ١٠٦٩
ثالثاً: مستويات الوحدة التي يطلبها المسيح لتلاميذه والكنيسة ١٠٧١
○ المستوى الأول للوحدة: «ليكون الجميع واحداً» ١٠٧٢
○ المستوى الثاني للوحدة: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» ١٠٧٣
حدود التشبيه بين الوحدة الإلهية القائمة بين الآب والابن،
وبين الوحدة المطلوبة للكنيسة المتحدة لتحياها في الآب والابن ١٠٧٤
○ المستوى الثالث للوحدة: «ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» ١٠٨١
+ الوحدة المسيحية أعظم شهادة لرسالة المسيح في العالم
وأوثق برهان لمحبة الآب الخالصة ١٠٨٥

الجزء الخامس: إنجيل الفداء ١٠٩٦

١٨: ١ حتى آخر الإنجيل

عاشراً: في أورشليم (تابع) — الأصحاحان الثامن عشر والتاسع عشر

مقدمة: خصائص الأصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر ١٠٩٧

الآلام والصليب ساعة بساعة ١١٠١

أولاً: التسليم: ١٨: ١ــ١١ ١١٠٣

ثانياً: المحاكمة المزدوجة: ١٨: ١٢ــ١٩: ١٦ ١١١٤

مقدمة:

أ ــ المحاكمة الأولى: أمام المحكمة الكنسية: ١٨: ١٢ــ٢٧ ١١١٨

ب ــ المحاكمة الثانية: أمام المحكمة المدنية: ١٨: ٢٨ــ١٩: ١٦ ١١٤٤

١ ــ خارج دار الولاية: المطالبة بالإعدام والرد بالرفض: ١٨: ٢٨ــ٣٢ ١١٤٦

٢ ــ داخل دار الولاية: الاعتراف الحسن: ١٨: ٣٣ــ٣٧ ١١٥٦

٣ ــ خارج دار الولاية: الإعلان الأول عن براءة المسيح: ١٨: ٣٨ــ٤٠ ١١٦٥

٤ ــ داخل دار الولاية: الجلد بدون حكم مسبق: ١٩: ١ــ٣ ١١٧٠

٥ ــ خارج دار الولاية: الإعلان الثاني والثالث عن براءة المسيح:
١٩: ٤ــ٧ ١١٧٥

٦ ــ داخل دار الولاية: مصدر سلطان بيلاطس: ١٩: ٨ــ١١ ١١٧٩

٧ ــ خارج دار الولاية: تهديد القاضي: ١٩: ١٢ــ١٥ ١١٨٤

ثالثاً: النهاية: ١٩: ١٦ــ٤٢ ١١٩١

١ ــ الصلب: ١٩: ١٦ــ٢٢ ١١٩٢

٢ ــ المرافقون للصليب: ١٩: ٢٣ــ٢٧ ١٢٠٤

٣ ــ النهاية ــ قد أُكمل ــ الموت الإرادي: ١٩: ٢٨ــ٣٠ ١٢١٣

٤ ــ طلبان يُقدَّمان إلى بيلاطس: ١٩: ٣١ــ٤٢ ١٢١٩

الأول: طلب تكسير السيقان: ١٩: ٣١ــ٣٧ ١٢١٩

الثاني: طلب جسد يسوع: ١٩: ٣٨ــ٤٢ ١٢٣٩

حادي عشر: بعد القيامة في أورشليم — الأصحاح العشرون

رابعاً: القيامة (الحياة الجديدة) ١٢٥٢

مقدمة:

القيامة حدث يفوق التاريخ ١٢٥٢

صفحة المجد في تاريخ الإنسان ١٢٥٧

محتويات الأصحاح العشرين ١٢٥٧

المنظر الأول: عند القبر: ٢٠: ١ــ١٨ ١٢٥٩

١ ــ رؤية القبر مفتوحاً فارغاً: ٢٠: ١ــ١٠ ١٢٥٩
٢ ــ المسيح يظهر للمجدلية: ٢٠: ١١ــ١٨ ١٢٦٩
المنظر الثاني: في العلية والتلاميذ مجتمعين: ١٢٨٠
١ ــ المسيح يظهر للتلاميذ في مساء الأحد: ٢٠: ١٩ــ٢٣ ١٢٨٠
٢ ــ المسيح يظهر للأحد عشر
خصيصاً من أجل توما: ٢٠: ٢٤ــ٢٩ ١٣٠٠
القصد الأساسي من كتابة إنجيل يوحنا: ٢٠: ٣٠و٣١ ١٣١٠
الصورة الإنجيلية العامة لظهورات الرب والتسجيلات التي ازدحمت بها
أسفار العهد الجديد عن عقيدة القيامة ١٣١٤
ثاني عشر: الأصحاح الحادي والعشرون بعد القيامة في الجليل
خامساً: صور مستيكية لمستقبل الكنيسة الرسولية: ١٣٢٦
موضوع الأصحاح الحادي والعشرين في إنجيل يوحنا ١٣٢٦
القسم الأول: المسيح والتلاميذ: ٢١: ١ــ١٤ ١٣٢٩
القسم الثاني: المسيح والقديس بطرس: ٢١: ١٥ــ١٩ ١٣٤٣
القسم الثالث: المسيح والقديس يوحنا: ٢١: ٢٠ــ٢٣ ١٣٥٠
القديس يوحنا يشهد لإنجيله: ٢١: ٢٤ــ٢٥ ١٣٥٥
الفهارس الموضوعية **١٣٥٩**

الأصحاح الأول

مقدمة إنجيل القديس يوحنا

مقدمة إنجيل القديس يوحنا تشمل الأصحاح الأول برُمّته.

وهي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: (١:١ــ١٨)

استعلان يسوع المسيح في الأزلية بصفته «الكلمة»، وفي الزمن «الكلمة المتجسد»، والتدرج في الإستعلان من «الكلمة» في الأزل إلى «الكلمة صار جسداً» في شخص يسوع المسيح.

القسم الثاني: (١:١٩ــ٥١)

ويختص بالشهادة أن يسوع هو المسيح ابن الله، ويشمل:

١ ــ **شهادة القديس يوحنا المعمدان**، وهي على عدة مراحل:

أ ــ الجواب بالنفي ١:١٩ــ٢٢

ب ــ الجواب بالإيجاب ١:٢٣ــ٢٨

ج ــ الشهادة للمسيح ١:٢٩ــ٣٤

د ــ المعمدان يبدأ يسلم الوديعة ١:٣٥ــ٣٧

٢ ــ **شهادة التلاميذ** ــ المسيح يبدأ عمله باختيار تلاميذه، وهم يشهدون له:

أ ــ شهادة أندراوس ١:٤٠ــ٤٢

ب ــ شهادة فيلبُّس ١:٤٣ــ٤٦

ج ــ شهادة نثنائيل ١:٤٧ــ٥١

القسم الأول من المقدمة

استعلان يسوع المسيح «الكلمة المتجسد»

١ : ١ ــ ١٨

في جو روحي متكاثف ومتعاظم في الارتفاع يطير بنا القديس يوحنا محمولاً بالروح، شاخصاً نحو المسيح في الأزلية قبل أن يأخذ صورة الإنسان أو نحدد اسماً له أو شكلاً يمكن أن يستقر عليه الفكر أو العقل الناظر.

ويبدأ القديس يوحنا(١) يصف كمن يرى ويكتب بعين ما يرى، بتأكيد يفوق كل ثقة بلغها فكر بشر. وآيات قصيرة غنية تتبع ليوضح ما يرى، وكل آية رؤية بحد ذاتها لا يمكن تجاوزها بسهولة. فآياته تخطف البصر العقلي خطفاً وتحبسه في المجال الذي تحدده كل آية. وبالكاد، عندما تنضج الرؤية بمضمونها العميق ويتسع المجال، يجذب هذا الإنجيلي الناظر يطير بنا إلى آية أخرى أو رؤية أعلى متصلة بسابقتها أشد الاتصال. ولكن بسبب نورها الخاطف، فإنها تستحوذ على الوعي بأجمعه فتفقده الصلة بسابقتها، فلا يعود يرى سواها. وهكذا تبدو الآيات الأولى من هذا الإنجيل وكأنها مراقٍ يرقاها العقل الروحي بجهد شديد، ولا يدري القارئ من بعد أن يعبرها، سوى أكداس من أنوار متشابكة متساوية لو يعطى فرصة ليميز منها بين نور ونور فلا يجد. ولما يحاول الإنسان المتأمل الدارس أن يربط بينها ليحصل الفكر على صورة واحدة لها، يتيه في عمق أعماقها؛ شأنها في ذلك شأن اللامحدوديات الإلهية حينما يتفحصها وعي الإنسان الروحي فترتد نفسه مصطدمة بمحدوديته، ويعود منها منبهراً دون حصيلة ما يمكن أن يسلمها للسان أو القلم!

---

(١) سنكتفي في ذكر الاسم للقديس يوحنا الرسول والإنجيلي والتلميذ المحبوب باسم «يوحنا» معروفاً بعرف ذلك، اختصاراً لكلمة «قديس»، كما سنكتفي في ذكر القديس يوحنا المعمدان باسم «المعمدان» تمييزاً له.

شيء واحد نخرج به من قراءة الآيات الأولى من إنجيل يوحنا، أنه أمام استعلان لأعمق أسرار الله، حيث يأخذه هذا الإنجيل الفائق ويوقفه أمام الحق الأزلي وجهاً لوجه ثم يقول له: ماذا ترى؟ قل لو استطعت!!

ثم لسان حال الناظر مهما كان حاذقاً في الرؤيا، فهو يقول: نعم أرى ما أرى، بل ويعجز لساني عن أن يصف ما أرى، ولكن أن أصف ما أرى يتوقف العقل مني ويعقد اللسان فيّ، فما بالك بالفم؟

هذا هو يسوع المسيح قبلما أتى في الجسد، ثم يراه يوحنا بطبيعته البشرية بل في طبيعة الله الكلية، وليس منفرداً بل قائماً مع الله في عمق ذاتية كلية وأزلية؛ ليس إلهاً ثانياً ولكن واحد مع الله في الألوهة لا يفارقه، **كالكلمة في العقل**، فلا العقل يوجد بدونها ولا الكلمة توجد بدون العقل. ولكن لا شكل له ولا هيئة ولا أية صورة يمكن أن يأخذها الفكر المحلي أو العقل الذي يستند على القياس أو على الحواس. فأين القياس وأين الحواس من الله ومن الكلمة؟؟ ولكن القديس يوحنا رأى بالعقل الروحي السامي، ووعى ما رأى بالوعي المسيحي الإيماني الذي أعطي أن يتخطى المحدودات والزمنيات والمتغيرات. رآه «**الكلمة**» بالاسم كما سبق ووقع في رؤياه السابقة: «ويدعى اسمه كلمة الله» (رؤ١٩: ١٣). كما رآه «**الألف والياء**» (الألفا والأوميجا) بمفهوم الكلمة الكونية كما سمعها من فم المسيح وهو يصف نفسه له في سفر الرؤيا: «أنا هو **الألف والياء** البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء» (رؤ١: ٨). وما تعني الألف والياء؟ إلا الكلمة!!

إذن فهو «**الكلمة الكلية المطلقة**»، وليس حرفين أو كل الحروف بل كل ما تعبّر عنه كل الكلمات في تشكيلاتها جميعاً من أفعال وأعمال ومعانٍ وأوصاف وتعبيرات خرجت وتخرج عن الله للتعبير عن الله وعن مشيئته وتعلنه. فهو «الكلمة» في مضمونها الكلي: القادر، أو على وجه الأصح القادر قدرة الله نفسه في استعلان الله.

ورآه خارجاً عن الزمن لأن الزمن هو أحد أعماله.

ورآه قبل كل خليقة لأن الخليقة كلها عمل من أعماله.

ورآه مع الله في البدء خالقاً لكل ذي بدء مخلوق، فهو البداية كطبيعة الله التي بلا بداية. وهو نهاية كل ذي نهاية لأنه النهاية التي بلا نهاية.

في المدركات الروحية الإلهية هو الأول الذي به تتصور المدركات وتُدرَك. وهو الذي لا يستطاع إدراكه لأنه فوق كل ما يبلغه الإدراك: **لأن الله في كلمته مُدرَك كامل يُدرَك ولكن لا يُدرَك كماله!** «فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لي: لا تخف أنا

هو الأول والآخر.» (رؤ ١ : ١٧)

لقد اتفق الآباء القديسون الذين قدموا شرحاً لإنجيل يوحنا — وخاصة ذهبي الفم وأغسطينوس — أن هذه المقدمة ليست من وضع بشر، فهي تحمل طابع الإملاء من الروح القدس.

والكنيسة القبطية تقرأ هذه المقدمة التي تتحدث عن **«البدء»** في كل **صباح** في صلاة باكر، لتستلهم من البدء الأزلي بدءاً مقدساً ليومها الروحي وتقدس بها الزمن.

أما الكنيسة الغربية فهي أكثر هياماً بهذه المقدمة، فهي تقرأها على المولودين الجدد وكأنها تلدهم بها مرة أخرى من الله وتنير أمامهم طريق الحياة والخلود. وتقرأها على المرضى ليستمدوا منها الحياة ويسلطوا بها النور على الظلمة ليبددها. ويقرأونها كآخر مقطع في صلوات القداس ليحققوا بها «الكلمة صار جسداً»، ويرحبوا بالذي «حلّ بينهم»، ويتقبلوا منه «النعمة والحق»، وليأخذوا من «ملئه» البركات. ومنهم من يكتبها في لفائف يربطونها حول أعناقهم، كما كان يصنع العبرانيون بالتوراة، ويربطونها على معصمهم وبين أعينهم!

وهذا كله يؤكد السمو الروحي المنبثّ في كلمات هذه المقدمة ويستدعي منا التعمق في استجلاء معانيها لاستقبال مزيد من الحياة والنور.

كثير من الشرّاح يرون في هذه المقدمة نوعاً من التقديم للإنجيل يحمل اختصاراً لمضامينه، وآخرون يرونها كخاتمة يلخص بها ق. يوحنا إنجيله. ونحن نرى أن هذه الآراء تنطبق على مفهوم التأليف المعتاد للكتب العادية. أما في إنجيل يوحنا — وهو إنجيل استعلاني برمّته — فتأتي هذه المقدمة بروح الشهادة. فالقديس يوحنا يسجل لنا فيها بوحي من الروح القدس مضمون الآية: «الروح القدس يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو ١٥ : ٢٦و٢٧). وهو يصرّح بذلك في رسالته الأُولى:

— «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي **رأيناه بعيوننا**، الذي شاهدناه (بالمشاهدة الإيمانية= ἐθεασάμεθα) ولمسته أيدينا، من جهة **«كلمة الحياة»**: فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم...» (١يو ١ : ١و٢)

ويلاحظ القارىء أن الآيات في هذه المقدمة تسمو فوق الشرح وتتجاوز قصد التقديم أو التلخيص، بل تأتي كحقائق مرصوصة، وكأنها قوانين أو بنود لعقيدة، وقد أخذتها الكنيسة على هذا الوضع مأخذاً جدِّياً، في كل العصور، وخاصة في العصور الأُولى حينما جعلت من هذه القوانين والبنود أسلحة إيمان ودروع حاربت بها وانتصرت؛ ثم صاغت منها الكنيسة دستوراً لإيمانها.

وإن كانت مقدمة إنجيل يوحنا جاءت لتحاكي المقدمات الأخرى في الأسفار المقدسة مثل ما جاء في الأناجيل الثلاثة من حيث سيرة المسيح. إذ ركز كلٌ من القديسين متى ولوقا على ميلاده بالجسد وعلى نسب هذا الميلاد الجسدي، حيث ذهب كل منهما يفتش عن المسيح في أعماق إسرائيل البعيدة والقريبة، واختص إنجيل مرقس بصوت المعمدان الصارخ في البرية كبداية لسيرة المسيح وفاقاً لما جاء في إشعياء النبي: إلاَّ أن مقدمة إنجيل يوحنا تخطت الميلاد الجسدي وتخطت سيرة الخدمة وطارت فوق هامة التاريخ والزمان فيما وراء الآباء والأنبياء وإبراهيم وآدم والأرض والسماء وكل الخلائق والأكوان: لتحط على حضن الله في الأبدية في جراءة لا يدانيها جراءة نبي أو ملاك. وهناك وفي أعماق الله رأى ق. يوحنا وعاين «الكلمة» مصوراً فيه كل مشيئة الله من جهة الخلق والخلاص وحتى التجديد!!

ولكن لا تأتي مقدمة إنجيل يوحنا وكأنها بلا مثيل أو شبيه، فمقدمة الرسالة الأولى ليوحنا الرسول نفسه(٢) تحمل ــ بتاريخ سابق عن الإنجيل ــ نفس الطابع الشعري ونفس الامتداد في الأزلية ورؤية ما لا يرى، رؤية «الحياة الأبدية» عند الله، كأول إرهاصة لأقنوم **«الكلمة»** في التعبير عن شخص المسيح!

كذلك تأتي مقدمة الرسالة إلى العبرانيين(٣) تحمل نفس طابع اللحن الشعري أيضاً بنفس الكثافة الروحية ونفس الإنطلاقة الجريئة لرؤية **«المسيح»** كآخر مرحلة لإستعلان **«الله متكلماً»** في إنسان مُستعلناً إياه «كابن الله» في ملء بهاء مجد الله، والصورة المنظورة لجوهر الله غير المنظور، والكلمة الذي تكلم فيه الله والذي له ميراث كل ما لله، الذي خلق به الله الدهور والذي يقيم العالم بكلمة قدرته. والذي بعد أن أكمل التطهير بالفداء جلس عن يمين العظمة في الأعالي.

كذلك في بقية كتابات القديس بولس الرسول نلمح نفس الرؤية الفائقة ونفس الإعلانات بنفس الومضات الإلهامية التي تفوق مستويات البشر. ففي الرسالة إلى فيلبي(٤) تسجل لبولس الرسول نفس المعاينة الأزلية للمسيح وهو قائم في صورة الله مع الله كائناً بالتعادل الجوهري، ثم عاين سر المسيح في الأزلية كيف أجرى إخلاءً لنفسه من صورة مجد الألوهة ليتسنى له أن يظهر في صورة اتضاع العبد ويكون في شبه الناس. وبهذا الشكل المكتسب أكمل الإتضاع حتى موت الصليب الذي أهله وهو في هيئة الإنسان أن يرفعه الله إلى رفعة المجد معه، لتسجد كل خليقة في

---

(٢) ١يو ١: ١ ـ ٤.

(٣) عب ١: ١ ـ ٤.

(٤) في ٢: ٦ ـ ١١.

السماء والأرض على حقيقته كرب لحساب **مجد** الله الآب.

وبنفس الزخم الروحي والرؤية المتكاثفة المتعددة المناظر والصور يقدم بولس الرسول تسجيلاً لومضات إعلانية سريعة تخطف البصر العقلي في رسالته إلى كولوسي(٥). ففي هذه الرسالة تبتدىء رؤيته لحقيقة سر المسيح باعتباره **«منظور الله»** أو **«الله المنظور» فهو «أيقونة الله»** ـــ أي الصورة المتقنة لله غير المنظور، وبالتالي تستمد منه الخليقة كلها صورتها ـــ كبكرها ـــ أي كحامل لأصل وجودها. فكل خليقة في السموات والأرض **«فيه خُلقت»**، **«وفيه تقوم»**، كل ما يمكن أن نراه وكل ما لا يمكن أن نراه من أصحاب العروش السماوية والسيادات والرآسات والسلاطين، فهذه كلها خُلقت بواسطته وخُلقت من أجله. وهو سابق على جميعها في الوجود، وكلها معاً تتخذ منه قيامها وقوامها. والكنيسة المحسوبة جسده السري، هو رأس هذا الجسد. وهو البداية، وأول من قام من الأموات، ويبقى بذلك متقدماً في كل شيء. لأن **«ملء الله»** سُرَّ أن يحلّ فيه، والله سُرَّ أن يصالح به الكل لنفسه سواء في الأرض أو في السماء صانعاً السلام بدم صليبه.

وبتسبحة شعرية غاية في الإختصار يسجل بولس الرسول في رسالته الأُولى لتيموثاوس(٦) ومضة إلهامية مبهرة فيها كل مضمون سر المسيح، السر الذي أسماه **«سر التقوى»**، معبّراً عن الإستعلان الإلهي للمسيح هكذا:

«الله ظهر في الجسد... رُفع في المجد»!! (١تي٣: ١٦)

وسواء ق. يوحنا أو القديس بولس، فليس من فراغ يأتياننا بالجديد وباليقين عن المسيح، فكلٌّ منهما أُخذ في الرؤيا وارتفع في الأعالي وعاين منظر الرب وسمع كلمة من فمه. فنسمع عن ق. يوحنا هكذا: «إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله ليُري عبيده ما لا بد أن يكون عن قريب وبيَّنه مُرسَلاً بيد ملاكه **لعبده يوحنا، الذي شهد بكلمة الله وبشهادة يسوع المسيح بكل ما رآه»** (رؤ١: ١و٢). أما عن ق. بولس فنقرأ هكذا عن القديس حنانيا وهو يخاطب شاول: «إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته **وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه** لأنك ستكون له **شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت»** (أع٢٢: ١٤و١٥)؛ «وأُعرِّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته، بل بإعلان يسوع المسيح.» (غل١: ١١و١٢)

---

(٥) كو١: ١٥ــ٢٠.

(٦) ١تي٣: ١٦.

١ : ١ **«في البدءِ كانَ الكَلِمَـةُ، والكَلِمَـةُ كانَ عندَ الله، وكانَ الكلمةُ الله».**

يفتتح ق. يوحنا إنجيله بهذه الآية ذات الثلاث وصلات، المتناسقة والموزونة على موسيقى الشعر العبري. وهي تعطينا صورة عن طابع إنجيل يوحنا بل وق. يوحنا نفسه. ويُلاحظ أن في الثلاث الجُمل يتكرر الفاعل (الاسم) «الكلمة»، كما يتكرر الفعل **«كان»** الدالُّ على الكينونة وليس على الزمن، وتترابط الجمل بحرف عطف لتنضغط إلى أقل حيِّز ممكن. ومن هذا التركيب القويّ المقصود قصداً، يظهر مقدار الجهد الفكري الذي يبلغ أقصى حدود الإجهاد لإبراز أضخم المعاني التي يمكن أن يبلغها الإتساع الفكري البشري، وذلك للتعرُّف على أسس طبيعة «الكلمة»، في علاقته بالزمن، وفي كيانه الذاتي بالله، وفي جوهره الإلهي.

كان في البدء، كان مع الله، كان هو الله.

وعندما نستمر في قراءة الأصحاح الأول نجد أن هذه الثلاث الجُمل التي تزدحم بها هذه الآية الأُولى، جاءت لتردَّ في النهاية وتتوازن مع ثلاث جُمل جاءت في الآية ١٤ لحظة التجسد: «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا...».

فالكلمة الذي **«كان»** (في كينونة دائمة أزلية خارج الزمن) — **«صار»** أي دخل الزمن،
والكلمة الذي **كان «الله»** (أي في طبيعة الله) — **«صار جسداً»** أي في طبيعة الإنسان،
والكلمة الذي كان **«عند الله»** (حالٌ في الله) — **«حلَّ بيننا».**

وبهذه الآية الأُولى وما احتوته من استعلان كامل عن **«الكلمة»** يكون ق. يوحنا قد وضع أساس إنجيله، وبالتالي دستور الإيمان المسيحي، فيما يخص شخص المسيح باعتباره الكلمة المتجسد:

فالمسيح «الكلمة» لم يتخذ شخصيته بالميلاد الجسدي ولا حتى لحظة الخَلْق. أي أنه ليس مخلوقاً ولا مُحْدَثاً؛ بل كان في البدء قائماً منذ الأزل.

والمسيح «الكلمة» لا ينفرد بوجوده من دون الله؛ بل هو كائن في الله.

والمسيح «الكلمة» بظهوره في الجسد لم يكن مجرد إنسان أو نبي؛ بل وهو بطبيعة الله وجوهره، قد تجسَّد.

وبهذه المؤهلات صار **«للكلمة»** المتجسِّد، أي المسيح، القدرة والسلطان أن يستعلن كل حقائق الله.

«في البدء»:

يتجه ق. يوحنا بهذه اللفظة ἐν ἀρχῇ التي تنطق بالعبرية «براشيت» إلى الاسم التقليدي عند اليهود لسفر التكوين، الذي يبتدىء بهذه الكلمة «**في البدء** خلق الله». وهذا هو الأسلوب السري «المِسْتيكي» للقديس يوحنا. أما القصد فواضح، فهو سيتكلم بإنجيله عن الخليقة الجديدة. و«**بدء**» الخليقة الجديدة عند ق. يوحنا هو المسيح: «أنا هو... البداية والنهاية»، «أنا هو **الأول** والآخر»، «أنا هو **الألف** والياء» (رؤ١: ٨و٢: ٨). وبحسب القديس كيرلس الكبير، فهو البدء الذي بلا بدء.

و«البدء» في إنجيل يوحنا ليس هو البدء في سفر التكوين، لأن بدء سفر التكوين هو الخلق ـــ أي بدء الزمن ـــ أما البدء في إنجيل يوحنا فهو ما قبل الخلق والزمن والتاريخ والإدراك. وليس قبل الخَلْق إلا الله!

ولكن ق. يوحنا لم يكتب في البدء كان «**الله**»، لأنه لم يكن بصدد الحديث أو الإعلان عن الله. بل قال في البدء كان «**الكلمة**» لأنه سيتكلم حالا عن الخَلْق الذي تم «بكلمة» الله، ولكن لن يتوقف عند الخلق ـــ كسفر التكوين ـــ بل سيتجاوزه حالاً إلى الخلاص الذي تم بتجسد «**الكلمة**». من هنا كان همُّ ق. يوحنا أن يعرِّفنا «**بالكلمة**» قبل أن يتجسد، ليستعلن لنا قيمة وجلال التجسد، وبالتالي قيمة وجلال المسيح وعظمة وقوة الخلاص الذي تم. ولكن من أين أتى ق. يوحنا بمفهوم هذا البدء اللازمني، قبل الخليقة؟

قطعاً ذلك لم يكن من العهد القديم؛ فالعهد القديم، وإن سَجَّل لبدء الخلق، لكنه لم يتعرض لِمَا قبل الخلق. والعهد القديم اضطّلع بعمل الكلمة ولم يضطّلع بطبيعة الكلمة. ولمّا تعرّض لكلمة الله لم يتعرض لها بوصفها الأقنومي الذاتي المطلق بل كفعل قوة في حدود الحدث الزمني، إذ كان «الكلمة» الذاتي المطلق غائباً غياباً كاملاً عن الوعي اليهودي. إشعياء النبي أحس بهذا الغياب إحساساً مؤلماً فقال: «حقاً أنت إلهٌ مُحْتجِبٌ يا إله إسرائيل المخلِّص.» (إش٤٥: ١٥)

لذلك نحن نرى، وبالتأكيد، أن تأثير المسيح بجلال مقولاته كان هو المصدر الأساسي في تكوين فكر ق. يوحنا اللاهوتي، سواء من جهة أقنومية الكلمة الأزلي، أو من جهة مفهوم وجوده قبل الزمن «في البدء». وإنه من واقع استعلان المسيح لنفسه، استعلن ق. يوحنا الكلمة، فمن آيتين ظاهرتين وبارزتين في أقوال المسيح يتضح أصل ومفهوم «البدء» اللازمني للكلمة في إنجيل يوحنا:

الآية الأولى: «والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي **عندك قبل كون**

العالم.» (يو١٧: ٥)

الآية الثانية: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك **أحببتني قبل إنشاء العالم.**» (يو١٧: ٢٤)

«كان الكلمة»:

«كان» هنا لا تدل على فعل زمني بل على **الكينونة الدائمة** وهي تخص **الوجود اللازمني**، وتُستخدم للدلالة على الأمور المطلقة أي غير المخلوقة.

فعندما نقول: «في البدء كان الكلمة» يعني أن للكلمة كينونة أو كياناً قائماً في البدء أي في الأزل. وهنا يتجه الفكر مباشرة إلى التعريف الذي عرَّف الله به نفسه لموسى لما سأله هذا عن اسمه، فكان الرد: «أهْيه الذي أهْيه»، وتفسيره حسب ما جاء في طبعة الكتاب المقدس (هامش سفلي) «أكون الذي أكون». والمقصد من هذا التعبير واضح غاية الوضوح وهو «أنا الكائن بذاتي»، أو كما يترجمها الإنجليز: "I am the being" = أي **أنا الكينونة.**

فـ«في البدء كان الكلمة» تعني أن الكلمة كائن منذ الأزل، وهذا يسلمنا مباشرة إلى القول إنه لم يكن بمفرده بل «كان عند الله». ويُلاحظ هنا أنها جاءت «كان» وليس «كانت» لتناسب مؤنث الكلمة العربية لغوياً، وهذا قصور وخلل في الترجمة العربية لأن «الكلمة» أصلاً في اللغة العبرية **مذكَّر** = **«قَوْل»** = **"Kol"**، وترجمت باليونانية λόγος وهي مذكر أيضاً.

«الكلمة»: اللوغس(٧).

«في البدء كان الكلمة»: هذا الإصطلاح العميق المختصر من أين أتى به ق. يوحنا؟

لقد لجأ الشُّرَّاح في ذلك إلى عدة مصادر، ولكن من المصادر الواضحة أمامنا التي مهّدت لهذا القديس الرائي تسميته للمسيح «بالكلمة» مصدرين:

أولاً: سفر الرؤيا، إذ سمع بأذنيه ما يقوله الروح واصفاً المسيح **وهو** متجنّد للحرب، راكباً فرساً أبيضاً، دلالة على المقاصد السلامية، وعلى رأسه تيجان كثيرة، رمزاً للنصرة المتعددة المكاسب لحساب الإنسان، وعيناه كلهيب نار تذيب القلوب الصخرية، «وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلاّ هو، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويُدعى **اسمه "كلمة الله".**» (رؤ١٩: ١٢و١٣)

وهنا يظهر أن اسم «الكلمة» متعاظم الشأن لدى السمائيين، **فهو** صفة المسيح المحاربة بالديّانة والمتسلطة والقائدة، لأنه يقول في بقية الآية: «والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على

(٧) راجع شرح لفظ «الكلمة» في المدخل ص١٨٥ـــ١٩٥.

خيلٍ بيضٍ لابسين بزّاً أبيض ونقيًّا، ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ١٩: ١٤–١٦). وهذه الصورة تمثل واقع «الكلمة» لدى السمائيين. والثوب المغموس بالدم علامة أبدية لانهزام وقهر العدو لأنها تذكار الصليب. فهي شهادة لغلبته على العالم «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣) — «وهم غلبوه **بدم** الخروف وبكلمة شهادتهم.» (رؤ١٢: ١١)

ولكن يلاحظ هنا أن اسمه **«كلمة الله»** يعبّر عن حالة خروج من الله وإرسال للإعلان عن مشيئة الله وتتميمها بقوة واقتدار، فهو اسم «الكلمة» بعد أن اضطلع بالعمل والرسالة، لذلك جاء اسمه «كلمة الله».

أما اسم **«الكلمة»** فقط الذي كتبه ق. يوحنا في إنجيله بوحي الروح فهو يعبّر عن ما قبل الخروج والإرسال والإعلان عن الله، أي اسمه الذاتي، وليس هو صفة عمل. وهو اسم مُحاط بالهيبة والجلال «وكان الكلمة الله». فهو اسم له كفاءة واستحقاق ذاتي لكل ملء اللاهوت خلْواً من عمل أو رسالة.([^8])

ثانياً: والمصدر الثاني الأكثر أثراً في تكوين الفكر اللاهوتي للقديس يوحنا بخصوص **«الكلمة اللوغُس»**، هو تشديد المسيح بصورة متكررة أنه **كلمة الله** بصورة ذاتية وشخصية، وأن كلامه الذي يقوله هو «روح وحياة». وبالرجوع إلى الآيات في نصها اليوناني يظهر بوضوح أن المسيح يعتبر كل ما يقوله هو «اللوغس»، وأنه هو اللوغس أي **«الكلمة»**.

وسنعيد كتابة الآيات في نصها اليوناني لنرى مدى وضوح حقيقة اللوغس عند المسيح. لأن الترجمة العربية أخطأت وتجاوزت لفظ «اللوغس» المفرد = «كلمة» وجعلته بالجمع «كلام». فاختفى المعنى.

علاقة اللوغُس بالمسيح من واقع كلامه:

+ «من يسمع (كلامي) **كلمتي** τὸν λόγον μου ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية.» (يو٥: ٢٤)

هنا المعنى ينصبُّ على أن الذي يقبل اللوغس المسيح ويؤمن بالله الذي أرسله يكون له الحياة

[^8]: F. W. Hengstenberg, *Commentary on the Gosp. of St. John*, p. 13.

الأبدية. ومعروف أن الذي يقبل «كلمة» أو لوغس المسيح يعني أنه يقبل المسيح. هنا المسيح واللوغس على التساوي.

+ «أنتم الآن أنقياء لسبب (الكلام) **الكلمة** = اللوغس τὸν λόγον الذي كلمتكم به.» (يو١٥: ٣)

الكلمة اللوغس هنا مجرد سماعه ووعيه فإنه ينقي القلب، حيث المعنى يتمحور حول قبول المسيح نفسه والإيمان به.

+ «إن كان أحد يحفظ (كلامي) **كلمتي** τὸν ἐμὸν λόγον فلن يرى الموت إلى الأبد.» (يو٨: ٥١)

ومعروف أن الذي يؤمن بالمسيح هو الذي لن يرى الموت. فاللوغس والمسيح هنا على التساوي.

+ «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به إنكم إن ثبتُّم في (كلامي) **كلمتي** ἐν τῷ λόγῳ τῷ ἐμῷ فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم.» (يو٨: ٣١و٣٢)

هنا الثبوت في كلمة المسيح أي اللوغس يكشف عن التلمذة الحقيقية للمسيح أي أن التلمذة لكلمة المسيح هي التلمذة للمسيح بعينها.

ومعروف من آيات أخرى أن الثبوت في كلمة المسيح هو هو الثبوت في المسيح نفسه (يو١٥: ٧).

+ «(الكلام) **الكلمة** ὁ λόγος الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني.» (يو١٤: ٢٤)

المسيح يوضح هنا أن **كلمته أي اللوغس** ليس منفرداً من دون الله فهو اللوغس الذي أرسله الله سواء شخصه أو كلمته واحد!!

+ «أنا قد أعطيتهم (كلامك) **كلمتك** τὸν λόγον σου والعالم أبغضهم.» (يو١٧: ١٤)

معروف أن **العالم أبغض المسيح** وبالتالي أبغض الذين قبلوا **كلمة الله** أي اللوغس. هنا المسيح ولوغس الله على التساوي.

+ «(كلامك) **كلمتك** ὁ λόγος ὁ σός هو حق.» (يو١٧: ١٧)

ومعروف أن المسيح أعلن بكل قوة ووضوح «أنا هو... **الحق**» (يو١٤: ٦). وهنا اللوغس والمسيح والحق على التساوي المطلق. بل يمكن استخلاص أن **المسيح هو اللوغس** مباشرة.

ومعروف أيضاً أن المسيح أعطى الحق أي اللوغس في كلامه عموماً، أي أن حديثه كان يحوي سر «الكلمة»، سر «اللوغُس»، سر «**المسيح**». وهذا يتضح من الآية الآتية:

«لماذا لا تفهمون **كلامي** τὴν λαλιὰν τὴν ἐμὴν لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا (قولي)[٩] **كلمتي** ἀκούειν τὸν λόγον τὸν ἐμόν.» (يو٨: ٤٣)

هنا واضح أن كلام المسيح شيء و«الكلمة» أي اللوغس الكائن في كلام المسيح شيء آخر. فالكلمة اللوغُس هو سِرُّ الله وهو المسيح وهو الحق المخفي في الكلام. فالذي يسمع الصوت الله وسِرَّه، أي الحق، من وسط الكلام يفهم كل الكلام في الحال.

ومن هذه الآية نستخلص أن «**الكلمة**» **اللوغُس** هو محور كل تعاليم المسيح وهو القلب النابض في إنجيل يوحنا وعليه يقوم الإنجيل كله!! ولذلك، وإن كان يتهيأ لجميع الشرّاح أن ق. يوحنا لم يستخدم اصطلاح (اسم) «**الكلمة**» اللوغس إلا في موضعين اثنين من مقدمة إنجيله في الأصحاح الأول، إلا أن الواقع والحقيقة أن اللوغس هو محور إنجيل يوحنا وملخص لاهوته.

فكما أن **كلمة الله اللوغُس**، وبالعبرية «قُوْل إِلُوهيم»، جاء في الأسفار المقدسة قديماً منطوقاً بفم الأنبياء وكان يحمل الحياة للذين يثبتون فيه، فقد جاء الكلمة اللوغُس بنفسه في شخص يسوع المسيح معلناً الحق ومعطياً الحياة. ولكن يظل هناك فارق بين الكلام المقول واللوغس المحتوى داخله: «والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته φωνὴν قط، ولا أبصرتم هيئته، **وليست لكم كلمته** τὸν λόγον αὐτοῦ **ثابتة فيكم... فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي، ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة.**» (يو٥: ٣٧–٣٩)

المسيح هنا يستعلن نفسه بمنتهى الحذق الإلهي أنه هو **اللوغُس!** فهو يوضح أن كلمة الله اللوغُس التي يفتشون عليها في الكتب (الأسفار) لكي تعطيهم حياة أبدية أخطأوا إليها فأخطأوها، ولم ينتبهوا إليها حينما استعلنها المسيح في نفسه لما جاء بنفسه إليهم: «إلى خاصته جاء»، فلم يأتوا هم إليه، مع أنه بصفته اللوغُس الذي يبحثون عنه قادر أن يعطيهم الحياة الأبدية!!

لذلك، فجوهر الإستعلان في إنجيل يوحنا محكوم بمستوى السماع الروحي للكلمة «**اللوغُس**»، وهو الحق المثبت في كلام المسيح، على أن هذا «**اللوغُس**» هو سِرُّ الإنجيل وسِرُّ الله وسِرُّ المسيح.

(٩) هنا تجيء كلمة «قولي» التي وضعناها بين قوسين لأنها لا تفيد معنى اللوغس «الكلمة» باللغة العربية، ولكنها بالنطق **العبري** تكون صحيحة تماماً وتفيد معنى اللوغس، لأن «اللوغس» بالعبرانية تنطق (قول).

وهو لا يوجد جامداً أو ساكناً، بل على الدوام ينطلق من بين السطور والكلمات، كومضات من نور أو دفقات حياة تنطلق بلا توقف.

وبهذا نرى أن اللوغس في إنجيل يوحنا لا يحتاج إلى شرح أو تعريف أو فهم، فهو هو المسيح، والروح واقف على استعداد يأخذ مما للمسيح «اللوغس» ويخبركم ἀναγγελεῖ ὑμῖν. والمسيح لا يعطي كلام الحق ليُفهم، بل هو يُعطي الحق ليُعاش؛ ولا يعطي كلاماً يصلح للحياة بل يعطي الحياة. فهذا هو سر كلامه: «روح وحياة»، وهذا يوصلنا إلى مقدمة الإنجيل بكل هدوء، فالمسيح هو «الكلمة اللوغس».

فإن كان ق. يوحنا قد أعطى للمسيح اسم **«الكلمة» اللوغس** فهو فعل ذلك من واقع استعلان المسيح لنفسه من خلال تعليمه. على أن قدرة ق. يوحنا على استشفاف هذا الاسم وطرحه في مستهل إنجيله — ليس على أن «كلمة الله» — بل على أنه **«الكلمة» اللوغس** يعتبر إلهاماً إلهياً وعلى مستوى المساهمة العظمى للاهوت المسيحي. وهي جرأة يستحيل أن يأتيها عقل بشر؛ فهي جرأةْ مَنْ رأى وعاين أن **«يسوع المسيح هو الكلمة»:** «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق.» (يو٢١: ٢٤)

وهذه المعلومة البسيطة في مظهرها صارت هي الحقيقة الإلهية العظمى في تاريخ معرفة الإنسان لله!

«في البدء كان الكلمة»:

قلنا أن «في البدء» تفيد ما قبل الخَلْق، وبالتالي ما قبل الزمن. فتكون بالتحديد هي الأزلية. وقلنا أن «كان» لا تفيد فعل الزمن الماضي الناقص ولكن تفيد الكينونة الدائمة للمطلق. أي أن الكلمة اللوغس هو «كائن أزلي». فمن أين أتى ق. يوحنا بهذا التوصيف الخطير للمسيح؟

أمامنا مصدران واضحان استشف منهما ق. يوحنا وصف المسيح بالكينونة الأزلية:

الأول: قول المسيح صراحة لليهود: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم؟ قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن.**» (يو٨: ٥٦—٥٨)

قول المسيح **«أنا كائن»** كشف عن كينونته اللازمنية الأزلية. لأنه لو كان قد قال: «أنا كنت»، لدخل المعنى في إطار الزمن وأصبح مجرد أسبقية زمنية، ولكن بقوله: **«أنا كائن»**= ἐγὼ εἰμί أصبحت المقارنة بين إبراهيم والمسيح شاسعة جداً وبلا قياس، **فهي** مقارنة بين **مخلوق**

وغير مخلوق، بين زمني وأزلي. إذن، فهو كائن قبل كل الآباء والأنبياء وكل الخليقة.

هذا القول الذي قاله المسيح «قبل أن يكون إبراهيم **أنا كائن**» انطبع في قلب ق. يوحنا وأخذ الأولوية على كل ما عداه من الأوصاف التي استعلنها المسيح في ذاته.

الثاني: أما الموضع الثاني الذي عزَّز صورة المسيح في ذهن يوحنا وإيمانه بصفته الكائن الأزلي، فهو قوله المملوء سرًّا وجلالاً ورهبةً: «إن لم تؤمنوا أني أنا هو ἐγώ εἰμι تموتون في خطاياكم.» (يو٨: ٢٤)

هنا نرجو القارىء الرجوع لشرح سر التسمية ἐγώ εἰμι في كتاب «المدخل لشرح إنجيل ق. يوحنا» ص٢١٨ــ٢٤٦. ويكفي هنا أن نقول أن هذا هو نفسه اسم الله الشخصي الذي قاله لموسى في مستهل سفر الخروج ٣: ١٣و١٤:

«فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى **أَهْيَه الذي أَهْيَه** ἐγώ εἰμι ὁ ὤν. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أَهْيَه أرسلني إليكم».

وهذا الاسم صار توضيحه في هامش الكتاب المقدس هكذا: **«أكون الذي أكون»** وترجمتها بالإنجليزية **I am the being**، وتُفهم بالعربية **«أنا الكائن بذاتي»= هذا هو اسم الله.**

ويلاحظ في هذا الشرط الخطير الذي قدمه المسيح لليهود لكي تُغفر خطاياهم أنه يتحتم أن يؤمنوا بأنه يقدم لهم في منظوره الشخصي الله غير المنظور ذا الجلال والعظمة، وأن وجوده المنظور أمامهم يجمع كل الكيان اللامحدود والمحدود، المنظور وغير المنظور، وإلا فإنهم يموتون في خطاياهم(١٠). لماذا؟ لأنه هو الذي سيحمل كفَّارة خطاياهم، ولأنه هو هو «الله ظهر في الجسد.» (١تي٣: ١٦)

وفي رد المسيح التالي على اليهود يتضح أكثر تأكيد المسيح على استعلان شخصيته الأزلية: «فقالوا له **من أنت؟** فقال لهم يسوع **أنا من البدء** ما أكلمكم أيضاً به» (يو٨: ٢٥). ويشرحها القديس أغسطينوس باختصار هكذا: [صدِّقوني أنني **أنا البداية** لأني قلت لكم هذا].

كما يلاحظ أنه قبل أن يستعلن المسيح وجوده الأزلي بقوله «**أنا هو**»= «أنا هو الكائن بذاتي» في الآية ٨: ٢٤، قدم لهذا القول بالآية: «أنتم من أسفل **أما أنا فمن فوق؛** أنتم من هذا

[10] Westcott, *The Gosp. acc. to St. John*, p. 131.

العالم **أما أنا فلست من هذا العالم** » (يو٨ : ٢٣). هذا كله يعزِّز استعلانه لذاته أنه كائن بذاته منذ البدء.

لقد انطبع هذا الاستعلان أيضاً في ذهن ق. يوحنا وأدرك بيقين أن شخصية المسيح تحمل الكيان الإلهي الأزلي، وأنه يحمل **اسم ذات الله** بكل جلاله وأنه منه البدء وبلا بداية. لذلك استهل ق. يوحنا إنجيله بقوله: «**في البدء كان الكلمة**». وكان هذا حصيلة معرفته اليقينية بالمسيح عن قرب، إن لم يكن عن إملاء الروح نفسه.

« كان الكلمة »:

لماذا لم يكتب ق. يوحنا «كلمة الله» كما هي معروفة في جميع الأسفار القديمة؟

يلاحظ القارىء أن ق. يوحنا يقدم المسيح قبل التجسد، وقبل إبراهيم: «أنا كائن»، ويقدمه قبل «كل شيء به كان»، أي قبل الخليقة جميعها في الأرض وفي السموات، أي قبل الزمن: «في البدء» الأزلي. قبل التاريخ، قبل الفهم والإدراك عموماً. وذلك لأنه لم يكن بعد للكلمة إرسالية خارج الله، فهو يصفه في كيانه أو كينونته في الذات الإلهية وحسب. ولأنه ــ أي «الكلمة» ــ لم يبدأ في استعلان الله أو يخبِّر عن الله أو عما عند الله، إذ لم تكن توجد خليقة ما تسمع أو تفهم. لذلك فلا يجوز أن يوصف بأنه الكلمة المرسَلَة أو كلمة الله الخارجة لتعمل لحساب الله. بل كان «الكلمة» مكتفياً بالوجود المطلق في الله.

+ وبمجرد أن بدأ الخلق، بدأ عمل الكلمة في العالم المخلوق يشهد لإرادة الله بالقوة التي فيه، وهذا يصفه ق. يوحنا بـ«النور». بدأ الكلمة عمله في العالم المخلوق كنور وحياة ــ وهذا هو الاستعلان الثاني **«للكلمة»**.

+ وجاءت خلقة الإنسان على صورة الله، فَهِيماً وناطقاً وسامعاً، وهنا بدأ عمل «الكلمة» في الإنسان (العهد القديم بكل أسفاره) باعتباره **«كلمة الله»** المرسَلَة المسموعة والمفهومة ــ وهذا هو الاستعلان الثالث «للكلمة».

+ وقد جاء كلمة الله إلى خاصَّته، أي شعب إسرائيل، متكلماً في الأنبياء، فلما لم يقبلوه «تجسد الكلمة» ــ وهذا هو الاستعلان الرابع للكلمة ــ وذلك ليعلن ويخبّر عن الله جهاراً وعلانيةً دون وسيط ــ لا كلمة الله المجردة المرسلة المسموعة والمفهومة فقط أي قوة غير مشخَّصة ــ ولكن الله الكلمة الشخص المسموع والمنظور والملموس أيضاً. «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤ : ٩)

لذلك حينما قال ق. يوحنا «في البدء كان "الكلمة"»، فهو يقول عن شخص «الكلمة» اللوغس في ذاته وفي اسمه، وليس في عمله بعد! معرَّفاً بـ« ال» ولكن ليس معرَّفاً بعمل.

«والكلمة كان عند الله»:

كلمة «**عند**» πρὸς ، كما يرى العلماء في اللغة وشُرّاح الكتاب المقدس، لا تفيد مجرد الوجود معاً كاثنين يعيشان في شركة، ولا حتى تعني اتحاداً بالمفهوم العام، أو وجوداً مكانياً بأية علاقة كانت. ولكن هي تفيد علاقة متصلة، يشرحها المسيح نفسه في موضع آخر إنما بعد التجسد بقوله: «الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك.» (يو٥: ١٩)

وهذا يفيد في نظر العالم Westcott أن الوجود الشخصي للكلمة كان يتحقق في اتصال فعَّال دائم وشركة كاملة مع الله، وهذه هي حقيقة «الكلمة» عند الله قبل أن يبدأ يستعلن الله.

وقد ورد هذا الاصطلاح: «**عند** πρὸς » في موضع مماثل يُعتبر بحد ذاته أقدم وأوضح شرح لمعنى «والكلمة كان عند الله»، وذلك في الآية التي كتبها ق. يوحنا نفسه في رسالته الأولى عن الحياة الأبدية التي «كانت **عند الآب**» ἦν πρὸς τὸν πατέρα و«أُظهرت». وهنا يتضح أن الحياة الأبدية التي كانت عند الآب كانت تحقق ذاتها في علاقة الاتصال الداخلي بالله(١١). وهذا هو بعينه الذي يعنيه الروح بقول الإنجيل: «والكلمة كان عند الله».

ويقول العالم شناكنبرج: [إن «عند = πρὸς » لا تفيد هنا الحركة تجاه هدف ما بل إن πρὸς تأتي مُحاذية وبالتبادل أحياناً مع παρὰ τῷ θεῷ كما قالها المسيح في صلاته: «والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك = παρὰ σεαυτῷ بالمجد الذي كان لي عندك παρὰ σοί قبل كون العالم» (يو١٧: ٥).]

ويقول شناكنبرج: [إن هذا المجد الذي كان له عند الآب هو هو اتصاله الوثيق بالله وهو قائم بالاتصال الحياة الأبدية المعطاة بالحب (يو١٧: ٢٤). لذلك فإن في هذه المقدمة يتأكد أن كينونة اللوغس — بالأصل — هي وجود فعَّال بالحب، له ملء حياة الله والمجد معه.](١٢)

(11) Westcott, *The Gosp. acc. to St. John*, p. 3.
(12) Schnackenburg, *The Gosp. acc. to St. John*, p. [illegible]

ويشرحها القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [إن الكلمة هو وجود شخصي جوهري οὐσία ἐνυπόστατος صادر προελθοῦσα بدون تألم ἀπαθῶς من الآب نفسه، فهذا كما سبق وأن أشرت هو اصطلاح **«الكلمة»**. وأيضاً قوله «في البدء كان الكلمة» هذا يوضح أزليته. كذلك أيضاً «والكلمة كان عند الله»، يكون بذلك قد أعلن لنا أنه معه في الأزلية = His Co-eternity حتى إذا سمعتم أنه «في البدء كان الكلمة» لا تخطئون في تصوركم أن حياة الآب تختلف عنه (عن الكلمة) بأي مسافة زمنية أو أي امتداد، فيتحدد بذلك خطأ بدءٌ خاصٌ للابن الوحيد، ولذلك أردف يقول: «والكلمة كان عند الله». ولهذا فهو أزلي كالآب نفسه لأن **«الآب»** لم يكن أبداً بدون **«الكلمة»**، بل كان الله مع الله، كلٌّ في أقنومه الخاص ὑποστάσει.](١٣)

ومن هذا الشرح لذهبي الفم نفهم أن «عند πρός» تساوي مفهوم **«المعيَّة الأزلية»**، أي أن الكلمة كان **مع** الآب في الأزل دون افتراق.

ومن هذه الشروحات على قول ق. يوحنا: «والكلمة كان عند الله (الآب)»، فيما قبل الخلق وقبل حركة الكلمة في الإعلان عن الله سواء في الخليقة عامة أو في الإنسان؛ نرى أن لا **الله** ولا **الكلمة** كان في حاجة إلى خلقة العالم ـــ وإنما الخلقة جاءت كإرادة حب: «هكذا أحب الله العالم..» (يو٣: ١٦) ـــ لأن كلًّا منهما كان في اكتفاء كلي بالآخر، فشركة المجد المتصل، وشركة الفهم والإدراك المتبادل، وشركة الحياة المتصلة، وشركة الأزلية الدائمة، جعلت «الله والكلمة» كُلًّا واحداً كليَّ المجد، مُدرِكٌ كامل كليُّ الحياة، وهو نفس مستوى الآب والابن كما سنرى ـــ فيما بعد ـــ كون طبيعة الحب المتفجرة والمتبادَلة بين الأُبوَّة والبُنوَّة جعلت ذات الله المتكاملة كلية الاكتفاء وكلية الحب والكرامة والمجد.

«والكلمة كان عند الله» تعطينا تصوُّراً أن الكلمة ـــ اللوغُس ـــ قبل الخليقة يمثل القوة المُدرِكة لكل مشيئة الله والقائمة الدائمة على أتم استعداد لتنفيذ هذه المشيئة.

أو يمكن أن نرى اللوغُس قبل الخليقة أيضاً، القائم الدائم المؤتمن على كل خطط الله الأزلية، وهو على أتم استعداد لإخراجها للوجود عندما يحين ميعادها.

كذلك يمكن ـــ من قول بولس الرسول ـــ أن نرى اللوغُس قبل تأسيس العالم وهو قائم عند

[13] NPNF, 1st Ser., Vol. XIV, p. 16,17.

الله، يحمل صوراً وقوائمَ بأسماء كل الذين اختارهم الله ليمارس دوره معهم وفيهم بكل وسائل التقديس، ليقفوا أمام الله يوماً ما بلا لوم حسب سخاء محبته: «مبارَكٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه في المحبة.**» (أف١: ٣و٤)

بهذا يتضح أمامنا أنه حتى وقبل خلقة السموات والأرض وقبل كل الدهور ــ وقبل أن يُرسَل ليعلن مشيئة الله ــ كان **«للكلمة»** اللوغُس عمل خاص من جهة الخلاص، واهتمام بالمفديين، وتدبير الخطط مع الله لتكميل مسرة حب الله: «حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته لنكون لمدح مجده، **نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح.**» (أف١: ١١و١٢)

وعلى أساس هذه الصلات الجوهرية والوثيقة بين (الكلمة ــ اللوغُس) والله، والتي هي على مستوى الوحدة الخصبة ذات الفعالية، أصبح «للكلمة» اللوغُس ــ حينما أُرسل بعد ذلك ليعلن الله ومشيئته ــ أن يقول: «الله لم يَرَه أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو١: ١٨). هذه الآية تشرح ــ على المستوى الشخصي والعاطفي ــ مركز اللوغُس عند الله. فهو وجود ملتحم ودائم ولكن متميز وشخصي.

«وكان الكلمة الله»:

هنا كلمة **«الله»** جاءت في الأصل اليوناني θεός غير معرَّفة بـ«الـ» ὁ ، بعكس الجملة السابقة «والكلمة كان عند الله» ὁ θεός ، حيث كلمة الله معرَّفة بـ«الـ». ففي الجملة الأُولى **«والكلمة كان عند الله»**، نجد أن «الكلمة»λόγος معرَّفة بـ«الـ» ὁ و**«الله»** θεός معرَّف بـ«الـ» ὁ توضيحاً أن لكل منهما وجوده الشخصي، وحيث «الله» المعرَّف بـ«الـ» يحمل معنى الذات الكلية. أما في الجملة الثانية فالقصد من قوله: «وكان الكلمة الله» هو تعيين الجوهر أي طبيعة «الكلمة» أنها إلهية، ولا يُقصد تعريف الكلمة أنه هو الله من جهة الذات.

وهنا يُحذَّر أن تُقرأ «الله» ὁ θεός معرَّفاً بـ«الـ» في «وكان الكلمة الله» وإلا يكون لا فرق بين الكلمة والله، وبالتالي لا فرق بين الآب والابن، وهذه هي بدعة سابيليوس الذي قال أنها مجرد أسماء، في حين أن الإيمان المسيحي يقول أن الأقانيم في الله متميزة: فالآب ليس هو الابن ولا الابن هو الآب، وكل أقنوم له اختصاصه الإلهي. كذلك فالله ليس هو الكلمة والكلمة ليس هو الله (الكلي).

وهنا يقابلنا قصور مكشوف في اللغة العربية، فلا توجد كلمة «الله» بدون التعريف بـ«الـ».

وقد يتراءى للبعض أنه يمكن أن يُقال «وكان الكلمة إلهاً»، وهذا أيضاً انحراف لأن الكلمة اللوغُس (أو الابن) ليس إلهاً «آخر» أو «ثان» غير الله الواحد، كما أن الله ليس فيه آلهة — بالمثنى أو الجمع — فالله **إله واحد** آبٌ وابنٌ وروحٌ قُدُسٌ.

والمعنى يكون أن الكلمة اللوغس ليس بمفرده الذات الكلية لله، ولكن الله والكلمة هو «الله». وكما نقول الله الابن والله الآب يمكن أن نقول «الله الكلمة» أو «الكلمة الله» لتعريف ماهية الكلمة، وذلك بقصد التفريق بين طبيعة الخليقة سواء في السماء أو الأرض أو الإنسان وبين طبيعة «**الكلمة**» اللوغُس. **فالكلمة كان الله** ولم يكن العالم أو الخليقة أو الإنسان. لأنه يجدر بنا هنا أن نوجِّه نظر القارىء أن في أيام القديس يوحنا كانت هذه الثلاث البدع موجودة. فكان هناك من ينادي بأن [الكلمة اللوغُس هو العالم]، ومن يقول أنه [كان رئيس ملائكة]، ومن يقول أنه [كان إنساناً]. وبهذا يتضح جداً المعنى والقصد من قول القديس يوحنا: **«وكان الكلمة الله»**.

وليَنتبه القارىء، لأن طبيعة الله ليست كطبيعة أعلى المخلوقات مهما عَلَتْ وسَمَتْ هذه المخلوقات، فطبيعة الملائكة والإنسان فيها المفرد والجمع، فيها الملاك وربوات الملائكة، وفيها الإنسان وملايين الناس. أما طبيعة الله فهي طبيعة مطلقة لا تقبل المفرد ولا المثنى ولا الجمع العدديَّيْن، فهي منزَّهة عن العددية، طبيعة بسيطة غير مركبة، وهي واحدة لأنها وحيدة لواحد مطلق. والكلمة فيها متحد بالله اتحاداً مطلقاً، فالله والكلمة هو الله الواحد الأحد.

مقارنة بين كلمة الله وكلمة الإنسان:

+ «**الكلمة**» في الإنسان تصوِّر شخصية الإنسان تصويراً جزئياً، وقد تخطىء فتبقى كلمة الإنسان شيئاً ويبقى الإنسان شيئاً آخر.

أما «**كلمة الله**» فهي صورة كاملة لله كمالاً مطلقاً، حيث التطابق بين الله وكلمته يفوق حدَّ التساوي في المفهوم البشري، لأن التطابق في المطلق — أي الله — غير المحدود هو أعلى مفهوم للتساوي الذي هو الوحدة عينها، لأنه لا توجد ثنائية قط في المطلقات وبالضرورة في الله.

لذلك فالتطابق بين **إرادة الله وفعل كلمته** يبلغ من التساوي حد التطابق المطلق. فالكلمة يقول ويعمل بحسب مشيئة الله بالتمام والكمال، وهذا نسمعه في وصف المسيح لنفسه باستمرار: «لأني **لم أتكلم من نفسي**، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية، فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم»

(يو١٢: ٤٩و٥٠). هذا من جهة الكلام، كذلك من جهة العمل: «الحق الحق أقول لكم **لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً** إلا ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك» (يو٥: ١٩). هنا تطابق كلي في القول والعمل، ومن هنا الوحدة المطلقة الكلية: «ألستَ تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ، الكلام الذي أُكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال.» (يو١٤: ١٠)

+ وكلمة الإنسان مهما بلغت في تعبيرها عن حالة الإنسان ومداخله، فهي في طبيعتها مجرد ظاهرة أو مظهر مسموع أو مكتوب أو معمول لا يمثِّل طبيعة الإنسان تمثيلاً كليًّا؛ ولكن كلمة الله ــ اللوغُس ــ يحمل طبيعة الله ويعبِّر عن ذاته تعبيراً كليًّا مطلقاً، فإذا خرج اللوغُس من لَدُن الله فهو خروج غير زمني وغير محدود، وهو يظل قائماً في الله ويعمل خارج الله، فهو يمثل الحضرة الإلهية بكل طبيعتها وقوتها وجلالها، يحمل اسم الله وسلطانه كذات الله.

وهكذا فكون «**كلمة الله**» هو أقنوم (شخص) ــ عند الله وفي الله ــ بحد ذاته، فهذا امتياز لطبيعة الله الفائقة عن طبيعتنا. لذلك فالفارق يفوق تصوُّرنا جداً لأنه ليس له مثيل في طبيعتنا. وهذا أيضاً أحد كمالات الله وخصائصه واتساع قدراته التي تزيد كثيراً عن تصورنا.

+ كذلك، إذا كانت كلمة الإنسان كريمة عند نفسه وعزيزة لديه، وهو يطالب بكرامتها وحتمية تنفيذها لأنها تعبِّر عن ذاته؛ فكم تكون كلمة الله؟

وهذا نسمعه تماماً في تعاليم المسيح عن نفسه! باعتباره «الكلمة» والابن المرسَل: «الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله... لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيي كذلك الابن أيضاً يُحيي من يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن، **لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله.**» (يو٥: ٢٠ــ٢٣)، «الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يرى الذي أرسلني» (يو١٢: ٤٤و٤٥)، «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠)، «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤: ٩)

والآن، أنظر أيها القارىء، وأعِدْ النظر على ضوء ما قلناه في قول ق. يوحنا: «وكان الكلمة الله»!

أما إذا تبادر إلى ذهنك: ولماذا بدأ الإنجيل بـ«**الكلمة**» ولم يبدأ بوصف «الابن»؟ فالجواب

هو أن ق. يوحنا يتتبع المسيح قبل التجسد وقبل الأنبياء وقبل الخليقة ليجعلك تراه في حقيقة شخصه قبل الخلق وهو قائم في الأزلية عند الله، تمهيداً لاستعلان بنوته.

٢:١ **«هذا كان في البدء عند الله».**

«هذا» هنا تكرار مقصود به **«اللوغس»** في القول السابق: «في البدء كان **الكلمة والكلمة** كان عند الله وكان **الكلمة** الله»، ليؤكد أمرين غاية في الأهمية بالنسبة لما هو مزمع أن يقوله عن **الكلمة** بالنسبة للخلق: الأمر **الأول** أن **الكلمة أزلي، والثاني** أن الكلمة **هو من جوهر الله وطبيعته،** ومؤكداً مرة أخرى أن **«هذا كان في البدء عند الله»** أي قبل أن يكون العالم وكافة المخلوقات.

وتأكيد ق. يوحنا على **« عند الله »** لثاني مرة لا يخلو من إشارة ذكيَّة، أن هذه العلاقة القائمة الدائمة بين الكلمة والله هي بحد ذاتها سِرٌّ من أسرار الخلق.
كما أن التأكيد على أزلية الكلمة مع الله تقطع بالهوة السحيقة التي تفصل بين **«الكلمة»** وبين **«الخَلْق المُحدَثِ الزمني»**، المخلوق بالكلمة.

وفي التعليق على قول الإنجيل: «هذا كان في البدء عند الله» يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم: [لقد أعاد ثانية القول « هذا كان في البدء عند الله» أي أزلي تماماً كالآب، لأن الآب لم يكن قط بدون الكلمة، بل كان الكلمة الله مع الله كلٌّ بشخصه ὑπόστασις .](١٤)

ونحن نرى أن العودة إلى **«البدء عند الله»** مرة أخرى هي حارس يحرس التعبير من الإنحراف نحو الثنائية بين الكلمة والله.

٣:١ **« كلُّ شيءٍ به كانَ، وبغيرِهِ لم يكن شيءٌ ممَّا كانَ».**

«وقد جعلتُ أقوالي في فمك (اللوغس)، وبظل يدي سترتُك لغَرْسِ السموات وتأسيس الأرض، ولتقول لصهيون أنتِ شعبي.» (إش٥١: ١٦)

وهكذا ينحدر ق. يوحنا سريعاً من تحليقه فيما وراء الزمن في الأزلية، ومن الشخوص الفائق

(١٤) العظة الثالثة.

في كيـان اللوغُس عنـد الله الذي أوقفنا أمامه وفي مواجهته لحظة، لينزل بنا إلى واقعنا المادي إلى الخليقة بكافة أشكالها وأنواعها فيما يُرى وما لا يُرى.

ولا يخفـى على الـدارس للفكـر اليـهودي القـديم أن يلمح في هذه الآية تقابل الوزن العبري بـالإيجـاب ثـم الـسـلـب باتصال، ليغوص بنا في أعماق وأطراف المعنى، وليجمع بينهما فكر واحد متكامل محبوك لا يأتيه الشك من أي جانب: «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان»، حيث لا يـزال الـتـركـيـز هنا على الكلمة اللوغُس باعتباره العامل الوحيد في الخلق. فكل الخليقة أخـذت وجودهـا وكـيـانـهـا المـرئـي وغير المرئي **منه**، ولا توجد خليقة قط يمكن أن تتخذ لها وجوداً **بدونه**.

وبـيـنـمـا يـظـل الـكلمة أزليًّا كما هو، أخذت منه الخليقة مبدأها الزمني، وارتبطت به ارتباط الوجود والكيان والحركة والدوام على مستوى الزمن، وظلَّ هو حرّاً منها لا يحدُّه زمان أو كيان.

+ هـنـا «**كل شيء** πάντα» يفيد كل شيء بمفرداته واحداً واحداً، وليس كل شيء كجمع كلي، وإلا كـانـت تُـكـتـب τὰ πάντα ، كـمـا جاءت في رسالة بولس الرسول: «فإنه فيه خُلِقَ **الـكـل**...» (كو١: ١٦). وبـالـتـأكـيـد فـإن «**كل** شيء» هنا يعود على تنوع الخلائق من روحية وبشريـة ومـاديـة، لـيقطع خط الرجعة على بدع القائلين أن اللوغُس هو العالم أو أنه كان ملاكاً أو كان مجرد إنسان.

+ «**به كان**»، والأصح بحسب الأُصول والمعنى اليوناني «به صار».

والمعنى المقصود هو «به خُلِق»، لأن «**كان**» هنا كما جاءت في اللغة العربية توقعنا في خطأ وارتـبـاك لأنها لم تجيء في اليونانية ἦν التي تفيد الكينونة، بل ἐγένετο وتعني «صار» أو «ظهر في الوجود»، أو «خُلِقَ».

وبحسب العالم وستكوت([15]) فإن فِعْل «**خَلَقَ**» يأتي على ثلاث صور من الأفعال:

الأول: يخلق κτίζειν . **والثاني:** يصنع ποιεῖν وذلك بالنسبة للخالق.

والثالث: يصير γίγνεσθαι

١ ــ **والـفـعـل الأول «يـخـلـق»** كـما جاء في (كو١: ١٦و١٧): «فإنه فيه خُلِقَ ἐκτίσθη

[15] Westcott, *op. cit.*, p. 4.

الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء **وفيه** ἐν αὐτῷ يقوم الكل (hold together) = συνέστηκεν». وهنا يأخذ فعل **«خَلَقَ»** معنى وحقيقة التصميم والتخطيط والقصد من الشيء قبل صنعه في ذهن الخالق.

٢ ـ **أما الفعل الثاني «صنع»** كما جاء في إنجيل مرقس: «من بدء الخليقة ذكراً وأنثى **خلقهما** الله ἐποίησεν» (مر١٠: ٦)، فهي تفيد النتيجة الفعلية أو الشيء الناتج من الخلق كصنعه. كما هو واضح جداً من قول بولس الرسول: «لأننا نحن **عمله** ἐσμεν ποίημα = product (وترجمتها بالإنجليزية واضحة للغاية = for we are his workmanship) مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها...» (أف٢: ١٠)

٣ ـ **أما الفعل الثالث «يصير»** ἐγένετο الذي نحن بصدده هنا، «كلُّ شيء به **(كان) صار»، فهو يفيد القانون الخاص الذي بمقتضاه يتم ظهور الشيء حسب تدبير العناية الإلهية.**

وأوضح مثلٍ لذلك ما جاء في الفعلين المستخدمين في الآية ١: ١٤: «والكلمة **صار** ἐγένετο جسداً»؛ وفي الآية ١: ١٧: «لأن الناموس بموسى أُعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح **صارا** ἐγένετο».

وهنا تنكشف **قوة هذا الفعل كمعبّر عن كيفية الاستعلان عن النظام والتدبير الإلهيين وإظهارهما للوجود.** بمعنى أنه قبل أن يخلق الله العالم بالكلمة كان هناك تدبير وخطة ونظام وقانون انتهت جميعاً إلى استعلان خطة العالم بوجوده، وانتهت إلى استعلان تجسد الكلمة، ثم انتهت إلى استعلان النعمة والحق في المسيح يسوع. وهذا هو المعنى النوعي والتحديدي لفعل ἐγένετο

+ **«به»** = διά : الحرف اليوناني διά لا يفيد المعنى باللغة العربية **«به»**، ولكن معنى آخر أعمق يمكن أن يُترجم **«بواسطته»** التي تأتي بالإنجليزية through him وليس by him التي هي ὑπό .

لهذا فحرف δι' αὐτοῦ يعطي معنى أكثر علاقة بين الكلمة اللوغُس وبين الخليقة. أي أن كل شيء هو **به وفيه** بآن واحد، وليس به فقط، فالكلمة بعد أن خَلَقَ، ظل حافظاً ومقيماً وماسكاً ومُدبّراً للخلق. المسيح عبّر عن ذلك بقوله: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو١٥: ٥)

والعلاقة الممتدة بين **الخليقة والكلمة** تتضح من كلام القديس بولس الرسول:

«**فإن فيه** خُلق الكل ἐν αὐτῷ ...

الكل به وله قد خُلق δι' αὐτοῦ ...

وفيه يقوم الكل ἐν αὐτῷ συνέστηκεν .» (كو١: ١٦و١٧)

أي أن الخليقة بواسطته خُلقت، وفيه هي مخلوقة وقائمة ومتماسكة معاً.

هذا يوضحه ق. يوحنا بمنتهى الإختصار بقوله:

«وبغيره لم يكن شيء مما كان»، والترجمة الأصح: «وبغيره لم **يَصِرْ** شيء مما **صار**».

وكلمة «بغيره» تفيد «بعيداً عنه» أي: «بدونه» لا يصير لها وجود وكيان.

وبهذا تكون الخليقة قائمةً تحت عاملين:

العامل الأول: الاعتماد الكلي على التوسط الإلهي بواسطة الكلمة.

العامل الثاني: الحضرة الإلهية الدائمة التي تقيم وتحفظ كيانها.

فالخليقة أولاً صارت إلى الوجود بواسطة الكلمة، ثم أخذت وتأخذ قيامها وتماسكها ودوامها معاً بالكلمة أيضاً.

هذا الأمر توضحه الرسالة إلى العبرانيين عندما يقول: «الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره **وحامل** φέρων τε **كل الأشياء بكلمة** قدرته» (عب١: ٢و٣)؛ حيث «**به**» توضِّح سر بقاء ودوام الخليقة كونها محمولة بقوة الكلمة. فهنا سر الخَلْق، وسر قيام الخلق، وسر دوام الخلق.

ويزيد القديس بولس الرسول هذا الوضع الأخير وضوحاً بقوله: «لأننا به **نحيا، ونتحرك، ونوجد.**» (أع١٧: ٢٨)

نفهم من هذا صحة قول بولس الرسول أن الله موجود وظاهر في الخليقة بصورة تجعل تجاهله دينونة على الإنسان ــ أي إنسان في العالم ــ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدرَكةً بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر.» (رو١: ١٩و٢٠)

ثم وجود الخليقة في مجال العمل الإلهي بل والوجود الإلهي أيضاً، الذي منه تأخذ كيانها ووجودها وحياتها وحركتها وكل تدبيرها الذي تحكمه مئات بل ألوف بل ملايين الملايين من

القوانين والقياسات والضوابط والصفات الموروثة والمكتسبة والموهوبة، التي بلغ الإنسان إلى معرفتها والتي لم يبلغ إليها بعد والتي لن يبلغ إليها في هذا الدهر قط، والتي تتحكم في سير الكون بل الأكوان بسمائه ومجرّاته والأرض وما عليها من جوامدَ وأحياء نباتية وحيوانية والإنسان، ناهيك عن السماء الروحانية بكل أجنادها، هذه كلها لولا الضبط الإلهي الذي بالكلمة ما صارت وما سارت.

أما السؤال التقليدي الذي أثاره الإنسان في كل عصوره وعلى كل مستوياته الفلسفية والدينية: هل العالم مُحْدَثٌ أم أزلي؟

فيرد القديس أوغسطينوس على هذا بقوله أنه مُحْدَث بالنسبة لواقعه الظاهري، ولكنه كان موجوداً عند الله كخطة ونظام قبل أن يكون ويظهر في الوجود. (١٦)

والقديس يوحنا باختياره فعل «صار» ἐγένετο لتوضيح خلقة الله لكل أشياء العالم واحدة واحدة بواسطة الكلمة، يقطع خط الرجعة على نظرية أفلاطون بأزلية العالم، كما يقطع خط الرجعة على نظرية كل من الغنوسيين وفيلو اليهودي بثنائية خلقة العالم بين شر وخير، وأيضاً ينتفي أن يكون لغير الكلمة اللوغس أي وساطة أخرى في الخلق، خاصة بتشديده على استحالة الخلقة بدون «**الكلمة**»، باستخدامه النفي للتأكيد «وبغيره لم يكن شيء مما كان».

كما ولينتبه القارىء كيف بدأ ق. يوحنا بوضع الأساس في حقيقة الخلق والخليقة بقوله: «والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله». حتى إذا جاء إلى الخلق وقال أن «**به**» ــ أي بواسطة الكلمة ــ خلق الله العالم، لا يكون أمام القارىء أي فرصة ليظن أن الكلمة أقل من الله الخالق حينما يكون عملُ «**الكلمة**» هو توسطي فقط أي «بواسطة» الكلمة. لأن المعنى في كُلِّيته يكون بالنهاية: بواسطة الله خلق الله العالم.

والقديس ذهبي الفم يرى أن ذكر ق. يوحنا لخلقة العالم هنا، لا يركّز بالدرجة الأُولى على عمل الكلمة كما يركز على وحدة العمل الخلقي مع الله إمعاناً في إظهار لاهوته وتفوُّقه فوق كل الخلائق. (١٧)

كما تنبري جملة النفي «وبغيره لم يكن شيء مما كان»، لتؤكد أن «توسط» الكلمة في الخلق أساسي بالدرجة الأُولى، إذ بدونه يستحيل الخلق أو دوام الخليقة.

[16] NPNF, 1st Ser., Vol. VII, p. 12.
[17] *Op. cit.*, Vol. V, p. 2.

والقديس بولس الرسول يرى بالروح وبالرؤية السماوية الفائقة علاقة المسيح بالخليقة الأُولى، ما رآه ق. يوحنا بصورة محققة وكاملة، فلا يكتفي بأن يجعل عمل المسيح «الكلمة» توسطياً بمفهوم مستوى المساعدة الآلية لله، بل يرفع رؤيتنا لنرى الخليقة كلها حتى الروحانية كلها قائمة فيه تتخذ منه وجودها وحركتها وبقاءها ودوامها: «فإنه **فيه** " ἐν " **خُلِقَ الكل** ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، **الكل** "به" و"**له**" " εἰς "و" δι' " قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء "**وفيه**" يقوم الكل.» (كو١: ١٦و١٧)

وليلاحظ القارىء هذه الحروف الثلاثة: «فيه وبه وله» التي تحكم العلاقة بين الخليقة والخالق.

وسفر الرؤيا يعطينا صورة إضافية حيّة مبدعة تنطق بمستوى خضوع كافة الخليقة الروحانية بالنسبة للمسيح الخالق لها، فكافة الأجناد السماوية تتبعه: «والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزًّا أبيض ونقيًّا.» (رؤ١٩: ١٤)

وهنا يجدر بنا أن نتأمل في هذه الخليقة كلها المتعددة الممالك: سمائية بجندها الروحاني وبنجومها وأقمارها وأفلاكها ومجراتها التي يتوه فيها عقل الإنسان، والأرض بجمادها ونباتها وحيوانها وإنسانها، كيف يتبناها الله جميعاً كآب ويدبرها الكلمة كراعٍ! أعظم ما فيها ــ والعِظَم في الخليقة فوق حدود تصور الإنسان ــ كأقل ما فيها، حتى العصفور له موضع في قلب الله ومكانة وعناية: «هكذا أحب الله العالم!...» (يو٣: ١٦)

ثم اسمع ما يقوله المسيح كخبير في شئون خلقته: «أليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما **لا يسقط على الأرض بدون أبيكم**؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة» (مت١٠: ٢٩ــ٣١). ويزيد على هذا القول نفسه القديس لوقا في إنجيله من جهة هذه العصافير أيضاً ويقول: «**واحدٌ منها ليس منسياً أمام الله**»!! (لو١٢: ٦)

أما من جهة الإنسان الذي خلقه الله على صورته كشبهه، فتقول الحكمة (الكلمة ــ اللوغُس): «لما وضع للبحر حدّه، فلا تتعدى المياه تُخُمَه، لما رسم أسس الأرض، كنتُ عنده صانعاً وكنتُ كلَّ يوم لذَّته فَرِحةً دائماً قدّامَه، فَرِحةً في مسكونةِ أرضِهِ **ولذَّاتي مع بني آدم**.» (أم٨: ٢٩ــ٣١)

١ : ٤ «فيهِ كانتِ الحياةُ والحياةُ كانت نورَ الناسِ».

«تُحِبُّ الرَّبَ إلهَكَ، وتسمعُ لصوتِهِ، وتلتصقُ بهِ، لأنه **هو حياتك...**» (تث ٣٠ : ٢٠)
«**لأن عندك ينبوع الحياة وبنورك نرى نوراً.**»
(مز٣٦ : ٩)

هنا يكشف ق. يوحنا عمقاً إلهياً من أعماق «**الكلمة**». فالكلمة فيه الحياة أصلاً وأساساً كإحدى خصائص الجوهر الإلهي الأزلي. (١٨)

وقد كشف المسيح سرَّها هكذا: «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته (حياة ذاتية)، كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته (أي حياة ذاتية غير مكتسبة).» (يو٥ : ٢٦)

وجوهر الحياة في الكلمة ليس كالحياة التي نعيشها ونعرفها، بل هي الحياة الأبدية التي من أخص خصائصها أنها **تُحيي**، أي لها القدرة على خَلْقِ الحياة التي نعرفها ونعيش لوناً من ألوانها في عمرنا الزمني على الأرض، والتي عرَّفها المسيح بقوله: «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيي كذلك الابن أيضاً يُحيي من يشاء.» (يو٥ : ٢١)

وحينما يقول ق. يوحنا أن «فيه كانت الحياة»، فإنه يشرح بدقة وبصورة مباشرة ما جاء في الآية قبلها: «كلُّ شيءٍ به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان». إذن، سِرُّ قوة الخَلْق لدى اللوغُس الكلمة متمركز بصورة أساسية في امتلاك الكلمة لجوهر الحياة امتلاكاً ذاتياً.

وعلى القارىء أن يلاحظ أنه لم يقلْ: «فيه "حياة"» أي «حيٌّ» وحسب، بل «فيه "الحياة"» كينبوع: «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً.» (رؤ٢١ : ٦)

وحينما يقول ق. يوحنا أن «**فيه كانت الحياة**»، بعد قوله: «**كلُّ شيءٍ به كان**»، فهو يشير ضمناً إلى علَّة الارتباط الجوهري بين الخليقة والكلمة، بصورة دائمة، وأيضاً ارتباط الكلمة بالخليقة كمصدر الحياة فيها ولها وبصورة دائمة أيضاً، فهو قوام حياتها: «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد.» (أع١٧ : ٢٨)

(١٨) راجع المدخل ص١٣٥.

وللأسف الشديد فنحن لا ندرك الآن من هذه الحياة إلاَّ صورها الظاهرة المربوطة بالزمن، أما جوهرها غير المنظور وغير الزمني الذي هو لها الامتداد الأسْمَى، والأكثر بهاءً وجمالاً، الذي لا يشوبه حزن ولا كآبة ولا تنهد، والروحاني الصرف؛ فهو، وإن كنا نعيشه بالإيمان، إلاَّ أنه محجوز عن فكرنا كما هو محجوز عن أعيننا، بانتظار استعلانه في الأبدية.

ولكن ما يقصده ق. يوحنا من قوله: «فيه كانت الحياة»، ليس هو الحياة التي هي قوام المخلوقات، لأن «حياة» المخلوقات هي الحياة المخلوقة، أما الحياة في الكلمة فهي «الحياة الخالقة» أي جوهر الحياة الفعال والتي نعرِّفها بـ«الحياة الأبدية»: «فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا.» (١يو١: ٢)

١ : ٤ «والحياةُ كانت نور الناسِ». (١٩)

«الربُّ نوري وخلاصي.» (مز٢٧: ١)
«قد جعلتُكَ نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.» (إش٤٩: ٦)

بنفس تدرُّج مراحل الخلق في سفر التكوين، يضع ق. يوحنا الإنسان كختام لكل الخليقة. وفي الحال يربط خلقة الإنسان بالحياة الأبدية، الأساس الذي خُلق عليه الإنسان إذ خلقه الله على صورته، وبالتالي ليبقى معه ويحيا أمامه إلى الأبد(٢٠)، وذلك بقوله: «والحياة كانت نور الناس». فالحياة الطبيعية الزمنية التي كانت لكل الخليقة والتي أخذ منها الإنسان نصيبه، أضاف الله عليها نصيباً ممتازاً عن فائق الخلائق، بأن وهبه نور الحياة الأبدية الذي به يدرك الله ويستمع إليه ويتكلم معه.

ولكن هنا في الآية: «والحياة كانت نور الناس»، يختزل ق. يوحنا مرحلة الحياة الأرضية كلها ولا يستبقي من عطية الله في الخَلْق بالنسبة للإنسان إلا **نور معرفته**؛ الأمر الذي هو رسالة الكلمة اللوغُس بالدرجة الأولى، بل ورسالة إنجيل يوحنا برُمَّته: **«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك** أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)

---

(١٩) راجع ما جاء عن معيار «النور» في المدخل ص١١٩ـــ١٢٢.

(٢٠) وذلك بحسب مطلع قداس القديس باسيليوس حسب النص اليوناني: «يا الله العظيم الأبدي الذي خلق الإنسان على الخلود»، وهي أصلاً مقتبسة من سفر الحكمة (٢: ٢٣): «فإن الله خلق الإنسان خالداً، وصنعه على صورة ذاته».

وإنجيل يوحنا هنا تزدحم فيه الأسرار. فالإنسان المدلل الذي خُلق في جنة عدن تحت ظلال شجرة الحياة التي كان مزمعاً أن يأكل منها ويحيا إلى الأبد، لكنه حرم نفسه منها بإرادته، مع أنها غُرست له وهو خُلق لها؛ وهو الذي كانت تغطيه سحابة الحياة النيِّرة، تضيء فكره وروحه فيرى الله ويتحدث إليه، ولكنه أخطأ وغطّى نفسه حتى لا يراه الله ولا يرى هو الله؛ ولكن الله عاد فتذكّر وعده وتذكر حبه، فأرسل **«الكلمة»** في ملء الزمان، لا كشجرة حياة بل «خبز الحياة»، فأكل الإنسان منه وارتدت روح الله فيه وعاش إلى الأبد؛ وانفتحت عيناه وعاين «نور الحياة» وعرف الحياة الأبدية.

وهكذا يشير ق. يوحنا في هذه الآية: «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس»، إشارة قديرة بليغة إلى الأصول الأُولى من جهة السِرّ الذي كان مخفيًّا في كلمة الله عند الخلق من جهة نصيب الإنسان حسب مسرة قصد الله أن يحيا بحياة الله ويستنير بنوره: «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس»، الأمر الذي تحقق في المسيح، وحقّقه المسيح جهاراً: «**أنا هو الطريق والحق والحياة**» (يو١٤: ٦)، «**أنا نور العالم.**» (يو٩: ٥)

فالقديس يوحنا يكشف لنا في مقدمة إنجيله عن عطيتيْ الحياة والنور اللتين كانتا مختفيتين في اللوغُس منذ الأزل، واللتين كشفهما لنا المسيح وحققهما وسكبهما علينا سكيباً على مستوى المنظور والزمن، أو ربما على الوجه الأصح أن ما سكبه المسيح من ملئه علينا في أواخر الأيام من الحياة والنور، هما في الحقيقة من مذخرات الأزل، من ملء لاهوت «الكلمة»، حتى ندرك عظم النصيب الإلهي الذي صار لنا، وجلال وهيبة المسيح الذي جاءنا من عند الآب.

علاقة الحياة بالنور في هذه الآية:

تتكرر كلمة «الحياة» في إنجيل يوحنا أكثر من ثلاثين مرة، وجميعها يتجه معناه نحو الحياة الأبدية على أساس مفهوم الخلاص. ولكن ق. يوحنا حتى ورود هذه الآية ١: ٤ لم يكن قد بلغ نقطة التجسد بعد، فالحياة التي كانت في «الكلمة»: «فيه كانت الحياة»، لا ينصبُّ معناها في هذه الآية نحو الخلاص كما يتسرَّع بعض الشُّراح في شرحهم. ولكنها هي الحياة التي تكلم عنها ق. يوحنا في رسالته الأُولى: «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب» و(ثم) «أُظهرت لنا». أما قوله: «والحياة كانت نور الناس»، فهنا أول فعل الامتداد للحياة الأبدية التي كانت عند الآب وفي اللوغس الكلمة لتواجه الإنسان وليتواجه بها الإنسان فيما قبل التجسد.

ثم إن الحياة الأبدية في حقيقتها هي «حياة الله»، ولا يقترب منها الإنسان، ولا هي

تقترب إليه، إلا بالاستعلان، بمعنى أن الكشف يكون عن طريق الاستنارة بالروح وليس برؤيا العين. ومن خصائص طبيعة الحياة الأبدية «**النور**» الإلهي، فالله طبيعته «النور»: «الله نور» (١يو١: ٥)، «ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يَرَه أحد من الناس ولا يقدر أن يراه.» (١تي٦: ١٦)

وهنا كشفٌ لنوعين من النور: الأَول جوهري وهو طبيعة الله، والثاني مخلوق: «ساكناً في نور لا يُدنى منه»، وهو الطاقة الأُولى والعظمى التي انحدرت منها كل الطاقات والمجالات والمادة المخلوقة.

فرؤية النور الإلهي أو الدخول في مجاله لا يكون قط من خلال الطبيعة الجسدية للإنسان بل من خلال الروح، حينما تنشط من الداخل، أو حينما تقتحمها القوة الإلهية المنيرة من الخارج. وفي كلا الحالين يكون الجسد بكل مَلَكاته في حالة توقف مؤقت لاستقبال المعرفة. وفي هذا الوقت يرى الإنسان النور الإلهي رؤيا الروح، ويدركه بإدراك العقل الروحي، وحينئذٍ يختفي نور النهار ويضمحل نور الشمس، لأن نور الطبيعة الإلهية أعلى مجالاً وأسمى نوعاً بدرجة لا تُقاس.

ــ «وحدث لي بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أني حصلتُ في **غيبة فرأيته...**» (أع٢٢: ١٧)

ــ «فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرِّب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتةً (اقتحام) **أبرق حولي من السماء نور عظيم،** فسقطت على الأَرض...» (أع٢٢: ٦و٧)

ــ «رأيت في نصف النهار... **نوراً من السماء "أفضل" من لمعان "الشمس"** قد أبرق حولي.» (أع٢٦: ١٣)

ويلاحظ القارىء أن **ظهور النور الإلهي** الطاغي لشاول لم يكن عن استحقاق أو يدخل بأي حال من الأحوال في مضمون استعداد طبيعة شاول، لا بالصلاة ولا بالإيمان بالمسيح ولا بالحب ولا بالتصوُّف ولا على أي أساس بشري، بل هو اقتحام للطبيعة الجسدية من جهة واحدة بمقتضى تدبير الله.

وليكن معلوماً أن رؤية بولس لهذا النور الإلهي، ومعه الصوت الإلهي يعرِّف نفسه له أنه هو يسوع، هذه الرؤية بحدِّ ذاتها أدخلت بولس الرسول في مجال معرفة المسيح والاتصال به والتعلم منه كل سني حياته. فمن خلال هذا النور الكاشف والمضيء للذهن الروحي تعلَّم بولس وعلَّم إنجيل الحياة الأَبدية والخلاص:

ــ «وأُعرِّفكم أيها الإخوة **الإنجيل الذي بشَّرتُ** به، أنه **ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته، بل بإعلان يسوع المسيح.** فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلِفُها.» (غل ١ : ١١ــ١٣)

ثم لاحظ أيها القارىء العزيز أن الحياة الأبدية التي دخل إليها بولس الرسول **ظهرت له «كنور» بالنسبة للوعي الروحي، وأنشأت فيه وفي الحال استنارة فائقة** لإدراك سر المسيح وسر الخلاص وسر لاهوت المسيح بكل أعماقه.

ثم لاحظ أن بولس الرسول اكتشف أن هذا النور، وهذه الحياة التي اندفقت فيه، هي بفعل وحضور يسوع المسيح المتكلم بنفسه من السماء: «من أنت يا سيد؟»، ــ «أنا يسوع الذي أنت تضطهده.» (أع ٩ : ٥)

ومثل آخر يوضح معنى النور وعمله، وذلك في شهادة بطرس الرسول المفاجئة للمسيح: «فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي» (يو٦ : ٦٨و٦٩). وكان تعليق المسيح على قول ق. بطرس هذا كما جاء في إنجيل ق. متى: «فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونَّا **إن لحماً ودماً لم يُعلنْ لك لكن أبي الذي في السموات**» (مت١٦ : ١٧). معنى هذا أن بطرس نال استنارة ذهنية ونور الله أضاء فكره وروحه ليتقبل استعلاناً مباشراً عن المسيح من الله، هذا هو النور الذي يتقبله الإنسان عندما يدخل من عتبة الحياة الأبدية.

والإنجيل بعد ذلك يشرح بقوة وبإفصاح مدهش عن هذه الحقيقة: «أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل **يكون له نور الحياة.**» (يو٨ : ١٢)

فإذا سرنا في النور فنحن نكون في عمق الحياة مع الله ومعرفته.

وقد ارتبط النور بالمحبة في إنجيل يوحنا، وهذا ليس عجيباً. فالله محبة، والله نور أيضاً، وهكذا ارتبط النور بالصلاح وارتبطت الظلمة بالأعمال الشريرة وبالدينونة، بآن واحد: «وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة.» (يو٣ : ١٩)

وهذا يعني أن غياب النور عن الإنسان يكون باختياره، لأنه يرفض الحياة في النور أي في الحق والمحبة والقداسة. وغياب النور عن الإنسان معناه غياب الله، حيث يختفي الهدف الحقيقي للحياة،

بل وتفقد الحياة قيمتها العليا ومعناها، فلا يعود الإنسان يرى نفسه ولا يعود يعرف لماذا يعيش.

١ : ٥ «والنورُ يضيءُ في الظلمةِ والظلمةُ لم تُدرِكْهُ».

هنا يضع ق. يوحنا، ولأول مرة، «النور» في مقابل «الظلمة»، كالوجود في مقابل العدم!

أما النور فقد عرَّفه بعد ذلك أنه «النور الحقيقي» = τὸ φῶς τὸ ἀληθινόν، وهكذا يتضح أنه طبيعة الله. لأن هناك فرقاً هائلاً بين النور المخلوق الذي هو قوة وطاقة وبين النور الخالق الذي هو حياة.

فإن كنا في الآية السابقة قد وجدنا الحياة الأبدية — التي في الكلمة — وقد دخلت في علاقة مباشرة مع الإنسان بعد الخليقة «كل شيء به كان»، وهذه الحياة كانت هي مصدر النور للناس: «والحياة كانت نور الناس»؛ فهنا في هذه الآية: «النور يضيء في الظلمة» يزيد المعنى السابق إيضاحاً من جهة مبادرة النور من تلقاء ذاته للقيام بعمله الجوهري أي «الإضاءة»، بمعنى أن الكلمة لم يُبْقِ على الإنسان كل مهمة التعرُّف على النور أو الوصول إليه. فالنور الإلهي يضيء من ذاته ومن سخاء طبيعته الإلهية، كما يصفه إشعياء النبي: «ويكون نور القمر كنور الشمس، ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام في يوم يجبُر الرب كَسْرَ شعبه ويشفي رضَّ ضَرْبِه» (إش٣٠: ٢٦). وهو ما يصفه بولس الرسول في اختباره العجيب: «رأيتُ في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي.» (أع٢٦: ١٣)

وهنا نلتقط الفكرة المبدأية في علاقة النور بالخليقة، فحقيقة «النور يضيء في الظلمة» في معناها الخصب تفيد نصرة الخَلْق على العدم، كما تفيد نصرة الحق على الباطل، أو معرفة الله على الجهالة، وبالنهاية وعلى الواقع الملموس تجسد الكلمة ذاته فيما بعد. لأن هذا هو بالفعل دخول النور إلى العالم المظلم: «وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم...» (يو٣: ١٩). وبدخول النور إلى ظلمة العالم انقسم عالم الإنسان إلى إنسان النور وإنسان الظلمة. وإن كان إنسان الظلمة يعبث فساداً وتخريباً، ولكن لن يتغلب غيرُ الموجود على الموجود. فإنسان النور اكتسب وجوداً أزلياً، أما الظلمة فتنتهي إلى العدم ولن يبقى إلا النور.

كذلك ففي هذه الآية يكون ق. يوحنا لا يزال منحصراً في الكلمة وعلاقته بالناس، لأن

«الإضاءة» هي **نور الاستعلان** بالنسبة للخليقة ذات الإدراك الروحي عامة، وذلك قبل أن يحصر عمله مع خاصَّته أي مع شعب إسرائيل. فقوله: «النور يضيء في الظلمة» يتجه إلى مطلق **عمل «الكلمة» في الظلمة بالنسبة للإنسان عامة**، دون تخصيص حقبة زمنية أو شعب معين أو أية ظروف خاصة. فالإشارة هنا إلى طبيعة عمل جوهر النور الإلهي في الكلمة تجاه طبيعة الإنسان الروحية كإنسان. وهذه الحقيقة أشار إليها القديس بولس الرسول هكذا: «لأن الأمم الذين ليس عندهم ناموس **متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهؤلاء، إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم، الذين يُظْهِرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة.**» (رو٢: ١٤و١٥)

واضح من كلام القديس بولس أن النور الإلهي لم يحرم الأمم من الحصول على صورة منيرة لقوانين الله الأخلاقية التي تصلح أن تدينهم وتبكِّت ضمائرهم.

كذلك سبق أن استشهدنا بقول للقديس بولس الرسول على نفس المستوى باعتبار **أن الله أظهر معرفته للناس عامة** منذ الدهر: «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم **لأن الله أظهرها لهم**، لأن أموره غير المنظورة (لاهوته) **تُرى منذ خلق العالم مُدرَكة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر.**» (رو١: ١٩و٢٠)

واضح، إذن، أن النور يضيء في الظلمة بصورة عامة منذ بدء الخلق، لأن هذا عمل يختص بصميم طبيعة الكلمة بالنسبة للناس، باعتبار أن الإنسان مخلوق مُدْرِكٌ على صورة الله، والله مُدْرَكٌ كامل، فالعلاقة بينه وبين الكلمة علاقة كيانية، حيث يستمد منه الإنسان كيانه وإحساسه بنفسه عامة، وإدراكه الروحي خاصة. لذلك تقول الآية: **«حتى إنهم بلا عذر»**.

ما هي الظلمة:

عرفنا أن النور الحقيقي هو طبيعة الله و«الكلمة»، ومعلوم أن «الظلمة» بحسب معرفة الإنسان المادية والقياسية هي غياب النور ليس إلاَّ، أي لا توجد ظلمة ــ ككيان بحد ذاته ــ ولكن الظلمة **تصير كياناً** بغياب النور. وهذا المقياس ينطبق على المعنى الروحي **«للظلمة»** بمفهومها الروحي إلى حد كبير. فإذا أخذنا «النور» مأخذاً شخصياً يكون **«النور»** هو الله من جهة طبيعته. وبالتالي تكون «الظلمة» هي الشخص الذي يخلو من طبيعة الله المضيئة والمنيرة (روحيًّا) خلوًّا تامًّا سواء كان هذا شيطاناً أو إنساناً. وقد عرَّفنا الإنجيل بكل يقين أن شخص الظلمة هو الشيطان. حيث يقدم لنا الإنجيل معرفة الله وكلمته أنه «المحيي» للإنسان جسدياً وروحياً، والشيطان أنه «قتَّال

للناس منذ البدء»، جسدياً وروحياً، وإن الله وكلمته أمين وصادق في كل ما يقول ويعمل، وأن الشيطان «كذّاب وأبو الكذاب» (يو٨: ٤٤). ومن ذلك نرى أن الله نور حقاً وأن الشيطان ظلمة بالحقيقة، ويدعوه المسيح بـ«سلطان الظلمة»: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو٢٢: ٥٣)، وهي ساعة تزوير حكم الموت للمسيح.

فإذا عرّفت الظلمة بحد ذاتها خُلواً من شخص، أي من جهة طبيعتها وعملها، تكون هي السالبية بكل معانيها وأعمالها:

فإن كان النور الحقيقي أي الله = هو «المحبة»، وهو «الرحمة»، و«السلام»، و«الحق»، و«الأمانة»؛ يكون الظلام أو الظلمة – هي اللامحبة وكل ما يتفرع منها، البغض والكراهية والحقد والحسد والنميمة والذم والقتل، إلخ.

وهي اللارحمة وكل ما يتفرع منها، القسوة والنقمة والتعذيب، إلخ.

وهي اللاسلام وكل ما يتفرع منه، القلق والضيق والاضطراب والتشويش والخوف، إلخ.

وهي اللاحق وكل ما يتفرع منه، الغش والتزوير والتحريف والكذب، إلخ.

وهي اللاأمانة وكل ما يتفرع منها، الخيانة والإختلاس والسرقة، إلخ.

فهذه كلها أعمال «الظلمة» التي تتخذ وجودها ونشاطها من غياب «النور».

لذلك عندما يقول ق. يوحنا إن: «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (١يو١: ٥)، فهذا يعني خلو طبيعته المنيرة الخيّرة من كل السالبية خلواً باتاً.

وعندما نقول إن الحياة الأبدية التي في «الكلمة» = «فيه كانت الحياة». وهذه الحياة هي «نور الناس»، فهو يقصد بكل تأكيد أن حياة «الكلمة» في الناس هي مصدر كل الإيجابيات، فهي حضرة نور الله وصفاته داخل النفس البشرية حيث ينمو الحب وتزدهر الرحمة وينتشر السلام ويتجذّر الحق وتثبت الأمانة. وذلك كله يتم على جهتين:

فمن جهة الخالق وكلمته، فإنه يتعهد صورته التي خلق لتبقى على صورة خالقها،

ومن جهة الإنسان تنزع الصورة فيه بحسب طبيعتها لتحاكي أصلها وتتعلق عليه.

هذا كله بدأ منذ الخلق وسار في طريق الزمن، مرّة يعلو ومرة ينخفض، من شعب لشعب ومن إنسان لإنسان، والله يعدّل طريقته بحسب اعوجاج الإنسان أو استقامته، من إعلان لإعلان، ومن تزكية لتزكية، ليبلغ قصده من الخلق يوم خَلَق. إلى أن «أُظهرت الحياة الأبدية» ــ التي في الكلمة ــ التي كانت عند الآب في صميم جوهرها، وتجسّد النور بنوره فعله كآخر مرحلة من خطة

الله الأزلية، ليأخذ الإنسان صورة خالقه ويدخل معه الحياة في حال التبني.

وقول ق. يوحنا أن «النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه»، هو تصوير بديع لحال الإنسان الذي أخفق كثيراً ومراراً في الإمساك بالنور أو التعرُّف عليه. فأول إخفاق شنيع ومريع كان في انحياز آدم وحواء إلى الظلمة وخروجهما من دائرة النور الفعَّال. ثم على مدى كل الأزمنة القديمة وعلى مستوى الفهماء والحكماء والشعراء والفلاسفة الكبار، أخفق الإنسان أن يمسك بالنور أو يتحول إليه: «لأنهم لما عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلمّ قلبهم الغبي، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى (تماثيل حجرية) والطيور والدواب (العِجْل) والزحافات.» (رو١: ٢١–٢٣)

بل ويمعن بولس الرسول في إظهار مدى تسرُّب النور الإلهي والحكمة الإلهية إلى حكماء العالم قديماً، وخاصة حكماء أثينا، وبالرغم من امتلاكهم لـ«**حكمة الله**»، فإنهم لم يخضعوا لنورها، وبالتالي لم يدركوا الله! «لأنه إذ كان **العالم في حكمة الله** لم يعرف الله **بالحكمة**، استحسن الله أن يخلِّص المؤمنين بجهالة الكرازة (الصليب).» (١كو١: ٢١)

وهذا ما يقصده ق. يوحنا في تصويره لمرحلة عمل «الكلمة» في العالم والناس فيما قبل ظهوره في العهد القديم على ألسنة الأنبياء، كـ«كلمة الله» **وكنور**، عندما اختار له أخصاءً من شعبٍ اختاره لنفسه للإعلان عن الله وعن قُرْبٍ.

الظلمة تتعقب النور:

يقول ق. يوحنا أن «النور يضيء» وهذا بحكم طبيعته الإلهية الخيِّرة، وهو يضيء على الجميع بلا استثناء كما يقول الإنجيل: «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين» (مت٥: ٤٥). ولكن لكي يبين الله عظم صلاحه فإنه يركِّز عمل نوره على الظلمة والجالسين في الظلمة.

ولقد تحدد منذ الدهر بفم أنبياء كثيرين أن المسيح سيكون «نوراً للأمم» بقدر ما سيكون «مجداً لشعبك إسرائيل» (لو٢: ٣٢). لذلك أصبح من طبيعة النور الخلاصية أنه يتعقب الظلمة منذ الأزل: «للرب حرب مع عماليق من دَوْرٍ إلى دَوْر» (خر١٧: ١٦). وهو يفتش عن الذين له في مسالك الأرض كلها: «الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.» (إش٩: ٢)

وتعقُّب النور للظلمة أنشأ بالتالي ترصُّداً وتعقُّباً مضاداً من جهة الظلمة تجاه النور، وذلك

بحسب قانون الأفعال والحركات، مادية كانت أو روحية، القائل بأن لكل فعلٍ ردَّ فعلٍ، بمقتضى تدبير الله تجاه إبليس المدعو أيضاً «سلطان الظلمة»، حينما قال الله للحية التي كانت تنطق بفم إبليس: «وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها، هو يسحق (يرصد τηρήσει) رأسكِ وأنتِ تسحقين (ترصدين τηρήσεις) عقبه.» (تك٣: ١٥)

وقول ق. يوحنا أن «الظلمة لم تدركه» هو وصف دقيق للعجز الذي ظهر به الشيطان في صراعه ضد مصدر النور بطول الزمن وعلى مدى الحياة.

فقد لخَّص سفر الرؤيا معركة المسيح مع إبليس والعالم هكذا: «فنظرتُ وإذا فرسٌ أبيض والجالس عليه معه قوس وقد أُعطي إكليلاً **وخرج غالباً ولكي يغلب.**» (رؤ٦: ٢)

وهنا غلبة النور على الظلمة تأتي على مرحلتين: الأولى في الفعل الماضي «خرج غالباً»، والثانية لأفعال قادمة «ولكي يغلب».

وحرب الظلمة، من اسمها تُعرف أنها حرب خداع وتزييف، لها صورة الحرب وهي ليست حرباً، ولها صورة الحق وهي الكذب بعينه.

بدأها الشيطان بحديث الحية مع الإنسان وهو في صورة الأضعف «حواء»: «**أحقاً قال الله لا تأكلا من "كل" شجر الجنة؟**» (تك٣: ١). هذا أول تزييف للحق، فالله لم يقل هذا ولكن هذا مدخل للتشكيك.

ثم يبني الشيطان على التشكيك فكرة لها صورة الصدق، وهي الكذب المسموم، والتجربة التي صدَّقها الإنسان فمات بالفعل: «فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا. **فقالت الحية للمرأة لن تموتا...**» (تك٣: ٢–٤). فأكل الإنسان ومات. هذه الحرب، حرب الغواية والغش والخداع، قائمة بحسب بولس الرسول كما هي حتى اليوم: «ولكنني أخاف أنه **كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.**» (٢كو١١: ٣)

ولكن أقوى مواجهة تمت بين النور والظلمة على مدى تاريخ الإنسان وعمره كانت مع المسيح: «لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠)، «من منكم يبكِّتني على خطية.» (يو٨: ٤٦)

ولكن الشيطان استخدم سلطان الظلمة أكثر من حدوده ووثق في أدوات القتل التي يملكها من

شهود زور ورؤساء يبحرون بالكذب وحرفية الناموس القاتلة وجمهور الشعب الجاهل وقاضٍ جبان.
وهكذا، فوق وعلى الصليب رأى بولس الرسول كيف تم القبض على رؤساء الظلمة وكيف فُضحوا وشُهِّر بهم: «إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب. إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم (فضحهم) جهاراً ظافراً بهم (قبض عليهم) فيه (أي في الصليب).» (كو٢: ١٤و١٥)

ومن هنا، ولهذا، صار الصليب رعبة للشيطان وسلاحاً ضد كل أعمال الظلمة.

فإذا أردنا أن نبلور حرب الظلمة الأولى مع آدم وحواء، فهذه يلخصها لنا القداس الإلهي في مطلعه قائلاً: «والموت الذي دخل إلى العالم **بحسد إبليس**...». أما إذا أردنا أن نبلور حرب الظلمة الكبرى على الصليب، فهذه يلخصها الإنجيل بقوله: «فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد **أسلموه حسداً**.» (مر١٥: ٩و١٠)

فالحسد — وهو الصفة الأولى لمن فقد النعمة — كان عمل الظلمة تجاه الإنسان لحجز النور عنه ولإطفاء النور ذاته. ولكن قرار الإنجيل الأخير أن الظلمة لم تدرك قصدها!! ولن تدرك!!

١: ٦—٨ **«كان إنسانٌ مُرسَلٌ من الله اسمُهُ يُوحَنَّا. هذا جاءَ للشهادةِ ليشهَدَ للنُّورِ لكي يؤمِنَ الكلُّ بواسطتِهِ. لم يكُنْ هو النورَ بل ليشهَدَ للنورِ».**

لا يزال التسلسل الإعلاني عن الكلمة يسير في مجراه، من الأزلية عند الله، ثم إلى الخلق، ثم إلى الحياة في الناس، وإلى النور. وهنا يبدأ ق. يوحنا ليدخل «بالكلمة» إلى مجال التاريخ الإنجيلي.

والملاحظ أن الأناجيل بعد أن استوفت قصة ميلاد المسيح، بدأت على النور تاريخ الإنجيل بذكر يوحنا المعمدان كبدء للخدمة العملية والكرازة. هذا ما سار عليه ق. يوحنا، إذ بعد أن استوفى استعلان وجود المسيح السابق على ميلاده أي تجسده، بدأ يؤرخ. ولكن أسلوب ق. يوحنا يرتفع دائماً بالتاريخ إلى ما هو فوق التاريخ. فإن كل كلمة ذكرها عن المعمدان وضعها في المقابل لما ذكره عن المسيح، ليجعل المفارقة تنطق بألوهية المسيح.

فـ«كان إنسان» يقابلها «وكان الكلمة الله.»(١)

---

(١) ربما توضح المفارقة المقصودة بين «كان إنسان» و«كان الكلمة الله» أن «كان الكلمة» جاءت في صيغة فعل

ثـم «**مُرْسَلٌ مـن الله**» يـأتي الفعل مبنيًّا للمجهول بصورة تجعل التركيز يقع على الإرسالية في حدّ ذاتـهـا وعلى هـدفها، فهي إرسالية إلهية ولكن المُرسَل «إنسانٌ اسمه يوحنا». والقديس يوحنا يـركّـز على الإرسـاليـة أنـهـا مـن الله بـاعـتـبـار أن هذه الإرسالية، وليس شخصه، هي التي تُعطي المعمدان أهميته.

«**اسـمـه يـوحنا**» هنا لو رجعنا إلى إنجيل لوقا (١ : ٥٩—٦٦) وقرأنا قصة تسمية يوحنا، نفهم لماذا ركّـز ق. يـوحـنـا الإنـجيلي على «**الاسم**»، من حيث القصد من التسمية، ثم معنى الاسم. فـالقصد في قصة إنجيل لوقا مربوط بعلاقته بمجيء المسيح، والمعنى «الله يتحنن» يشير إلى تحنن الله بـإرسال المخلِّص. فالتسمية والاسم بالنسبة للمعمدان يخدمان الإعلان عن المسيح الكلمة المتجسد. كـذلـك لا نـنسى أن اسـم كـاتـب الإنـجـيـل هـو يوحنا. فبالرغم من أن الأناجيل الثلاثة ذكرت المـعـمـدان بـاسـمـه «يـوحـنـا» مـضـافـاً إلـيه لقبه الشهير جداً «المعمدان»، حتى يميزوه عن يوحنا الإنـجيلي، إلا أن يوحنا نفسه لم يذكر لقب المعمدان مكتفياً بيوحنا، لأنه ليس ما يدعو للتمييز فهو كاتب الإنجيل. وهذا ما أخذه كثير من الشُرَّاح لإثبات أن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا.

«هذا جاء للشهادة ليشهد للنور»:

«هـذا» كـحـرف إشـارة يـفيد في أسلوب ق. يوحنا العودة إلى الشخص بكل صفاته المذكورة، حـيـث يجـعل مجيئه لقصدٍ محدد وهو «**الشهادة للنور**». وهذا هو محور كل ما سيجيء عن المعمدان في إنـجـيـل يـوحنا. ويلاحظ كيف يحصر ق. يوحنا عمل المعمدان في «الشهادة»، ثم كيف يعود ويـؤكـد حـدود هـذه الشهادة أيضاً، فهو جاء للشهادة فقط، وشهادته هي للنور فقط. فهو يركّز على الشهادة وليس الشاهد نفسه.

وهنا يتبادر إلى ذهن القارىء سؤال: ولماذا هذا التحديد والحصر والقصر؟؟

للـرد نـقـول: إن عـامـلين أحدهما إيجابي والآخر سلبي كانا يتحكمان في الحديث عن المعمدان بالنسبة لإنجيل يوحنا وخاصة في زمن كتابته:

الـعـامل الأول الإيجابي: هو أهمية شهادة المعمدان القصوى بالنسبة للإنجيل كونه ممثلاً للعهد الـقـديـم بـأنبيائه والمعاصر للمسيح، علماً بأن الشهادة μαρτυρία تحتل في إنجيل يوحنا مركزاً هاماً

= الـكـينونة ἦν بمعنى الوجود اللازمني (ارجع إلى شرح ذلك في الآية ١ : ١ — ص٢٦). وأما «كان إنسان» فقد جاءت ἐγένετο بـمـعـنى «صار» وهو من مرادفات أفعال الخلق (ارجع إلى شرح ذلك في الآية ١ : ٣ — ص٣٩). وسنشرح مرة أخرى المفارقة الكبيرة بين فعل الكينونة εἰμί منسوباً للمسيح وفعل الصيرورة γενέσθαι منسوباً للمخلوق (إبراهيم) في شرحنا للآية ٨ : ٥٨.

(وتَرِد فيه ١٤ مرة، في حين ترد في إنجيل مرقس ٣ مرات، وفي إنجيل لوقا مرة واحدة، وتغيب عن إنجيل متى تماماً. كما يرد الفعل «يشهد» ٣٣ مرة في إنجيل يوحنا، ولا يرد نهائياً في إنجيل مرقس ويرد مرة واحدة في كل من إنجيلي متى ولوقا). وهكذا يستخدم إنجيل يوحنا الشهادة أكثر من أي سفر آخر في العهد الجديد.

وتوجد في إنجيل يوحنا سبعة أنواع من الشهادات للمسيح(٢٢)، منها ثلاثة مختصة بالأقانيم الثلاثة:

شهادة الآب: ٥: ٣١و٣٤و٣٧، ٨: ١٨.
شهادة المسيح لنفسه: ٨: ١٤و١٨، ٣: ١١و٣٢، ١٨: ٣٧.
شهادة الروح القدس: ١٥: ٢٦، ١٦: ١٤.
ثم شهادة الأعمال التي يعملها المسيح: ٥: ٣٦، ١٠: ٢٥، ١٤: ١١، ١٥: ٢٤.
ثم شهادة الأسفار المقدسة: ٥: ٣٩و٤٦.
والشاهد السادس هو يوحنا المعمدان.

أما الشهادة السابعة فهي لمجموعة عديدة من الأشخاص منهم التلاميذ ١٥: ٢٧، ١٩: ٣٥، ٢١: ٢٤، ثم السامرية في بكور الرسالة، وكذلك نثنائيل، وبطرس في الختام. كما لا ننسى شهادة توما الفائقة القدر، وشهادة الأعمى الذي صار بصيراً.

على أن الشهادة كما يقدمها ق. يوحنا في شخص المعمدان هي بمثابة وضع الرقبة تحت سيف القاتل. فالذي يشهد للمسيح أنه ابن الله كان عليه أولاً أن يفرِّط في نفسه وفي الحياة، ولذلك تأتي شهادته توكيداً **«للحق»** الذي كان عنده أعلى قيمة من الحياة. ويسلمنا ق. يوحنا إنجيله محمولاً على رقاب كثيرة أولهم المعمدان.

العامل الثاني وهو السلبي: لأنه قامت شيعة يهودية نصف مسيحية تتعصَّب للمعمدان كونه هو المسيح، نسمع عن بدايتها في إنجيل لوقا: «وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن **يوحنا لعله المسيح...**» (لو٣: ١٥). ثم في سفر الأعمال: «ثم أقبل إلى أفسس **يهودي** اسمه أبُلُّوس إسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب. كان هذا خبيراً في طريق الرب (التنبؤات عن المسيا)، وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلِّم بتدقيق ما يختص بالرب **عارفاً معمودية يوحنا**

(٢٢) راجع المدخل ص١١٢ــ١١٨.

فقط » (أع١٨ : ٢٤و٢٥)، كذلك: « بولس بعد ما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس، فإذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم. قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم **فبماذا اعتمدتم، فقالوا بمعمودية يوحنا**. فقال بولس إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون. **وكان جميع الرجال نحو اثني عشر**.» (أع١٩ : ١ــ٧)

وفي ختام القرن الأول بلغت هذه الشيعة شأواً كبيراً بلبل الكرازة، هذا مما جعل ق. يوحنا يركز على كون المعمدان جاء للشهادة فقط ليشهد للنور ولم يكن هو النور، واستطرد في توضيح ذلك كلما جاء ذكر المعمدان.

«جاء للشهادة ليشهد للنور»:

على ضوء ما قيل عن المعمدان نفهم لماذا يقصر ق. يوحنا مجيء المعمدان للشهادة فقط، حتى إنه لا يذكر معمودية المسيح تحت يد المعمدان، وذلك عن قصد، لأنه يبدو أن هذه أُخذت خطأ لتضيف من قدر عظمة المعمدان لا لتضيف من قدر تواضع الرب. كما أن ق. يوحنا يوضح في النهاية ومن فم المعمدان أنه حتى وإن كان قد أرسله الله ليعمد، فهذا لكي يظهر المسيح لإسرائيل.

ولا يتبادر إلى الذهن أن ق. يوحنا كان ينتقص من شخصية المعمدان في شيء، بل أعطاه صفات مكرمة «مُرْسَلٌ من الله» و«صديق العريس»، وسجّل له أعظم شهادة للمسيح جاءت على لسان إنسان: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (يو١ : ٣٤)؛ «هوذا حمل الله.» (يو١ : ٣٦)

«ليشهد للنور»:

شهادة المعمدان للنور في عُرْف ق. يوحنا لا تزال محصورة في مفهوم **«نور الكلمة»**، إذ لم يذكر التجسد بعد. فالمعمدان يحمل رسالتين:

الرسالة الأُولى: تختص بالأنبياء، إذ لا ينبغي أن ننسى أنه حامل لروح إيليا عظيم الأنبياء الذي أغلق السموات وفتحها بكلمة، والوحيد من بين كافة الأنبياء الذي ارتفع حيًّا إلى السماء عياناً في مركبة نارية وخيول نارية. والمسيح يشهد للمعمدان أنه فعلاً كان إيليا، مرة تلميحاً ومرة تصريحاً: «بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي. **هذا هو الذي كُتب عنه ها أنا أُرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيىء طريقك قدامك**. لأني أقول لكم إنه بين

المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه.» (لو٧: ٢٦ـــ٢٨)

وهذا الملاك الذي يقول عنه المسيح هنا هو وارد في سفر ملاخي النبي آخر أسفار العهد القديم، ووارد على صورتين، إحداهما هذه الصورة في (ملاخي ٣: ١)، والصورة الأخرى: «هأنذا **أُرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب** اليوم العظيم والمخوف.» (ملاخي ٤: ٥)

أما المرة الأُخرى التي صرَّح فيها المسيح أن المعمدان هو هو إيليا فجاءت هكذا: «ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه. لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا. **وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع.**» (مت١١: ١٢ـــ١٥)

ومرة أخرى أكثر وضوحاً: «وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً. فأجاب يسوع وقال لهم إن **إيليا يأتي أولاً** ويرد كل شيء. ولكني أقول لكم إن **إيليا قد جاء ولم يعرفوه** بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم. حينئذ فهم التلاميذ أنه **قال لهم عن يوحنا المعمدان.**» (مت١٧: ١٠ـــ١٣)

إذن، فالمعمدان يتكلم ويشهد للنور بروح إيليا كمن يمثِّل العهد القديم بكل أنواره وأمجاده وشجاعته. فلما انتقل ق. يوحنا الإنجيلي من إضاءة النور العامة للإنسان عامة «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس»، و«النور أضاء في الظلمة والظلمة لم تدركه» في مفهومها العام أيضاً، أراد أن يخطو أول خطوة في وصف إضاءة النور الخاصة والأكثر إستعلاناً لشعب خاص، وذلك بواسطة الأنبياء، فقدم ق. يوحنا شخص المعمدان كمن يمثل النبوة في مجملها وفي أشد لمعانها «نبي وأعظم من نبي»، «وليس من بين المولودين من النساء من هو أعظم منه».

الرسالة الثانية للمعمدان تختص بأنه هو السابق الصابغ الذي جاء ليعدَّ طريق الرب، أي يمهِّد للنور، وليس الشاهد فقط بل والمشاهِد أيضاً. وهذا أعطاه أن يكون «أعظم من نبي»، فهو صديق العريس أو «اشبينه»، له الكرامة الأُولى في حفلة ظهور العريس. ولكن الخطأ المريع أن يُظنَّ أنه العريس، وهو مجرد مصباح أضاء في آخر الليل في مطلع الفجر حتى خرجت الشمس من حجابها، وحينئذ جيِّدٌ أن يُطفأ المصباح: «فرحي هذا قد كمل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص.» (يو٣: ٢٩و٣٠)

«لكي يؤمن الكل بواسطته»:

هذه الجملة مرتبطة بسابقتها ومتوقفة عليها، فهو جاء «ليشهد للنور»، «ليؤمن الكلُّ». وهنا تكون الشهادة هي السبب المفروض لإيمان «الكل»، حيث الشهادة ستتضح بعد ذلك أنها شهادة مَنْ رأى وسمع: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله.» (يو١ : ٣٤)

و«الكلُّ» هنا تمتد لتشمل الشعب المُرسَل إليه وكل من تبلغه الشهادة هذه على مدى الدهور، لأن هذه كانت دائماً هي روح الأنبياء في رؤيتهم وشهادتهم للمسيَّا النور القادم: «**نوراً للأمم** ومجداً لشعب إسرائيل». ولذلك يكون في كلمة «الكلُّ» انفتاح الدعوة الجديدة على العالم أجمع بكل وضوح. ولكن للقديس يوحنا تلميح لا يخطىء في قوله «**الكل**» فهو يستثني «البعض» الذين آمنوا بالمعمدان كونه المسيَّا الآتي وكانوا قلَّة ضالة.

«لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور»:

لو لم يكن قد أخطأ الناس في تقييم المعمدان ما اضطر ق. يوحنا الإنجيلي أن يبرزه في هذه المقارنة الأليمة. ولكن أليس ق. يوحنا نفسه هو التلميذ السابق للمعمدان؟ وعن شهادة المعمدان للنور الحقيقي نقل يوحنا تلمذته من المعمدان للمسيح؟ (يو١ : ٣٥ــ٣٩). فالآن هو أقدر مَنْ يقيِّم نور المعمدان على نور المسيح.

وفي الحقيقة فإن النور لا يحتاج إلى شهادة بل رؤيا، ولكن لأن الناس أصبحت لا ترى، لَزِمَتْ الشهادة. فشهادة المعمدان شهادة راءٍ بالدرجة الأولى. المعمدان رأى النور فانعكس النور عليه فاستضاء، فأخطأ الناس الرؤيا وحسبوه هو النور، ولكنه انعكاس النور ليس إلاَّ: كمصباح استمد نوره من يد النور. والمصباح لا يضيء إلاَّ في «موضع» مظلم في غياب النور، شأنه شأن كل نبوة: «وعندنا الكلمة النبوية ــ وهي أثبت ــ التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى **سراج منير في موضع مظلم** إلى **أن ينفجر النهار** ويطلع **كوكب الصبح** في قلوبكم» (٢بط١ : ١٩)، «**أنا يسوع** أرسلتُ ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. **أنا** أصل وذُرِّية داود **كوكب الصبح المنير.**» (رؤ٢٢ : ١٦)

ولما فتح القديس زكريا الكاهن فمه ليتنبأ ساعة ميلاد المعمدان وصف هذا المنظر عينه: «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: ... وأنت أيها الصبي نبي العليِّ تدعى لأنك **تتقدم أمام** وجه الرب لتعدَّ طرقه. لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم. بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا **المُشْرِقُ من العلاء، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت** لكي

يهدي أقدامنا في طريق السلام.» (لو١: ٦٧ــ٧٩)

٩:١ «كان النورُ الحقيقيُّ الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ آتياً إلى العالم».

عودة مرة أخرى إلى حركة النور الدائمة والمستمرة نحو التجسد: أولاً البدء والأزلية حيث «الكلمة»، ثم إلى الخلق، ثم إلى الحياة واستعلانه «نور الناس»، ثم إلى العمل الدائب ضد الظلمة في كل مجالاتها، ثم توقُّف للشهادة للنور والتعريف به باعتباره النور الوحيد الكامل والدائم والمستمر. ثم استعلان صفته هنا لأول مرة بأنه **«النور الحقيقي»**.

والحقيقي ἀληθινόν هنا لا تفيد أكثر من أنه هو وحده الذي يكشف الحق الكلي، وأنه هو الحقيقي وغيره غير كامل وغير دائم وغير مستمر. وهذا الاصطلاح يُستخدم في إنجيل يوحنا كثيراً(٢٣) مثل الخبز **«الحقيقي»** النازل من السماء، والكرمة **«الحقيقية»** حيث الآب هو الكرَّام!! والساجدون **«الحقيقيون»** الذين يسجدون لله بالروح والحق. و«أنت الإله **الحقيقي** وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو١٧: ٣). والحقيقي هو ما يمتُّ إلى «الحق» ἀληθείᾳ .

فإن كان المعمدان «نوراً» فهو ليس «النور الحقيقي»، ولكنه نور على مستوى المصباح المنار غير الكامل وغير الدائم وغير المستمر.

وقوله **«ينير كل إنسان»** لها إفادة كبيرة مترامية الأطراف تعني أنه وهو النور الحقيقي الذي يكشف الله ويعلنه، وليس نوراً آخر ولا واسطة أخرى مهما كانت توصل إلى الله، فهو الواسطة والطريق الوحيد إلى الله. كلُّ من يأتي إلى هذا النور أو كل من أتى إلى هذا النور الحقيقي تنفتح بصيرته ويستعلن الله فيه، أي يرى نفسه أمام الله، أي أمام خالقه ونافخ روحه في أنفه، أي يتعرَّف على مصدر وجوده وحياته. وليس ذلك فقط بل كلُّ من يدخل في هذا النور الحقيقي، أو يدخل هذا النور الحقيقي إليه، فإنه يرى العالم نفسه رؤية أخرى غير مظهر العالم، يراه في الله ويرى الله فيه ويدرك لاهوته بالمصنوعات التي فيه كما يقول بولس الرسول، أي يرى أصل العالم كما يرى أصل وجوده كإنسان.

وهكذا بالمقابل، يكون الإنسان الذي لا يأتي إلى النور لأن أعماله شريرة، فإنه لا يرى نفسه

(٢٣) أنظر المدخل ص ٢٧٢ و٢٧٤ و٢٨٧ و٢٨٨.

أمام الله ولا يرى الله في العالم، أي لا يرى الله جملة وتفصيلاً، فيحيا فاقداً رؤية حقيقة نفسه، أي يرى نفسه في الظلام.

ومن هنا نفهم، تجاوزاً، أن للنور عملاً سلبياً. فهو إذا رفضه إنسان انعمت عيناه. وهذا معنى القول: «أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم» (يو١٢: ٤٠). وهنا يظهر بوضوح قول المسيح للفريسيين: «لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون.» (يو٩: ٣٩)

«الذي ينير كل إنسان»:

لقد سبق ق. يوحنا وأوضح أن «الحياة كانت نور الناس». فالحياة الأبدية التي النور جوهرها، هذا النور الذي يُعتبر عمله الأول والأعظم هو الإنفتاح على وعي الإنسان لقبول الحقائق الإلهية، هذه الحياة الأبدية التي كانت في «الكلمة عند الله» والتي صارت عاملة في الخليقة — كان عملها في الإنسان هو سَكْب النور لتدريب وعي الإنسان. ولكن عاد القديس وقال إن الظلمة قد طغت على الإنسان فمنعته من إدراك كُنْه هذا النور وحقيقته؛ الأمر الذي دعا الله أن يجعل لـ«الكلمة» و«النور» وسيطاً مساعداً هم الأنبياء. ولكنه ينبه أيضاً أن الأنبياء، الذين جاء المعمدان ليمثلهم بروح إيليا وقوته، لم يكونوا هم النور بل مجرد شهود له، مجرد مصابيح مضاءة. ونحن نعلم أيضاً أن شهادتهم لم تُقْبَل! مما دعا الله أن يجعل «النور» يأخذ طريقه الأخير نحو الإنسان على مستوى التجسد. فالنور الذي ينير كل إنسان بلغ قوته العظمى في المسيح «أنا هو نور العالم.» (يو٨: ١٢)

وقول ق. يوحنا أن «النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان»، هنا يصف النور الحقيقي من واقع عمله الأساسي وليس من واقع النتائج، فالنتيجة دائماً جاءت لا تساوي عمل النور وقوته. فالإنسان دائماً وعلى جميع الأحوال لا يعوزه هذا النور في الإحساس به في القلب والضمير وفي الخليقة من حوله وفي الحياة التي تعجُّ بآيات الله الناطقة بنوره ووجوده؛ ولكن أيضاً فالإنسان دائماً وعلى جميع الأحوال لم يرتفع لمستوى حب الله وعنايته وفاعلية النور الإلهي العامل فيه ومن حوله. وهذا بالذات كان السبب الذي جعل الله يزيد من استعلان ذاته ويقترب أكثر فأكثر من الإنسان على مدى التاريخ.

ونلاحظ أن حالة الإستمرار التي أتت بها صيغة الفعل «الذي ينير» تكررت كثيراً في مواضع أخرى مما يكشف عن ديمومة في مقاصد الله منذ البدء، للإستمرار في الإتصال بالإنسان بكافة

الطرق، فنحن نسمع المسيح يقول: «هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت» (يو٦: ٥٠). وهذا نفسه وإن كان يشير إلى التجسد، وكأنه نزول دائم ليمدّ الإنسان بالحياة الدائمة حتى لا يموت الإنسان، فكم بالحري النور النازل باستمرار: «أنا هو نور العالم» (يو٨: ١٢)، والحياة النازلة: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)، والحب النازل: «هكذا أحب الله العالم» (يو٣: ١٦). هذا يكشف عن تنازل الله المستمر نحو الإنسان حتى «صار جسداً»!!

ثم عودة مرة أخرى هنا لتركيز ق. يوحنا على **«كل إنسان»**، فإن كان يبدو أمراً صعباً فَهْمُ كيفية استنارة **«كل إنسان»** بـ«الكلمة» عملياً؛ ولكن لينتبه القارىء كيف سيتم هذا رغماً عن كل إنسان، عندما يتجسّد الكلمة آخذاً طبيعة كل إنسان أو كل البشرية لنفسه، لا ليضيئها، وحسب، بل لتتحد بالنور إتحاداً أزلياً!! جاعلاً النور بذلك حقاً مشروعاً لكل إنسان بلا تمييز، كلُّ من يؤمن! لأن الإنسان هو من خلقة النور ولأن النور هو أصل خلقة الإنسان!! لذلك حقَّ للمسيح أن يقول: «أنا هو نور العالم» لأنه هو خالقه. كما يحق أن يقال بكل تأكيد أن «**العالم به وله** قد خُلِق» (كو١: ١٦). فالكلمة خَلَقَ العالم ليتجلى فيه، ولينتهي العالم إليه!!

«كان آتياً إلى العالم»:

تقرأها بعض المصادر على أساس أنها صفة «لكل إنسان»، أي «كل إنسان آتٍ إلى العالم»؛ ولكن الأصح عند معظم الثقاة أنها خبر للنور الحقيقي: «كان النور الحقيقي آتياً إلى العالم». ومما يرجح هذه القراءة أنه بعد ذلك أتى فعلاً إلى العالم بالتجسد!!

١٠:١ **«كانَ في العالمِ وكُوِّنَ العالمُ بِهِ ولم يَعْرِفْهُ العالمُ».**

يلزم أن ننتبه إلى الرؤية المتسعة لمفهوم ق. يوحنا عن الكلمة وعلاقته بالعالم، وذلك بالتفريق بين «كل شيء به كان» ويعني العالم بكل ما فيه، وبين «النور أضاء في الظلمة والظلمة لم تدركه»، وهنا الظلمة هي ظلمة العالم والإضاءة هي استعلان الله لكل من له إدراك في العالم أي الإنسان، فالعالم هنا هو عالم الإنسان. أما قوله: «كان النور الحقيقي آتياً إلى العالم»، فهنا انتقال أساسي من عمل الكلمة على مستوى الخَلْق والإضاءة إلى عمل الكلمة بالحضور الشخصي للإعلان عن الله.

ومن هنا نفهم قوله «كان في العالم»، بمعنى أنه كان عاملاً بالإضاءة أي بالاستعلان

الإدراكي لكل من له إدراك، كما نفهم «وكُوِّن العالم به» بمعنى الخلقة ودوام الخلقة متصلة بخالقها، أما النتيجة الدائمة أو رد فعل العالم، وباستمرار، فهو «لم يعرفْه العالم». وهنا «لم يعرفْه العالم» لا يعني عدم المعرفة بالإستضاءة العامة، ولكن عدم التعرف الشخصي عليه وعدم الاستجابة له أخلاقياً، وبالتالي الوقوف في الظلمة ومع الظلمة ضد الله، لأن عدم الإذعان للنور هو التحرر من سلطانه، وكأن لا خالق له، بل وكأنه هو خالق ذاته أو موجودٌ من تلقاء ذاته، وهذه هي نظرة الملحدين تماماً ونظرة اللاأدريين ومؤلِّهي العالم.

وهنا يتضح أيضاً عمق التفسير الروحي لثنائية وجود النور والظلمة في لاهوت ق. يوحنا. فالظلمة في العالم أو في الإنسان ليس الله صانعَها، بل الإنسان وحده مسئول عن صنعها بنفسه بالسير في الخطية والشر. فالظلمة ليست كالنور، فهي ليس لها أصل وجودي كالنور، بل هي من إفرازات التاريخ والسلوك الإنساني. وبكل اختصار تكون الظلمة هي غياب النور، ويكون عمل النور في الإنسان هو العودة إلى الله، أي الخلاص، وعمل الظلمة بالمقابل هو الدينونة، أي الحرمان من الله. وهكذا أيضاً ينقسم العالم في لاهوت ق. يوحنا إلى عالم قابل للنور والخلاص، وهو العالم الذي أحبه الله، وعالم رافض للنور وواقع تحت الرفض والدينونة. وهذا هو الذي حدا بالكلمة أو جعله يتخذ الخطوة الأكثر استعلاناً وهي: المجيء الشخصي.

١ : ١١ «إلى خاصَّتِهِ جاءَ وخاصَّتُهُ لم تَقبَلْهُ».

التدرج السابق في الاستعلان كان يبشر بهذه النتيجة الحتمية. فالعالم من آدم حتى إبراهيم ثم موسى لم يُعْدَم النور الإلهي، ولم يمتنع عنه صوت الله، ولم يمتنع على الإنسان أن يدعو باسم الرب. فنحن نسمع مبكراً جداً في أيام شيث بن آدم أن في أيامه ابتدأ الإنسان أن يدعو باسم الرب: «ولشيث أيضاً وُلد ابن فدعا اسمه أنوش. حينئذٍ ابتُدِىء أن يُدعى باسم الرب» (تك٤ : ٢٦). معنى هذا أن الإنسان كان في هذا الزمان السحيق يعرف الله معرفة شخصية وبالاسم!!

ثم بعد ذلك الزمان بعدة مئات من السنين نسمع بشخصية قديسة على المستوى العملي ارتفع بمعرفة الله والمناداة باسمه إلى مستوى السيرة السماوية والمسيرة العاشقة مع الله، بنوع يفوق تصورنا وكأنها زمالة أو أخوية: «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه.» (تك٥ : ٢٤)

كذلك وبعد ذلك بأزمنة جاء نوح الذي أظلمت الدنيا في أيامه وانحصر النور الإلهي عن وعي الإنسان وضميره، وبحسب تعبير الوحي المقدس: «وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض

ظلماً... إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض» (تك٦: ١١و١٢). ولكن من بين هؤلاء وُجد نوح البار: «وكان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله وسار نوح مع الله» (تك٦: ٩). وهكذا وفي وسط الظلام الدامس لم يعدم «الكلمة» إنساناً يشهد للنور ويعيشه فيصبح شفيعاً لمزيد من استمراره ولمزيد من استعلانه وأخيراً **«جاء إلى خاصته»**.

«إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله»:

من نشيد موسى النبي الذي قاله للوداع قبل موته نفهم أن الله قسّم شعوب الأرض — وجعلها تحت حراسات ربما بعض الملائكة[٢٤] — أما شعب إسرائيل فكان من نصيب الرب يرعاه بنفسه، أو بحسب تعبيره للأنبياء: «اقتناه لنفسه خاصة»: «حينما قسّم العليُّ للأمم، حين فرَّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل (أي كثيرة). **إن قِسْمَ الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه.** وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرِّك النسر عشَّه وعلى فراخه يرفُّ ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه، هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي.» (تث٣٢: ٨—١٢)

ويلزم التفريق بين كلمة **«خاصته»** الأولى εἰς τὰ ἴδια لأنها جاءت بصيغة المحايد (neuter)، أي ليس مذكر ولا مؤنث، أي لا تفيد معنى الإنسان، وهنا ينصبُّ المعنى على الأرض والوطن وعلى البيت، أي بيته وبلده. والمعنى ينحصر في نهاية الأيَّام وليس منذ إبراهيم أو موسى، بل في ملء الزمان، أي مجيء المسيح. أما كلمة **«خاصَّته»** الثانية فجاءت بالمذكر الجمع للعاقل οἱ ἴδιοι وهنا ينصبُّ المعنى على الشعب ككل، أي شعبه. وكذلك فإن المعنى ينصبُّ هنا على مجيء المسيا.

وهكذا تفيد هذه الآية أن مجيء الكلمة انحصر انحصاراً هذه المرَّة في رقعة أرض خاصة وفي شعب مختار خاص دون بقية الأراضي والشعوب، وكأنهما «بيت الله وأهله».

وإليك أيها القارىء من الآيات البيِّنات ما يوضح ذلك:

— «ترنَّمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي **وأسكن في وسطك يقول الرب** (وحلَّ بيننا). فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً، فأسكن في وسطك فتعلمين أن **رب الجنود قد أرسلني إليكِ. والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة** ويختار أورشليم

(٢٤) يُفهم من كلام دانيال النبي بعد السبي، أن الرئيس الموكل على شعب إسرائيل صار هو الملاك ميخائيل (دا١٠: ١٣و٢١، ١٢: ١).

بعد.» (رؤ٢ : ١٠—١٢)

ولكن ليس معنى ذلك أن الشعب المرفوض سابقاً سيمتلك الأرض التي اختارها الرب ليسكن بها في نهاية الأيام — بل تنص النبوة على أنه بالرغم من أن الرب سيأتي إلى الأرض، خاصته، ويسكن فيها، إلا أن الشعب سيُطرَح به بعيداً في الأمم بسبب رفضه:

— «لا تفرح يا إسرائيل طرباً كالشعوب لأنك قد زنيت عن إلهك... لا يسكنون في أرض الرب بل يرجع أفرايم إلى مصر ويأكلون النجس في أشور.» (هو٩ : ١—٣)

والسبب يذكره بوضوح إرميا النبي: «وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها، فأتيتم ونجستم أرضي وجعلتم ميراثي رجساً» (إر٢ : ٧). والأساس الذي بمقتضاه سكن شعب إسرائيل فلسطين هو أن هذه الأرض مِلْكٌ للرب وهم غرباء ونزلاء فيها، ليس فيها حق بيع أو شراء!!:

— «والأرض لا تُباع البتة، **لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي.**» (لا٢٥ : ٢٣)

أما شعب إسرائيل فاعتبرهم الرب خاصته؛ أي أهله وشعبه وعبيده الخصوصيين؛ وكأنه شراهم لنفسه، فهم ليسوا أحراراً في أنفسهم:

«لأن بني إسرائيل لي عبيد، هم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر، أنا الرب إلهكم.» (لا٢٥ : ٥٥)

— «فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي **تكونون لي خاصة** من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر١٩ : ٥و٦)

— «لأنك أنت **شعبٌ مقدَّس للرب إلهك**، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له **شعباً أخصَّ** من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس لأنكم أكثر من سائر الشعوب، (ولكن) التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم...» (تث٧ : ٦و٧)

— «أنتم **أولاد للرب إلهكم**... لأنك شعب مقدس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.» (تث١٤ : ١و٢)

– «وواعدك الربُّ اليوم أن تكون له شعباً خاصاً، كما قال لك، وتحفظ جميع وصاياه، وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التي عملها، في الثناء والاسم والبهاء، وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك، كما قال.» (تث ٢٦: ١٨ و١٩)

ولكن للأسف لم يحتفظ إسرائيل بلقبه ولا باسمه ولا بحب الله له، ولا كرّم احتياره له ولا حافظ على عهده، بل ارتد عن إلهه: «وأعطوا القفا لا الوجه» (إر ٧: ٢٤). والقول في ذلك كثير جداً يملأ كل أسفار العهد القديم. ولكن أبشع أوصاف الارتداد جاءت من فم موسى نفسه، أي من يكون مسيرة الشعب خلف الله، ويا للفضيحة:

– «أنصتي أيتها السموات فأتكلم، واسمع الأرض أقوال فمي. يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي. كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب... أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم، جيلٌ أعوجٌ ملتوٍ. ألربِّ تكافئون بهذا يا شعباً غبياً **غير حكيم؟** أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك؟ ... فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته. **وقال أحجبُ وجهي عنهم...** جيل متقلِّب، أولاد لا أمانة فيهم... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم (غياب نور الكلمة).» (تث ٣٢: ١ إلخ)

واضح أن أعمال الشعب الشريرة وأخصها الزنا وعبادة الأصنام التي أغرم بها الشعب، وأحياناً كثيرة كان ذلك بقيادة ملوكهم، هذه الأعمال الشريرة **حجبت وجه الله عنهم**. وهذا معناه المباشر توقف عمل «نور الكلمة» وحجز المعرفة والرأي الصواب والفهم والمشورة الحسنة عنهم. وذلك حتى لا يلوثوا اسم الله وكرامته ويخلطوا بين عمل الشر وعمل الله. وهذ بدوره مهّد جداً بالله، أو جعله يتقدم خطوة أكثر في الاستعلان عن نفسه بمجيء «الكلمة» مجيئاً منظوراً، حتى يتسنى له أن يتكلم مع خاصته مباشرة دون وسيط أو نبي: «الله **بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء** قديماً بأنواع وطرق كثيرة، **كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه...**» (عب ١: ١ و٢)

ولكن كان لا يزال غضب الله على الشعب، الذي فسد بقيادة رؤسائه، قائماً، بمعنى أنه كان قد حجب وجهه عنهم وانقطع عنهم عمل «نور الكلمة» كما سبق، فكان من الصعب على الشعب المنغمس في الشر مع رؤسائه ومعلميه أن يتعرَّف على المسيَّا الذي أتى، أي «الكلمة» الذي جاء بنفسه. وهذا يصفه ق. يوحنا في إنجيله في الأصحاح ١٢، ولكن بصورة جمع فيها انقطاع النور الإلهي منذ القديم عن الشعب المرتد عن الله مع عدم إيمانهم بالمسيَّا، أي «الكلمة» عندما ظهر، أي المسيح الذي جاء إليهم، هكذا:

– «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به، ليتم قول إشعياء النبي

الذي قاله: يا رب من صدّق خبرنا ولمن استعلنت **ذراع الرب** (المسيح). لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا. لأن إشعياء قال أيضاً، قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه.» (يو١٢: ٣٧ــ٤١)

والآن إلى إشعياء لندرس هذا الوضع الخطير:

ــ «في سنة وفاة عُزِّيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفعٍ وأذياله تملأ الهيكل. السَّرافيم واقفون فوقه، لكل واحد ستة أجنحة. باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجدُهُ مِلءُ كلِّ الأرض. فاهتزت أساسات العَتَب من صوت الصارخ وامتلأ البيتُ دخاناً. فقلت ويلٌ لي إني قد هلكتُ لأني إنسانٌ نجسُ الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجسِ الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملكَ ربَّ الجنود. فطار إليَّ واحدٌ من السَّرافيم وبيده جمرةٌ قد أخذها بمِلقَطٍ من على المذبح، ومسَّ بها فمي وقال إن هذه قد مَسَّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيَّتك. ثم سمعت صوتَ السيد قائلاً مَنْ أرسِلُ ومَنْ يذهب من أجلنا. فقلت هأنذا أرسِلْني. فقال: اذهب وقُلْ لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غَلِّظْ قلبَ هذا الشعبِ وثقِّلْ أذنيْهِ وأَطمُسْ عينيْهِ لئلا يُبصِرَ بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى.» (إش٦: ١ــ١٠)

يلاحظ القارىء أن رسالة إشعياء النبي بدأت برؤية «يهوه»، كما يُعبَّر عنه بالملك رب الجنود، وهو هو **«الكلمة»**، أي المسيَّا بحسب المظهر، ولكن في ملء مجده الذي اعتبره إشعياء أنه هو يهوه **«الله»**. لذلك قال ويل لي لأني رأيت الله، فسوف أموت، ولكن حدثت عملية تطهير لتجعل لإشعياء النبي قوة أو قدرة على رؤية «مجد الله» دون أن يموت. واستلم إشعياء الرسالة من «يهوه» الذي هو «الكلمة المترائي في مجده». وهذه الرسالة هي بعينها نص النبوة عما سيحدث عند ظهور المسيا، أي الكلمة، بشخصه، أي المسيح. فإنهم لن يصدقوه ولن يتعرفوا عليه. ثم شرح «يهوه»، أي «الكلمة الجالس على عرش مجده»، شرح لإشعياء سِرَّ عدم إيمان هذا الشعب، ومضمون هذا السِرِّ وهو أنه بسبب سيرة هذا الشعب الفاسدة بقيادة رؤسائه الفاسدين، وبسبب عدم إيمانهم بالله، وارتدادهم كل الأجيال السالفة عن عبادة الله، وإمعانهم في عمل الشرور وأقبحها الزنا وعبادة الأصنام، فإن الله قد حجب وجهه عنهم، بمعنى أنه قطع عنهم «نور الكلمة»، فامتنعت عنهم المعرفة وانطمست البصيرة وانحجبت رؤية الحق، وهذا قد صنعه الله منذ القدم واستمر في عقوبته عن قصد؛ حتى إذا ظهر المسيَّا «الكلمة» لا يتعرَّفون عليه فلا يرجعوا إليه، فلا يُشْفَوْا، وذلك حتى لا يستمرون في الجمع بين الإفتخار بالله والإمعان في الشر فيلوِّثون رسالة

المسيح.

ويُلاحَظ أن الذي رآه إشعياء أنه «يهوه» الملك رب الجنود قال عنه ق. يوحنا أنه هو هو المسيح: «قال هذا إشعياء عندما رأى مجده (مجد المسيح) وتكلم عنه.» (يو١٢: ٤١)

الآن فهمنا معنى «جاء إلى خاصَّته»، أي جاء إلى وطنه وبيته، وإلى «خاصته» ــ أي إلى شعبه الأخصَّاء جداً دون جميع شعوب العالم، فلم يقبلوه. والأمر المذهل والمفزع أن الرفض كان عنيفاً إجماعياً، رؤساء كهنة وكتبة وفريسيين ورؤساء شعب وكل الشعب المضلَّل وحتى بعض التلاميذ، بلا أي تعقُّل بل بلا أي سبب: «وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي، لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم **أبغضوني بلا سبب**.» (يو١٥: ٢٤و٢٥)

أما المكتوب في الناموس الذي يشير إليه المسيح فهو مز٣٥: ١٩ ومز٦٩: ٤:

ــ «لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً، ولا يتغامز بالعين الذين **يبغضونني بلا سبب**.» (مز٣٥: ١٩)

ــ «أكثر من شعر رأسي الذين **يبغضونني بلا سبب**... اعتزَّ... أعدائي ظلماً. حينئذٍ رددتُ الذي لم أخطفْه.» (مز٦٩: ٤)

لقد احتار بيلاطس فيهم حينما أخذ يتلفت يميناً ويساراً يستجدي من يساعده في إطلاق سراحه، سواء من الرؤساء أو حتى من الشعب الذي التجأ إليه متوسلاً أن يختاره عوض باراباس، ولكن بحَّ صوته بلا نتيجة فحكم على أساس كلمتهم: «دمه علينا وعلى أولادنا»!! (مت٢٧: ٢٥) وكأنما قد حوصر النور إذ «لم يعرفه العالم». وهوذا الآن حتى خاصته أبغضوه ولم يقبلوه، الذين أعدَّهم خصيصاً بنفسه لنفسه منذ الدهر إعداداً متعدد النواحي، وأغدق عليهم إغداقاً ليس له من مزيد، في الأرض والمطر والزرع والضَّرْع والبركات، مع العلم والمعرفة والمشورة، وكلَّمهم بالأنبياء مبكراً ومؤخراً، وجهَّزهم أحسن تجهيز إذ قدَّسهم وقدَّس أرضهم وأقام مَقْدِسَه في وسطهم، وبعد كل ذلك ليس فقط لم يقبلوه بل وأبغضوه، وبلا سبب، أو ربما بسبب أنهم أحبوا الظلمة أكثر من النور.

«جاء ἦλθεν»:

هنا نجد أن «**الكلمة**» يتخطى كل حدود العمل من على بُعْدٍ، ويأتي بنفسه مجيئاً محدداً واضح المعالم مرئياً ومسموعاً مشاهَداً وملموساً، مجيئاً توَّج به كل طرق استعلاناته الأُولى جميعاً سواء في العالم ككل أو حتى إسرائيل بكل تاريخها القديم. ولكنه مجيء كان في مرحلته الأُولى إلى

خاصته: «لم أُرسَلْ إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.» (مت١٥: ٢٤)

ولكن هذا المجيء لما بلغ أقصاه في الاستعلان لخاصته، كما بلغ أقصاه في الرفض، وانتهى الاستعلان وانتهى الرفض على أيدي خاصته بالصلب، استُعلن هو هو بذاته ــ أي هذا المجيء المقدس والمبارك ــ على مستوى العالم كله والبشرية جمعاء وذلك لما «الكلمة صار جسداً».

وبذلك يتضح تماماً من تدرُّج ق. يوحنا في الكشف عن تدرُّج الاستعلان الذي مارسه «الكلمة» في ذاته بالتجسد أنه تم بالفعل على مرحلتين أو على وجهين:

المرحلة الأُولى أو الوجه الأول: باعتباره **«المسيَّا»** قمة الاستعلان أو الاستعلانات التي أتمها **مع شعبه المقدس إسرائيل** لكشف خطة الفداء لشعبه والخلاص حسب وعده.

والمرحلة الثانية أو الوجه الثاني: باعتباره **«الكلمة صار جسداً»**، **«كنور للأمم»**، وفداءً وخلاصاً إلى أقصى الأرض.

في المرحلة الأُولى واجه من خاصته نكوصاً شعبياً منقطع النظير كسيد مرفوض، مع الصليب، وسقوط الأمة!

وفي المرحلة الثانية قوبل قبولاً فردياً كربٍّ لمجد الآب، امتد، ولا يزال يمتد، إلى أقصى الأرض وأقصى الزمن.

لأنه لو يلاحظ القارىء، يكتشف أن الكنيسة المسيحية لم ترث الكنيس اليهودي بناموسه وبقوانينه وتراثه، ولا قامت الكنيسة المسيحية على أنقاض الهيكل المهدوم، لأن الكنيسة المسيحية هي **«الهيكل الجديد»**، «المسيح نفسه» مُشتهى كل الدهور: «فنحن من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠)، «وبَيْتُه نحن.» (عب٣: ٦)

١ : ١٢ **«وأمَّا كلُّ الذينَ قَبِلُوهُ، فأعطاهُم سُلطاناً أنْ يصيروا أولادَ الله. أي المؤمنُونَ باسمِهِ».**

لقد جاء إلى خاصته كوطن فلم يجد له مكاناً، وجاء إلى خاصته كأُمَّة فلم تقبله، ولكن كان لا بد من شهود، فالله لا يترك نفسه بلا شاهد. فإزاء رفض الأمة تقدم أفراد، وبصفتهم الشخصية آمنوا به وقبلوه، لا كيهود بل كمسيحيين!! طُردوا من المجمع والهيكل كوثنيين، ليفتحوا الطريق

أمام كل الأمم!! فقدوا البنويّة لموسى وإبراهيم، فصاروا محسوبين على مستوى شعوب الدنيا، فأعطاهم الله وأعطى معهم كل شعوب الدنيا حق البنوية منه وله رأساً، ليكونوا رؤوساً لشعب جديد: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت١٦: ١٨)، «شعب اقتناء»= (انتساب لله) (١بط٢: ٩)، «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط١: ٤)، بامتياز حق التبني لله مباشرة يولدون له، من رحم نعمته، مقدسين، ومختومين بختم روح الله كأعضاء أحياء في جسد ابنه كما «من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠)، عوض ختان اللحم وتسجيل الاسم في سجلات المولودين من دم إبراهيم.

إن الإمتياز الكبير المجاني الذي أعطاه الله في البدء لإسرائيل في حدود الخصوصية المنحصرة في جنس وشعب محدد: «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر» (خر٤: ٢٢)، «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني» (هو١١: ١)، هذا الإمتياز الكبير الفريد والمجاني الذي افتتح الله به عهد علاقة حبه مع الإنسان ممثَّلاً في إسرائيل، أطلقه الآن بلا قيود جنسية أو شعوبية للمؤمنين أفراداً، لأن عهد الله ووعوده كلها بلا ندامة (رو١١: ٢٩). وهكذا صار الرسل الأولون النموذج الجديد والكامل للابن الجديد البكر، عوض إسرائيل الأُمة التي لم تَصُنْ عهد البنوة ولا عهد البكورية. اسمع القديس يعقوب يقول: «شاء **فوَلَدنا** بـ"كلمة الحق" لكي نكون **باكورة** من خلائقه.» (يع١: ١٨)

«أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله»:

كان شعب إسرائيل يفتخر على السلطان الذي له كشعب مختار من الله على أساس محبة الله لآبائهم الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب. وكان هذا السلطان يكتسبه الفرد بالولادة من أب يهودي وأم يهودية، فيرث نصيبه في محبة الله لآبائه. ولكن السلطان الذي أعطاه الله لكل من يقبل المسيح هو سلطان شخصي لا يُورَث ولا يُورِّث بحسب الجسد، بل هو إعطاء حق إقامة علاقة بنوية مباشرة مع الله على مستوى علاقة الله مع إسرائيل نفسه وأكثر. لأن إسرائيل أخذ صفة «الابن» كلقب، أما من يقبل يسوع المسيح باعتباره المسيَّا الموعود فإنه يأخذ حق البنوية من الله رأساً، لأنه آمن بالوعد وحكم بصدق الله وأمانته: «الذي يأتي من السماء (المسيح) هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها، ومَنْ قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق.» (يو٣: ٣١ـــ٣٣)

وليلاحظ القارىء أن الآية لا تقول: «أما الذين قبلوه يصيرون أولاد الله» مباشرة، بل تقول «أعطاهم سلطاناً أن يصيروا...»، بمعنى أن قبولهم للنور أي للمسيَّا حسب الإيمان بالوعد، يضعهم

أولاً **موضع** البنين ــ أبناء النور ــ ليصيروا بعد ذلك أولاداً بالحق بمزيد من إيمانهم بالمسيَّا. وعندنا آية أخرى مطابقة جاءت بالروح على لسان بطرس الرسول توضح أن معرفة المسيح الكاملة تعطي سلطاناً، حسب قدرة الله، ليصير بها مَنْ يقبلها شريكاً في الطبيعة الإلهية: «**كما أن قدرته الإلهية** قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى (بواسطة) **بمعرفة (يسوع المسيح)** الذي دعانا إلى مجده وفضيلته ἰδίᾳ δόξῃ καὶ ἀρετῇ اللذين بهما قد **وُهبت لنا المواعيد** العظمى والثمينة **لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.**» (٢بط١: ٣و٤)

نفهم من هذا أن عدم قبول خاصته له (للنور) حرمهم في الحال من (النور)، أي من سلطان البنويَّة الممنوح لهم كهبة ولقب «إسرائيل البكر»، مما أنشأ حتماً وبالضرورة للذين عرفوه وقبلوه حقاً في المواعيد العظمى والثمينة أن يصيروا «**أولاد الله**».

ولكن لا يزال أمام الذين قبلوا ــ النور ــ المسيح كأفراد من خاصَّته أن يتعرَّفوا أكثر على المسيا الذي قبلوه، فأمامهم مرتفَعٌ من الإيمان يتحتم أن يتسلَّقوه: إيمان الصليب وما بعد الصليب، لذلك نحن هنا لا نزال في درجة استعلان ما قبل «الكلمة صار جسداً» مباشرة.

«**أولاد الله**» τέκνα = «**آمنوا** بالنور لتصيروا **أبناء النور**» (يو١٢: ٣٦):

ق. يوحنا لا يستخدم كلمة «**ابن** υἱός» إلا للمسيح فقط، كما يلاحظ أيضاً في أسلوب ق. يوحنا أنه لم يستخدم المفرد من «الأولاد» قط، وكأنما في تفكير ق. يوحنا أن التبني هو «شركة طبيعة» تتضح أكثر عنده في قوله: «الذين وُلدوا» بالجمع، وكأنما يمعن في التفريق بين بَنَويَّة شعب إسرائيل وبنوية شعب المسيح، فالأُولى بالميراث الجسدي والثانية بالميلاد الروحي.

«المؤمنون باسمه»:

ق. يوحنا يتقدم في فعل التقدم في الاستعلان من النور إلى المسيا إلى ابن الله ثم إلى رد الفعل الإيجابي من «القبول» إلى «**الإيمان**».

وكلمة «المؤمنون» هنا τοῖς πιστεύουσιν جاءت بحالة قائمة دائمة كرد فعل دائم لاستعلان المسيا أنه ابن الله برسوخ وتأكيد على أساس فريد من المعرفة والوعي للاستعلان الجديد، يقابلها تماماً قول ق. يوحنا في رسالته: «كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله» (١يو٥: ١٣)، وكأنما يود أن يقول لنا: آه لو عرفتم قيمة الإيمان بابن الله فإنكم سوف تمسكون بالإيمان باسم ابن الله حتى الموت لأنكم ستحيون.

هذه الحالة نسمعها في بكور ظهور المسيا بوضوح من فم نثنائيل، أول الخاصة الذين قبلوه ثم آمنوا به: «يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل.» (يو١: ٤٩)

«باسمه»:

«الاسم» في لاهوت ق. يوحنا، وبالتالي في لاهوت الكنيسة الأولى وكبار لاهوتييها، هو المُعبِّر عن الشخص في حالة وجود وتجلي. فالذي يؤمن «**باسم**» ابن الله لا يعني ذلك أن نبحث عن ما هو اسمه، بل يعني أن هذا الإيمان: إيمان تلاحم مع تعلُّق شخصي فيه ثقة وأمانة واتكال، بل فيه بهجة وفرح، لأنه يعبِّر عن حالة تجلي وحضور إلهي. فاسم الله من الوجهة الفعلية التصوفية هو الحضرة الذاتية الإلهية عندما ينادي فيها المؤمن الله، كحاضر، ويتكلم معه وهو أمامه. وهذا نجده واضحاً وثابتاً في قول الرب للتلاميذ قبل الصعود: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت٢٨: ١٩)

فالاسم هنا يعني الدعاء للحضور والتجلي والشركة، بمعنى أن التعميد باسم الثالوث هو مباشرة الثالوث بالتعميد بناءً على الدعاء بالاسم. وكذلك في الإفخارستيا وفي كل سر من أسرار الكنيسة، فإنه يجري بالدعاء بالاسم حضور الله وتتميم السر.

ومعروف أن النطق باسم الله أو باسم ابن الله له قوة وسلطان الحضور الإلهي تماماً. وهذا نسمعه من التلاميذ: «فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا **باسمك**.» (لو١٠: ١٧)

كذلك فالدعاء بالاسم انتقل إلى مناداة القديسين بأسمائهم، لا لكي يسمعوا بل لكي يحضروا. فالدعاء باسم القديس هو تكليف خفي متواضع بحضور للمعونة. «ادعُ الآن. فهل لك من مجيب، وإلى أي القديسين تلتفت» (أي٥: ١). فالدعاء بالاسم هو استدعاء.

وفي قول ق. يوحنا «المؤمنون باسمه» بمعنى التعرف على يسوع أنه هو المسيح، وهذه هي الدرجة الحرجة في إيمان الإنسان اليهودي. فالذي قبل يسوع على أنه هو المسيح يكون قد انتقل من العهد القديم إلى العهد الجديد، وهذا بحد ذاته هو الذي نعبّر عنه بالميلاد الجديد أو الخليقة الجديدة في المسيح. لأن التعرُّف على المسيح أنه ابن الله هو تحصيل حاصل، لأن المعروف في الفكر اليهودي المتقدم والذي ينتظر الخلاص بالروح أن المسيا هو ابن الله. وهذا الأمر واضح من أول نطق إيماني لنثنائيل، كما سبق وذكرنا. وهذا يعبّر عنه ق. يوحنا بغاية الوضوح في رسالته الأولى بقوله: «كلُّ من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله.» (١يو٥: ١)

١٣:١ «الذين وُلِدُوا ليسَ من دمٍ ولا من مشيئةِ جسدٍ ولا من مشيئةِ رجلٍ، بل من الله».

ق. يوحنا بدأ يرافق الاستعلان بالرد العملي من جهة الإنسان اليهودي ــ وليست الأُمة اليهودية ــ ليوضح القيمة العظمى لاستعلان كلمة الله عندما جاء إلى خاصته ــ على مستوى المسيا ــ فقبله بعض الشخصيات اليهودية. **فالاستعلان** واكبه **إيمان**، والإيمان **رافقه ميلاد جديد** للإنسان، جديد على عقل الإنسان غاية الجدَّة. وكان إيمان هؤلاء الأشخاص الأفراد اليهود هو باكورة الخليقة الجديدة الذين خمَّروا عجين الأمم كله. هذا ما صرَّح به القديس يعقوب الرسول معبِّراً عن نفسه وزملائه الرسل: «شاء **فوَلَدنا** بـ"كلمة الحق" لكي نكون **باكورة من خلائقه**.» (يع١:١٨)

ولينتبه القارىء، لأن مفهوم الميلاد من الله، أو قول يعقوب الرسول: «ولدنا بكلمة الحق»، أو قوله: «باكورة من خلائقه (الجديدة)»، هذه كلها تعبير عن «الحياة الأبدية» مع الله، وهذا هو ملخص اللاهوت بل خلاصة إنجيل يوحنا الذي بلْوَرَه في ختام الأصحاح العشرين بهذه الكلمات عينها: «وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه.» (يو٢٠:٣١)

«وُلدوا ليس من "دم" ولا من مشيئة "جسد" ولا من مشيئة "رجل"»:

لأول مرة بالنسبة للإنسان العادي يُسمع عن ميلاد لا تتدخل فيه أيٌّ من العناصر الطبيعية (الدماء). نعم، لأن النتيجة ليست لحساب حياة طبيعية، والمولود ليس لحساب هذا العالم الطبيعي.

كما نجد في هذا الميلاد غياباً كاملاً للغرائز الطبيعية (مشيئة جسد)، لذلك فالمولود هنا ليس خاضعاً جبرياً لسطوتها. كما يغيب عن هذا الميلاد (مشيئة الإنسان)، وبالتالي فتوجيه الحياة الجديدة بأفعالها لا تنبع من مشيئة بشرية.

هذا هو مجمل الثلاثة المعايير السلبية: «ليس. ولا. ولا». ولو نلاحظ، نجد أن ق. يوحنا لم يضع هذه المعايير المنفية جزافاً، بل هو يتدرج بها من الأسفل إلى الأعلى. فالمعيار المنفي **الأول هو** المصدر الطبيعي للحياة الطبيعية «الدم»، **والثاني هو** المحرك الطبيعي للحياة المخلوقة «مشيئة الجسد»، **والثالث هو** جماع الشخصية الإنسانية التي تُصرِّف أمور الحياة الطبيعية «مشيئة رجل».

ومن السهل فهم العناصر الثلاثة الأخلاقية التي تتخلص منها الحياة الجديدة بهذا الميلاد الجديد:

العنصر الأول: عدم اعتماد الحياة الجديدة على توريث الحياة من السَلَف، وتحرُّرها من الغرائز والشهوة. واستقلالُها عن قدرة الإنسان. فما أعجبها حياة!!

«ليس من دم»:

الترجمة الحرفية الصحيحة: «ليس من دماء»، لأن «دم» جاءت بالجمع في اللغتين اليونانية واللاتينية: ex sanguinibus = ἐξ αἱμάτων. فهنا خرجت الترجمة العربية عن النص فأساءت إلى المعنى كما يقصده ق. يوحنا.

و«الدم» بالجمع يُقصد بها دم الأب ودم الأُم، كما يرى القديس أغسطينوس. وجمعها يفيد معنى كافة العناصر الطبيعية التي يتكون منها الجسد من ذكر وأنثى.

كما أننا نعرف لغة ق. يوحنا السرية لماذا يتحاشى قول **«الدم»** بالمفرد، فهذا هو افتخار اليهود، إنه كبرياء الجنس، فاليهودي مولود من «دم» يهودي ــ تعبيراً عن الجنس المختار ــ موروث من إبراهيم وإسحق ويعقوب، كما **يتحاشى** ق. يوحنا المفرد في قوله: «مولودين ليس من دم (كما جاء في الترجمة العربية)» لأننا مولودون بالحقيقة من «دم» هو دم يسوع المسيح: الميلاد الذي لم يُستعلن بعد، لأن هذا مخصَّص لدرجة الاستعلان القادمة للكلمة حينما صار جسداً ــ وتخضَّب جسده على الصليب بهذا الدم غفراناً لكل العالم ــ أما الآن فنحن محصورون في «الكلمة» المستعلَن بالمسيَّا، وفي المسيَّا، أي يسوع المسيح، لليهود فيما قبل **الصليب**، أي ليس بعدُ مكان للدم.

«ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل»:

هنا يحصر ق. يوحنا معنى الميلاد الروحي للإنسان، أو الخليقة الجديدة، أو معنى أولاد الله أو الميلاد من الله، في أنه ينأى كليةً عن ما يتعلَّق بالخليقة الحيوانية عامة والخليقة البشرية خاصة. فهو ميلاد خليقة أخرى للإنسان من فوق، فيها يصير الله أباً جديداً عظيماً للإنسان الذي به تُلغى عملياً القيمة المتبقية للإنسان اليهودي من "الأبُوَّة": «لنا إبراهيم أباً» (مت٣: ٩) التي يسعى الإنسان أن ينضوي تحتها: «لا تَدْعُوا لكم أباً على الأرض لأن **أباكم واحد الذي في السموات.**» (مت٢٣: ٩)

«بل من الله»:

«الولادة من الله» عقيدة متكاملة راسخة عند ق. يوحنا، يلذّ لنا أن نستعرضها أمام القارىء:

١ ــ «وأما هذه فقد كُتبت (إنجيل يوحنا بأكمله) لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة (ميلاداً جديداً) باسمه.» (يو٢٠ : ٣١)

٢ ــ «كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد **وُلد من الله.**» (١يو٥ : ٩)

٣ ــ «أنظروا أية محبة أعطانا الله حتى **نُدعى أولاد الله**... أيها الأحباء الآن **نحن أولاد الله.**» (١يو٣ : ١و٢)

٤ ــ «أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله، **وكل من يحب فقد وُلد من الله** ويعرف الله.» (١يو٤ : ٧)

٥ ــ «إن علمتم أنه بار (المسيح) هو، فاعلموا أن كل من يصنع البر **مولود منه.**» (١يو٢ : ٢٩)

٦ ــ «نعلم أن **كل مَنْ وُلد مِنَ الله** لا يخطىء بل **المولود من الله يحفظ نفسه** والشرير لا يمسّه.» (١يو٥ : ٨)

٧ ــ «كل من هو **مولود من الله** لا يفعل الخطية، لأن زرعه (زرع الله) يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطىء **لأنه مولود من الله.**» (١يو٣ : ٩).

من بين هذه الآيات السبع نجد الآية رقم (٢) هي الآية المتحكمة فيها جميعاً، وهي رأس مبدأ الميلاد من الله. لأن يسوع المسيح، كما في الآية رقم (١) هو ابن الله، والرسالة التي جاء ليكملها هي أن يرفعنا معه وفيه إلى حالة التبني لله.

فالذي يؤمن بأن يسوع هو المسيح فهو يكون قد قَبِل بالتالي الرسالة أي أن يكون أحد أولاد الله.

كذلك فإن العلة الأساسية التي على أساسها نصير أولاداً له، لا تعتمد على شيء حسن فينا، ولكن إلحاح محبته لنا، وهو مضمون الآية رقم (٣). وكذلك الآية يو٣ : ١٦ : «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية».

كذلك فإن الوصية الأُولى والعظمى هي المحبة لله والقريب لأنها الردُّ الوحيد اللائق لمحبته لنا.

فإذا نجح الإنسان في تكميل هذه الوصية، فإنه حتماً يكون قد وُلد من الله. لأن الله «محبة»، ويستحيل لأحد أن يستمد المحبة الإلهية إلا من الله مصدرها، وهذا هو مضمون الآية رقم (٤).

كذلك فإن ناموس المسيح الذي جاء ليؤسسه هو ناموس البر الإلهي، أي السلوك بمقتضى الرحمة والحق معاً، والعدل والسلام معاً، وهذا مستحيل أن يأتيه إنسان ما إلا إذا أخذ قوة هذا البر من المسيح لأنه «بار» و«يبرر كثيرين»، وهذا مضمون الآية رقم (٥).

كذلك إن كان المسيح قد حلَّ بالإيمان في القلب، وثبت الإنسان في الروح القدس، فقد تسلَّح ضد الشيطان والخطية من جهة الغواية والفعل معاً، وأصبح متحصِّناً ضده، وهذا مضمون الآية رقم (٦).

وهذه الآية يقابلها من جهة العقيدة عند ق. بولس مطابَقَة، إنما على الوجه الإيجابي البديع: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم **روح التبني**، الذي به نصرخ (عند الضيقة) يا أبا الآب، الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا **أولاد الله**.» (رو٨: ١٤—١٦)

كذلك نعلم أن ليس إنسان لا يخطىء، وأن المسيح وحده بلا خطية، وجاء ليكسر شوكة الخطية المميتة، وقد رفعها بالفعل، وخلَّص الإنسان من ناموسها القاتل. لذلك إن كان إنسان ما قد قبل المسيح وآمن به وحلَّ المسيح بالإيمان في قلبه وقبل الروح القدس، فلا يمكن أن هذا الإنسان يخطىء خطية للموت وهذا مضمون الآية رقم (٧).

وقول ق. يوحنا هنا: «لأن زرع الله sperma ثابت فيه» قول خطير في الواقع، نفهم منه أن الذين يستقبلون روح الأبُوَّة داخلهم فإنها تخصبهم وتصيِّرهم أولاداً لله، وأن الله يصير أباهم، ليس بالاسم ولا بالمجاز، بل بالقوة الوالدة للروح، الأمر الذي هو أقوى ألف مرة من الولادة التي أخذوها بالجسد وانحدروا منها بواسطة زرع البشر الفاني. لأن الإنسان حينما تسكنه بذرة الروح لأبُوَّة الله، تصير فيه قوة خالقة تخلقه جديداً، وتنميه لينمو حسب صورة خالقه في البر والقداسة والحق. وبحق وقوة أبوَّة الله التي تسكن الإنسان، لا يُعدُّ الله بالنسبة للإنسان حاملاً عصا التأديب بعد، بل فاتحاً أذرع الحب ليضم خليقته التي تاهت عنه ثم عادت تحمل جمال صورته.

ولا يعدُّ الإنسان بالنسبة لله خليقة عاصية متمردة بل أبناء حضنه، يضمهم إليه ويقبِّلهم قبلة الآب الذي عثر على ابنه الضال فوقع على عنقه وقبَّله تقبيلاً. لأن الإنسان لم يَعُدْ متغرباً عن الله، بل بواسطة ابنه الوحيد المحبوب الذي أخذ جسدنا لنفسه صار الإنسان على مستوى مَعَزَّة الابن الوحيد ووريثاً معه لكل حب الآب.

وفي ختام الآية التي نحن بصددها من الإنجيل، أي الآية ١ : ١٣، يلزمنا أن ننبّه أنه إزاء الرفض الشعبي للأمة اليهودية لاستعلان الكلمة في شخص يسوع باعتباره المسيّا الآتي، واجهنا هذه المرة أفراداً من خاصته، تلاميذَ ورسلاً وكهنةً ورؤساءً من الشعب، قبلوه وآمنوا باسمه أنه هو ابن الله الآتي إلى العالم، والتصقوا به فصاروا أولاد الله عوض بني إسرائيل، وأهل بيت الله عوض أعضاء في السنهدريم، واستناروا بنوره وصاروا رسلاً له للعالم، فكانوا منفذاً للنور للجالسين في الظلمة وظلال الموت، المقيدين بالذل والحديد. أما العالم ـــ أي الأمم ـــ فلم يكونوا على موعد مع الله بانتظار المسيا كاليهود، فلهؤلاء استعْلن «المسيح الكلمة» نفسه استعلانه الأخير والأعظم للعالم كله، لا كابن داود بل **«ابن الإنسان»!! «الله ظهر في الجسد.»** (١تي٣ : ٦)

١ : ١٤　**«والكلمةُ صارَ جسداً وحَلَّ بيننا ورأينا مجدَهُ مجداً كما لوحيدٍ من الآبِ مملوءاً نعمةً وحقاً».**

تقسيم هذه الآية:

(أ)　**والكلمة صار جسداً.**

(ب)　**وحلّ بيننا.**

(ج)　**ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب.**

(د)　**مملوءاً نعمة وحقاً.**

نتذكر الاستعلان السالف الذي أكمله **«الكلمة»** أنه كان على مستوى تكميل وعد سابق بفم كل الأنبياء، أكمله بالمجيء الفعلي في ملء الزمن: «**إلى خاصّته جاء**». وكان مجيئه استعلاناً محصوراً في شعب هو خاصته وفي أرض هي من خاصته. ولكن الآن يَستعلن «الكلمة» ذاته على غير موعد وعلى مستوى البشرية كلها والعالم أجمع.

وهكذا نكاد نصفق بأيدينا لهذا الإنجيلي البديع ذي البصيرة الحادة والرؤيا المترامية الأطراف، الذي واكب الكلمة في درجات استعلانه من الأزلية قبل الزمن، عبوراً بالخليقة والحياة والنور الذي لم ينحصر عن الإنسان قط منذ أن خُلق، إلى الآباء والأنبياء والشعب المختار والحياة الأبدية المكنوزة في الكتب لمن يفتش عنها، إلى المعمدان يشهد للنور، إلى الرفض والمصادرة حتى منتهاها، إلى الاستعلان الأخير الذي نعيشه في ملء نوره وبهائه، كل ذلك أيها القارىء العزيز في أربع عشرة آية لم تأخذ من إنجيله أكثر من نصف صفحة!!

أ ــ «**والكلمة صار جسداً**»:

«الواو» هنا καί تتبع المسلسل الذي جاء في أول الأصحاح، فهو عودٌ على ذي بدء. ومن ذلك نلمح وبسهولة في قوله: «والكلمة صار جسداً» تكملة مفاجئة للآية الأولى بكل إحكام، ونقرأها معاً هكذا: «**في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله والكلمة صار جسداً**».

وهنا آخر مرة نسمع فيها ق. يوحنا يذكر «**الكلمة**»، إذ يدخل بها إنجيل الخلاص لنرى الكلمة في شخص المسيّا.

هنا يتفضل الله وينزل بنفسه إلى عالمه الذي خلق، لا كزائر روحي بشبه ملاك أو رئيس ملائكة، ولا كضيف غريب يباغت الإنسان في عقر داره، بل نزل كإنسان ليعيش مع الإنسان كإنسان، وليتكلم مع الإنسان بعد أن أخفقت كل الوسائل في توصيل كلمته إليه. جاء في «الجسد» ليتحدث مع كل ذي جسد: «إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد πάσης σαρκός ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته.» (يو١٧: ٢)

نعم قد جاء الله بنفسه في الكلمة المتجسد ومعه الحياة الأبدية والنور الحقيقي في الجسد مُخْفيين في الجسد ولكن منظوران بالرؤيا الإيمانية النفّاذة التي تنفذ خلال الظواهر والحجب والظلال والأقنعة لتقع على الحقيقة مباشرة = رؤية منفتحة على الإيمان ἐθεασάμεθα. لذلك كلٌّ من كان له عين ترى وأذن تسمع، رأى مجده وسمع صوت الله فيه فعاش: «أما رأيت يسوع المسيح ربنا.» (١كو٩: ١)

لذلك بقدر ما كان الله الكلمة المتجسد نوراً وحياةً أبدية لمن وقعت عينه ــ ἐθεασάμεθα ــ على اللاهوت الذي فيه، بقدر ما كان الكلمة المتجسد عثرة للعين التي توقفت عند حجاب الجسد، فاختفى عنها الله والحياة والنور معاً. «طوبى لمن لا يعثر فيَّ.» (مت١١: ٦)

وكأنما سر التجسد هو الظل المرافق «للكلمة» منذ البدء! فـ«**سرُّ**» التجسد الإلهي فوق أنه يحتضن كل ما عداه من أسرار الاستعلانات السابقة ــ للكلمة ــ ويكمّلها، فهو ــ أي «**سرُّ**» التجسد ــ يحمله معه في وجوده المطلق منذ البدء وفي كيانه الإلهي «وكان الكلمة الله»، منطوياً تحت حب الله للعالم!!

وهكذا وبسهولة أيضاً نلمح في «الكلمة» احتضان الأزلية للزمن وانعطاف الله على الإنسان!

فسِرُّ المصالحة العظمى التي جاء ليصنعها الكلمة بين العالم والله: «أي إن الله كان في المسيح مُصالِحاً العالمَ لنفسه» (٢كو٥: ١٩)، هذه المصالحة كانت دوافعها وأدواتها كائنة فيه منذ الأزل!

انظر معي أيها القارىء العزيز وتمعّن كيف أن «الكلمة» يحتضن الأزلية والزمان معاً «**في البدء كان** الكلمة»، «والكلمة **صار**...»،

وكيف ينعطف اللاهوت على الإنسان: «والكلمة **كان عند الله**»، و«**حلَّ بيننا**»:

فالزمن خرج من رَحم الأزلية، وحبُّ الله للإنسان كان كامناً في حضنه الأزلي.

ثم انظر كيف يجمع «الكلمة» في نفسه الله والإنسان: «وكان الكلمة **الله**» و«الكلمة **صار جسداً**».

ثم انظر كيف نجح الكلمة أخيراً نجاحاً منقطع النظير في استعلان ذاته واستعلان الله فيه: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً».

«والكلمة صار جسداً»: هنا، وهنا أخيراً، استقرق. يوحنا بعد تحليقه طائراً وراء الكلمة في الأزلية محدّقاً في الله ليراه عنده قائماً، وفي الخليقة هناك خالقاً، وفي الحياة نوراً مرفوضاً ومقبولاً، وكنا نحن نلهث وراء يوحنا ما عسى أن يكون «**الكلمة**» هذا، وما هيئته أو صورته، حتى انقطعت أنفاسنا؛ وأخيراً حطَّ هذا النسر الجسور المتمرس في التحديق في نور الله، حطَّ بـ«**الكلمة**» على «**جسد**» إنسان فعرفنا في الحال أنه «**يسوع المسيح**».

« مناجاة »

أيها الكلمة والفعل الأزلي، الكائن الذاتي، الله منطوقاً لنا بالكلمة والله مُستعلَناً لنا بالفعل، الفاعل بكل قدرات الله ومشيئته في الخلق والتدبير، القائم الدائم في الذات الإلهية العظمى، الملتحم جوهريًّا وذاتيًّا بـ« أنا » الله بالحب المطلق، وصاحب الاسم الإلهي معه « أنا هو » ἐγώ εἰμι، المنطلق من كيان الله لاستعلان الله بلا انقطاع، الحامل للكلِّية الإلهية بغير تجزؤ، والعامل بسلطان الله بلا نقصان مع الله كإرادة وفعل معاً، كليُّ القدرة وكليُّ المعرفة وكليُّ الوجود، غير المُنحصِرُ في ذاته وغير المحدود وغير المبتدىء.

فأنت البداية التي بلا بداية، والنهاية التي بلا نهاية ـــ التي ينتهي عندها كل ذي نهاية، غير المتغيِّر، والمتغيرات كلها فِعْلٌ من أفعالك.

الزمان منك أخذ حركته ودورانه ليحكي عن عظمة سكونك الفعال وتعاليك عن كل ظلِّ دوران، وإليك ينتهي وعندك يهدأ من كل حركاته، فأنت السكون الضابط لكل حركة.

أما المكان الذي تمثله روائع الأكوان كخيمة أقَمْت أعمدتها في وسط الوجود المطلق، فهي تحكي بوجودها المحدود عن جبروت الله ووجودك غير المحدود ولا منظور. فكل الأكوان بما تحوي من بدائع المخلوقات المعروفة وغير المعروفة، هي صفحة منبسطة تعكس طَرْفاً من بهاء مجد الله فيك غير المدرَك. فأنت الكلمة الله الذي هو وحده بالفعل والكلمة استعلن عظمة الله غير المدرك ولا معروف والذي لن يُدرك ولن يُعرف إلا فيك.

فهذا البدء الزماني والمكاني السحيق في القدم، هو بكُلِّياته وجُزْئياته فعلٌ حَدَث من أفعال أزليتك، خرج إلى الوجود كما صوَّرَتهُ قدرة الله ومشيئته فيك.

أيها الكلمة الله الذاتي الذي كنت محتجباً في الله، مع أنك أنت الحامل لاستعلان الله، لقد استعلنت نور الله الذي كان سيظل محتجباً لولا هذا العالم الذي خلقت، الذي حمل إلينا رسالة ناطقة من خلف آياته الجبارة، تحكي عن الإرادة العظمى التي أرادتْه، وحكمة الفعل الإلهي الذي به خُلق.

فالمصنوعات فيه تحكي عن لاهوت الصانع، فكل الأفلاك والمجرَّات والعوالم التي يضج بها الفضاء بقوانين تحرُّكها وتقلُّبها، وانضباطها الخاضع لسلطان الدقة الهندسية

الفائقة، تحكي لنا عن ما هي الإرادة الإلهية التي أرادت والعمل الإلهي الذي خلق، تحكي عنك أيها الكلمة ذو الحكمة والقوة والسلطان والمجد والجلال الفائق لحساب استعلان الله، تحكي عن حب الله القائم في العالم لحساب العالم، فانبثَّ فيه قانون المحبة والتآلف الذي يحكم حركتها جميعاً من جماد ونبات وحيوان وإنسان. **فكل ذرة** بحركتها الباطنية المنسجمة والمنضبطة في تآلف فائق القدر والوصف، تحكي عن التآلف بين الإرادة والفعل في ذات الله الذي خلق. أما القوة الذرية المرعبة التي ظهرت عند انشطارها فهي تحكي عن القوة الإلهية التي جمعت وضبطت.

وهذا **الإنسان** الذي خلقته، حسب قصد محبة الله التي تعمل كل شيء حسب رأي مشيئته في المحبة، خلقته بامتياز الإدراك والنطق والحب، يدركك ويدرك حب الله المُدرَك الكامل الذي يُدرَك ولا يُدرَك كماله، ويحياه ويقيس حب الله فيه؛ وصوّرته ليكون في النهاية على صورة خالقه ليستمتع بالحياة الأبدية ويحيا الخلود وينأى عن العجز والفساد.

هناك قبيل كون العالم وأنت قائم في مجدك مع الله، عندما نويت أنت في أزليتك أن تحمل صورته البائسة التي انحط إليها، لترفعه أنت إلى صورتك في ملء الزمان وعند انتهاء أزمنة شقاء الإنسان، خلعت ثوب مجدك الظاهري لتقوى على حمل اتضاعنا وخساسة طبيعتنا، وأتيت إلينا على الأرض وصرت جسداً، وأنت الكلمة الذي لا تسعك السموات.

وهكذا لما أخذت هيئة بنوتنا. تعرّفنا عليك حالاً أنك أنت أنت ابن الله الذي منك انبثقت كل بنوة، فأنت الحامل للبنوة الإلهية جوهراً وذاتاً، التي كل بنوة في العالم المخلوق هي صورة منك.

وهكذا وأنت أصل كل بنوة، لما حملت صورة بنوتنا اكتشفنا فيك الأصل: وتعرّفنا عليك أنت الابن الوحيد لأبيه. وأدركنا بالروح مقصدك الحميد، أنك لبست صورة بنوتنا لترفعها إلى مستوى جوهر بنوتك. وتعيد الصورة التي ماتت تحيا من جديد، وتنطق باسم الله «يا أبا الآب».

أيها الرب يسوع المسيح **الكلمة** ابن الله الذاتي، لك كل الكرامة والمجد مع الله أبيك، الآن عرفناك أنك أنت أنت الكلمة الذي كان، والكائن في البدء، ومنذ الأزل عند الله.

فبعد ما أكملت استعلان الله بالخلق الناطق بلاهوت الله في كل المصنوعات التي خلقتها، التي تحكي عن جبروت خالقها، تجسدت بشبه خليقتك التي خلقت، مع أنك أنت لا تزال قوام الخلائق طراً، فكلها تستمد وجودها ودوامها بتدبير حكمتك. فأنت حياة ونور كل أحد.

أنت «**الكلمة**» الذي كان، والمستعلن لنا «**ابن الله**» الآن،

هكذا نؤمن وهكذا نعترف: أنك بعد أن أكملت استعلان الله بالكلمة، جئت إلينا لتكمل استعلان الله بالجسد. ولكننا من خلال اتضاع بشريتك أدركنا وتيقنّا من مجد ألوهيتك ومجد الآب الذي أعلنته ببنوّتك. فإن كانت الخليقة هي نفثك، فقد أعطانا الروح نفث شفتيها، فأدركنا أن نور جماله الذي به نراك هو وهج لشعاع نورك؛ وحياتنا ومبقى من حياتك. وحتى الحب الذي يقوّم حياتنا وأجناسنا وأُسرنا وأفرادنا كقانون ينظم كل ذي جسد، هو هو حبُّ الآب فيك الذي منه سكبْتَ هذا الحب في خليقتك لما خلقتَ. فإن كان قانون الحب عندنا هو علة حياتنا الذي يجمع كل جنس ويضم كل أسرة ويوحّد الذكر بالأنثى والابن مع أبيه وأمه، فما ذلك إلا أنك أنت أحببتنا قبل أن تخلقنا وأحببتنا قبل أن تفتدينا، فصار الحبُّ هو علة وجودنا وخلاصنا؛ الذي يحكي بنوة عن الحب الذي فيك من نحونا ونحو أبيك، الذي هو من طبيعتك.

ولم تكتفِ أن يبقى حبك حبيس الخليقة التي خلقت، بل أفضت من روحك القدوس، سِرَّ الحب الأقدس، على أرواحنا فتخطينا حدود الخلائق، وارتقينا بالحب فوق طبيعتنا، والتصقنا بالله فيك، نبقى معه فيك روحاً في روح، لأن «من التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو٦: ١٧)، فبلغنا غاية الحب وبلغنا الرؤية العظمى، لأن «**الذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي**» (يو١٤: ٢١)، وصرنا من «أهل بيت الله» (أف ٢: ١٩).

وهكذا بعد أن كنا عدماً في خليقتك، صرنا بالحب شركاء مجدك، نأخذ منه ونعطيك. وهكذا أكملت استعلان الله فينا إذ سكبت فينا أبوة الله المسكوبة فيك، فاستعلنا الله أباً لنا وورثنا ما هو ليس لنا...

لقد أراد الله أن يكمل حديثه معنا ليعرفنا بحبه، ويكشف لنا عن أحشاء رحمته بعد أن كلّم الآباء بالأنبياء، كلمنا فيك: فتكلمت معنا بفم أبيك: أنت الكلمة والابن والله الناطق بسر الوجود. فتجسدت لتكون أقرب إلينا من أنفسنا، فسمعك سمع الأذن ورآك رؤيا العين. وكابن الإنسان وأنت ابن الله تكلمت مع الإنسان، فكان الصوت صوت إنسان والمتكلم هو الله!!

ولما لبست صورة الترابي بعد أن أخليت ذاتك، لم تستطع أن تخفي ذاتك لأن حضرتك الإلهية كشفت سر اتضاعك، وكان صوت أبيك سبّاقاً لتعريفنا بك: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا» (مت١٧: ٥)

والروح القدس لم يطق صموتاً في السماء بل أخذ جناحي حمامة وطار وحط عليك، فرآه

المعمدان لما استقر عليك، فعرفك ونادى وشهد هذا هو ابن الله. بل وإن روح البنوَّة التي فيك استعلنت مجد بنوَّتك للعيون المفتوحة، فرأوا فيك مجد الابن الوحيد وشهدوا له، ومن ملء لاهوتك أخذ تلاميذك وامتلأوا نعمةً وحقاً.

سجَّلت بأعمالك شهادة لاهوتك، وأعلنت بالكلمة سِرَّ بُنوَّتك الفريدة لأبيك، ففيك استُعلن الآب حالما استُعلنت البنوَّة، وكلاهما كان الصفة الجوهرية التي كانت محتجبة، والقائمة في ذات الله: البنوة مع الأُبوَّة، وهكذا استكملت استعلان الأُبوَّة التي لك خاصة، في الله أبيك والتي نقلت عطفها إلينا وحبها فينا كما هو فيك.

الله لم يره أحد قط، هكذا قلت، ولهذا جئت لتخبرنا أنت وحدك بالخبر اليقين وبما رأيت وعاينت وسمعت، فعليك أنت الكلمة وُضع كل حِمْل استعلان الله منذ البدء.

أنت الابن المحبوب الذي استودعك الله أبوك ملء سِرَّ حبه الأبوي، هذا لم يستأمن أن يرسل سواك إلينا في ختام عهد تأديبنا، لتبلِّغنا حُبَّك كعريس، وتنقل لنا حب أبيك كما هو فيك، وتنقلنا إلى حال العروس في بيت أبيك، وتمنحنا رتبة البنين لله كامتياز ــ في قوة ونعمة بنوَّتك الذاتية لأبيك ــ بعد أن فديتنا بحياتك ودم صليبك، لنرث معك وفيك ميراث البنين، بعد أن كنا عبيداً وكان مقامنا خارج السياجات.

أيها الكلمة الأزلي ذا القوة والجلال، يا مسيح الصليب والقبر والقيامة، يا ابن الله المحبوب لأبيه، الجالس عن يمين العظمة في الأعالي، والمكلَّل بالمجد والكرامة، ما الخليقة كلها في السماء وعلى الأرض بكل أفرادها ومكوِّناتها، والإنسان على رأسها، إلا انعكاسٌ فعالٌ لحب الآب لك ولحبك لأبيك القائم الدائم في الذات الإلهية العظمى، هذا الحب الماسك بأطراف العالم الذي لولاه لانفرط عِقْدُه، بل إن العالم كله والإنسان على رأسه إن هو إلاَّ استعلان في صميم الزمان لسِرِّ الحب الذي كان عند الله في الأزل من نحو العالم والإنسان، الذي كان يكمن فيه سِرُّ خلاص الإنسان، وباستعلان حب الله في الإنسان واستعلان الأُبوَّة والبُنوَّة للإنسان صار الإنسان هو الصورة المجسَّدة الضئيلة التي تحكي عن سر اكتفاء الله في ذاته.

أنت «مَنْ لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً على الأرض.» (مز٧٣: ٢٥)

لك نقدم الشكر مع التسبيح والسجود والمجد الدائم لك مع أبيك الصالح والروح القدس الله الواحد أبينا وسيِّد كل أحد.

«والكلمة صار جسداً» = καὶ ὁ λόγος σὰρξ ἐγένετο (Gr.)

Verbum caro factum est (Vulg)

«صار» هنا ἐγένετο لا تفيد التغيير كما لا تفيد أن الكلمة توقف عن أن يكون الكلمة. لأن «الكلمة» بدء كل ذي بدء، له جوهر الله وطبيعته، لذلك فهو غير قابل للتغيير وغير قابل للتحول. ولكن القول «صار» يفيد اتخاذه درجة في الاستعلان تتناسب مع ضعف إدراكنا، لأن عجز الأنبياء في توصيل «الكلمة» للناس وفشل الناس في إدراك «الكلمة» جعلا الكلمة يأخذ حالة أكثر اقتراباً لإدراكنا، حتى يتمم فيها استعلاناً أكثر لله.

كذلك نجد أن قوله: **«صار»** هنا تتصل بمفهوم عميق مع **«صار»** التي جاءت في الآية ١ : ٣: «كل شيء به **صار**»، إذ نلمح أن ق. يوحنا يكاد يقول أن الكلمة هو أصل ومركز الخليقة القديمة والخليقة الجديدة، فالأولى «به صارت» والثانية «فيه صارت» و«صار هو رأساً لها»، وكأن ق. يوحنا يود أن يقول أنه صار إلى الذي به صار، ومن هنا جاء القول «بكرُ كل خليقة» (كو ١ : ١٥)، لأنه هو أيضاً أول قيامة الأموات!!

كذلك فإن «الجسد» الذي صار إليه وفيه: لا يعبِّر عن جزء من الإنسان، ولكنه تعبير لاهوتي عن طبيعة الإنسان ككل، جسداً ونفساً وروحاً.

وكلمة «الجسد» هي تعبير سائد في العهد القديم يعبِّر عن البشرية ككل، ونسمع ذلك في قول يوئيل النبي (في الترجمة السبعينية): «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل **جسد**...» ἐπὶ πᾶσαν σάρκα، التي جاءت في الترجمة العربية «على كل بشر» (يوئيل ٢ : ٢٨)

والمعنى أن «الكلمة» الذي «كان في البدء، وكان عند الله، وكان الله»، صار إنساناً كاملاً له كل ما للطبيعة البشرية من صفات ـ ما عدا الخطية وحدها ـ وهو هو الكلمة، كما كان قبل التجسد هكذا بقي كما هو بعد التجسد.

وق. يوحنا ـ عن حكمة روحية وبصيرة لاهوتية ـ اختار كلمة «صار»، ولم يقل «أخذ جسداً»، كما يخطىء بعض اللاهوتيين، فهو لم **«يأخذ»** وإلا كان من المحتمل أن **«يترك»**؛ كذلك لم يقل **«حلَّ** في الجسد» مجرد حلول وإلا احتمل الإخلاء والترك؛ بل قال «صار» بحيث يستحيل أن يتراجع فيما صار إليه لأن الصيرورة هنا شملت كيانه كله!

وحينما قال صار **«جسداً»**، فهو بحكمة اختار كلمة **«جسد»**، فهو لا يقصد أنه صار إنساناً

ما مجرد واحد من الناس. ولكنه يقصد أنه صار «**بشراً**» له «**ملء الطبيعة البشرية كلها**». لذلك نسمع المسيح يعطي نفسه اسم «**ابن الإنسان**» ليعبِّر عن البشرية كلها القائمة فيه. وفعلاً قد عبَّر بحياته على الأرض تعبيراً كاملاً عن الطبيعة البشرية بكل ضعفها وأعوازها دون خطأ أو خطية، دون أن يتنازل لحظة واحدة ولا طرفة عين عن كونه «**الكلمة**» الله أو «**الله** الكلمة». وبهذا استطاع أن يرفع الطبيعة البشرية التي صار فيها إلى منتهى الكمال: «لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو١٧ : ١٩). لأن القصد من التجسد هو استعلان أن «**يسوع**» هو المسيَّا «**الكلمة**» الأزلي: «كلُّ روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله» (١يو٤ : ٢)، حيث كلمة «**جاء في الجسد**» تضيف إلى مفهوم «صار جسداً» الأُولى مفهوم الديمومة في التجسد الكامل دون أي تغيير. لأن «صار جسداً» وحدها تفيد الحقيقة أنه صار بطبيعة الإنسان كاملة، أما قوله: «**جاء في الجسد**» فتفيد التواجد في هذه الحقيقة، والإستمرار فيها.

أما **تأكيد التجسد** أو أن الجسد الذي صار به هو **جسد بشري داخل في مسلسل البشرية**، فهذا يقرره بولس الرسول في رسالته إلى رومية: «بولس عبد **ليسوع المسيح**... الذي سبق **فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة** عن ابنه الذي **صار من نسل داود من جهة الجسد**.» (رو١ : ١–٣)

واختصار هذه الآية هو كالآتي: «**يسوع، المسيا، ابن الله، تجسَّد!!**»

ثم إن التأكيد على أن البشرية التي صار بها هي **بشرية حقيقية متألمة وقابلة للموت**، فهذا يصفه أيضاً بولس الرسول: «فالله، إذ **أرسل ابنه في شِبْه جسد الخطية** ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد.» (رو٨ : ٣)

أما قوله: «**شِبْه** جسد الخطية» فهو ليفرقه من «**جسد الخطية**»، فجسد المسيح يحمل كل مكوِّنات جسد الخطية ما عدا الخطية، لأن بشرية المسيح وُجدت — لحظة ما وُجدت — متحدة بلاهوته!! فلم يكن ممكناً أن تداهم — الجسد — عناصر الخطية، بل ولأن جسد المسيح كان **خالياً** خُلوًّا تاماً من عنصر الخطية، استطاع **بلاهوته** أن يدين — أي يحكم ويعاقب ويفرز الخطية بالجسد عندما حمل عقوبتها عليه وهو بريءٌ منها. فالصليب والموت كانا أقصى فضيحة للخطية وأعظم تتويج لجسد الإنسان بالنصرة عليها: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس.» (عب٢ : ١٤)

ولكن السؤال الكبير المحيِّر: كيف أمكن «للكلمة الله» أو «الله الكلمة» وهو في ملء لاهوته

ومجده أن «يصير جسداً»، ويوجد في الهيئة كإنسان؟ بمعنى أن مجد اللاهوت حينما يحلُّ حلولاً ذاتياً ودائماً في جسد إنسان ـــ علماً بأنه كان أكثر من حلول إذ هو اتحاد وصيرورة ـــ فإنه يمنع الجسد من أن يظهر بصورته الطبيعية، فبهاء مجد الله يصعق العين الترابية، وهوذا المثل أمامنا عملياً وواضحاً، فالمسيح نفسه لما استُعلن لبولس الرسول بعد القيامة وهو في مجده لم يحتمله لا بولس ولا الذين معه: «رأيت في **نصف النهار** في الطريق أيها الملك **نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي. فلما سقطنا جميعاً على الأرض** سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني... فقلت أنا "من أنت يا سيد" فقال "**أنا يسوع** الذي أنت تضطهده".» (أع٢٦: ١٣ـــ١٥)

ولكن الذي نعرفه تماماً أن يسوع المسيح حينما كان يعيش على الأرض، لم يكن له هذا النور الذي هو أشد لمعاناً من نور الشمس وقت الظهيرة!

هنا يقول بولس الرسول أنه لكي يحلَّ ملء اللاهوت في الجسد ويتَّحد به، لزمه أولاً أن يتخلى عن مجده الإلهي المنظور: «الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه ἀλλὰ ἑαυτὸν ἐκένωσεν آخذاً صورة (هيئة) μορφήν عبد صائراً في شبه الناس» (في٢: ٦و٧). وهذا هو الذي عبَّر عنه اللاهوتيون باسم «**الإخلاء**» (الكينوسيس) = κένωσις باعتباره عملاً يتبع قدرة الله على كل شيء التي بها يقدر أن يخلي ذاته ـــ في الظاهر ـــ عن مجده.

ولكن هذا الإخلاء لم يُنْقص من كل خصائص اللاهوت التي حلَّ بها الكلمة في «الجسد» **واتحد به**، إذ يقول بولس الرسول: «**فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً**، وأنتم مملوؤون فيه!!» (كو٢: ٩)

من هذا نستطيع أن ندرك مدى عمق وضخامة المعنى في قول ق. يوحنا، وبمنتهى الإختصار: «والكلمة صار جسداً»، فهنا قد بلغ استعلان الكلمة أوَجَ قوته وعمقه وفعله لأن «جسد الكلمة» هذا، الذي هو جسد يسوع المسيح، أصبح أعلى قوة إلهية حصل عليها الإنسان ليدرك الله بها وفيها ويقترب إليه.

فجسد الكلمة ـــ أي جسد يسوع المسيح ـــ صار هو الطريق المفتوح أمام الإنسان إلى الأقداس العليا في السماء: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي **جسده**...» (عب١٠: ١٩و٢٠). لأننا سبق أن قلنا أن يسوع المسيح

«دان الخطية بالجسد»، فبالصليب أي بموت الجسد عن الخطية صار «الجسد» معبراً سِرِّياً إلى الأمجاد العليا.

ثم إن هذا «الجسد» ــ جسد الكلمة يسوع المسيح **ابن الله** ــ الذي **قدَّمه الله نفسه** ذبيحة خطية على مذبح خطية العالم كـ«**حمل الله الذي يرفع خطية العالم**» [فاشْتَمّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة](٢٥)، فأصبح لحمه **يؤكل بالسِرّ، أي بالروح للتقديس.** وهذا نسمعه من فم الرب قديماً متمَّماً بالفعل كنبوة ونموذج لذبيحة المسيح على الصليب يوم الفصح:

ــ «تكون لكم شاةً (حملاً) صحيحةً ذكراً ابن سنة... ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر (نيسان)، ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية، ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها. ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويًّا بالنار مع فطير، على أعشاب مرة يأكلونه... **هو فصح للرب.**» (خر١٢: ٥و٦و٧و٨و١١)

هذا هو المسيح فصحنا، فقد قبضوا عليه وتحفظوا عليه حتى اليوم الرابع عشر ــ بحسب إنجيل يوحنا ــ واشترك كل جمهور جماعة شعب إسرائيل في ذبحه على الصليب «حسب الطقس»، وأهرقوا دمه على الصليب وعلى الأرض، على خلفية من نار الآلام ومرارة التعذيب، فكان هو «**الفصح الحقيقي**» الذي تم على اسمه أول فصح في مصر: «وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التي تُدعى روحيًّا سدوم، **ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً**» (رؤ١١: ٨). هذا هو فصحنا الحقيقي المذبوح لنا: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (١كو٥: ٧)

وكما أن الذين أكلوا الفصح الأول عبر عليهم الهلاك ولم يقتحمهم حسب وعد الله لكل من أطاع وأكل لحم الفصح واختبأ وراء الدم. والذين لم يأكلوا ولم يتحصنوا بالدم أهلكهم المهلك؛ هكذا صار الأكل والشرب من فصحنا الجديد حمل الله الذي يرفع خطية العالم.

الفصح القديم كان بالرمز لنموذج جسدي، أما فصحنا الجديد فبالحق على مستوى الروح: «جسدي مأكلٌ حقٌ ودمي مشربٌ حقٌ... فمن يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦: ٥٥و٥٧)

والإنذار الأول بالهلاك لمن لم يشترك في الفصح بقِيَ هو كما هو:

ــ «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٥٤)

ــ «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم.» (يو٦: ٥٣)

(٢٥) لحن يُقال في أسبوع الآلام، وعلى مدار السنة، في ثيئوتوكية الأحد، وفي صلاة يقولها الكاهن سراً أثناء دورة البخور.

ثم هذا هو بعينه «الجسد» الذي «صار للكلمة».

وهو الجسد الذي بذله عن حياة العالم على الصليب.

وهو الجسد الذي هو بالحقيقة **«خبز السماء»**، **«حبة الحنطة»** التي سقطت من السماء على أرض الشقاء فماتت، ثم قامت واستقامت، وأتت بِغَلَّةٍ وفيرة ملأت أهراء الحياة.

وهكذا يكون بـ«الكلمة صار جسداً» قد صار تأسيس طريق الخلاص للدخول إلى الأقداس العليا، وتأسيس **سر الاتحاد الجديد ــ بالإفخارستيا**. فجسد الكلمة، أي **«يسوع»** المسيح ابن الله، صار خبز الحياة الذي يأكل منه الإنسان ولا يموت. فهنا اتحاد ذو شقين:

الأول: اتحاد على مستوى الطبيعة الإلهية: «كما أن قدرته الإلهية قد وَهَبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى... اللذين بهما قد وُهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١ : ٣و٤)؛ «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣ : ١٩)

والثاني على مستوى الذات، أي شخصي: «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣ : ١٧)؛ «مع المسيح صُلِبْتُ فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسْلم نفسه لأجلي» (غل ٢ : ٢٠)؛ «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو ١٤ : ٢٣)

فكل هذه النعم والمواعيد العظمى والثمينة، وهذا الخلاص العجيب، وهذا الحب الإلهي الذي جعل هياكل أجسادنا وأرواحنا منزلاً مريحاً لسكنى الآب والمسيح والروح القدس لتغيير طبيعتنا وتقديسها، وهذه الشركة والزمالة والمؤازرة في الحياة الحاضرة مع شخص الكلمة يسوع المسيح ابن الله؛ كل هذا تم لما انتهى «الكلمة» إلى قراره الأخير: «أن يصير جسداً».

والآن يلزمنا أن نعود لندقق في المعاني اللاهوتية التي يتضمنها **«التجسد»** حتى نتجنب الإنزلاقات التي وقع فيها أئمة الهراطقة الذين خرجوا عن حدود الإيمان الصحيح بالتجسد:

١ ــ البشرية التي «صار» إليها وبها الكلمة ــ أي التجسد ــ **هي بشرية كاملة وصحيحة للإنسان الكامل**. وهذا ما وقع فيه أبوليناريوس الذي قال بأن البشرية التي أخذها المسيح لنفسه لم تكن كاملة. فهو أخذ جسداً ولكن هذا الجسد لم يكن جسماً كاملاً كما لإنسان عادي.

٢ ــ البشرية التي صار بها المسيح **كانت بشرية حقيقية ودائمة**. وهذا ما وقع فيه جماعة الغنوسيين (العارفين) الذين قالوا أن الكلمة أخذ جسداً حسب الظاهر فقط ولمدة قصيرة وبقي غريباً عن نفسه. فالكلمة عندهم صار جسداً ولكنه لم يلبس هذا الجسد. كما ضلَّ **الدوسيتيون**

الذين قالوا إن الجسد كان خيالاً أو شَبَهاً فقط. ولم يكن حقيقياً.

٣ ــ **إن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية اتحدتا بالتجسد اتحاداً كلياً وكاملاً وصارتا واحداً.** ولكن هذا الاتحاد لم يغيِّر شيئاً من كلتا الطبيعتين، كلٌّ في مجاله، فهو **«إله متأنس»** وليس إلهاً وإنساناً وكأنه ازدواج للشخصية. فلم يأتِ عملاً إلهياً دون أن يكون الجسد شريكاً فيه، ولم يعمل عملاً جسدياً دون أن يكون اللاهوت شريكاً فيه. فلما أقام لعازر من الموت، أقامه بقوة لاهوته وبصوت فمه معاً.

ولما مات، مات بالجسد، واللاهوت فيه لم يفارقه حيًّا وميِّتاً، لذلك لم يفسد الجسد ولذلك قام!! ولذلك أيضاً كان موته نصرة للجسد والروح معاً وكان فداءً وخلاصاً! فإذا لم يكن اللاهوت ملازماً وشريكاً في الآلام والموت لاستحالت الآلام أن تكون آلاماً خلاصية والموت موتاً فدائياً. فالله فدانا بالجسد، والدم كان دماً إلهيًّا. «فكم بالحري يكون **دم المسيح الذي بروح أزلي** قدَّم نفسه لله.» (عب٩: ١٤)

ولما قال: «أنا هو القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥)، قالها على أساس **لاهوت** القيامة الكائن في الجسد المتحد به؛ فلما قام، **قام بقوة لاهوته وبالجسد.** ولما بكى، كان ذلك أعظم تعبير عن شركة اللاهوت (الله) في أحزان الإنسان موضَّحاً بالجسد: «في كل ضيقهم تضايق...» (إش٦٣: ٩)

وهكذا لم يأتِ المسيح عملاً إلاَّ واللاهوت له فيه كما للناسوت. لأن بعد الاتحاد لا يمكن أن تعمل أي طبيعة منهما بانفراد عن الأخرى، لأن شخص المسيح، أي أقنومه، واحد هو الذي جمع الطبيعتين ووحَّدهما في واحدية ذاتية، فيستحيل عليه أن يكون له مشيئتان ولا إرادتان ولا قولان ولا نظرتان قبالة موضوع واحد. فجاءت أعماله كلها تنطق بوحدة **بشرية كاملة ناضجة نفساً وجسداً وروحاً، مع لاهوت كامل فعال على مستوى الله قوة وسلطاناً ومجداً.**

وهذا كله واضح لا يحتاج إلى مجادلة في قول ق. يوحنا «والكلمة **صار** جسداً». و**«صار»** هنا تنص وتؤكِّد على عملية توحيد سرِّي فائق للغاية أتاها الكلمة مع الجسد في ذاته ليعيش فيه إلى الأبد ويعمل به كل أعمال الخلاص، بل ويمجد به الله والآب، بل ويعيش به في مجده الذي كان له قبل إنشاء العالم، فكلمة «صار» أصبحت هي مركز الوحي اللاهوتي الصحيح. لأنه وإن كانت كلمة «صار» في قوله «والكلمة صار جسداً» تحمل في طيَّاتها عمليات إلهية سرية خطيرة في معزل عن قدرة فكر الإنسان، وهيهات للإنسان أن يبلغ مداها؛ إلا أن شيئاً واحداً يتحتَّم علينا

أن لا نفوته، وهو أنه إذا لم يكن قد صالح الله «الكلمة بالجسد» لما «صار الكلمة جسداً»، لما أمكن أن يصالح الكلمةُ المتجسد الله بالإنسان! أو كيف يصالح الآب الكلي القداسة بالإنسان الذي بلغ الحضيض في الخطية والنجاسة؟

وإن كان المسيح الكلمة المتجسد قد وقف يتشفع ويحامي ويطلب لدى الله الآب عن الإنسان الخاطىء، مُطالباً الله أن يجعله واحداً في الآب والابن: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يو١٧: ٢١)، لأن رسالة المسيح «الكلمة المتجسد» تتركز وتتلخص في هذا المطلب الواحد الأخير أن الإنسان يصير واحداً مع الآب والابن؛ فكيف يُتصور أن يكون الكلمة قد أخفق في أن يوحّد اللاهوت بالناسوت إلى واحد في نفسه؟

وعندما قال المسيح: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو١٧: ٢٣)، فهل لم يكن يحسب حساب الناسوت الذي له؟ وكيف يُعقل أن نصير نحن **واحداً في المسيح، وواحداً في الآب مع المسيح**، ونبلغ إلى **«الشركة في الطبيعة الإلهية»**، إذا تصورنا أن المسيح نفسه قد أخفق أن يُصيِّر اللاهوت والناسوت **واحداً** فيه؟!

إذن، فإيمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هو إيمان إنجيلي بالدرجة الأولى، ولاهوتها هو من عمق أعماق لاهوت إنجيل يوحنا؛ عندما تقول أن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية صارتا **واحداً** بالاتحاد في أقنوم الكلمة المتجسد وليس اثنين بعد الاتحاد، وأن المسيح كانت له بالتالي حتماً وبالضرورة مشيئة واحدة وإرادة واحدة.

هذا الأمر اختلط على أوطاخي إذ اعتبر أن اتحاد الطبيعتين أنشأ طبيعة ثالثة، واحدة، كانت فيها الطبيعة البشرية منسحبة وكأن لا وجود لها. فسمّاه اللاهوتيون Monophysite وألصقوا هذا الإصطلاح بالكنيسة القبطية، وهي من الأوطاخية ومن هذا الإفتراء براء!!

فعندنا «الكلمة صار جسداً» تعني أن كلّاً من الكلمة والجسد صارا واحداً، يعملان معاً بانسجام فائق، نتيجة اتحاد كامل، إذ وحّد بينهما المسيح في ذاته ليعملا عملاً واحداً بمشيئة واحدة وإرادة واحدة ورأي واحد هي مشيئته وإرادته الذاتية الواحدة التي يستمدها من الآب. وفي وحدة الطبيعة والذات التي عاش بها المسيح ويعيش بها حتى الآن وإلى الأبد مع الله، سيظهر بها كما كان يعيش فيها على الأرض: «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله، **لأننا سنراه كما هو.**» (١يو٣: ٢)

٤ ــ إن بشرية المسيح **كانت عامة وليست بشرية فردية.** فهو كان، ونادى بأنه **«ابن الإنسان»** أكثر مما عُرف أنه من الناصرة أو الجليل أو ابن داود. كما كانت بشريته كاملة تسمو فوق اعتبارات الجنس ذكراً أو أنثى. وهذا واضح ومُضمَّن في قول ق. يوحنا «صار **جسداً**» ولم يقل صار إنساناً ــ وهذه لَفْتة بديعة ــ حتى يشمل كل ما للإنسان دون أن يستثني شيئاً منه.

٥ ــ قولنا أن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية اجتمعتا واتحدتا إلى واحد في شخص «الكلمة»، أي يسوع المسيح، ثم قولنا أن المسيح وحّدهما إلى واحد في ذاته، وبناءً على ذلك **كانت له مشيئة واحدة وإرادة واحدة،** هذا يقطع خط الرجعة على كل أشكال «النسطورية» التي قالت أنه كان له شخصية إلهية بجوار شخصية بشرية كل منهما تعمل عملها الخاص بها. وذلك نشأ بضرورة الحال لمّا اعتبروا أن الطبيعتين اللاهوتية والبشرية لم تأتيا فيه إلى اتحاد ووحدة!! فعندهم كل طبيعة برزت بشخصية تحمل خواصها. وهذا تقسيم شنيع في شخص المسيح الواحد. علماً بأن «الكلمة الذي كان في البدء، وكان عند الله، وكان الله، والكلمة صار جسداً»؛ نقول أن شخص الكلمة أو أقنومه لما صار جسداً لم يأخذ شخصية جديدة عما كان له، ولم يغيِّر شخصيته الإلهية، بل نسمع المسيح ــ أي الكلمة المتجسد ــ يقول بقوة وجلال **«أنا هو»:** «أنا هو الحق والحياة والنور» **!!!** «وقبل أن يكون إبراهيم **أنا** كائن»، و«إن لم تؤمنوا أني **أنا هو** تموتون في خطاياكم» (يو٨: ٢٤)، «وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء **ابن الإنسان الذي هو في السماء.**» (يو٣: ١٣)

٦ ــ **إن الطبيعة البشرية التي صار فيها الكلمة تأثرت تأثراً مباشراً باللاهوت،** فبعد أن كانت تحت لعنة الموت رفع عنها الكلمة هذه اللعنة بلاهوته لحظة صار فيها، وفي هذا يقول القديس كيرلس الكبير: [لأنه كان من الضروري عندما صار الجسد جسداً له أن يشترك في عدم الموت الذي له ــ أي الذي للكلمة.][26]

٧ ــ كذلك **فالطبيعة البشرية التي صارت للكلمة وصار الكلمة لها لما أخذت قوة عدم الموت أخذت فيها قوة القيامة من الأموات.** لذلك قام الجسد من الموت دون أن يُمسك فيه.

وهكذا فإن قول ق. يوحنا «والكلمة صار **جسداً**» فتح أمام اللاهوتيين كل كنوز اللاهوت التي كانت مخبأة لحساب **«الجسد»** الكلي أي البشرية عامة. لأن التجسد كان في حقيقته تنازلاً

---

[26] Cyril of Alexandria, *op. cit.,* p. 109.

إلهياً سخيًّا إلينا، حاملاً على ذراعيه كل ما يمكن أن يعطيه الله للإنسان مما كان هو محتاجاً إليه أو مما كانت محسوبة له أصلاً في الخليقة الأُولى وفقدها بالخطية وبالبعد عنه.

هذه العطايا الإلهيَّة السخيَّة، حمَّل الله أصولها ونموذجها الكامل لجسده أي بشريته، التي صيَّرها له وصيَّر نفسه لها كعيِّنة لما هو مزمع أن يصنعه في جسد البشرية. ولو أدركنا هذه الحقيقة لأدركنا سر لاهوت بولس الرسول كله، بل وسِرِّ إنجيل يوحنا وبقية الأناجيل وكل أقوال المسيح:

أ ــ فبولس الرسول فهم «الكلمة صار جسداً» بأن ملء اللاهوت حلَّ في جسد الكلمة «فإنه فيه يحلُّ **كل ملء اللاهوت جسدياً**» (كو٢: ٩). فيتمسك بذلك بولس الرسول بالحرف الواحد، كما أصبح حقاً لنا أن نمتلىء منه أو فيه: «لكي **تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف٣: ١٩)، «وأنتم **مملوؤون فيه**» (كو٢: ١٠). أو حسب تعبير ق. يوحنا «ومن **ملئه** نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة.» (يو١: ١٦)

ب ــ ولأن **لعنة الموت** رُفعت عن «جسد الكلمة» وحل محلها **قوة القيامة وملء الحياة الأبدية** نتيجة الاتحاد الإلهي، كذلك أصبح لنا هذا الحق عينه:

«مَنْ آمن بي ولو مات **فسيحيا**، وكل مَنْ كان حيًّا وآمن بي **فلن يموت إلى الأبد**.» (يو١١: ٢٥و٢٦)

«مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله **حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**.» (يو٥: ٢٤)

«مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله **حياة أبدية** وأنا **أُقيمه في اليوم الأخير**.» (يو٦: ٥٤)

وهنا قوة ومركز الإفخارستيا المنقطع النظير، المترتب أصلاً على أن «الكلمة صار جسداً»، إذ أن «الجسد» بمفهوم «**اللحم**» و«**الدم**» في الكلمة أي «جسد الكلمة» صار فيه وصار له كل ما للكلمة من قوة إلهية مذخرة فيه وعاملة به للشفاء من الموت، لذلك سمَّاه الآباء «ترياق (دواء) عدم الموت»؛ بل ولإعطاء الحياة الأبدية، بل ولأخذ قوة القيامة ونور الخلود، لأنه «**جسد الكلمة**» أو إن جاز القول «**جسد الله**» أو «**جسد الحياة الأبدية**» أو «**جسد النور**»!! فانظر أيها القارىء وتمعَّن كيف يأكل ويشرب الإنسان بالسرِّ «جسداً» مُذَّخراً فيه كل كنوز الله هذه مجاناً.

ب ـــ «وحلَّ بيننا»:

كلمة «حلَّ» تأتي في اليونانية ἐσκήνωσεν . وأصل الكلمة مأخوذ من كلمة الخيمة σκηνή. وهكذا فهي تشير إلى السُّكنى أو الحلول كما يضرب الإنسان خيمة على الأرض.

ثم تأتي كلمة «بيننا» ἐν ἡμῖν لتزيد معنى الإقامة في خيمة وسط شعبه، إشارة إلى الحياة التي سيحياها على الأرض. فهي لا تعني السُّكنى فقط بل الإقامة والمعيشة. والحياة في الجسد كما في خيمة هو تراث فكري يهودي نسمع عنه من بطرس الرسول «عالماً أن خلع مسكني (الأصح خيمتي σκηνώματός μου) قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً.» (يو٢١: ١٨و١٩؛ ٢بط١: ١٤). وكذلك عند بولس الرسول «لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا σκήνους الأرضي (الجسد) فلنا في السموات بناءٌ من الله بيتٌ غيرُ مصنوعٍ بيدٍ أبديٌّ.» (٢كو٥: ١)

ولكن قصد ق. يوحنا الأساسي من ذكر هذا التعبير ـــ أي الحلول في الخيمة ـــ هو رفع أبصارنا إلى ما صنع «يهوه» الرب قديماً عندما حلَّ في خيمة الاجتماع وسط شعب إسرائيل.

ـــ «ثم غطَّت السحابة خيمة الاجتماع **وملأ بهاءُ الربِّ المسكنَ** ἡ σκηνή، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع.» (خر٤٠: ٣٤و٣٥)

ـــ «لأني لم **أسكنْ** في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي **مسكن** ἐν σκηνῇ .» (٢صم٧: ٦)

وبهذا يكون ق. يوحنا قد ربط بين حلول يهوه قديماً في خيمة الاجتماع وسط الشعب حيث ملأ بهاؤه المسكن، وبين حلول الكلمة في خيمة جسده الذي لم يستطع أن يخفي بها مجده عن أصحاب العيون المفتوحة «ورأينا مجده»، بالرغم من الإخلاء الظاهري الذي أجراه في ذاته ومن اتضاع هيئة جسده.

والعجيب أن الروح لا يتركنا بلا توضيح، فالنبوات لم تترك حتى هذا الحلول والسُّكنى في آخر الأيام دون إشارة؛ فنسمع عنه من زكريا النبي «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني **هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب.**» (زك٢: ١٠)

هذا من جهة الحلول **«في وسطنا»**.

كما يعطينا حزقيال النبي صورة أخرى للحلول «من فوق»: «ويكون **مسكني فوقهم** وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً.» (حز٣٧: ٢٧)

ولا نستغرب قوله: «مسكني "**فوقهم**"»، فهو في الواقع كان موضع سُكنى يهوه الرب العظيم داخل خيمة الاجتماع **فوق «الغطاء»** على التابوت. وغطاء التابوت هذا له شأن عظيم جداً سواء في اللاهوت العبري القديم ــ وكان اسمه عندهم **«الشاكيناه»**، وهو **«السكن»** أي **«موضع السُّكنى»**، وطبعاً دون ذكر اسم «الله» احتراماً وتوقيراً ــ أو في اللاهوت الطقسي في الكنيسة القبطية (الإيلاستيريون)(٢٧). «وصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وصنع كروبين (الشاروبيم) من ذهب... وكان الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مُظلِّلين بأجنحتهما فوق الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر» (خر٣٧: ٦ــ٩). وقد حدَّد الله مكان تواجده على هذا الغطاء هكذا:

ــ «وقال الرب لموسى كلِّم هارون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب **أمام الغطاء** الذي على التابوت لئلا يموت، **لأني في السحاب أتراءى على الغطاء.**» (لا١٦: ٢)

ــ «وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك **من على الغطاء** من بين الكروبين، اللذين **على تابوت** الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل.» (خر٢٥: ٢٢ ــ الترجمة البيروتية)

ــ أما الترجمة السبعينية: «وسأُعلن لك نفسي γνωσθήσομαί σοι من هناك **وأتكلم معك من فوق الغطاء** = ἱλαστηρίου من بين الكروبيْن اللذين فوق تابوت الشهادة بكل الأشياء التي أكلِّفك بها بخصوص بني إسرائيل».

وفي العبري تُترجم «الإيلاستيريون» بـ«الكابوراة» kappōreth، ويترجمه بعض العلماء بكرسي الرحمة، إشارة إلى مركز المسيح الشفاعي؛ ولكن معظم العلماء المدققين يربطون معناها بالكفَّارة وليس بالشفاعة، لأن المعنى الجذري في العبرية يقوم على الذبيحة، فهو معنى ذبائحي ينسجم مع الكفَّارة وليس الشفاعة. لأن رئيس الكهنة يدخل مرة واحدة في السنة في يوم الكفارة إلى قدس الأقداس لينضح من ذبيحة الخطية على الكَبُّوراة أي غطاء التابوت أي الإيلاستيريون. وبولس الرسول يقطع بأن المسيح قد صار هو الإيلاستيريون وقد تخضَّب بدم نفسه فصار الكَبُّوراة الإلهية والكفَّارة الدائمة (رو٣: ٢٥).

من هذا يتضح أن عبادة يهوه قديماً ارتبطت بخيمة الاجتماع وحلوله فيها وكان مركز خيمة الاجتماع الأقدس هو التابوت، وأقدس ما في التابوت هو غطاؤه حيث يسكن يهوه بصفة دائمة:

---

(٢٧) على القارئ الرجوع إلى تاريخ شعر كيف حيث يتكرر ذكر «الإيلاستيريون» مئات المرات باهتمام كبير للغاية. وهو نفس الاهتمام والتركيز الذي كان يعنيه الشاكيناه عند العبرانيين.

كما يُفهم من الآيات السابقة.

وفي اللاهوت العبري، يُعتبر الغطاء هذا أو الشاكيناه هو موضع **«سكن»** يهوه المقدس الدائم سواء في ترحاله قديماً أو إقامته الدائمة في الهيكل. وقد قدَّس العبرانيون اسم الشاكيناه «السكن» وجعلوه عوض اسم الله أو «الحضرة الإلهية»، فجاءت الترجمة العبرية للآية: «ويجعلون لي مَقْدِساً (هيكلاً) لأسكن في وسطهم» (خر٢٥: ٨) في الترجوم هكذا: «وسأجعلُ الشاكيناه تسكن في وسطهم»[٢٨]. لذلك فإن قول ق. يوحنا «وسكن بيننا» كان يهدف بقوة إلى لفت أنظارنا إلى الحضرة الإلهية أو موضع سكناه في القديم.

وقد التقط آباء الكنيسة القبطية الأوائل هذا الوضع الفائق والممتاز لغطاء التابوت = الشاكيناه (السكن)، وجعلوه تعبيراً عن التجسد، وجعلوا العذراء القديسة مريم هي الغطاء الذهب الذي حلَّ **عليه** الله، أو سكنت فيه الحضرة الإلهية.

غير أن بولس الرسول استخدم لفظة «الغطاء» ἱλαστήριον بمعنى الكفَّارة في الآية: «الذي قدَّمه الله كفَّارة ἱλαστήριον بالإيمان بدمه» (رو٣: ٢٥)، وهي الكلمة العبرية الأصل «كبُّوراة» المسماة أيضاً «كرسي الرحمة».

من هنا جاءت النبوة «ويكون مسكني "**فوقهم**" وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً» (حز٣٧: ٢٧). فإنجيل لوقا يسجل لنا كيفية مدخل الكلمة إلى الجسد الذي حلَّ فيه هكذا «الروح القدس "**يحل عليك**" **وقوة العليِّ** "**تظلِّلك**"، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله» (لو١: ٣٥). فهنا واضح أنه بدأ سكناه هكذا **«يحلُّ عليكِ»**، وبدأ مجد الله وقوته تخيِّم **«فوق»** جسد البشرية الممثَّل في العذراء القديسة الثيئوتوكس.

ويحلو لنا أن نكمِّل بأن ترحال يهوه قديماً «ساكناً» وسط شعبه، من خيمة إلى خيمة ومن موضع إلى موضع مع الشعب التائه أربعين سنة، وفي العبور الإعجازي للأردن، حيث التابوت كان يتقدم المسيرة، ثم الإقامة الساخطة في وسط شعب متمرد غليظ الرقبة الذي أعطوه القفا دون الوجه جزاء ترحاله المضني معهم هذه السنين كلها، أخيراً وأخيراً جداً استقر في **«جسد الإنسان: الشاكيناه الحقيقي والحضرة الحقيقية لله»**، التي وثَّق أعمدتها في السماء وعلى الأرض: «وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو٣: ١٣)

---

[28] Raymond E. Brown, *op. cit.*, vol. I, p. 33.

ليعيش فينا ومعنا دائماً وإلى الأبد «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت٢٨: ٢٠)

ج ــ «**ورأينا مجده**»(٢٩):

واضح أن «**حلَّ بيننا**» بمفهومها المنطبق على سكنى الحضرة الإلهية في الجسد على مستوى خيمة الإجتماع لا بد أن يرافقها استعلان المجد. وهنا يقدم ق. يوحنا شهادته كواحد من الذين رأوا هذا المجد.

وكلمة «رأينا» ἐθεασάμεθα باللغة اليونانية تتبع مجموعة الرؤية غير العضوية التي ليست بالعين بل بالإيمان للاستعلان. فكلمة «يرى» باليونانية عند ق. يوحنا وردت على ستة تركيبات تختلف في اللفظ بعضها عن بعض، بينما هي تأتي في الترجمة العربية بتركيب واحد: «يرى»، أما في اليونانية فهي:

ὁρᾶν, ἰδεῖν, ὄψεσθαι, βλέπειν, θεᾶσθαι & θεωρεῖν

وهي تنقسم إلى ثلاث مجموعات كلٌ منها له موضع خاص للتعبير عن نوع من الرؤيا الخاصة. ولفظة ἐθεασάμεθα هنا تتبع الرؤيا الخاصة بالاستعلان، سواء بخصوص حادثة أو لشخص المسيح نفسه الذي يستعلن ذاته من خلال كلماته وأعماله. وهذا النوع من الرؤيا لا يتبع الرؤيا الروحية التي للروحيين، التي يروا بها ما لا يُرى، ولكنها هنا رؤية الإيمان البسيط الذي يستعلن الحق بمقدار ما يعلن الحق ذاته. وهذا كان سلوك المسيح العجيب، الذي كان يعمل ويتكلم مُعلناً الحق الذي فيه، الذي كلُّ مَنْ كان عنده حاسة الإيمان كان يقبله ويؤمن، لأنه كان يرى الحق الذي فيه. وهذا النوع من الإيمان أو رؤية الإيمان لا يحتاج في الحقيقة للرؤية العينية وهو الذي نص عليه المسيح بقوله لتوما: «لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا **ولم يَرَوْا**» (يو٢٠: ٢٩). هذه الطوبى المذخرة **في رؤية الإيمان بلا عيان** هي التي بقيت لنا حتى اليوم كما يقول بطرس الرسول: «الذي وإن **لم تروه** تحبونه، ذلك وإن كنتم **لا ترونه** الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد.» (١بط١: ٨)

هنا يتحتَّم علينا، أيها القارىء العزيز، أن نوضح قيمة رؤية الإيمان غير العيني ἐθεασάμεθα، إذ أنه أصلاً قام على رؤية علنية منظورة ومحسوسة إذ كانت تخص الكلمة المتجسد، هذه الرؤية العلنية التي ارتفعت عندهم إلى رؤية غير مُعتمِدة على النظر والسمع، هذه هي الرؤية

(٢٩) أنظر توضيح معيار «المجد» في المدخل ص١٢٣ــ١٢٨.

الإيمانية الصرف، التي سلّمها الرسل للكنيسة، فصارت هي أساس الإيمان القويم غير المعتمد على المشاهدة ورؤيا العين، ولكن بقي الرسل هم أساس هذا الإيمان الوحيد. لذلك نحن نؤمن بالرسولية الكنسية عن حق وأصالة وضرورة حتّمتها رؤيتهم ἐθεασάμεθα القائمة على الرؤية العينية والمشاهدة واللمس التي اختُصّوا بها وحدهم دون جميع من رأوا الرب. لهذا صار الإيمان الرسولي المؤسس على ἐθεασάμεθα هو ذخيرة الكنيسة، التي عليها نعيش، وبها نتمسك كمَنْ يمسك بالحبة الأثمن.

وهذا الأساس الرسولي الإيماني القائم على الرؤية الإيمانية غير العينية ἐθεασάμεθα يضعه ق. يوحنا الرسول موضع الشهادة الرسولية، لكي تُعمد بختم رسولي: «ونحن قد نظرنا τεθεάμεθα ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلّصاً للعالم» (١يو٤: ١٤)؛ «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ἐθεασάμεθα ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة...» (١يو١: ١). لذلك نستطيع بكل يقين أن نقول أن الإيمان غير العيني القائم على الرؤيا الصادقة هو إيمان تاريخي بالدرجة الأولى، له جذر تاريخي عاينه الرسل وعاشوه، لأن الله ظهر في الجسد وفي التاريخ. لهذا فكل من بلغ بالحقيقة إلى رؤية الرسل هذه ἐθεασάμεθα لابن الله يكون قد بلغ الرؤية الأمثل بكل تأكيد، أي يكون قد واجه معجزة التجسد ووضع يده على الجسد ورأى وشاهد ولمس، وذلك من خلال إيمان الرسل وشهاداتهم. لذلك لم تصبح معجزة التجسد حبيسة تاريخ جيل الرسل. لقد استطاع الرسل بالرؤيا غير العينية ἐθεασάμεθα أن يجعلوا معجزة التجسد معجزة كل جيل. لقد أخرجوها من حيِّزها التاريخي إلى ما هو فوق التاريخ وبعده.

ولعل أقوى المواضع التي ذُكر فيها كيف شوهد المجد علناً وعياناً هو حادثة التجلي، ولو أن ق. يوحنا لم يذكرها مع أنه كان أحد ثلاثة شهود لها، وقد سجّل هذه الحادثة كلٌّ من الأناجيل الثلاثة: «**أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب** وصعد إلى جبل ليصلي. وفيما هو يصلي **صارت هيئة وجهه متغيرة** ولباسه مبيضاً لامعاً. وإذا رجلان يتكلمان معه وهما **موسى وإيليا**، اللذان **ظهرا بمجد**، وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمّله في أورشليم. وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم. فلما استيقظوا رأوا **مجده** والرجلين الواقفين معه. وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع: يا معلم جيد أن نكون ههنا. **فلنصنع ثلاث مظال** σκηνάς لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة. وهو لا يعلم ما يقول. وفيما هو يقول ذلك كانت **سحابة فظللتهم** فخافوا عندما دخلوا في السحابة. وصار صوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا» (لو٩: ٢٨-٣٥)

وفي هذا الحادث نلتقط عدة أمور تهمنا في شرح الآية التي نحن بصددها:

١ ــ «أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب».

٢ ــ «صارت هيئة وجهه متغيرة» يقول عنها القديس متى في إنجيله: «**وتغيرت هيئته** μετεμορφώθη (تجلى)، **وأضاء وجهه كالشمس**، وصارت ثيابه **بيضاء كالنور.**» (مت١٧: ٢)

٣ ــ **«موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد».**

٤ ــ **«فلما استيقظوا رأوا مجده».**

٥ ــ «**فلنصنع ثلاث مظال** لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة».

٦ ــ «**كانت سحابة فظللتهم». يقول عنها القديس متى الإنجيلي أنها «سحابة نيِّرة».

٧ ــ «وصار صوت من السحابة قائلاً **هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا**».

ونحن إذا عدنا إلى الحادثة المماثلة في العهد القديم مع موسى، نجد الآتي: «فصعد موسى إلى الجبل فغطَّى السحاب الجبل وحلَّ مجد الرب على جبل سيناء وغطَّاه السحاب... وكان منظر مجد الرب كنار آكلة...» (خر٢٤: ١٥و١٦و١٧)

ففي هذا المنظر وكل مناظر استعلان مجد يهوه الله في العهد القديم نجد أنه بمجرد اقتراب الله من الشعب، أو بالأكثر من موسى وهارون، أو اقتراب موسى وهارون أمام الله، كان يصاحب ذلك ظهور واستعلان مجد الله! فإن كان الأمر هكذا في القديم فكم وكم بالحري بعدما اقترب الله ثم اقترب ثم تواجه مع الإنسان داخل الإنسان كيف لا يستعلن مجده فيه!

وإن حادثة التجلي تجمع الظهورين معاً والمجدين معاً: مجد الآب في السحابة النيِّرة التي ظللتهم مع صوته الآتي من المجد الأسنى، مع مجد الابن ونور الكلمة يغشى «الجسد» فيجعل الوجه يضيء كالشمس.

ثم علينا أن نعود إلى ذاكرة القديس بطرس لنسمع منه ما يتذكره عن حادثة التجلي هذه بعينها:

ــ «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة، إذ عرَّفناكم **بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه**، بل قد **كنَّا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً** إذ أقبل عليه **صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سُررتُ به.** ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء **إذ كنَّا معه** في الجبل المقدس.» (٢بط١: ١٦ــ١٨)

واضح من هذه الشواهد أن ق. يوحنا حينما قال: «**ونحن**»، **فهو يقصد** الخاصة جداً من تلاميذه وهم الثلاثة الذين كان قد انتخبهم من الاثني عشر ليُطلعهم على سِرّ مجده هذا، كما أُطلع موسى سابقاً على الجبل في سيناء، حيث تقول النبوة أنه «**سيراه كل بشر**» (إش ٤٠ : ٥)

وقد يظهر تعارضٌ في قول النبوة قديماً على فم إشعياء النبي بخصوص هذه الرؤية وهذا المجد: «عزُّوا عزُّوا شعبي يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوتُ صارخٍ في البرية أعِدُّوا طريق الرب، قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاءٍ يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوجُّ مستقيماً والعراقيب سهلاً. **فيُعلن مجد الرب ويراه كل بشر معاً لأن فم الرب تكلم.**» (إش ٤٠ : ١ ــ ٥)

ولكن كان دأب الأنبياء أن يختصروا الزمن اختصاراً، والآلاف السنين تصير غداً أو سريعاً. لأن الرؤيا تكون في وهج شدتها متجمعة معاً وليست موزّعة على السنين والأجيال. وقد تم بالفعل الجزء الأول **من الإعلان عن مجد الرب**، ورآه الأخصّاء والمقرَّبون والمختارون والمفديُّون. **فمجَّدوا** صاحب المجد. **أما الجزء الثاني من الإعلان عن مجد الرب فهو مؤجل** للجزء الباقي من البشرية حينما يرونه في مجيئه الثاني، في ملء مجده ومجد أبيه مع ملائكته (مت ٢٤ : ٣٠، رؤ ١ : ٧).

وقوله: «**رأينا**»، فهو يتكلم عن رؤيا غير عادية كانت تحت سحابة نيِّرة، أي في الحضرة الإلهية، التي تطابق حضور «يهوه» قديماً على جبل سيناء، في السحابة التي ظلّلته. وهنا إشارة سرِّية إلى التعرُّف على شخصية المسيح. وحضور موسى وإيليا في التجلي **بمجد** هو إشارة ضمنية إلى قوله: «مشهوداً له من الناموس (موسى) والأنبياء (إيليا)» (رو ٣ : ٢١). وكلمة «**بمجد**» بالنسبة لموسى وإيليا تفيد ارتفاع كرامة الناموس والأنبياء في أشخاص ممثِّليهما موسى وإيليا.

وقوله: «**رأينا مجده**»، فهو يقصد مجد «الكلمة بعد أن صار جسداً» أي يسوع المسيح. وقد اتضح من تسجيلات حادثة التجلي أنه فعلاً تغيرت هيئته الجسدية ولمع وجهه كالشمس وبيضّت حتى ثيابه كالنور. ويصف القديس بطرس هذا المجد الذي رآه على الجبل أنه عاين عظمته. أي **جلاله** μεγαλειότητος **وقدرته** δύναμιν، وأنه أخذ من الآب كرامة τιμὴν **ومجداً** δόξαν : «**مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً**».

هنا فإن تكرار كلمة «المجد» هو بقصد التركيز ولفت الانتباه لكي لا نتوه في تواضع «الجسد» أو في مضمون الإخلاء. فالمجد مُعلَنٌ ومنظور للعيون التي لا يلزمها الإخلاء والتي

أدركت حقيقة «الكلمة» اللوغس، مهما تنازل وأخذ منظراً: **«هكذا مُفْسَداً أكثر من الرجل»** حسب قول إشعياء النبي (٥٢ : ١٤). لأن خطيئتنا هي التي حتّمت على العين الضعيفة أن تراه **«لا منظر (له) فنشتهيه.»** (٥٣ : ٢)

أوَ ليس **«الكلمة»** اللوغس هو صوت الله ونداؤه، وهو قوله وأمره، فكيف نسمع صوت الله من فم اللوغس ولا نحس بالمجد المحاط به، هذا إذا أحسنّا الرؤيا؟ لأنه حتى اليهود العاديون لمحوا في كلامه مجد الله وسلطانه «لأنه كان يعلّمهم كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة» (مت٧ : ٢٩)!! أو بمعنى متقدم قليلاً عن الآية، إن المجد الذي رأوا ما هو إلا حب الآب منطبعاً عليه فلم يستطع أن يخفيه، واستطاعوا هم أن يستشفّوه من فيض النعمة التي كانت عليه والحق الخارج منه الذي يهز كيان الإنسان الروحي.

وهذا المجد الذي رأوه فيه الذي هو حب الآب المنطبع عليه هو هو الذي جعل من الذين قبلوه أولاداً لله، أي أن هذا الحب نفسه أو المجد نفسه لما آمنوا به أدْخلهم في مجاله فصاروا أولاد الله أي الحائزين على الحب الأبوي.

ونلاحظ أنه بظهور الكلمة في الجسد صار استعلان المجد الذي فيه. وقول ق. يوحنا أن هذا المجد لمحوه وتيقّنوا منه أنه مجد ابن وحيد لأبيه أو بالحري هو مجد الآب للابن الوحيد، هذا يوضّح لنا سرًّا من أخطر الأسرار، أن استعلان المجد في الكلمة المتجسد كشف في الحال سرَّ الآب والابن فيه، فبالرغم من أنه ظهر كابن، ولكن المجد كان مجد الآب في الابن. ولهذا أيضاً صار كل مَنْ يرى الابن برؤية الإيمان ἐθεασάμεθα فإنه يرى الآب بالضرورة، لأن مجد اللاهوت في الابن يشمل معه مجد الآب بآن واحد بدون شرح ولا توضيح: «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤ : ٩)

ق. يوحنا يجمع هنا جملة ما رآه وسمعه واختبره مع الخاصة من التلاميذ ويؤكد ذلك بقوله: **«ونحن»**.

فهو سمع بنفسه الرب يسوع المسيح يخاطب الآب عن مجده الخاص له عند الآب (يو١٧ : ٥و٢٤)، بل وسمع الآب يوافق بأنه «مجّد وسيمجّد أيضاً» (يو١٢ : ٢٨)، بل وسمع ورأى هذا المجد في حادثة التجلي المذكورة سابقاً، بل شاهد وعاين وشهد لأعمال الرب يسوع المسيح التي تنطق جميعها بمجده وأوضحها عرس قانا الجليل ومعجزة تحويل الماء خمراً التي بها أظهر المسيح مجده لتلاميذه فآمنوا به. هذا ولا ننسى المجد الذي عايشه ق. يوحنا مع كوكب الصبح المنير يسوع المسيح

نفسه في سفر الرؤيا: «ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها.» (رؤ ١ : ١٦)

«مجداً كما لوحيد من الآب»:

هنا يُقصد بحرف **كما** = ως أن المجد الذي ظهر به الكلمة المتجسد هو المناسب والمطابق فقط لابن الله، الذي له وحده يليق كل مجد الله «الآب كالابن».

«وحيد من الآب» = μονογενοῦς ــ «مونوجانيس» والكلمة من مقطعين μόνος ــ وحيد (Single) ــ γένος = نوع (Kind). وهذا الوصف بالنسبة للكلمة المتجسد هو استعلان الحب الأبوي لله وهو من أعمق وأعز الاستعلانات التي عرفها الإنسان عن الله.

و«المونوجانيس» كأعظم وأعز استعلان لمحب الإلهي فاز به العالم لما بلغ ملء أحزانه وأعوزه مجد الله، إذ انشقت السماء بالفعل وأرسل الله محبوبه ليمدّ العالم ويرعى الإنسان: **«هكذا أحب** الله العالم حتى بذل ابنه **الوحيد** (المونوجانيس) لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣ : ١٦). لاحظ الارتباط بين «أحب» و«الابن الوحيد».

وإذا أردت أن تعرف أيها القارىء العزيز قيمة هذا المحبوب الوحيد عند الله، اسمع ما يقوله: «الذي يؤمن به لا يُدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد (المونوجانيس)» (يو٣ : ١٨)، وقوله: «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني.» (يو١٦ : ٢٦)

وق. يوحنا يصادق على هذا ويزيد: «بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد (المونوجانيس) إلى العالم لكي نحيا به» (١يو٤ : ٩). أي أن المونوجانيس عند ق. يوحنا هو أعظم حدث من أحداث الحب الإلهي الذي استُعلن لنا في يسوع المسيح.

وحينما يقول ق. يوحنا أن المونوجانيس كائن في الحضن الأبوي فهو يضع المحبة في موضعها. ويشير إلينا من أين انفتح لنا ينبوع هذا الحب. وإن كان هذا هو الموضع الذي خصّصه الآب للمونوجانيس، إذن فأي موضع يليق به عند الإنسان ليضعه فيه إلا القلب!!؟

هذا الوصف ليس من عند ق. يوحنا بل هو نفس الصفة التي أعطاها صوت الله الآتي من السماء، أو كما يقول ق. بطرس: من المجد الأسنى، والذي سمعه ق. بطرس نفسه هكذا: **«هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به»** (٢بط ١ : ١٧). فالمونوجانيس يفيد أنه ابن حبيب وموضع مسرة أبيه الفريدة الذي لا يُشاركه فيها آخر قط. وهذا الاصطلاح في الاستخدام يأتي للمذكر والمؤنث على السواء وقد جاء في مواضع كثيرة.

وكلمة المونوجانيس بحسب تحقيق العلماء(٣) لا تحمل معنى الولادة أو المولود(٣) وأدلتهم في ذلك ورود هذا الوصف في حالات يتعذر بل يمتنع فيها معنى الولادة أو المولود مثل:

١ ــ **في وصف إسحق ابن إبراهيم** من فم الله نفسه: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم، فقال هاءنذا. فقال خذ ابنك وحيدك ــ μονογενής ــ **الذي تحبه** إسحق، واذهب إلى أرض المريّا وأصعِدْهُ هناك محرقة...» (تك ٢٢: ١و٢).

والمعروف أن إبراهيم وُلد له ابنان وليس ابناً **واحداً**، فهو ليس وحيداً. ولكن كان إسحق هو **«الابن الوحيد المحبوب عند أبيه»، وهذا هو المونوجانيس ضبطاً وربطاً.**

٢ ــ كما ورد هذا الوصف للعادي على ابن أرملة نايين: «إذا ميت محمول **ابن وحيد لأمه** وهي أرملة» μονογενής (لو٧: ١٢). ومن هنا تأتي كلمة «مونوجانيس» باعتبارها «قيمة» عالية وغالية جداً عند هذه الأرملة.

٣ ــ «وإذا رجل اسمه يايرس... لأنه كان له بنت **وحيدة** μονογενής.» (لو٨: ٤١و٤٢)

٤ ــ «ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته. وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص وهي **وحيدة** μονογενής. لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها» (قض ١١: ٣٤). وهنا أيضاً المونوجانيس تأتي **كصفة تحمل قيمة عالية للغاية.**

٥ ــ وقد جاءت في معانٍ كثيرة لا علاقة لها بالبنوة ولا بالميلاد، ولكن تُستَعمل في معنى الوحيد المحبوب للغاية بالنسبة للإنسان وهي نفسه: «**نفسي وحيدتي**»: «...يا قوتي أسرع إلى نصرتي. أنقذ من السيف **نفسي** من يد الكلب **وحيدتي** μου μονογενῆ.» (مز٢٢: ١٩و٢٠، ٣٥: ١٧)

٦ ــ وجاءت بمعنى أنا **وحدي**: «التفت إليَّ وارحمني لأني **وَحْدٌ** μονογενής ومسكين أنا.» (مز٢٥: ١٦)

وقد جاءت هذه الكلمة μονογενής في اللغة العبرية في مواضع كثيرة بمعنى المحبوب فقط ἀγαπητός وهي قريبة من كلمة المغبوط.

ولكن كانت نظرة آباء ما قبل نيقية منحصرة نوعاً ما في معنى «المولودة» وهذا لا تحتمله الكلمة.

---

(٣) Westcott, *op. cit.*, p. 12.

(٣) Leon Morris, *The Gospel acc. to St. John*, p. 105

«كما لوحيدٍ من الآب»:

هنا يبدأ ق. يوحنا يضع أساس استعلان الكلمة بعد التجسد والتأنس، فهو يكشف عن **درجة بنوة الكلمة لله** حيث **«الكلمة هو الابن»** في الذات الإلهية والله هو الآب. وق. يوحنا يعلن عن اكتشافه للابن عن طريق المجد الذي استُعلن في الكلمة لما تجسد، تماماً كما أعلنت الأناجيل بفم الملاك عن الحبل الإلهي للابن بالميلاد الإعجازي الفائق من العذراء مريم وبشارة الملاك العلنية بذلك: «الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العلي تظلِّلكِ، فلذلك أيضاً القدُّوس المولود منكِ يُدعى **ابن الله**.» (لو١: ٣٥)

وقد أعاد المسيح نفسه صياغة نطق الملاك هذا بتأكيد قائلاً: «فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدِّف لأني قلت إني **ابن الله**.» (يو١٠: ٣٦)

وكما استُعلن للقديس بولس **بالقيامة من الأموات بمجد الآب**: «وتعيَّن **ابن الله** بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو١: ٣، ٦: ٤)

وكما تيقن القديس لوقا الإنجيلي بإعلان من المسيح نفسه أنه سيأتي كابن الله في مجده ومجد أبيه: «متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين.» (لو٩: ٢٦)

وهكذا نرى هذه الاستعلانات كلها متدرجة من جهة يقينية استعلان درجة البنوة لله هكذا:

أولاً: بالميلاد: **دُعِي** ابن الله بفم الملاك.

ثانياً: بالقيامة: **تعيَّن** ابن الله بالقوة من جهة روح القداسة.

ثالثاً: بالمعايشة والمعاينة: رأيناه ابن الله ــ مع ق. يوحنا.

رابعاً: بوعد المسيح نفسه أنه يأتي ثانياً كابن الله في مجده ومجد أبيه.

خامساً: بتصريح المسيح نفسه.

«من الآب»: παρὰ πατρός

وقول ق. يوحنا «من الآب» يشير ويركِّز على «**نسبة المجد والبنوة** بين الآب والابن»، كما تفيد أيضاً «الإرسالية»= ابن وحيد مُرْسَل من الآب: «أنا أعرفه لأني "**منه**" وهو "**أرسلني**".» (يو٧: ٢٩)

وقول ق. يوحنا: «كما لوحيد من الآب» تفيد بحسب لاهوت ق. يوحنا، وهو اللاهوت

الذي استرعى انتباه آباء الكنيسة الأوائل، أنها تفيد علاقة يبدو فيها الابن مرتبطاً في وجوده بالآب ارتباطاً ذاتياً وجوهرياً، فهو ليس فقط ابن للآب بل ومُرْسَلٌ منه رسالة يؤديها بحتمية (الطاعة)[32]. وحتى **المجد الذي للابن فهو ليس مجرد مجد الابن** بل مجد ابن وحيد **من الآب**.

والقديس بطرس يوضح هذه النسبة بغاية الدقة هكذا: «لأنه '**أخذ من الله**'، كرامة **ومجداً**» (٢بط١: ١٧). إذن فهو «**مجد من الآب**» للابن، وبهذا ينكشف لنا المعنى المختفي وراء قول ق. يوحنا: «مجداً كما لوحيد **من الآب**». ولا ينبغي أن يفوتنا أن كلمة «وحيد لأبيه» تفيد معنى الفرادة في الحب حيث يستحوذ الابن على كل حب الآب. هذا نسمعه من الله بغاية الوضوح والتركيز «ابني **الحبيب**»، أي أن «مجد ابن وحيد لأبيه» تعني بكل العمق استعلان «**مجد الحب الأبوي**» في المسيح للتلاميذ، وبالتالي للكنيسة، لأن كل مجد الابن ورثته الكنيسة لأنها جسده المملوء نعمة وحقاً.

وهكذا فإنه **بحب الآب للابن** تم **الخلق**، وتم **الفداء، وتأسست الكنيسة!** لأن بحب الآب للابن «**كان كل شيء**» في الخليقة الجديدة مثل القديمة، وبدون حب الابن للآب **لم يكن شيء مما كان**، وهكذا أحب الله العالم ففداه بحياة ابنه: «بذل ابنه الوحيد.» (يو٣: ١٦)

فالعلاقة بين الآب والابن علاقة(٣٣) تشمل وتتغلغل كل ما للابن حتى أنه لا يوجد الابن منفرداً بصفة لاهوتية خاصة به على الإطلاق إلا كونه ابناً.

ومن الملفت للنظر أن الله الآب بالنسبة للمسيح الابن في إنجيل يوحنا مذكور ١٣٧ مرة(٣٤)، في حين أن إنجيل متى مذكور فيه ٦٤ مرة فقط، وإنجيل لوقا ٥٦ مرة، وإنجيل مرقس ١٨ مرة.

هذا يلزم أن ينبه ذهننا أن إنجيل يوحنا يتخصص في توضيح علاقة الآب بالابن والابن بالآب، أو بتعبير أصح يركِّز على استعلان سر الأُبُوَّة والبُنُوَّة في عملية الخلاص والفداء والتبنِّي.

لذلك فبعد الأصحاح الأول الذي كرَّسه لاستعلان «الكلمة» باعتباره الشخصية المحتجبة في الله: «حقاً أنت إلهٌ مُحْتَجِبٌ يا إلهَ إسرائيل المخلِّص» (إش٤٥: ١٥)؛ نجد ق. يوحنا بعد تجسد

---

32 Barrett, *The Gosp. acc. to St. John*, p. 139.

(٣٣) راجع المدخل ص ٢١٦.

(٣٤) راجع المدخل ص ٢١٠ــ٢١٥.

الكلمة يركِّز على المسيح كابن الله حتى نهاية الإنجيل، كاشفاً دور الآب كأساسٍ لعمل الابن الخلاصي.

د ــ **«مملوءاً نعمة وحقاً»:**

بعد أن حلَّق ق. يوحنا في ذكرياته السالفة عن الأمجاد التي رآها واستعلنها في الابن الوحيد ووقعت عينه ويده عليها في المسيح، الذي اكتشف فيه سر الحياة الأبدية ومجد البنوة الوحيدة للآب؛ يعود بنا إلى ذكرياته عن «الكلمة» في شخص يسوع المسيح كما اختبره في حياته الخاصة والعامة وسلوكه مع الأحباء والأعداء. وأعطى هذه الشهادة أنه كان مملوءاً نعمةً وحقاً... فالنعمة والحق هي الصفات الإلهية المتجسدة «للكلمة» المتجسد.

هي أصلاً صفات الله الكائنة فيه، ولكن بتجسد الكلمة استُعلنت هذه الصفات لأنها صارت في موضع العطاء، وتجهزت لتصير هبة تُمنح للناس: «وتعرفون **الحق والحق** يحرركم... فإن حرركم الابن **فبالحقيقة** تكونون أحراراً.» (يو٨: ٣٢و٣٦)

«النعمة»: χάρις

لم تُستخدم في إنجيل يوحنا إلا هنا وفي الآية ١٧ من هذا الأصحاح فقط. وأما الحق فهو الصفة الإلهية التي تجيء في القمة بالنسبة للكلمة المتجسد، والتي أعلن عنها المسيح جهاراً: «أنا **هو الطريق والحق** والحياة.» (يو١٤: ٦)

وهاتان الصفتان هما المقابل في العهد الجديد اللتان تعامل بهما الله معنا في شخص يسوع المسيح، كما كان يتعامل بهما يهوه قديماً: «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده (موسى) هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى: الربُّ الربُّ إلهٌ رحيم ورءوف، بطيء الغضب **وكثير الإحسان** والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية، **ولكنه لن يُبرىءَ إبراءً»** (خر٣٤: ٥ــ٧). فيهوه **«رحيم»** ولكنه **«لن يبرىء»**.

لذلك فالنعمة والحق في العهد الجديد هما المقابل الحقيقي للناموس والدينونة كما وضعهما ق. يوحنا نفسه في الآية ١٧ القادمة.

والنعمة في مفهوم ق. يوحنا إذا كانت في مقابل الناموس فهي عملية الفداء والخلاص بكل مشتملاتها ونتائجها، وبالأخص جداً في أنه جعلنا أولاداً وأحباءً بل وأحراراً بعد أن كنا عبيداً تحت سطوة الناموس بمقتضى سلطان الخطية المُذِلّ. بل وتشمل النعمة حتماً كلّ نِعَمِ اللهχάριτες

من مواهب؛ بل وبالأكثر جداً اتصالنا بالآب واتحادنا بالابن. أي أن النعمة عند ق. يوحنا هي هي التجسد الذي أجراه الكلمة في نفسه، فهي بالتالي شخص يسوع المسيح نفسه بالدرجة الأولى. لأن فيه وبه نلنا كل النعمة بل كل النعم. لذلك هكذا ظهر الكلمة لما تجسد أنه مملوء نعمة وحقاً، أي كله نعمة وكله حق، على مستوى العطاء.

فنعمة الآب لنا هي أنه بذل ابنه الوحيد من أجلنا ليكون لنا حياة أبدية باسمه، ثم وَلَدنا لنفسه لما قبلنا ابنه بالإيمان في قلوبنا وحياتنا. الآب ولدنا لنفسه باتصال وليس بالمجاز أو التصور. لأن نعمة الآب لنا هي انعطاف ذاتي والتحام سرِّي. فكلمة **«مولودين من الله»** هي من الجدِّية والحقيقة العملية الروحية على مستوى أعلى من **«الميلاد من الدم ومشيئة الجسد ومشيئة الرجل»**، أي أنها بقوة فعل سرِّي فائق يسري في كياننا الروحي فيغيِّره ليكون على صورة خالقه كما ينمو الولد ويتشكل على صورة والده. «كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعَهُ (زرع الله) sperma يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله.» (١يو٣: ٩)

ونعمة الآب هي مكمِّلة لنعمة الابن لنا الذي تنازل وأخذ جسدنا لذاته ليهيِّئنا بالتقديس الذي أجراه لنا، لنكون مؤهَّلين لتبنِّي الآب لنا.

«الحق» ἀλήθεια (٣٥):

الحق بالنسبة للقديس يوحنا ليس هو الصدق الذي هو عكس الكذب، بل الحقيقة Reality في مقابل **الشَّبه أو الظِل.**

فكل أعمال ومعاملات الله قديماً كانت شبه السماويات وظلّها، «إذ يوجد الكهنة الذين يُقدِّمون قرابين حسب الناموس، الذين يخدمون **شبه** السمويات **وظلّها** كما أُوحي إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن» (عب٨: ٤و٥). وكل رؤية الله مهما سَمَت كانت ليس أكثر من «**شِبْه** الله يعاين» كما جاء على لسان الله: «فقال (الرب) اسمعا كلامي: إن كان منكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا أستعلِنُ له في الحلم أُكلِّمه. أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي، فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز، **وشِبْهَ الربِّ يُعاين.**» (عد١٢: ٦ـــ٨)

ولكن الآن، وباستعلان الله في الكلمة المتجسد أي شخص يسوع المسيح، ليس بعد كلام الله في حلم ولا بالألغاز بل «كلَّمنا ... في ابنه»، «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة»

(٣٥) انظر شرح معيار «الحق» في المدخل ص ١٠٦ـــ١١٢.

(عب١ : ٢؛ يو٦ : ٦٣)، ولا بالشِّبْه نعاين الله بل بالحق بـ«الأليثيا»: «الذي رآني فقد رأى الآب (الله)»، «أنا هو... الحق...» (يو١٤ : ٩و٦)

فـ«**الحق**» هنا عند ق. يوحنا هو **استعلان الله في ذاته** استعلاناً حقيقياً كاملاً كآب تبنَّانا، وعرفناه أباً ووالداً لنا، ليس بولادة مجازية أو كمنحة ولكن باتصال وفعل سرِّي: «كلُّ من يحب فقد وُلد من الله» (١يو٤ : ٧)، وكابن أخذ جسدنا ومات عنا وفدانا.

فعندما يقول ق. يوحنا أنه مملوء نعمة وحقاً فهو يعني أنه بالقياس و بقدر ما يستطيع الإنسان أن يقيس و يستوعب فهو الاستعلان الكلي لكل ملء الله سواء من جهة **نعمته** أو من جهة **ذاته**. والكلام كله منصبٌّ على «الكلمة صار جسداً».

ولكي ندرك صلة «**الحق الأليثيا**» **باستعلان الابن** عند ق. يوحنا نسمع من المسيح بوضوح قوله بأن «**الحق**» و«الابن» واحد هكذا: «إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون **الحق والحق يحرركم**» (يو٨ : ٣١)، «فإن حرَّركم **الابن** فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو٨ : ٣٦)

و يُلاحظ هنا أن «**معرفة الابن**» معرفة ثابتة توصِّل إلى «**معرفة الحق**»، ومعرفة الحق أو الابن كلتاهما تحرر. والمعرفة هنا ليست بنت الفهم والدراسة بل حصيلة رؤيا واستعلان. فالذي يستعلن «الابن» و يدركه في ذاته يستعلن «الحق». أو بمعنى أكثر وضوحاً الذي يستعلن الله «**كآب وابن**» يبلغ إلى منتهى الحق، لأنه يلده **ابناً حُرًّا لله!** هذا كلُّ ما نترجاه من النعمة وكل ما نطلبه من الحق، وهذا قد صار لنا لما صار الكلمة جسداً.

١ : ١٥ «يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي».

هنا ق. يوحنا الإنجيلي يقدم هذه الجملة الإعتراضية بعد وصفه لأمجاد الكلمة المتجسد، مشيراً ومعلناً عن دخول الكلمة المتجسد إلى بدء عمله، الذي لما باشره كشف في الحال عن شخصية المسيا «الكلمة المتجسد»، أنه وإن كان قد جاء متأخراً عن المعمدان إلا أن وظيفته أعلنت جهاراً أنه كائن قبله، ليس من جهة الوقت أو الزمن بل الوجود والكيان: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن.» (يو٨: ٥٨)

وق. يوحنا يقدم هذه الشهادة من فم المعمدان نفسه ليثبت بها للكلمة المتجسد التقدم المطلق: **«لأنه كان قبلي»**، ليس في العمل وحسب، بل وفي الوجود والكيان السابق على المعمدان؛ الذي وإن كان المعمدان قد سبق المسيح فهذا لكي يعلن عنه و يعدّ الطريق له، وليس ليتقدم عليه في الكرامة.

وتأتي شهادة المعمدان في الفعل المضارع μαρτυρεῖ = يشهد (باستمرار)، لتوضح دوام الحقيقة التي يشهد عنها، بخصوص الشخص المرتقب والمترجَّى ظهوره وطبعاً هو «المسيَّا».

وحينما يقول: «نادى»، فهذه في الأصل تعبير عن الصراخ κέκραγεν الملفت للنظر والذي يكون بالصوت العالي تعبيراً عن خطورة وأهمية من يشير إليه، كما تفيد بصورة خفية أنها الصرخة التي أطلقها ومات عندما ماتت الصرخة، ولم تَعُدْ تتبع التاريخ بل صارت معلومة حية قائمة أبد الدهر. كذلك فإن صراخ الشهادة κράζειν هو التصوير الإنجيلي لعمل الإلهام الروحي الذي يتدفق مرة واحدة في الإنسان فيطلقه بانفعال: «**وامتلأت** أليصابات **من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم** وقالت مباركة أنتِ في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك» (لو١: ٤١و٤٢). وهذا ما يقصده ق. يوحنا في تسجيله لشهادة المعمدان أنها كانت بنُطْق إلهي.

وغرض إنجيل ق. يوحنا من وضع هذه الشهادة هنا هكذا هو لحساب المؤمن الذي سيأتي عَبْر الزمان، الذي هو أنا وأنت أيها القارىء العزيز، ليأخذ من هذه الشهادة الهامّة جداً، باعتبارها ختم آخِر أنبياء العهد القديم على صدق مجيء المسيا بالجسد في ملء الزمن حسب توقعات كل الأنبياء والآباء والتاريخ اليهودي كله، وأنه وإن جاء في ملء التاريخ إلا أنه كان قائماً قبل التاريخ.

وقد اكتفى الإنجيليون الثلاثة في ذلك بقولهم وبصفة عامة: «يأتي بعدي من هو أقوى مني»؛ ثم في تقييمهم لارتفاع كرامة المسيح بالنسبة للمعمدان سجلوا ما قاله بنفسه:

ـ «لست أهلاً أن أحمل حذاءه.» (مت٣: ١١)

ـ «لست أهلاً أن أنحني وأحلّ سيور حذائه.» (مر١: ٧)

ـ «لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه.» (لو٣: ١٦)

أما ق. يوحنا فقد حدّد شخصية المعمدان بالنسبة للمسيح، فالمسيح كائن قبل المعمدان. كذلك فعمل المسيح سابق على عمل المعمدان. هذا هو معنى «كان قبلي»: **كائناً وعاملاً.**

وشهادة المعمدان التي يقدمها ق. يوحنا هنا تخدم قضية طبيعة وشخصية الكلمة المتجسد تأكيداً أن التجسد أبقى على لاهوت وأزلية الكلمة كما كان. فكأن جمع قول ق. يوحنا هو أن الكلمة لما صار جسداً بقي كما هو إذ رأينا مجده واستعلن فيه أنه مجد وحيد لأبيه مملوء نعمة وحقاً، والمعمدان شهد لسمو طبيعته الفائقة ولأسبقيته عليه بلا حدود.

١٦:١ «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة».

القراءة الصحيحة باللغة اليونانية حسب آباء الإسكندرية تقول: «وبسبب هذا ـ ὅτι نحن جميعاً أخذنا من ملئه، ونعمة فوق نعمة».

وهذه الآية ولو أنها معتمدة على الآية ١٤ قبل السابقة، «(ونحن) رأينا مجده... مملوءاً نعمة وحقاً»، إلا أن هذه الآية هنا تؤكد حقيقة الآية ١٤ عملياً بسبب أخذنا من عطاياه. وهكذا يأتي فعل «أخذنا» تأكيداً وتصديقاً لفعل «رأينا». هذا يزيده التركيب اللغوي اليوناني قوة وإيضاحاً بسبب أن فعل «أخذنا» ἐλάβομεν الذي يعني أكثر من «أخذنا»، خاصة حينما يأتي بعد شهادة أو معتمداً عليها، إذ يفيد معنى الأخذ على مستوى التمسك أو القبض أو الاستحواذ سواء فعلاً أو فهماً، وحينئذ يرتفع معنى الإيمان اليقيني أو ملء الإيمان؛ حيث «الأخذ أو القبض على» تفيد الفهم والإيمان والقبول والاستحقاق معاً.

وينكشف هذا المعنى حينما نسمع العكس في قول المسيح: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله (يأخذه) = λαβεῖν لأنه لا يراه ولا يعرفه» (يو١٤: ١٧). أي أن الأخذ على مستوى القبول يعتمد على رؤية وتأمل وملاحظة واستحقاق، وإلا يمتنع. ولهذا السبب بالذات، أي لأنهم رأوا مجده رؤية التحقق، لذلك أو «لهذا السبب» أخذوا نعمة فوق نعمة.

ولقد ظن بعض آباء العصر الأول مثل أوريجانس وهيراكليدس وغيرهما، الذين اضطلعوا بشرح إنجيل يوحنا أن هذه الآية هي تكملة لحديث المعمدان وشهادته، ولكن تسلسل الكلام والمعنى يمنع ذلك، بالإضافة إلى أن قول ق. يوحنا «نحن جميعاً» ليس أسلوب المعمدان، ولا هو من حقه أن يقول ذلك، لأنه جاء كصوت واحدٍ صارخ يعدّ الطريق وليس ليملئ. فالمتكلم هنا هو ق. يوحنا الإنجيلي — كما يقول كلٌّ من القديسين ذهبي الفم وأغسطينوس وكيرلس الكبير. فبعد أن قدم شهادته مع التلاميذ في قوله: «ونحن» رأينا مجده، يقدم لنا شهادة الكنيسة معه: «ونحن جميعاً أخذنا».

وبهذا تكون هذه الآية هي أول إشارة إلى علاقة الكلمة المتجسد المملوء نعمة وحقاً بالكنيسة التي أخذت من ملئه. وتسلسل الكلام يكون هكذا: «ونحن التلاميذ رأينا مجده مجد وحيد لأبيه، وعرفنا وتيقّنا أنه مملوء نعمة وحقاً، وبسبب هذا نحن جميعاً — أي الكنيسة كلها — أخذت من ملئه».

الإشارة هنا بليغة وتشير إلى فيض الحب الذي يتفجر من الكلمة المتجسد على هيئة نعم وعطايا متلاحقة تو حدة تمسك بالأخرى. فكل نعمة تؤدي إلى نعمة أكثر. ثم انظر كيف يركّز ق. يوحنا على «جميعاً»، وكأنه لم يترك أحداً في الكنيسة دون أن يغدق عليه نعمة ولو لم يدرِ.

ملئه πλήρωμα :

متصلة بسابقتها «مملوء» πλήρης وهي تشير إلى الكثرة والفيض، كما تجيء في اللاتينية Plenitudo (كما وردت في نسخة الـ Vulgate).

فإذا علمنا أن πλήρωμα هي صيغة الحال المأخوذ من أصل الفعل πληροῦν الذي معناه يكمّل (To make complete)، إذن، فالكلمة تعني كمال الملء أو منتهى الملء. وهذا ما يقصده القديس بولس الرسول بقوله: «لأنه فيه سُرّ (الآب) أن يحلّ "كلّ" الملء» = πᾶν τὸ πλήρωμα (كو ١ : ١٩)، والملء هنا تعبير لاهوتي يختص بطبيعة الله. فهو الوحيد ملء الكل والمالئ الكل. ومن روح إنجيل يوحنا يأتي عمق الملء على أساس الحياة الأبدية. فمن ملء الحياة الأبدية يملأ «الله الكلمة» الفرد أو الكنيسة، بالحياة الأبدية.

وفي الحقيقة، وبنظرة واحدة ثاقبة، نرى أن ملء اللوغس المتجسد الآتي إلينا من جهته هو، هو ملء الحياة والمجد وحب الآب، ولكن من الجهة الأخرى بالنسبة لنا فهو الخلاص الكلي بكل مشتملاته من موت وقيامة وفداء وتبرير وصعود وحياة أبدية ومجد وشركة في الطبيعة الإلهية، بكل

ما يتبع ذلك من مواهب ضرورية وعطايا امتياز وتبنّي وحب إلهي فائق:

— «لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله. لأنه **ليس بكَيْلٍ يعطي الله الروح.**» (يو٣: ٣٥)

— «كما أرسلني الآب الحي وأنا حيٌّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦: ٥٧)

وكلمة «الملء» πλήρωμα محبوبة جداً عند ق. بولس، فهي تملأ قلبه بالإحساس الغامر بفيض النعمة في المسيح يسوع بصورة طاغية. فقد وردت عنده خمس مرات في رسالتي أفسس وكولوسي. وهذه الكلمة بالذات تُعتبر هنا وصلة ذات اعتبار كبير بين لاهوت ق. بولس ولاهوت ق. يوحنا، وبالأخص التي جاءت في الرسالة إلى كولوسي:

— «لأنه فيه سُرَّ أن **يحلّ كل الملء، وأن يُصالح به الكل** لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواءٌ **كان ما على الأرض أم ما في السموات.**» (كو١: ١٩و٢٠)

— «**فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوؤون فيه.**» (كو٢: ٩و١٠)

— «وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.**» (أف١: ٢٢و٢٣)

— «... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.**» (أف٣: ١٩)

— «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، **إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف٤: ١٣)

بولس الرسول يرى ملء المسيح هو ملء الله، وأن الإيمان بالمسيح والدخول في محبته الفائقة المعرفة هو الطريق للأخذ من هذا الملء حتى الملء الكامل الذي للمسيح، وذلك عندما يتحد المؤمنون في وحدة الإيمان ومعرفة ابن الله. وكل واحد يأخذ من هذا الملء قدر ما تؤهله رؤية إيمانه لمجد المسيح وحبه، وأيضاً قدر ما تؤهله صلته في الكنيسة كعضو في جسدها. لأنه للكنيسة المتحدة فقط أُعطي ملء المسيح كل الملء، على أساس شدة الحب الذي يجمع أعضاءها ليصير لها ما للرأس بالضرورة الحتمية؛ لأن مجد الرأس هو المجسد، وفخر الجسد هو الرأس.

ق. يوحنا في هذه الآية يقول قول ق. بولس عاماً، إنما باختصار شعري بليغ، كما يُجمل هذا المبدأ اللاهوتي في صلاة المسيح قائلاً للآب القول المستجاب: «وأنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو١٧: ٢٢)، هذا هو المجد الذي أخذ من ملئه ق.

يوحنا وأخذت الكنيسة معه.

وهنا لا يفوتنا لمحة لاهوتية نخرج بها من هذا المضمار ـــ في القول عن الملء ـــ من جهة نصيب التجسد من هذا الملء الذي يؤكده ويرسّخه بولس الرسول بقوله: «لأنه فيه سُرَّ أن يحل كلُّ الملء»، و«فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً»، والذي يردُّ عليه ق. يوحنا بقوله: «والكلمة صار جسداً... مملوءاً نعمة وحقاً». هنا ظفر «الجسد» بالملء الإلهي، ملء اللاهوت، فدخلت البشرية من أوسع أبوابه لأنه جسد «الكلمة»، الذي انفرش عليه اللاهوت، فمدد أطرافه ووسّع تُخُمه وأبعاده حتى وسع ما للاهوت من ملء. هنا دخلت الكنيسة التي هي جسده إلى اللانهائية، لا باستحياء، بل بجراءة الذي خلقها وفداها ورفعها من التراب إلى السماء.

«...أخذنا، ونعمة فوق نعمة»:

«أخذنا» تأتي هنا بدون مفعول به: «من ملئه نحن جميعاً أخذنا». لأن الملء ليس مجزَّأً، هو فعلاً عطايا ونعم كثيرة وبلا حصر أو على الأصح «بلا كيل». ولكن الملء يُوزَّع ليعود فيتجسم، فهو ملء **واحد** ولا بد حتماً بعد أن يتوزع لكل واحد حسب حاجته ومسرة الله. أن يصير وينتهي إلى **واحد**، «إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانية** الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٣)

«ونعمة فوق نعمة»: χάριν ἀντὶ χάριτος

في هذه الآية ذهب الشُّرَّاح كل مذهب، فمنهم من قال ـــ وهم بعض آباء الكنيسة ومنهم ذهبي الفم وكيرلس الكبير ـــ أن نعمة مقابل نعمة تعني نعمة العهد الجديد مقابل نعمة العهد القديم، أي الناموس، ولكن قولهم مردود عليه في الآية ١٧ التي جعلت الناموس هو المقابل للنعمة ومتدنّي عنها: «لأن الناموس بموسى أُعطي، **أما** النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا».

وبولس الرسول يضع الناموس مضاداً للنعمة، وليس مساوياً لها أو حتى بديلاً عنها: (رو ٤: ١٤ـــ١٦).

ولكن علماء الشرح المدققين(٣٦) اتفقوا حديثاً على أن ἀντί تفيد الملاحقة والمتابعة التي لا تنتهي لعطايا النعم المتجددة دائماً وإلى الأبد من لدن الرب يسوع المسيح:

[Une grâce répondent à sa grâce](٣٧)،

(36) Schnackenburg, op. cit., p. 275.

(37) P. Joüon: *Recherches de Science Rel.* 22 (1932) 205

أي أن كل نعمة تأتي تنادي نعمة أخرى فترد عليها تنث وتأتي.

فكل نعمة يقابلها نعمة أعمق وأعلى، ونعمة الرب لا تقف ولا تُحدّ: «لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح.» (يو٣: ٣٤)

القديس أغسطينوس في عظته الثالثة على الأصحاح الأول لإنجيل يوحنا يشرحها مطوّلاً بما يفيد أن من ملئه نحن أخذنا، هذا مجمل الأخذ، ثم أضاف الإنجيل: «ونعمة فوق نعمة»، فمثلاً الإيمان نعمة ويقابل الإيمان نعمة أخرى وهي الحياة الأبدية، وهكذا.

فإذا عاد القارىء بذاكرته إلى ما قلناه(٣٨) بخصوص طابع إنجيل يوحنا الاستعلائي والمتدرج في استعلانه للمسيح والآب، نجد في هذا القول: «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة» ما يفيد أيضاً الامتداد الاستعلائي للمسيح حتى وإلى الأبد. لأن تلاحق النعم وتلاحق الامتلاء من ملئه ـ أي من ملء النعمة والحق ـ هو أساساً وبالدرجة الأولى يخدم قضية استعلان حقيقة المسيح الذي لا نهاية لملئه. وفي المنهج الروحي العملي معروف أن كل نعمة يحصل عليها الإنسان إنما ترفعه إلى نعمة أخرى أعلى، لأن النعمة هي بحد ذاتها قوة رافعة. لذلك نسمع القول أن «من يضع نفسه يرتفع» (مت٢٣: ١٢، لو١٤: ١١، ١٨: ١٤)، وما ذلك إلا لأن الاتضاع نعمة، فنعمة الاتضاع ترفع إلى نعمة المجد. وقد يتهيأ أحياناً للإنسان الروحي الذي يمارس الحب الإلهي أنه بلغ المنتهى من النعم والسعادة، ويكاد يقول: كفى، هنا قد بلغت النهاية. ولكن إذ بالنعمة ترفعه إلى مستوى أعلى فينظر وراءه وكأنه لم يكن سابقاً قد بلغ شيئاً!!. وهكذا فليتنبه القارىء، أن أمام قديس إنجيلي متمرس يتكلم من أعماق يعيشها وبكلمات قليلة يسمعها لمن يسير على دربه.

وكما سُرَّ الآب «أن يحلّ في المسيح كل ملء اللاهوت جسدياً»، كذلك سُرَّ المسيح بنفس القدر والسخاء والحب أن يصُبَّ كل ملء نعم اللاهوت الذي له في الكنيسة التي هي جسده، لتمتلىء إلى كل ملء نعم الله، لأنها تأسست على دم الحب وشربت منه الروح الأزلي التي لن يكف أن يأخذ مما للمسيح ويصبُّ فيها صباً حتى تمتلىء إلى كل ملء الله. فلا تستغربنّ، أيها القارىء، قول ق. يوحنا: «ونعمة فوق نعمة»، لأن المنعِم صمم أن «المجد الذي لي أنا أعطيتُهم»، بل وتعهّد بالفعل السرّي حالة حلول واتحاد وعطاء نعم بلا حدّ ولا عدّ للذين آمنوا ويؤمنوا وشهدوا له في كل عصر: «أنا فيهم وأنت فيّ» (يو١٧: ٢٣). لذلك فسريان النعمة لن

(٣٨) أنظر كتاب المدخل ص٦٦ ـ ٧١.

يكفّ، طالما كان الاتحاد مفتوحاً.

وشهادة ق. يوحنا هنا خاصةً بإضافة «جميعاً»، و«نحن جميعاً»، هي ليست شهادة فقط، بل واعتراف، بل وصلاة شكر بلسان الكنيسة كلها ولسان القارىء.

فهي تسبحة اعتراف بفضل المسيح يسوع الدائم والأبدي، فلا يوجد مكان أو زمان في الكنيسة يخلو من نعمته، ولا دخل إليه أحد وخرج فارغاً؛ فمراحمه لا تزال تتجدد كل صباح، وفي الفجر تتساقط نعمته كالطلّ على الكلأ، من يبكّر إليه يجده، ومن يسهر إليه يتعشى معه. هو هو وحده وليس آخر يعطي ولا حدود لعطائه، ونحن جميعاً جميعاً نأخذ بلا عدٍّ ولا مكيال.

١ : ١٧ **«لأن الناموسَ بموسى أُعطِيَ، أما النعمةُ والحقُّ فبيسوعَ المسيح صارا».**

هنا يدفع ق. يوحنا الاستعلان إلى أقصاه فيبرز الاسم الذي ملأ خياله منذ أن بدأ يكتب إنجيله. هنا برز ختم الرسالة حيث يقرأ بغاية الوضوح اسم صاحبها: «يسوع المسيح».

وهذا هو آخر درجات استعلان مؤهلات «الكلمة»، وقد وضعه في مقابل الناموس أي التوراة جملة بل والعهد القديم برُمَّته، موضحاً أن الناموس أي التوراة لم تأتِ لا بنعمة ولا بحق، لا بسبب قصور فيها فهي **«كلمة الله»** بالدرجة الأولى، ولكن كان القصور في الشعب برؤسائه وكهنته الذين لم يلتصقوا بالله ليدركوا النور الذي فيها، ممَّا حدا بالله أن يأتي بنفسه و يلتصق بالإنسان و يسكب فيه من روحه النعمة والحق.

فإذا عُدْنا بالذاكرة إلى مخطط استعلاناته لشخص يسوع المسيح السابقة نجدها هكذا:

١ ــ «الكلمة في البدء» أي الأزلية.
٢ ــ «"الكلمة" عند الله».
٣ ــ «الكلمة الله».
٤ ــ «الكلمة» **كخالق:** «كل شيء به كان».
٥ ــ «الكلمة» **كحياة:** «فيه كانت الحياة».
٦ ــ «الكلمة» **نور:** «والحياة كانت نور الناس».
٧ ــ «الكلمة» **ضد الظلمة:** «والنور أضاء في الظلمة».
٨ ــ «الكلمة» **آتياً إلى العالم:** «كان في العالم» كنور.
٩ ــ «الكلمة» **أتى إلى خاصته:** كلمة الله في الأنبياء ــ **«المسيَّا».**

١٠ ــ «الكلمة» «**صار جسداً**».

١١ ــ «الكلمة» **في هيكله الجديد**: «حلّ (سكن) بيننا».

١٢ ــ استعلان **الكلمة المتجسد أنه «ابن الله»** مملوء نعمةً وحقاً.

١٣ ــ استعلان **الكلمة كملء الكنيسة**: نحن جميعاً مملوؤون فيه.

١٤ ــ استعلان **الكلمة في شخص «يسوع المسيح»** والعهد الجديد **والإعلان عن انتهاء عهد الناموس: «لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا»**.

تأتي هذه الآية موازية للآية السابقة ومترتبة عليها. فظهور النعمة والحق بالملء الإلهي الكلي هو إيذان بانتهاء عصر الناموس، عصر العقوبة والظل. وظهور شخص يسوع المسيح الذي تفسيره اللاهوتي من الآيات السابقة هو «**يسوع**»= الكلمة المتجسد، «**المسيح**»= المسيَّا الآتي، هو إيذان حتمي بانتهاء عصر موسى.

فكون الله قد بدأ «**يكلِّمنا في المسيَّا ابنه**»، فهذا معناه أن عهد «**الكلمة في موسى والأنبياء**» انتهى، والآن قد صار يكلمنا الله بلا وسيط! ليس على أساس القانون والعصا بل بالنعمة والحق.

فعهد المسيح أو المسيحية مبنيٌّ على النعمة، النعمة تغطّي حياة المسيحي منذ أن يعتمد وحتى يلتحق بوطنه السمائي. ولكن ليست النعمة عطية واحدة على وتيرة واحدة، بل هي نعمة بانية وممتدة لملء حياة المسيحي: «نعمة فوق نعمة». والنعمة ليست وحدها تبني وليست وحدها توصِّل، بل النعمة في المسيحية مؤسسة على الحق، ليس على الشكل ولا الخارج أو الشَّبَه أو الزائل، بل هي نعمة الله الموصِّلة إلى الله.

ولكي يتأكد القارىء أن «اسم يسوع المسيح» كان يملأ فكر ق. يوحنا و يُملي عليه كل استعلاناته بتدرجها المدهش هذا، نقدم هاتين الآيتين:

ــ «وهذه هي **الحياة الأبدية** أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك **و يسوع المسيح** الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)

ــ «وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن **يسوع هو المسيح ابن الله** ولكي تكون لكم إذا آمنتم **حياة باسمه.**» (يو٢٠: ٣٠و٣١)

هذا وإن اسم «يسوع» يحتل أكبر مساحة إنجيلية على الإطلاق عند ق. يوحنا، فقد ورد ٢٣٧ مرة في حين أنه ورد في إنجيل ق. متى ١٥٠ مرة وإنجيل ق. مرقس ٨١ مرة وإنجيل ق. لوقا ٨٩ مرة.

ولقد انتحى كثير من الشراح نحو كشف المفارقة بين الناموس والنعمة، أي العهد القديم والجديد، أو موسى والمسيح. ولكن في الحقيقة نحن نسترشد بقول المسيح نفسه ما جئت لأنقض بل لأكمل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل.» (مت٥: ١٧)

ولكي نوضح مدى التكميل أو مدى الكمال في ناموس المسيح بالنسبة لناموس موسى، نقدم للقارئ هذه الوصية الجديدة لعهد ناموس النعمة: «سمعتم أنه قيل عين بعين وسنٌّ بسن. **وأما أنا فأقول لكم** لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً.» (مت٥: ٣٨و٣٩)

إذن، إذا أردنا أن نعمل مقارنة بين عهد الناموس وعهد النعمة، فهذه المقارنة لن تخرج عن قول المسيح أنها مقارنة بين الناقص والكامل الذي أكمله المسيح على الصليب بموته نفديي: «قد أُكمل» (يو١٩: ٣٠)، فكان هو سر النعمة كلها.

فكل ما كان ناقصاً في ناموس موسى، أكمله المسيح في نفسه ثم أعطاه لنا مجاناً. وهذه هي النعمة كل النعمة. أو بأكثر دقة ووضوح فإن المقارنة بين الناموس والنعمة هي في حقيقتها مقارنة بين **الجسد والروح!**

ولكن نقص الناموس لم يكن بسبب موسى ولا من الله الذي أعطاه، فالمسيح يقول بهذا الصدد: «**ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل**» (مت٥: ١٧و١٨). ولكن الناقص كان ناقصاً بسبب الذين أُعطي لهم. والمسيح يقول بهذا الصدد: «فتقدم الفريسيون وسألوه: هل يحل للرجل أن يطلّق امرأته ليجربوه. فأجاب وقال لهم: بماذا أوصاكم موسى؟ فقالوا: موسى أذِنَ أن يُكتب كتاب طلاق فتُطلّق. فأجاب يسوع وقال لهم: **من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية**. ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان.» (مر١٠: ٢ـ٩)

وبولس الرسول يؤكد ذلك تأكيداً موضحاً أن الخطيئة كانت قد ملكت الإنسان واستعبدته حتى صيَّرت له الصالح موتاً: «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني، **إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة.** فهل صار لي الصالح موتاً؟ حاشا، بل الخطية. لكي تظهر خطية مُنشِئة لي بالصالح موتاً، لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية» (رو٧: ١١–١٣). وهذا هو سرّ الإثم الكائن في العالم الذي دوّخ الإنسان. أي أن علّة ضعف الناموس وعجزه من أن يُنشيء شيئاً صالحاً للإنسان هي الخطيئة التي كانت قد ملكت وسادت وقتلت!! وهذه العلة — أي الخطية — التي **ألغت قوة الناموس** ومسحت روحانيته وجعلته غير صالح، مع أنه صالح، **هي هي التي ألغاها المسيح، وقتلها في جسده.** وهذا ما يوضحه بولس الرسول أتم توضيح:

— «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس **حسب الجسد** (الناموس) بل **حسب الروح** (النعمة) **لأن ناموس روح الحياة** في المسيح يسوع قد أعتقني من **ناموس الخطية والموت.** لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان (الإنسان) **ضعيفاً بالجسد.** فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية (أي بدون خطية) ولأجل الخطية (التي عطلت عمل الناموس)، دان الخطية في الجسد (الصليب) لكي يتم حكم الناموس فينا (ونأخذ صك براءة مُعطى باسم المسيح ومختوم بالدم) **نحن السالكين ليس حسب الجسد** (الناموس) **بل حسب الروح** (الإنجيل).» (رو٨: ١–٤)

فعوض الخطية أعطى المسيح النعمة!! وعوض حكم الناموس بموت الخاطئ، أعطى المسيح برّه الشخصي لتبرير الخاطئ ليحيا إلى الأبد ولا يموت أبداً.

وبينما كان الناموس وكل وصايا وفرائض وعبادة الناموس بالجسد هي شبه السمويات وظلها، إذ بالمسيح يجعل الوصية والعبادة بالروح والحق هي السمويات عينها التي جاء منها. وهي طبيعة الله وحياته التي جاء ليخبّر بها.

١٨:١ **«الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر».**

هذه هي آخر آية في منظومة مقدمة إنجيل يوحنا، وهي بمثابة الرتاج أو صمام الأمن الذي غلق في وجه كل محاولة كانت أو ستكون. إن هي وثقت التصريح صاحب هذا الاسم الأخير المستتر — يسوع المسيح — في كونه الوحيد بصفته الابن المحبوب لله، الذي استطاع ويستطيع إلى الأبد أن يخبر عن الله أبيه الخبر اليقين والبشارة المفرحة. فليست هذه الآية تتمة كسابقتها في مواجهة موسى أو

غيره من الأنبياء، بل وكل الأنبياء يجيء ليتحدث و يخبر عن الله: «الآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته» (يو٥: ٣٧). ولكن كان همّ ق. يوحنا ليس إسكات أصوات الأدعياء المتكلمين بفم الله في زمانه أو غير زمانه، بل كان همّه بالأساس إرساء قاعدة حق إنجيل يسوع المسيح ابن الله، على أساس أن يسوع المسيح ابن الله هو الاستعلان الكامل والوحيد لله، الذي به نرى الله، وفيه نرى الآب، ومنه نعرف كل ما عند الآب:

+ «وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم.» (يو٨: ٢٦)

+ «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله.» (يو٨: ٤٠)

+ «أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي.» (يو١٠: ٣٢)

+ «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه.» (يو١٤: ٧)

+ «لأني أعلمتكم بكلّ ما سمعته من أبي.» (يو١٥: ١٥)

+ «لا أكلمكم أيضاً بأمثال بل أخبركم عن الآب علانية.» (يو١٦: ٢٥)

فجميع طرق الاستعلان السالفة لم تكن كافية لتبلغ الإنسان حقيقة الله، و بواسطتها جميعاً أخفق الإنسان أن يرى الله أو يسمع صوته. أما في الابن الوحيد الكائن في حضن الآب فقد استُعلن الله، مرئياً ومسموعاً:

+ «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤: ٩)

+ «الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني.» (يو١٤: ٢٤)

والآية بحدّ ذاتها تضع الله في السمو المطلق وتضع الإنسان الذي تعلّق بفحص الله أن يعود إلى بيته ودائرة محدوديته. كما تضع الإنسان الطموح الذي يحترق اشتياقاً وحباً لله أن يلتجىء إلى الابن المتجسد ليُشبع منه وفيه كل اشتياقاته وحبه، فالابن المتجسد هو الابن المحبوب الحامل ليس فقط لمعرفة الآب بل لكل حبه. فـ «المونوجانيس» كصفة الابن يجمع صفتين جوهريتين لله: البنوّة الفريدة، والحب الفريد.

فلو نتجها إلى الآية السالفة (١٧) باعتبارها الآية الفاصلة بين العهد القديم و العهد الجديد سواء من جهة طبيعته أو صاحبه: «**الناموس بموسى أُعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صار**»، نجد أنها بحاجة إلى المزيد من التوضيح. وهذا هو الذي تكمله الآية التي نحن بصددها. فموسى وكل الشخصيات العظيمة والمقرّبة إلى الله على مدى العهد القديم كله لم يحظَ أحد منها برؤية الله رؤية حقيقية، وإنما كان كله بالشبه، وبالتالي تكون كذلك كل توصيات ووصايا العهد القديم هي حتماً «شبه السماويات وظلّها»، وحتى الإنسان نفسه، كل إنسان، فهو مخلوق أصلاً على شبه الله.

وصورته. ولكن الآن وفي المسيح ليس الأمر كذلك، فهو الصورة الحقيقية لله، بل هو «الحق» في ذاته وفي كل أقواله:

ــ «فقال (موسى) أرني مجدك. فقال أجيز كل جودتي قدامك وأنادي باسم الرب قدامك. وأتراءف على مَنْ أتراءف وأرحم مَنْ أرحم. وقال **لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش.**» (خر٣٣: ١٨ــ٢٠)

هذا في مقابل صاحب العهد الجديد ومؤسّسه يسوع المسيح الابن الوحيد، فهو ليس كذلك بل هو وكما أشارت الآية السابقة ملء النعمة **والحق**:

«(ابن) وحيد من الآب مملوءاً نعمة **وحقاً**». و«الابن الوحيد (الإله) الذي **هو في حضن الآب هو خبّر**».

فهو الابن الحقيقي والفريد لله، الذي ليس فقط رأى الله ويعرفه بل هو قائم فيه **في موضع** الحضن أو على الأصح في **حالة** الحضن أي العمق الخفي والخاص والسري جداً، المستريح والفعال في الله الذي لا يحتلُّه إلا **«الابن الحبيب الذي سُررت به»** μονογενὴς .

«في حضن الآب»:

يلاحظ أنها لم تجيء ἐν τῷ κόλπῳ ولكن εἰς τὸν κόλπον . وهذا في التعبير اليوناني الدقيق يفيد ليس «في حضن الآب» بل «في داخل حضن الآب». وحتى هذا الوجود في الداخل ليس جامداً غير متحرك، بل هو وجود **«متداخل»** أي دائم الإتجاه نحو الحضن الأبوي([٣٩]). وبهذا يصبح هذا التعبير مشابهاً للتعبير الأول في الآية الأولى πρὸς τὸν θεόν «عند الله»، فهو وجود قائم متداخل ممتد في الله، وبذلك يكون التشديد في المعنى متركّزاً نحو كيفية الصلة الذاتية «الابن بالآب»، فهي صلة تداخل وتَضَامٍّ كلي ومطلق، لأن الابن والآب هما الواحد المطلق.

وبهذا التعبير اللاهوتي الدقيق يمتنع تصوُّر الثنائية بين الآب والابن، لأنه حتى بعدما أُرسل الابن في مهمة الخلاص العظمى حسب مسرة الآب وحبه للعالم والإنسان، ظل الابن هو كما هو قائماً في الآب ومتجهاً نحوه بتداخل كلي ومطلق، فهو كان على الأرض وفي السماء، في جسد

---

[39] J. De La Potterie (*Biblica* XLIII 1962, pp. 366-387) (365):

[Tourné vers le sein du Père, comme pour décrire le Fils, éternellement concient de recevoir de ce sein toute sa vie, tout son être.]

[«**المتجه نحو حضن الآب**»، وكأنه بهذه العبارة يريد أن يصف الابن بإحساسه الأزلي أنه يتقبل من هذا الحضن حياته كلها بل وكيانه كله]!

إنسان، وهو هو في الآب دون أدنى مفارقة ذاتية «وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو٣:١٣)

وفي هذا يقول القديس أغسطينوس في عظاته على إنجيل يوحنا:

[لقد أضيف الإنسان إليه، أما الله فلم يُفقد منه، لقد أخلى نفسه ليس بأنه فقد شيئاً مما له، ولكن بأخْذِه لنفسه ما لم يكن له.](٤٠)

من موضع هذا الحضن، أو على الأصح من واقع **هذه الحالة**، يخبرنا الابن عن الله كأبيه، أو بالحري يكشف لنا عن حقيقة طبيعة ذات الله.

ويجيء التعبير عن ذلك هنا في الآية باللغة اليونانية بترجمتها الصحيحة عن أقدم المخطوطات، وهو الوضع الذي أخذ به معظم الآباء، هكذا:

μονογενὴς θεὸς ὁ ὢν εἰς τὸν κόλπον τοῦ πατρός ، أي «الابن الوحيد الإله الكائن بذاته في حضن الآب». وهي الصفات الكاملة التي كانت تنقص ألقاب المسيح في الآية السالفة: «أما النعمة والحق **فبيسوع المسيح صارا**»؛ وهو تعبير يتجه مباشرة نحو العلاقة الشخصية بين الآب والابن، وتفيد أن الابن **كائن بالحب** في الآب، والمسيح عبَّر عن هذه العلاقة أصدق تعبير بقوله:

— «لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني.» (يو٨:١٦)

— «والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه.» (يو٨:٢٩)

— «وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي.» (يو١٦:٣٢)

— «أنا في الآب والآب فيَّ.» (يو١٤:١٠)

وهذا هو التعبير الشخصي المعبِّر عن علاقة الكينونة التي تربط الآب بالابن، مقابل التعبير الفكري الذي صوَّر علاقة الكلمة بالله على مستوى العمل والخلق، «والكلمة كان عند الله». فإذا أردنا أن نقارن بين التعبيرين فإنه يكون هكذا: فكما أن الكلمة تكون دائماً في حضن العقل، أو كما يكون الفعل مختفياً في الإرادة، هكذا الابن في حضن الآب.

وهذا الاستعلان يخدم قضية الإنجيل كله. لأنه بالتالي يكون «كل ما يقول ويعمل ويشرح»

[40] Augustine, *op. cit.*, VIII 3, XVII 16.

عن الله «أبيه»، هو الحق الواحد والوحيد لأنه يخبّرنا بما يرى ويعرف.

ويجيء الفعل «يخبّر = ἐξηγήσατο» يحمل هذه المعاني مجتمعة، فهو يخبّر بالخبر الإنجيلي الذي يشرح ويفسر ما خَفِيَ عن الله ويعلّم ويوضح.

ومعروف أن اللغات الحديثة أخذت هذه الكلمة ἐξηγήσατο دون أي تحريف لتجعل منها نفس المعنى أي الشرح **والتفسير** والتوضيح للأمور المخفية (exegesis = علم التفسير). وفي الحقيقة إن المعنى لهذه الكلمة يتسحّب على المسيح نفسه بكل ارتياح، فهو بذاته وبحياته وتجسده هو هو ἐξήγησις الآب. فالمسيح هو **«الله المعلَن»**، **«والله هو مَنْ أعلنه المسيح»** في ذاته وأقواله وأعماله. بل إن المسيح في عُرْف الآباء القديسين هو «الإنجيل» لأنه هو «الخبر المفرح»، أليس هو **«الكلمة»؟**

وبهذه الكلمة يسلّم ق. يوحنا فكر القارىء إلى **بداية رواية الإنجيل** مباشرة في الآية القادمة بثقة وبكل هدوء. فانظر، أيها القارىء، وتعجّب لهذه الدقة المتناهية وهذا الحبك اللفظي والمعنوي، هذا ليس حرفاً بل هو روح!!

كما يلاحَظ أنه عن قصد ودراية يقدّم لنا ق. يوحنا هذه الآية الأخيرة واصفاً صاحب العهد الجديد بل وصاحب الإنجيل بهذه الصفات، فهو يقصد التأكيد على أن كل ما سيجيء ــ في هذا الإنجيل ــ على لسان المسيح هو «الحق»، فهو أولاً **«كلمة الله»**، وهو **«المملوء نعمة وحقاً»**، وهو **«الابن الإله القائم في حضن الآب»**، هذه هي مؤهلات الذي أتى بالخبر الإنجيلي. وهو يخبرنا، نحن البشر، خبر **القُرْبَى**، والسُّكْنَى في البيت الواحد. فهو يكلمنا ليس بالرؤيا ولا بالحلم، «فالكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا»، فهو وهو كونه **«كلمة الله»** يكلمنا «بالجسد» كإنسان وهو الله.

وفي ختام هذه المقدمة يمكن أن نضع أمام القارىء أهم وأخطر الكلمات التي جمعها وكدّسها ق. يوحنا في المقدمة، والتي ستقوم عليها كل رواية الإنجيل باعتبارها أساس لاهوت إنجيل يوحنا:

الحياة، النور، الظلمة، الشهادة، العالم، المجد، ابن الله الوحيد، الحق، يُقْبِل، يؤمن، اسمه، يولد من الله.

أما الكلمات الهامة جداً التي جاءت في المقدمة فقط واختفت من باقي الإنجيل فهي «الكلمة»، «النعمة»، «الملء»، لأنها بعد التجسد أخذت صورة الفعل والعمل. فالكلمة صار متكلماً، والنعمة صارت عطية، والملء صار توزيعاً.

القسم الثاني من المقدمة

الشهادة μαρτυρία

١ : ١٩ ـــ ٥١

وهي تختص بالشهادة أن يسوع هو المسيح ابن الله . وهي تشمل :

١ ـــ شهادة القديس يوحنا المعمدان ـــ وهي تمثل شهادة الوحي النبوي بالإلهام. وقد جاءت على عدة مراحل :

أ ـــ الجواب بالنفي : ١ : ١٩ ـــ ٢٢ .

ب ـــ الجواب بالإيجاب : ١ : ٢٣ ـــ ٢٨ .

ج ـــ الشهادة للمسيح : ١ : ٢٩ ـــ ٣٤ .

د ـــ المعمدان يبدأ يسلّم الوديعة : ١ : ٣٥ ـــ ٣٧ .

٢ ـــ شهادة التلاميذ ـــ وهي شهادة الرؤية الإيمانية «وقد رأينا مجده» ἐθεασάμεθα وهي تشمل :

أ ـــ شهادة أندراوس : ١ : ٤٠ ـــ ٤٢ .

ب ـــ شهادة فيلبس : ١ : ٤٣ ـــ ٤٦ .

ج ـــ شهادة نثنائيل : ١ : ٤٧ ـــ ٥١ .

١ ــ شهادة القديس يوحنا المعمدان:

لقد سبق للقديس يوحنا أن أورد المعمدان كشاهد مرتين:

الأولى: ١:٧ كشاهد للنور: «هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته». وهذه الشهادة لا تدخل في سياق التاريخ، بل وُضعت كمعيار شخصي للمعمدان تحدد حجم شخصه وعمله.

والثانية: ١:١٥: «يوحنا (المعمدان) شهد له ونادى قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي (١:٢٧) لأنه كان قبلي».

وهي منسوبة لشهادة قادمة ١:٢٧، التقطها ق. يوحنا وقدَّمها عن موضعها لتخدم واقعية «الكلمة صار جسداً»، أي أن الكلمة دخل التاريخ في حيز محدد جاء ترتيبه بعد المعمدان: «يأتي بعدي»؛ ولكن، بسرعة، يستدرك المعمدان هذه المعلومة الزمنية بإعطاء معلومة غير زمنية عن الكلمة الذي صار جسداً بأنه كان قبله، ليس زمنياً، بل كيانياً، مما يفيد تجاوز البشرية ككل. وهذه الشهادة سجلها ق. يوحنا الرسول ليؤكد بها ضمناً تدنِّي رتبة المعمدان عن رتبة المسيح: «صار قدامي لأنه كان قبلي».

وهنا في ١:١٩ يبدأ ق. يوحنا إنجيله تاريخياً على مستوى الوقائع اليومية، مبتدئاً بالمعمدان حسب التقليد الرسولي الذي استلمته الكنيسة وتسجَّل لنا في سفر الأعمال: «فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج: "**منذ معمودية يوحنا**" إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا.» (أع١:٢١ــ٢٢)

وهكذا يحصر التقليد الرسولي في سفر الأعمال ــ بفم بطرس الرسول ــ زمان ظهور المسيح وعمله، أي إنجيل البشارة ابتداءً من المعمدان.

والقديس بطرس يؤكد ذلك مرة أخرى وفي سفر الأعمال أيضاً: «أنتم تعلمون الأمر الذي صار **في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا** ــ يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة.» (أع١٠:٣٧ــ٣٨)

وواضح أيضاً من شهادة بولس الرسول أنه استلم هذا التقليد الرسولي وعلَّم به كما هو: «فقام بولس وأشار بيده وقال: ... أقام الله لإسرائيل مخلِّصاً يسوع **إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسرائيل.**» (أع١٣:١٦و٢٣و٢٤)

وهذا هو النص الذي ابتدأ ق. مرقس به إنجيله: «**بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي** الذي يهيىء طريقك قدامك. صوتُ صارخ في البرية، أعدُّوا طريق الرب، اصنعوا سُبُله مستقيمة. **كان يوحنا يُعمِّد في البرية و يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.**» (مر١:١ــ٤)

أما ق. يوحنا فلم يلتفت إلى شخصية المعمدان في حد ذاته، مثلما سارت عليه الأناجيل، من حيث ميلاده وحياته في البرية ولِبْسه وأكله وشربه والظروف التي أحاطت به جميعاً، كذلك موقفه مع هيرودس رئيس رُبْع الجليل وهيروديا والسجن والسيف، والأُمور التي انتهت بموت المعمدان. كما لم يذكر ق. يوحنا خدمة المعمدان الفريدة من نوعها في أخذ اعترافات الشعب وقبول توبتهم قبل التعميد، الذي كان في اعتبار الإنجيليين ــ وخاصة ق. متى ــ نقطة انطلاق لخدمة المسيح، إذ اعتبر أن عماد المسيح بمعمودية التوبة على يد المعمدان هو عملية استقطاب عظمى ينوب فيها المسيح عن كل الشعب تائباً: «هذا هو ابني الحبيب الذي سُررتُ به»، وذلك عوض إسرائيل الابن الذي أخطأ وزاغ وأعوزه الخلاص. ولكن حتى هذا الزخْم الروحي في التقليد الإنجيلي تحاشاه ق. يوحنا، لأنه كان مهتماً في مستهل إنجيله بكشف العلاقة بين المعمدان كمجرد إنسان مُرسَل من الله، وصوتِ صارخ يشهد للمسيح، و بين المسيح كنور حقيقي يضيء لكل إنسان.

أما معمودية التوبة التي هي وظيفة المعمدان، فيراها ق. يوحنا أن هدفها الوحيد هو استعلان المسيح[٤١]: «في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه»، وذلك على مستويين:

المستوى الأول: أن بدء عمل المعمدان بإعلان معمودية التوبة للشعب هو، بحساب الساعة السماوية، إيذانٌ بافتتاح عهد المسيا أي المسيح، وذلك بعلامة سماوية لقَّنها الروح للمعمدان، حتى إذا رآها يشهد في الحال لصاحب العهد الذي من أجله جاء ليفتح الطريق أمامه.

المستوى الثاني: أن بخدمة التوبة والتعميد بالماء و«**مغفرة خطايا**» تنفتح بصيرة الشعب فيتهيأ لقبول المسيَّا: «ليؤمن الكل بواسطته». وهذا هو ما قصده إشعياء وردَّده المعمدان من «إعداد الطريق قدامه» (راجع لو١: ٧٦و٧٧).

هدف إنجيل يوحنا كان منصباً على تجميع الشهادات **الموثوق بها** للمسيح. لذلك نجده يهتم جداً في بدء ذكر المعمدان (١: ٦) أنه **كان مُرسَلاً من الله ليشهد:** «كان إنسانٌ مُرْسَلٌ من الله

(٤١) ارجع إلى كتاب أعياد الظهور الإلهي للمؤلف (طبعة ١٩٨٠)، وعلى الأخص إلى مقالة «عيد الغطاس رؤية وشهادة»، (ص ٢٦٩ــ٢٧٨) ــ وهي أصلاً عظة عيد الغطاس سنة ١٩٧٧.

اسمه يوحنا هذا جاء للشهادة». كما يعتني ق. يوحنا أن يجعل شهادة المعمدان القائمة على رؤيته للروح القدس، وهو يستقر على المسيح وسماعه الصوت الآتي من السماء، أن تشهد لبنوّته لله — ليست شهادة ذاتية ترتكز على موهبة طبيعية أو إلهام خاص بالمعمدان — ولكن ترتكز على توجيه إلهي وإعطاء علامة سماوية خطيرة يلتزم بها المعمدان للاستعلان، وذلك ضماناً لصدق الشهادة ودقّتها: «**وأنا لم أكن أعرفه لكن** ليُظْهَر لإسرائيل، لذلك جئتُ أُعمِّد بالماء... **وأنا لم أكن أعرفه، لكن** الذي أرسلني لأعمِّد بالماء ذاك قال لي: **الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا** هو الذي يعمِّد بالروح القدس، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله.» (يو١: ٣١و٣٣و٣٤)

١: ١٩ **«وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت».**

لأول مرة يذكر ق. يوحنا اللاويين! فالمسألة مسألة **تطهير**، وهي الأمور الخاصة بهم وحدهم. أما الكهنة، فالأمر بالنسبة لهم جدّ خطير، لأن هناك إجراء طقسي عام على مستوى الشعب: اعتراف وتوبة وتعميد، أمر لم يحدث من قبل في تاريخ شعب إسرائيل وهو من صميم اختصاص الكهنة.

أما كلمة «اليهود» فهي تعبير عن الهيئة العامة الرئاسية للشعب أي السنهدريم. فقد شكّل لجنة لتقصّي الحقائق. إنه تكليف من الناموس، هو قانون يرتكز على وصية: «وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أُوصِهِ أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي. وإن قُلتَ في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِرْ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تَخَفْ منه.» (تث١٨: ٢٠—٢٢)

وهذه الوصية أعطاها الله — أي جاءت في التوراة — بعد ذكر الوعد بمجيء «**النبي**» من وسط شعب إسرائيل مثل موسى، ويقصد «المسيّا»: «يقيم لك الرب إلهك **نبياً من وسطك** من إخوتك، مثلي، له تسمعون.» (تث١٨: ١٥)

ماذا حدث؟

ق. يوحنا يعتمد هنا اعتماداً كليًّا على رواية الأناجيل فيما يخص الأمور التي واكبت قيام المعمدان بوظيفته «كمُرْسَل من الله» لأخذ اعترافات الشعب والتعميد وقبول التوبة.

لم يكن من السهل أن يتحرك السنهدريم ويرسل هذه اللجنة للفحص، إلاّ بعد أن بلغت حركة المعمدان أقصاها بعماد المسيح وإعطاء الشهادة العلنية أن: «**هذا هو ابن الله**»، و«**حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم**». أمرٌ أصاب الرؤساء على كل مستوياتهم بالذهول والإضطراب والقلق. هل جاء المسيا؟ وكيف لم يمر أولاً على الهيكل والسنهدريم؟ ويتعرف عليه الرؤساء أولاً ويخضع لموجبات الناموس؟

— «فأجابهم الفريسيون: ألعلكم أنتم أيضاً ضللتم، ألعل أحداً من **الرؤساء أو من الفريسيين** آمن به. ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم **الناموس هو ملعون**.» (يو٧: ٤٧—٤٩)

الأخبار ترد للرؤساء كل يوم: جموع الشعب الحاشدة تتسابق لعبور الأُردن لرؤيته والإستماع إليه، شخص مديد القامة نحيف، متمنطق بالجلد، وجهه كالنار، نبيُّ الهيئة، جهوري الصوت، يوبِّخ الفريسيين، وهم أمراء التعليم؛ يعنِّفهم أعنف توبيخ، يدعوهم أولاد الثعابين، ومعهم ومثلهم الصدُّوقيون، يهددهم ويهدد رؤساءهم بالقطع، كشجرة لا تصنع ثمراً جيداً مأواها النار!

أورشليم واليهودية وجميع الكور وما حول الأُردن، جماعات جماعات، تزحف بلا توقف تبكي وتنوح معترفةً بخطاياها، تتسابق لتعتمد تحت يده. هو لا يكفُّ عن فضح خطاياها، كلَّ فئة بعارها، وكل وظيفة بعثراتها، وهي ترتعد تحت تهديد قضاء الله الخارج من فمه كالسيف. لقد هطلت السماء، بعد أن توقف غيث الله أربعمائة سنة لم يسمع فيها أحدٌ صوت نبي.

أما تقليد الأناجيل الأُخرى فيعطي صورة لعماد المسيح تحت يد يوحنا المعمدان: المسيح قادم، المعمدان يلمحه فيخفِّض صوته وترتخي يداه، يخرج من الماء ويقف أمامه خاشعاً، المسيح يدعوه لمتابعة عمله، المعمدان يتنحَّى ويطلب أن ينعكس الوضع، المسيح يدرك أنه مولود تحت الناموس، يطلب: «ينبغي أن نكمِّل كل برٍّ» ليكفي احتياج **كل العالم**، المعمدان يُجري الطقس والعهد ينتقل من يد ليد ومن الماء إلى الروح، السماء تنفتح، الروح القدس ينحدر «**ليستقر**» عليه واستقر ليغطيه، صوت الآب من السماء: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». المعمدان يؤمن ويشهد على مرأى ومسمع من تلاميذه، وينقص لينطفىء، لأن النور الحقيقي جاء. ولكن إنجيل يوحنا لا يذكر عماد المسيح.

«**وهذه هي شهادة يوحنا**» ἡ μαρτυρία :

الشهادة للمسيح عند ق. يوحنا تُعتبر ذات قيمة إيمانية عظمى، نظراً لأن الكلمة المتجسد ابن الله لم يكشف لاهوته بصورة علنية ولا طرح طبيعته ومجده للمارة، بل اختزنها للعين المؤمنة لترى

وتشهد وتبلّغ القصد. لذلك اعتنى ق. يوحنا ليقدّم في بداية إنجيله شهادات قويّة وقويمة من أشخاص موثوق بهم تحت عهدته كتلميذ محبوب مختار ومؤتمن، يسجل لهم كمَن سمع وعاين بنفسه. أليس هو تلميذ المعمدان أصلاً؟

«حين أرسل إليه اليهودُ من أورشليم كهنةً ولاويين»:

يلاحظ القارىء مقدار الحبك القانوني بل القضائي الذي خرجت من تحت يده هذه الشهادة، فليس عبثاً أن يدقق ق. يوحنا في نوع اللجنة القضائية وتشكيلها القانوني من الطبقتين الموكَّل إليهما من الله فحص و بحث وخدمة قضايا الشعب: «كهنة ولاويين»(٤٢). وهي موفدة من قِبَل محكمة اليهود ــ الرئيسية في أورشليم ــ السنهدريم (٧١ عضواً). وليس ذلك فقط بل عاد ق. يوحنا في معرض الإنجيل ليكرر أن شهادة المعمدان معتمدة لدى المسيح نفسه أنها حق!

«الذي يشهد لي هو آخر (المعمدان) وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق. أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق» (يو٥: ٣٢و٣٣). وكل هذا التوثيق الذي يوثق به ق. يوحنا شهادة المعمدان، إنما هو ليقبل القارىء هذه الشهادة لتكون عنصراً لإيمان لا يتزعزع. ومرَّة أخرى ننبه ذهن القارىء إلى مدى أهمية القول إننا نؤمن بكنيسة واحدة «**رسولية**». فبالرسل ومن خلال الرسل استعلن المسيح نفسه لهم، وشاهدوه وشهدوا له، واعتمدنا نحن على مشاهدتهم وشهادتهم.

«ليسألوه مَنْ أنت»:

هنا يلذُّ لنا أن نكرر ما قاله ق. يوحنا سابقاً عن المعمدان: «كان إنسانٌ مُرسَلٌ **من الله** اسمُهُ يوحنا». ولكن من **الأ**مور البديعة الملفتة للنظر التطابق المحبوك بين ما قاله ق. يوحنا وما جاء أصلاً في ملاخي النبي عنه: «**هأنذا أرسل** ملاكي فيهيىء الطريق **أمامي**» (ملا٣: ١). فالذي قاله الله عن نفسه «**هأنذا** أرسلُ»، حوَّله ق. يوحنا كما هو إلى صاحب الإرسالية «مُرسَلٌ **من الله**». ثم حدث التصويب المباشر نحو المسيح أنه هو هو الله «يهوه» العهد القديم المتكلم في فم الأنبياء. وهذا يتضح من قول الله: «أنا (الله) أُرسِلُ ملاكي "**أمامي**"»، حيث «**أمامي**» صارت «**أمام المسيح**».

(٤٢) اللاويون المذكورون هنا هم الكتبة والناموسيون في الأناجيل الأخرى، وهم من السبط المقدس ولكن ليسوا من عائلة هرون بالذات.

عن: Hengstenberg op. cit., vol. I, p. 61.

أ ــ الجواب بالنفي:

كانت التعليمات المعطاة لأعضاء لجنة تقصّي الحقائق المرسَلة من السنهدريم هي التحقُّق الشخصي من المعمدان بأسئلة محددة يتحتم أن يجاوب عليها واحدةً فواحدةً، حتى يتحققوا من شخصيته «هل هو المسيَّا»؟ وهذا أهم سؤال، لأن الذي شاع آنئذ أنه هو المسيَّا وقد جاء. لذلك وُضع السؤال قاطعاً مانعاً. «من أنت؟»، هذا في البداية.

والذي ضخَّم في أسماع السنهدريم خطورة قيام هذا النبي هو تجرُّؤه على توبيخ الفريسيين أنفسهم بعنف بالغ وهم أئمة الأمة علماً وتعليماً، والصدُّوقيين وهم طبقة الكهنوت، مطالباً إياهم بالتوبة وأن لا يتكلوا على برِّ أنفسهم أو نسبهم: «يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً.» (مت٣: ٧ــ٩).

ولم يفت على المسيح هذا الشموخ النبوي الذي لم يبلغه نبي، فقال عنه أنه أعظم من نبي: كونه شاهد النور وشهد له، وكونه لم يجفل أمام علماء الأمة ومعلميها، بل ولم يحفل بكاهن أو لاوي!!

١ : ٢٠ «فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أني لستُ أنا المسيح».

رفض المعمدان رفضاً قاطعاً أن يعرِّف نفسه على قياس أية شخصية سابقة مرصودة في عالم رؤى اليهود: لا المسيَّا ولا إيليا ولا النبي ولا أي آخر. لأنه يعلم تماماً أنه جاء ليحمل شهادة لمَنْ هو أقوى منه، الذي يأتي بعده وهو لا يعرفه الآن ــ فإن أردتم أن تعرفوا مَنْ أنا، فأنا صوتُ صارخٍ! يعدّ الطريق للقادم.

«اعترف ولم ينكر»:

يبدو النفي هنا أنه للتأكيد. فالمعمدان عُرف لدى الكثيرين أنه المسيَّا، والأخطر أن بعضاً من تلاميذه تمسكوا بهذا الادعاء وكوَّنوا شيعة تمجِّده باعتباره المسيَّا.(٤٣)

فسؤال لجنة الفحص وتقصِّي الحقائق لم يَنْشأ من فراغ، فهي تواجه بسؤال حرج للغاية، لأن

---

(٤٣) انظر المدخل ص ٣٨٤؛ وشرح الأصحاح ... ص ٨٦ و٨٧.

التلاميذ الذين يتبعونه والشعب الواقف والسامع كان قد أُخذ بهيبته وظنوه فعلاً المسيَّا:

ــ «وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح...» (لو٣: ١٥)

ــ «ولما صار يوحنا (المعمدان) يكمل سعيه، جعل يقول: مَن تظنون أني أنا؟ لست أنا إياه لكن هوذا يأتي بعدي الذي لست مستحقاً أن أحُلَّ حذاء قدميه.» (أع١٣: ٢٥)

هٰذا أسرع المعمدان ولم يتنكر لحقيقته **مؤكداً**، والتأكيد هنا بسبب الإشاعات التي ملأت اليهودية وأورشليم، **أني لست أنا المسيح**. والجملة المنفية هنا ذات تركيب يوناني خاص ἐγὼ οὐκ εἰμί تزيد معنى التصحيح في ذهن السامع وليس كمجرد رد على سؤال؛ بمعنى: أنا لست أنا المسيح، فالمسيح في وسطكم ولستم تعرفونه! وكأنه يرد على أفكارهم **وليس على** مجرد سؤالهم.

وليلاحظ القارىء أن المعمدان استخدم النفي على كل الأسئلة، **«لست أنا»**، فهنا «أنا» منفية οὐκ εἰμί، تاركاً للمسيح فقط ἐγώ εἰμι «أنا هو»، أو «أنا القادر على كل شيء».

٢١:١ **«فسألوه إذاً ماذا. إيليا أنت، فقال لست أنا. ألنبي أنت، فأجاب لا».**

«إذاً ماذا»؟

هنا يتضح للغاية حيرة اللجنة التي تفحص وتتحقق، لأنهم جاءوا وهم متأكدون أنه سيعلن أنه المسيَّا حسب كل ما سمعوه وحسب سلطان التعليم والتوبيخ الذي في فمه، بل وحسب جرأته في إجراء التعميد وأخْذِ اعترافات الشعب وقبول توبتهم، حتى الفريسيين والصدوقيين ورجال الجيش!

ويلاحظ القارىء أن اللجنة كانت تتوق أن تسمع منه أنه المسيَّا، لأن الجو الذي ملأ ربوع فلسطين كان جوًّا ماسيانياً على أعلى درجة، لأنه بدأ بالحقيقة والفعل حسب وعد كل الأنبياء وبالأكثر ملاخي النبي (٤: ٥)، وحسب لغة الملاك لزكريا الكاهن (لو١: ١٧) أبو المعمدان، بل وحسب نبوة زكريا الكاهن نفسه. فهذه الحوادث سرعان ما طار خبرها ليملأ ربوع أورشليم والبلاد. ولكن لم يكن للمعمدان أي حق في هذا الإدّعاء قط، فهو من سبط كهنوتي، أما المسيَّا فهو معروف أنه يأتي من نسل داود سبط يهوذا.

إذاً ماذا؟ بالأكثر جداً و بحسب الواقع فهوذا المعمدان قد جاء بقوة إيليا وروحه.

«إيليا أنت؟ فقال لست أنا»:

إذا لم يكن المعمدان هو المسيَّا، فيلزم أن يكون هو الآتي قبل يوم الرب العظيم حسب نُبوّة

ملاخي. وهنا تعارض واضح أن يقول: «لست أنا». لأن كل الأناجيل الثلاثة تقول إنه إيليا، ومن فم المسيح:

ـ «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع.» (مت ١١: ١٤)

ـ «ولكنني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم.» (مت ١٧: ١٢)

وهذا التصريح كرره القديس مرقس في إنجيله (٩: ١٣). وهذه الإعتمادات كلها قائمة على نبوات واضحة[٤٤]:

ملاخي ٣: ١ (٤٥٠ قبل الميلاد):

«ها أنا أرسل ملاكي فيهيىء الطريق أمامي. ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرّون به، هوذا يأتي، قال رب الجنود».

ملاخي ٤: ٥:

«ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم المخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن»!

إشعياء ٤٠: ١ـ٥ (ذهبي للنبوة حوالي ٦٠٠ قبل الميلاد):

«عزّوا عزّوا شعبي، يقول إلهكم، طيّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه... صوتُ صارخٍ في البرية أعدُّوا طريق الرب قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبلٍ وأكمةٍ ينخفض، ويصير المعوجُّ مستقيماً والعراقيبُ سهلاً. فيُعلَن مجد الرب ويراه كل بشرٍ معاً، لأن فم الرب تكلم».

لقد احتار جميع الشُّرح لإنجيل يوحنا في هذا التعارض، لأن شخصية إيليا مهيَّأة من كل الوجوه بحسب تقارير الأنبياء في العهد القديم أن تكون هي الشخصية المسيَّانية الأولى قبل المسيح، فهو رُفع إلى السماء حيًّا (٢مل٢: ١١) باستعداد المجيء، وهو الذي ربط السماء فلم تمطر ثلاث سنوات، ثم هو الذي صلّى فهطلت الأمطار؛ إمعاناً في تعريفنا بشخصيته أنه أُعطي أن يتعامل مع

(٤٤) في محاورات القديس يوستينوس مع تريفو اليهودي يوضح أن التراث اليهودي يقول إن المسيا سيظل غير معروف، وحتى هو نفسه سيظل غير معروف لنفسه ولا قوة له، حتى يأتي إيليا ليمسحه ويجعله معروفاً عند الجميع.

Just. Dial. Try. VIII, ANF I. p. 199.

الله مباشرة. وملاخي النبي يكشف الستار عن شخصية إيليا أنها مُعدَّة ليوم الرب العظيم، لردّ القلوب على القلوب أي إعداد طريق الحب الإلهي الذي سينسكب من السماء على كل بشر.

ولكن نحن لا نرى أيَّ تعارض إذا تمسّكنا بأسلوب ق. يوحنا السرّي، فالسؤال المباشر للمعمدان: «هل هو المسيَّا»، كان يعني في ذهن اللجنة الفاحصة أن المعمدان هو شخص المسيَّا، وعلى السؤال كان الرد القاطع: «أنا لست المسيَّا». ثم يجيء السؤال الثاني على نفس النمط **«هل أنت هو إيليا»؟** هنا في الحقيقة المعمدان يعلم تماماً أنه يوحنا المعمدان فقط، هكذا وُلد وهكذا تُسمِّي وهكذا عاش وهكذا دُعي بالروح ليؤدي رسالة الشهادة. أما النبوات التي قالت إن إيليا يأتي فقد أساء فهمها اليهود بأن إيليا سيظهر بالجسد كإيليا «إيليا أنت»؟ طبعاً لا، أنا يوحنا بن زكريا.

ولكن المعمدان كان يعلم بالروح الذي فيه أنه أخذ من الله قوة إيليا و بأس روحه، وقد مارس القوة في توبيخ معلّمي إسرائيل ورؤسائه، ومارس بأس الروح في معاملته هيرودس. لهذا كان المعمدان يحمل مؤهلات إيليا، ولكن ليس شخصه ولا جسده؛ لذلك لما أُعطِيَ الفرصة أن يتكلم إيجابياً قال: «أنا صوتُ صارخٍ في البرية...». وهي نبوة إشعياء النبي عن مجيء عهد المسيَّا، عهد «عزاءِ أورشليم». فهو هنا يصرِّح ويعلن ويشهد أنه القادم لإعداد طريق الرب وأنه وإن كان ليس المسيَّا فهو المتقدِّم عليه وظيفيًّا: «يأتي بعدي الذي لستُ مستحقاً أن أحلَّ سيور حذائه». وكأنما يقول صراحةً للذي يريد أن يفهم ويؤمن: «نعم أنا الذي **قيل عنه** إيليا يأتي، ولكني أنا يوحنا».

لأنه في كل شرحٍ للعهدين القديم والجديد معروف أن نبوة ملاخي هي التوضيح الدقيق لنبوة إشعياء، أي أن الصوت الصارخ في البرية هو صوتٌ بروح إيليا وقوته!!

إذن، فإجابة يوحنا وإن كانت بالسَّلْب، فهي حسب أسلوب ق. يوحنا فرصة ليؤمنوا من خلالها ــ إذا أرادوا ــ أنَّ هوذا عهدُ المسيَّا قد أتى، وهوذا إيليا أمامكم بروحه وقوته، ولكنه لم يسلِّمهم نفسه ليهزأوا بها، لأنه كمعلمه كان يعرف ما في صدورهم!! لقد أخفى الحقيقة الروحية عن الذين لن يصدقوها وأبقى لهم الجسد!

ثم أليس هذا هو نفس رد المسيح على الثلاثة التلاميذ الأخصَّاء بطرس ويعقوب ويوحنا، بعد أن أمْضَوْا معه ساعة من ساعات أمجاد المجد الأسنى على الجبل المقدس، ورأوا إيليا وموسى في حالة تجلي أيضاً وقد حضرا وتكلما معه، تعبيراً عن التحام العهد القديم بناموسه وأنبيائه بالجديد، وأن

بالتجلي والإستعلان يُدرَك المسيح على ضوء الناموس والأنبياء. أما التلاميذ فظنوا أن إيليا لا بد وأن يبقى كما رأوه ليعدّ للرب حسب وعد النبوة، وأن موسى سيبقى حتماً ليشهد للرب؛ لذلك أسرع بطرس وهو لا يدري ما يقول ـــ لأنه يقول بالروح ـــ أن تُصنع ثلاث مظال واحدة للرب وأخرى لموسى والثالثة لإيليا، هكذا كان منظر العهد الجديد منظوراً في مُخيِّلة بطرس. لذلك لما ذهبت السحابة (الحضرة الإلهية) ونظروا المسيح وحده تحسَّروا. وفيما هم نازلون من الجبل سأله تلاميذه ـــ إن كان إيليا هكذا تركهم واختفى ـــ «فلماذا يقول الكتبة (اللاويون) أن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟» (مت١٧: ١٠)، فكانت إجابة الرب أن إيليا جاء بالروح والقوة في شخص المعمدان ولم ينتبهوا إليه أو يدركوه لأنهم كانوا يعتقدون أنه سيأتي بشخصه وجسده القديم، لذلك أهانوه وقتلوه، نفس الأمر الذي سيقترفونه بجنونهم معي: «فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويردُّ كل شيء. ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا؛ **كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم**، حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان.» (مت١٧: ١١ـــ١٣)

«ألنبي أنت؟ فأجاب لا»!

ليلاحظ القارىء الإقتضاب التنازلي في النفي، الأسلوب الذي استخدمه المعمدان وكأنه نوع من التحدي. وهذا يظهر في اليونانية بوضوح أيضاً:

١ ـــ **لست أنا** ἐγὼ οὐκ εἰμί وتُترجم «أنا لست هو».

٢ ـــ **لست أنا** οὐκ εἰμί .

٣ ـــ **لا** οὔ .

شخصية «النبي» هذا لم تكن معروفة لا في أذهانهم ولا في أذهان الشعب. وهي ربما تكون الشخصية التي قال عنها الله (تث١٨: ١٨): «أُقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجْعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أُوصيه به»، وهي إحدى النبوات التي تصوِّر شخصية المسيا.

وكان رد المعمدان بالنفي، مع ملاحظة أن كلمة «النبي» جاءت معرَّفة بـ«أل». فالسؤال لم يَردْ «هل أنت نبي»؟ وإلا كان الرد معروفاً مسبّقاً، فهو كان محسوباً أنه نبي لدى كل الشعب، والمسيح نفسه أمَّن على هذا وزاد عليه «وأعظم من نبي».

١: ٢٢ **«فقالوا له: مَنْ أنْتَ لنعطي جواباً للذين أرسلونا، ماذا تقول عن نفسك»؟**

ب ــ الجواب بالإيجاب:

١ :٢٣ «قال: أنا صوتُ صارخٍ في البرية قوّموا طريق الرب، كما قال إشعياء النبي».

عجيبٌ هو تعبير إشعياء النبي عن الصابغ السابق يوحنا المعمدان هذا، لقد وضعه قبل أن يجيء بستمائة سنة. فهذا التعبير «صوتُ صارخٍ» يخلو من تحقيق الذات بل يفقدها في مسار عملها كالصراخ الذي ما يفتأ إلاَّ ويتلاشى ولا يوجد له وجود. اسمع ما يقوله المعمدان عن نفسه تحقيقاً لهذا الوصف الذي أعطاه إيَّاه إشعياء النبي: «ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص»!! وكأنما صراخ الشهادة أُضيفَ إلى المسيح لتتلاشى قوته من الصارخ الشاهد!

لقد تبارى جميع الإنجيليين ليسجلوا له نبوة إشعياء بأكملها خاصة القديس لوقا ــ حباً وكرامة! أما هو ــ المعمدان ــ فاكتفى لنفسه بجملتين منها. وهل يحتاج أعضاء لجنة الفحص وتقصّي الحقائق الموقرون إلى التعريف بما آلت إليه حال البلاد في عهدهم وما يحتاجه هذا الحال من إصلاح ليناسب الملك الآتي؟

١ :٢٤و٢٥ «وكان المُرْسَلُون من الفريسيين. فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمّد إن كنتَ أنت لستَ المسيح ولا إيليا ولا النبي»؟

المعنى هنا عميق وخبيث جداً، فهو نوع من الإصطياد للإدانة. فالتعميد بالنسبة للفكر اليهودي لا يجوز إلا للأجانب الذين يريدون الإنضمام للشعب المختار ــ لأن الأمم أنجاس مناكيد. فكيف يجرؤ هذا الإنسان، الذي هو ليس المسيح وليس إيليا وليس النبي، أن يعمِّد الأمة المقدسة، والشعب المبارك المختار وكأنه نجس يحتاج إلى التطهير أو غريب عن الله يحتاج إلى التبنِّي؟ إنها إساءة لقداسة الأمة ولكرامة اليهود والرؤساء والسلطات!!

كذلك كان أخوف ما يخافه الرؤساء أن تكون هذه المعمودية مسيَّانية الهدف، أي خلاصية من قِبَلِ الله، ويجريها إنسان لا يمتُّ للهيئات الكهنوتية والفريسية، فيكون معناه أنهم قد عُزِلوا. لذلك تركز سؤالهم أخيراً في معنى عماده: «لماذا تعمِّد»؟

١ :٢٦و٢٧ «أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أُعمّد بماءٍ ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه، هو الذي يأتي بعدي، الذي صار قُدّامي، الذي لستُ بمستحق أن أَحُلَّ سيور حذائه».

وكأني بالمعمدان يقول:

أنا أعمد بماء ومعموديتي ليست كمعمودية المسيَّا، فمهما كان مظهرها الجماعي، فهي أيضاً

تمهيد أو إظهار لعمل أعظم هو وشيك أن يقوم به صاحبه القائم في وسطكم. فإن كنتم لستم تعرفونه (وهي خطية اليهود المتكررة على مدى الإنجيل كله)، لكنني أنا أعرفه وأنا بالنسبة له لست أكثر من عبدٍ يحمل له حذاءه، يخلعه من قدميه: يفك سيوره، وحتى هذا يكون فوق استحقاقي ومقامي. فعملي كوني أُعمِّد ليس أكثر من عمل خادم يمهِّد لعمل سيده ليُظْهِره. إذن، فمعموديتي وخدمتي ينبغي أن لا تقلقكم. ألم يقُلْ إشعياء تمهيداً لعصر المسيا: «اغتسلوا، تنقَّوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كُفّوا عن فعل الشر؟» (إش١ : ١٦)

ولينتبه القارىء أن المتكلم بهذه الكلمات الإنسحاقية أمام لجنة تقصّي الحقائق هو في حقيقته ــ التي يعرفها المسيح ــ نبي وأعظم من نبي، ولم يقم من بين مولودي النساء أعظم منه.

فهل ننسى قامة إيليا الذي أرعب قلب ملك، والذي فلق الأردن بردائه، وأغلق السماء بكلمة وفتحها بصلاة؟ ومن جهة قوته حتى من جهة الجسد، دخل سِباقاً مع أقوى فرسان إسرائيل في مركبة ملكية فسبق!!

هذا هو روح المعمدان الآن، مضافاً إليه النور الذي انطبع على وجهه لما تطلَّع في وجه عريس البشرية، والسماء مفتوحة، والروح القدس حالٌّ عليه والآب ينادي: «ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ»!!

نحن نمسك القلم عن الإسهاب في دور يوحنا المعمدان في الكرازة وكيف ألْهب قلب الشعب من جهة النسك والتقوى ومخافة الله والتوبة عن المعاصي، لأن هذا الدور لم يشأ ق. يوحنا أن يخوض فيه لئلا تختلط الكرازة في الظل مع الكرازة في النور، فالمعمدان عند ق. يوحنا لم يجيء ليكرز بل ليشهد.

لذلك وقف أعضاء اللجنة في حيرة من أمرهم. فقد ذاب قلبهم من هيبة الواقف أمامهم وانسحاق المتكلم في آن واحد، ولعلهم انسحبوا من الكبير إلى الصغير كما فعل المشتكون على تلك المرأة البائسة (يو٨ : ٩)!

ولا يذكر ق. يوحنا ماذا تم من جهة لجنة الفحص، ولكن الواضح أنها انسحبت دون أي لفت نظر، فلم تجد في المعمدان ما يقلقها، هذا بالإضافة إلى أن المعمدان، وهو كان معروفاً عند الشعب أنه «نبي»، دخل هذا في الإعتبار لدى اللجنة لأن الرؤساء غير الواثقين من كفاءتهم يخافون الشعب دائماً. كما أن الأنبياء وهم دائماً مُرْسَلُون من الله رأساً لم يكونوا في حاجة أبداً أن

يتملقوا الرؤساء أو الشعب، بل على العكس كانت رسالتهم توبيخ الرؤساء وإيقاظ الشعب.

١: ٢٨ **«هذا كان في بيت عَبْرَة، في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمّد»**.

أسلوب ق. يوحنا يتميز بهذا الهدوء المفاجىء، فبعد صخب العرض المثير لأسئلة اللجنة المحرجة للمعمدان والتي أثارت القارىء بلا شك، يقطع الحديث فجأة ويذكر جملة عَرَضية تُنهي المنظر وتُنسي القارىء حرارة المصادمة:

«بيت عَبْرَة»:

واضح من الإسم فعلاً أنها عبر الأردن وكان اسمها «بيت عنيا» في معظم المخطوطات وأهمها. وهذا الإسم بيت عبرة أو عباراه أو بارَة مذكور في قض٧: ٢٤ (أنظر هامش الكتاب المقدس) — ونحن نستفيد من ذكر هذا المكان لأننا نعلم أن المعمدان بدأ كرازته في اليهودية أي على الشاطىء الغربي للأردن: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية» (مت٣: ١). ولكن يبدو أنه بدأ العماد عَبْر الأردن في هذا المكان: «ومضى (يسوع) أيضاً إلى عَبْر الأردن إلى المكان الذي كان يوحنا **يعمّد فيه أولاً** ومكث هناك.» (يو١٠: ٤٠)

وهذا يعطينا توضيحاً أن عملية استجواب المعمدان تمت بعد مدة طويلة من بدء كرازته وحتى بعد بدء ممارسته للتعميد. وفي قوله: «في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه»، يشير هنا إلى المسيح، وليس بالضرورة أنه كان واقفاً فعلاً في هذا الوقت ولكن يقصد أنه قائم بينكم. وفي قوله: «لستم تعرفونه»، بالرغم من الصورة المهيبة جداً التي أعطاها له في قوله أنه ليس مستحقاً أن يحل سيور حذائه، يشير المعمدان إلى جهلهم الفاضح بوجود المسيّا، سواء عن عمى قلب أو تجاهل، وفي كلتا الحالتين يصرف أنظارهم عن شخصه هو ليهتموا بمن يستحق الإهتمام!...

مكان البشارة:

أولاً: اليهودية

(١: ٢٩ــ٥١)

ج ــ الشهادة للمسيح ابن الله:

١: ٢٩ــ٣٤:

كان ردُّ فعل حضور اللجنة واستجواب المعمدان وسط الجمع الحاشد، وعودة اللجنة دون اتخاذ أي إجراء، أن زاد حماس الشعب وارتفعت معنويات تلاميذ يوحنا بالنسبة لمعلمهم.

ولكن ظهر من الحديث أمرٌ أذْهَل تلاميذ المعمدان: مَنْ هذا الذي لا يستحق معلمهم أن يحل سيور حذائه؟ واضح أن اللهفة والتطلع لمعرفة «الأقوى» بلغت ذروتها، ولم يعد خافياً أن المعمدان عمد المسيح ربما دون أن يلاحظ ذلك أحد.

ولكن بعد إحراج أعضاء اللجنة للمعمدان واضطراره للإعلان عن هذا الرجل الذي أتى بعده وهو «قبله»، الذي وإن كان يعمّد فهو يعمّد لحسابه ليُستعلَن له وللشعب؛ كان يتحتم أن يعلن عنه بسرعة ليغطي موقفه. لأن من ردود المعمدان يتضح أنه لم يجيء إلا ليعد طريقه ــ إنْ كرازة أو تعميداً ــ فلم يكن الشعب وحده في لهفة أن يعرف المسيّا أو تلاميذ المعمدان أيضاً، بل والمعمدان نفسه كان وهو يمارس تعميده للناس قَلِقاً يشرئب برأسه ويتلفت يميناً ويساراً لعله يراه فيُخلي ورديته ويعود من حيث أتى. ولكن هذه المرة ليس على مركبته العتيقة وفرسانه النارية الطائرة!!

١ : ٢٩ «وفي الغد نظر يوحنا يسوعَ مُقْبلاً إليه، فقال: هوذا حَمَلُ الله الذي يرفع خطية العالم».

كل الظروف توحي إلينا أن المسيح كان خارجاً للتو من التجربة مع إبليس. لأننا نعلم من الأناجيل الأخرى أنه بعد التجربة دخل الخدمة وبدأ الكرازة، وهنا في هذه الآية واضح أن المسيح جاء عن قصد، إذ أن خدمته حريٌّ بها أن تبدأ بشهادةٍ وإعلانٍ، كان هو في غير حاجة إليها، ولكن كان الشعب يحتاجها بكل تأكيد، وكانت لحظة تسليم وتسلُّم: «ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص». هذا ليس بلسان المعمدان وحده، بل بلسان جميع الأنبياء والعهد القديم بكل مشتملاته.

ويضيف ذهبي الفم أن مجيء المسيح ثانياً للمعمدان بعد عماده كان خصيصاً ليعلنه ويُظهره لإسرائيل:

[لأنه هذا جاء ليعطي يوحنا المعمدان فرصة لكي يعلن رؤيته (رأيه) ثانية أيضاً لأنه بقوله هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم فإنه يمنع كل شك.](٤٥)

«هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم»:

كانت ومضة إلهامية نطق فيها المعمدان نطقه الخالد «هذا هو حمل الله...»، شهادة من فوق الواقع والزمن لا تعتمد قط على معرفة لا سابقة ولا لاحقة، ولا تستمدها من خلفية ذبائح أو

(٤٥) *Op. cit.*, p. 59.

طقوس ــ كما تاه معظم الشرَّاح ــ فالمعمدان ليس مشرِّعاً ولا هو دارس للتشريع، ولا هو جاء ليعيد للشريعة سطوتها المتهالكة ولا مجدها الذاوي. ولكن المعمدان كانت وظيفته تدور حول الخطية، هو يعرفها، و يعرف استحالة غسلها بالماء. كان يعلم أنه يغسل بالماء ولا فائدة ولا قيمة إلا مع الذي سيغسل بالروح القدس، فلما رآه كانت الخطية شغله الشاغل الذي ملأ ذهنه، رآه كَحَمَل بلا عيب، بلا خطية! ورآه والروح القدس مستقر على رأسه، ليشير الإشارة الإلهية: أنَّ بهذا يكون العماد، وبهذا يكون الخلاص!!

ولكن أوَّاه، لقد لمح في عينيه الحزينتين صورة الصليب، و بالمنظر المعقول رآه خروفاً قائماً كأنه مذبوح، فلما هتف المعمدان: «هوذا حَمَلُ الله الذي يرفع خطية العالم» كان ينطق بما يرى!

المعمدان رأى ذلك بيقين، ولكنها كانت رؤيا، أما نحن فأخذنا منه أخذاً وذُقنا كيف يرفع الخطية!!

وهوذا العالم وقد صار له موضعٌ في السماء وأمام عرش الله يهتف: «... أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين وهم يترنمون ترنيمة جديدة. قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة.» (رؤ٥: ٨و٩)

والسؤال الذي نلقيه على القارىء: لو لم يجيء الحَمَل هذا فماذا كان حال العالم اليوم؟

ولكن لا ننسى أن كل ما كان، وكل ما هو كائن من نِعمٍ و بركات ومُثُلٍ عليا أخلاقية وروحية في العالم لن تساوي تماماً ثمن الدم المدفوع. لذلك، فحتماً حتماً لا يزال أمام العالم بقية من نِعمٍ ومجد وسلام أكثر مما كان!!! لأن الدم لا يزال يتدفق من الخروف القائم كأنه مذبوح!!

المعمدان نبي يستمد أقواله بالإلهام من مصادرها العليا دون سبق إعداد أو معرفة، كالرائي في سفر الرؤيا لما رأى المسيح برؤيا الخلاص كخروف قائم كأنه مذبوح، فلا العين رأت خروفاً ولا المسيح تحول إلى ذبيحة منظورة، ولكن هذه كلها يسميها الصوفيون (The Mystics) رؤيا «التورية»، أي بالنظر المعقول الذي لا يمتُّ للواقع المادي بشيء.

فلما قال المعمدان: هوذا «حمل الله»، لم يكن قد رأى المسيح حَمَلا ولكنه رأى مجمل الفداء كله في لمحة ذهنية خاطفة، ورأى الخلاص شاملاً كافياً للعالم، بل ورأى العالم فيه مفدياً، ورأى الخطية بثقلها الدهري ترتفع من فوق كاهل العالم المحني تحتها هذه الدهور كلها، لتوضع فوق المسيح الحَمَل، فلا توجد. هذا هو الحَمَل الذي سأل عنه إسحق عندما لمح السكين والحطب في يد

إبراهيم أبيه، وهذا هو الحمل الذي تنبأ به إبراهيم «الله يرى له الحمل للمحرقة يا ابني» (تك ٢٢ : ٨). نعم قدّره الله **لنفسه** قبل الدهور، وأعدّه بترتيب تسجل في سجلات الملائكة وكل الروحانيين، فباتوا يعدّون الأيام لمجيئه ويُعِدّون **أنفسهم** لظهوره. وإن كان في هذا اليوم قد مرّ على الأرض ولم يلمحه إلاّ الحامل لروح إيليا، فالسماء عيّدت له بطقس **«السجود»**، اشتركت فيه كل جوارس الملائكة: «ومتى أدخل البكر إلى العالم يقول: **ولتسجد له كل ملائكة الله**» (عب ١ : ٦).

وإن كان المعمدان الناطق بالروح القدس والناظر بروح إيليا قد لمح «الحَمَل» وهو رافع خطية العالم، مع ذلك إلا أن الحَمَل ذاته كان **حاملاً على جسده** منظر خطايا كل العالم متراكمة فوقه: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ ولكن **هيّأتَ لي جسداً**» (عب ١٠ : ٥). فكان هو الذبيحة الحقيقية لذبائح الرموز كلها، والحمل الحقيقي الذي لا ينبغي قط أن نبحث عن اسم له بين حملان الرموز، لأنه توجد حملان كثيرة ذات مناظر حسنة للغاية: حمل إسحق المذبوح تحت يد أبيه (تك ٢٢ : ١٠)، وحملان موسى المعدة للناظر والنافع، وحمل إشعياء المساق صامتاً إلى الذبح (إش ٥٣ : ٦ و٧)، وحمل إرميا الذي نُصِبَتْ من ورائه أفكار للهلاك (إر ١١ : ١٩)([46])، وحمل بطرس الرسول الذي بلا عيب (١بط ١ : ١٩)، وحمل بولس الكنسيّ منه بالفصح الذي ذُبِح (١كو ٥ : ٧)، وحمل سفر الرؤيا القائم كأنه مذبوح وهو الغالب (رؤ ٥ : ٦). حملان حسنة كثيرة ولكن ليست كحمل المعمدان ذي الاسم المهيب العجيب: **«حمل الله»**. اسم يجُبُّ الأسماء جميعاً ويجمع في نفسه قوة الذبائح جميعاً ويفوقها تفوقاً، يكملها على الأرض ويبقى هو هو حمل الله الرافع خطية العالم حتى ملء كل الدهور.

ولا ننسى، أيها الباحث المدقق، أن تعريف المسيح بـ«الحمل الرافع خطية العالم» جاء قبل البدء بخدمة الصليب، فهذا التعبير يعتبر أقوى وأكبر نبوة عن الفداء الذي سيتم قبل أن يبدأ بمخططات أوقبل الصليب بثلاث سنوات.

ولكن، لو نتذكر الحديث الذي تم بين موسى و**«إيليا»**، وإيليا بالذات مع المسيح على مسمع من التلاميذ على جبل التجلي، وهو حديث مأساوي: «وإذا رجلان يتكلمان معه هما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما **عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم**» (لو ٩ :

---

(٤٦) الآية المترجمة بالعربية لا تعطي المعنى الصحيح فهي مترجمة «خروف داجن»، ولكنها في الترجمة اليونانية الأصلية من العبرية هي خروف بلا شر أي خروف بلا عيب أو خروف طيب هكذا: ἐγὼ δὲ ὡς ἀρνίον ἄκακον

٣٠و٣١)؛ فهذا هو إيليا يظهر في ملء المجد، ولكن كان حديثه وهمُّه في الخروج العتيد أن يكمله المسيح في أورشليم أي حمله للصليب وخروجه خارج أورشليم ليُصْلَب. ثم علينا أن نتذكر دائماً أن القديس يوحنا المعمدان كان يحيا ويتحرك بروح إيليا، وبمعنى أكثر شمولية كان المعمدان شخصاً رؤيوياً يرى ما لا يُرى.

حتماً احتوتْ رؤية المعمدان الحَمَلَ وهو رافعٌ خطية العالم كلَّ مضمون المأساة ولكن دون مفردات، فهل تُرفع الخطية بلا ثمن؟ وهل توضع الخطية على الحَمَل دون مساعدة السكين؟ وهل يتحمل حَمَل واحد خطية العالم كله، إن لم يكن هذا العالم بجملته محمولاً أصلاً على كتفيه، والخطية في العالم هي جزؤه الأثقل حِمْلاً؟؟

وبقدر ما تتعدد أسماء خطية العالم بقدر ما يمكن أن تتعدد «وظيفة الحَمَل»، فهو حمل «**المحرقة**» و«**الخطية**» و«**الإثم**»، ولأن العالم وقع تحت **أسر الخطية** أرضاً صار الحَمَل للعالم «**فِصْحاً**» أيضاً. فمن العبث أن نسأل المعمدان ماذا كان يرى في ذبيحة الحمل؟ هل محرقة؟ أم فصحاً؟ كل ما يعرفه المعمدان عن يقين أنه فكَّ سيور حذائه، وغَسَله بالماء، وأفْرَزَه من بين الشعب ليكون جاهزاً قبل الرابع عشر (من نيسان) بثلاثة أيام سنين، حسب طقس تقويم الأنبياء، لأن يوم النبي هو بسنة، حسب دانيال.

وليس من الخارج فقط جهَّزه الصابغ السابق لهذا اليوم، بل وحمَّله من الداخل كلَّ ذنوب التائبين الذين اعترفوا وتابوا واعتمدوا على يديه: «هذا جاء للشهادة ليَشْهَدَ للنور ليؤمن **الكل بواسطته**.» (يو١ :٧)

ولكن أليس أيضاً في اسم «**الحَمَل**» **الإلهي** ما يُفصح عن وداعة الله ولطفه وحنانه؟ فهو فوق أنه اسم ذبيح؛ فهو اسم الوداعة القادر على الصفح والغفران حسب غنى لطفه كإله وإمهاله وطول أناته، علماً بأن لطف حمل الله يقتاد إلى التوبة ولا يَحسبُ للإنسان خطية!

كذلك يلزمنا أن ننتبه إلى الإيجاز الهائل والتركيز الممعن في الإختزال في أسلوب المعمدان في هذه الآية. فهو لم يذكر أنواع الخطايا، بل أوجزها في كلمة «**الخطية**» لكي تحمل المعنى الكلي للخطايا أو «ناموس الخطية الكامل الكائن في أعضائي» حسب تعبير بولس الرسول (رو٧ :٢٣). ولكن أيضاً «خطية العالم» لا تزال تحمل أوزاراً أخرى للعالم الثائر على الله، الجاحد لمحبته، الرافض ليده الممدودة طول الدهور.

ولم يذكر المعمدان نوع الذبيحة، بالتالي، التي سيؤديها **الحَمَل**، ولكنه ركَّز تركيزاً في قوتها في كلمة: «**يرفع**» التي تشمل كل معنى الكفَّارة والغفران بل والصفح، بما ينصبُّ على معنى رفع الأثر أيضاً.

يرفع: الذي يرفع = ὁ αἴρων :

جاءت في المضارع بمعنى الذي يرفع ويظل يرفع خطية العالم. وهي الكلمة التي استخدمها ق. يوحنا نفسه في رسالته الأولى ٣: ٥ «وتعلمون أن ذاك أُظهر لكي **يرفع** خطايانا وليس فيه خطية». وهذا التعبير «يرفع خطية العالم» هو تعبير عميق وجليل للغاية أخذته الكنيسة كما هو وأدخلته في ليتورجياتها (تسبحة الملائكة في صلاة باكر بالأجبية(٤٧)، والقسمة السرياني) فصار تعبيراً ليتورجياً جليل القدر خاصة عند الغرب، حيث يقولون قبل التناول مباشرة:

[Agnus Dei qui tollis peccata mundi, miserere nobis].

[يا حمل الله الرافع خطية العالم، ارحمنا].

ولم يذكر المعمدان أيَّ إنسان أو الشعب الذي يشمله عمل الحَمَل، بل جمع شمل كل الناس والشعوب معاً في كلمة «**العالم**» دون أن يحدد ماضياً له أو مستقبلاً، لكي ينضوي تحت لواء عمل الحمل كل إنسان ــ كان مَن كان ــ في كل العالم.

١ : ٣٠ **«هذا هو الذي قلتُ عنه: يأتي بعدي رجل صار قُدامي لأنه كان قبلي».**

المعمدان يكرر هذا الوصف وكأنه يوثِّق بين الواقع الذي مثله والنبوة التي تحدِّد موقعه «هأنذا أرسل ملاكي فيهيىء الطريق **أمامي**...» (ملا٣: ١). ثم يرجع على «**الآتي بعده**» ليصحح الوضع من جهة الأسبقية في الوجود والكرامة «**كان قبلي**» "πρῶτός μου".

والحقيقة التي كانت تشغل بال المعمدان هي الدور الذي وُضِع عليه أن يؤديه، فقد كان صعباً على نفسه للغاية أن يأتي إليه مَنْ هو أعظم منه ليعتمد منه، وليس ليعتمد منه فقط، بل و يأتي تائباً نائباً عن الشعب معترفاً بخطايا أُمَّته وهو ليس فيه خطية ولا شِبه شر!! «حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برٍّ، حينئذ سمح

(٤٧) جدير بالذكر أن تسبحة الملائكة في الأجبية التي يقال فيها: [يا حمل الله يا حامل خطية العالم، ارحمنا] هي أقدم تسابيح الكنيسة المسيحية. وهي لا تزال تقال بكاملها حتى الآن في كل من الطقس القبطي والبيزنطي واللاتيني.

له.» (مت٣: ١٣–١٥)

هذا من واقع إنجيل القديس متى، حيث يتضح أن المعمدان كان يعرف المسيح وكان يعرف حتماً كل ما لابس ميلاده الإعجازي، فكان يعرف أنه **أفضل منه بالروح**. هذا بحسب ما يُفهم من مضمون رواية إنجيل القديس متى. لهذا حاول أن يمنعه لكي لا يُخجل تواضعه و يضع يده على مَنْ هو أفضل منه. ولكن من رواية إنجيل القديس يوحنا نكمل الصورة أنه بالرغم من أنه كان يعرفه بالجسد، إلاّ أنه لم يكن يعرف قط أن هذا هو هو المسيَّا وأنه هو هو ابن الله.

هذا الإجراء وما لابسه — أي تعميد الرب — لم يأتِ على ذكره ق. يوحنا، لأن الوصف بهذا التحديد يجعل معمودية المسيح تُفهم وكأنها دور أساسي في عملية الخلاص، والحقيقة التي أبرزها إنجيل يوحنا هي أن **عماد المسيح لم يكن إلاّ وسيلة لاستعلان المسيح والتعرُّف عليه** كما سيجيء على لسان المعمدان في الآيات القادمة.

والتقليد الرسولي والكنسي عامةً، بل ومفردات اللاهوت الخلاصي، لا تشير قط أن المسيح اعتمد على يد المعمدان عن الخطاة، أو اعترف بالخطايا عن الخطاة، أو تاب عن الخطاة، بمعنى أن معمودية يوحنا لا تدخل قط في مفردات الخلاص الذي أكمله المسيح عن الخطاة. بل إن من الأمور الثابتة إنجيلياً ولاهوتياً أن عمل المعمدان برُمَّته لا يدخل دائرة التجديد في تأسيس ملكوت الله.

وفي هذا يقول ذهبي الفم:

[في الحقيقة، إن المسيح غير محتاج للمعمودية لا التي كانت له (على يد المعمدان) ولا معمودية الآخرين الذين (عمدهم المعمدان). بل بالأحرى فإن **«المعمودية»** ذاتها كانت في حاجة إلى قوة المسيح لأن الشيء الذي كان ينقص الكل هو التقديس النهائي الذي كان يحتاجه كلُّ مَن يعتمد، ألا وهو الروح القدس الذي أعطاه المسيح لما جاء](٤٨).

فالمعمدان لم يُحسب مع التلاميذ لا الإثني عشر ولا السبعين «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (مت١٩: ٢٨)

«الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه.» (مت١١: ١١)

---

48 *Op. cit.*, p. 60.

١ : ٣١ «وأنا لم أكن أعرفه لكن ليُظهَرَ لإسرائيل، لذلك جئتُ أُعمِّد بالماء».

«وأنا لم أكن أعرفه»:

قد تعني هذه الجملة أنه لم يكن يعرفه «كمسيَّا»، وربما كان يعرف يسوع كأحد أقربائه. ولو أن الآية في إنجيل القديس لوقا توضح أنه تغرَّب كل أيام حياته في البرية حتى يوم بدء خدمته: «أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل.» (لو١ : ٨٠)

«لكن ليُظهَرَ (المسيح) لإسرائيل لذلك جئت أُعمِّد بالماء»:

والقديس ذهبي الفم يقول إنه صرَّح بذلك لينفي أن علاقة القرابة به أو الصداقة ذات علاقة بتعميد المسيح. (٤٩)

واضح جداً أن المعمدان تلقى ليس فقط حدود رسالته، أي التعميد بالماء كواسطة للتوبة وخَتْمٍ لها بعد الإعتراف والندم وذلك إعداداً لقلوب الآباء والأبناء قبل مجيء «الرب»؛ بل وأيضاً فإن إجراء التعميد هو بحد ذاته وبصورة أساسية سيكون واسطة لإعلان شخصية المسيَّا لكل إسرائيل، أي للأمة، حسب الوعد النبوي. وقد أمدَّنا القديس يوستين الشهيد برواية من فم تريفو اليهودي تُعتبر ميراثاً يهودياً مُسلَّماً فيما يخص ظهور المسيا:

[أما المسيَّا عندما يولد، فهو يوجد في مكان ما يبقى مجهولاً، وحتى هو نفسه لا يعرف نفسه (خطأ = «ينبغي أن أكون فيما لأبي»)، ولا تكون له قوة حتى يأتي إيليا ويمسحه (خطأ = **يعمِّده**) و بهذا يُظْهِره للجميع...](٥٠)

ومن هذا التنبؤ في التراث اليهودي، يتضح أن كل ما يخص مجيء المسيَّا كانت معرفته قد سَرَت بين الشعب كإحدى الوسائل الهامة لتسهيل التعرُّف عليه.

وفي هذه الآية يكون المعمدان قد ردَّ الرد المقنع لكل من تسوِّلُه نفسه أن يرى في عماد المسيح تحت يد المعمدان نوعاً من التكريس أو المسحة كما يخطىء الفكر اليهودي، أو يرى في المعمدان نوعاً من التفوق على المسيح بأي نوع. ذلك أن عِلَّة عماد المسيح، بل عِلَّة كل وظيفة المعمدان كمعمِّد، هي لكي يُظهِرَ «المسيَّا» لإسرائيل، وليعرف الجميع أن يسوع الذي من ناصرة الجليل هو المسيَّا الآتي.

---

[49] *Op. cit.*, Hom. XVII, p. 59.

[50] Justin and Trypho. C.8. ANF vol. I, p. 199.

١ : ٣٢و٣٣ **«وشهد يوحنا (المعمدان) قائلاً: إني قد رأيتُ الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقرَّ عليه. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأُعمِّد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي سيعمِّد بالروح القدس».**

الآية الأُولى على لسان الرسول ق. يوحنا وقد سمعها بأذنيه منه رأساً، لذلك أورَدَها هنا في البداية تأكيداً لما سيرويه عن لسان المعمدان نفسه. وفي شهادة الرسول يتذكر أنه وصف الروح القدس الذي نزل من السماء واستقر عليه بأنه كان «مثل حمامة»، وهذا هو التقليد الرسولي كما وصفه الإنجيليون الثلاثة.

والذي يلفت أنظارنا هو قول المعمدان: «إني قد رأيتُ τεθέαμαι الروح». هنا كلمة **«الرؤيا»** تأتي بمعنى المشاهدة فوق العادة أي الرؤيا الإيمانية. هنا وهنا فقط تكمن القدرة السرية الموهوبة للمعمدان مُسبقاً منذ أن كان في بطن أمه لكشف سر المسيح! وحضور الروح القدس هنا هو الحضرة الإلهية التي من خلالها وهب للمعمدان الرؤية الإيمانية التي بها اكتشف سر المسيح ابن الله. فكانت نعمة **«رؤية»** الروح τεθέαμαι هي التي أوصلته لنعمة رؤية المسيح والإيمان أنه هو المسيا ابن الله.

ويخطىء مَن يعتبر حلول الروح القدس هو حلول أقنومي أو أن المسيح امتلأ بالروح وقتئذ. فالمسيح هو الكلمة المتجسد ابن الله قبل أن يعتمد كما هو بعد أن اعتمد، واحدٌ مع الآب والروح القدس بالإتحاد، جوهر واحد للآب والابن والروح القدس.

علماً بأن كلمة: «ومستقراً عليه» هي جزء من العلامة أو جزء آخر من الدليل، لكي يتأكد به المعمدان أن مَن تستقر عليه الحمامة تماماً هو هو يكون.

كذلك لا يقول اللاهوت إن المسيح صار مسيحاً بعد العماد، بل هو المسيح يوم أن حُبل به في البطن، فهو ممسوح من الله ملكاً للدهور كلها ورئيس كهنة الخيرات العتيدة لحظة أن قبِلَ الإرسالية، لحظة أنْ أخلى ذاته ليأخذ شكل العبد و يصير في الهيئة كإنسان وهو الله.

أي أن المسحة التي أخذها على الأُردن **هي مسحة بدء الخدمة كإشارة من الروح فقط** وليست للملء أو الإرسالية، فالإرسالية تمت قبل التجسد، والملء فيه لحظة حُبِلَ به في البطن حين قدَّسه الله وأرسله إلى العالم. وللتأكيد نعود فنقول إن الحلول والملء والتقديس والمسح هذه كلها تمت بالتجسد وليس بالعماد. والعماد أظْهَرَها وأعلنها وأطلقها للعمل.

فالذي تم على الأردن هو عملية التكريس العلني التي هي بمثابة استهلال بدء حياة المسيح المخصصة للصليب؛ انتقل بعدها المسيح من الحياة العادية التي كان يظهر فيها كأنه إنسان عادي — نجار الناصرة — إلى حياة الصليب العلنية حيث يظهر فيها لاهوته بانفتاح السماء وإعلان الآب عن حقيقته المخفية أنه ابنه الحبيب. والروح القدس النازل عليه للتعيين والإشارة كَشَفَ في الحال للمعمدان — بالعين الإيمانية — أنه ابن الله المملوء من الروح القدس والمزمع أن يعمِّد بالروح القدس.

فهذه المسحة التي تمت بصوت الآب من السماء وحضور الروح القدس والمعمدان كشاهد، كانت هي بدء الإرسالية العملية بصورتها العلنية وبشهادة الشهود في السماء والأرض، لم يأخذ المسيح فيها مؤهلات جديدة للخدمة فهو الكامل وملء الذي يملأ الكل. **ولكن هذه المسحة استعلنت علناً بنوّته للآب واحتيازه ملء حب الآب وملء الروح القدس. فهي** كانت لحظة تنصيب للخدمة وليست إعداداً أو تكميلاً. وهذه اللحظة عينها قال عنها المسيح بعدئذ «من أجلهم أنا أقدّس **ذاتي**». ويلاحظ أنه لم يقل «أقدس جسدي»، فالجسد مقدس باتحاد اللاهوت، منذ كان في البطن، تقديساً كلياً وكاملاً لا يحتاج قط إلى تكميل أو تقديس آخر في المعمودية، وإلّا أصبحت حقيقة اتحاد اللاهوت بالناسوت إصابة خطيرة وبليغة — ولكن قوله هو: «**أقدِّسُ ذاتي**»، وبمعنى «أقدّس ذاتي بإرادتي»، بمعنى أكرِّس حياتي منذ لحظة المسحة للإرسالية تكريساً كلياً لحساب الفداء وذبيحة الصليب التي فيها وبها وحدها نتقدس نحن.

من هذا يتضح قوله: «**من أجلهم** أنا أقدّس ذاتي»، أي من أجلهم أخصِّص حياتي للموت عنهم، ولا نفيد أبداً أنه لم يكن مقدساً قبل أن يخصص حياته العملية في خدمة الصليب وحده، بل كان مقدساً بل قدوساً من البطن: «فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ فلذلك أيضاً **القدوس** المولود منكِ يُدعى ابن الله» (لو١: ٣٥). هذه شهادة الملاك من السماء. لذلك فحياته كلها كانت مقدسة وهو وُلِد لحساب الصليب.

ولكننا نعلم من الإنجيل أنه مارس حياته العملية ثلاثين سنة وكان نجاراً في الناصرة، ولكن بعد لحظة المسحة أي التكريس للخدمة في الأردن انحصرت حياته في الصليب. هذا هو بدء «من أجلهم أقدس ذاتي»، وفيها استعلن لاهوته وبنوّته للآب، وبالتالي وبالضرورة استُعلن ملؤه من الروح القدس لما حلّ عليه الروح القدس، مشيراً إليه، فكانت مسحة استعلان. فظهر للناس وخاصة للتلاميذ في هذا الملء، فهو لم يتلقَّ ملء من الروح القدس في الأردن بل بالحري استُعلن ملؤه من الروح القدس كما استُعلنت بنوّته للآب تماماً وبالتساوي. فالابن له الروح القدس خاصة

كالآب؛ وهو لا يأخذه بل يعطيه.

نفهم من هذا أن قول القديس لوقا في إنجيله: «أما يسوع فرجع من الأُردن ممتلئاً من الروح القدس» أنه رجع من الأُردن وقد استُعلن مِلْؤه من الروح القدس(٥١). لأننا بالمثل لا نستطيع أن نقول أنه 'رجع من الأُردن وهو ابن الله' كأنه أخذ البنوة الإلهية في العماد؟ فكما أن المسيح كان ابن الله قبل العماد وبعد العماد، هكذا يتحتم أنه كان ممتلئاً من الروح القدس قبل العماد وبعد العماد. ولا يجوز لاهوتياً أن يُقال أن المسيح امتلأ من الروح القدس مرتين كبطرس أو بولس.

والمعمدان دائماً يكرر **«وأنا لم أكن أعرفه»**، ولكن ليس المعمدان وحسب، بل إن المسيح فعلاً كان مخفياً عن أقرب المقرَّبين إليه: «لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به» (يو٧: ٥). فالمسيح باعتباره المسيَّا الآتي، ابن الله، عُرف لحظة حلول الروح القدس عليه من السماء كإشارة علنيا ونداء الصوت من المجد الأسنى: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت٣: ١٧). فهذه لحظة دخوله إلى العالم مُخلِّصاً وفادياً، لحظة الخدمة التي بدأت بالعدّ التنازلي حتى نقطة الصفر حينما قال: «قد أُكمل» (يو١٩: ٣٠)، وأسلم الروح على الصليب!

ومرة أخرى يتضح لنا دور المعمدان الرئيسي في استعلان شخص المسيَّا يسوع المسيح ابن الله، وهذا هو محور الأصحاح الأول في إنجيل ق. يوحنا بل وفي الإنجيل كله. فمن الخطأ الظن أنه بحسب إنجيل ق. يوحنا كان للمعمدان دور ما في الخلاص أو في ملكوت الله، لأن هذا كله هو عمل المسيح وحده. كذلك نفهم أن المعمدان أخذ وعداً إلهياً مباشراً مُسْبقاً من مصدر لم يصرِّح به، ولكنه هو هو الله وليس آخر وهو الآب الذي يشهد دائماً للابن، أنَّ في أثناء التعميد فإن الذي يرى الروح نازلاً ومستقراً عليه يكون هو المسيَّا الآتي: «الذي سيعمِّد بالروح القدس».

ولم يُشِرْ المعمدان إلى أن المسيح أخذ الروح القدس، ولا المسيح نفسه أشار إلى مثل هذا.

ومرة أخرى نُصحح ما جاء في شرح كثير من كتب الشرح، فإن عماد المسيح واستقرار الروح القدس عليه بهيئة حمامة لم يكن أبداً لتأهيل المسيح للتعميد بالروح القدس أو لنوال الروح القدس أصلاً(٥٢)، وإنما كان لاستعلان المسيح وإظهاره لإسرائيل.

بل ويقول ذهبي الفم إن المعمدان نفسه لم يكن في حاجة شخصية للتعميد أكثر من أنه

(٥١) «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً».

52 Westcott, *op. cit.*, p. 22.

بواسطة الإغتسال يُعدُّ الآخرين للإيمان بالمسيح:

[هو (المعمدان) لم يكن، إذن، بحاجة إلى المعمودية (بالماء)، ولا هذا الإغتسال كان له هدف أكثر من أن يعدَّ الآخرين جميعاً كطريق للإيمان بالمسيح، لأن المعمدان لم يقل — بالنسبة للعماد — «حتى لكي أُطهِّر الذين يعتمدون» أو «حتى لكي أُخلِّصهم من خطاياهم»، ولكن قال «لكي أُظْهِرَه لإسرائيل».](٥٣)

١ : ٣٤ «وأنا قد رأيتُ وشهِدتُ أن هذا هو ابنُ الله».

الرواية هنا تبلغ قمة استعلانها، فيسوع الذي جاء يكرز ويعمِّد بالروح القدس بعد المعمدان هو المسيَّا ابن الله. وهذه الشهادة العملية من فم المعمدان تأتي بعد رؤية عينية إيمانية عالية بسَبْق إعلان روحي، وبإلهام مُسْبَق، وبعلامة معينة من السماء لا يأتيها الباطل من أي جانب. فهي علامة من صُنْع الروح القدس وعمله، وهو روح الحق. و يكون ق. يوحنا قد وضع هنا شهادته التي جاءت في ختام المقدمة في آية (١٧و١٨) كآخر استعلان «**للكلمة**»، في مقابل شهادة المعمدان العملية كأول استعلان من داخل الإنجيل، أو في الحقيقة في أول الإنجيل على مستوى الكرازة.

«**ابن الله**» ὁ υἱὸς τοῦ θεοῦ :

ورد هذا الوصف المهيب في سفر دانيال: «فأجاب (نبوخذ نَصَّر) وقال ها أنا أنظر أربعة رجال محلولين يمشون في وسط النار وما بهم ضرر، ومنظر الرابع شبيه (بابن الآلهة) — خطأ في الترجمة والأصل السبعيني عن العبري الأصلي يُقرأ: ابن الله υἱῷ Θεοῦ .» (دا٣: ٢٥). لقد مهَّد المعمدان لإعلان هذا اللقب أو الوصف «ابن الله» للمسيَّا أعظم تمهيد بثلاثةِ أقوال هامة:

القول الأول:

«أنا لستُ أهلاً أن أَحُلَّ سيور حذائه». فهذا التعبير لا يصح ولا يحق أن يقال عن إنسان أي إنسان مهما كان! «فهذا هو ابن الله» ليس من فم المعمدان بل من أعماق إيمانه وقلبه.

أما القول الثاني:

إنه «**سيعمِّد بالروح القدس**» فهذه كانت الإشارة البليغة أنه «**ابن الله**». فلم يحدث قط

53 Chrysostome, *op. cit.*, p. 59.

ولن يحدث قط أن عمّد إنسانٌ ما بالروح القدس، فمنذ أن ظهر ابن الله حتى هذه الساعة فالذي يعمّد بالروح القدس هو ابن الله، وهو بنفسه الذي يعمّد على يد كلّ من كانت له صلاحية التعميد كاهناً كان أو أسقفاً أو رئيس أساقفة، فخادم السر يخدم، ولكن الذي يعمّد بالروح القدس هو المسيح ابنُ الله بنفسه. فالروح القدس هو الأقنوم المساوي للآب وللابن، فلا يعطيه إلاَّ الابنُ بمشورة الآب.

أما القول الثالث:

نوع العلامة التي أعطاها الله للمعمدان لكي يعرف بها هذا الشخص المهيب الإلهي، فهي علامة ليست من بين كل ما في الأرض وما في السموات من خليقة كانت. فلم تكن العلامة ملاكاً ولا رئيس ملائكة بل العلامة هي «**روح الله**» نفسه. ولكي تستطيع عينا المعمدان رؤية روح الله الذي لا يُرى جاءه الروح بهيئة حمامة نازلة من السماء من موضع الروح لترتبط في وعي المعمدان بين المُشار إليه وبين موطنه الأصلي، تم وسيلة الإشارة.

المعمدان يعلم تماماً بروحه وفكره وكل كيانه أنه جاء يمهّد الطريق لظهور «الله»، لهذا كان في وروده أمام اللجنة واثقاً في نفسه، أنه في نفسه ليس شيئاً بالمرة أمام ذاك الذي جاء ليعلن عنه. وحينما يقول إنجيل ق. يوحنا إن المعمدان رأى وشهد وقال بالروح إن هذا هو «**ابن الله**»، فهو يقصد الابن الحقيقي للآب الحقيقي، الله الواحد بذاته وجوهره.

وكما قال ق. يوحنا «ونحن رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب» عن رؤية إيمانية كاشفة أدرك فيها المجد الحال على الكلمة المتجسد الرب يسوع أنه ليس مجداً خلواً من أبوّة، إذ رأى المجد مجد آب لابن، ومجد ابن في آب، فكان المجدُ الحالُّ عليه وفيه، كان ينطق في وعي ق. يوحنا أن هذا هو الحب الأبوي المنسكب على الابن يتلألأ كنور في نور.

هكذا المعمدان رأى هو أيضاً برؤية الإيمان في حضور الروح القدس، والسماء مفتوحة، والروح يشير بإشارات بليغة، بعضها منظور والآخر ناطق في قلب المعمدان: أن هذا هو الابن الحبيب لأبيه له اسمعوا؛ فكيف لا يسمع ولا ينطق بما رأى وسمع.

إن هذه الومضات الإلهامية كثيرة في الإنجيل، انظروا بطرس الرسول كيف انفتح وعيه فجأة في حضرة المسيح واستقبل إعلاناً نطقه الله الآب نفسه في قلبه، فهتف به لسانه: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، ففرح به المسيح وأراد أن يشجعه أكثر، فكشف له كيف ومن أين جاءته هذه الشهادة العليا: «فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك

ولكن **أبي الذي في السموات.**» (مت١٦ : ١٧)

نثنائيل التلميذ الجديد الطيب اكتشف في المسيح صفته الجوهرية الإلهية بإلهام، كالبرق، وبمنتهى السرعة والجرأة والثقة، حينما أعطاه المسيح إشارة صغيرة أصابت كبده وفي الصميم: «أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت **ابن الله**، أنت ملك إسرائيل.» (يو١ : ٤٩)

مرثا التي اهتمت بأمور كثيرة حباً في المعلم، وهي في سحق حزنها ومرارة نفسها، لما نظرت إلى الرب نظرة عتاب كيف ترك أخاها ليبتلعه الموت وتركها فريسة الألم بلا رجاء، أعاد إليها الرب النظرة بومضة من إشعاع مجده الذاتي ــ فرأته كما هو ــ واستنطقها الإيمان فنطقت. «أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يا سيد أنا قد آمنت أنك أنت المسيح **ابن الله** الآتي إلى العالم.» (يو١١ : ٢٦و٢٧)

وذلك الأعمى الفصيح أول مُدافع عن المسيح في تاريخ المسيحية والإنجيل، لما وجده المسيح أحبه وأراد أن يُسعده بالنور السماوي فعرَّفه بابن الله؛ فقال له الأعمى البصير مَن هو يا سيد؟ فقال: الذي يكلمك، ونظر إليه، فنفذت النظرة إلى أعماق وعيه المسيحي. فهتف أؤمن وسجد!!

وفي ذلك يقول القديس كيرلس الكبير عمود الدين:

[وكأنما المطوّب (يوحنا) الإنجيلي يبدو أنه يقول بكثير من الثقة ــ مع المعمدان ــ هذا هو ابن الله الواحد الوحيد بطبعه (جوهر الله) ووريث كل ما يخص الآب ἰδιότητος . ونحن أيضاً الذين قد تشكَّلنا أبناءً له بالتبني و بواسطته دُعينا بالنعمة إلى كرامة البُنُوَّة. لأنه كما أن من الله الآب تُسمَّيت كل أُبوَّة πατρία مما في السموات والأرض بكونه أباً بالحقيقة أصلاً ومنذ البدء، هكذا كلُّ بُنُوَّة هي أيضاً من «**الابن**» كونه هو وحده حقاً وأصلاً هو الابن من جوهر ذات الله.](٥٤)

د ــ المعمدان يبدأ يسلم الوديعة:

١ : ٣٥ــ٣٧ **«وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه. فنظر إلى يسوع ماشياً فقال: هوذا حمل الله. فسمعه التلميذان يتكلم، فتبعا يسوع.»**(٥٥)

بحسب تقديرات العلماء المدققين يقع هذا الغد الذي يتكلم عنه ق. يوحنا في مستهل الإعتدال

[54] Cyril, *op. cit.*, p. 147.

(٥٥) راجع كتيب «لقد وجدنا يسوع»، للمؤلف.

الربيعي قبل الفصح الأول للمسيح، أي قبل ١٤ نيسان (أبريل) بقليل. وهذا الميعاد يشير إليه القديس اكلمندس (في عظته الأولى ١:١٦). كما يلاحظ القارىء أننا هنا في نهاية خدمة المعمدان وفي بداية خدمة الرب، وهذا واقع في «اليهودية» أي في الجنوب، ولم يكن الرب قد انطلق بعد إلى الجليل في «إسرائيل» في الشمال.

وغنيٌّ عن البيان أن فلسطين تنقسم إلى مملكتين: مملكة اليهودية في الجنوب ومملكة إسرائيل في الشمال، وأن عاصمة اليهودية هي أورشليم وهي عاصمة كل البلاد. لذلك فإن إنجيل يوحنا هو الوحيد الذي يذكر بداية خدمة الرب في اليهودية قبل خدمة الجليل سواء في أول الخدمة أو في نهايتها. لذلك فهو الوحيد الذي يذكر بداية اختيار تلاميذه الأوائل من اليهودية، وهو أيضاً الوحيد الذي يذكر معجزة لعازر التي تمت في اليهودية، كما أنه هو الوحيد الذي يذكر خدمة المسيح في أورشليم (اليهودية) على مدى ثلاثة أعياد للفصح وأعياد أخرى إضافية. وذلك معروف لأن ق. يوحنا بن زبدي هو أول تلميذ التصق به منذ أول لحظة خدمة المسيح إذ كان أولاً تلميذاً للمعمدان ثم انتقل إلى تلمذة المسيح.

«وفي الغد أيضاً كان يوحنا (المعمدان) واقفاً هو واثنان من تلاميذه». لاحظ أن ق. يوحنا لا يلقي الكلام جزافاً، فهو يذكر بالذات اثنين من تلاميذه دون أن يذكر اسميهما. فأولاً يذكر اثنين لأنه يقدم للقارىء شهادة، وكل شهادة لا تصح إذا لم تكن على يد اثنين «وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق» (يو٨:١٧). أما ثانياً، فلا يذكر اسميهما لأنه هو واحد منهما ولا يريد أبداً أن يذكر اسمه. أما اسم الثاني فيذكره فيما بعد في الآية (٤٠) «كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الإثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه (المسيح)».

أما كيف عرفنا أن الأول هو ق. يوحنا بن زبدي فلأنه يقص لنا حادثة كيف انتقلا من تلمذة المعمدان إلى المسيح بدقة لا يمكن أن تكون منقولة عن آخر بل هي رواية شاهد عيان.

ولا ينبغي للقارىء أن يرتبك إذا قرأ في الأناجيل الأخرى طريقة أخرى لدعوة التلاميذ؛ لأن في الحقيقة أنهما دعوتان: الأولى وهي التي اهتم بها ق. يوحنا جداً هي **«دعوة للتلمذة»** والرفقة مع المسيح، أما الدعوة الثانية فواضح أنها قاطعة و يرافقها أن كل واحد ترك كل شيء حتى بيته وأولاده وتبع المسيح فهي **«دعوة الرسولية»**، ومعروف أنه كان للمسيح تلاميذ كثيرون، وكثير منهم من اليهودية ولكن كان له اثنا عشر رسولاً فقط، اختارهم من بين تلاميذه، ولكن واحداً منهم سقط.

«فنظر إلى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع»:

التكرار هنا ذو معنى آخر، فذكر «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» في الآية السابقة (٢٩) كان نُطقاً استعلانياً يخص المسيح نفسه والعالم؛ أما هنا «هوذا حمل الله» (٣٦) تفيد التعليم والشهادة لتلميذيه الخصوصيين اللذين كانا معه، فهو كان يكلمهم عن المسيح، وفجأة نظر المسيح ماشياً فأشار نحوه وكان حديثه «فسمعه التلميذان يتكلم» هو نفس الحديث الذي يكرره دائماً: أنا أُعمِّد بالماء ولكن هذا يعمد بالروح القدس، هذا هو العريس وأنا لست إلاَّ صديقاً للعريس، هذا ينبغي أن يزيد وأني أنا أنقص. أي كان حديثاً يتعلق بصميم خدمته وهي إعداد الطريق للرب وإرشاد تلاميذه لمَن هو أقوى منه، أما هنا فهو يكشف ضمناً عن خلاصهما وفدائهما المُذخَّر لهما في هذا الحَمَل الإلهي!!

ولا يفوتنا هنا أن نلقي ضوءاً على عظمة هذا الإنسان المدعو من الله الذي اسمه يوحنا (المعمدان)، إذ ليس من الهيِّن أبداً أن يقول معلمٌ لتلاميذه أن معلماً آخر هو أعظم مني، أو إنْ هم تركوه ليلتحقوا بمَن هو أعظم منه فإنه يبقى فرحاً: «فرحي الآن قد كمل»!!! ولكن كان المعمدان حقاً أعظم من نبي، وكان المسيح حقاً أعظم من المعمدان!!!

وهذا واضح من الآية المقتضبة جداً التي قالها ق. يوحنا: «فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع»، وكأنه يقول: فأطاع التلميذان نصيحة معلمهم وإرشاده وللحال تبعا يسوع. وفي هذا القول البسيط تَتَصوَّر أكبر حركة في التاريخ اليهودي والمسيحي معاً وهي حركة انبثاق الكنيسة الجديدة من جسم الكنيسة العتيقة كنيسة البرية المتغربة في قفار الأرض.

هذه الحركة الإلهية التدبير والتنفيذ نجح المعمدان في تمريرها من بين يديه كعملاق يحتضن الخيمة العتيقة، خيمة داود، بعُمُدها الساقطة وسقفها الذي أكله الزمن، ويسلِّمها لمَن يطويها ويخلقها جديدة من جسده، وعُمُدها تمس الأرض وسجوفها(٥٦) السماء بعينها.

(٥٦) السجف وجمعها سجوف = الحجاب وجمعها حُجب.

٢ ــ شهادة التلاميذ:

المسيح يبدأ عمله باختيار تلاميذه وهم يشهدون له:

١:٣٨ **«فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربي، الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث؟»**

الآية باليونانية تبدأ بـ«لكن»، وبهذا يصير تصوير هذه الحركة بأدق وأجمل مما هي في صورتها العربية. فهي تعني أن المسيح كان ماراً في طريقه وأن التلميذين قررا السير وراءه، فسارا يَسْترقان الخطى تهيُّباً ووقاراً، **«ولكن»** الرب أدرك مقصدهما فأراد أن يفتح أمامهما الباب، إنْ للحوار أو الدخول، فالتفت إلى خلف، وهنا توقفت أرجلهما أو أبطأتا اضطراراً، لما نظر إليهما وهما هكذا يسترقان الخطى بحذر وهيبة خلفه ــ فابتسم ولا شك ــ قائلاً بترحاب: «عاوزين إيه؟» **ماذا** تريدان؟ لم يقل **مَنْ** تريدان، لأنه يعلم مقصدهما، ولكنه قصد بسؤاله هذا أن يسهِّل عليهما الإفصاح عن عزمهما.

وبهذا النطق: **«ماذا تطلبان؟»** ثم **«تعاليا وانظرا»**، سجَّل ق. يوحنا أول كلمات نطقها الرب في إنجيله.

١:٣٩ **«فقال لهما تعاليا وانظرا».**

«تعالوا وانظروا أعمال الله إنه رهيب في أعماله نحو بني الإنسان.» (مز٦٦: ٦ــ السبعينية)

ولو أننا وضعنا السؤال مع الجواب: **«أين تمكث، تعاليا وانظرا»**، لنشأ لدينا معيارٌ عمليٌّ للإيمان. فالسؤال موجَّه من التلميذ الباحث عن الله (أين أنت؟)، والجواب هو دعوة من الله للدخول في الرؤيا (تعال وانظر!)

ولا يخفى عن القارىء أنه بالرغم من أن هذا المعيار للإيمان يبدو غريباً على الأسماع نوعاً ما في هذه الأيام، ولكنه هو هو المعيار الأبدي منذ البدء والوحيد الذي يعيش عليه أولاد الله في كل العصور حتى اليوم.

الكنيسة لا تزال، بفم يوحنا الرسول وفم جميع التلاميذ الأتقياء الذين طلبوه فوجدوه، ورأوه فعرفوه، تنادي: تعالوا وانظروا. بل المسيح بنفسه لا يقول تعالوا وانظروا فحسب، بل وأيضاً:

«جسُّوني وانظروا»، من يأكلني يحيا بي. واسألوا توما بل اسألوا أصبعه ماذا رأيت وماذا عاينت؟ توما وضع أصبعه على أعمال الله الرهيبة فصرخ: ربي وإلهي.

الكنيسة ذاخرة بأعمال الله الرهيبة. المسيح استودعها كل أعماله المجيدة: «كلُّ مَجدِ ابنة الملك من الداخل، مزيَّنة بأنواع كثيرة»، «أعمال مجيدة قد قيلت عنكِ يا مدينة الله».

وأن تكون «مع المسيح» مثلما اشتهى تلميذا المعمدان أندراوس و يوحنا بل «ومكثا عنده»، فهذه هي شهوة أتقياء الله، ونقول ــ وهذا عجب أيضاً ــ أنها بالمقابل رغبة المسيح الملحَّة جداً!!

ــ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني (ومكثوا معه هنا) يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو١٧: ٢٤)

وجواب المسيح: «تعاليا وانظرا»!! هو أن مقصدهما الحقيقي وشهوة قلبهما الصادقة لا يمكن أن تتم لهما إلا **«معه»** حيث يمكن أن **«يرياه» فيعرفاه**، فيصير لهما **«كل ما يريدان»**، كل شهوة قلبيهما وأكثر.

وكلمة «تعاليا» ἔρχεσθε تأتي بالفعل المضارع الأمر الذي يفيد المجيء إلى المسيح ليس بصفة عرضية ولكن بصفة مستمرة. ونتيجة ذلك هي «ستنظران» ὄψεσθε التي تفيد فعلاً رؤيوياً حقيقياً بمعنى: حينما تأتون إليَّ فإنكم ترونني على حقيقتي ويتم لكم كل شيء.

أما لماذا كان المسيح سخياً معهما بهذا المعنى؟ فلأنهما قدما مُسْبقاً **«فعل إيمان»** بأن **«تبعاه»**.

ولا بد، يا عزيزي القارىء، أن فعل الإيمان إذا كان هكذا صادقاً ومتحركاً، أن يتبعه فعل رؤيا.

«فأتيا ونظرا أين يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم وكان نحو الساعة العاشرة»:

كان هذا يوماً من أيام ابن الإنسان لم يَنْسَهُ ق. يوحنا طول حياته، ولن تنساه الكنيسة ما عاشت، فهذا هو أول يوم لها في بيت يسوع = الذي عرَّفته الكنيسة في سرِّها «باليوطا ١٠»(٥٧) ورقَّمه لها يوحنا الحبيب حتى تفهم السر لتحتفظ به لأولادها الذين يحفظون السر!

(٥٧) شرح عدد ١٠ في الطقس الكنسي، وهو المقابل العددي لأول حرف من اسم المسيح I «إيسوس»= Ἰησοῦς

وقصة الإنجيل، يا إخوة، عجيبة وهي مملوءة أسراراً، سرّاً في مقابل سر، أو سراً فوق سر! فيوم الكنيسة الأول في حياة الرب قضاه التلاميذ في بيت يسوع كما قيل الآن، وقد كان أن ردَّ المسيح للكنيسة الزيارة في آخر يوم له بأن زار التلاميذ في بيتهم وهم مجتمعون: «ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم» (يو٢٠: ١٩). في يومها الأول كانت الكنيسة في القماط خارجة من اغتسال الماء، وفي يومها الأخير مع الرب قبلت الروح القدس لما نفخه في التلاميذ فأخذت ملء قامتها.

أ ــ شهادة أندراوس:

١: ٤٠و٤١و٤٢ **«كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه.**
هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له: قد وجدنا مسيًّا، الذي تفسيره المسيح.
فجاء به إلى يسوع فنظر إليه يسوع وقال:
أنت سمعان بن يونا أنت تُدعى صَفَا الذي تفسيره بطرس».

لقد أثمرت زيارة أندراوس للمسيح، فلقد تيقن أنه المسيَّا. وللحال (أول شيء عمله بعد الزيارة) بحث عن أخيه سمعان وأخبره بالخبر المفرح: «قد وجدنا المسيَّا». ولا ننسى أن أندراوس تَتَلْمَذَ أولاً على المعمدان النبي الناسك المُرسَل من الله لإظهار المسيَّا والشهادة له، فهو قادر أن يقنع أخاه أنه حقاً قد وَجَد المسيَّا.

ويلاحظ أنه يجمع بين نفسه وواحد آخر «**قد وجدنا**»، هنا يذكر ق. يوحنا نفسه دون أن يذكر اسمه!! ويعطينا العالم هنجستنبرج(٥٨) شرحاً آخر لكلمة: «هذا وجد أولاً أخاه سمعان»، إذ يرى أن كلمة «أولاً» جاءت لتفيد أن التلميذين أندراوس والآخر (يوحنا) ذهبا ليبحثا كل واحد عن أخيه ليُحضره: أندراوس يبحث عن سمعان أخيه، ويوحنا يبحث عن يعقوب أخيه، ولكن أندراوس وجد أولاً أخاه، وهذا الشرح مقبول وقد أخذ به بعض علماء التفسير ويقوم هذا التفسير على أساس أن ق. يوحنا يرفض دائماً أن يذكر اسمه أو اسم أخيه يعقوب.

«أنت تدعى صَفَا ــ بطرس»:

ليس كل التلاميذ أخذوا أسماءً جديدة، والله منذ إبراهيم يعطي من يحمِّلهم مسئوليات جساماً

[58] *Op. cit.*, p. 95,96.

أسماءً جديدة. و يُلاحَظ أن هذه المسئوليات ذات طابع أُخروي وتتعلق بالتجديد المزمَع أن يكون: فإبراهيم أخذ لأن فيه تتبارك كل الأمم. يعقوب دُعي إسرائيل أي الناظر الله وقد وصفه الله بـ «ابني البكر» كرمز للآتي الذي هو وحده الناظر الله والابن الوحيد. موسى لم يأخذ ولم يُسمَح له أن يدخل أرض الميعاد لأنه ارتبط بالناموس، والناموس زمنيٌّ وعَتَق وشاخ وأعطى مكانه للنعمة والحق.

سمعان بطرس أخذ، لأن «على هذه الصخرة ابني كنيستي». يوحنا مع أخيه يعقوب أخذا «بَوانَرْجس»(٥٩) لأن يوحنا دوَّى صوته بعد البرق (المسيح) دويًّا يتساوى مع حجم النور بصورة ليس لها نظير ولا يزال يدوِّي.

والملاحظ أن في إنجيل ق. يوحنا فقط أُعطي الاسم الجديد لـ«سمعان» بعد أن فحصه الرب بنظرة عميقة، حيث لا يُذكر في الأناجيل الأخرى إلا باسمه الكامل سمعان المدعو بطرس أو سمعان بطرس دون ذكر كيف ولماذا أُعطي هذا الاسم. ومرة أخرى نقول إن هذا بسبب عدم تعرُّض الأناجيل الأخرى لخدمة المسيح الأُولى في اليهودية.

كذلك من الأمور المفرحة لفكر الباحث أن يجد أن هذه الأسماء التي ظهرت معاً في الأصحاح الأول لإنجيل ق. يوحنا كبداية لحركة **التلمذة:** أندراوس و بطرس و يوحنا و يعقوب، نجد هذه الأسماء أيضاً معاً وهي نفسها كانت بداية حركة الدعوة للرسولية، بحيث إذا لم ينتبه القارىء إلى ما تم في إنجيل ق. يوحنا بالنسبة لدعوة هذه الأسماء للتلمذة، و يقرأ ملابسات دعوة المسيح لهذه الأسماء لتتبعه لخدمة الرسولية، يرتبك ويحس بأنها تخرج عن الواقع المألوف، إذ لمَّا دعاهم المسيح كما هو مدوَّن في إنجيل ق. متى استجابوا فوراً وتركوا الشباك والصيد والعائلة بجملتها وانضموا إلى المسيح فجأة و بلا تحفُّظ.

ولكن الأمر له تمهيد وتعليم وتدريب سابق:

«وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر أخوين **سمعان الذي 'يُقال له بطرس'** وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فإنهما كانا صيادين. فقال لهما هلمَّ ورائي فأجعلكما صيادَيْ الناس. **فللوقت تركا الشباك وتبعاه!!** ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدي و يوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يُصْلِحان شباكهما فدعاهما، **فللوقت تركا**

(٥٩) في النطق التقليدي مفردها بونرجس أي صاحب أو ابن الرعد فأتى المثنى «بوا» أي صاحبا أو ابنا النرجس أي الرعد. انظر المدخل ص ٣٢.

السفينة وأباهما وتبعاه.» (مت ٤ : ١٨ـــ٢٢)

هذه التلقائية السريعة من جهة هؤلاء الأربعة وتركهم كل شيء واتّباعهم الرب نهائياً، يصعب جداً بل يتعذر فهمها أو قبولها كما هي، ولكن بعد أن قدّم لنا ق. يوحنا حركة التلمذة الأُولى على مستوى التعارف أولاً ثم الصداقة والأُلفة الشديدة وتغيير بعض الأسماء والتلمذة، أصبحت دعوة هؤلاء للرسولية بوضعها الحاسم كما جاءت في إنجيل ق. متى مفهومة بل وجديرة بالإعجاب؛ فالقرار كانوا في الحقيقة قد اتخذوه مع أنفسهم لإتّباع الرب تماماً ولم يكن ينقصهم إلا لحظة الدعوة التي استقبلوها بحماس حاسم.

ب ــ شهادة فيلُبُّس:

١ : ٤٣و٤٤ **«وفي الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل. فوجد فيلُبُّس، فقال له: اتبعني. وكان فيلُبُّس من بيت صيدا، من مدينة أندراوس وبطرس».**

من هذه الآية وفي زمانها، انتقل المسيح من خدمة اليهودية التي انحصرت في اختيار بعض تلاميذ له، وربما في بعض أعمال أخرى، إلى خدمة الجليل التي بدأ بها الإنجيليون الثلاثة أناجيلهم.

ويبدو أن ملاقاة فيلُبُّس تمت أيضاً على الضفة الشرقية من الأردن(٦٠)، قبل أن يرتحل المسيح منها متجهاً نحو الشمال. ويُلاحَظ أن ق. يوحنا يذكر، بعد ذكر الملاقاة مباشرة، أن فيلُبُّس هو من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس، وكأنه يربط بين الملاقاة والدعوة السريعة المقتضبة وبين أندراوس وبطرس. بمعنى أن فيلُبُّس كان رفيقاً للأخوَيْن، وكان يعلم كل شيء عن المسيح، وربما كان قد تم التعارف معه، بل ويرجح العالم وستكوت أن فيلُبُّس كان تلميذاً للمعمدان أيضاً.

ويُلاحظ أن في اللغة اليونانية تجيء كلمة **«من»** بيت صيدا بحرف ἀπό، والتي تفيد بلد الإقامة والمعيشة، ثم **«من»** بحرف ἐκ وتفيد مدينة أندراوس وبطرس أي «من كفرناحوم» (مر١ : ٢١و٢٩) وهي مدينة الميلاد.

[60] ICC, Bernard, *op. cit.*, p. 61.

و يقول التقليد أن فِيلُبُّس هو الشخص الذي لما دعاه المسيح اعتذر طالباً أن يدفن أباه أولاً، فكانت إجابة المسيح: «اتبعني، ودَعْ الموتى يدفنون موتاهم.» (مت٨: ٢٢)

[بخصوص إيمان فِيلُبُّس انظر المدخل ص٣٠٧ــ٣٠٩].

١: ٤٥ «فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء، يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة.»(٦١)

يبدو أن كل من أتته الدعوة واستقبلها بفرح الروح، تحولت فيه إلى بشارة وكرازة.

«ونثنائيل» اسم عبري يعني الله أعطى أو «عطية الله» = عطاالله. والمقابل اليوناني لها هو الاسم «ثيئوذور» بنفس المعنى ــ «تادرس». وقد عرَّفه ق. يوحنا في (٢١: ٢) أنه من «قانا الجليل». ومن تسلسل الآيات والأصحاحات حيث وردت «قانا الجليل» مباشرة بعد هذا الكلام في أصحاح ٢: ١، يظهر أن فيلبس وجد نثنائيل في قانا نفسها.

أما مَن هو نثنائيل؟ فلم نسمع عنه في الأناجيل الثلاثة مع أنه أصبح رسولاً. بعض العلماء مثل «زاهن» Zahn ووستكوت(٦٢) رأوا أن التصاق اسم فيلبس مع نثنائيل في البداية تحوَّل إلى التصاق فيلبس مع برثلماوس في تعداد الرسل، بالإضافة إلى أن الستة التلاميذ الذين التصقوا بالرب في البداية وآخرهم نثنائيل، ذُكروا بعد ذلك معاً وآخرهم بَرْثُلماوس بدل نثنائيل: «وجعل لسمعان اسم بطرس، و يعقوب بن زبدي و يوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد، وأندراوس، وفيلبس، و برثلماوس...» (مر٣: ١٦ــ١٩)

ومن قول فيلبس **«وجدنا»** بالجمع، يتضح أنه كان ضمن التلاميذ الأوائل الذين تعرفوا على الرب بعد كلام المعمدان عنه.

«الذي كتب عنه موسى» (تث١٨: ١٥):

كانت الأسفار المقدسة بين أيديهم يفحصونها ليل نهار مع المترقبين خلاص إسرائيل؛ وطالما توقفوا معاً عند إشارات وَمَضَت أمام قلوبهم بالروح عن المسيَّا الذي يترقبون ظهوره، إذ كان يُلهب قلوبهم: «أنا أحب الذين يحبونني والذين يبكرون إليَّ يجدونني» (أم٨: ١٧)؛ «لأنكم لو كنتم

(٦١) لقد شرح المؤلف حديث الرب مع نثنائيل شرحاً روحياً فيما سبق في كتاب: «الإيمان بالمسيح»، ص ١٠٨ــ١١٠ من الطبعة الأولى.

62 Westcott, *op. cit.*, p. 26.

تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني.» (يو٥: ٤٦)

«يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة(٦٣)»:

لقد أبقى ق. يوحنا معرفة فيلُبُّس في حيِّزها البشري بالنسبة للمسيح كما كانت على لسان فيلُبُّس. ولكن واضح غاية الوضوح أنه تعريف أفْضَى إلى تعريف آخر في قلب فيلُبُّس لم يسعفه الفكر أن يظهره آنئذ فاستبدل الكلام بالرؤيا «تعال وانظر».

١: ٤٦ «فقال له نثنائيل: أَمِن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟ فقال له فيلُبُّس: تعال وانظر».

كان الذين يترقبون ظهور المسيَّا، يربطون بين عظمة المسيَّا وعظمة المدينة التي سيظهر فيها وقُدْسيتها وشهرتها وأشهر الأنبياء الذين ظهروا فيها، ولكن نثنائيل صُدم لما سمع اسم الناصرة، خاصَّة وأن اسم الناصرة بالعبرية مأخوذ من اسم فرع الشجرة غير الطبيعي الذي يخرج من أسفل الجزع (أصل) الشجرة ويسمى بالعربي «نسر»، وهو قريب النطق من العبري «نتسير» المأخوذ منه كلمة الناصرة.

«ويخرج قضيب من جذع (خطأ والصح جذر ῥίζης) يسَّى، و ينبت غصن (نتسير / نسر) من أصوله ῥίζης، ويحلُّ عليه روح الرب...» (إش١١: ١)

فاسم الناصرة خامل في الطبيعة كما هو خامل في الأسفار تماماً. فنثنائيل يتكلم عن وعي ودراية. ولكن ألم يأخذ المسيَّا شكل العبد «محتقر ومخذول» (إش٥٣: ٣)؟ وهو على كلٍّ دُعِيَ «ناصرياً»، ولكنه وُلِد في بيت لحم اليهودية.

أما الذين يقولون إن «الجليل» أيضاً هو خامل الذكر ولم يخرج منه نبي «أجابوا وقالوا له: ألعلك أنت أيضاً من الجليل فتش وانظر إنه لم يقم نبي من الجليل» (يو٧: ٥٢)؛ فهذا غير صحيح وعن غير دراية يتكلمون. فكل من يونان النبي وعزيَّا النبي وناحوم النبي وربما إيليا النبي أيضاً وأليشع النبي وعاموس النبي كانوا جليليين وكانوا أجلاء. والجليل كانت أرضها مقدسة وسماؤها مفتوحة! أما ردُّ فيلُبُّس العملي فهو: «تعال وانظر»، حسب خبرته الشخصية وما سمعه من كل الذين رأوه أنه ليس من رأى كمَن سمع، فرؤية المسيح إن كانت عن جدٍّ وإخلاص فهي تكفي لكي يترك الإنسان كل شيء و يتبعه.

(٦٣) أنظر كتاب: «أعياد الظهور الإلهي» للمؤلف، ص ٢١٠ـــ٢١٢ من الطبعة الأولى.

ج ــ شهادة نثنائيل :

١: ٤٧ **«ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه».**

ومَن هو إسرائيل غير الحق؟ والذي كان فيه الغش؟ لأن يعقوب الذي تغيَّر اسمه فيما بعد إلى **إسرائيل** أخذ بركة البكورية بالغش إذ غش أخاه وغش أباه. فقد لبس جلد معزى ليبدو ملمسه خشناً لإسحق أبيه الذي كان قد فقد بصره ــ ليظهر كأنه عيسو الابن البكر الذي كان أشعراً، وذلك لكي يصلِّي عليه أبوه ويعطيه البركة الأخيرة، وكأنه ابنه البكر، وهو ليس كذلك. وفعلاً سرق البركة وعاش بها وجازت عليه بالفعل لأن هكذا دعاء الوالدين الأخير يكون نافذاً.

«فدخل إلى أبيه وقال يا أبي، فقال هأنذا مَن أنت يا ابني؟ فقال **يعقوب** لأبيه: **أنا عيسو** بكرك... فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه فجسَّه، فقال: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدي عيسو (جلد المعزى)... فباركه، وقال له: هل أنت هو ابني عيسو؟؟ فقال: أنا هو.» (تك٢٧: ١٨ــ٢٤)

ولكن هذه الحركة لم ترضِ الرب، وغيَّر اسمه فيما بعد إلى إسرائيل، ولكن ظلَّت هذه الوصمة لاصقة به كل أيام حياته وأولاده من بعده!

والآن نحن بصدد إسرائيل العهد الجديد أشخاصاً وشعباً، أي إسرائيل الحقيقي ἀληθής. فكان لما ظهر نثنائيل أمام المسيح أن رأى فيه شخصيةً ملتهبة صادقة تطلب البركة عن حق وليس عن غش. فبعين المسيح الفاحصة رآه **«إسرائيلي حقاً»** بمعنى أنه يطلب وجه الله عن حق في بحثه عن شخص المسيَّا، ورآه أن لا غش فيه بمعنى أنه رأى استقامة نفسه وقلبه كأفضل ما كان عليه إسرائيل لما رأى حلمه والسلم المنصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها (تك٢٨: ١٠ــ١٥).

١: ٤٨ **«فقال له: من أين تعرفني. أجاب يسوع وقال له: قبل أن دعاك فيلُبُّس وأنت تحت التينة رأيتك».**

لقد أُخِذَ نثنائيل بترحاب المسيح واهتزت أعماقه لما أعطاه علامة كشفت له سراً من أسراره لا يعرفه أحد غيره، فأدرك سلطان المسيح على «معرفة ما في الإنسان». وهكذا ليس فقط أثبت المسيح أنه يعرفه بل وأنه رآه فأحس نثنائيل أن ليس شيءٌ ما مخفياً عن عينيه، لهذا فإن كان فيلُبُّس يقول له عن يسوع الناصرة أنه المسيَّا بحسب الناموس والأنبياء فهو قد تيقَّن بنفسه أنه ابن الله كما قال عنه المعمدان.

١ : ٤٩ **«أجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل».**

كان إعلان المعمدان الذي هتف به ونادى أن هذا هو ابن الله قد ملأ أسماع الناس وأخذ صداه تُردّده قلوب الأتقياء الذين يترقبون الخلاص بفارغ الصبر. فلما بدرت من المسيح بادرة صغيرة ألمح فيها لنثنائيل عن شخصه حتى انهمر عليه إحساس الخلاص كالسيل.

فهوذا ابن الله حسب وعد الدهور على لسان المعمدان، وهوذا المُلك يُردُّ لإسرائيل في ابن الله هذا القادر المقتدر. إنها ومضة إلهامية كشفت له الأطراف المترامية لملك المسيًا الموعود ولكن بغير وضوح.

١ : ٥٠ **«أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا».**

الرؤية التي يقصدها المسيح هنا هي رؤية أمور تختص بالمسيح يدرك منها حقيقة المسيح أكثر أو أعظم مما رأى الآن. لأن دائماً أبداً الأمور الأعظم في الإنجيل هي أمور الله. والمقارنة هنا دقيقة وسرية، فهي مقارنة بين مستوى ما رأى المسيح من نثنائيل وهو مختفي تحت التينة ــ لأن الكلمة اليونانية «تحت» ὑποκάτω تشير إلى نوع من الخفية ــ وما سيراه نثنائيل من المسيح وهو مخفي تحت الجسد!! فالثانية أعظم بلا قياس وهذا ستبرهنه الآية القادمة. ووعد المسيح هذا لنثنائيل هو مرتب على ملاحظة المسيح الأُولى لنثنائيل أنه إسرائيلي **حقاً لا غش** فيه من جهة سعيه للتعرف على الله سعياً يسنده **الحق والصدق معاً**، كما هو مرتب على سرعة إيمان نثنائيل الملفتة للنظر. وهذا قد أصبح قانوناً في أمور البحث عن الله والسعي المخلص الخالص في معرفته.

١ : ٥١ **«وقال له: الحق الحق أقول لكم (من الآن) ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان».**

«الحق الحق أقول لكم»:

هذا الإصطلاح بصورته المزدوجة لا يَرِدْ إلاَّ في العهد الجديد ولا يَرِدْ إلاَّ في إنجيل يوحنا الذي لا تَرِدْ فيه مفردة كما هي في باقي الأناجيل.

«من الآن»:

شبه الجملة الزمانية هذه لا نجدها في الأصل اليوناني ولا في التراجم الأخرى. ويقول عنها العالم الكتابي واللغوي «وستكوت» أن أفضل المراجع ذات القيمة العالية لا تأخذ بها؛ لأن

وجودها يخل بالمعنى و يغيّر مفهومه اللاهوتي.

فإذا أخذنا بها يكون المعنى: أن منذ بدء الخدمة فقط بدأ ابن الإنسان يكون الصلة بين السماء والأرض. **ولكن الأصح لاهوتياً أن لا نأخذ بها** بحسب أكثرية المخطوطات الأصلية التي لا ترد فيها.

ويكون المعنى أن بتجسد الابن، أي لما الكلمة صار جسداً، صارت الصلة بين السماء والأرض واردة دائماً في شخص ابن الإنسان. لأن من المقطوع به لاهوتياً أن الابن المتجسد، بسبب كون «الجسد» متحداً اتحاداً كلياً وكاملاً باللاهوت، صار هو الواسطة لدخول الإنسان إلى الله أي قدس الأقداس. «**فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً (سُلّماً) كرَّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده...**» (عب ١٠: ١٩). لذلك أيضاً قال: «**أنا هو الطريق.**» (يو ١٤: ٦)

وواضح أن ق. يوحنا يسجل هنا مبدأ لاهوتياً عاماً. كذلك لا يقدمه بصيغة المفرد حسب مجرى الحديث مع نثنائيل بل يطلقه عاماً للجميع «الحق الحق أقول لكم» بهذه الصيغة التوكيدية التي تأتي دائماً قبل كل مبدأ استعلاني.

«السماء مفتوحة»:

السماء المفتوحة رآها يعقوب إسرائيل هكذا: «ما هذا إلاَّ بيت الله (على الأرض) وهذا باب السماء (فوق).» (تك ٢٨: ١٧)

لم يرَ السماء مفتوحة إلاَّ إسطفانوس الشماس الشهيد، ورأى فعلاً ابن الإنسان جالساً عن يمين الله، ومن بعده رآها بولس الرسول ورأى وجه يسوع يُطلُّ منها بأكثر من الشمس لمعاناً. أما ق. يوحنا فدخل في الرؤيا وعاش فيها يجولُ ويسجِّل مناظرها.

ولكن القصد من قول المسيح هنا أننا نرى السماء مفتوحة، هو افتتاح مغاليق رحمة الله على الإنسان واستعلان رضى الآب السماوي بسبب تجسد الابن. فالسماء انفتحت بواسطة التجسد حساب الإنسان.

وقد عبّر المسيح عن ذلك بأجلى وضوح أنه هو «الباب»، وما الباب إلاَّ باب السماء.

أما منظر الملائكة يصعدون و ينزلون على ابن الإنسان، فهو أنه وإن كان قد حدث هذا بصورة ضئيلة جداً سواء عند ميلاده أو عماده أو أثناء الصوم، إلاَّ أنه لم يرها أحد: «وصارت الملائكة

تخدمه» (مر١ : ١٣)؛ كما نجد ذكر الملائكة في القيامة وهي تخدم وتحرس القبر (لو٢٠ : ١٢)؛ كما نسمع عنها في القداس الإلهي، في أثنائه و بعد انتهائه: «يا ملاك هذه الصعيدة...؟» (القداس الإلهي)؛ كما ذكر المسيح نفسه إمكانية إحضاره جيشاً من الملائكة لو أراد: «أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي ليقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة.» (مت٢٦ : ٥٣)

ولكن المقصود من منظر الملائكة هو الأمجاد والنعم التي رافقت التجسد والتي من أهمها انفتاح بصيرة كل الذين شاهدوا المسيح وشهدوا له ممجَّداً، والذين خدموا تجسده بانفتاح بصائرهم وأرواحهم، ووعظوا وشرحوا أمجاد تجسده، كما يقول القديس أغسطينوس. ولكن تظل الملائكة عندنا هي هي كما رآها المسيح تماماً تنزل وتطلع مستندة على كلمته، محمَّلة بعطايا ومشورات الآب والمسيح لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص (عب٢ : ١٤).

أما القصد النهائي من هذا القول بخصوص انفتاح السماء والملائكة تصعد وتنزل على ابن الإنسان حيث لم يُذكر السلم، فإن قول المسيح هذا هو عودة بقلوب وأذهان التلاميذ ومن يأتي بعدهم إلى رؤية يعقوب إسرائيل كرأس لشعب الله قديماً، باعتبار أنه وهو رأس الكنيسة شعب الله الجديد جاء ليحقق وعد الله فيها، وقد حققها: «و يتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض.» (تك٢٨ : ١٢ــ١٥)

ولم يذكر المسيح السلم الذي رآه يعقوب، وذلك عن قصد لأنه هو السلم، هذا المنصوب على الأرض ورأسه يمس السماء!! «**ابن الإنسان**» و بالعبرية «**بار أنوش**» «وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو٣ : ١٣)، الذي أوْصَل الأرض بالسماء، وربط السمائيين بالأرضيين، وافتتح بجسده طريقاً صاعداً إلى الأقداس العليا دشَّنه بدمه يوم الجلجثة، به نصعد وكأننا صرنا بأجنحة، وعليه تنحدر إلينا الملائكة وأرواح الأبرار المكمَّلة في المجد، وعلى أكتافها نِعَم و بركات مختومة بدم الحمل ورضى الله.

وهكذا تحقق حلم يعقوب، وكل ما كان رؤىً عند الأنبياء، صار حقائق نحياها كل يوم.

سوف نقسِّم إنجيل ق. يوحنا إلى خمسة أجزاء، هي في الواقع خمسة بشارات أي خمسة أناجيل:

الجزء الأول:	**إنجيل التجديد**	٢: ١ — ٤: ٤٥.
الجزء الثاني:	**إنجيل قوة الكلمة**	٤: ٤٦ — ٥: ٤٧.
الجزء الثالث:	**إنجيل الاستعلان**	٦: ١ — ١٢: ٥٠.
الجزء الرابع:	**إنجيل المحبة**	١٣: ١ — ١٧: ٢٦.
الجزء الخامس:	**إنجيل الفداء**	١٨: ١ — إلى آخر الإنجيل.

الجزء الأول : إنجيل التجديد

٢ : ١ ــ ٤ : ٤٥

«قيل لكم في القديم... أما أنا فأقول لكم.»
(مت ٥ : ٢١ــ٤٣)
«أنتم الذين تبعتموني في التجديد.» (مت١٩ : ٢٨)

الإنتقال من القديم إلى الجديد :

و يقابله في الأناجيل الأُخرى «قد سمعتم أنه قيل للقدماء... أما أنا فأقول لكم» (مت٥ : ٢١). ولكن ما قدمته الأناجيل الأُخرى بالتعليم يقدمه إنجيل يوحنا من داخل المعجزة وشرحها والاستعلان المترتب عليها.

وفي كل جزء من أجزاء «إنجيل التجديد» سيجد القارىء مقابلة واضحة ومستمرة بين **القديم** و بين **الجديد** الذي جاء الرب يسوع ليؤسسه، ثم سيتضح نتيجة لذلك **استعلانٌ** معيَّن لشخص الرب، وذلك على النحو التالي :

١ ــ معجزة تحويل الماء إلى خمر في عُرْس قانا الجليل : ٢ : ١ــ١٢

القديم : ماء التطهير الناموسي.

الجديد : الخمر = الدم والحياة الجديدة.

الاستعلان : العريس الحقيقي يقدم دمه المسفوك لإسعاد البشرية.

٢ ــ تطهير الهيكل : ٢ : ١٣ــ٢٢

القديم : هيكل أورشليم المبني بالحجارة في ست وأربعين سنة.

الجديد : «هيكل جسده» المُقام من الموت : «وفي ثلاثة أيام أقيمه».

القديم : ذبائح الحيوانات ــ بقر وغنم وحمام.

الجديد : ذبيحة جسده «انقضوا هذا الهيكل... أما هو فكان يقول عن هيكل جسده».

القديم : التجارة بالدين : الصيارف والدراهم.

الجديد : «لا تجعلوا بيت أبي (الكنيسة) بيت تجارة».

الاستعلان: المسيح ابن الله: بيت «أبي».

٣ ــ مع نيقوديموس ليلاً:

أ ــ الحديث المباشر مع نيقوديموس ٣ : ١ــ١٢

القديم: ملكوت الله بالمعرفة، والمفاتيح مع الفريسيين «أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا».

الجديد: ملكوت الله بالميلاد الثاني من فوق، من الماء والروح.

الاستعلان: «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء **ابن الإنسان الذي هو في السماء**».

ب ــ الحديث غير المباشر مع نيقوديموس ٣ : ١٣ــ٢١

القديم: الحية النحاسية المرفوعة على خشبة، والمريض الناظر إليها يُشفى من عضة الحية.

الجديد: «هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

الاستعلان: موت ابن الله على الصليب لإعطاء الفداء للحياة.

القديم: ظلمة الأعمال الشريرة ــ بغضة النور ــ الدينونة.

الجديد: الإقبال إلى النور بأعمال الحق المعمولة بالله.

الاستعلان: «النور جاء إلى العالم».

٤ ــ تكميل شهادة المعمدان ٣ : ٢٢ــ٣٦

القديم: «الذي من الأرض هو أرضيٌّ ومن الأرض يتكلم».

الجديد: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص».

الاستعلان: المسيح العريس الحقيقي: «من له العروس فهو العريس».

٥ ــ في السامرة ٤ : ٤ــ٤٢

أ ــ الحديث مع السامرية: ٤ : ٧ــ٢٦

القديم: بئر ــ بركات وذكريات للآباء الجسدية ــ ذات الماء المعطش.

الجديد: المسيح ينبوع الحياة الأبدية، والذي يشرب منه لا يعطش أبداً.

القديم: السجود في جبل أورشليم لليهود وجرزيم للسامريين الذين يسجدون **لما لا يعلمون**.

الجديد: «تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون بالروح والحق "للآب"».

القديم: «أنا أعلم أن مسيًّا يأتي... ذاك يخبرنا بكل شيء».
الجديد والاستعلان: «أنا هو».

ب ـ الحديث مع التلاميذ: ٤ : ٢٧ ـ ٣٨
القديم: «يا معلم كُلْ».
الجديد: «لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم؛ طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله».

القديم: الأنبياء الذين زرعوا بالدموع.
الجديد: التلاميذ يحصدون ما لم يتعبوا فيه.

الاستعلان:

ج ـ إيمان السامريين: المسيح هو «مخلِّص العالم» ٤ : ٣٩ ـ ٤٢

الأصحاح الثاني

الأصحاح الثاني

مكان البشارة:
ثانياً: في الجليل
(٢: ١ــ ١٢)

١ ــ معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (*)

«من له العروس فهو العريس.» (يو٣: ٢٩)

القديم: ماء التطهير الناموسي.
الجديد: الخمر = الدم والحياة الجديدة.
الاستعلان: العريس الحقيقي يقدّم دمه المسفوك لإسعاد البشرية.

لم يكن جزافاً أن يبدأ المسيح ظهوره العلني في **«حفلة عرس»** ويصنع أولى آياته في تحويل **«الماء إلى خمر»، فهو** يبدأ الخدمة العلنية وإنجيل آياته هكذا:

«وفي اليوم الثالث كان عُرْسٌ في قانا "**الجليل**" وكانت أمُّ يسوع هناك.» (يو٢: ١)

فإذا علمنا أن بدء خدمة المسيح في إنجيل مرقس هكذا: «جاء يسوع إلى "**الجليل**" **يكرز ببشارة ملكوت الله**» (مر١: ١٤)، وإنجيل القديس متى أيضاً مثله: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز **ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله.**» (مت٤: ١٧)؛

كذلك إذا رجعنا إلى مفهوم ملكوت الله نجده حسب التقليد الإنجيلي الرسولي هكذا: «يشبه ملكوت السموات إنساناً **ملكاً صنع عرساً لابنه...**» (مت٢٢: ٢ــ ١٤)؛ وأيضاً: «يشبه **ملكوت السموات** عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس...» (مت٢٥: ١ــ ١٣)؛

ثم لو دققنا؛ نكتشف أن المسيح نفسه يصوِّر كل فترة وجوده على الأرض في وسط أولاده وتلاميذه ومحبيه **بحفلة عرس ممتدة:** «فجاءوا وقالوا لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون فقال لهم يسوع **هل يستطيع بنو العرس** أن يصوموا **والعريس معهم. ما دام العريس معهم** لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام **حين يُرْفَع العريس** عنهم فحينئذٍ يصومون في تلك الأيام.» (مر٢: ١٨ــ ٢٠)

(*) يُقرأ هذا الفصل (٢: ١ــ ١١) في عيد عرس قانا الجليل (١٣ طوبة) وهو اليوم الثالث بعد عيد الغطاس كما يقول الإنجيل: «وفي اليوم الثالث». ويُعتبر هذا العيد اليوم الأخير من أعياد الظهور الإلهي «الثيئوفانيا»: «**وأظهر مجده فآمن به تلاميذه**».

وهكذا نستطيع أن نأخذ صورة مؤكدة عن ما يبدو عليه المسيح **في نظر نفسه:** المسيح يرى نفسه عريساً، أينما سار وأينما حلّ، حتى وهو في حفلة عُرس لآخر، عريساً يبدأ يدشن ملكوته!

ق. يوحنا استحال عليه تحقيق الرمز بحرفيته على الواقع بأن يصوِّر المسيح كعريس في عُرس قانا الجليل، فاكتفى أن يُدعى المسيح إلى عُرس «الجليل» كعريس حقيقي ولكن غير ظاهر إلاَّ لأخصَّائه، ولم يظهر إلاَّ عندما قيل: «ليس لديهم خمر». قد فرغ الفرح من إسرائيل...!!، **«ليس لديهم خمر»** وماذا يبقى من العرس إذا لم يكن لهم خمر[1]؟ إنه الرمز الحقيقي لسر الشركة مع الله أو الانفتاح على الملكوت!! والخمر هو التعبير اللاهوتي عن بهجة الخلاص في الأزمنة الماسيَّانية!! وفي الوعي المسيحي اللاهوتي هو كأس الخلاص بعينه «اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (مت٢٦: ٢٧و٢٨)

وإن كان قد حدث فجأة أن فرغ الخمر في عرس قانا الجليل، ولكن عند ق. يوحنا كان هذا أمراً تحتّمه النبوات، لأن بهجة الخلاص قد انقطعت بالفعل من العهد القديم. ولم يكتشف أحد أن خمر العُرس في عُرس الناموس قد انقطع إلاَّ أمُّ يسوع التي أصبحت تحسُّ بوجود الله أينما ذهبت من عدم وجوده. وفي هذا يقول النبي تعبيراً عن أواخر أيام العهد القديم: «اصحوا أيها السكارى، وابكوا وولْولوا يا جميع شاربي الخمر على العصير، **لأنه قد انقطع عن أفواهكم.**» (يؤ١: ٥)

وق. يوحنا يقدم «الأمَّ» باعتبارها أول مَن اكتشف أن **«ليس لهم خمر»!** والخمر تعبير عن سر الشركة مع الله ــ كما قلنا ــ ولدالَّتها لدى العريسين، ولدى المهدين، أي لدى عريس الناموس لأنه يبدو أنه كان أحد أقربائها، ولدى عريس الملكوت الحقيقي لأنه ابن لها بالحق، تقدمت بملتمسها: **«ليس لهم خمر»**، ومع الطلب نظرة استعطاف من **«أمِّ إسرائيل القديم بالتمثيل»**[2] و**«أمِّ إسرائيل الجديد باللحم والدم»**. وكأنها تقول له: اعلنْ عن وجودك!! فكان أن حوَّل عريس الملكوت ماءهم الذي للتطهير إلى «خمر على طقس عشاء الرب». هكذا شربها تلاميذه وأحباؤه «الذين تبعوه **في التجديد**». وهكذا وبها أظهر **مجده** لهم، فانفتحت

---

(١) يقول الربيون اليهود: [لا مسرةً إلا مع الخمر] (Pes. 109a) عن العالم ليون موريس: «شرح إنجيل يوحنا»، ص١٧٩.

(٢) يقول أحد الشرَّاح الذي أخذ عنه كثيرون إن المسيح لما قال للقديس يوحنا وهو على الصليب: «هذه أمُّك»، فإنه كان يرمز إلى العذراء على أنها هي «إسرائيل»، أي العهد القديم، وبنوع من التوصية والوصاية أن تتعهد الكنيسة الشعب اليهودي بتراثه **كأنه أمٌّ لها**، كما كان شعب إسرائيل أمًّا للمسيح. ثم قال لوالدته: «يا امرأة هذا ابنكِ»، لكي ينبه إسرائيل وكل الشعب اليهودي بتراثه أن الكنيسة هي بنت العهد القديم. وقد سبق الإشارة إلى ذلك في المدخل ص٣٠١.

أعينهم لما شربوا ورأوا هالة **مجده** فآمنوا. لقد عرفوه كما عرفه تلميذا عمواس وقت كسر الخبز؛ لأنه في اثنين يُستعلَن السر، وقت رفع الكأس ووقت كسر الخبز، أينما كان المسيح على عشاء!!، فما بالك والمسيح يضيف إليها لمسة فصحية: «إن **ساعتي** لم تأتِ بعد»، ولكن **أُمَّه** استقدمتها له!!

لقد ملأت الخمر أجرانهم وفاضت، وفي هذا يقول يوئيل النبي نفسه لما نظر بالروح عودة العريس إلى عروسه: «فتُملأ البيادرُ حنطة **وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً**» (يؤ٢: ٢٤). أما إشعياء النبي فشعر بالفرح الذي ملأ قلوب الداعين والمدعوين، وعبَّر عنه من وراء الأزمنة: «وكفرح العريس بالعروس يفرح بكِ إلهُكِ» (إش٦٢: ٥). أما بنو العُرْس القديم ففرحوا **«بالشراب» البائد لأنهم شربوا منه فوجدوه جيداً؛** وأما بنو الملكوت فأدركوا سر حضور الله فيه، وبالتالي سر الخمر وسر الآية، وآمنوا بالمسيح؛ ولكن ظلَّ سرُّ العريس مكتوماً حتى يوم الصليب، ويوم استُعلن كيف فدى العريسُ عروسَه واشتراها بدمه الذي استودع سرَّه في خمر الكرمة الذي يملأ كل أجران العالم.

القصـــة:

٢: ١ «وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أُمُّ يسوع هناك».

نحن في نهاية الرحلة التي بدأها الرب من بيت «عبارا» عَبْر الأردن على الشاطىء الشرقي، وكان معه في بداية الرحلة التلميذان الجديدان أندراوس ويوحنا اللذان انضم إليهما سمعان بطرس ويعقوب، ثم في بداية المسيرة انضم فيلُبُّس ثم نثنائيل، أربعة باسم يهودي واثنان باسم يوناني، وهذا ليس جزافاً في إنجيل يوحنا. والمسافة طويلة يقدِّرها العالم وسْتكُوت[3] باختباره الشخصي بحوالي ٦٠ ميلاً، ليبلغ الناصرة أولاً ثم قانا الجليل، وكله من على الضفة الشرقية لنهر الأُردن.

اليوم الثالث:

العدد هنا يبدأ من الآية ١: ٤٣: «وفي الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلُبُّس...»، ولكن كثيرين من الشُرَّاح الذين تستهويهم الأعداد وتأويلها يقولون إن اليوم الثالث هو القيامة التي بها استعلَن المسيح ذاته. ولأنه هنا في هذه الآية يقص قصة استعلان، فقد صدَّرها بهذا الرقم للفت الإنتباه.

[3] *Op. cit.*, p. 36.

عُرس في قانا الجليل:

العُرس عند اليهود يستمر أسبوعاً على الأقل ويبدأ في المساء. ومعروف في التقاليد اليهودية أنه إذا كانت العروس عذراء يكون زواجها يوم الأربعاء، وإلاَّ يكون زواجها يوم الخميس.

«فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة. وكان في المساء (في الظلام) أنه أخذ ليئة (بدل راحيل) ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها... وفي الصباح إذا هي ليئة فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي أليس براحيل خدمت عندك؟ فلماذا خدعتني. فقال لابان... **أكمل أسبوع هذه**، فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة...» (تك٢٩: ٢٢—٢٧)

كذلك في قصة زواج شمشون من المرأة الفلسطينية نقرأ:

«ونزل أبواه إلى المرأة فعمل هناك شمشون **وليمة لأنه هكذا كان يفعل الفتيان**... فقال لهم شمشون لأُحاجيَنَّكُم أحجية فإذا حللتموها لي **في سبعة أيام الوليمة**...» (قض١٤: ١١و١٢)

قانا الجليل:

«قانا» دائماً تُذْكَر باسم «الجليل» للتفريق بينها وبين قانا أخرى كانت في منطقة سوريا. وهي المكان المعروف الآن بـ«خِرْبة» قانا، وهي على بعد ٩ أميال شمال الناصرة.

«أم يسوع»:

لم يذكر اسمها ق. يوحنا قط في كل إنجيله وحتى عندما ذكر اسم يوسف (١: ٤٥) لم يذكر اسمها، فهذا هو المنهج الفكري والروحي العجيب الذي اختطَّه هذا الإنجيلي: لا اسمه ولا اسم أُمِّه ولا اسم العذراء مريم. ولكن ليس من الهيِّن على ق. يوحنا أن يذكر «أم يسوع» إلا إذا كان الدور الذي ستقوم به في غاية الأهمية ويحوطه السرُّ من كل جانب.

وفي نظرنا(٤) أن العذراء القديسة مريم في هذه القصة تقف كنبيَّة تتوسط بين عهدين وتتوسط بين عريسين، وتتطلب المستحيل من ابنها فيعطيها!

وواضح من ملابسات القصة أنها لم تكن مدعوَّة بقدر ما كانت داعية وصاحبة أمر في البيت. فيبدو أن هذا الزواج كان يمتُّ إليها بصلة أكثر من أنها كبيرة، إذ ما أن وصل المسيح إلى البيت بعد الرحلة المضنية إلاَّ ووجد منها الرسالة أنها سبقته إلى العرس، وهي في انتظاره. فاستجاب في الحال، بالرغم من أن الرحلة كانت مضنية للغاية.

---

(٤) انظر كتاب: «العذراء القديسة مريم الثيئوتوكس (والدة الإله)» للمؤلف، طبعة ثانية ١٩٧٩، ص٨٧—٨٩.

٢ : ٢ **«ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس».**

عجيب حقاً أن يُدعى عريسٌ ــ وهو في أَوَج عُرسه ــ إلى حفلة عُرس. إنها مضادة Paradox يمتنع أن تكون جزءاً من إنجيل. وإذا قبِلَها الإنجيل هكذا بمستواها الظاهري هذا، لخرج الإنجيل عن حقيقة مستواه، إذ كيف يتسع درب الصليب لحفلة عُرْس؟؟ ولولا أن المسيح يعلم ما سيصنع هناك لامتنع، بل لأنه كان قد سبق ودبَّر كيف يُظهر مجده في هذا العُرس على أساس الصليب وفي مستواه، لذلك قَبِلَ الدعوة، وأصرَّ أن يأخذ تلاميذه أيضاً لأنهم الوجه الآخر من حفلة عُرسه الخاصة. أليس هو القائل «من أجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو١٧ : ١٩) بمعنى أُكرِّس نفسي للصليب من أجلهم؟

٣ : ٢ **«ولما فرغت الخمر قالت أمُّ يسوع له: ليس لهم خمر».**

هذا هو المحور الذي تدور حوله القصة. وهذا هو السبب الذي اجتذب المسيح إلى العرس، وهذا هو الدور الذي كشفت فيه الأم عن دورها الشفاعي الكبير.

ماذا حدث؟ يقول القائلون وهم على صواب ــ إن هم أخذوا بمظاهر القصة ــ أن حضور المسيح وتلاميذه وأحبائه، وهم كثرة، أخلَّ بترتيبات رئيس المتكأ؛ فاستُنْفِذَ الموجود من الخمر حتى فرغت فجأة. ولكن إن أخذنا بجوهر الإنجيل وأسلوب ق. يوحنا ومقاصده البعيدة الهدف والرؤيا، فحضور المسيح أيضاً هو الذي كشف رداءة الخمر وأفرغها من مضمونها. فهل ممكن أن يكون على مائدة عشاء الرب خمر غير جيدة؟ أو كأس غير كأس الرب؟ الخمر في حضرة الرب وفي يده هي الرمز الكامل والحقيقي للشركة مع الله.

أليس من أجل ذلك دعته أمه ليصحِّح، ليس «نقص الخمر»، بل «نقص وجود الله وحضوره» ؟

«ليس لهم خمر»:

هذا التعبير مِسْتِيكي، أي سِرِّيٌّ، بالدرجة الأُولى، يعني ليس لهم فرح ولا سرور حقيقي بالله، إن الأمَّ العذراء القديسة مريم نذيرة الرب والتي تقدست بالروح القدس نفساً وجسداً وروحاً يستحيل أن تعني إلا هذا، العذراء القديسة التي عرفت أن تقول: «تعظِّم نفسي الرب **وتبتهج روحي بالله مخلصي**» (لو١ : ٤٦)، تعرف إن كان من خمر الناس تبتهج الروح أم من خمر الله، فحينما قالت "ليس لهم خمر" كان ذلك بمثابة مُلْتمس عاجل وسرِّي أن يمارس عمله كإله.

والظروف كلها حسب الظاهر كانت مواتية، فخمرهم فعلاً نفدت، والنفوس الحاضرة قلقة وملتهبة شوقاً تريد أن ترى من يسوع عملاً، بعد كل الأخبار المذهلة والمتزاحمة التي ملأت البلاد كلها عما قاله المعمدان وعما شاهده وشهد به، وخاصة حينما أعلن أن المسيح هو العريس وأما هو فصديق العريس! كانت عين العذراء وقلبها على عمل إعجازي مثل ما عمل المسيح تماماً. وكما اشتهت العذراء، عَمِل المسيح، وزاد، لأن حب العريس أقوى من حب العروس. ولكن عتاب المسيح الوحيد للعذراء الأم أنها عجّلت بالصليب!! ونحن لا زلنا في صفّها «لم تأتِ **ساعتي** بعد»!!

٢ : ٤ **«فقال لها يسوع ما لي ولكِ يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد».**

الإشارة هنا خفية ترمي إلى أن الرب لا يعمل إلا بحسب مشيئة الآب، وأن العمل الذي تطلبه «الأم» يدخل في تحديد ساعة الصليب!! والمعنى الآن سهل فهو يقصد أن بدء العمل بأول آية يستعلن شخصه حتماً؛ وبهذا يكون قد حدّد بالضرورة بدء العدّ التنازلي للصليب، لأن عمل الرب وهو منصبٌّ كله ومحصور في عمل الفداء والخلاص، كان محسوباً عليه من أعدائه، أي ضده. فكأنما الأم بطلبها صنع الآية، وهي الأولى، نبّهت وأعطت الأعداء الإشارة للبدء، فحددت دون أن تقصد ساعة الصليب. ولم يكن المسيح يشاء أبداً أن تكون أُمُّه هي التي تقف هكذا على بداية درب الصليب!

أما قوله لأمه: **«يا امرأة»** فهذا اللقب لا يُفهم على مستوى لغة ق. يوحنا إلا إذا قارنّاه بما خاطبها به الرب عندما أتت الساعة وهو على نهاية درب الصليب!: «يا امرأة هوذا ابنُكِ». وهكذا يشير الرب بلغته السرية التي يجيد ق. يوحنا فهمها وتسجيلها كيف كانت أُمُّه القديسة العذراء مريم تمثل «المرأة» وهي تفتتح وتختم معه ــ كآدم الثاني ــ سكة الصليب، وكشريكة أحزان وكمن يجوز في نفسها سيف!! حسب نبوة سمعان الشيخ الجليل.

٢ : ٥ **«قالت أُمُّه للخدام** (=الذياكونيين διακόνοις) **مهما قال لكم فافعلوه».**

هي وحدها التي فهمت كل شيء من ردّ ابنها، الذي احتار فيه كل شارحي الكتاب، فبالرغم من صورته الجافة حسب الظاهر إلا أنها اعتبرته يحمل علامات الرضى والتنفيذ. فأوصت الخدام بطاعة كل ما يقول، وكلمة **«الخدام»** هنا تأخذ معنى خدمة الطقوس والأسرار، وهي

عجيبة حقاً في موضعها(٥)؛ **فهي تزيد من معنى الوجود السري للمسيح كعريس ومن مستوى الخمر السرائري.**

فالكلمة العادية والطبيعية للخدام حسب تحقيق العلماء هي إما ὑπηρέται أو δοῦλοι ، ولكن ق. يوحنا يصر في هذا الموقف، أمام حضرة المسيح ووجود أمه العذراء القديسة مريم وشركة التلاميذ القديسين، أن يختار لخدمة توزيع الخمر الذي يُعتبَر وكأنه من يد المسيح، لفظة «الذياكونيين» ليزيد من ترجيح فعل سرائري حادث.

٢: ٦ «وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة».

الستة الأجران للتطهير لستة أيام الأسبوع، لأن السابع وهو السبت ليس فيه خروج ولا دخول ولا عمل ما فليس له تطهيرات. وكان كل جرن يُخصَّص ليومه، أما سعتها الكبيرة فلأن التطهيرات كانت قد فاقت عن الحد، فليس اليدان فقط بل والقدمان والأوعية هي التي تتطهر، وقبل وبعد الأكل، حتى الكراسي وشِلَتْ الجلوس والأسِرَّة: «لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ، ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون، وأشياء أخرى كثيرة تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس (أكواب الماء والخمر) وأباريق وآنية نحاس (الحلل) وأسِرَّة.» (مر٧: ٣و٤)

وهذه الأواني الفخارية الكبيرة الحجم لا تزال تُستخدم في نفس المناطق المذكورة، ويوجد منها أحجام أكبر في الأديرة إلى الآن.

مَطْرَين أو ثلاثة:

هذا المقياس يساوي في جملة الأجران الستة حوالي ١٣٤ جالوناً. علماً بأن الجالون يساوي ٤٫٥٤ لتراً.

٢: ٧ «قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق».

هنا المسيح يأخذ موقف الذي يُجري السر أو الآية سيان، وكونه يأمر الذياكونيين بملء الأجران ماءً فهو يحضر بنفسه كيفية العمل ومادة السر مع أخصاء الخدمة. واستجابة الخدام الفورية لملء

(٥) الذياكونيون هم الشمامسة خدام هيكل الرب.

١٣٤ جالوناً من الماء، أي ما يزيد عن ٣٠ صفيحة ماء، أخذ وقتاً وجهداً ليس بقليل، لأن الأجران كلها كانت قد فرغت من الماء بسبب عدد المدعوين الكبير. كل هذا جعل المنظر مثيراً ومُلفتاً جداً للأنظار، وهذا بحد ذاته تحضير ليس بقليل بالنسبة لأداء المعجزة.

والملاحظ أن الخدم ملأوا الأجران حتى حافتها العليا ἕως ἄνω . هكذا يصنع المسيح دائماً: فهو «الملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١ : ٢٣)، «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة» (يو ١ : ١٦). وهذا **الملء** حتى الحافة يمثل في الحقيقة مع **الكثرة الهائلة** في الكمية المتحولة إلى خمر، مستوى عطية المسيح الروحية: «لأنه ليس بِكَيْلٍ يعطي الله الروح» (يو٣ : ٣٤)؛ و«القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف ٣ : ٢٠)، يعطي دائماً «بحسب غنى مجده» (أف ٣ : ١٦)، و بحسب «غنى المسيح الذي لا يُسْتَقصَى...» (أف ٣ : ٨)

هذه الصورة الفائضة لعمل النعمة في عطية المسيح هي المعيار المنصوص عنه للعهد الماسيَّاني، أي العهد الجديد، عهد الخلاص، عهد الفيض والملء.

لذلك لزم هنا، بالدرجة الأُولى، مع هذه الكثرة أن ينتزع المسيح من رئيس المتكأ الشهادة بنوع جودة الخمر الذي ينفي عنه صورته المادية المؤدية للخلاعة والسكر. فالكثرة والفيض والملء هنا إنما تعمل لحساب فرح الروح و بهجة حضور الله. الأمر الذي طلبته العذراء وتمنته أن يكون فكان. والكثرة مع الملء والفيض في هذه الآية توازي تماماً ما حدث في آية الخمس الخبزات والسمكتين، والكثرة في صيد السمك الأخير حتى كادت الشباك تتخرق.

أما **التمادي** في وصف الملء والسعة والأعداد فهي الصفة الملازمة لآيات إنجيل يوحنا، فهدم الهيكل الذي تم بناؤه في ٤٦ سنة يتم في ثلاثة أيام، والأعمى مولود من بطن أمه أعمى، والمشلول له ٣٨ سنة في مرضه، والخمس الخبزات والسمكتان أشبعت خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال، ولعازر قام بعد أربعة أيام في القبر، فاختيار التمادي هو جزء من اختيار الآية.

٢ : ٨ **«ثم قال لهم استقوا الآن وقدِّموا لرئيس المتكأ، فقدَّموا».**

«الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢كو٥ : ١٧)

«استَقُوا الآن»: Ἀντλήσατε

هذه الكلمة أحدثت ضجة في عقول الشراح ــ وأكثرهم العلامة وستكوت ــ فهي تعني في

الأصل اللغوي «اسحبوا». فما كان من هذا العالِم والذين تشيّعوا له أن ظن أنهم يسحبون من النهر أو البئر أو من مصدر آخر، لأن كلمة «اسحبوا» لا تصلح إلا للرفع بالجردل أو بآنية بحبل من البئر أو خلافه. وقد فات على هؤلاء العلماء المتمدينين أن الأجران الحجرية الكبيرة ذات فوهة واسعة وليس لها أي وسيلة لرفع الماء منها إلا بسحبها بالكوز ذي اليد المعروفة، سواء كان من النحاس وهذا هو غالب الأمر جداً، أو من الفخار، والكلمة ἀντλήσατε باليونانية هي نفس الكلمة بالعربية الدارجة «يَنْطُلُ»، و«نَطَل» الماء أي أخذه من مصدر عميق بالكوز أيضاً وليس فيها أي لَبْسٍ أو إبهام.

رئيس المتكأ: ἀρχιτρίκλινος

وأيضاً هذه الكلمة لم تُفهم عند علماء الغرب، لأنها عادة شرقية أن يخدم و يضبط الحفلة بأكملها رجل يتبرع بذلك و يكون غالباً من أهل العرس، و يكون مرموق الكرامة، وهو يصنع ذلك تكريماً منه وتنازلاً لأهل العرس. ولذلك تكون له الكرامة الأُولى في الحفل، وكلمته تكون نافذة على الجميع. لأن في حفلات العرس عند الشرقيين غالباً ما يخرج الشباب عن حدودهم إما بالتهليل أو بالشرب الكثير أو بالتذمر، وهذا يحتاج إلى قدرة عالية جداً من الضبط. فبحسب الأُصول الشرقية، أوعز المسيح للخدم أن يقدموا من الخمر لهذه الشخصية، أي لرئيس المتكأ، فقدَّموا.

وقد يحدث أن يكون رئيس المتكأ أحد رؤساء الدين الذي يُجري طقوس الزواج، وقد يبقى في العُرس كمدعوٍّ فوق العادة وهنا تكون له كرامة مضاعفة.

وكان يهم المسيح جداً أن يشرب رئيس المتكأ من الخمر الجديدة، وذلك **أولاً: حسب طقس العشاء.** فالمسيح هنا اعتبر نفسه رب الأسرة أو العريس الإلهي، وأن كل المدعو ين وأهل البيت بمثابة أولاده أو مدعوِّ يه. وكان الطقس يحتم أن المسيح يذوق و يعطي لأكبر الموجودين و بعد ذلك يدور الدور حتى الأصغر، وهذا هو طقس العشاء العادي عند اليهود. أما السبب **الثاني** فلكي ينتزع منه المسيح الشهادة لنوع الخمر الإلهي الذي صنعه المسيح بنفسه أو على الأصح من نفسه. لأن كل آية كان يصنعها المسيح كانت تحتاج إلى قوة إلهية **تخرج منه.** «لما سَمِعَتْ بيسوع جاءت في الجمع من وراء ومسَّت ثوبه. لأنها قالت إن مَسَسْتُ ولو ثيابه شُفيتُ. فللوقت جفَّ ينبوع دمها وعلمت في جسمها أنها قد برئت من الداء. فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه **بالقوة التي خرجت منه** وقال من لَمَس ثيابي...» (مر٥: ٢٧ــ٣٠)

كان الخمر الجديد الذي صنعه يسوع بعمل قوة إلهية — فالكرمة الحقيقية تعطي من عصيرها خمراً حقيقياً. هذه القوة ظهرت عند رئيس المتكأ تحت إحساس الجودة ليس إلا، وعند كثيرين ظهرت كبهجة للغاية كبهجة حضور الله في القلب، وعند التلاميذ فتحت أعينهم وعاينوا حضور الله ومجد المسيح فآمنوا. وهذا شأن كل سرّ الله حتى اليوم.

٢: ٩-١٠ «فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، فدعى رئيس المتكأ العريس وقال له كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن».

يلزم أن نستدرك القول إن أجران الماء التي للتطهير إنما موضعها يكون في الفسحة في مدخل البيت وليس داخله. والأجران لم تتحرك من مكانها أثناء صُنع الآية، فهي ثقيلة جداً بالإضافة إلى أن حجمها يمنع أن تكون داخل البيت. لذلك حينما صنع المسيح آية تحويل الماء إلى خمر، صنعها بعيداً عن أهل العرس والمدعوين الذين في الداخل. لذلك قُدِّمت لهم الخمر وهم لا يدرون من أين أتت. وهذا أيضاً يُضاف إلى أن سر التحوُّل لا يعرف أحد كيف أتى.

والإشارة الروحية أو السرية واضحة أن آية تحويل القديم إلى جديد، أي ماء التطهير إلى خمر عشاء، صُنعت خارج حدود الناموس. وبالرغم من واقعها المنظور والمحسوس إلا أن لا الرئيس المكلَّف بضبط حدود الناموس ولا العريس — عريس الناموس — كانا على دراية بها أو بصانعها الذي هو «العريس الحقيقي»، ولكن «الخدام» وهم في الناموس الطبقة المترسِّبة من المجتمع التي تكتسب لقمتها بعرق جبينها، كانوا يعلمون: «فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به؟ أجاب الخدام لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (يو٧: ٤٥و٤٦)، والإنجيل اهتم بوضعهم كشهود.

«ومتى سكروا فحينئذٍ الدون»:

الكلام هنا لا يقع على الحاضرين، فلم يسكر أحد بعد، ولكن في حدود المثل الشائع يتكلم هنا رئيس المتكأ. وفي الحقيقة الكلام هنا يرمي إلى أبعاد تغوص في الواقع اليهودي الذي صار حاله كحال «مَنْ سكروا فحينئذٍ الدون»، وفي هذا يقول إشعياء النبي: «ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر، الكاهن والنبي ترنَّحا بالمسكر، ابتلعتهما الخمر، تاها من المسكر، ضلاَّ في الرؤيا، قلقا في القضاء. فإن جميع الموائد امتلأت قيئاً وقذراً ليس مكان. لِمَنْ يُعلِّمُ معرفة ولمن يُفهِمُ

تعليماً...» (إش٢٨: ٧ــ٩). نعم فليس ــ من واقع الحال ــ أردأ من هذا خمر ولا أردأ من هذا حال.

«أما أنت فقد أبقَيْتَ الخمر الجيدة إلى الآن»:

«الخمر الجيدة»: καλὸν οἶνον

كلمة «جيدة» καλὸν هنا التي تُترجم أيضاً في إنجيل يوحنا «حسن» و«صالح». فإذا قرأناها إنجيلياً وبإحساس العهد الجديد وخاصة أعمال المسيح، فهي قريبة ونسيبة لكلمة «الحق» ἀλήθεια. فهي نفس الكلمة المستخدمة في «أنا هو الراعي **الصالح**» ἐγώ εἰμι ὁ ποιμὴν ὁ καλός (يو١٠: ١١)، وهي أيضاً المستخدمة في قوله: «**أعمالاً كثيرة حسنة** (= ἔργα καλά) أريتُكم من عند أبي.» (يو١٠: ٣٢)

والسؤال هنا: هل يمكن أن تُقبل صفة «**جيدة**» بهذا الوضع والإحساس الإنجيلي على أنها خمر جيدة للمذاق والشرب الجسدي؟ أم أنها خمر لها علاقة جيدة بالكرمة الحقيقية؟ نحن في الواقع نرى أن «الخمر الجيدة» هي المحور الذي تدور حوله الآية، فهي آية تحويل الماء الساذج لغسل الجسد إلى خمر العهد الجديد «الجيدة»، أي الروحية، لتفريقها عن الخمر العادية. ولكن بنو العرس صنفان: صنفٌ شَرِب الخمر الجيدة فانحصرت جودتها عندهم في مذاقها وحسب فأعجبتهم، كما أعجب الذين أكلوا من الخمس الخبزات وسعوا وراء المسيح يطلبون المزيد من الخبز البائد؛ أما بنو الملكوت وهم الصنف الذي يرافق العريس الحقيقي، فلما شربوها انفتحت أعينهم(٦) وتجلى العريس في أعينهم وقلوبهم وإيمانهم فعرفوه أنه هو المسيح الحمل ابن الله كما رآه المعمدان.

عرس قانا الجليل والكنيسة:

الكنيسة منذ ما قبل القرن الرابع وهي تعيِّد للميلاد والغطاس وعرس قانا الجليل عيداً واحداً متصلاً، وأسمته «عيد الظهور الإلهي»، باعتبار أن ما تم في الميلاد بظهور الله في الجسد أي «الكلمة صار جسداً» ــ بشهادة الملائكة ــ هو الذي نظره المعمدان والتلاميذ في الأُردن حيث استُعلن بشهادة الروح القدس والآب من السماء أنه ابن الله، وأنه هو العريس، والمعمدان صديق العريس رأى وفرح، وهو الذي تم في عرس قانا الجليل حينما أظهر المسيح ذاته أنه ابن الله بتحويل ماء التطهير الذي للناموس إلى خمر العهد الجديد الذي يحمل سر الفداء والخلاص ــ وسر

(٦) و«الخمر **الجيدة**» تشير خفيياً إلى أنها خمر غير عادية أو خمر «**جديدة**»، وهي أيضاً تشير إشارة خفية، ولكن يلمحها الملهمون، إلى خمر الروح، خمر الشركة مع الله التي سيشربها المسيح معنا في ملكوته: «وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي.» (مت٢٦: ٢٩)

العريس الحقيقي ــ بشهادة أُمّ المسيح والتلاميذ.

٢: ١١　«هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل، وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه».

واضح السبب أن هذه هي بداية الآيات التي صنعها يسوع، لأنها آية «استعلان» بالأساس؛ فهي أحد الأعمدة الثلاثة التي تقيم عليها الكنيسة عيد الظهور الإلهي «الإبيفانيا». وهي لا يوجد لها مثيل أو مشابه في معجزات الثلاثة الأناجيل الأخرى.

وقوله هنا: «أظهر مجده فآمن به تلاميذه» هي في التحقيق الأول والعملي لقول ق. يوحنا في المقدمة: «ونحن رأينا مجده»، ولهذا فلا ينبغي أن نأخذ هذه القصة بوجهها البسيط مجرد معجزة في عرس ريفي.

فالقصة في عمقها تعكس صورة لـ«وليمة المسيا» وتأخذ ضوءها الإنجيلي من عشاء عُرْس الخروف في الرؤيا (١٩: ٧ــ٩). لم تنحدر القصة في مفرداتها لتعطي لوناً إفخارستياً(٧) تتعلق به الكنيسة لتكمِّل به خمس خبزات وليمة المسيا في الجبل: هناك الخبز وهنا الخمر. هكذا استوقفت هذه القصة أفكار قراء الإنجيل من آبائنا الأوائل. وكأنما المسيح ظهر في القصتين كملكيصادق يعضد الكنيسة بخبز وخمر إلى أن يأتي الوقت ليكشف عن سرِّهما فيه.

وقفة قصيرة

٢: ١٢　«وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة».(٨)

لا يذكر هنا ق. يوحنا أين كان يعيش المسيح مع أمه وإخوته قبل ذلك، كذلك لم يذكرْ يوسف خطيب مريم والمحسوب خطأً أنه كان أباه، كذلك لم يذكر أخواته. وهنا لزم التوضيح ليكون القارىء متتبعاً خطوات تنقُّل المسيح مع أمه المذكورة هنا.

أولاً: معروف أنه بعد عودة يوسف ومريم والصبي يسوع من مصر، أن يوسف خاف أن يعود

(٧) إرجع إلى مقالة «عرس قانا الجليل» في كتاب: «أعياد الظهور الإلهي»، الطبعة الأُولى سنة ١٩٨٠، ص ٣١١ــ٣٢٢، وعلى الخصوص ص٣١٨.

(٨) توضح المخطوطة الإسكندرانية المشهورة مع مخطوطات أخرى هامة أن المسيح وحده هو الذي لم يبقَ في كفرناحوم إلا مدة قليلة إذ تقول «وأقام» بدل «وأقاموا». و يعوِّل عليها علماء كثيرون أن الأسرة انتقلت في هذا الوقت انتقالاً نهائياً إلى كفرناحوم.

إلى اليهودية (مملكة الجنوب وعاصمتها أورشليم)، فذهب إلى الجليل: «وإذ أُوحي إليه في حلم، انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يُقال لها ناصرة.» (مت٢: ٢٢و٢٣)

ثانياً: عاش المسيح في طاعة أبيه وأمه. وفي سن الثانية عشرة وضحت عليه الدعوة والرسالة حينما قال لأمه عندما عاتبته على تركه للرفقة وبقائه في الهيكل في أورشليم عند عودتهم من الفصح: «لماذا فَعَلت بنا هكذا. هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذَّبَيْن. فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما **لأبي**، فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما. ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما.» (لو٢: ٤٩–٥١)

ثالثاً: لما بلغ سن الثلاثين سنة، وكان قد تربى مع يوسف الذي كانت صنْعَتُه النجارة (مت١٣: ٥٥)، وكان المسيح أيضاً قد تعلم مهنة النجارة، واستلم العمل موضع يوسف فكان هو نجار الناصرة. وهذا واضح في قول أهل الناصرة: «أليس هذا هو النجار ابن مريم.» (مر٦: ٣)

سمع المسيح بظهور المعمدان في اليهودية فانحدر من الجليل، وبالذات من الناصرة، إلى يوحنا: «وفي تلك الأيام جاء يسوع من "ناصرة الجليل" واعتمد من يوحنا في الأردن.» (مر١: ٩)

رابعاً: بعد العماد وشهادة يوحنا انطلق المسيح في رحلته من بيت عَبَارة حيث كان المعمدان يُعمِّد إلى الجليل، فبلغها في ثلاثة أيام مع تلاميذه الستة كما شرحنا في الآية يو٢: ١١. ولما بلغ الناصرة وجد الدعوة من أمه لحضور عرس قانا الجليل حيث سبقته إلى هناك.

وتقول الآية أنه بعد العرس، انحدر المسيح مع أمه وإخوته وتلاميذه إلى كفرناحوم، ولم يذكر يوسف. وبذلك يُحسب أنه كان قد انتقل. كذلك لم تُذكر أخوات المسيح — وهنَّ من أولاد يوسف بالطبع من زواج سابق حسب التقليد — لأنهن كُنَّ على ما يُظَن قد تزوَّجْنَ.

وتقول الآية أنهم بقوا في كفرناحوم أياماً ليست كثيرة، مما يتضح أنهم رجعوا إلى الناصرة بعد مدة.

خامساً: ويمدنا القديس مرقس بمعلومة واضحة أن المسيح بعد ذلك انتقل والأسرة ما عدا الأخوات انتقالاً نهائياً إلى كفرناحوم: «وترك الناصرة وأتى وسكن في كفرناحوم التي عند البحر(٩).» (مت٤: ١٣)

(٩) «عند البحر» تنخفض كفرناحوم في مستواها الأرضي عن سطح البحر.

إرميا ٢٥: ٣٠ «الرب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه (الهيكل) يطلق صوته».

ولكن أيضاً لا تغيب «الجليل» عن روح النبوة فقد سلّطها إشعياء أيضاً على كل المناطق التي خدم فيها الرب:

ــ «ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي **يُكرِمُ الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم** الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.» (إش ٩: ١و٢)

لذلك كان من الأمور المتيقنة لدى المنتظرين الفداء لإسرائيل أن يظهر المسيًّا في أورشليم وفي اليهودية أول ما يظهر. وهو بالفعل ظهر أولاً في اليهودية على نهر الأردن مع السابق الصابغ، واستُعلن أنه ابن الله وحمل الله الذي جاء ليرفع خطية العالم، هناك في بيت عبارة عبر الأردن. هذا فوق أنه وُلد في بيت لحم اليهودية حسب النبوات أيضاً.

٢ ــ تطهير الهيكل
(٢: ١٣ــ ٢٥)

مكان البشارة: «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد»
ثالثاً: في اليهودية (ملاخي ٣: ١)

هذه الحادثة هي الجزء الثاني من «إنجيل التجديد»، وسنجد فيها المقابلة مستمرة بين القديم والجديد.

القديم: هيكل أورشليم المبني بالحجارة في ست وأربعين سنة.
الجديد: «هيكل جسده» المقام من الموت «وفي ثلاثة أيام أقيمه».

القديم: ذبائح الحيوانات ــ بقر وغنم وحمام.
الجديد: ذبيحة جسده: «انقضوا هذا الهيكل... أما هو فكان يقول عن هيكل جسده».

القديم: التجارة بالدين ــ الصيارف والدراهم.
الجديد: «لا تجعلوا بيت أبي (الكنيسة) بيت تجارة».
الاستعلان: المسيح ابن الله: «بيت "أبي"».

يشرح ملاخي النبي هذه الحادثة في سفره بالروح ربطاً ربطاً محكماً بين مجيء المعمدان (وعمله

المسيح)، ثم ظهور الرب في الهيكل بصورة تنطق بها الأناجيل نطقاً على مستوى الوقع الذي تم.

ــ «هأنذا **أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه** وملاك العهد الذي تسرُّون به. هوذا يأتي، قال رب الجنود. ومَنْ يحتمل يوم مجيئه ومَنْ يثبت عند ظهوره، لأنه مثل نار الممحِّص ومثل أشنان القصَّار، فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقي بني لاوي (الكهنة)، ويصفّيهم كالذهب والفضة، ليكونوا مقرِّبين للرب تقدمة بالبر، فتكون تقدمة **يهوذا وأورشليم** مَرْضِيَّة للرب كما في أيام القِدَم وكما في السنين القديمة.» (ملاخي ٣: ١ــ٤)

ــ «هوذا الرجل "**الغصنُ** اسمه" (يدعى ناصرياً) ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه...» (زك ٦: ١٢و١٣)

٢: ١٣و١٤ «وكان فصحُ اليهودِ قريباً فصعِدَ يسوعُ إلى أورشليم. ووجدَ في الهيكلِ الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً، والصيارفَ جلوساً».

فصح اليهود:

ليس تبرُّؤاً من اليهود وليس امتهاناً لفصحهم كتب ق. يوحنا «فصح **اليهود**» ولكن أولاً لتمييزه عن الفصح **المسيحي**، لأنه يكتب في وقت كان قد استتب فيه التعييد للفصح في الكنيسة. وقد ظل ق. يوحنا هو الوحيد من أساقفة كراسي المسكونة آنئذ الذي يعيِّده في زمانه المحدد أي الرابع عشر من شهر نيسان، لأن صوت المعمدان الصارخ أن هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم لم يفارق أذني ق. يوحنا، وكأن الرابع عشر من نيسان خُلق من أجل حمل الله وليس من أجل ذبيحة إسرائيل. وقد انعقد لواء تعيين زمان الفصح في العالم بعدئذ على كرسي الإسكندرية كل سنة بمنشور يوزعه على كراسي العالم.

«فصعد يسوع إلى أورشليم»:

لم تكن بطبيعة الحال هذه أول زيارة له لأورشليم، فقد اعتاد دخولها والحياة فيها منذ أن كان صبياً. وكان يُظن أن له أقرباءً في أورشليم ومنزلاً ينزلون فيه. ولكن هنا هي الزيارة الأُولى التي يدخلها كمَنْ يفتقد مدينته وشعبه الخاص، دخلها وهو يحمل على كتفه الرئاسة ومسئوليتها، لا بقصد القصاص والمحاكمة كما يتهيأ من لصوص، ولكن كمَنْ يريد أن يجمع أولاده في حِضْنِه: «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المُرْسَلين **إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك**

كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا.» (مت٢٣ : ٣٧)

وواضح من النص بعد ذلك أنه أخذ يجول في المدينة ويصنع آيات، إذ في الآية (٢٣) بعد ذلك يقول الكاتب: «ولما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه، إذ رأوا الآيات التي صنع». فهي كانت زيارة تاريخية نبوية ظهر فيها المسيح باعتباره المسيَّا، رآها الآباء والأنبياء من خلف حُجُب الزمان وحيَّوها، وبفارغ الصبر ترقبها البنون: «لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب» (إش٢ : ٣). أما بقية الآية فهي من صميم اختصاصنا نحن الأمم: «فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين» (إش٢ : ٤). أما البقية الأخيرة من الآية فتخص أولادنا والآتين من بعدنا: «فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» !!

ويلزمنا هنا أن نقف وقفة قصيرة لكي نوضح أن حادثة تطهير الهيكل ذكرها الإنجيليون الثلاثة في نهاية خدمة المسيح. أما هنا في إنجيل يوحنا فتُذكر في بداية خدمته. وهذا الاختلاف ظاهري، بالرغم من أنه دوَّخ العلماء وقسمهم على بعض بين مَنْ يتشيع للتطهير في نهاية الخدمة ومَنْ يتشيع له في بداية الخدمة، وكأنما هناك خطأ في الأناجيل. ولكن لو علمنا الأسباب، لبطل الخلاف. فالأناجيل الثلاثة اكتفت بخدمة المسيح في الجليل، ولم تذكر للمسيح زيارة لأورشليم ودخوله الهيكل إلا مرة واحدة التي ذهب إليها وصُلب فظهر لأول وهلة في الأذهان أن زيارة أورشليم مربوطة بزيارة تطهير الهيكل، مربوطة بصلب الرب، ثم ترسَّخ في الأذهان صورته في الهيكل كمسيَّا الدينونة.

ولكن يأتي إنجيل ق. يوحنا ويضيف على التقليد الرسولي تقليداً رسولياً آخر يكشف عن خدمة الرب في أورشليم واليهودية قبل خدمة الجليل وبعد خدمة الجليل، ويحدد زيارات الرب لأورشليم والهيكل في زيارته المبكرة الأولى. فظهر للأذهان أن زيارته لأورشليم وتطهيره للهيكل في بداية الخدمة مربوطة باستعلان ذاته وبداية عمل رسالته للتطهير والإصلاح. فظهر بصورة مسيَّا التطهير، السيد الذي جاء إلى هيكله فجأة.

وقد أراحت الكنائس التقليدية نفسها وقبلت بالزيارتين. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية اقتنعت أخيراً أنها زيارة واحدة ولكن لم تحددها. (١١)

11 Schnackenburg, op. cit., p. 354

«ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً»:

الهيكل: ἱερόν

يلزم للقارىء أن يفرق بين الهيكل ككل، الذي يأتي في اليوناني باسم ἱερόν (Hieron) وهو يحتوي على الأروقة، وأولها ناحية الخارج هو رواق الأمم، وبه حاجز يمنع الدخول إلى الداخل ومكتوب عليه بكل اللغات تحذير بالموت للمخالف! أما الجزء الداخلي المخصص للعبادة والصلاة فيسمى ناووس (Naos) ναός . ولكن للأسف يأتي الاسمان في اللغة العربية باسم «الهيكل». وهذا يهين التعبير اللاهوتي أن جسد المسيح هو الهيكل الحقيقي المخصص للعبادة كما سيجيء في الآية (٢٣) بعد ذلك. لأن الهيكل (القدس) ναός الداخلي هو الذي قيل عنه أنه هو الذي يمثل جسد الرب؛ وبالتالي كياننا نحن في المسيح.

وهكذا يلاحظ القارىء أن المسيح في الآية (١٣) يدخل الهيكل ἱερόν ويطرد الباعة، وفي الآية (٢٣) يقول انقضوا هذا الهيكل ναός . ولأن الفارق بينهما كبير للذي يتحسس المعاني ويتعمقها، نقدم للقارىء أيضاً المواضع التي أتت فيها كلمة «هيكل» **بمعنى «الأروقة»**، والمواضع التي جاءت فيها كلمة **«هيكل» بمعنى «القُدس المقدَّس»** ليتذوق الفارق بينهما في موضعه:

	«الهيكل» بمعنى «الأروقة» ἱερόν		«الهيكل» بمعنى «القُدس» ναός
مت ٤: ١	«ثم أخذه إبليس وأوقفه على جناح **الهيكل**».	مت ٢٣: ١٦و١٧	«من حلف **بالهيكل** فليس بشيء... **الهيكل** الذي يقدس الذهب».
مت ١٢: ٦	«ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من **الهيكل**».	مت ٢٣: ٣٥	«دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين **الهيكل** والمذبح».
مت ٢٤: ١	«ثم خرج يسوع ومضى من **الهيكل**».	مت ٢٧: ٥	«فطرح الفضة في **الهيكل** وانصرف وخنق نفسه». (لاحظ أن يهوذا دخل إلى الكهنة في مكان خدمتهم داخل القدس وهذه بحد ذاتها معيبة إذ تكشف نوع العلاقة المشبوهة بينه وبين رئيس الكهنة).
لو ٢: ٣٧	«وهي أرملة لا تفارق **الهيكل**». (واضح أنها في رواق النساء).		
لو ٢: ٤٦	«وجداه (يسوع) في **الهيكل** وسط المعلمين». (واضح أنه رواق سليمان).		
يو ١٠: ٢٣	«وكان يسوع يتمشى في **الهيكل** في رواق سليمان فاحتاط به اليهود».	مت ٢٧: ٥١	«وإذا حجاب **الهيكل** قد انشق».

وبهذا نكون قد وصلنا إلى معنى الهيكل الذي دخله يسوع حيث وجد الذين يبيعون ويشترون الذبائح وذلك في رواق الأمم.

ولأول وهلة يتبادر إلى الذهن: ماذا أزعج المسيح من هذا المنظر؟ واضح أن الرواق رواق الأمم الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها: «بيتي بيت الصلاة يُدْعَى **لكل الشعوب**» (إش٥٦:٧)، لينظروا هيكل يهوه إله اليهود، وربما ليتعلموا شيئاً عن هذه العبادة المقدسة التي ذاع صيتها في العالم كله. ولكن هذا السوق التجاري المكتظُّ بالحيوانات وروثها وروائحها لم يجعل للهيكل هيبته ولا مكاناً للداخلين من الأمم؛ علماً بأن رسالة المسيح هي للأمم بالدرجة الأُولى ولكن عبر اليهود. وهذه السوق التجارية الضخمة هي التي سمح بها قيافا رئيس الكهنة الرسمي، ولكن كانت تُدار لحساب بيت حنان رئيس الكهنة المخلوع.(١٢)

«ووجد الذين يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً»:

هذه هي الذبائح الكبرى والصغرى في الناموس، كل مجموعة على حدة، مع بائعيها المحترفين وهي مخصصة للبيع بالنسبة للغرباء الذين يأتون من خارج البلاد وليست لهم دراية بالأسواق الخارجية. فهذه السوق تضمن لهم ذبائح بلا لوم على أن يدفعوا مزيداً من الثمن. ولكن هذه كلها في عُرْف الناموس نجاسات لا تقبلها الشريعة ومُحرَّم وجودها في بيت الله.

أما الصيارف = κερματιστής فقد أتت في هذه الآية بهذا الاسم لتفيد الصيارف الذين يستبدلون المبالغ الكبيرة بالمبالغ الصغيرة، ولكن في الآية القادمة (١٥) أتت كلمة «الصيارف» بمدلول يوناني آخر κολλυβιστῶν وهي تفيد الصيارف الذين يغيِّرون العملة الأجنبية بعملة الهيكل. لأنه كان ممنوعاً التداول بأي عملة عليها صورة قيصر أو أية إشارة تفيد الآلهة الأجنبية وهي عملة جميع البلاد. بالإضافة إلى أن تغيير العملة يكون نظير فرق، كذلك فإنهم يقتطعون من المبالغ «النصف شيكل» وهي ضريبة كل يهودي من خارج البلاد نظير دخوله الهيكل.

(١٢) «حنان» هو رئيس لكهنة اليهود من سنة ٦ بعد الميلاد إلى ١٥ بعد الميلاد. وفي آخر سنة له عزله الوالي الروماني فاليروس جراتس وخلفه نسيبه المدعو قيافا (زوج ابنته). ولكن حنان ظل يمارس سلطته بجبروت طاغ، وهو الذي حاكم المسيح أولاً وحاكم الرسل بعد ذلك (أع٤:٦). Westcott, see note on Mark xi.16.

٢: ١٥و١٦ **«فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل الغنم والبقر وكبَّ دراهمَ الصيارف وقلَّب موائدهم وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا. لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة».**

«اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم. أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة. لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتَّخمْتُ من محرقاتِ كِبَاش وشَحْم مسمَّنات و بدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسَرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي، مَنْ طَلَب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري؟ ... البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بَغَضَتْها نفسي، صارت عليَّ ثِقَلاً، مَلِلْتُ حَمْلها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم، وإن كثَّرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا، تنقَّوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كُفُّوا عن فعل الشر. تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة.»

(إش١: ١٠—١٧)

يُعتبر عمل المسيح هنا أول حركة تطهير يقوم بها. وصدق هنا قول بطرس الرسول الذي نقله عن الأنبياء: «لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله.» (١بط٤: ١٧)

وهنا لفتة طقسية وروحية عالية القدر لا نريد أن نفوتها، لأن هذا الوقت الذي فيه دخل المسيح الهيكل للتطهير هو عشية الفصح، بداية رفع الخمير من البيوت، رمز بداية حياة طاهرة جديدة لسنة جديدة، وللتعييد سبعة أيام عيد الفطير. فالمسيح أراد، إنما من روح المناسبة وضرورتها، أن يُعيد للأمة طهارتها ونقاوتها، أو بالحري أراد أن يدقَّ ساعة التجديد عالياً لبداية أزمنة تجديد العالم كله.

لم يكن سوطاً بالمعنى الصحيح، وإنما مجموعة من حبال ملفوفة أخذها من أيدي تجار البهائم. لها شكل وليس لها فعل، فهي رمز السلطان وليس لتأديب الأشرار. و يلاحظ أنه كان للمسيح هيئة مخيفة ومرعبة، أليس هو المسيَّا كما جاء عند صلبه: «فقال لهم إني **أنا هو**، فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يو١٨: ٦)؟! مع أنهم كانوا جنوداً رومانيين قلبُهم كقلب أسد، مع خُدَّام رؤساء الكهنة.

ولك، أيها القارىء، أن تتصور مدى الرعبة والإنزعاج اللذين حلاً بكل أصحاب هذا السوق ومدى إذعانهم لصورة العنف الزائد هنا، وهذا يتضمن أيضاً إحساس الجميع بالخطأ المريع والخطية التي كانوا يقترفونها في حق بيت الله. وكان المنظر والعمل ليس مجرد تطهير وحسب بل إعلان ظهور المسيَّا لذوي العيون المفتوحة!

والذي يلفت نظر قارىء إنجيل يوحنا هو أنه طرد الغنم والبقر جميعاً، فالمعنى الصارخ أنه قد انقضى عهد الذبائح، والهيكل بدون الذبائح لا وجود له بحسب الطقس لأنه فرائض إجبارية على الكهنة وعلى الشعب أيضاً، إذ منصوص في الناموس أن لا تتراءى أمام الله ويدك فارغة! «لا يظهروا أمامي فارغين» (خر٢٣ : ١٥)؛ «ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال ولا يحضروا أمام الرب فارغين» (تث١٦ : ١٦). وبهذا يكون المسيح قد أفرغ الهيكل من مضمونه كهيكل ذبائح وعطايا:

ــ «يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل (جرزيم) ولا في أورشليم يسجدون للآب.» (يو٤ : ٢١)

وواضح من كلام الرب بعد ذلك أنه استعاض عن كل الذبائح وما إليها «بالصلاة»: «بيتي بيت الصلاة يُدْعَى».

والذي يلفت النظر الترتيب العكسي للذبائح الذي أورده ق. يوحنا هنا، حيث ذكر الغنم قبل البقر «**الغنم والبقر ثم الحمام**»، وكلمة «**جميعاً**». هذا الترتيب يسترجع إلى الذهن في الحال المزمور ٨ : ٧: «الغنم والبقر جميعاً وطيور السماء». هذا المزمور ماسيَّاني بالدرجة الأُولى فهو مختص بـ«**ابن الإنسان**»، الذي أنقصه قليلاً عن الملائكة (طبعاً بسبب الموت) «وبمجد وبهاءٍ كَلَّلْته» بسبب القيامة. وهو نفس المزمور الذي تكلم عنه إنجيل متى على لسان المسيح قائلاً: «أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرُّضَّع هيأت تسبيحاً» (مت٢١ : ١٦، مز٨ : ٢)، الأمر الذي حدث في نفس الهيكل: «والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون أوصَنَّا لابن داود.» (مت٢١ : ١٥)

كما ينبغي أن نلفت النظر إلى أن هذه السوق التجارية المليئة بالأوزار كان مقرها في رواق الأمم حيث يمكن الدخول لبائعي الحيوانات والمتعهدين بأكلها وشربها، وهم غالباً من طبقة الفلسطينيين الوطنيين أي الكنعانيين أصلاً الذين أُعطي لهم أن يمارسوا الأعمال التي تُحسَب أنها نجسة عند اليهود. وهنا تظهر نبوة زكريا النبي واضحة:

«وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كَنْعانيٌّ في بيت رب الجنود.» (زك١٤ : ٢١)

ومعروف أن الكنعانيين كانوا تجار غش: «الكنعاني في يده موازين الغش.» (هو١٢: ٧)

وهكذا تكون قد كملت الصورة التي رآها إرميا النبي من وراء الدهور ووصفها وصف رؤية العين:

— «هل صار هذا البيت الذي دُعِيَ باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم؟ هأنذا أيضاً قد رأيت يقول الرب.» (إر٧: ١١)

وهي النبوة التي أخذت بها الأناجيل: مت٢١: ١٣ ومر١١: ١٧ ولو١٩: ٤٦، ونقلت النبوة على لسان المسيح. أما في إنجيل يوحنا فقد اقتصر كلام الرب على قوله: «**لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة**».

بيت تجارة: οἶκον ἐμπορίου

يقابلها في اللاتيني negotiationis وتعني مكان حركة مقايضات وهكذا صار الهيكل ليس هيكل الله بل احتله أصحاب المهن والمصالح الخاصة وفقد هدوء الصلاة.

وقد قالها المسيح في بكور حياته: «ينبغي أن أكون فيما لأبي» (لو٢: ٤٩)، حينما مكث في الهيكل مع المعلمين. أما الإشارة إلى أن «بيت أبي بيت الصلاة يدعى»، فهي مأخوذة من إشعياء النبي كواقع الحال على أحسن حال:

— «آتي بهم إلى جبل قدسي وأُفرِّحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يُدْعَى لكل الشعوب.» (إش٥٦: ٧)

وهي طرف النبوة التي جاءت على لسان المسيح في لو١٩: ٤٦.

ولكن لغة المسيح انقلبت على هؤلاء المخالفين المتشبثين بخُلفِهم، فبدل «بيتي» و«بيت أبي» و«بيت الصلاة» قال لهم أخيراً وعلى هذا الهيكل والبيت عينه: «هوذا **بيتكم** يترك لكم خراباً»!! (مت٢٣: ٣٨)

هنا يكون المسيح قد أجرى عملاً نبوياً وماسيَّانياً بالدرجة الأُولى تشهد له كل هذه النبوات التي قيلت، والقصد الأساسي أن يعلن المسيح نفسه لهم أنه هو «السيد الذي تطلبونه» وأنه هو هو «ملاك العهد الجديد الذي يُسَرُّون به». وهنا تجيء كلمة «ملاك» في النبوة بالنسبة للعهد الجديد في تواز مع العهد الأول الذي استلموه بيد ملاك حسب تقليدهم: «أنتم الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه» (أع٧: ٥٣)، وأيضاً: «لأنه إن كانت الكلمة (التوراة) التي تكلم

بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره **قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به.**» (عب٢: ٢و٣)

ولكن كان نصيب عمله في الهيكل مثل كل آية عملها وكل تعليم، حيث كان يقابله البعض من الخاصة بالفرح والإيمان، ويبنون عليه ما قيل من الأنبياء فيتثبت أكثر، والبعض الآخر يقابله بالصدّ والمصادرة وطلب المزيد من البرهان. وسوف نرى أنه بسبب هذا العمل الذي عمله المسيح في الهيكل بدأت عمليات التربُّص بالمسيح لقتله، لأن رؤساء الكهنة رأوا في ذلك خطراً داهماً على مجال رزقهم.

١٧:٢ «فتذكَّر تلاميذه أنه مكتوب غيرة بيتك أكلتني».

هذا هو الإيمان، إيمان التلاميذ المقابل لعدم إيمان اليهود. طبعاً تذكُّر التلاميذ هنا يعود إلى ما بعد القيامة، والذي يؤكد هذا المعنى الآية التي ستجيء بعدها (٢٢). وماذا تذكَّر التلاميذ؟ تذكروا كلام الأنبياء لما تحققوا أن المسيح هو حقاً الذي تكلم عنه الأنبياء. والإشارة هنا إلى المزمور ٦٩:٩، وهو مزمور مليء بالنبوات عن آلام المسيح خطوة خطوة، وهو الذي تستخدمه الكنيسة في أسبوع الآلام. ومن قراءة المزمور الذي لمع في ذهن التلاميذ بالروح نعلم أنهم رأوا في المسيح ليس من هو صاحب البيت فقط والذي من أجله يحتمل الموت بل ومن أجل أمانته للبيت — أي للذين يعبدونه بالحق — «من أجلك احتملت العار... تعييرات معيِّريك وقعت عليَّ» (مز٦٩: ٧و٩)، فإنه يعرِّض نفسه للآلام.

ولا يخلو هذا المزمور من غمز ولمز إلى عدم نفع الذبائح، فيأتي حكماً على ما صنعه الرب في هذا اليوم: «أُسبِّح اسم الله بتسبيح وأعظِّمه بحمد، فيُستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف.» (مز٦٩: ٣٠و٣١)

وهذا المزمور مليء حقاً بالإشارات النبوية التي تمت بحروفها، فمنه أخذ المسيح قوله: «لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم **أبغضوني بلا سبب**» (يو١٥: ٢٥). وجاءت في نفس المزمور: «أكثر من شعر رأسي الذين **أبغضوني بلا سبب.**» (مز٦٩: ٤)

كذلك قوله: «**أنا عطشان**». «وكان إناءٌ موضوعاً مملوًّا خلاً» (يو١٩: ٢٨و٢٩). وجاءت في المزمور: «**وفي عطشي يسقونني خلاً**» (مز٦٩: ٢١)، «يبس حلقي» (مز٦٩: ٣). ولكن كما أن داود صاحب المزمور الذي يئن أنينه النبوي — أنهى المزمور بتسبيح اسم الله وتمجيده «يرى ذلك

الودعاء فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبي الله... تُسبِّحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدبُّ فيها...» (مز٦٩: ٣٢و٣٤)، كذلك انتهت آلام المسيح التي احتملها، بسبب غيرته هذه، بتسبيح القيامة.

٢ :١٨ «فأجاب اليهود وقالوا له أيَّة آية ترينا حتى تفعل هذا».

هي أولاً محاولة لإظهار أنفسهم أنهم هم أصحاب السلطة ولكن بنوع من الحياء! وثانياً هي نوع من الدفاع عن عدم إيمانهم، لذلك لم يحتج اليهود ولا أصحاب السوق ولا المنتفعون لأن العمل يشهد أنه عمل الله. والخطأ الذي ارتكبوه لا يحتمل الدفاع أو المماحكة. ويخزي حنان في ذلك اليوم كان فوق ما يتصور أحد وكل ما يمكن أن يقوله اللص ــ العظيم في عين نفسه ــ للعسكري الذي قبض عليه وهو متلبس بالجريمة هو أن يطلب من العسكري أن يثبت شخصيته أن له الحق في القبض عليه. ولكن المسيح ليس في موقع الدفاع ولا استجاب لهم بما كانوا يطلبون. بل أنبأهم، ولكن بأسلوب الأحجية، بالعقاب الحتمي الذي سيقع عليهم نظير عدم قبولهم لدعوته للتطهير، بالإضافة إلى التنكُّر له وهو صاحب البيت. وبلغة الأنبياء في العهد القديم يقول قائل... فماذا يصنع بهم؟ **يأخذ بيته منهم ويهدمه حتى التراب ويقيم لنفسه ما هو أفضل منه ثم يبددهم في أقصى الأرض. ولا يكون هو الذي هدمه عليهم، بل هم الذين هدموه على أنفسهم:**

٢ :١٩ « أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه».

«هوذا الرجل الغصن اسمه (يدعى ناصرياً) ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال...» (زك٦: ١٢و١٣)

«انقضوا هذا الهيكل»:

كلمة «ينقض» تجيء في اليوناني λύσατε بمعنى «يفكّ» أو «يحل» وتصلح للهدم أو القتل. المسيح يتكلم عن هيكل جسده، وقد ثبت أن هيكل جسده هو الكنيسة وهي نحن أعضاؤه، والكنيسة ــ الشعب الجديد ــ هي التي أخذت موضع الهيكل ــ الشعب اليهودي الرافض للمسيح ــ وورثت كل معانيه الروحية وأهمها وأعظمها وأخطرها وجود الله وحلوله فيها.

المسيح هنا يقول لهم مسبقاً ما هم مزمعون أن يعملوه بالفعل، فهو تحصيل حاصل، اقتلوا أو إذا

فتلتئم جسدي سيان، ففي ثلاثة أيام سأقيمه من الموت ليصير هو هيكل الله الذي يجمع أبناء الله من العالم كله، هذه هي معجزتي. المسيح لم يتكلم فقط عن هيكلهم بل عن هيكله، الذي سيحل محل هيكلهم الذي سيزول (سيُنقض) عندما يقتلونه (ينقضونه).

ولسان حال المسيح يقول: لحظة أن تقتلوني ستقتلون أنفسكم وتهدمون هيكلكم، أما أنا فسأقوم وأقيم بجسدي هيكلي جديداً، وأما أنتم وهيكلكم فستزولون.

المسيح هنا يعطيهم آية بالفعل وهي «في ثلاثة أيام أقيمه» التي وضعها بصيغة أخرى في إنجيل آخر هكذا:

«جيل شرير فاسق يلتمس آية فلا تُعطى له آية إلاَّ آية يونان النبي.» (مت١٦: ٤)

فكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا سيكون المسيح في باطن الأرض ويقوم بعدها. فما ستهدمونه سأصنع فيه آيتي وأقيمه في ثلاثة أيام، ولكنكم بذلك ستهدمون أنفسكم وهيكلكم ولن تقوموا.

ولم تمر على رؤساء الكهنة والفريسيين هذه الكلمات دون أن يَعُوا حقيقتها، فهم في النهاية تذكروا كلامه ووضعوا النقط على الحروف، فأدركوا فعلاً أنه قد يقوم في اليوم الثالث: «وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم. فمُرْ بضبط القبر...» (مت٢٧: ٦٢و٦٣و٦٤)

أمر مستحيل أن يقول المسيح إنه يهدم هيكل أورشليم ليبني غيره في ثلاثة أيام كما قدم اليهود اتهامهم في محاكمة يسوع أمام بيلاطس كعلة من علل طلب صلبه. فهو القائل للسامرية: «أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب.» (يو٤: ٢٠و٢١)

فالمسيح هنا لا يتحدى اليهود المفتخرين بهيكلهم بل ينذرهم بالخراب الذي سيحيق بهيكلهم بسبب أنهم: **أولاً** لم يقبلوا عمله كمَنْ يطالب بتطهير الهيكل «بيت أبي» فيتعرفوا عليه، **وثانياً** بالنتيجة الحتمية في استمرارهم لرفضه وإنكارهم وعدم إيمانهم به الذي سينتهي بخراب هيكلهم.

«كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها **ولم تريدوا، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً.**» (مت٢٣: ٣٧و٣٨؛ انظر مت٢٤: ٢).

ويلزمنا توضيح الأمر لاهوتياً، فالهيكل القديم كانت قوته وقداسته وأهميته في حضور الله فيه. والآن وقد تجسد الكلمة وظهر الله في الجسد وحل فيه ملء اللاهوت صار جسد المسيح هو الهيكل

بالدرجة الأولى أي الهيكل الحقيقي، ولم يعد للهيكل القديم وجود إلا بصفته الظل الوشيك الإختفاء.

فبتجسد الكلمة، أي بميلاد المسيح، بدأ العدُّ التنازلي لانتهاء عصر الهياكل المبنية باليد، أي هياكل الظل، لأن الهيكل القديم كما أراه الله لموسى كان شبه السمويات وظلها، والآن قد جاء رب السموات ونورها. وبدخول المسيح داخل الهيكل ــ لتطهيره ــ كانت الفرصة الوحيدة لليهود، لو كانوا قد قبلوه لأعطى للهيكل القديم معناه الجديد وتقديسه الحقيقي الكامل، أن الله حل في هيكله ــ فلا بأس أن يبقى ــ طالما الله فيه ولكن لما رفضوه أصبح تطهيره فاقد القيمة، وخروج المسيح منه إيذاناً بعدم نفعه، والحكم بقتل المسيح كان بمثابة الحكم بهدم الهيكل، لأن الهيكل القديم بميلاد المسيح أصبح يستمد معناه ووجوده من الهيكل الجديد أي جسد المسيح لأن الله حالٌّ فيه. لهذا قال المسيح في موضع آخر **عن نفسه**: «ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل.» (مت١٢:٦)

وإذا حلَّلنا نفسية رؤساء اليهود هنا على العموم في طلبهم آية من المسيح حتى يؤمنوا برسالته وسلطانه أنه من الله، لوجدنا أن هذه هي في الحقيقة حال كل نفس لا تريد أن تجازف بمركزها وسلطانها وراحتها؛ فهي تطلب آية ومزيداً من الآية لتتخطى خوفها وعجزها وقصورها عن المجازفة؛ ولكن الإيمان مجازفة بالدرجة الأولى. لذلك فالإيمان صعب جداً على الرؤساء والعظماء وذوي العيش الرغد الهانيء.

أما لنا نحن فهذا أيضاً حادث، فالمسيح لا يعطي آية ولا علامة ولا كلمة واحدة لكي تبدأ **عملاً إيمانياً** لأن هذا سيحرمك من مجازفة الإيمان التي هي عضده وقوته. أو كيف ولماذا يعطي الله الأكاليل لأصحاب الإيمان؟

٢٠:٢ **«فقال اليهود في ستٍ وأربعينَ سنة بُني هذا الهيكل** ναόν **أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه»**.

لقد بُدِيء في بناء الهيكل في خريف سنة ٢٠ق.م. على يد هيرودس الكبير، في السنة الثامنة عشرة من ولايته واكتمل بناؤه سنة ٦٤ ميلادية على يد هيرودس أغريباس الثاني بحسب يوسيفوس المؤرخ اليهودي.([١٣])

[13] Jos. (B.J.), I.21 (16).1 = Ant. XV.11 (14.1).

أما رقم الستة والأربعون سنة فهي في زمان زيارة المسيح للهيكل. وذلك في ربيع سنة ٢٧م احتمالاً! واليهود هنا وهم محصورون في أفكارهم التي تدور بين الحرف والرقم لم يستطيعوا أن يدركوا مضمون الآية التي قدمها لهم أن في ثلاثة أيام **يقيمه** ἐγερεῖς وليس يبنيه. والعجيب أنهم يكررون نفس لفظة «**يقيمه**» التي قالها المسيح دون أن يتمعَّنوا مقصدها. لأن المسيح لم يقصد أن الهيكل من حيث العبادة وسكنى الله يمكن أن يُنْقَضَ، وإنما سينفكُّ و ينحلُّ ليخرج منه هيكل العبادة الجديدة: الكنيسة، بنوع من التجلي والقيامة. حيث الحرف يصير روحاً والحجارة المنحوتة بالأزميل تصير حجارة حية منحوتة بالروح القدس. وغسل التطهير يصير غسل الميلاد والخلقة الجديدة. ودم الذبائح يصير دم المسيح بروح أزلي.

٢ : ٢١ «أما هو فكان يقول عن هيكل جسده».

لم تكن هذه الشهادة وليدة ساعتها ولكن ق. يوحنا في الآية القادمة (٢٢) يوضح أن هذه هي حصيلة القيامة والإستضاءة الروحية التي نالوها بالروح القدس التي انعكست قليلاً قليلاً على جميع حياته وأقواله السابقة له، فتحققوها على الواقع وعلى النبوات. لأن في هذه الآية وحدها يكمن كل تعاليم المسيح، فهي قلب اللاهوت المسيحي النابض. فجسد المسيح في اللاهوت المسيحي يمتد ليشمل شخصه ككل كما جاء في الأصحاح الأول، والكلمة **صار جسداً**.

+ والجسد هو ملء الروح القدس وملء اللاهوت وكل كنوز الحكمة والمعرفة.
+ الآب الحال **فيَّ** يعمل الأعمال والأقوال والمشيئة.
+ والجسد هو فصح العالم والذبيحة التي رفعت خطية العالم، فهو حمل الله.
+ وهو خبز الحياة النازل من السماء ليأكل منه الإنسان ولا يموت، و يقوم في اليوم الأخير، فهو المأكل الحق والمشرب الحق.
+ وهو المؤمنون مجتمعين، وهو رأس الكنيسة، والكرمة الحقيقية، والمؤمنون كأغصان مثمرة.
+ وهو أورشليم الجديدة المزيَّنة، وهيكل الله الجديد!!

والبديع في قول ق. يوحنا هنا أنه ينقل لنا صورة حية لذكرياته وما سجلته أذناه وقلبه الذي كان يختزن الكلام والمعرفة التي كانت تنمو على مستوى نفس الدرجات التي سجلها لنا في إنجيله آية وراء آية وأصحاحاً وراء أصحاح، إلى أن أشرق عليها روح القيامة فأخذت الآيات والأصحاحات وضوحها الإلهي وعمقها الروحي ونورها النفاذ و برهانها الساطع وقوتها للبشارة.

ولكن بقيت بعض أقوال المسيح مدة طويلة وهي لا تزال تحت التحقيق أثناء حياة التلاميذ أنفسهم مثل سقوط أورشليم بالحرب التي دارت حولها حسب قول الرب وخراب الهيكل، فهذه تمت سنة ٧٠م أي بعد قيامته بحوالي أربعين سنة. بل ولا تزال حتى يومنا هذا بعض أقوال المسيح تمر تحت التنفيذ وتنتظر استعلانها.

٢٢:٢ «فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع».

سيان أن يُقال «قام من الأموات» حيث يكون هو الذي قام أو أُقيم من الأموات بواسطة الله.

١ ــ المواضع التي ذكر فيها أنه قام من الأموات تعبيراً عن استعلان قوته للقيامة والإقامة من الموت هي:

مرقس ٨ : ٣١: «إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً و يرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة و يُقتل و بعد ثلاثة أيام يقوم» μετὰ τρεῖς ἡμέρας ἀναστῆναι ، مرقس ٩:٩، لوقا ٢٤:٧.

٢ ــ أما المواضع التي ذُكر فيها أن الله أقامه من الأموات تعبيراً عن الموت وكأنه رقاد والله أيقظه:

أع٣ : ١٥: «ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات»
ὁ θεὸς ἤγειρεν ἐκ νεκρῶν ؛ (٤:١٠؛ ٥:٣٠؛ ١٠:٤٠؛ ١٣:٣٠و٣٧، رو٤:٢٤؛ ٨:١١؛ ١٠:٩، ١كو١٥:١٥... إلخ).

«تذكَّر تلاميذه... فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله»:

هذا يوضح مدى قوة الاستعلان الذي حدث للتلاميذ بعد القيامة حيث تكشفت أمامهم جميع أقوال الرب حتى الكلمات ومعانيها بصورة جزئية مضيئة قبل أن يدونوها، ولكن الاستعلان امتد وشمل ما جاء في الأسفار جميعاً والنبوات خاصة بالنسبة لكل كلمة وكل موقف، مما جعلهم يزدادون في الإيمان بالاثنين أي بالأسفار و بالكلمات التي قالها المسيح. لأنك لا تتصور، يا قارئي العزيز، مدى الانبهار الذهني والروحي الذي يتغلغل أعماق الإنسان عندما يطابق قولاً من أقوال المسيح أو عملاً من أعماله على نبوة سبق وأن صاغت نفس الكلام أو العمل بنفس وصفه وظروفه،

لأن النبوة إلهام ونطق بالروح، وكلام المسيح روح وحياة، فعندما ينطبق الإلهام على الروح تنشأ قوة مؤثرة للتصديق بوعي إيماني لا يفارق الإنسان. فتبدو النبوة باهرة منيرة و يبدو كلام المسيح نوراً ورسالةً وحقاً.

نحن لا ننسى قول الكتاب عن المسيح بعد القيامة كيف اجتمع مع تلاميذه وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب:

ـــ «هذا هو الكلام الذي كلمتُكم به وأنا بعد معكم، أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو٢٤: ٤٤و٤٥)

هذه هي قوة الاستعلان أساس تدوين الأناجيل، وهذه هي القوة التي انطلق بها التلاميذ إلى كل أنحاء العالم ليكرزوا ببشارة الملكوت مدعمين أقوالهم بالأسفار وبمنطق لا يُعانَد. ولم تعدم الكنيسة في كل جيلٍ مَنْ يهبهم الله هذه القوة التي ظهرت على أشدها في عصر النهضات والإرساليات التي بلغت أقصى المسكونة. وكم نحن الآن في أشد العوز لهذه القوة.

وقفة قصيرة في نهاية تطهير الهيكل

ليس جزافاً أن يقدم لنا ق. يوحنا حادثة تطهير الهيكل في بداية خدمة المسيح العلنية وفي أورشليم وفي الهيكل بالذات. فهي الأساس الذي جاء المسيح ليبني عليه العهد الجديد عهد الخلاص والتجديد للإنسان القائم على سر الموت والحياة: «انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه». هذا الموت وهذه القيامة تممها المسيح، ولكن باشتراك اليهود الفعلي في عملية الموت أي القتل «انقضوا». هذه الجريمة التي اقترفوها لم تكن وليدة الساعة أبداً، بل هي حصيلة ونتيجة حتمية لحياة طويلة ممتدة لهؤلاء الرؤساء وهذا الشعب في عصيان الله والتعدي على كل وصاياه وتعاليمه. ولو جمعنا الآيات التي تصف هذا العصيان والتمرد على الله لخرج كتاب بحجم الأسفار والنبوات إلاّ قليلاً!

وليست هي مجرد جهالة عابرة بل متعمَّدة، إذ ترك المعلمون والربيُّون وكل طبقات ذوي المعرفة والدراسة والكتابة للتوراة ــ تركوا التمسك بكلمات الله المنيرة وأهملوا الأعمال التي هي من صميم عمل الروح التي رُمز لها «**بختان القلب**»؛ كما قالها موسى النبي؛ وهو تعبير عن ختم الروح القدس «**روحك القدوس لا تنزعه مني**»، «**وقلباً جديداً اخلقه فيَّ**»، «**وغسيل الروح**»، «**اغسلني كثيراً**»، «**ومن خطيتي تطهرني**»، «**نقِّ قلبي وكليتيَّ**»؛ وغيرها مئات وألوف من أعمال الروح القادرة فعلاً أن تجدد الشعب وتجعل معلميه على أعلى درجة من الإستنارة فلا يتعثرون في معرفة ما؛ أقول تركوا منهج الروح والحق والتجديد والإلتصاق بالله، وتمسكوا بالذبائح يبيعونها للشعب بالحرام و يقدمونها لله كعملية استرضاء تماماً على مستوى الأصنام.

فالمسيح هنا وفي هيكل قدسه يعرض عليهم في هذا اليوم إما تطهيراً وإما هدماً. والعجيب أن في الاثنين ــ أي في التطهير وفي الهدم ــ يتلقى جسده الثمن، ففي التطهير يحمل في جسده كل خطاياهم، وفي الهدم يسلمه للموت. ولكنهم رفضوا التطهير وقبلوا بالقتل!

٢٣:٢ «ولما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التي صنع».

كان هذا هو أول عيد للفصح يحضره المسيح في أورشليم. والعمل الكبير الذي عمله عشية العيد بتطهير الهيكل لفت إليه الأنظار، وصار اسم المسيَّا على كل لسان. ووقوف رؤساء الكهنة حيارى إزاء العمل الذي عمله في الهيكل دون قبول أو رفض جعل المعيِّدين من كافة الطبقات تتهافت على رؤياه وسماعه. وكانت الفرصة مواتية لعمل معجزات كثيرة أبهرت الرائين وجعلتهم دون تعمق أو تحقق يؤمنون باسم المسيَّا الآتي دون أن يتعرفوا على شخص المسيح الذي هو أكثر من مسيَّا، لذلك كان إيمانهم بالاسم دون الشخص. كان هذا الإيمان في عُرف المسيح «إيمان الآيات»، وهو تقريباً مرفوض لأنه كما سبق وقاله في مثل آخر: «والمزروع على الأماكن المحجرة (قلوب ناشفة) هو الذي يسمع الكلمة **وحالاً يقبلها بفرح**، ولكن ليس له أصل في ذاته بل هو إلى حين، فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر.» (مت١٣: ٢٠و٢١)

ويلاحظ القارىء أن ق. يوحنا هنا مهتم بتقديم عيِّنات من الأعمال التجديدية، وليس بصدد ذكر آيات ومعجزات إلاَّ بقدر ما هي عمل تجديدي من القديم إلى الجديد، كما رأيناه في عرس قانا الجليل وفي الهيكل. وهو يمهد هنا للدخول في حوار خطير مع معلم كبير من معلمي إسرائيل بهذا الصدد. هو الآخر رأى الآيات في العيد وتحقق منها وكان يبدو عليه أنه مال ناحية الإيمان بالمسيح ولكن معرفته حجزته عن الحق!!

٢٤:٢ «لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع، ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان، لأنه علم ما كان في الإنسان».

كثيرون بالطبع تحمسوا حماساً منقطع النظير، وأرادوا أن يرفعوه إلى المستوى الذي وقف عنده تفكيرهم كنبي أو زعيم! وحتى كمسيَّا. ولكن المسيح كان يرى أنهم يريدون أن يعملوا شيئاً لأنفسهم هم، أو بالحري أن يعملوا لأنفسهم شيئاً على حسابه، فلم تفُتْ على المسيح نياتهم فلم يأتمنهم على نفسه، وغاب عنهم بالطريقة التي اعتادها.

كثيرون تباروا لكي يقنعوه بصدق نياتهم، وكثيرون شهدوا لكثيرين أنهم صادقون في حماسهم ولكنه لم يكن محتاجاً أن يشهد له أحد عن الإنسان، وما كان في الإنسان، «... فاحص القلوب والكُلَى الله البار...» (مز٧: ٩). «فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص الكُلَى والقلوب وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله.» (رؤ٢: ٢٣)

الأصحاح الثالث

الأصحاح الثالث

مكان البشارة

لا زلنا في الجليل

(تابع «إنجيل التجديد»)

٣ ــ مع نيقوديموس ليلاً (*)
(٣ : ١ ــ ٢١)

هذا هو الحديث الأول للمسيح من أحد عشر حديثاً سجلها ق. يوحنا في إنجيله، جاءت معظمها موجهة إلى الرؤساء.

من الأصحاح الثاني خرجنا بحصيلة كبيرة، فمن تطهير الهيكل انتهينا إلى أن المسيح عرض عليهم مضمون رسالته: التطهير أو الهدم (سر الموت والقيامة)، فرفضوا التطهير وقبلوا بالقتل.

وهنا ندخل إلى الأصحاح الثالث لنتواجه مع واحد من أكبر معلمي إسرائيل، والمسيح يشرح له على مستوى الفعل والعمل نفس السر = سر التجديد بالهدم والبناء ــ الذي أعلن عنه في الهيكل ــ بالنسبة للأمة كلها. ولكن ــ هنا ــ في مضمون تجديد الفرد هدم العتيق وميلاد الجديد للدخول في هيكل الله الجديد، **ملكوت الله**.

وعلى وجه الملاحظة، نرى أن من هنا يبدأ إنجيل يوحنا مسيرته بالتوازي مع الأناجيل الأخرى التي تبدأ بالمناداة بملكوت السموات، ولكن على مستوى التوبة: «من ذلك الزمن ابتدأ يسوع يكرز ويقول **توبوا** لأنه قد اقترب **ملكوت السموات**» (مت ٤ : ١٧). ولكن هناك **«ملكوت السموات»** وهنا **«ملكوت الله»**، وسيان.

والتوبة كما جاءت في الأناجيل الثلاثة الأولى التي تُدعى باليونانية «ميطانيا»، التي تفسيرها «تغيير» أو «تجديد الذهن»: « μετανοεῖτε توبوا» ــ هي في إنجيل يوحنا موت وقيامة في مضمون سر «الميلاد الثاني»، وهي «المعمودية بالماء والروح القدس»، حيث في الماء يكون الدفن أو سر الموت، وبالروح تكون القيامة لحياة جديدة. والمعمودية هي درجة متقدمة على

(*) يُقرأ هذا الفصل (يو ٣ : ١ ــ ١٣) في قداس الجمعة السادسة من الصوم الكبير وهي التي تسبق مباشرة «أحد التناصير» أي أحد المعمودية، وذلك بسبب ما جاء فيه عن «الميلاد من الماء والروح».

التوبة: «توبوا **وليعتمد** كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا **فتقبلوا عطية الروح القدس**» (أع ٢ : ٣٨). التوبة رنينها في النفس سهل، مجرد تغيير فكر وأسلوب وحياة، صحيح هي تحتاج إلى حزم وحسم وتصميم ومثابرة، ولكن المعمودية خطرة، تتطلب الموت عن حياة قديمة كشرط أساسي لقبول حياة جديدة مُعَانة بالروح القدس. هي حقاً و بالحقيقة هدمٌ و بناءٌ، والهدم صعب للغاية!!!

هنا يصطدم نيقوديموس بحقيقة المسيحية، **فيجفل** و يصمت، و يظل يتحايل على نفسه ثلاث سنوات حتى غلبها وقَبِل بالهدم، فكان الموت وكانت القيامة له وعلى يديه!

نيقوديموس يمثل في إنجيل يوحنا شخصية فريدة وممتازة، فهو قمة النخبة المختارة من إسرائيل التوراة والناموس والتلمود والمِشْنَاه وكل علوم الفريسيين بفروعها، الذي جاء إلى المسيح يحمل معه رجاء الأمة اليهودية، وقلق ذوي الحساسية منها الذين يترجون إصلاحاً على مستوى الإمتداد دون أي مساس بالقديم. كان يرى في المسيح «رابي» أي معلم يهودي محترف الناموس والتوراة. صحيح أنه كان من ضمن الكثيرين الذين آمنوا باسم المسيح الذين ذكرهم ق. يوحنا: «ولما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه **إذ رأوا الآيات التي صنع**» (يو٢ : ٢٤). وهذا واضح من قول نيقوديموس في افتتاح حديثه مع المسيح «يا معلم (رابي)، نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر **أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل** إن لم يكن الله معه.» (يو٣ : ٢)

ولكنه جاء بعقلية ومؤهلات فريسي لا يؤمن بالتجديد، ولكن يؤمن بالقداسة التي يحصل عليها الإنسان بالممارسة قليلاً قليلاً، يكون الإنسان فيها صاحب الجهد والمبادرة، وأما الله فيرى ويجازي بالمكافأة.

و يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس:

[إن المنهج الفريسي يعلِّم أن الإنسان في مقدوره أن يعمل البر أو لا يعمله، وإن إرادة الإنسان مسئولة عن صنع الحق أو الباطل ــ وهم يُغلِّفون أنفسهم بقداسة كلها من صُنع أنفسهم.] [1]

من هذا نحن نستطيع أن نستشف ماذا كان يرجو نيقوديموس أن يسمعه من «رابي» يسوع

---

[1] Hengstenberg, Vol. 1, p. 156.

المسيح!! فبحسب منهجه الفريسي كان ينتظر أن يتعلم من المسيح ممارسات فائقة على ما تعلمه، يستطيع أن ينمي بها مواهبه و يزداد في برّه الشخصي وقداسته، و بذلك يكون مستحقاً أن يكون مواطناً لملكوت السموات التي سمع عنها من فم الرب. وقولنا هذا ليس جزافاً، فالمعروف لدى الفريسيين المدققين **أن المسيَّا حينما يأتي سيكون معلماً للبر**: «هوذا قد جعلتُه **شارعاً** للشعوب، رئيساً **وموصياً** للشعوب» (إش٥٥: ٤)، بل سؤال الذي ركض وراء يسوع جاثياً يوضح أيضاً ذلك: «أيها المعلم الصالح **ماذا أعمل** لأرث الحياة الأبدية.» (مر١٠: ١٧)

كل هذه الأنظار والمشاعر كانت تجري في مخيلة نيقوديموس وهو يسترق الخُطى ليلاً نحو البيت الذي كان يخلو إليه المسيح بعد عناء النهار الطويل، وهو غالباً البيت الذي تملكه عائلة ق. يوحنا. وقد استقبله المسيح بالترحاب وفتح له قلبه، ولكن المسيح عرف فكر نيقوديموس ــ كما يقول ق. يوحنا عن قصد وقبل أن يدخل في قصة نيقوديموس مباشرة: «لأنه علم ما كان في الإنسان.» (يو٢: ٢٥)

أ ــ الحديث المباشر مع نيقوديموس: (٣: ١ــ١٢)

وتستمر فيه المقابلة بين القديم والجديد على النحو التالي:

القديم: ملكوت الله بالعلم والممارسات، والمفاتيح مع الفريسيين: «أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا».

الجديد: ملكوت الله بالميلاد الثاني من فوق من الماء والروح.

الاستعلان: «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء **ابن الإنسان الذي هو في السماء**».

٣: ١ **«كان إنسانٌ من الفريسيينَ اسمُهُ نيقوديموسُ رئيسٌ لليهودِ».**

هذا الاسم لم يذكره أحد من الإنجيليين.

كان رئيساً لليهود: ἄρχων τῶν Ἰουδαίων

هذا يعني أنه عضو في المجلس الأعلى للأمة، أي السنهدريم. وكذلك جاء في الآية ١٠ أنه: «معلِّم إسرائيل»، وهي تقابل «دكتور في القانون» أي في الناموس اليهودي. و باللغة الكنسية عندنا هي «أرخُن»، ولكن الأرخُن عندنا هو للشعب وليس لرجال الدين، وهي مأخوذة أصلاً من النظام الشعبي اليهودي «رؤساء الشعب» ἄρχοντες τοῦ λαοῦ (أع٤: ٨).

٣:٢ **«هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له: يا معلم نعلم أنك أتيت من الله معلّماً، لأنه ليس أحدٌ يقدرُ أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه».**

«جاء ليلاً»:

لقد تركت في ذهن ق. يوحنا هذه الزيارة «في ظلام الليل» أثراً لا يمحى، فقد ذكرها له ثلاث مرات في كل مرة يذكر اسمه، وكأنها أصبحت صفة أو لقباً؛ هذا في الحقيقة يكشف عن شعور ق. يوحنا بمدى الحذر أو الخوف الذي اتَّصف به نيقوديموس. ففي وسط مجمع السنهدريم تقدم نيقوديموس مدافعاً، ولكن بحذر شديد: «قال لهم نيقوديموس ــ الذي **جاء إليه ليلاً** ــ وهو واحد منهم» (يو٧: ٥٠)، وأيضاً بعد إنزال جسد الرب من على الصليب جاء نيقوديموس بحذر أيضاً، ولكن بالتقابل كان التلاميذ قد تركوا المسيح وهربوا!! «وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع **ليلاً** وهو حاملٌ مزيجَ مُرٍّ وعودٍ نحو مائة مناً» (يو١٩: ٣٩). مع أنه جاء إليه ليلاً أول مرة، جاء وهو مؤمن باسم المسيح أي «المسيَّا»، ولكن دون علاقة شخصية أو إيمان شخصي فهو إيمان بالاسم، وفي المرة الثانية التي دافع فيها عن المسيح داخل السنهدريم دافع بحذر دون إظهار أي تعاطف مع المسيح، وعند أول مواجهة من الزملاء صمت؛ أما في المرة الأخيرة، وقد صار تلميذاً بالفعل للرب، إلا أنه أيضاً جاء مع يوسف الذي من الرامة: «ولكن **خِفْيةً** لسبب **الخوف** من اليهود.» (١٩: ٣٨)

هذا الحذر والخوف يوضح بكل جلاء أن الإيمان بالمسيح لم يبلغ بعد إلى **الإيمان «الحي» بابن الله كمخلِّص حقيقي،** حيث يجد الإنسان في المسيح دواءً لجبانة الضمير، الدواء الذي يحوِّله من جبان رعديد كبطرس إلى شجاع صنديد كبطرس أيضاً: «أنا لست أعرف هذا الرجل». هذا الكلام قاله بطرس عن المسيح!!! أمام جارية!!!، «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل إن كنا نُفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شُفي هذا، ليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات...» (أع٤: ٨ــ١٠). وهذا الكلام قاله أيضاً بطرس بعد أن قبل الإيمان الحي بابن الله!!!

ولكن أسلوب ق. يوحنا يُتعجب له، فهو يقول و يردد القول أنه جاء ليلاً ولا يمكن أن يفرِّط و يقول كلمة واحدة على جُبْن الرجل أو إيمانه، ولكن الذي يعرف أسلوب ق. يوحنا يعرف أنه قال هذا عن الرجل وقال أكثر!! فقوله أنه جاء ليلاً وتكراره لذكر الليل كفيل بحسب أسلوبه أن نفهم منه أنه إيمان الظلام، بمعنى أنه لم يعثر بعد على «أقنوم النور»، وأنه لا يزال بعيداً عن الحب وما

يحويه الحب من الإخلاص والثقة والأمانة وعدم الخوف، هذا هو تفسير «الليل» عند ق. يوحنا: «فذاك (يهوذا) لما أخذ اللقمة خرج للوقت **وكان ليلاً.**» (يو١٣: ٣٠)

«يا معلّم ῥαββί نعلم أنك أتيت من الله معلّماً»:

هذا الاعتراف بالمسيح، كونه مُعلّماً، من شخص مثل نيقوديموس هو تقييم كبير لإنسان لم يؤمن بالمسيح بعد كابن الله. وكلمة «رابي» تعني أكثر من معلم باللغة العربية لأنها من جذر كلمة يهودية تعني كبير أو عظيم، وهي على ثلاث درجات: «راب» و«رابي» و«رابون»، و«رابون» هي أعلاها — هذا اللقب مستحدث منذ أيام مدرسة شماي وهاليل. ونيقوديموس يعطيه هذا اللقب بالرغم من أنه ليس من خريجي مدارسهم: «فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو **لم يتعلم**» (يو٧: ١٥)، إلا أنه رأى بحسب قياسات علمه أنه كان مستنيراً بالمعرفة الإلهية، وأنه جاء من الله. وهذا تعبير عبري قديم يُقيّم به الأشخاص الموهوبون. وهو بأسلوب مؤدب خفي يُشرك زملاءه علماء الناموس الذين استمعوا إلى المسيح في رأيه هذا بقوله: «**نعلم**» بالجمع. وبتعبير مَنْ هو مأخوذ بتعاليم المسيح، يصرّح بحرارة أن تعليمه من الله مباشرة: «أتيتَ من الله معلّماً»، وهو نفس التعبير الذي يكرره المسيح عن تعليمه: «تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني» (يو٧: ١٦). وهذا يتضمن بالفعل أنه مُرْسَل. ولكن **خطأ نيقوديموس** أنه يُقْصِرُ ملامح التفوق الإلهي عند المسيح في حدود «معلم» فقط διδάσκαλος التي تأتي في اللاتينية "magister"، حتى ولو كان موهوباً.

«لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه»:

وهنا يكمن الخطأ الثاني لنيقوديموس، أنه اعتبر عمل الآيات أنه هو الدليل أن المسيح هو رجل الله. ومعروف أن الرابيين الأتقياء كانوا يجترحون المعجزات ليثبتوا تقواهم وليبرهنوا على صحة تعاليمهم(٢). وهكذا ربط نيقوديموس آيات المسيح بحالة التقوى التي حصل عليها المسيح، على مستوى الرابيين الأتقياء.

«إن لم يكن الله معه»:

هذا اصطلاح عبري كتابي مذكور بكثرة في العهد القديم: «فظهر له الرب في تلك الليلة وقال له: أنا إله إبراهيم أبيك، لا تخف **لأني معك**» (تك٢٦: ٢٤). وهذا الكلام لإسحق ابن إبراهيم. وكذلك: «فظهر له ملاك الرب وقال له: **الرب معك** يا جبار البأس» (قض٦: ١٢)،

[2] See Fiebig, *Judische Wundergeschichten*, 19f. (healing through prayer) cited by Schnackenburg, p. 366.

وهذا الكلام لجدعون. وواضح من الإصطلاح أن الذي يكون الله معه، لا يزيد عن كونه مُعَاناً من الله لإتيان أمر يطلبه الله. إلى هنا توقف إيمان نيقوديموس بالنسبة للمسيح والآيات التي رآها والتعليم الذي سمعه منه. ومنه ترى أنه كان يعيش في جو عالم الفريسيين والربيين، وأنه لم يخرج بإيمانه خارج الدراسات التي تلقاها.

٣:٣ «أجاب يسوع وقال له الحقَّ الحقَّ أقولُ لك: إنْ كان أحدٌ لا يولدُ من فوقُ لا يقدرُ أن يرى ملكوتَ الله».

يلاحظ القارىء اللبيب أن المسيح هنا لا يجاوب على كلام نيقوديموس بل **أجاب على أفكاره**، وهنا أيضاً يلزم أن تلفت نظر القارىء أن يتمعن لماذا قبل أن يدخل ق. يوحنا في سَرْد قصة نيقوديموس، قال عن المسيح وهو يقصد ما يقول «لأنه علم ما كان في الإنسان».

وهكذا وباختصار بالغ يقول ق. يوحنا «أجاب يسوع»، فهو يجيب على استفسار نيقوديموس كاشفاً أمام القارىء كيف أن المسيح علم ما كان يجول في فكر هذا الفريسي، وكيف بحذق المعلم الإلهي يقود السائل المتخفِّي وراء الألفاظ المنمقة إلى الحقيقة التي يسعى إليها. فنيقوديموس لم يرتقِ بتفكيره ولا إلى لحظة لكي يدرك مَنْ هو المسيح الذي يتكلم معه على حقيقته، ولكن كان يدور ويلف عسى أن ينال منه معرفة تنفعه وليس إيماناً يعيشه. وكان كل همّه أن يزداد معرفة على المعرفة التي عنده والتي يعتز بها أيَّما اعتزاز! وإذ بالرب يردّ على أفكاره موضحاً أنه ليس عنده، ولا هو على استعداد، أن يقول أو يعمل شيئاً على ذي قديم، ولكن عمله أن يخلق جديداً، يخلق بدءاً جديداً!! فملكوت الله التي يتمناها نيقوديموس لا يمكن أن يراها، بمعنى أن يعرفها معرفة الرؤيا، إلا إذا وُلد جديداً.

«الحق الحق»:

هذه البادئة في الكلام عند المسيح تفيد التوكيد أول ما تفيد، ثم تهيىء ذهن السامع والقارىء ليستعد لقبول معرفة جديدة وصعبة نوعاً ما أو أمراً قد أُشْكِل على الدنيا معرفته سابقاً، وهو بصدد حل هذا الإشكال حلاً نهائياً وجذرياً. فهي بادئة تفيد في الغالب فكراً جديداً يحمل تعليماً إلهياً يمتد بفكر الإنسان خطوة إلى الأمام وإلى أعلى، وسيكررها المسيح مرتين في هذا الأصحاح.

«يولد من فوق» γεννηθῇ ἄνωθεν (٣):

«من فوق» ἄνωθεν تُترجم أيضاً **«من جديد، ثانية»**، وقد اختلفت المخطوطات القديمة في ترجمتها. فالترجمة اللاتينية denuo renatus (أي يولد ثانية)، والترجمة القبطية، والترجمة السريانية، أخذت **بالولادة «الثانية ـــ من جديد» وقد تمشى مع هذه الترجمة كلٌّ** من الشهيد يوستين(٤)، واكلمندس الإسكندري(٥)، وترتوليان(٦)، وكذلك أغسطين وجيروم ومعظم الكُتّاب المحدثين.

وبعض الشُرّاح ارتأوا أن يتركوا ذلك لحرية المترجم طالما هي تحتمل أكثر من ترجمة أصيلة مثل العالم «باريت» Barrett. ولكن إذا عدنا لإنجيل ق. يوحنا نفسه وفحصنا اتجاهه الذي يرجحه في المواضع التي ذكرت فيها هذه الكلمة ἄνωθεν (٣: ٣١: ١٩: ١١و٢٣) وتعاليمه عن الولادة من الله (١: ١٣، ١يو٢: ٢٩؛ ٣: ٩؛ ٤: ٧؛ ٥: ١)، نتحقق أن المعنى المرجح هو «الميلاد من فوق» مُعتبراً أنها حادث يبدأ وينشأ من السماء ويتم للإنسان بقوى إلهية تفوق فهم وفحص وضبط الإنسان. ولكن لا ننسى أن فهمها على أساس الميلاد الثاني هو من صميم الكتاب المقدس أيضاً في هذا الموضع (١بط ١: ٣و٢٣، تيطس ٣: ٥).

ولكن الملاحظ أن نيقوديموس فهمها أنها ولادة ثانية ـــ من جديد، لهذا تبادر إلى ذهنه فوراً كيف يدخل بطن أمه من جديد!!

«لا يقدر أن يرى ملكوت الله»:

ما يقصده المسيح أنه بهذه الولادة من فوق، أي الفائقة على قدرات الإنسان، يدخل الإنسان في اتصال بالوجود الجديد الفوقاني ـــ أي ملكوت الله ـــ وذلك بكل يقين عن طريق قدرات جديدة ومواهب جديدة. وبدون هذا الدخول في محيط الوجود الجديد ـــ الولادة من فوق ـــ لا يستطيع أن يرى، أي يتعرف على هذا الملكوت!

وواضح الكلام أننا في آدم خرجنا من حضرة الله مطرودين ومحرومين من رؤيته، فبإمكانياتنا الجسدية التي ورثناها من آدم وقع علينا الحكم الذي وقع على آدم وهو الخروج من دائرة الله وعدم رؤيته. لذلك فلكي نعود ونرى الله، بمجرد رؤية، يلزم أن نولد ولادة أخرى ليست من آدم وهي

[3] Schnackenburg, *op. cit.*, p. 367.

[4] Apol., 61,4

[5] Proptrept., IX,82

[6] De Bapt., XIII.

حتماً وبالضرورة، يلزم أن تكون من فوق، من الله!! حتى بهذه الإمكانيات الجديدة نعود ونرى الله.

«لا يقدر» οὐ δύναται :

أي لا يستطيع قوة على الاتصال بملكوت الله سواء كان بالرؤية أو حتى السمع بالتأمل، والسبب هو العجز الروحي الناتج من الفساد الأخلاقي الذي جعل الجسد لا يقوى على اللحاق بمطالب الروح ومستواها؛ لأن رؤية الإنسان الطبيعي — الجسدي — محصورة في حدود الطبيعة — الجسديات — فإذا أراد الإنسان أن يرى ما فوق الطبيعة — الروحيات — فلا بد له من الميلاد — الميلاد الروحي — أي ما فوق الطبيعة داخله — «ملكوت الله داخلكم» — يتواجه المثيل مع المثيل. هذا هو عمل الله الفائق في روح الإنسان ليمنحه ما هو منه خاصة ليراه أو يحيا معه.

والذي يلزم أن ننتبه إليه هنا هو القول القاطع المانع الذي وضعه الرب بالنسبة لمحاولة التطلع إلى ملكوته «لا يقدر»، بمعنى أنه محال على الإنسان أن يرى الله هنا أو هناك دون أن ينال من الله هذه المؤهلات الإلهية التي تجعله يراه كما هو: «أيها الأحباء **الآن نحن أولاد الله** (الميلاد من فوق) ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه **إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.**» (١يو٣:٢)

«ملكوت الله»: [راجع «المدخل»، ص٣٣٨]

يذكره ق. يوحنا في إنجيله مرتين فقط وهما اللتان جاءتا متتابعتين في هذه الآية والآية (٥)، وقد استعاض عن هذا الاصطلاح باصطلاح آخر وهو الحياة الأبدية على مدى إنجيله ورسائله. وقد جاء كثيراً اسم «ملكوت الله» في الأناجيل الأخرى، وأيضاً باسم «ملكوت السموات».

والاسم أصلاً عبراني مستخدم في العهد القديم. وهو يعبِّر في الأدب العبري عن «امتلاك الله»، أو «تدبير وقدرة الله»، والله هو الملك الأزلي والأبدي: «الرب قد ملك فتبتهج الأرض... العدل والحق قاعدة كرسيه» (مز٩٧: ١و٢)، «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب» (مز٩٩: ١). وكان من المفروض أن تكون مملكة الله على الأرض منظورة وواضحة. ولكن لأن «الشعوب — الأمم» لا تعبده، لذلك اقتصر على إسرائيل. فإسرائيل — كانت — هي مملكة الله المنظورة على الأرض «الرب عظيم في صهيون». ولكن لا يزال الله ينتظر خضوع الشعوب وذلك «في يوم الرب».

ولكن نشأ في الفكر العبري إحساس عميق بأن «ملكوت الله» له معنى روحي أعمق من مظاهر العبادة والمعاملات الطبيعية، وأنه «ملكوت غير منظور» في عمق هذه الحياة التي نحياها؛

ثم ظهر في أيام المسيح إحساس آخر بأن «ملكوت الله» له معنى «أخروي» أي eschatological، أي لن ينكشف إلاَّ في غيبة النظام الحاضر للعالم.

أما في العهد الجديد وبالمعنى المسيحي، فقد انبرى ملكوت الله ليأخذ الصدارة في كل تعاليم المسيح ووصاياه وأمثاله كغاية عظمى للإنسان في كل حياته وجهاده ومسعاه. لقد كان أول مَنْ نادى به بهذا المعنى هو المعمدان (مت٣: ٢)، وكرر به المسيح أول ما كرز (مت٤: ١٧).

وقد صفَّى المسيح ونقَّى معنى الملكوت على المستويين الديني والأخلاقي، وحدَّد الصفات التي يتطلبها الله لداخلي ملكوته ومنها الآتي:

+ التخلي عن كل ضروريات الحياة إذا تعارضت مع الملكوت حتى الأسرة (لو١٨: ٢٩).
+ الإستغناء عن أعزَّ ما للجسد إذا تعارض مع الملكوت، حتى العين واليد والرِّجل (مر٩: ٤٧).
+ السهر والمثابرة وربط القلب والفكر بهذه الغاية العظمى (مت٢٥: ١ــ١٣).
+ الحرمان المؤكد لذوي البر الذاتي الذين يُزكُّون أنفسهم (مت٨: ١١).
+ استحالة دخول الأغنياء المتكلين على أموالهم (مر١٠: ٢٣).
+ الملكوت من نصيب المتواضعين والذين لهم روح الطفولة (مت٥: ٣؛ مر١٠: ١٥؛ يو٣: ٣ــ٥).

وفي كل مثل من الأمثلة التي قدَّمها المسيح عن ملكوت الله كان يتصحح ويتحدد ويتجلى ويتضح معناه أكثر فأكثر.

وقفة قصيرة

وفي التعليم المسيحي، وبمقتضى الفهم اللاهوتي لملكوت الله، يمكن وضعه تحت ثلاثة بنود متكاملة:

الملكوت في المستقبل، الملكوت في الحاضر، الكنيسة باعتبارها الملكوت.

الملكوت في المستقبل:

لقد أفصح المسيح في تعاليمه عن هذا البعد للملكوت، وهو البعد المستقبلي، بمعنى انتظار استعلان ملكوت الله بصورة لم نرها من قبل، ولم يتعرض لها هو سابقاً في حديثه عن الملكوت. وهو الذي أمر تلاميذه ــ وبالتالي نحن أيضاً ــ أن نطلبه كل يوم «ليأت ملكوتك»

(مت٦:١٠). وقد ألمح لهذا البعد الملكوتي في المستقبل بمثل العشر العذارى والعريس الذي يأتي فجأة! أو الزرع الذي ينمو، أو الزوان في وسط الزرع الصالح الذي ينتظر الحصاد ليفصل الزوان من الحنطة.

وقد ترسّخ هذا البعد الملكوتي في ذهن الكنيسة منذ البدء وهي تنتظر استعلانه بفارغ الصبر، وربطته ربطاً لاهوتياً محكماً لمجيئه الثاني وجعلت هذا الترقُّب جزءاً من قانون إيمانها مع الدينونة والحياة الأبدية، وميعادها حددته بقيامة الأجساد.

ولا يزال الفكر الأرثوذكسي على إصراره وإلحاحه بانتظار مجيء ملكوت الله واستعلانه مهما تأخر.

الملكوت في الحاضر:

في تعليم المسيح، يشير الرب إلى «حقيقة» أي جوهر هذا الملكوت ككائنة فائقة ذات اتصال بالله، أنها قائمة في الحاضر الزمني ولكنها حقيقة مخفية ككنز في حقل وجده إنسان فباع كل شيء واشتراه.

فالرب حينما بدأ يكرز، جعل الملكوت في متناول اليد: «قد اقترب ἤγγικεν» (مت٣:٢؛ ٤:١٧). وحينما كان يشفي، كان بحسب تعبيره أن هذا الشفاء تم بأصبع الله، وهذا معناه أنه قد «**أقبل عليكم** ملكوت الله» (مت١٢:٢٨). وحينما حاول البعض أن يأخذوا صورة عن مجيء ملكوت الله قال لهم: «ملكوت الله داخلكم» ἐντὸς ὑμῶν (لو١٧:٢١). والذي أضعف تأكيدات المسيح التي تملأ الأناجيل بأن ملكوت الله هو قوة الله في الحاضر الزمني، انشغال الكنيسة الأولى بانتظار مجيء الملكوت قريباً جداً وبأنه على وشك الظهور يوماً بعد يوم.

ولكن بقيت توكيدات المسيح بملكوت الحاضر الزمني كأساس راسخ لإعادة فكر الكنيسة وربطه بالحاضر، بقول الوحي أنه «جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه» (رؤ١:٦و٩:٥؛ ١٠:٥)، وقول الوحي: «نقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو١:١٣)، والتي منها يظهر أن ملكوت الله هو حقيقة واقعة استمسكتها الكنيسة: «ليس أكلاً وشرباً بل هو برٌّ وسلام وفرح في الروح القدس.» (رو١٤:١٧)

ولكن هذه النظرة في التعليم الأرثوذكسي لا تلغي ولا تُغني عن انتظار الملكوت الآتي بقوة ومجد، حيث يتلاشى الشر الذي يقاوم ظهوره.

فالملكوت في الحاضر هو ملكوت الخلاص الذي ظهر وأُعلن وقد تم وأُكمل، وعلينا أن نستنفذ

قوته وبركاته. والملكوت الآتي هو ملكوت الحياة والميراث في المجد العتيد.

الكنيسة باعتبارها ملكوت الله:

كان القديس أغسطينوس أول مَنْ اعتبر المختارين في الكنيسة الآن المعيَّنين للحياة الأبدية أنهم يمثلون ملكوت الله أو ملكوت المسيح، في مقابل الأشرار الذين تحويهم الكنيسة أيضاً باعتبارهم «مملكة الشيطان». ومرة أخرى وضع المختارين كأنهم: «**مدينة الله**»= (Civita Dei) في مواجهة الأشرار: «**مدينة الأرض**»= (Civitas terrena). ولكي نحصل على صورة صحيحة للكنيسة كملكوت الله، يلزم أن نعود إلى العهد القديم حينما كان الله يملك على شعب إسرائيل، فكانت إسرائيل بهيكلها الذي كان يحلُّ فيه الله بصورة منظورة هي ملكوت الله المنظور على الأرض، ولكن كان لإسرائيل ولهيكلها صورة أخرى غير منظورة، صورة روحية حيث كان الله يحيا بالفعل بالروح في قلوب آبائها وأنبيائها وقديسيها، بل كان يملك حقاً على قلوب أتقيائها الذين تركوا لنا سيرهم المرتفعة في القداسة وطاعة الله المذهلة والحب الإلهي المتدفق في قلوبهم. وهذه الأسفار الشعرية، كسفر الأمثال والجامعة والمزامير وغيرها تحكي عن ملكوت الله الخفي غير المنظور الذي كانت تحياه إسرائيل تحت حكم الله وتدبيره.

كل هذا انتهى شكلاً وموضوعاً برفض إسرائيل أن يملك عليها الله: «ليس لنا ملك إلا قيصر». بل وامتدت أيديهم إلى فاديهم وملكهم فقتلوه «خذه خذه أصلبه... أأصلب ملككم» (يو١٩: ١٥). أما الذين قبلوه منهم وترجُّوا أن يملك عليهم ويفديهم فصنع منهم شعبه الجديد، الكنيسة التي خُلقت بتجسد الكلمة وتدشَّنت بدم صليبه وامتلأت بملء الله يوم الخمسين. وسرعان ما انضمَّ إليها كل الذين كُتبت أسماؤهم في سفر الحياة المعينين للحياة الأبدية منذ البدء، فصار فيها من الآباء والأنبياء والشهداء والقديسين ما يفوق الأولين، وعوض لوحي العهد ذوي الأربعة الأوجه، صارت الأربعة الأناجيل المكتوبة حقاً وفعلاً بأصبع الله، وبقية الأسفار الحية التي تشهد كيف قام الملكوت وامتد وكيف جلس الله على عرش القلوب وحكم.

وإن كانت الكنيسة لا يُعطي شكلُها الأرضي المنظور صورة جيدة لملكوت الله بسبب معاثر الإنسان، إلا أن الله العامل فيها بالأسرار غير المنظورة أقام من الكنيسة سماءً جديدة. فهو يلد فيها لنفسه كل يوم ألوفاً من خلائقه الروحانية بشكل خالقها وعلى صورته ــ بالحق ــ في القداسة والبر، يُلبسهم بيديه ثياب الروحانيين ويطعمهم من جسده ويسقيهم من دمه ويتعهدهم برحمته حتى يصلح كل واحد منهم أن يكون عضواً في جسده، شريكاً في آلامه هنا، وهناك شريك مجده في مُلكه الأبدي. وهكذا فإن ملكوت الله يُستعلن الآن في الكنيسة بالآلام، وهناك بالمجد.

٣ : ٤ «قال له نيقوديموس: كيف يمكنُ للإنسان أن يولدَ وهو شيخٌ، ألعلّهُ يقدر أن يدخلَ بطنَ أمِّهِ ثانيةً ويولد».

الحقيقة هنا أن نيقوديموس لا يدّعي الجهالة ولا يتوقح بالسخرية على عقيدة الميلاد الثاني، بل هو بكل صدق وأمانة يصوِّر مدى الصعوبة البالغة، التي تبلغ مدى الإستحالة، كَوْنَ الإنسان ينجح في أن يحصل على بداية حياة جديدة بميلاد جديد. وهذا التصوير — غير المبالَغ فيه — أن الميلاد الثاني يساوي دخول شيخ في بطن أمه ثانية ويولد، هو محاولة منه ليدفع المسيح «كمعلِّم بالحق» أن يشرح له كيف يكون هكذا أو ما هي الوسيلة التي بها يمكن للإنسان أن يولد ثانية؟ ولهذا ردَّ عليه المسيح ردًّا مباشراً على فكره هكذا.

وليُلاحِظ القارىء أنه كما أن المسيح ابتدره بقوله: «إن لم يولد الإنسان ثانية (أو من فوق)»، هكذا كان ردُّ نيقوديموس صحيحاً ومناسباً: «كيف يولد»؟ وأضاف من عنده تصوُّره عن استحالة الأمر.

وليتمهل القارىء على هذا الفريسي العاتي، ليدرك أعماق إجابته. وعليك أن تتصور معه إنساناً ذا ماضٍ طويل وعريض في التكيُّف بالعالم والناس والتعوُّد على عادات وأفكار وسلوك مدى ستين سنة مثلاً، كيف يتخطاها، كيف ينساها، كيف يجعلها كأنها لم تكن ليبدأ من جديد وكأنه ما عاش هذه السنين، كيف؟

ثم صبراً جميلاً، وفرضاً أنه أمكن أن يمحو هذا محواً وكأنه لم يكن؛ ولكن كيف تبقى له «نفسه» هي هي التي سيبدأ بها، لأن النفس معجونة بصور الحياة منذ أن يعرف الإنسان نفسه، بل انطباع الأيام وحوادث الدهر تختزنها النفس أكثر مما يختزنها الجسد ألف مرة!!! لاحظ أن نيقوديموس يتكلم من عمق أعماق نفسه ومن طول حياته وخبراته التي ما جاء إلى المسيح إلاَّ لكي يعدِّل فيها و يصحح، ولكن أن يلغيها كلها فهذا أمر جد خطير وغير وارد.

ثم لا تسخر من رد نيقوديموس كونه يصوِّر نفسه وهو يدخل بطن أمه، فهذا هو الجزء الأقل في المشكلة، لأن الجزء الأكبر هو «النفس»، نفسها، كيف يعطيها بدءاً جديداً. فإذا استحال على الشيخ دخول بطن أمه ليولد من جديد، فالإستحالة الأكبر أن يدخل داخل نفسه ليلغي ما صنعته السنين وما خطَّه الدهر فيها. وبهذا يكون نيقوديموس قد صوَّر — دون أن يدري — القيمة الفائقة للميلاد من فوق مع ما يحويه من غفران ومصالحة.

٣ : ٥ **«أجاب يسوع الحقَّ الحقَّ أقولُ لك: إن كان أحدٌ لا يولدُ من الماءِ والروحِ لا يقدر أن يدخلَ ملكوتَ الله»**.

سؤال نيقوديموس هو كيف يولد؟ هل من بطن أمه؟ هنا إجابة المسيح جاءت مباشرة على السؤال، فالميلاد ليس جسدياً بل هو ميلاد روحاني للنفس، ووسائله ليست لحمية لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله: من الماء والروح. هو ميلاد غير منظور، سماوي.

والمسيح يستخدم حرف «من» الذي ترجمه ق. يوحنا في إنجيله باليونانية ἐκ أو ἐξ ويفيد من داخل، أي يدخل الإنسان الماء ويغشاه الروح ويقوم أو يخرج مولوداً جديداً. هنا الروح هو العنصر السماوي الأساسي المختص «بفوق»، المعتبر كينبوع أو مصدر الحياة العليا، وهنا تتركز النقلة الكبرى الجديدة للإنسان. والآن لماذا الماء؟ فالروح معروف أنه عامل الخلق والتجديد، وما هو دور الماء؟ وحتماً الماء هنا ليس هو ماء المعمدان، بل ماء المسيح الذي مضمونه السري والسرائري هو روح هو سماوي؛ لأننا نعلم تماماً في مفهوم الماء حتى في أوائل معرفة الإنسان والخلق أنه يوجد نوعان من المياه: مياه فوق الجَلَد (السماء) ومياه تحت الجَلَد وهو البحار والأنهار: «وقال الله ليكن جَلَد firmament = στερέωμα (أي سماء) في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه، فعمل الله الجَلَد وفصَل بين المياه التي تحت الجَلَد والمياه التي فوق الجَلَد، وكان كذلك. **ودعا الله الجَلَد سماءً**.» (تك١: ٦—٨)

فالمياه التي حوَّلها المسيح في عرس قانا، حوَّلها من مياه تخدم الأغراض الوقتية إلى خمر يخدم الأغراض الروحانية، أي نقل مفهوم مياه تطهِّر الجسد إلى مياه تختص بالروح. كذلك في مياه بئر يعقوب نرى المياه التي تخدم الأغراض الجسدية التي أعطاها الإنجيل صورة الأغراض الحيوانية الخالصة إذ أضاف على الذين شربوا منها بعد يعقوب وبنيه **الماشية** أيضاً، إمعاناً في أنها مياه أرضية محضة ليس فيها ما يختص بالبركة ولا بالروح. ولكن هنا يرفع المسيح من مستوى المياه إلى ما فوق الجَلَد أي ليست مياه أرضية، وهذا يتم بحلول الروح القدس عليها وتقديسها. فتصير مصدراً لانبعاث حياة جديدة ليست أرضية بل روحانية.

معروف أن المعمودية ثلاث خطوات أو مراحل: الأُولى اعتراف بالخطايا، الخطوة الثانية قبول الغفران، الثالثة تغطيس في الماء. هنا تكمل المعمودية كختم توبة. فالتغطيس في الماء هو بمثابة قبول أو الدخول في الموت عن الحياة السالفة، حيث الماء هنا هو بعنصره الأصلي الأرضي أولاً للموت ثم بعنصره الروحي التقديسي السماوي للتقديس، ثم الخروج من الماء استعداداً لحياة

جديدة. هنا تكون قد انتهت معمودية الماء ليبدأ عمل الروح القدس وهو إعطاء حياة جديدة للنفس كنسمة حياة من فم الله، تؤهلها للدخول في الحياة الأبدية، أي ملكوت الله، والبرئ أمامه. هذا بالإضافة إلى أن بصلاة التقديس على الماء يتقدس الماء و يقدس الجسد حسب قول القديس كيرلس الكبير:

[لأنه بما أن الإنسان مكوّن من جسد ونفس عاقلة، فإنه يحتاج إلى عمليتي شفاء ليصير له ميلاد جديد، لأنه بالروح يتقدس روح الإنسان وبالماء الذي تقدس يتقدس الجسد. لأن الماء بعمل الروح يتحول معدنه إلى مؤثر إلهي غير منطوق به و يقدس كل من يحل فوقهم.](٧)

إذن، الميلاد من الماء والروح هو عملية موت عن حياة جسدية سالفة، وتقديس، ثم قبول حياة جديدة مخلوقة بالروح القدس، لتؤهّل النفس لحياة مع الله في ملكوته. وليس أبداً أن معمودية الماء هي عملية تختص بالخارج أو أنها عملية خارجية ظاهرية، بل هي الأساس العميق الذي عليه يعمل الروح القدس في الخلق، لأنه يستحيل أن الفاسد يلبس عدم فساد. فلا بد أن تجري أولاً عملية **الموت الإرادي وبمؤازرة النعمة أيضاً** ـــ وذلك في المعمودية(٨) ـــ عن حياة جسدية سالفة، بالنية الكاملة والضمير الطاهر؛ وهكذا يمكن التقديس حتى يتمكن الروح القدس بعدها أن يخلق في النفس حياة جديدة بالروح.

وبالنسبة لنيقوديموس؛ فالميلاد من الماء والروح، أمر ليس غريباً ولا جديداً على مسامع نيقوديموس؛ فكل الذين اعتمدوا على يد يوحنا المعمدان سمعوا من المعمدان أن المسيح سيعمدهم بالروح القدس، وأن معموديته إنما هي التمهيد الإلهي ـــ حسب إرسالية الله له ـــ لكي يهيىء العمل لمعمودية المسيح بالروح القدس. فقول المسيح أن يولدوا من الماء والروح هو رنين مسموع في كل أنحاء اليهودية.

ولكن للأسف فإن الفريسيين رفضوا معمودية يوحنا: «وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه» (لو٧: ٣٠). وهكذا قطعوا على أنفسهم فرصة عمل الروح القدس بالتالي.

---

7 Cyril the Great, *op. cit.*, Vol. 1. Book II, ch. III.

(٨) هذا الموت ليس موتاً ظاهرياً بل موت ناخذ حقيقته من موت المسيح، لأن المسيح مات موتاً حقيقياً عن كل من يؤمن به، فأصبح موت المسيح الحقيقي هو العامل في المعمودية لحصولنا على موت حقيقي عن حياة سالفة لقبول حياة جديدة من عمل الروح القدس هي من حياة المسيح.

ومعروف أنه بعد قيامة المسيح صارت معمودية الماء والروح تتمان معاً في جرن المعمودية: «لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس.» (تيطس٣: ٥)

وهكذا أصبح الميلاد الثاني من الماء والروح بالسر هو نفسه الميلاد من الله بالوعد.

وأخيراً يلزمنا أن نعي تماماً أن المسيح حينما قال هنا بالولادة من الماء والروح إنما يقولها بصورة نبوية إلى حدٍّ ما، فمعمودية الروح القدس لم تكن قد بدأت بعد. حتى أن المسيح لم يذكر كلمة «المعمودية» لأن تركيزه كان على الخلقة الجديدة بالروح كنتيجة.

«يدخل ملكوت الله»:

هنا انتقل المسيح من حالة الرؤية الفكرية أو التعرف على ماهية هذا الملكوت، إلى الدخول فيه، وهو اصطلاح قريب جداً لذهن نيقوديموس، لأن الدخول إلى أرض الموعد: كنعان الأرضية، كصورة مصغَّرة توضيحية، كانت ماثلة أمام نيقوديموس؛ فكما هو مواطن في أرض الميعاد، مطلوب منه أن يكون مواطناً في ملكوت الله. وكما كان للدخول إلى أرض الموعد شروط جسدية (الختانة)، هكذا للدخول إلى ملكوت الله شروطٌ روحية (المعمودية).

٦:٣ «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح».

في البداية نود لو يلاحظ القارىء أننا لا زلنا مع فكر إنجيل ق. يوحنا الهادف إلى توضيح استعلان رسالة المسيح، وبالتالي استعلان المسيح من وراء استعلان رسالته. فالقارىء يذكر الآية الأولى: تحويل الماء إلى خمر، وهذا التحويل يشمل تحويل العبادة من الغُسْلات والتطهيرات بالماء إلى شُرب الروح وكأس الخلاص، وفي تطهير الهيكل وضع لنا عملية تحويل الهيكل ــ مركز العبادة ــ من صناعة يد إنسان في ٤٦ سنة إلى هيكل جسد المسيح بالقيامة من الأموات، حيث صار جسد المسيح هو الكنيسة مركز العبادة بالروح والحق؛ والآن في حديث نيقوديموس دخلنا في مفهوم تحويل الإنسان نفسه من حياة قديمة حسب الجسد إلى حياة جديدة حسب الروح، بالميلاد الثاني من فوق.

والمسيح هنا في هذه الآية يقطع خط الرجعة على نيقوديموس حتى لا يفكر إطلاقاً في الخلط بين خلقة الجسد الآدمية القديمة وخلقة الروح الجديدة. فلا يوجد تطور من الجسد إلى الروح، ولا امتداد، ولا تطعيم، ولا تخطي الحدود بالمعرفة، أو بالتقوى، أو بأي عمل يستطيع الإنسان أن يأتيه

بقوته أو إرادته أو حتى بمواهبه! فالمولود من الجسد يبقى جسدياً ــ حسب أصله ــ والمولود من الروح لم يَعُدْ إنساناً جسدياً بعد، بل روحاً أو روحياً ــ حسب أصله أيضاً.

فالجسد هنا هو العنصر البشري، والروح هو العنصر الإلهي الفائق. ولا يقصد المسيح هنا بالجسدي والروحي: «جسد هو، هو روح» الإتجاه المعتاد بالتعبير عن الجسد «بالمادي»، ولكن الإتجاه في الحقيقة أعمق وأجلُّ، فهو يقصد الإنتهاء إلى «لا شيء» بالنسبة لنهاية الميلاد من الجسد، وبلوغ «الوجود الحقيقي» بالميلاد من الروح، الوجود مع الله للبقاء والخلود، فالمولود من الجسد غريب ونزيل على الأرض، وزائل، سوء أدرك ذلك في نفسه، أو تلاهى وتعامى عن حقيقة غُربته وزواله.

أما المولود من الروح فقد دخل المعجزة الإلهية ليدرك وجوده الحقيقي، ويتيقن أنه صار غير مهدَّد بالزوال، ويحسُّ أنه استوطن السماء بالفعل، ويمارس كل يوم وجوده برجاء حي يتجدد باستمرار.

وكل مَنْ تأمل في وجوده وحياته وأعماله يدرك حقيقة نفسه إن كان يعيش على لا شيء أو يعيش على رجاء الوجود مع الله، وحينئذ يقيِّم الميلاد من الروح ويسعى نحوه بكل عزمه وتصميمه.

وكما أن الولادة من الجسد تعطي الإنسان صفات جسدية خاصة منها الميل لإشباع رغبات الجسد، هكذا الميلاد من الروح يعطي النفس صفات روحية أهمها الإلتصاق بالله خالقها وإمكانية النزوع إليه من كل الفكر والنفس والقدرة!

وبالتالي كما أن الولادة من الجسد تهيىء الإنسان للحياة بالجسد في هذا العالم، هكذا الميلاد من الروح ــ من فوق ــ يهيىء الإنسان للحياة ــ فوق ــ في ملكوت الله: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق» (كو٣: ١). ولأن الإنسان أصلاً هو مخلوق من جسد ــ ونفس ناطقة روحية ــ أصبحت حاجة الإنسان المولود من الجسد يقابلها بالضرورة حاجة الميلاد من الروح، كما أن تعلُّق الإنسان بالحياة على الأرض يقابله تعلُّق الإنسان بالحياة فوق بالروح.

إنه نزوع **طبيعي**(٩) في الإنسان، بحسب حركة الروح الذي فيه، التي نفخها الله في أنفه، أن يتطلع إلى الخلود والإمتداد في الحياة إلى ما هو أعظم وأعلى وأرقى دائماً، وحنين الإنسان إلى الله

---

(٩) يرجع إلى شرح هذا النزوع الطبيعي الذي سبق أن دعاه المؤلف «غريزة العودة إلى الله» في مقال: «حنين الله في حياة الإنسان»، مجلة مرقس فبراير ١٩٧٥، ص ٥.

والسماء والقداسة لم ينطفىء منه قط مهما تكدست الخطية فوق رأسه. الإنسان مخلوق أصلاً على صورة الله والصورة تنزع إلى التقرب من أصلها، كما أن الله يحن دائماً إلى صورته و يودُّها بقربه. ولو دققنا الرؤية أو تعمقنا الإنسان، ولو أنصفنا في تقييمه، لوجدناه روحاً لا جسداً، الإنسان الذي يحيا بجسده يحيا غريباً عن نفسه النزّاعة نحو الروح والله! الإنسان يشقى بجسده بسبب وجود روحه الرقيبة عليه التي تستصغر دائماً من أعماله وأفكاره وميوله حينما تتطلع إلى خالقها.

الإنسان لا يستمتع وجوده الحقيقي الذي يشتاق إليه و يتمناه، أو حتى الذي يجهله، ولكن الروح لا تجهل ما لها. فالإنسان يتأوَّه ولا يعلم ماذا يريد، فقط هو غير راضٍ عما هو فيه، الأفضل دائماً دائماً غائبٌ عنه، مهما أجهد ذاته للحاق به، وكل ما يحصل عليه يبقى ليس هو الذي له. فالميلاد الروحاني الجديد للإنسان هو معجزته التي يعيش على رجائها، مهما كانت مخفية عنه وغائبة عن وعيه. إنه حالما يحصل عليها، يصير هو الإنسان الذي يريده، هو نفسه تماماً، وليس أقل ولا أنملة. ميلاد الإنسان روحياً من فوق هو بداية الوجود الحقيقي له الذي هو له حقاً، حيث تستقر نفسه على مركزها الثابت الأصيل الذي ليس على أرض الزعازع والأوهام بل فوق. الإنسان المولود من فوق يتشبث بالأبدية فلا يعود الزمن يقلقه ولا توافه الأعمال.

ثم ألا ترى، عزيزي القارىء، أن الإنسان ليس حراً أن يختار بين أن يعيش بالجسد أو بالروح؟ لأنه إن لم يَعِشْ بالروح، فهو لا يعيش أصلاً وأبداً. أنظر إلى نيقوديموس الذي جاء يطلب الأفضل وهو معلم إسرائيل الأعلى، فاكتشف أنه حقاً وفعلاً لا يعيش!!

يقولون إن الإنسان حرٌّ، يختار مصيره بنفسه، هذا غش وخداع، فمصير الإنسان هو الذي يقنع الإنسان أن يتخلى عن حريته!! ومصير الإنسان تحدده ماهيته، يحدده كيانه، يحدده أصله الذي انحدر منه والذي فقده على الطريق، فصار بدونه كلا شيء، فإن هو أصرَّ على حريته صار إلى لا شيء. إن نداء الأم التي تاه ابنها عنها يسمعه الولد وهو على بعد فراسخ وأميال، والإنسان يسمع في أعماقه نداء الله مهما بَعُد عن الله وطال بعاده.

المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح، الجسد لن يوصلنا إلى الله! إن الجسد لا يطيق الله: «محبة الجسد عداوة لله»!! فلكي يقبل الإنسان معجزة الميلاد الثاني من فوق يلزمه حتماً أن يُخضع الجسد لمعجزة الموت: أن يكفَّ الجسد عن أن يحيا لنفسه و يكفَّ عن أن يقود مسيرة الحياة: «وكان يُقتاد بالروح.» (لو٤: ١)

٣:٧　«لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق».

هذه الآية مرتَّبة على سابقتها، أي إذا كان المولود من الجسد يبقى جسداً والمولود من الروح يصير روحاً، إذن، لا تتعجب إذا قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق! هذا إذا كنت تريد أن تصير رجلاً روحياً وتتأهَّل للحياة في ملكوت الله. أو بمعنى أكثر وضوحاً إذا كنتَ قد جئتَ إليَّ لتتعلم كيف تحيا كما ينبغي لإنسان يريد أن يدخل ملكوت الله، فلن تنفعك الأعمال الجسدية كلها، مهما كانت، فهي من الجسد وتؤول إلى الجسد، ولكن يلزم أن تصير إنساناً روحياً تحيا بالروح وليس بالجسد: «فلا تتعجب إذا قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق».

٣:٨　«الريح تهُبُّ حيث تشاءُ وتسمعُ صوتها لكنك لا تعلمُ من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كلُّ مَنْ وُلدَ من الروح».

في اللغة العربية يصير كلام المسيح هنا ــ الذي يبرهن به على عدم قدرة الإنسان على ملاحقة عمل الروح القدس ومعرفة كيفية عمله ــ يصير فهمه صعباً نوعاً ما، لأنه في اللغة اليونانية التي كُتب بها الإنجيل واللغة العبرية وهي اللغة الأصلية التي تكلم بها المسيح ــ يأتي اسم «الروح» مطابقاً لاسم «الريح» حرفياً، بل حتى كلمة «**يهبُّ**» الريح تأتي من أصل كلمة الريح.

ولكن القصد العام من كلام المسيح يمكن تشبيهه بشجرة هادئة وفجأة تجد أغصانها تتحرك وأوراقها تصفق وتسمع صوت الريح يتخللها بوضوح فتعرف أن الشجرة استهدفت لعمل الريح، ولكن لا تعرف من أين أتى الريح ولا إلى أين سيذهب، هكذا كلُّ من وُلد من الروح، تظهر عليه علامات عمل الروح القدس بغاية الوضوح والقوة، في كلامه، في تصرفه، في فهمه، في حبه، في صبره، في اتضاعه، في شجاعته، في حكمته، في رؤيته للأمور الروحية وأمور العالم الحاضر. و باختصار تجده إنساناً آخر غير الذي كنت تعرفه، فتعرف بكل يقين أنه استُهدف لعمل الروح القدس بالميلاد من فوق.

ولكن ليس قصد المسيح أن يوضح أن الميلاد الثاني من فوق يمكن شرحه تماماً، فهذا يبقى سراً لا يمكن أن يعرفه إلا الذي أخذه، ولكن شرح المسيح هو توضيحي يعتمد على المقارنة التي تبقى في حدود الجسديات. فالرياح لا تخرج عن كونها قوة طبيعية مادية: «كما أنك لا تعلم طريق الريح... كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع.» (جا ١١ : ٥)

٩:٣ **«أجاب نيقوديموس وقال كيف يمكن أن يكون هذا = γενέσθαι ».**

«اذهب وقُلْ لهذا الشعب: اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّلْ أذنيه واطمسْ عينيه، لئلا يُبصِرَ بعينيه و يسمع بأذنيه و يفهم بقلبه و يرجع فيُشفى» !!! (إش٦: ٩و١٠)

«إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل **إلى أن يدخل** ملءُ الأمم. وهكذا سيخلُص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٥و٦)

السؤال يطلب توضيحاً، لأن الكلمة «كيف يكون هذا» هي باليونانية: «كيف هذا يصير أو يتم»، فالسؤال هو عن عملية الولادة الثانية كيف تكون. وفي الحقيقة إنه أمر غير محتمل من هذا المعلم أن يسأل هذا السؤال، لأن المسيح أوضح له أن هذا العمل فائق وهو من اختصاص حركة الروح القدس أي حسب قوانين عمل الله تجاه الإنسان؛ أي بمنتهى الوضوح والصراحة أدخل المسيح عملية الميلاد الثاني من فوق ومن الماء والروح في دائرة اختصاصه هو، أي في محيط معرفته وعلمه فيما يخص عمل الله.

١٠:٣ **«أجاب يسوع وقال له: أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا؟».**

مراجعة بل مساءلة أليمة، يوجهها المسيح بل الله لمعلم التوراة والقيِّم على إنارة شعب الله، لا يوجهها لنيقوديموس بل لكل معلّمي إسرائيل وفرّيسييه وكَتبته في شخص نيقوديموس. ألم يتكلم الله على فم كل أنبيائه ومختاريه عن عمل الروح في الإنسان وتغييره كلية حتى إنه يصير شخصاً آخر؟

+ «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبّله وقال... **يحل عليك روح الرب** فتتنبأ معهم **وتتحول إلى رجل آخر**... وكان عندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه **قلباً آخر!!** وأتت جميع هذه الآيات في ذلك اليوم، ولما جاءوا إلى هناك إلى جِبْعَة، إذا بزمرة من الأنبياء لقيته. فحلَّ عليه روح الله فتنبأ في وسطهم.» (١صم١٠: ١و٦و٩و١٠)

وهل يكون عمل الروح للتجديد وتغيير الإنسان أكثر من هذا؟

+ «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط إخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً.» (١صم١٦: ١٣)

وهل هذا ليس على مستوى ميلاد ثانٍ للإنسان ليحيا بالروح كل أيامه؟

+ ومن جهة الخلق الجديد في الإنسان ألم تسمع من داود النبي نفسه ـــ عندما أخطأ إلى الله ـــ كيف صرخ: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي» (مز٥١: ١٠)؛ أليس هذا خلقاً جديداً وبعد التجديد أيضاً! لأنه رأى أن صومه وصلاته وعبادته وتسابيحه لن تغنيه عن التجديد والخلق الجديد؟

+ ثم ألم يتكلم حزقيال النبي معلماً وشارحاً عن ما سيتم بالحرف الواحد في أيام المسيَّا الذي وقف نيقوديموس أمامه ولم يتذكر كلمة واحدة مما قال: «وأعطيهم قلباً واحداً، وأجعل في داخلكم روحاً جديداً، **وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم.**» (حز١١: ١٩)

أليس هذا ميلاداً جماعياً كولادة شعب بمواهب روحية واحدة؟

+ ثم ألم يحذِّر حزقيال النبي أيضاً الذين يتوانون عن مثل هذا التجديد الذي سيمنحه الله في وقته: «**اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها** (التوبة) **واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة** فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل» (حز١٨: ٣١). فبدل أن يركض معلمو التوراة والناموس وفي مقدمتهم نيقوديموس لينالوا القلب الجديد والروح الجديد، جاء يسأل بلسانهم «كيف يكون هذا؟»

+ ثم ها هوذا أيضاً حزقيال يجمع عمل الماء مع عمل الروح باعتبار ذلك سر قوة التجديد الذي سيرسله الله لهم على يدي المسيَّا: «**وأرش عليكم ماءً طاهراً فتطهرون** من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم **قلباً جديداً** وأجعل **روحاً جديدة** في داخلكم.» (حز٣٦: ٢٥و٢٦)

+ ثم هوذا حزقيال أيضاً ينال من الله أمراً صريحاً بأن «يتنبأ للروح أن يهب»، وهو بالحرف الواحد نفس الاصطلاح الذي استعمله الرب يسوع: «الريح تهبُّ حيث تشاء...»، حتى صار معلم إسرائيل بلا عذر أن يجهل كيف يكون هذا: «فقال لي تنبأ للروح يا ابن آدم وقُلْ للروح هكذا قال السيد الرب: **هلمَّ يا روح من الرياح الأربع، وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا.** فتنبأتُ كما أمرني، فدخل فيهم الروح، فحيوا وقاموا على أقدامهم، جيش عظيم جداً جداً. ثم قال لي: يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل. ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا. لذلك تنبأ وقُلْ لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم

من قبوركم يا شعبي... **وأجعل روحي فيكم فتحيون.**» (حز٣٧: ٩ــ١٤)

+ ثم من جهة العهد الجديد الذي وعد به الله، وكيف سيتولّى الله بنفسه تعليم الشعب بأن يلقّن قلوبهم علم معرفته فلا يحتاجون إلى معلم بعد بل يكون الله هو «المعلّم»: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً**، ليس كالعهد (الأول)... أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم ــ يقول الرب ــ لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إر٣١: ٣١ــ٣٤). أليس هذا هو عهد التجديد وميلاد الإنسان الجديد وعلم الله الجديد؟

+ ثم كيف أن الله يلد أولاداً و يلد مدينة و يلد شعباً ويمخض بهم بالروح و يلدهم؟ كان إشعياء في ذلك واضحاً غاية الوضوح: «بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق، لأني هأنذا خالقٌ أورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي... مَنْ سمع مثل هذا. من رأى مثل هذه: هل تمخض بلاد في يوم واحد، أو تولد أُمَّة دفعة واحدة؟ فقد مخِضَتْ صهيون، بل وَلَدَتْ بنيها. هل أنا أُمْخِض ولا أُولِّد يقول الرب.» (إش٦٥: ١٨و١٩؛ ٦٦: ٨و٩)

+ وعن عمل الروح القدس جهاراً وانسكابه بلا كيل، يقول يوئيل النبي: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم و بناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤًى؛ وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام.» (يوئيل ٢: ٢٨و٢٩)

فماذا إذاً؟ أليس هذا دليلاً على أن معلمي الشعب تركوا تعاليم الله الحية المبهجة وتعزياته التي بلا عدد، نسوها وأهملوها، ففقدوا حاسة الرؤية العقلية والروحية لما انشغلوا بالقوانين الحرفية والوصايا الجسدية. فلما جاء العصر الموعود وتحققت كل وعود الله وظهر المسيَّا الذي يطلبونه وانسكب الروح، لم يعرفوه. وأمام تحقيق أجمل مواعيد الله وهي خَلْق الإنسان خلقاً روحياً جديداً بقلب جديد وروح جديد، وقف نيقوديموس يسأل كيف يكون هذا؟؟ بدل أن يقول ها أنذا!!

١١:٣ «الحق الحق أقول لك: إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا».

هنا الآية امتداد للسؤال الإستنكاري الذي طرحه الرب على نيقوديموس موبخاً: «أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا»؟

هنا يقول الرب: أما أنا فأعصم، و يعلم معي و يشهد عليك كل الذين تنبأوا عن هذه الأيام، وعن عمل الله الذي وعد به والذي هو غريب في عينيك. والمسيح لما يتكلم عن مصدر المعرفة والرؤية، ولما يشهد ويشهد ومعه الآب الذي أرسله. وإن جاءت الكلمات في هذه الآية بالجمع فهي بسبب تعذُّر القول بالشهادة بالمفرد، فالشهادة الشرعية لا بد أن تكون لأكثر من واحد، لذلك جمع الشهادة والعلم معاً: «نعلم ونشهد».

وقد جاءت هذه الآية نفسها مرة أخرى، وفي هذا الأصحاح أيضاً، عن المسيح ولكن بمنطوق الشخص الثالث الغائب: «ما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحدٌ يقبلها.» (يو٣: ٣٢). أما قولنا أن الآب يشهد معه، فهذا يؤكده أيضاً بعد ذلك قول الآية: «ومَنْ قَبِلَ شهادته، فقد خَتَم أن الله صادق.» (يو٣: ٣٣)

ولكن تمشِّياً مع فكر نيقوديموس الأرضي والمحدود، فمن الممكن أن يكون الرب قد تماشى معه على مستوى رؤيته. فالرب يتكلم و بجواره تلاميذه الذين كانوا سابقاً أيضاً تلاميذ المعمدان، هؤلاء رأوا وعملوا يقيناً ما هو الميلاد من الماء وما هو عمل الروح القدس في الماء ومع الماء. فالمسيح يتكلم ومعه مَنْ يعلم ومَنْ رأى و يشهد. وإن كان هذا الفكر لا يلزمنا نحن الذين نعلم مَنْ هو الذي يعرف بالحق، ومَنْ هو الذي رأى بالحق!!

١٢:٣ «إن كنتُ قلتُ لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السمويات».

> «أنا الرب الملك الذي أسس السموات وخلق الأرض الذي بيداي صورت كل جند السموات ولكني لم أظهرها لك حتى لا تذهب وراءها.» (هو١٣: ٤ — حسب الترجمة السبعينية)

الأرضيات هنا، بحسب لغة ق. يوحنا وحسبما تكون الكلمات صادرة من فم المسيح وتشبيهاته، فهي تعني الأمور الروحية كالميلاد الثاني إنما مشروحة على المستوى الجسدي بأمثال أرضية «كالريح التي تهب»، أو الجسد «كالخبز المكسور»، أو الدم «كالخمر الممزوج في الكأس»؛ فإذا لم يستطع اليهود أن يؤمنوا بالروحيات بالرغم من تجسيدها على مستوى فهم الأرضيات فكيف يؤمنون بها لو استعلنها لهم على مستوى جوهرها السمائي والإلهي؟

واضح جداً أن عجز معلم إسرائيل هذا المرموق الذي جاء ليمثل أعلى طبقة متعلمة في إسرائيل،

أقول إن عجزه في ملاحقة شرح الرب للميلاد الثاني للإنسان من الماء والروح بالرغم من أن الرب أعطاه مثلاً موازياً من الأمور الأرضية، هذا العجز جعل الرب يقتصد جداً في التعمق في شرح الأمور الروحية التي تتبع حتماً الميلاد الجديد والتي تختص بصورة الإنسان ومؤهلاته وكفاءته في رؤية الله والدخول إلى الملكوت، بل وجعله يكف عن الإسترسال في أمور السماء نفسها، وهذا أمر يحزُّ في نفوسنا. هذا التعجيز عينه واجهه بولس الرسول عند الإسترسال في أسرار الروح للكورنثيين: «وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين، كأطفال في المسيح سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون» (١كو٣: ١و٢). ويرد على هذا الكلام سفر العبرانيين: «لأن كلَّ مَنْ يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل وأما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس (الروحية) مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر» (عب٥: ١٣و١٤). وطبعاً فإن ما يقصده الرب من قوله «الأرضيات» هو النصيب الذي ينتظر أولاد الله من الروح هنا على الأرض، مشروحاً بأمثلة أرضية مثل الميلاد من الماء والروح. وهو يختص بالسلوك والحياة هنا. السماويات هي النصيب المعدّ لأولاد الله في السماء، وهو الجزء الأعظم والأكمل للخلاص الذي يُبدىء به هنا. لأن الميلاد الثاني وإن كان يحدث الآن في هذا الزمان وعلى الأرض، ولكنه أصلاً وبالنهاية هو لحساب الملكوت والحياة مع الله.

وكلام الرب لا يفيد أنه لن يتكلم أو يُعلِّم عن السماويات عامة، بل الكلام موجه للفريسيين الذين عجزوا عن اللحاق ببداية المسيرة الروحانية بالميلاد (من الماء والروح). فكيف سيقبلون مثلاً الأكل من الجسد والدم الإلهيين، أو «أنا والآب واحد»، أو الفداء بدم ابن الله، أو القيامة من الأموات، أو الصعود والجلوس عن يمين الآب؟

ب ــ الحديث غير المباشر مع نيقوديموس (٣: ١٣ ــ ٢١):

وتستمر فيه المقابلة بين القديم والجديد على النحو التالي:

القديم: الحية النحاسية المرفوعة على خشبة، والمريض الناظر إليها يُشفى من عضة الحية.

الجديد: «هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

الاستعلان: موت ابن الله على الصليب.

القديم: ظلمة الأعمال الشريرة ــ بُغْضة النور ــ الدينونة.

الجديد: الإقبال إلى النور بأفعال الحق المعمولة بالله.

الاستهلال: «النور جاء إلى العالم».

١٣:٣ **«وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء».**

يقول بعض من الشراح إن الكلام مع نيقوديموس قد انتهى عند الآية السابقة (١٢)، ولكن معظم الشراح قالوا بانتهاء الحديث مع نيقوديموس عند الآية (١٥). وربما يكون بعض الآباء قد أخذوا بهذا الفكر، ولكن لا يوجد قط ما يبرر هذا وذاك. فكلام المسيح واضح ومسترسل، بل ومتحمس لكي يعطي نيقوديموس أقصى ما يمكن من عناصر التجديد والحياة الأبدية التي جاء من أجلها.

ويلزم هنا أن تنبه ذهن القارئ لبداية حديث نيقوديموس بقوله: **«يا معلم نعلم أنك أتيت من الله "مُعلّماً" ...»**. هنا في الواقع يقسم نيقوديموس نظرته للمسيح إلى جزئين: **الأول: شخص المسيح، والجزء الثاني: رسالته.**

وعلى هذا القياس، كان ردُّ المسيح المسترسل الطويل. فبدء كل ذي بدء هو أن المسيح لم يجيء معلماً يعلّم بعلم أفضل، بل جاء ليعطي حياة أفضل — من فوق حيث أتى — فهو لا يعلّم علم الملكوت بل يلد من روحه، من السماء، أبناءً جدداً للملكوت. أما من جهة شخصه أنه أتى من الله مُعلّماً فقد ردّ المسيح أنه نزل من السماء — بعمل سيشرحه حالاً — (الارتفاع على الصليب والبذل والحياة الأبدية)، وسيصعد إلى السماء ليبقى هناك. لأنه هو من هناك! وهكذا يستمر المسيح.

كذلك ينبغي أيضاً أن ننتبه، لأن الميلاد الذي جاء المسيح ليعطيه **«من فوق»**، هذا الذي صعب على نيقوديموس فهمه وتفسيره، سيبدأ المسيح ليوضح له سهولة الميلاد من فوق كونه هو **«من فوق»**، وكون ارتفاعه (على الصليب) سيعطي الحياة الأبدية التي هي عنصر الحياة في الميلاد من فوق. لذا ينبغي الالتفات إلى الترابط بين عناصر الحديث، لأنها غاية في العمق.

تبتدئ الآية هنا بحرف «و» καὶ وهي تصل الكلام بالسابق مع إعطاء فكر جديد يفوق في قوته ما ذُكر سابقاً. فالمعنى في جملته يكون هكذا: ولو أنه يوجد مَنْ لا يصدق أمور السماء، ولكن الذي يتكلم هنا عن أمور السماء هو مَنْ نزل من السماء، ابن الإنسان (بالتجسد) وهو أصلاً في السماء! إلا أنه لن يمكث على الأرض كثيراً فهو سيصعد إلى السماء كما كان. والكلام يحوي

معاني أخرى داخل مضمون هذا النزول والصعود وهي أسرار السماء، ويلزم أن تنفتح لقبولها كما أنه يلزم أن تفتح أعين قلوبنا لإدراك مَنْ هو هذا: «ابن الإنسان» الذي نزل من السماء لنتعرف عليه شخصياً لأنه سيوضح نفسه بأعماله.

«ليس أحد صعد إلى السماء»:

«**صعد**» ἀναβέβηκεν هذا الفعل في المضارع التام الذي يفيد الحدوث المكتمل والمستمر إلى الآن (perfect). ولذلك أضاف «ابن الإنسان **الذي في السماء** (الآن)»، ويلزم هنا أن نذكر ما سبق أن قاله ق. يوحنا: «الله لم يَرَهُ أحد قط. الابن الوحيد **الذي هو في حضن الآب** هو خبَّر».

والمعنى أنه ليس إنسان قط استطاع أن يرتفع إلى مناطق الحق العليا ليتحقق منها، ولا أحد أيضاً أعطيت له أسرار السموات إلا «ابن الإنسان» الذي يحمل في كيانه البشرية كلها ويمثلها تمثيلاً. فهو وحده عنده معرفة الحق المطلق بحملتها، ليس كمَنْ يستقبلها أو يتعلمها، بل هي تنبع فيه كمَنْ يمتلكها. وهو لما صعد إلى السماء، لا يكون كمَنْ يرتفع، أو يُرفع، فهو يحمل مجد الصعود في ذاته، لأنه هو على الأرض ليس كمَنْ يقيم أو يستوطن بل كزائر نزل من السماء لمهمة ورسالة — بالتجسد، فالسماء هي وطنه. لذلك فأمور السماء كلها هي معرفته الخاصة، وليس كأنه يتعرف عليها كشيء ليس له، فهي صورة من حياته جاء ليورِّثها لنا. وهنا فعل «**الصعود**» تم مرة واحدة مكتملة الفعل.

«نزل من السماء»:

«**نزل**» καταβάς وهو فعل في زمن الماضي البسيط aorist. ويلزم أن ننتبه أن قوله «نزل من السماء» هو التعبير الذي يتجسم لنا في قوله: «والكلمة صار جسداً» حيث جاء الفعل **صار** ἐγένετο أيضاً في زمن aorist كتعبير عن صحة حدوث التجسد في صميم الزمن. غير أن زمن الـ aorist لا ينفي استمرارية النزول، ولذلك جاء نفس الفعل في آية أخرى في زمن المضارع المستمر καταβαίνων الذي يفيد دوام النزول، لأن التجسد أو النزول فعل حدث καταβάς ولا يزال حادثاً καταβαίνων وقائماً إلى الأبد.

«لأن خبز الله هو النازل καταβαίνων من السماء، الواهب حياة للعالم» (يو٦: ٣٣) — يلاحظ هنا أن النزول في حالة الدوام — وموطن صاحب هذا الجسد هو السماء أصلاً: «ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم **الخبز الحقيقي من السماء**».

وكأنما الرسالة الأصيلة للمسيح التي نزل إليها من السماء هي ليعطينا جسده ــ على الدوام ــ خبزاً حقيقياً لنحيا به ــ على الدوام. أما الذين يُعْرِضُون عن هذا الخبز الحقيقي المحيي ويرفضونه، فحجتهم هي هذه: «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه فكيف يقول هذا إني نزلتُ من السماء» (يو٦: ٤٢)، «كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟» (يو٦: ٥٢). هذه هي عثرة **«إتضاع»** المسيح**!!** «وطوبى لمَنْ لا يعثر فيَّ.» (يو٦: ٤٢)

وليلاحظ القارىء أن **«النزول من السماء»** هو اصطلاح خاص بالله في العهد القديم: «... ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، لأنه في اليوم الثالث **ينزل الرب** أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء» (خر١٩: ١١)، «**فأنزل أنا** وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب.» (عدد ١١: ١٧)

وتُعتبر الآية التي نحن بصددها: «... إلاَّ الذي **نزل من السماء، ابن الإنسان، الذي هو في السماء**» شرحاً مبسَّطاً غاية التبسيط للتجسد على أساس آيات العهد القديم التي ذكر فيها **«نزول الله»** ولكن استُبدل فيها **«ابن الإنسان»** بدل كلمة **«الله»** بسبب **«ظهور الله في الجسد»** (١تي٣: ١٦). فإذا علمنا أن الذي «نزل من السماء» **هو ابن الله** حينئذ تتضح الآية: «لأني نزلتُ من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني.» (يو٦: ٣٨)

والآن إذا انتبهنا إلى مفهوم «النزول من السماء» بصورته العامة، نرى أن نزول ابن الإنسان في هذه الآية التي نحن بصددها (١٣) لا يختص فقط باستعلان أسرار السماء بل توصيل رسالة الخلاص والحياة الأبدية، أو باللغة التي تناسب نيقوديموس إعطاء الدخول إلى ملكوت الله.

كما يُلاحَظ أن هذه الآية (١٣)، لو دققنا في مشتملاتها من حيث **رسالة النزول ورسالة الصعود،** نجد أنها تجمع كل أعمال المسيح: التجسد ــ وأعمال الفداء والخلاص حتى الصعود. لذلك لا نستغرب أن الآية التي تأتي بعدها مباشرة (١٤) تتكلم عن أول فعل من أفعال الخلاص وهو الصليب، ولكن في صورة «ارتفاع». تعبيراً عن المجد الذي سيليه حتماً وذلك باستخدام رمز الحية.

٣: ١٤و١٥ «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان(١٠) لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

هنا بداية عمل ابن الإنسان، شرحها المسيح على مستوى فكر نيقوديموس معلم إسرائيل:

ويمكن شرح الموضوع هكذا: قصة سقوط الإنسان بدأت بالحية التي استطاعت أن تسرِّب الخطية القاتلة للإنسان. وقد أفلح الناموس (التوراة) على يد موسى (عدد ٢١: ٧) أن يصوِّر بالرمز الخلاص المزمع أن يتم للإنسان المسموم بشوكة الموت، أي الخطية التي هي من صنع الحية. فانتهز موسى فرصة انتشار الحيات المحرقة أي التي تتلمَّظ بلونها الضارب إلى الحمرة كالنار المحرقة — التي ترمز إلى جهنم — التي بدأت تفتك بالشعب غليظ الرقبة جزاء تمرده على الله مرة ثانية كأبيهم آدم. فأقام موسى بمشورة الله الذي يصوِّر أشباه السماويات وظلها، تمثال حية نحاسية حمراء وأقامها على عود من الخشب عالياً في وسط الشعب؛ وأمر أنَّ كلَّ مَنْ تلدغه حية، عليه **فقط أن ينظر إلى الحية بإيمان فيُشفى.**

فالحية، كرمز، هي حامة الموت؛ ولكن تمثال الحية النحاسية، هو حيَّة ميِّتة، سُمُّها مقتول. هكذا اختار الله أن تكون الحية النحاسية هي رمز المسيح الذي أخذ **خطية الإنسان ككلٍّ في** جسده ومات بها، فقتل الخطية بالجسد. لذا يُقال أن المسيح أمات الموت!! ودان الخطية بالجسد، أي حَكَمَ عليها حكماً مؤبداً بالعدم حينما مات بها ثم قام. وبقيامته أعطانا الصليب الذي صُلب

---

(١٠) لقد رجعنا الآباء في ما قالوه عن الحية النحاسية غير أننا لم نعثر على كل حقيقة.

فالقديس يوستين في حواره مع تريفو عندما سأله تريفو اليهودي عن هذا الرمز كان جوابه: [أنا لا أستطيع أن أعطي جواباً في هذا لأني ما لا سألت معلِّميَّ فلم يعطوني جواباً شافياً] (Dial., ch. 94, ANF. Vol. I, p. 246).

القديس أمبروسيوس يقول: [إن حيَّتي هي حية صالحة لأنه لا تخرج سمٌّ من فمها بل لدواء الشفاء] (في شرحه على المزمور ١١٣ عظة ٦ مقطع ١٥).

يقول أوريجانوس: [إن الحية النحاسية هي شبه المخلِّص، ولكنه لم يكن هو حية لكنه كان مثلها] (عظة ١١ على حزقيال مقطع ٣).

القديس غريغوريوس النيسي يشرح ذلك مطولاً فيقول: [إن الناموس يوضِّح لنا أن المنظور على الصليب كان على شبه الحية، ولكن لم يكن حية كما يقول بولس الرسول: «في شبه جسد الخطية» (رو ٨: ٣) لأن الحية الحقيقية هي الخطية، والذي يلجأ للخطية يأخذ طبيعة الحية. فالإنسان أُعتق من الخطية بواسطة الذي أخذ شكل الخطية وصار على شكلها وهو الذي تغيَّر بشبه الحية] (De Vita Moysis, PG 44,413,415). وقد حذا حذوه ذهبي الفم وثيئوفيلس الأنطاكي.

ويقول القديس إبيفانيوس أسقف قبرص نفس الفكرة تقريباً وأضاف: [إن الحية كانت تمثل المسيح. واليهود حينما عاملوا المسيح كأنه حية، فقد أصابهم سمُّ حية أي الشيطان، وحينئذ جاء الشفاء للذين عضَّتهم الحية حينما رُفعت الحية] (Haer. XXXVII, ch. 7, pp. 273 f).

القديس أغسطينوس يقول: [إن رفع الحية هو موت المسيح] (Aug., De pecc. mer. et rem., I, 32).

عليه كصك ينص **حكم إعدام الخطية؛ وموت الموت** حتى نُشهره أمام الضمير، وفي يوم الدينونة العتيد. فالآن، الذي ينظر إلى الصليب والجسدُ عليه ميتاً، مؤمناً بما صنع المسيح بالخطية، فهو يحيا «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط٢: ٢٤).(١١)

فلكي نفهم كل سر رفع الحية النحاسية في البرية، يلزم أولاً فهم الحقيقة التي قام عليها هذا الرمز قديماً. أي أن موت المسيح على الصليب وما تم بسببه من الخلاص والحياة من موت محقق — هو الذي يشرح معنى رفع الحية النحاسية في البرية. أي أنه يلزم قراءة الآية من الآخر كالآتي: «ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان — كما رفع موسى الحية في البرية»، لأنه بدون سرّ الحياة التي تمت بموت المسيح على الصليب، يبقى مثل الحية النحاسية المرفوعة في البرية لغزاً يستحيل حلّه.

«هكذا "ينبغي" "أن يرفع" ابن الإنسان»:

: so must = οὕτως δεῖ

كلمة **«ينبغي»** ضعيفة في تعبيرها عن المقصود في الأصل اليوناني، فكان الواجب أن تكون الترجمة **«يتحتم»** must، ولماذا يتحتم؟

في الحقيقة إن استخدام كلمة **«ابن الإنسان»** هنا هي تعبير مكشوف عن التجسد، فيلزم للقارئ أن ينتبه دائماً حينما يقابل كلمة «ابن الإنسان»(١٢) أن يترجمها في ذهنه إلى ما تم في التجسد، وخاصة **اتحاد اللاهوت بالناسوت** في شخص المسيح. فلأن ابن الله **«تجسد»**، أي صار «ابناً للإنسان»، فهنا **سرُّ الضرورة الحتمية أن يتألم** أي يرتفع على الصليب، لأنه لم يتجسد إلاّ لكي يتألم بالجسد ويموت ليتم الخلاص للإنسان: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة»!! (يو١٢: ٢٧) ولكن لأن الجسد متحد باللاهوت، فبمقتضى لاهوت ابن الإنسان **أصبح من المحتم وبالضرورة** أن يقوم ابن الإنسان ويرتفع، أي يصعد إلى السماء حيث كان!

ولكن لأن أسلوب ق. يوحنا في الإنجيل عميق غاية العمق ومتسع غاية الاتساع، وكل ذلك في اختصار بالغ الشدة، استخدم **هنا** بلسان المسيح **«الارتفاع»** لكي يشمل **الارتفاع على الصليب في ألم**، ثم بالتالي الارتفاع **أي الصعود إلى السماء في مجد**.

---

(١١) انظر ما جاء عن الحية النحاسية في المدخل ص ٩٨.

(١٢) راجع المدخل ص ١٩٦ - ٢٠٣.

والآن إذا عُدْنا لقراءة الآية مرة أخرى **من الأول**: «وكما رفع موسى الحية في البرية...» يظهر المعنى القوي المقصود وهو أنه كما حدث الشفاء للذين عضَّتهم الحية في البرية عندما رفع موسى الحية النحاسية، «هكذا يتحتم أن يُرفع ابن الإنسان» ليحدث الشفاء من الخطية والموت الذي من صُنْع الحية القديمة.

لاحظ أن في «الرفع» ὑψωθῆναι سواء كان للحية النحاسية أو المسيح يكمن سر الخلاص.

«لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»:

لا زلنا ننظر، بالتوازي، شعب إسرائيل في البرية وهو منطرحٌ على الأرض جثثاً هالكة من سُمِّ الحية، ولكن كلُّ مَنْ أطاع وآمن ونظر إلى تمثال الحية النحاسية عاش.

المنظر هنا يعود و يصوِّر المسيح مرفوعاً — في لغز — لأن ميعاد الصليب لم يَجِئْ بعد، والكلام لنيقوديموس. فكلُّ مَنْ يرفع قلبه بالإيمان إليه ينجو من الهلاك الأكثر من هلاك سُمِّ الحية المحرقة، الذي يورد الجسد إلى العطب، لأن هلاك عدم الإيمان بالمسيح يغلق على الإنسان في حضن الحية القديمة (إبليس) التي تمتص منه رحيق الحياة أولاً بأول، ولا ينتظر بعد الموت إلاَّ الموت، حيث نشيد الهاوية: «إذا رَجَوْتُ الهاوية بيتاً لي وفي الظلام مهَّدتُ فراشي، وقلتُ للقبر أنت أبي وللدود أنت أمي وأختي، فأين إذاً آمالي، آمالي مَنْ يعاينها؟ تهبط إلى مغاليق الهاوية إذ ترتاح معاً في التراب.» (أيوب ١٧: ١٣—١٦)

«تكون له الحياة الأبدية»:

الذي كان ينظر إلى الحية النحاسية كان يقوم ويحيا، تماماً وهكذا مَنْ بالإيمان ينظر إلى المسيح ἐθεασάμεθα تدبُّ فيه عناصر الخلود، وتنسحب منه قوى الموت والفساد فلا يسود عليه الموت بعد، لأنه بعد الموت تكون له الحياة الأبدية!!

و يلذ لنا أن نتأمل في أسلوب الآية البديع في قوله «تكون "**له**" **الحياة** الأبدية»، وليس مجرد «يحيا إلى الأبد» وكأن الحياة الأبدية لم تعُدْ مِنَّة أو حَسَنة من حسنات الله عليه، بل تصبح الحياة الأبدية له وكأنه **يمتلكها**، فتحلُّ كل بركاتها عليه. و بأسلوب القديس بولس الرسول لا يمتلكها فقط بل **«يرثها»!!**

١٦:٣ **«لأنه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتى بذلَ ابنه الوحيدَ لكي لا يهلِكَ كلُّ مَنْ يؤمنُ به بل تكونُ له الحياةُ الأبدية».**

نلاحظ أن في الآيتين المتلاحقتين تتكرر نفس الكلمات **«لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به»**. هذا هو التشديد الذي أتت من أجله الآية الثانية، فالتركيز فيهما هو على **الإيمان**. الكلام مُوَجَّه لنيقوديموس، ليس العمل بالناموس هو الذي يؤدي إلى الحياة الأبدية ولا التعليم ولا الآيات بل **«الإيمان»**. والمسيح إذ أعطى مَثَل ورمز الحيَّة النحاسية، يعطي أبسط صورة **للإيمان بكلمةٍ** وعد الله على يد موسى أن مَنْ ينظر إلى الحية النحاسية المرفوعة يُشفى؛ ثم يطبِّق على ابن الإنسان، ليرتفع بالإيمان من مجرد كلمةٍ وعدٍ إلى استعلان أول وأبسط صورة للفداء: «ابن الإنسان» مرفوعاً عن الأرض بمعنى الموت، ثم يكمِّل الاستعلان إلى أقصاه أن ابن الإنسان المرفوع عن الأرض هو في حقيقته ابن الله المبذول للموت.

كان منظر الحية النحاسية معلقة على عود مرتفع في وسط إسرائيل منظراً عجيباً وغريباً، ليس على الشعب الموجوع من الحيَّة فقط بل وعلى جميع علماء اليهود والربيين. فهذه الحادثة أو المعجزة لم يستطع الفكر اليهودي أن يلاحقها.

فكم بالحري مثيلتها أن «يُرفع ابن الإنسان» ليكون منظراً للناس (ميتاً على خشبة)، حتى كلُّ مَنْ ينظر و يؤمن، ينجو من الهلاك الأبدي و يأخذ نصيباً في الحياة الأبدية. صحيح أنه منظر معروض للإيمان، والإيمان لا يعتمد على المنظور. ولكن ما هو جوهر هذا المظهر؟

هنا يتحتم «الإرتفاع» فوق هذا الرمز القديم، ونتجه إلى السماء لكي نكتشف السر والجوهر عند الله:

«لأنه هكذا أحب الله العالم» ــ سر محبة الله للعالم:

«لأنه» γάρ ، **«لأن»** يأتي بعدها جملة مسبِّبة تفيد رداً على كل ما سبق وأُشكل فهمه. المسيح هنا يعطي العلَّة والسبب في قوله «ينبغي **أن يُرفع ابن الإنسان**»، «كما **رُفعت الحية** على العصاة في البرِّية»، بل و يعطي العلة والسبب في ورود نفس هذه الحادثة قديماً باعتبارها عملاً نبوياً بالتمثيل، فَكَّ المسيح رموزه في مفهوم الصليب. ويمتد الجواب أيضاً ليعطي العلَّة والسبب بل والمعنى في قول المعمدان: **«هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم»** (يو١: ٢٩)!! أما العلَّة والسبب فهي أن **«الله أحبَّ العالم»!!!**

موسى رفع الحية النحاسية في البرية، لا لكي يُشفى، بالنظر إليها، الشعبُ الموجوع من عضَّة الحية فقط، بل لتكون تصويراً نبوياً بالغ الدقة والتمثيل للعالم كيف يُشفى بالنظر إلى المسيح المصلوب الذي امتصَّ سُمَّ الحية، فأفرغ الحية من سمِّها وأبطل مفعول السم بجسده القائم من الموت حيًّا.

المسيح هنا يربط ربطاً غاية في الإختزال والقوة بين حب الله للشعب الذي اقتناه لنفسه وحبِّه للعالم أجمع بكل أممه، بقوله: «**كما رفع موسى الحية**»، **هكذا** «ينبغي أو يتحتم أن **يُرفَع ابن الإنسان**». والمقارنة بين الحُبَّين، حب الله لإسرائيل وحب الله للعالم، تبدو شاسعة البون جداً. فأي نسبة هذه بين التفريط في قطعة نحاس مطروقة على شبه حية ميتة، وبين التفريط والبذل للموت لابن الإنسان الذي هو في الحقيقة الابن الوحيد لله على الصليب!! أو بين شفاءٍ من عضَّة حيَّة لمتابعة حياة على الأرض، وبين شفاءٍ من موت الخطية لقبول حياة أبدية!!

فلو عرفنا أن «حب الله» يخص طبيعته الأزلية، لأدركنا أن الأمور التي جرى عملها في القديم من جهة رفع الحية النحاسية ثم فك رموزها برفع ابن الإنسان على الصليب التي بدأ المسيح هنا يطرحها في وعي الإنسان، قد سبق وتم تجهيزها في المشورة العليا الأزلية!

مركز العالم عند الله:

لقد كانت التوراة كلها بكل أسفارها شحيحة غاية الشح من جهة ذكر أو حتى تلميح عن محبة الله للعالم. فالأمم في الأسفار منبوذون، بل ولم يفرق أي قول نبوي بين الأمم والأصنام؛ فوضْعُهُم كان موضعاً واحداً دائماً، وامتد هذا التقييم عند اليهود حتى رأوا الأمم «كلاباً» أو في مصافِّهم. في حين نسمع أن الله سبق «**فوعد**» إبراهيم أبا الجنس اليهودي عامة أن في نسله (بذرته) **تتبارك كل الأمم!** من هذا نفهم أن الأمم كانوا ذوي ذكر وحب مكتوم عند الله، وإنما من وراء اليهود الشعب المختار.

ثم إذ نخطو خطوة أخرى، نرى من ثنايا هذا الوعد أن الشعب اليهودي إنما اختير ليكون خميرة جيدة يُلقي فيها الله ببذرة الإيمان والتقوى والعبادة والإخلاص لله، مع محبة خاصة حتى تتخمر الخميرة بفضائل معرفة يهوه وحبه، ثم يعود و يوزعها على كل الأرض لتخمر العجين كله. أو بصورة أوضح أن الله اختار وأحب شعب إسرائيل في إبراهيم **من أجل بركة العالم كله!**

فلما بدأت تفسد الخميرة ــ إلا الجزء اليسير منها ــ فتح الله الباب للأمم لترث ميراث الله في قطعة الخميرة النموذجية التي نجحت وصلحت. وحينئذ صار من العدل وَقْفُ كل الصلات الممتازة والعطايا السخية والعناية الفائقة المحصورة في شعب إسرائيل؛ ليتيسر نقلها إلى الأمم بصورة أعم

وأشمل، وعلى مستوى العقل والروح لا الجسد. هذا أوضحه الإنجيل من فم الرب عند قوله: **«وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تُكمَّل أزمنة الأمم»** (لو٢١: ٢٤). ثم أوضحها بولس الرسول بالروح: «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء، **أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم**، وهكذا سيخلُص جميع إسرائيل... من جهة الإنجيل **هم أعداء من أجلكم** وأما من جهة الإختيار فهم أحباء من أجل الآباء، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة.» (رو١١: ٢٥—٢٩)

كل هذا يوضح أن الله كان يحب العالم، ولكنه لم يستطع أن يمارس حبّه في عالم كان يعبد المخلوق دون الخالق. ولكن لما نضجت الشعوب وبدأت تقرع باب الله انفتحت أحشاء رحمة الله وانكشف سرُّه المخفي الذي كان محجوزاً عن أعين الشعب المدلَّل.

إبراهيم وابنه الوحيد المحبوب المقدَّم ذبيحة؛ وسر بركة الأمم:

وإذا عدنا إلى قصة إبراهيم وكيف قدم **«ابنه الوحيد اسحق الذي يحبه»** بنية تقدمته ذبيحة طاعة لصوت الله، نرى الصورة الأصلية لحب الله نحو العالم المدَّخر في قلب الله منذ الدهور الذي «كان كائناً قبل أن يكون إبراهيم».

فقبل أن يطلب الله من إبراهيم أن يقدم ابنه ذبيحة، وَعَده على أساس **تقواه** أن يكون أباً لأمم كثيرة: «أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون **أباً لجمهور من الأمم**، وأُثمرك كثيراً جداً **وأجعلك أمماً**، وملوك منك يخرجون» (تك١٧: ٤—٦). وبعد أن أطاع إبراهيم ودخل التجربة ونجح وقدّم ابنه فعلاً وفي يده السكين، أن ناداه الله: «وقال بذاتي أقسمت يقول الرب أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أُباركك مباركة وأُكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر **ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي.**» (تك٢٢: ١٦—١٨)

واضح، إذن، أن الله أحب العالم في إبراهيم قبل أن يكون شعب إسرائيل. ولكن لماذا طلب الله من إبراهيم أن يقدّم ابنه وحيده الذي يحبه إسحق ذبيحة؟؟

لقد كان في هذه القصة أول وأعظم نموذج أو آية نبوية أو رمز[١٣] فيه **إفصاح عن نيّة الله**

(١٣) إعلم أن الرموز هي أفعال تتم بالشكل لحساب التكميل بالجوهر والفعل، فهي جزء لا يتجزأ من الواقع العملي، ارجع للمدخل صفحة ٢٨٧—٢٨٨. وارجع أيضاً إلى شرحنا للقب ἐγώ εἰμι حيث نبيّن «كيف رفع المسيح الرمز إلى حق يُعاش لما استعمله في ذاته» (المدخل صفحة ٢٤٢).

في **خلاص العالم بتقديم ابنه وحيده الذي يحبه على الصليب**. ففي هذه القصة تذكرة دائمة لليهود خاصة، لكي يدركوا **نيته من نحو العالم**؛ قبل أن يوجد اليهود، حتى إذا جاء دور التنفيذ يكونون على بيّنة، وقصها أيضاً للعالم عامة ولكل الأمم مُسجلة في الأسفار بغاية الوضوح، لكي يطّلعوا على نيّة الله منذ القديم من جهة نصيبهم المعدّ المدخر لهم في مخازن مراحم الله، حتى إذا جاء الميعاد لا يقولون لماذا كنت قد نسيتنا هذا الدهر كله؟

ولكن لمن قدّم إبراهيم ذبيحته، ومن أجل مَنْ كان هذا كله؟

واضح أن الله وضع هذا النموذج العالي السرّية لينفذه إبراهيم في ابنه وحيده إسحق أبي الشعب الإسرائيلي كله **من أجل الأمم!!!** لأن أجر إبراهيم عن هذه الطاعة العظمى لم يأخذه إبراهيم لنفسه، **فهو لم يرَ الأمم ولا دري ببركاتها، بل أخذه العالم بسببه أو عوضاً عنه!!** وقد نفذه إبراهيم بالنية أعظم وأكمل تنفيذ، فأكمل التاريخ صورة هذا التدبير الإلهي بأن صار شعب إسرائيل ضحية لتدخل **الأمم** مجال حب الله عوضاً عنهم. ولكن بقي الفعل أو التنفيذ الفعلي، هذه الدهور السالفة كلها، ليُلقى أخيراً على ابن الله الوحيد لكشف سر هذا الحب:

«حتى بذل ابنه الوحيد»:

يلاحظ في الآية السابقة أن الذي «**رُفع**» **هو ابن الإنسان**، وهنا في هذه الآية الذي «**بُذل**» في **مضمون الإرسال** هو «**الابن**»، وهكذا يتدرَّج المسيح من «رفع الحية» إلى «رفع ابن الإنسان» إلى إرسالية «الابن الوحيد»، تدرُّجاً من أسفل إلى أعلى.

هنا أول استعلان عن «**أبوة الله**» في إنجيل ق. يوحنا بعد المقدمة. ويلاحظ القارىء أن التركيز هنا على «**الله كأب**» بالرغم من أن البذل واقع على الابن كما حدث في إبراهيم وابنه إسحق!! فعملية الخلاص تبدأ من الله وليس المسيح، والجهد الشعوري وآثار «البذل» بل والتضحية الإلهية واقعة على **الآب** أكثر مما هي واقعة على الابن: «الذي **لم يُشفق** على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!» (رو٨: ٣٢). وإن كان الآب لم يشفق على ابنه، فهو في الحقيقة وعين الأمر لم يشفق على نفسه؛ فالابن قائم في الآب قياماً كلياً لا يمكن أن يحدث له شيء بدون شركة الآب. إن طاعة إسحق لأبيه لما حمل «الحطب على ظهره» (الصليب) وقدّمه على المذبح الذي بناه إبرهيم أعطيا لإبراهيم أبيه الكرامة المضاعفة في عين الله، مع أن التضحية كانت في إسحق، إلا أن قوة الذبيحة وطاعتها تركزت بصفة نهائية حساب إبراهيم الأب!! بل إن قوة الذبيحة التي **قدّمها** «إبراهيم» بالنيّة كأب **هي التي عادت بالبركة على كل شعوب الأرض!** هكذا فكل الذي صنعه المسيح وصُنع في المسيح هو لحساب الآب.

القمص بطرس السرياني

من هنا نفهم لماذا ألحّ المسيح في إنجيل ق. يوحنا أن يعطي **كل الكرامة وكل المجد مع كل المشيئة وكل العمل، وكل القول**، للآب بل وحتى الكأس: «الكأس التي **أعطانيها الآب ألا أشربها**» (يو١٨: ١١)، وكأنها كأس الآب!

لذلك من اللائق جداً أن ننتبه إلى أن الخلاص كله الذي أكمله المسيح في هذا البذل الذي تحمّله الابن هو بالأساس «**عملية حب قائمة في قلب الله ومنتهية إليه**»، ولكي **نُقيِّم هذا الحب الأبوي لله من نحو العالم**، يكفي أن نقيس **مقدار البذل ونوعه**، فهو ليس مسألة فكر أو مجرد مشيئة أو تنازل من جهة الله في تحمُّل أي تضحية من جهة الكرامة، بل إن البذل **عملية مسّت طبيعة الله** وجرحت مشاعر الأبوّة الإلهية في عمق ذات الله كأب يبذل ابنه للعبودية والمذلة والموت!! إذ تغرّب ابن الله الوحيد، القائم في حضن الآب، على الأرض في الجسد الذي قَبِل فيه الإهانة والاحتقار والظلم والاضطهاد والجَلْدة ثم الملاحقة للقتل حتى الذبح على الصليب، والآب تحمّل عمق المعمل ونتائجه. وهذا واضح من قول المسيح: «**العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه**» (يو١٧: ٤). هذا هو قياس درجة حب الله من نحو العالم. وليس بين درجة **حب الله من نحو العالم** ودرجة **البذل التي عاناها الله في** ابنه أي مبالغة بل هي **موازنة** في الحجم والقدر، فالبذل مساوٍ لدرجة الحب تماماً.

فالحب تساوى مع البذل، والبذل جاء متساوياً مع الحب. وهذا الارتفاع الصارخ والباهظ في الثمن المدفوع جاء مساوياً للنتيجة المطلوبة وهي خلاص العالم وفداء وتبني الإنسان!!

وهنا يتبلور السر الخطير وينطق نطقاً أن **الفداء بالابن الوحيد، أنشأ ــ ولا بد أن يُنشيء ــ بنوّة فريدة للإنسان!**

فالله كان لا يمكن أن يفرّط في ابنه ولا يشفق عليه، إلا إذا كان الثمن والهدف مساوٍ بين تماماً للبذل! فبنوّة الإنسان لله التي آلت للإنسان بموت الابن الوحيد كريمة وكريمة جداً في عين الله الآب.

وبالنهاية نجد أن محبة الله للعالم تعادلت مع بذل الابن الوحيد على الصليب تمام التعادل، وبذل الابن الوحيد على الصليب تعادل تماماً مع منح الإنسان درجة البنوة لله حبّاً وصُلحاً وسلاماً ومسرةً.

إذن، كم بالحري ينبغي أن تكون هذه الهبة، هبة **التبنّي**، كريمة وعزيزة وفائقة القدر عندنا؟

«لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»:

هنا يضع المسيح قوة «**حب**» الله الآب الذي أنشأ قوة «**بذل**» عالية القدر والقيمة ــ اشترك فيها الآب والابن معاً ــ لتساوي في فعلها «**رفع الهلاك**» عن الإنسان.

أما بالنسبة لقياس حالة الهلاك التي يرزح تحتها كل إنسان في العالم فذلك يمكن قياسه: فمن جهة الإنسان نجد الخطية قد ملكت على الإنسان غرائزه وسلوكه، فأفقدته الحركة نحو الحق والبر والتعفف، وورّثته العجز في الرؤية، فغاب الله القدوس وارتضى الإنسان بالموت كنهاية لشقائه على الأرض.

أما من طرف الله فقد وقفت الخطية من الإنسان موقفاً معادياً من الله، فصارت كحجاب عازل ليس فقط يحرم الإنسان من الاتصال المباشر بالله، بل ومنعت الله من أن يسكب حبه على الإنسان الذي خلقه على صورته ليعيش معه ويستمتع بالحياة الأبدية خلواً من حزن أو كآبة أو تنهُّد في نوره العجيب.

فكان لا بد أن تُرفع الخطية من الوسط بكل آثارها المخرِّبة والمهلكة من جهة الإنسان وفي نظر الله معاً، لكي يسكب الله حبه من جديد.

أما من جهة الإنسان: فتحتم أن يولد من جديد، يولد ثانية من الله كما جبله الله يوم جبله في المرة الأولى، إنما هذه المرة ليس بمجرد نفخة بل باتحاده بروح الله، خلقة جديدة بكل مواهبها السماوية.

أما من جهة الله: فبأن تنفتح أحضان مراحم الله الأبدية بلا مانع ليصنع بابنه خلاصاً أبدياً وليسكب محبته، كل محبته الأبوية في قلب الإنسان ومعها الحياة الأبدية بعمل روح الله القدوس.

وبالنهاية نرى في هذا الفصل عوامل الأساس الراسخ الذي أرساه الله لتكميل خلاص العالم:

العامل الأول فيها، وهو الأمر الذي قضى به الله قضاءً، وانتهى ولن يتراجع عنه، ولا يمكن التراجع عنه، هو أنه **أعلن عن حبه عملياً «هكذا أحب الله العالم» بتقديم حياة ابنه على الصليب** من أجل كل إنسان.

العامل الثاني إرسال روحه القدوس «**الريح تهب حيث تشاء**» كوعد ثابت من جهة الله لا يفارق الإنسان، بل يسقيه الروح والمحبة والحياة، والامتداد بوعي الإنسان لفحص أعماق الله

والإغتذاء من نعمته. وقد أكمل الله وعده هذا بعد أن أكمل الابن الوحيد أساسيات الخلاص والفداء.

والعامل الثالث لتكميل هذا الخلاص ولإطلاق هذه المحبة لتعمل عملها بلا مانع في طبيعة الإنسان لتخلقها من جديد، لزم **إيمان الإنسان** «كل من يؤمن به...». ولكن الإيمان المطلوب ليس بالفكر ولا بالجهد والقياس، ولكن **«الإيمان بحب الله وتصديق وعده»** الذي هو مستعد على مستوى القَسَم الذي أقسم به لإبراهيم، بأن يستقبل الخاطىء يوم يعود إليه ربما هكذا: 'بذاتي أقسمت يقول الرب — "بذل ابنه" — لأنك آمنت بابني الذي بذلته على الصليب من أجلك فإني أباركك بركة... وأجعلك فيه ابناً لي لأجل أنك صدَّقت حبي!' في هذا يقول حزقيال النبي: **«حيٌّ أنا، يقول السيد الرب، إني لا أُسَرُّ بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا»** (حز٣٣: ١١). وهكذا ليس على الله عمل أكثر من المحبة التي تحققت بموت ابنه عن كل خطاة الأرض، كما ليس على الإنسان عمل أقل من الإيمان بهذا الحب وهذا البذل ليقبل الحياة ويحيا.

المفردات اللغوية للآية:

«أحبَّ»: ἠγάπησεν

أقوى صياغة باللغة اليونانية للتعبير عن المحبة(١٤)، وقد جاءت المحبة هنا مُشَدَّدة بأكثر من معناها حينما أضاف إليها «هكذا» أو «بهذا القدر أحب الله». وللعلم، فإن ق. يوحنا استخدم «أحب» «أغابي» في إنجيله ٣٦ مرة، وهذا يكشف عن ضرورتها الملحَّة في التعبير عن لاهوت ق. يوحنا أو بالحري علاقة الله بالناس. وهذا واضح غاية الوضوح في أنه جعل «المحبة» توازي في فعلها التجسد والموت معاً. «هكذا **أحب**... حتى **بذل**...» ولكن هذا الحب بهذا القدر والتكثيف والفعل الممتد، سواء في التجسد بكل أصالته وجماله، أو في الموت بكل هيبته وجلاله، لا يُدرَك قوته حقاً أو يُستعلن عمقه وطوله وعرضه وارتفاعه إلا في الذي يؤمن بالابن، فينال هذا العطاء بكل سخائه و يعيش هذه الحقيقة الإلهية، وحينئذ يتحقق فعلاً أن الله محبة.

«بَذَلَ»: ἔδωκεν

في الحقيقة الترجمة العربية هنا غنيّة، فقد جاءت بالمعنى ووفَّت حق امتداده ليشمل **«الإرسال»** إلى العالم بالتجسد، كما يشمل تقدمته مبذولاً على الصليب.

---

(١٤) راجع المدخل صفحة ١٧٠ الفقرة الأخيرة بالذات.

ومما يحقق لنا هذا المعنى المتسع للكلمة، كيف استخدمها بولس الرسول لتوفي نفس المعنى هكذا: «الذي **لم يُشفِقْ على ابنه** بل **بذله** = παρέδωκεν لأجلنا أجمعين، **كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!!**» (رو٨: ٣٢)

«ابنه الوحيد»: τὸν μονογενῆ

«ابنه الوحيد» جاءت هنا لتزيد من معنى فداحة البذل وقوة الحب معاً. ولا تخلو هذه الكلمة «ابنه الوحيد» من تلميح غاية في الرقة والحساسية إلى المساوي الأقل والضعيف ــ ومع الفارق ــ عند إبراهيم بالنسبة لإسحق!

«لكي لا يهلك»: μὴ ἀπόληται

هذه الكلمة تُعتبر من خصائص اللغة عند ق. يوحنا، وهي إما تأتي غير متعدية (بمعنى يَهلَك) أو متعدية على مفعول به (بمعنى يُهلِك)، وقد يكون في هذه الحالة المفعول به هو نفس الفاعل بمعنى أن الإنسان (يُهلِك ذاته)، وحينما تأتي غير متعدية قد يكون المعنى الضياع أو الفقدان «اجمعوا الكسر الفاضلة لكي **لا يضيع** شيء μή τι ἀπόληται» (يو٦: ١٢)، أو قد يكون المعنى **«الهلاك»**، كما جاءت هنا: «لكي **لا يهلك**» (يو٣: ١٦)، أو قد يكون المعنى «الزوال والإبادة»: «اعملوا لا للطعام **البائد** ἀπολλυμένην بل للطعام الباقي للحياة الأبدية.» (يو٦: ٢٧)

وواضح أن الهلاك أو الفناء أو الإبادة هي نصيب الشيء أو الشخص الذي ينفصل عن الله و يبقى متمركزاً في نفسه.

«الحياة الأبدية»: ζωὴν αἰώνιον

في غير إنجيل ق. يوحنا تعني حياة الدهر الآتي بحسب مفهومها اليهودي الرباني التقليدي، ولكن عند ق. يوحنا تميل أكثر إلى معنى الحياة التي بلا نهاية أو الحياة مع الله **«كعطية حاضرة»** الآن من الله، وهي تقابل ملكوت الله في الأناجيل الأخرى. وملكوت الله أيضاً عند ق. يوحنا، ولو أنها عطية الدهر الآتي، ولكن المسيح بدأها الآن وصارت حقيقة مُعاشة في المسيح. (١٥)

(١٥) أنظر المدخل صفحة ١٣٦ــ١٣٨ بخصوص الحياة الأبدية المعاشة منذ الآن بحسب مفهوم ق. يوحنا.
وانظر أيضاً شرح الآية يو٣: ٣ بخصوص الترادف بين معنى الملكوت والحياة الأبدية في إنجيل يوحنا (صفحة ٢٠٧ من هذا الكتاب).

١٧:٣ «لأنه لم يُرسِلْ الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليَخلُص به العالم».

«قد شمَّر الرب عن ذراع قُدسهِ أمام عيون كل الأمم
فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا.»
(إش٥٢ : ١٠)

يلاحظ القارىء ازدواج الفكر السلبي ثم الإيجابي. ففي السالفة «... جاء لكي لا يهلك، بل يكون له الحياة». وهنا «لا يدين بل ليخلص». هذا أسلوب ق. يوحنا وهو نوع من التحديد القاطع للمعنى، كما سيجيء في الآيات القادمة أيضاً الإيجابي ثم السلبي: «الذي يؤمن لا يدان والذي لا يؤمن فقد دين».

كما سيجيء أيضاً في الآية بعد القادمة: «أحب الظلمة أكثر من النور، كل من يعمل السيئات يبغض النور وكل من يفعل الحق يُقْبِل إلى النور».

كانت كل تحقيقات الربيين عن نبوات مجيء المسيّا تفيد أنه سيعلّي من شأن الأمة و يدين الشعوب و يسحق الأمم و يبيدها، وكان روح هذا التعليم بالذات أحد العثرات والمعوقات التي وقفت حائلاً دون قبول المسيح، وكان نيقوديموس أحد الأئمة الذين تشبعوا بهذه الروح العدائية نحو أمم العالم و يقابلها روح التعالي والفخار بالعنصرية اليهودية والإعتداد الشنيع بالفريسية وإتقان التعليم بالحرف. هنا يصحح المسيح و يوضح أن هدف المسيّا الأساسي هو الخلاص لكل أمم العالم وليس الدينونة. وإن تحتمت الدينونة، فلا تكون هدفاً لمجيء المسيّا قط، وإنما جزاءً للذين انعمت بصائرهم وانسدَّت آذانهم وصاروا من سواقط الخلاص، وهذا وذاك لليهودي قبل الأممي!!

ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن الحكم بالدينونة والموت والهلاك هو القانون الذي يرزح أصلاً تحته كل بني آدم، لأن الكل وُلد بالخطية والكل أخطأ وزاغ. والمسيّا جاء ليرفع الخطية، و بالتالي قانون الموت واللعنة، فالذي يرفضه يحكم على نفسه بالبقاء تحت الخطية واللعنة!!! بل و يكمّل، برفض المسيح، مكيال خطاياه.

والذي يفحص فكر إنجيل يوحنا يشعر كأنه يدافع عن شيء و يرفع الملامة عن الله! نعم، فقد حدثت الكارثة وسقطت أورشليم واندكّت حتى التراب وتخرَّب الهيكل وحُرق عن آخره. هذه هي الخلفية التي يكتب ق. يوحنا على ضوئها إنجيله. فهو يستميت ليبرىء الله من كل ما حدث، الذي بدا وكأنه نقمة مروعة حلّت بالمعاندين، فالعلامات بحسب النبوات كانت واضحة في سلوك

كل الطبقات المتعلّمة مع كل أعضاء المجمع مع غالبية الشعب، إن لم نقل كله في رفض صوت الكلمة، إلا أفراداً يعدون بالعشرات وحسب.

ق. يوحنا يكتب إنجيله الآن ونحن في نهاية القرن الأول، وأورشليم سقطت بهيكلها سنة ٧٠م، أي مضى الآن ثلاثون سنة تقريباً، وقد تشتت الشعب وخربت البلاد وانتهى اليهود إلى الصفر، لذلك يقول إن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، أي لم يكن خراب أورشليم وتهدُّم الهيكل وحرقه على مستوى الدينونة. لأن رسالة الابن الوحيد هي تنفيذ وصية الحب الأبوي من نحو العالم للخلاص حتى لا يهلك أحد، كلٌّ من يؤمن. أما ما حدث لأورشليم والهيكل وللأمة اليهودية، فهو النصيب الذي حدَّده المسئولون مع الشعب لأنفسهم؛ لقد حكموا بأنفسهم على أنفسهم بانتهاء زمان الحب لما رفضوا الابن الحبيب، وحكموا على الهيكل بالهدم لما هدموا هيكل ابن الإنسان بالرغم من تحذيره لهم. لقد سَعَوْا في الظلمة ضد النور، فأدركتهم الظلمة وانتهى لهم زمن النور. أما الذين كانت أعمالهم صالحة، فهؤلاء أحبوا النور وتقبّلوا رسالة الحب: «بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به.» (١يو٤: ٩)

وواضح أن إنجيل ق. يوحنا يضع الحب في رأس قائمة هذه الآيات، حتى يرفع من الدينونة رائحة البُغضة الإلهية؛ فالذين خلصوا بنداء المحبة ظهر فيهم فعل المحبة، والذين رفضوا نداء المحبة دخلوا تحت الحرمان منها بإرادتهم. فالدينونة أصبحت حرماناً من محبة الله وليست غضباً منسكباً عليهم.(١٦)

والقصد كله الذي يريد أن يخلص إليه الإنجيل هو أن المحبة أصل الدينونة والمتسببة فيها، لأنه لولا المحبة ما كان خلاصٌ ولولا الخلاص ما كانت دينونة. وهذا هو سلاح المحبة الرهيب ذو الحدين.

١٨:٣ «الذي يؤمن به لا يُدانُ؛ والذي لا يؤمنُ به قد دِيْنَ، لأنه لم يؤمنْ باسم ابنِ اللهِ الوحيدِ».

يلاحظ اختلاف الفعلين «لا يُدان» و«قد دِينَ». فالذي يؤمن، يكون قد خرج من دائرة

(١٦) يمكن للقارىء الذي يطلب شرحاً مزيداً لهذه النقطة أن يرجع لكتاب: «الحدود المتسعة للإيمان بالله» للمؤلف، ص٥٢ إلى ٦٣.

الدينونة أصلاً وكلاً لأنه صار «في المسيح». أما الذي لم يؤمن فقد خرج من دائرة المسيح والخلاص وصار في الوجه المعادي. لأن عدم الإيمان باسم ابن الله هو عدم الإيمان بالله وبالخلاص الذي تم باسمه. ويلاحظ أن كلمة «الوحيد» جاءت هنا للتذكير بالمحبة، فهو الابن الوحيد لأنه المحبوب، فهنا يكون عدم الإيمان قد بلغ إلى مجافاة محبة الله، بل وتعدى عدم الإيمان بالمحبة إلى عدم التصديق، وكأنه يجعل الله كاذباً. فمجيء ابن الله برسالة حب الآب الذي أنهى على حالة الركود التي كان يعيشها العالم، قد قسمه في الحال إلى مؤمن مُستقبِل لرسالة المحبة، وغير مؤمن رافض لرسالة المحبة؛ وبالتالي إلى مخلَّص وغير قابل للخلاص، وغريب عن روح الله أي قائم في الموت بعيداً عن الله!

والدينونة على هذا هي من عمل رفض الإيمان وليست من عمل الله. ولكن الأصل والأساس هو الإيمان الذي جاء به المسيح للحياة: «الحق الحق أقول لكم إنَّ مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو٥: ٢٤)

ولكن إنجيل ق. يوحنا لا يقطع خط الرجعة على من يرفض الإيمان، بل طالما هو رافض للإيمان فهو واقع تحت الدينونة لأنه هو نفسه الذي يصنع لنفسه الدينونة برفضه؛ ولكن إذا رجع وقبل الإيمان، يكون قد خرج من الطوق الحديدي الذي وضعه بنفسه في رقبته: «لأنكم إنْ لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم» (يو٨: ٢٤)، «ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور.» (يو١٢: ٣٦)

فالمسيح باقٍ كما هو، وصوته قائم يدعو للخلاص، وكلمة الإيمان في فمك إنْ نطقتها ربحت نفسك والحياة. فالمناداة بالدينونة في إنجيل ق. يوحنا نشأت بسبب الكرازة بالخلاص وليست لتهديد أو وعيد للذين لا يؤمنون، والإنجيل أصلاً موضوع لغير المؤمنين ليكونوا مؤمنين. ولكن نبرات التحذير هي التي تطغى على الكارز خوفاً على حياة الإنسان. لذلك فالمطالبة بسرعة القطع إما مع النور أو الظلمة، هو اختيار بين الحياة أو الموت؛ ليس للتخويف بل للترغيب؛ لأن صوت الله منذ القديم يقول: «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك.» (تث ٣٠: ١٩)

١٩:٣ «وهذه هي الدينونة إنَّ النورَ قد جاءَ إلى العالم وأحبَّ الناسُ الظلمةَ أكثرَ من النورِ لأن أعمالَهم كانت شريرةً».

هنا يربط ق. يوحنا «الدينونة بالنور». ولكي تظهر الدينونة بمعناها الأعمق نقول إنها

القضاء. فالقضاء لا يمكن أن ينعقد لواؤه إلا بوجود أداة التمييز بين الخطأ والصواب للحكم بالعقاب أو البراءة. ونحن هنا بصدد الروحيات، فالقضاء أداته الوحيدة هي النور الإلهي الذي يفرّق بين أعمال الظلمة وأعمال النور.

فيقول ق. يوحنا أنه بمجيء النور إلى العالم وجب القضاء وتحتم، لأن العالم به الشر أصلاً وبه الخير أيضاً؛ فكل من ينحاز إلى النور فهذا يوضح أنه أحب النور. والذي يرفض النور معناه أنه أحب الظلمة أكثر من النور. والنور هنا في هذه الحالة هو أداة التعريف والتمييز، وفي نفس الوقت هو القاضي. من هنا جاء الإلتباس أن الذي يبغض النور ويقع عليه العقاب يبدو كأن هناك عداوة أو نقمة بين القاضي وهو المسيح وبين الرافض للنور. ولكن لرفع هذا الإلتباس نقول إن القاضي يحكم بمقتضى قانون ولا يحكم حكماً كأنه من عنده، ولكن الحكم أو الدينونة منشأها النور كأداة أو قانون، وليس القاضي نفسه، فالقاضي يحكم بما يحكم به النور أو قانون النور، وقانون النور مطلق أزلي وليس وضعياً أو مجرد اجتهاد أو تفكير شخصي.

بدخول النور، وهو المسيح، ومعه الحق الإلهي إلى العالم انقسم العالم إلى مُحبّي النور ومُحبّي الظلمة وبدأ في الحال روح القضاء يأخذ عمله.

والذي يجعل القضاء يطالب بحقه من الآن هو التقرير النهائي الذي اتخذه الذين رفضوا النور، لأنهم «أحبوا» ἠγάπησαν، وهذا فعل في اللغة اليونانية aorist يفيد القرار القاطع المنتهي منه في محبة الظلمة، والخطورة الكبيرة هنا هي أن هذا الحب الذي ينتمي إلى نوع من العشق أو الارتباط هو ليس فقط حباً لأعمال الظلمة من سرقة وزنى وفجور وكذب وعداوة؛ بل إن هذه الأعمال تمتد لتتعاقد مع أقنوم الظلمة ــ رئيس هذا العالم ــ وهو القوة المشخَّصة المحرِّضة على أعمال الشرور. من هنا جاء القضاء كعمل لا مناص منه لكبح جماح القوة الشريرة والحد من تغيرها. فالنور وراءه شخص ابن الله والظلمة وراءها إبليس، لذلك فمبغضو النور ليسوا محايدين بل متحازين للظلمة ضد النور، فنشاطهم سلبي بالنسبة للنور، لهذا يتدخل القضاء للفرز والعزل والمحاصرة.

ومعروف بالتضح أن الشيطان كرئيس هذا العالم المحرِّض على كل الشرور قد دِين: «لأن رئيس هذا العالم قد دِين» (يو١٦: ١١)، أي إن دينونة الشيطان وخروج حكم القضاء عليه تم يوم صليبوت المسيح، لذلك فإن الذين يرفضون النور هم بنوع ما ينحازون إلى رئيس هذا العالم، وبالتالي يقعون تحت الدينونة والرفض: «الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم

خارجاً.» (يو١٢: ٣٦)

«لأن أعمالهم كانت شريرة»:

دور الأعمال هنا محدود، فالأعمال الشريرة لا تمنع الإنسان أن يطلب الخلاص منها و يرمي تحت أرجل المخلِّص لينجو. فالأشرار الذين تمرغوا في كل أصناف الشرور خرج منهم قديسون، يُستشفع بهم. ولكن المفهوم من الأعمال الشريرة هنا أنها عطلت كثيرين عن الخلاص. لأن تمادي الإنسان في أعمال الشر وانغماسه فيها يولِّد عادات وارتباطات ومعاملات تنازع الإنسان في إرادته وتسكر عليه حريته في التخلص منها أو حتى الاقتراب من مصادر النور، ثم تؤثر تأثيراً مستمراً على الآخرين.

٣: ٢٠ **«لأن كلَّ من يعملُ السيئات يُبغِضُ النورَ ولا يأتي إلى النورِ لئلا توبَّخ أعمالُه».**

«يعمل السيئات»: φαῦλα

هنا كلمة **«سيئات»** تختلف عن الكلمة مثيلتها التي جاءت في الآية السابقة **«أعمال شريرة»** πονηρά التي تفيد الضلوع في الخطية. أما السيئات فهي التي تعني «أعمال بطالة» (Bad) أي أعمال خسيسة وحقيرة. وهي بدء الدخول في أعمال الظلمة غير المثمرة، التي قد يستهين بها الإنسان لأنها ليست خطايا ثقيلة ولكن خطورتها هي في أنها تجعله يهرب من النور و يبغض الدعوة إليه، خشية أن تُوبَّخ أعماله من أحبائه وأصدقائه الذين يخلصون إليه: **«إني كل من أُحبه أُوبخه وأُؤدبه.** فكُنْ غيوراً وتُبْ» (رؤ٣: ١٩). «لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذِكرُها أيضاً قبيح، ولكن الكلّ إذا **تَوبَّخ يُظْهَرُ بالنورِ،** لأن كلّ ما أُظهِر (اعتُرِفَ به) فهو نورٌ، لذلك يقول: "استيقظ أيها النائم وقُم من الأموات فيضيءَ لك المسيح"» (أف٥: ١٢ــ١٤). هذا الكلام كله موجَّه نحو أصحاب العادات السيئة التي تتصل بالحياة الداخلية للإنسان والتي يحاول أن يخفيها.

لاحظ أن المتكلم هنا هو المسيح كاشف أستار القلوب، وهو يحدث اليهود والرؤساء والمعلمين ومدَّعي الفضيلة الذين انغمسوا في السيئات، وكانت النتيجة أنهم احتجُّوا جزعين من كلام المسيح، متأففين من تسليط النور عليهم، وبالنهاية صاروا هاربين ورافضين.

فمَنْ يرفض المسيح، تقف وراءه إما السيرة السيئة والإنغماس في الخطية، أو كبرياء الأخلاق والذات.

إذن، فرفض المسيح والهروب من النور ليس مسألة اختيار فقط، بل إن العوامل النفسية المبنية على السلوك الإرادي السيىء هي صاحبة الكلمة فيه وعليه.

٣: ٢١ «وأما من يَفعَلُ الحقَّ فيُقْبِلُ إلى النورِ لكي تظهرَ أعمالُه أنها باللهِ معمولةٌ».

فِعْلُ الحق: τὴν ἀλήθειαν

هو في المقابل لـ «يعمل السيئات». هناك فعل السيئات بالجمع؛ وهنا عمل «الحق» بالمفرد الذي يحوي في صدقه ونُبْله كل ما صيته حسنٌ ونافعٌ.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا هو الإصطلاح الجديد «**عمل الحق**»، فهل الحق يُعمل؟[١٧] هنا الحق أصلاً هو فكر ورؤية روحية وانكشاف بصيرة، ولكن هذا يحتاج إلى تحقيق وعمل، فإذا نفَّذت الفكرة السامية أو الإلهام الروحي الصادق الموحى به، فهو يصير عمل الحق.

والآن تقف هذه الآية في مقابل الآية السالفة لتوضح أن في وسط ظلام ليل الشرور والسيئات، يعيش أيضاً الحق والنور، وإزاء الهاربين من النور بسبب ما ثقَّلوا به أجسادهم وأرواحهم من أعمال الظلمة، يوجد أيضاً المهلِّلون للنور والهاتفون للحق الذين تثقلت أرواحهم بمحبة المسيح والحق، يسرعون ليقدموا برهان حبهم بأعمالهم، وليكشفوا أفكارهم ونيَّاتهم في النور لتزداد نوراً، ويمجدون الله الذي أنقذهم من سلطان الظلمة.

والمنظر لا يزال هو بعينه، فالمسيح يخاطب الذين عثروا فيه وهربوا والذين سَعَوْا إليه فرحين مستبشرين سواء بسواء، موضحاً أن أعمالهم في الخفاء كانت هي المسئولة عن جزعهم منه أو قبولهم إليه.

«بالله معمولة»:

إن مجرد عرض أعمال البرِّ خطر، وكشف خفايا السلوك بالتقوى أخطر؛ لأن ذلك يؤول بالضرورة إلى الوقوع في خطية البر الذاتي والاعتداد بالنفس والتفاخر. ولكن يوجد عرض للأعمال الخيِّرة وسردٌ للسيرة التقية، مضمون النفع ومؤمَّنٌ عليه ضد الانزلاق في البر الذاتي وهو تمجيد الله كونه هو هو صاحب العمل وصاحب السيرة، حيث يقتنع السامع أن «الله هو العامل فيكم أن

(١٧) قد شرحنا في المدخل كيف أن «الحق» بالمفهوم العبري يختص بالأخلاق واستقامتها (ص١٠٦)، وكذلك «المعرفة» في المفهوم العبري هي تعامل مع الله (ص١٥٣).

تريدوا وأن تعملوا من أجل المسَّرة.» (في٢ : ١٣)

«اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك.» (مر٤ : ١٩)

هنا لا يفوتنا قول المسيح أنه «لا يقدر أحد أن يُقبلَ إليَّ (الحق)، إن لم يجتذبه الآب (أولاً)» (يو٦ : ٤٤). فالمجيء إلى النور يتحمل النور شيئاً من المسئولية فيه، فالنور محبوب جداً عند أصحاب العيون الصحيحة ومكروه للغاية عند ذوي العيون المريضة، فلا ينجذب إلى النور إلا من كان أهلاً له. هنا «**عمل الحق**» من جهة «**وبالله معمولة**» من جهة أخرى تفيد الانجذاب المتبادل. فيسُرُّ النعمة يسري في أولاد النعمة. والحكمة تنادي أولادها وتتبرر من بنيها، والحق يطلب محبيه. والله هو دائماً صاحب المبادرة ولكنه دائماً يتنازل عن دوره الأول: «قد ذكرتُ لكِ غيرة صباكِ، محبة خطبتكِ، ذهابكِ ورائي في البرية.» (إر٢ : ٢)

[انتهى حديث نيقوديموس والتعقيب عليه.]

مكان البشارة:
لا زلنا في اليهودية

(تابع «إنجيل التجديد»)

٤ ــ المعمدان يكمّل شهادته
كآخر صوت للعهد القديم يُسمع في الإنجيل
(٣ : ٢٢ ــ ٣٦)

هذا هو الجزء الرابع من «إنجيل التجديد» وتستمر فيه المقابلة بين القديم والجديد على النحو التالي:

القديم: «الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم».
الجديد: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص».
الاستعلان: المسيح العريس الحقيقي: «مَنْ له العروس فهو العريس».

٣ : ٢٢ «وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يُعمّد».

«وبعد هذا»: μετὰ ταῦτα

وصْلة يضعها ق. يوحنا دائماً في سرد روايته لينقل القارىء من حديث لحديث، ومع نقلة الحديث نقلة في المكان والزمان، لا يفصح عنها عن قصد، لأنها لا تدخل ــ في اعتباره ــ في صلب الرواية.

نعلم أن المسيح كان في أورشليم حيث تمّ الحديث الأخير مع نيقوديموس الذي انقطع وغاب فجأة، حسب عادة ق. يوحنا حينما يرى أن أهم جزء في الحديث قد استُوعِب، وحيث يسترسل بعد ذلك في التعقيب، إنْ بواسطة المسيح مباشرة أو عن لسانه. وهنا نأتي إلى أرض اليهودية شرق جبال أورشليم على ضفاف نهر الأردن، حيث مكث المسيح مدة ــ لا يُفصح عنها ــ مع تلاميذه.

«وكان يعمّد»:

هذه الجملة القصيرة غريبة علينا نوعاً ما، فالمسيح معروف عنه أنه لم يعمّد: «مع أن يسوع

نفسه لم يكن يعمّد بل تلاميذه» (٤ : ٢). ولكن يبدو أن المسيح كان يكرز بالتوبة حسب ما جاء في إنجيل القديس مرقس (١ : ١٥).

وقد علق على ذلك كلٌّ من القديس ذهبي الفم والقديس أغسطينوس بأنها لا تُحسب معمودية سرائرية بحسب الفكر المسيحي(١٨). ولكن الواضح من هذه الآية وما بعدها هو أن ق. يوحنا يمهد بها لحديث المعمدان الأخير لتكميل شهادته للمسيح.

٣ : ٢٣ «وكان يوحنا أيضاً يُعمّد في عين نونٍ بقُربِ ساليمَ لأنه كان هناك مياهٌ كثيرةٌ وكانوا يأتون و يعتمدون».

لا يزال المعمدان يمارس وظيفته في الإعداد بالتوبة لملكوت الله كسابق يُعدُّ الطريق للآتي بعده. ولكن يبدو أن هذه المرة لم يتلاق مع المسيح بل ظلّ في مكانه. ولكن لماذا ترك مكانه المختار الأول «عبر الأردن»؟ يرد على هذا السؤال العالم «أولمستد Olmsread» بأن المعمدان ترك أرض عبْر الأردن التي تتبع هيرودس أنتيباس وجاء إلى منطقة أخرى فيها المياه كثيرة، بسبب العداوة التي نشأت بين المعمدان وهيرودس بعد أن وبّخه (علناً) على سيرته بالنسبة لزوجة أخيه.(١٩)

«عين نون»:

تبارى الشراح في التعليق على هذا الاسم، فمنهم من أنكر وجوده بالمرة لأنه لم يعثر عليه جغرافياً، ومنهم من شدّد عليه جداً باعتباره المركز الأساسي لخدمة المعمدان وإقامته مع تلاميذه، والذي صار فيما بعد موطن جماعة المتتمين للقديس يوحنا المعمدان. و يشرح ذلك العالم «بولتمان» مضيفاً إلى ذلك أن عين نون تفيد معنى رمزياً وهو «النبع القريب من الخلاص»: **لأنه بقرب «ساليم» وساليم تُفَسّر بـ«الخلاص».** (٢٠)

وعلى كل حال فإن هذه المنطقة تقع غرب نهر الأردن في البراري الواقعة على ضفافه. وهذه المنطقة على الحدود بين اليهودية والسامرة بقرب مدينة «بيت شان» شرق نابلس الحالية.(٢١)

[18] Chrysostome, On John, *Hom.* 29.1; Augustine, *Ep.* 44.10.

[19] Olmstead, cited by Schnackenburg, *op. cit.*, p. 412 note 7.

[20] Bultmann, *op. cit.*, p. 170 note 9

[21] Westcott, *op. cit.* p. 58.

نابلس واسمها نيابوليس Neapolis أي المدينة الجديدة عوض «شكيم» القديمة.

وكان لا يزال الشعب يتدفق على المعمدان للتوبة وسماع كلمته، ولكن يبدو أن في هذا التعبير نوعاً من المقارنة بين العدد الكبير الذين كانوا يأتون إلى المسيح، و بين الذين كانوا يأتون للمعمدان؛ وقد ظهر تناقص عدد الذين كانوا يأتون إلى المعمدان في تعبيرين هامين جاءوا بعد ذلك:

الأول: تقرير لتلاميذ المعمدان في الآية ٢٦ القادمة: «فجاءوا إلى المعمدان وقالوا له: يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدتَ له هو يُعمِّد، والجميع يأتون إليه».

والتعبير الثاني جاء على فم المعمدان نفسه كتحصيل حاصل و بحكم الواقع: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص.» (٣: ٣٠)

ولكن على أي حال كان همُّ ق. يوحنا هو تسجيل الشهادة الأخيرة والأعظم من فم المعمدان فيما يخص المسيح؛ هذه الشهادة التي رفعت المعمدان في تاريخ المسيحية إلى المستوى اللائق كنبيٍّ وأعظم من نبي!!!

٣: ٢٤ «لأنه لم يكن يوحنا قد أُلقي بعد في السجن».

تُعتبر هذه الآية ذات وزن تاريخي عالٍ للغاية، لأن ق. يوحنا يضعها وهو يعرف ما وراءها من التقليد المسجَّل في الأناجيل الأخرى. إذ أن هذه الحقيقة، أي «وضع يوحنا في السجن وموته بعد ذلك»، تُعتبر نقطة البدء لخدمة المسيح في الجليل كما سجلها ق. مرقس وأخذ عنه بقية الإنجيليين: «و بعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله. و يقول قد كَمَلَ الزمان.» (مر ١: ١٤و١٥)

ولكن هنا ق. يوحنا يكشف عن تقليد رسولي أقدم حيث يوضح أنه حتى وقبل أن يوضع المعمدان في السجن كان المسيح يخدم؛ وليس في الجليل بل في أورشليم بالدرجة الأولى وفي اليهودية، وهي الفترة التي أغفلها التقليد عند الإنجيليين الثلاثة. من هنا تظهر أهمية إنجيل يوحنا من جهة سرد وقائع حياة المسيح على مستوى التاريخ الدقيق والحوادث، وما يتبعها من تعاليم.

وذِكْرُ ق. يوحنا هذه الواقعة بالذات: «لم يكن يوحنا قد أُلقي بعد في السجن»، دون أن يكون لها سبب واضح، يكشف بوضوح أن ق. يوحنا يعرف التقليد الذي كتب منه القديس مرقس، و يلمِّح إلى أنه يورد هنا إضافة هامة عنه أغفلتها الأناجيل الأخرى. كذلك يلزمنا أن ننتبه جداً إلى هدف ق. يوحنا الأساسي من سرده خدمة المسيح في أورشليم واليهودية قبل الجليل؛ لأن الأناجيل الأخرى اهتمت بأعمال المسيح ومعجزاته بالدرجة الأولى والتي تركزت بصورة ما في

الجليل، أما ق. يوحنا فقد اهتم إلى أقصى حد باستعلان شخصية المسيح المسيَّانية من تعليمه أكثر من معجزاته. وقد رأينا إحدى صور هذه التعاليم الباهرة في حديثه مع نيقوديموس في أورشليم التي تختص بأساس الخلاص والتجديد والملكوت.

٣: ٢٥و٢٦ «وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير. فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدْتَ له هو يُعمِّد، والجميع يأتون إليه».

«وحينئذ»: οὖν

جاءت في أول الآية في الأصل اليوناني. وقد فات على المترجم العربي هذا الظرف الزماني «حينئذ» وأسقطه من الترجمة مع أنه يحمل ثقل كل المعنى في الآيات القادمة كلها بلا مبالغة. فالقديس يوحنا، وهو مختزل لغوي بالدرجة الأولى، أراد أن ينبه القارىء بأقل كلام ممكن أن تواجد المسيح في مقابل المعمدان وهما يمارسان نفس العمل وهو «العماد»، أنشأ منافسة اضطرارية بين تلاميذ المعمدان والمُعمَّدين من اليهود؛ لأنه حتماً حدث اختلاف في وجهة نظر التعميد، فمعمودية يوحنا ذات لون إعدادي **فقط** لمعمودية المسيح بالروح القدس، وحتى ولو أن المسيح لم يُعمِّد بالروح القدس ولكن يفهم تماماً من حديثه السابق مع نيقوديموس أن المعمودية في نظر المسيح هي خلقة جديدة وميلاد ثانٍ من فوق وليست غسلاً وتطهيراً. هذا المعنى كله أضمره ق. يوحنا في الظرف الزماني «حينئذ» المستخدم ليس على المستوى الزماني ولكن بمعنى: **«وعلى هذا نشأ الآتي»**، وهو مدخل يرتب الكلام على ما قبله.

«حدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير»:

نحن لا ننسى كيف ركَّز ق. يوحنا على مسألة التطهير أولاً في عرس قانا الجليل، كيف حوَّل المسيح ماء التطهير إلى خمر جيد (حقيقي)، مشيراً إلى التحوُّل المزمع والذي يتحتم أن يكون لكل طقوس ووصايا التطهيرات بكافة أنواعها؛ علماً بأن الستة الأجران تغطي تطهيرات لأسبوع بكامله! وبعدها مباشرة: «اهدموا هذا الهيكل»، بعد أن أخرج منه كل ذبائحه الكبيرة والصغيرة، مشيراً إلى انتهاء عصر الذبائح وكل نظام العبادة القائم عليها. ثم انتقل إلى نيقوديموس معلم الناموس والممثِّل لكل دقائق الإيمان اليهودي الذي انتهى الحديث معه على أساس حتمية الميلاد الثاني من فوق كأساس للإيمان والعبادة وكشرط أول لدخول ملكوت الله، كاشفاً له سر معمودية العهد الجديد. وبهذا يكون المسيح قد أكمل الصورة لعملية إحلال الجديد عوض القديم.

ولكن يبقى آخر مرحلة من الإنتفاضة اليهودية لإعادة الحياة إلى القديم التي أخذت طريقها خلسة من خلال الإنسان المُرسَل من الله ـــ يوحنا ـــ لإعداد الطريق للآتي، إذ تضخَّم عمل المعمدان من خلال حماس تلاميذه على أنه هو الطريق الموعود، فأخذوا يصوِّرون للآتين لمعمودية يوحنا أن هذا هو التطهير الذي سيُحيي إسرائيل.

وتراءت إلى أسماع المسيح ما يُقال وما يُشاع، فجاء بضرب المعمدان بياكر تعليمه من جهة المعمودية من فوق، وكأنه تكميل لدرس المسيح لنيقوديموس، وفي الحال هرع الناس «**الجميع**» إلى المسيح يسمعون و يعتمدون؛ مع أنه لم يكن يُعَمِّد بل تلاميذه، وتأثر الناس واستنارت أذهانهم من جهة حتمية الميلاد الجديد من فوق، و بالتالي عدم نفع التطهير بالماء، فضجَّ تلاميذ المعمدان وذهبوا في حماس وتحدٍّ يستثيرون معلمهم.

٢٦:٣ «**فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له: يا معلِّمُ هوذا الذي كان معكَ في عَبْر الأُردن الذي أنت قد شَهِدْتَ له، هو يُعَمِّدُ والجميعُ يأتون إليه**».

واضح للغاية أن تلاميذ المعمدان لم يتأثروا قط بنداء المعمدان من جهة الأقوى الآتي بعده الذي لا يستحق أن يحمل حذاءه، ولا تأثروا من شهادة المعمدان بحسب رؤية وسماع الروح القدس وهو يشهد للمسيح الذي اعتمد من يدي معلمهم، كما لم يتأثروا قط من شخص المسيح ذاته. وكتلاميذ لمعلِّم مرموق، أخذوا يحاصرون معلمهم حتى يدافع عن نفسه.

فابتدأوا يشيرون إلى المسيح بـ«هوذا الذي كان معك»، معبِّرين بذلك عن اعتقادهم بالتساوي بين المعلِّمَيْن. ثم بدأوا يذكِّرونه بالإحسان الذي صنعه في المسيح، إذ شهد له كما يشهد القاضي العادل بالحق. وهذا أيضاً يعبِّر عن اعتقادهم بأفضلية المعمدان وكأنه يشهد لأحد تلاميذه. ولكنهم أبقَوْا على نقطة الإنزعاج التي ملأت نفوسهم إلى آخر الحديث أو الشكوى، إذ قالوا أخيراً: «**هو يُعمِّد والجميع يأتون إليه**»، معبِّرين بذلك عن أمرين: الأول أن المسيح بدأ يظهر في أعينهم كمنافس أو متعدٍّ على وظيفة معلمهم «هو يُعمِّد»؛ والأمر الثاني وهو الأخطر: أن «**الجميع يأتون إليه**»، بمعنى أن وظيفة معلمهم صارت مهدَّدة. وواضح في ذلك التهويل الحاقد والغاضب والمثير.

وإذا قارنَّا هذا التقرير بما قيل عنه في نفس الموضوع بعد ذلك، يظهر التهويل وتلفيق ما يُنسب للمسيح: «وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته **ليس أحد يقبلها!!**» (٣: ٣٢)؛ وكانوا يعتقدون أن هذا وحده كفيل أن يحرك ساكن معلمهم. وفي الحقيقة، و بحسب أسلوب إنجيل يوحنا، فقد أخذ

هؤلاء التلاميذ ــ المتعصّبون لمعلّمهم ــ موقف الفريسيين الحاقدين لما واجهوا نفس الموقف: «فقال الفريسيون بعضهم لبعض أنظروا إنكم لا تنفعون شيئاً هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو١٢: ١٩). كان هذا التقرير المسموم كفيلاً بأن يزعج المعمدان و يهيج غضبه لو لم يكن مرسلاً من الله وروح الله هو الذي يقود نفسه و يوجهها مع لمسات رقيقة من روح الاتضاع.

وكان يمكن أن نفسّر هذا التقرير بصورة عكسية تماماً لِما يحتمله بأن يكون بشارة سارة ومفرحة للمعمدان من تلاميذه عن الذي شهد له، أنه هوذا قد صار ناجحاً والجميع يأتون إليه! وهذا أيضاً ما يتمشى مع كرازة المعمدان بالنسبة للمسيّا الآتي، لولا أننا نعرف تماماً أن هؤلاء التلاميذ كوّنوا شيعة تشيّعت لمعلمهم وقاومت المسيحية بعنف وبقيت إلى عدة قرون، وكانت في أوج نشاطها أيام كتابة ق. يوحنا لإنجيله. (٣٣)

٣ : ٢٧ **«أجاب يوحنا وقال: لا يقدر إنسانٌ أن يأخذ شيئاً إنْ لم يكن قد أُعْطِيَ من السماء».**

في إجابة المعمدان نلمح ثلاثة مبادىء هامة يردّ بها على غيرة التلاميذ الغاضبة:

أولاً: يضع المعمدان المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه الاستعلان النبوي بصفة عامة (الآية ٢٧).
ثانياً: يطبّق المبدأ الإلهامي على عمله الذي كُلّف به، سوء فيما شهد به سابقاً (الآية ٢٨) أو ما يشهد به لاحقاً (الآية ٢٩).
ثالثاً: استنباط النتيجة الحتمية للتطبيق الأمين (الآية ٣٠).

وهو يبدأ الحديث لا رداً على تلاميذه، ولكن كتوعية عامة ترفع من مستوى تفكيرهم كمعلومة عامة وأساسية، مفادها أن أي معلم صادق لا يأخذ إلاّ ما منحته السماء له. وهذا يشرح بهدوء وبساطة أساس العلاقة التي تربطه بالمسيح كسابق يعدّ له الطريق. فسواء هو أو المسيح، فلا يأتي بشيء إلاّ كما استلمه من مخازن النِعَم (السماء). هذا الرد يضع حدًّا لتفكير التلاميذ وينتهي على روح المنافسة التي عصفت بهم. كما أن هذا الرد بعينه يوضح أن ما اشتكى منه تلاميذه قد وقع منه موقع الاستحسان بل وصار له كإكليل فرح.

ويُلاحَظ أن المعمدان وضع المسيح موضع نفسه على المستوى من جهة الأخذ والعطاء، فيقول:

---

(٣٣) عُرفت هذه الشيعة باسم شيعة الصابئين أو المندعيين. أنظر المدخل ص٣٨٥.

"أنا لا أدّعي لنفسي سلطة لم آخذها، أما هو الذي تتكلمون عنه فلا يمارس سلطة و يكون لها اعتبارها إذا لم يكن قد تلقّاها من الله."

هنا المعمدان ينفي أن يكون لإرادة الإنسان عمل يُحاسَبُ عليه إن كان هو قد أعطى في حدود ما أخذ.

٢٨:٣ «أنتم أنفُسُكم تشهدون لي أني قلتُ لستُ أنا المسيح بل إني مُرْسَلٌ أمامَهُ».

هنا المعمدان يطبِّق المبدأ الذي قاله على شهادته الأولى التي شهد بها عن نفسه بالنسبة للعمل الذي يقوم به وبالنسبة للشخص المنوط به هذا العمل الكبير: "فلو تذكرتم ما قلتهُ سابقاً تدركون كم أنتم مخطئون فيما تظنون وفيما تقولون، ألم أقل لست أنا المسيح؟ فحينما أعلنتُ عن رسالتي قلتُ إنها وقتية ومحدودة، ولم أدَّعِ لنفسي المكانة الأعلى ولا بكلمة واحدة حتى تأخذوها حجّة لما تفكِّرون، أنتم شهود لي وعلى أنفسكم."

«لست أنا المسيح»:

هنا يعلن المعمدان عن هويّة من تكلّم عنه التلاميذ بلفظة «**هوذا**»، و«**هو**»، و«**شهدت له**»، و«**يأتون إليه**». وتكلّم عنه المعمدان «**كإنسان**» و«**رجل صار قدامي**».

الآن يُعلن المعمدان عن اسمه وهويّته: «**المسيح**» بكل يقين وتعيين. نعم، ولكي يُعلَن لإسرائيل، أُرسلتُ أمامه، لا كأني سابق بل كمن يعدّ و يفسح الطريق لمن هو أعلى.

٢٩:٣ «مَنْ له العروسُ فهو العريسُ. وأما صديقُ العريسِ الذي يقفُ ويسمعه فيفرحُ فرحاً من أجلِ صوتِ العريسِ. إذاً فرحي هذا قد كَمَلَ».

بينما تكلم المعمدان عن نفسه بوضوح وعلانية، إلا أنه لما جاء للمسيح سواء من جهة شخصه أو عمله نجده بدأ يستخدم الأسلوب السرّي. ولكن كلماته جاءت مُحْكَمة تردُّ رداً صحيحاً عكوكاً، على مستوى فكر التوراة والأنبياء. فأسفار العهد القديم — وخاصة الأنبياء — لا تكفُّ من البداية وحتى النهاية عن وصف يهوه بالنسبة لإسرائيل كعريس وعروس:

هوشع ٢: ١٩—٢١: «وأخطُبُكِ لنفسي إلى الأبد وأخطُبكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم، أخطُبكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب. و يكون في ذلك اليوم

أني أستجيب، يقول الرب، أستجيب السموات وهي تستجيب الأرض».

حزقيال ١٦:٨: «فمررتُ بكِ ورأيتكِ وإذا زمنكِ زمن الحب، فبسطتُ ذيلي عليكِ، وسترت عورتكِ، وحلفت لكِ، ودخلت معكِ، في عهدٍ، يقول السيد الرب، فصرتِ لي».

فالآن لا يصف المعمدانُ المسيحَ بـ«العريس» مباشرة، بل جعلها للسامع بديهية وعلى السامع أن يقرر. فمن ذا الذي له العروس؟ ثم من هي العروس بالتحديد؟

ق. يوحنا الإنجيلي قدير في تقديم الصور الرمزية في حَبْك قصصي نادر المثال، كل صورة تخدم موقعها بأصالة وواقعية، ولكن الصورة تهدف إلى عمل أعلى بكثير من واقعها القصصي. المعمدان هنا صورة للنبي المخلص المجتهد العظيم حقاً، بشهادة المسيح، ولكن لا يخرج عن كونه مولود النساء، خدم موقعه كصوتٍ صارخ في برية العالم فأسْمَعَ العالمين، ومهّد للآتي بعده بتقواه ونُسكه وصِدْقه وشجاعته؛ ثم بكرازته بحرارة التوبة وغسل الجسد. ولكن ق. يوحنا الإنجيلي يحتفظ له صورة أعلى كممثل لأنبياء العهد القديم جميعاً، جاء بروح إيليا ليختم و يشهد باسم الأنبياء جميعاً عن حق وجدارة.

ثم يروي ق. يوحنا أن المعمدان، بصفته العليا هذه، أُنيط به غير إعداد الطريق، أو من ضمن ضروريات إعداد الطريق، إعدادُ العروس التي اتّسخت جداً، ليس كإعداد إيليا في القديم بالتوبيخ والعنف والإنذار وقفل السماء وحجز المطر عن إنسان إسرائيل وحيوانه، بل بغسل الجسد والضمير بالماء والنصيحة والإعتراف والتوبة وإعداد الآباء والأبناء حتى تُرَدَّ قلوبهم بعضهم لبعض، لكي تتمتع الأرض ببركة الآتي باسم الرب. وها هو الآن قد أكمل المهمة على أقصى صورة سمحت له بها العروس المتبلّدة من كثرة السنين وكثرة الإثم — وقد جاء بها تمسكاً بيدها ومن وراء الحدود الفاصلة بين القديم والجديد يسلّمها للعريس الذي تطوّع ليغسلها بدمه.

تقول الآية، أو يقول المعمدان، إنه كصديق العريس لا يرى العريس بل يسمعه فقط، وكفاه هذا، فدور «النبوّة» لا يزيد عن كونه صديق العريس، كما وأن الحدود والسدود التي تفصل ليل النبوّة عن صُبْح المسيّا، العريس، جدّ قاسية وعاتية وليست لها عيون تنظر بها بل آذان تتحسس بها الأصوات الآتية من بعيد وفي الظلام: «هذا جاء لا يأكل ولا يشرب»، وهذا «جاء يأكل و يشرب»، هذا «يصوم تلاميذه»، وهذا «تلاميذه لا يصومون»، لأنهم يعيّدون لعُرْسه القادم، «هذا من الأرض يتكلم وهذا من السماء». فالفواصل جدّ كبيرة، فكرية وزمنية وشخصية

وروحية، فيكفي للنبي الحاذق أن يتعرّف على صوت المسيا، وكفى النبوّة كرامة أن تصادق العريس. أما ويعد أن يسمع النبي صوت من تنبأ عنه — الأمر الذي لم يحدث قط في تاريخ النبوة والأنبياء — فهذا حدث جَلَلٌ أعطي للمعمدان دون جميع الأنبياء؛ لأن بأذن المعمدان تسمَّع جميع أنبياء الله في كل الدهور السالفة صوت العريس الذي طالما وصفوه بغير رؤيا وتسمَّعوه في ظلام الأحلام بغير صوت. فلقد صدق المعمدان حين قال: «فرحي الآن قد كمل»، فهو فرح جميع الأنبياء والآباء الذين نظروا المواعيد من بعيد وحيُّوها وماتوا على رجاء هذا اليوم. فالمعمدان إنما يتكلم بروح إيليا وفم كل الأنبياء. وهل للنبي فرحٌ يرجوه أكثر من أن يحقق الله له نبوته وفي حياته؟ كان المعمدان صوتاً صارخاً، ردَّد صوت المسيح صداه فسمعهما الآباء والأجيال.

٣ : ٣٠ **«ينبغي أن ذلك يزيدُ وأني أنا أنقصُ».**

تأتي «ينبغي» بصورة ضعيفة، فهي في أصلها اليوناني بتحتم must، لأن هذا يتعلق بالقانون الإلهي. نعم فقد انتهى دور الأنبياء والنبوة بظهور الذي تركزت فيه كل النبوات. فإذا خرجت الشمس لزم إطفاء المصابيح. أو هو غروب نجم على أحسن الأحوال لشروق شمس على أفلها!! وهذا القول هو النبوة الأخيرة ليوحنا المعمدان عن بزوغ فجر العصر المسياني الذي طالما حلم به الآباء والأنبياء. فالمعمدان وإن كان يتكلم عن نفسه كصورة أدّت مهمتها بأمانة، إلا أن ق. يوحنا الإنجيلي يرتفع بهذه الصورة ليرى فيها آخر صوت يسمعه الإنجيل، ليس للأنبياء وحسب بل والعهد القديم قاطبة.

لقد انقضى عهد الظلمة وأشرق نور الحياة. وإن ظهر المعمدان بهذه الكلمات على مستوى الاتضاع حقاً، فإنما هو إتضاع من حكم الواقع أو، كما يقولون، تحصيل الحاصل.

وبشهادة المعمدان هذه أمام تلاميذه، يكون قد صادق المسيح في تعليمه ضمناً عن المعمودية الأفضل التي من فوق، التي شرحها لنيقوديموس بإسهاب وعكَّرت مزاج التلاميذ الشُّكاك، والناس يصبح دائماً متضايقاً في نفسه إذا غاب عنه عمل الروح. بل ويكون المعمدان قد صادق نفسه عندما قال سابقاً: «أنا أعمِّد بماء ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي... فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس» (يو١: ٢٦و٢٧و٣٣). وإن ذهاب «الجميع» — كما يقول تلاميذه — للمسيح ليعتمدوا، هو الصحيح، وهو بعينه ما يقوله أن «من له العروس فهو العريس». فليس «الجميع» فقط ينبغي أن يعتمدوا له بل والعالم كله، «لأنه هكذا أحب الله العالم» عوض إسرائيل!

٣ : ٣١ «الذي يأتي من فوقُ هو فوقَ الجميع والذي من الأرض هو أرضيٌّ ومن الأرض يتكلمُ. الذي يأتي من السماء هو فوقَ الجميع».

يشترك كافة الشُّرَّاح في الرأي ما عدا العالم «هوسكنز» والعالم «هنجستنبرج» بأن حديث المعمدان وشهادته تنتهيان عند الآية (٣٠)، بعد ذلك ينقسم العلماء إلى من يقول أن الباقي على لسان المسيح، وإلى من يقول أنه بقلم يوحنا الرسول، ولكن الآباء الأوائل ذهبي الفم وأغسطينوس وغيرهما لا يرون هذا الرأي الأخير بل يعتبرون أن شهادة المعمدان مستمرة حتى نهاية الأصحاح — وسنأخذ برأيهم؛ لأن الكلام لا يخلو من لمسات حية هي من روح المعمدان، باعتبار أن المعمدان انكشفت له السماء وعرف صوت الروح القدس وسمع شهادة الآب من نحو الابن.

غير أن شرح الكلام لو كان على لسان المسيح شيء، وشرحه من قلم يوحنا الرسول شيء، وشرحه بفكر المعمدان شيء آخر تماماً، وسيكون أضعفهم[٢٣] بلا نزاع؛ لأن المسألة مسألة استعلان، ولم يُعطَ للمعمدان أن يستعلن المسيح إلاَّ كونه الآتي، لأن المعمدان محكومٌ بفكر العهد القديم.

«الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع»:

يلاحَظ أن الفعل في المضارع المستمر فهو مجيء أو إرسال دائم ومستمر. و«من فوق» هي نفس الوصف الذي أعطاه المسيح للميلاد من فوق ἄνωθεν، وقد فسرها المعمدان ثانياً بقوله: «الذي يأتي من السماء». الإشارة هنا إلى المسيح الذي يتكلم عنه المعمدان؛ وهو يتكلم عن خبرة، لأنه أخذ تعليمات واضحة وصريحة من الله أن الذي يرى الروح القدس نازلاً ومستقراً عليه يكون هو الذي يعمِّد بالروح القدس. وبالفعل رأى وشهد أنه ابن الله، فليس أكبر من ذلك دليلاً ليقول المعمدان أن المسيح من فوق من السماء، هذا يوضح أن المعمدان يعلم تماماً من أين أتى المسيح.

فإذا كان المسيح هو من فوق، من السماء، فهو بحكم علوّ مكانته وطبيعته يكون الأعلى أي فوق الجميع بلا نزاع، كرامة ومجداً وعلماً وتأثيراً. وفي الحال يلتفت المعمدان إلى نفسه، وبالتالي إلى كل معلِّم من هذه الأرض، حاصراً كل معرفته، كإنسان من الأرض وعلى مستوى الأرض، في أن فعلها وأثرها محدودان، وهذا يوضح بالتالي أن المعمدان مقتنع أن رسالته محدودة بمحدوديته. وهذا

(٢٣) حينما نتعرض لشرح هذه الآيات من مستوى فكر المعمدان سنكون حاصرين في أضيق مستوى المعرفة عن سر المسيح، لأن المعمدان محدودة معرفته وكذلك مواهبه في الإعداد له وليس استعلانه.

صدقٌ منتهى الصدق، خاصة فيما تعنيه معمودية الماء فقط. وذلك على مستوى «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روح».

٣٢:٣ «وما رآهُ وسمعَهُ به يشهدُ وشهادتُه ليس أحدٌ يقبلُها».

كانت شهادة المعمدان عن نفسه أنه ليس هو المسيح، وعن المسيح أنه الذي سيعمِّد بالروح القدس، بمفهوم التغيير الجذري لحياة الناس لتكون لحساب الله والحياة الأبدية، وأنه هو الحَمَل الذي يرفع خطية العالم، باعتبار رسالته الفدائية للخلاص لمغفرة الخطايا. وأنه هو العريس الحقيقي للشعب أو للأمة الذي انتظرته كل الأجيال السالفة. ولكن هنا تمتد شهادة المعمدان إلى آفاق أخرى لأول مرة يطرقها، وهي إجتهادية، إذ أنه يتكلم عن **شهادة المسيح لنفسه ولرسالته.** وهي بالنسبة للمعمدان حقيقة بديهية، فلأن المسيح من فوق من السماء فهو جاء ليشهد بما يعرفه سمعاً ورؤية ــ وهو قطعاً أعلى مما يعرفه كل مَنْ على الأرض ــ لذلك إذ أن هذه الشهادة تفوق المعرفة الطبيعية للناس، إذ هي تختص بالمعارف السماوية، لذلك «ليس أحدٌ يقبلها»؛ ولو أن ذلك ليس بالأمر المقطوع به لأن بعض الناس قَبِلَها. والمعمدان اعتبر نفسه أحد الذين قبلوها، وهو الآن يشهد بذلك.

المعمدان هنا لا يتكلم عن الجموع التي التفت حول المسيح، فهذه الظاهرة تُخفي حقيقة هو يعلمها وقد فهمها قبل غيره: أن جوهر رسالة المسيح قائم على أساس أنه «ابن الله»، وأنه مُقْدِمٌ على تجديد كل شيء بالروح القدس، وخاصة بتقديم نفسه عوض الذبائح بصفته حَمَل الله الذي وحده يرفع خطية العالم؛ فعلى أساس هذه الحقائق سيُقاوَم ولا أحد يريد أن يستجيب لرسالته التي أخذها من فوق. وأوضح دليل على ذلك، الهزَّة التي اهتزَّها هو من الأعماق وكادت تعصف به، والتي أعلن عنها الإنجيل أنه في يوم محنته أرسل اثنين من تلاميذه يسأل المسيح نفسه: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» والتي كان ردُّها باختصار: «طوبى لمن لا يعثر فيَّ» (مت١١: ١ــ٦). والمعمدان يعود إلى أعماق نفسه المضيئة بروح الحق والنبوة، فيرى أن المسيح بحد ذاته هو الحامل لشهادة الله ولِمَا رأى وسمع عند الله كما قال هو عن نفسه: «أنا أتكلم بما رأيت عند أبي... وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يو٨: ٣٨و٤٠)، هو أنه أقصى ما يستطيع أن يعبِّر به الإنسان عن قبوله للحق وضمان تعهُّده بالشهادة بذلك.

وإن كان المعمدان لم يكمل فيما يخص نصيب الذين لا يقبلون شهادة الله هذه، فالقديس يوحنا نفسه يقدِّمها في رسالته: «لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها الله عن ابنه. من يؤمن بابن الله، فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله، فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي

قد شهد بها الله عن ابنه.» (١يو٥: ٩و١٠)

٣: ٣٣ «ومَنْ قَبِلَ شهادَتَه، فقد خَتمَ أنّ الله صادِق».

خَتَمَ = ἐσφράγισεν

المرة الأخرى التي نسمع فيها عن «الختم» فيما يخص الله هي الآية: «اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية (جسد المسيح) الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمَهُ» (يو٦: ٢٧). فإذا كان الله قد ختم المسيح أو جسد المسيح، فهذا يعني أنه حامل للخلود وعدم الموت إزاء الطعام البائد الذي ختمه العالم والإنسان. فهنا في آية المعمدان يكون الذي قَبِلَ المسيح كمن قبل صدق ختم الله وختم هو أيضاً على صدق الله. ومعروف أن المعمّدين بالروح القدس والماء يأخذون مثل هذا الختم السري الإلهي من الروح القدس: «الذي فيه أيضاً أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم، خُتِمْتُم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا» (أف١: ١٣و١٤). ويقول العالم الكبير لايتفوت Lightfoot إن هناك قولاً نبيلاً عند الربيين اليهود يقول: [إن ختم الله هو الحق]، بمعنى إن كل ما هو من الله مختوم بختم الحق.

وبذلك، فإن كلّ منْ يقبل المسيح يكون كَمَنْ قَبِلَ كل الحق من الله. ففيه تكمل كل مواعيد الله الصادقة الحقيقية غير الكاذبة: «الذي أرسلني هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم.» (يو٨: ٢٦)

٣: ٣٤ «لأن الذي أرسلَهُ الله يتكلَّمُ بكلام الله. لأنه ليس بكَيْلٍ يعطي الله الروحَ».

إن برهان صدق الله مختومٌ به على كل ما يقول المسيح ويعمل، والله أرسله محمَّلاً برسالة روحية تفيض بآيات وكلام الحياة: «يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك» (يو٦: ٦٨). ويكفي لأي إنسان أن يعرف أن كل ما قاله المسيح ونطق به هو هو «كلام الله» نصاً وروحاً. ولكن ليس كأجزاء، إنما كرسالة كلية كاملة هي رسالة الله.

لكل الأنبياء كان الله يعطي الروح بقياس ومكيال ἐκ μέτρου مجزءاً وممشطاً تقسيطاً على قدر ما يحتمل روح النبي وعلى قدر ما يتحمل السامع واحتمالات الظرف. أما للمسيح فبلا كيل ولا قسط يعطي الله الروح، بل إلى كل ملء الروح والله. لأن قياس ملء المسيح هو قياس الله.

ومقياس ملء الآب والابن هو الحب.

٣ : ٣٥ «الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده».

في إنجيل متى سمع المعمدان صوت الله: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.» (مت٣ : ١٧)

المعمدان ليس غريباً عن حقيقة الآب والابن. لقد كان أول من أعلن عن هذا السر في العهد الجديد قاطبة، وأول من شهد له: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (يو١ : ٣٤)؛ بل وأول من وثَّق وثيقة منظورة من الآب للابن وقت العماد حينما حلَّ الروح القدس على هيئة حمامة استقرت فوق المسيح. فعلم للحال وللتو أن هذا هو الذي سيعمِّد بالروح القدس، وأنه قد استؤمن على كل ما للآب.

«كل شيء»: πάντα

دُفع له الحياة الأبدية بكل أسرارها والدينونة في المقابل، دُفع له سلطانه الخاص مع اسمه الخاص، دُفع له كل النعمة وكل الحق. أعطاه كل ما له وبلا حدود.

٣ : ٣٦ «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله».

المعمدان أُعطي له بصورة فريدة أن يطّلع على الصورة النبوية للمسيح كما كانت في ذهن موسى في التوراة، وفي نفس الوقت يرى ويسمع شهادة الله عن ابنه؛ ثم يتقابل مع المسيح وجهاً لوجه فيتحقق من كل ما سمع ورأى. ففي توراة موسى كانت صورة المسيح، باعتباره النبي الآتي، تحمل معها تهديداً واضحاً بالقطع من الحياة لكل من لا يسمع لصوت هذا النبي الآتي: «فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن **النفس التي لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب**» (أع٣ : ٢٢و٢٣). وقد تحقق المعمدان أول من تحقق من شخصية ذاك النبي المُقام أنه «ابن الله»، وأنه موضوع مسرة الله. فتيقن أن الإيمان به هو حياة وأن رفضه هو عودة الإنسان تحت قانون غضب الله على الذين لا يطيعون. لأن بحسب منطق المعمدان يكون أن الذين يؤمنون به يجعلون **الله صادقاً**، والذين لا يؤمنون يجعلون **الله كاذباً** لأنهم لا يؤمنون بشهادة الله عن ابنه. فهنا تنشأ الخصومة بين الإنسان

والله، فعدم الإيمان بالابن هو بنوعٍ ما تعدٍّ على صدق الله بما يحتمل العداوة ضد الحق. هنا يُدخِل الإنسان نفسه كمقاوم لتدبير الله ومعطِّلٍ لعمله: «شاول شاول لماذا تضطهدني... صعبٌ عليك أن ترفس مناخس.» (أع ٩: ٤ و٥)

تعقيب على شهادة المعمدان

نحن مدينون إلى علاقة ق. يوحنا الرسول الصميمة بالمعمدان، فهو كان من تلاميذه المتقدمين قبل أن ينضم إلى تلمذة المسيح، فبسبب هذه العلاقة التي تربطه بالمعمدان وتلاميذه، وهم زملاء ق. يوحنا القدامى، استطاع أن يتعرف على أدق وأكثر الحركات سراً التي جرت بين تلاميذ المعمدان واليهود من ناحية، وبين هؤلاء التلاميذ والمعمدان من جهة أخرى؛ لأن كل أقوال المعمدان التي تسجلت في إنجيل يوحنا في هذا الأصحاح هي من التعاليم السرِّية الخاصة التي باح بها المعمدان لتلاميذه ليضعهم في الموضع الصحيح بالنسبة لرسالة المسيح وشخصه. ولكن للأسف لم يكن هؤلاء التلاميذ المعمدانيون على مستوى نور معلمهم ورسالته؛ إذ قد استهوتهم رسالة النسك الدقيقة والصارمة التي اختَّطها لهم معلِّمهم: «لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون» (مر٣: ١٨). وتمادوا فيها بعد موته وكوَّنوا لأنفسهم شيعة رفعت من المعمدان ونسكه وتعاليمه ونصَّبت نفسها عدواً لرسالة المسيح.

الأصحاح الرابع

الأصحاح الرابع

هذا الأصحاح يشمل موضوعين أساسين:

الأول: خدمة المسيح في السامرة ٤ : ١ـ٤٢ (*) وهو الجزء الخامس والأخير من «إنجيل التجديد».

والثاني: شفاء ابن خادم الملك ٤ : ٤٣ـ٥٤ وهو أول جزء من «إنجيل قوة الكلمة».

(*) يُقرأ إنجيل السامرية في الأحد الرابع من الصوم الكبير المسمى بأحد السامرية أو أحد النصف، وذلك على اعتبار أنه يقدم لنا حالة توبة مثالية، فهو مناسب لموسم الصوم الكبير. وتكرر قراءته في الأحد الثالث من الخمسين المقدسة، وذلك بسبب ما جاء فيه عن «ماء الحياة الأبدية»، فهو مناسب للخمسين المقدسة موسم القيامة والحياة الأبدية.

وأخيراً يُقرأ مرة ثالثة في مساء عيد حلول الروح القدس في صلاة السجدة، وذلك لما جاء فيه عن السجود بالروح والحق.

مكان البشارة

رابعاً ــ في السامرة

(٤ : ١ ــ ٤٢)

(تابع «إنجيل التجديد»)

٥ ــ خدمة المسيح في السامرة

تقديم:

الحديث الذي ينقله لنا ق. يوحنا في هذا الأصحاح يُعتبر من الأحاديث الهامة والنادرة، لأنه حديث شخصي جداً ومطوَّل مع فرد، امرأة، وقليلاً ما تحدَّث المسيح عن خصوصيات إنسان وانتهى به إلى الإيمان بمثل هذه السرعة والرتابة والتدرج المبهر في الاستعلان عن ذاته. وعلى القارئ أن يربط بين مثل هذه الأحاديث النادرة وبين الغاية النهائية التي وضعها هذا الإنجيلي الملهم بالنسبة للقارئ مباشرة: «لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه.» (يو٢٠: ٣١)

كانت العلاقات بين اليهود وأهل السامرة على مستوى من التعالي من جهة اليهود، والبغضة والعداوة من جهة السامريين، ربما كانت هي الواقع الذي جعل المسيح يركب هذا الصعب ويذلِّله لحساب محبة الآب نحو العالم، ونحو الملكوت المعدّ للبعيدين، لأننا نسمع في سفر الأعمال عن تشتُّت بعض التلاميذ وذهابهم إلى السامرة بعد حادثة قتل إسطفانوس على يديّ شاول (بولس الرسول فيما بعد) وحدوث «اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل.» (أع٨: ١)

وهكذا صارت السامرة، مكروهة الأمة اليهودية، ملجأً أميناً لأول المسيحيين بفضل زيارة المسيح لهذا البلد وزرع بذرة الملكوت هناك. كذلك نسمع عن بعثة رسمية بقيادة فيلبُّس، أحد الشمامسة، قام بها في السامرة: «فانحدر فيلبُّس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح. وكان الجموع يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبُّس عند استماعهم ونظرهم الآيات التي صنعها. لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوت عظيم، وكثيرون من المفلوجين والعُرْج شُفوا. فكان فرح عظيم في تلك المدينة» (أع٨: ٥ــ٨). بل ودخلت السامرة رسمياً في إيبارشية أورشليم تحت تدبير الرسل وعنايتهم الخاصة: «ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس و يوحنا اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس. لأنه لم يكن قد حلّ بعد على أحدٍ منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم

الرب يسوع. حينئذ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس.» (أع٨: ١٤–١٧)

وهكذا كانت السامرة ذات موضع أثير عند ق. يوحنا. وكم نشكر الله الذي ألهم هذا الرسول القديس أن يكتب لنا سر قصة السامرة من البدء. فهو الوحيد الذي ألقى ضوء الإنجيل على هذا الشعب كاشفاً سر بدء نمو بذرة «حبة الخردل» التي ألقاها المسيح في قلب امرأة نصف أممي، فنبتت حالاً الملكوت وتمهدت لأرجل بشارة الرسل، ليغرس الروح القدس في قلوب شعب اختاره الرب بعد أن نبذه اليهود والتاريخ.

وموضع قصة السامرة في تسلسل إنجيل ق. يوحنا محكم شديد الإحكام، يتبع مخططاً روحياً غاية في الإلهام. فالقارىء يذكر كيف افتقد الرب أول ما افتقد الشعب اليهودي الذي يعيِّد في حفلة عرس، وهناك أظهر العريس الحقيقي نفسه لشعب إسرائيل الذي كان قد فرغ منه خمر الحب والفرح والملكوت. فعالجه المسيح بأن حول تطهير الماء الذي لا ينفع ولا يشفع بخمر الحياة الجديدة الجيدة. ثم يذكر كيف افتقد الرب هيكله، وقام في وجه النظام الكهنوتي الذي ترك الحق والرحمة وانشغل بذبيحة البقر والغنم والحمام وتحويل الصلاة إلى مصدر رزق ولو بغير حلال؛ فأطلق سراح البقر والغنم ورفع الحمام من هناك ناقضاً التطهير بالذبائح، ومشيراً إلى ذبيحته الوحيدة، التي أضمرها لإقامة هيكل جديد عوض القديم.

وبعدها يذكر القارىء أنه تقابل مع الناموس مُمثَّلاً في شخص معلم إسرائيل نيقوديموس، الذي يمثل السنهدريم وكل طبقة المعلمين، وكيف قلب له نظام التعليم من أساسه، جاعلاً ملكوت الله رهن ولادة الإنسان من فوق من الماء والروح، حتى ولو كان قد شاخ في العلم والتعليم. وبعدها اصطنع مقابلة سريعة — دون تقابل — لخدمة المعمدان، قبل أن يختمها المعمدان بالسجن، ليوضح لتلاميذه المتعصبين للنسك والتطهير كأنه الباب الجديد للخلاص، مع أن زمن التطهيرات كان قد انتهى عندما انفتح الباب الوحيد للخلاص، ولا أحد قط يستطيع أن يغلقه أو يقلده.

وهكذا بعد أن تمت مقابلة الشعب في عرس، ومقابلة الكهنوت في هيكله، ومقابلة الناموس في معلمه، ومقابلة المعمودية «بالماء فقط» في عجزها النسكي؛ كان عليه أن يعطي لفتة لشعب غريب كان قد تجاوَزَ في كل الأزمنة السالفة، مع إسرائيل شعب النور والمعرفة، فما عتم إلاَّ أن ازداد عتامة، وتخبط بين أسفار موسى وأصول العبادة وبين هيكل أورشليم وهيكل جرزيم.

ما هي السامرة ومن هم السامريون؟

أما السامرة نفسها فكانت جزءاً لا يتجزأ من أرض فلسطين التي كانت مقسمة خاصة بعد

العودة من السبي — وإلى الآن — إلى اليهودية والسامرة وإسرائيل (الجليل). وكانت مساحتها بحسب إدرزهايم([1]) العالم اليهودي المتنصر — تبلغ ٤٧ ميلاً من الشمال إلى الجنوب وأربعين ميلاً من الشرق للغرب، تحدها أرض اليهودية في الجنوب ونهر الأردن من الشرق، ومن الغرب سهل شارون (الذي كان يتبع اليهودية أيضاً)، ومن الشمال الجليل عند سهل يزرعيل. أي أنها ورثت أرض منسّى وأفرايم سبطي إسرائيل ليوسف.

وأرض السامرة أجمل وأخصب من أرض اليهودية. ولكن في أيام المسيح تقلصت وصارت لا تحتوي إلا على بعض مدن قليلة بجوار عاصمتها السامرة. والسامرة كعاصمة لإسرائيل مملكة الشمال بناها الملك عُمْري حوالي سنة ٩٢٥ ق.م([2])؛ وكان اسمها شمْرون نسبة لصاحبها شامر (وانقلبت الشين سين حسب النطق العربي فصارت سامرة) الذي كان يملك الجبل كله وهو باسمه جبل شمرون: «في السنة الواحدة والثلاثين لآسا ملك يهوذا، ملك عُمْري على إسرائيل اثنتي عشرة سنة واشترى جبل السامرة (شمرون) من شَامر صاحب جبل السامرة.» (١مل١٦: ٢٣—٢٥)

والسامرة دخلت في حرب طاحنة وخُربت ثم عُمِّرت مرت ومرت، وكان يتبادل غزوها واحتلالها كلٌّ من مصر وسوريا مبتدئاً من زمن الملك شِيشَق سنة ٩١٨ ق.م، وهذه أول غزوة قامت بها مصر، وهي التي فيها أخلى فلسطين والهيكل من كل الذهب والتحف التي خلّفها سليمان الملك. وفي إحدى غزوات أشور سُبي شعبها على يد الملك شلمناصر الثالث (أو سرجون) وذلك سنة ٧٢١ ق.م أيام عُزيّا الملك، الذي خان العهد مع آشور والتجأ إلى مصر للمعونة. وكانت النتيجة أن خربت البلاد عن آخرها، وسُبي كل شعب مملكة إسرائيل في الشمال (سماريا)، وانمحى تاريخ إسرائيل منذ ذلك الوقت كمملكة في العالم.

ومدينة السامرة في أيام المسيح كانت بقرب المدينة شكيم التي عاش فيها الآباء إبراهيم وإسحق و يعقوب. والتي تخربت سنة ١٢٨ ق.م على يد يوحنا هركانوس، والتي بُني عوضاً عنها على بعد ميل ونصف مدينة أخرى، وصار اسمها نابلس (وأصلها نيابوليس **Neapolis** أي المدينة الجديدة). وشكيم عاصمة السامرة سابقاً كانت إحدى مدن الملجأ الست في كل أرض الأسباط.

---

[1] Edersheim, A., *The Life and Time of Jesus the Messiah.*

[2] Marsh, John, *The Gospel of St. John,* p. 208.
But the Cambridge Bible Commentary gives other dates p. 70-71.

هذا الأطلس التوضيحي يقول إن الملك عُمْري ملك من سنة ٨٧٦—٨٦٩ ق.م، وإن الملك شيشق قام بغزوته سنة ٩١٨ق.م، وإن شلمناصر الثالث كان عصره من سنة ٨٥٩—٨٢٤ق.م.

أما السامريون، وأصلاً كانوا يُدعَوْن «كُتيِّيم» (Kuthim)، فهم بقايا العشرة الأسباط الذين رُحِّلوا إلى بلاد السبي على يد الملك الغازي شلمناصر (أو بحسب أبحاث كتابات الآثار: سرجون) سنة ٧٢١ ق.م، والذين تزاوجوا من الوثنيين الذين أُرسلوا من آشور ليحلّوا محل أهل البلاد، كذلك مع أهل الأرض القدامى، ولكن الدم اليهودي كان هو الغالب.

وأصل العداوة المُرّة التي نشأت بين اليهود واليهودية وأهل السامرة وأرضها، كان هو عملية الإصلاح التي قام بها نحميا وعزرا الكاهن في تصفية الدم اليهودي، وطرد كل من تزاوج من السامرة، وعدم السماح لأهل السامرة بالرغم من الإلحاح الشديد أن يُسمح لهم بالمساعدة في بناء الهيكل أو أن ينضموا إلى اليهودية وعبادة أورشليم أو يلتحقوا بالسنهدريم، مما نتج عنه شعورٌ بالبغضة لم ينطفىء أواره حتى اليوم. وذهبت العداوة إلى درجة القنص وقتل كل يهودي يعبر السامرة. ولكن هذه العداوة كانت تزداد وتخف من جيل إلى آخر.

ولكن عبادة السامريين كانت مبتورة بسبب قلة التعليم؛ مع أنهم كانوا يعيِّدون للفصح بذبح الخروف ويقيمون الشعائر والعبادة بدقة تفوق اليهود، وكذلك بحسب أسفار موسى الخمسة فقط التي احتفظوا منها بنسخة غاية في القدم يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ٤٠٠ ق.م(٣) أيام نحميا وعزرا الكاهن، والتي تُعتبر أحد مصادر البحث الهامة في المقارنات بين الآيات. وكانوا يؤمنون بالقيامة، غير أن اليهود أنكروا عليهم هذا الإيمان وكانوا يعتبرونهم هراطقة. ولكن في أيام الحاخام شمعون بن عمالائيل معلم إسرائيل العظيم قرر أنهم يُحسبون إسرائيليين، وأن أرضهم ليست نجسة ولا طعامهم، بعكس رابي «يهوذا» المحسوب أنه قديس عند شيعته فكان يتشدد ويلعنهم بالوثنيين. وطبعاً الأساس في ذلك هو روح العداوة التي لا تعرف للحق حدوداً.

كانت عبادة السامريين تُقام في هيكلهم على جبل جرزيم الذي أُقيم سنة ٤٠٩ ق.م، وقد حدث في هذه الأيام أن رئيس كهنة اليهود الكبير المدعو يادوا Jaddua امتنع من أن يسمح لأخيه المدعو منسّى أن يتزوج بنت سنبلّط السامري وأرغمه على الفرار من اليهودية. فذهب هذا الأخير وأقام نفسه رئيس كهنة لهيكل جرزيم عند السامريين. وهكذا صار جبل جرزيم مركز عبادة رسمياً، وصارت كل مراسيم العبادة تُمَس صورة طبق الأصل من العبادة اليهودية. ولكن لما انضم السامريون إلى السوريين الذين غزوا المكابيين، وذلك سنة ١٣٠ ق.م، قام يوحنا هركانوس بهدم هيكلهم ولم يُبْنَ بعد ذلك. كذلك مدينة السامرة التي بعد أن خربت بكاملها بُنيت من جديد على

---

3 Cambridge Bible Commentary, p. 142.

به هيرودس وصارت من أجمل المدن، وأسماها سبسطية على شرف أغسطس قيصر. كما أعيد بناء شكيم وسميت على شرف العائلة المالكة في روما «فلافيا نيابوليس» وهي نابلس الحالية. (٤)

وقد ظهر عطف المسيح على السامرة والسامريين في عدة مواضع غير الذي نحن بصدده الآن:

١ ــ في الموضع الذي طهّر فيه العشرة البرص: «فواحد منهم لما رأى أنه شفي رجع يمجد الله بصوت عظيم وخرّ على وجهه عند رجليه شاكراً له، وكان سامرياً. فأجاب يسوع وقال: أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة؟ ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟» (لو١٧: ١٥ــ١٨). وهنا يدعوه المسيح غريب الجنس بحسب تسمية اليهود للسامريين، ولكنه فيما امتدحه وامتدح جنسه أكثر من اليهود. وفي هذا المثل مقارنة مكتومة بين أخلاق اليهود وروحهم المبتعدة عن الله حتى وفي عدم ردّهم على صنع الخير لهم، وبين السامريين المعترفين بفضل الله وبصوت عظيم.

٢ ــ الموضع الآخر وهو أعظم وأجلّ تكريم قدّمه المسيح للسامرة والسامريين. إذ أعطى مثلاً صار فيه السامري الصالح لقباً جليلاً ذا شأن عظيم في الحياة المسيحية. هذا المثل قاله المسيح رداً على سؤال مستحج ليهودي يسأل: «من هو قريبي؟»، في الوصية التي تقول: «تحب قريبك مثل نفسك» (لا١٩: ١٨). فأعطى المسيح مثلاً لاذعاً قدّم فيه أن كاهناً لم يتحرك لينقذ إنساناً يهودياً نازلاً من أورشليم متجهاً نحو أريحا مُعرّى ومجروحاً ومضروباً ملقى بين حيٍّ وميت على الطريق. ولا أيضاً تحرّك لهذا المنظر يهوديٌّ لاويٌّ أي من خدام الهيكل. «ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن، فتقدم وضمد جراحاته، وصبّ عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتن به، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك. فأيّ هؤلاء الثلاثة تُرى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص؟» (لو١٠: ٣٣ـ٣٦).

٣ ــ أما الموضع الأخير فقد وضع فيه المسيح في عنق الكنيسة لتكمل ما صنعه هو: «لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع١: ٨)

□□□

(٤) لمزيد من التعرف على السامرة والسامريين نرجو الرجوع إلى كتاب العلامة إدرزهايم:
Edersheim, A., "The Life and Time of Jesus the Messiah", Part Two. p. 430.-34.

والآن إلى ما يتضمنه حديث المسيح في السامرة واستجابة أهلها:

١ ــ يقدم لنا ق. يوحنا عرضاً لإيمان أهل السامرة النصف أمميين. فإذا هو الإيمان الحاضر المستجيب المعلن عن نفسه ببراءة ويقين وصحة: «أنت مخلّص العالم»، ومن كل قلوبهم، إزاء:

أولاً: أهل أورشليم مركز العبادة والمتعبّدين بإيمانهم السطحي هزيل المتهافت على الآية والمعجزة.

وثانياً: إيمانُ معلّم إسرائيل التائه الحائر ممثّل صفوة العلماء والمتعلمين، مع رد فعل الفريسيين على تعاليم المسيح المسوء شكاً وخبثاً ومصادرة.

وهكذا يقدم لنا ق. يوحنا هذه الإستراحة الإيمانية بين هؤلاء من غير اليهود، على طريق الكرازة لليهود المملوء تعسفاً وضيقاً وجحوداً.

٢ ــ يعلو بنا ق. يوحنا في هذه الوقفات القليلة مع السامريين إلى أقصى استعلان بلغه المسيح عن نفسه. فمع السامرية استدرج إيمانها حتى بلغت به المسيا، فوافقها معلناً **«أنا هو»**.

أما درجات الاستعلان البارزة فما أوضحها في هذه الكلمات المتلاحقة:
ــ «أنت يهودي وأنا امرأة سامرية».
ــ «يا سيد κύριε».
ــ «لا دلو لك والبئر عميقة ألعلك أعظم من أبينا يعقوب؟».
ــ «أعطني هذا الماء لكي لا أعطش».
ــ «يا سيد أرى أنك نبي».
ــ «أنا أعلم أن مسيا يأتي = (أنا هو)».

ومع السامريين الذين عاشرهم عدة أيام آكلاً وشارباً من خبزهم ومائهم ملاطفاً متحنناً، حتى بلغ بهم الإيمان أن رأوه بيقين الرؤيا والشهادة: **«أنت مخلص العالم»**.

٣ ــ قرب نهاية قصة السامرة يفتتح المسيح سجل الإرساليات المزمع أن يكون، وذلك لأول مرة في إنجيله هكذا، وفي بكور أعماله متكلماً عن المرسلين، وزرع الدموع، وحصاد الفرح، وكأنه يدرّب أولاده كما يدرب النسر فراخه على التحليق والصيد. وقد كان بالفعل أن تمت أول إرسالية نقرأ عنها في أصحاح ٨ أعمال الرسل على يد فيلبُّس أحد الشمامسة السبعة، تلاها إرسالية تزعّمها القديس بطرس، ولكن كان ق. يوحنا روحها الذي شغف بأهلها أيّما شغف، بعد أن امتص من

المعلم روح المسامحة واللطف والحب والتحنن على الرافضين والمرفوضين سواء، وهكذا خلع ق. يوحنا ثوبه اليهودي الأول المطرز بالعلياء والكبرياء ولبس مسوح المسيح:

ــ «وأرسل أمام وجهه رسلاً فذهبوا قريةً للسامريين حتى يعدُّوا له، فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم ــ فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا: يا رب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً. فالتفت وانتهرهما وقال: لستما تعلمان من أي روح أنتما، لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُهلك أنفس الناس بل ليخلِّص.» (لو٩: ٥٢ــ٥٦)

وهكذا يشاء الله أن يكون ق. يوحنا أول من يضع يده على رؤوسهم و يستنزل لهم الروح القدس فيحلُّ عليهم و يصيروا من التابعين.

٤ ــ في هذه الرحلة المشوقة في أرض السامرة أعلن المسيح ولأول مرة عن الماء الحي الذي يعطيه، وأن كلَّ من يشرب منه لا يعطش أبداً، وعن العبادة بالروح والحق وأن الله روح وهو يطلب الساجدين له بالروح والحق، وعن هيكل العبادة الذي حيَّر الناس بألوانه وأشكاله، بأن وضع أول أساس لأورشليم السماوية على الأرض حيث لا هيكل أورشليم ولا هيكل جرزيم: «وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله... ولم أرَ فيها هيكلاً لأن الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها.» (رؤ٢١: ١٠و٢٢)

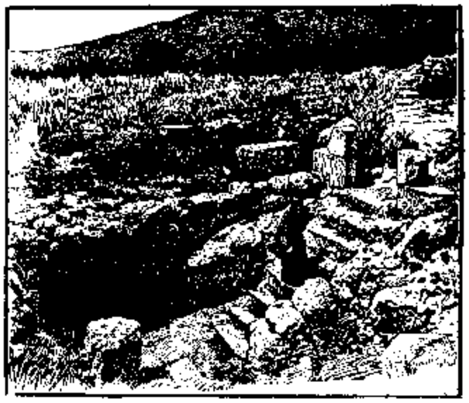

الشرح :

٤ : ١ و٢ و٣ **«فلما عَلِمَ الربُّ أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يُصيِّر ويُعمِّدُ تلاميذ أكثر من يوحنا، مع أن يسوع نفسَهُ لم يكن يُعمِّدُ بل تلاميذُهُ، ترك اليهودية ومضى أيضاً إلى الجليل».**

«فلما»: Ὡς οὖν

إذا جاءت في بداية الكلام، فهي دائماً تحمل نوع الارتباط وتُحمِّل الآية على ما قبلها. فهنا **«فلما»** تعني: «وحينئذ عندما» علم الرب. وهنا التحميل يجيء مرتكزاً على ما حدث من تلاميذ المعمدان والإثارة التي أحدثوها، خاصة عندما أشاعوا أن «الجميع» يأتون إلى المسيح وأن المسيح يُعمِّد تلاميذ أكثر من يوحنا: هذا الخبر ترامى لأسماع الفريسيين وغاظ فإنهم أعدُّوا العُدَّة للمصادرة. هذا علمه المسيح قبل وقته؛ فأخذ الاحتياط تجنُّباً للمصادمة — قبل ميعاد الساعة — مع الفريسيين المحسوبين أنهم أعداء الإيمان.

ويوضح ق. يوحنا أن الإشاعة حملت مضموناً كاذباً أن المسيح يعمِّد، فصححها ق. يوحنا قائلاً: «مع أن يسوع نفسه لم يكن يُعمِّد بل تلاميذه». وهذا توضيح لا بد منه، لأن المعمودية لم تكن قد أخذت وضعها المسيحي كسرٍّ يختص بملكوت السموات، بمعنى أنها لم تكن مدعَّمة بالروح القدس بعد، فقد كانت مجرد إعداد لمعمودية قادمة. هذا بالإضافة إلى أن سر المعمودية في المسيحية يشمل أساساً مضمون موت المسيح وقيامته، وهذا لم يكن قد تم بعد.

«ترك اليهودية» (ينسحب): ἀφίημι

وقرر المسيح أن ينسحب — وجاءت في العربية «ترك» — ينسحب من عمله في اليهودية ويمضي أيضاً إلى الجليل. و«ينسحب» هي الترجمة الدقيقة لما يعنيه الفعل اليوناني ἀφίημι في هذا الموضع. ولكنها لم ترد في الترجمات العربية للعهد الجديد وهي تفيد: «ترك الأمر على ما هو عليه ليبلغ نهايته من نفسه».

«ومضى أيضاً إلى الجليل»:

«أيضاً» هنا منسوبة إلى القول السابق في ١ : ٤٣: «وفي الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل». وكانت هذه هي المرة الأولى، أما هنا فهي المرة الثانية. والسر في أن ق. يوحنا يضع هنا **«أيضاً»** هو سرٌّ خطير للغاية، لأنه يود أن يؤكد التفريق بين زيارتين تمتا للجليل: الأولى بعد

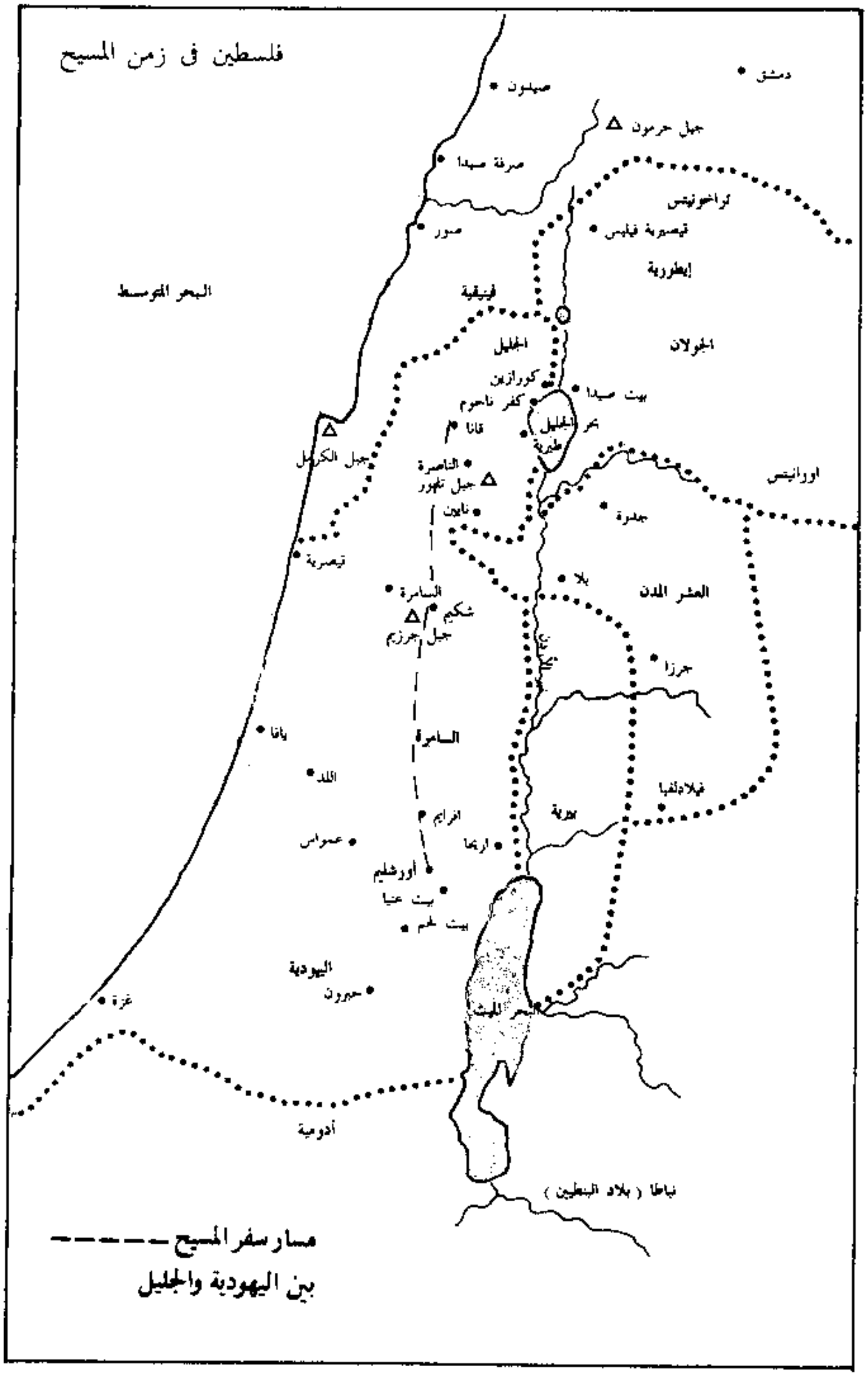
فلسطين فى زمن المسيح
دمشق
صيدون
جبل حرمون
صرفة صيدا
تراخونيتس
صور
قيصرية فيلبس
إيطورية
البحر المتوسط
فينيقية
الجليل
الجولان
كورازين
بيت صيدا
كفر ناحوم
قانا
بحر الجليل
طبرية
جبل الكرمل
الناصرة
جبل تابور
اورانيتس
نايين
جدرة
قيصرية
بلا
العشر المدن
السامرة
شكيم
جبل جرزيم
جرزا
يافا
السامرة
اللد
فيلادلفيا
افرايم
بيرية
عمواس
اريحا
أورشليم
بيت عنيا
بيت لحم
اليهودية
حبرون
غزة
البحر الميت
أدومية
نباطا (بلاد النبطيين)
مسار سفر المسيح
بين اليهودية والجليل

خدمته في اليهودية أول مرة؛ والثانية وهي هذه، بعد خدمته في اليهودية لثاني مرة، الأمر الذي أغفله الإنجيليون الثلاثة وجعلوا خدمته في الجليل قائمة بذاتها دون الإشارة إلى خدمته في اليهودية.

٤:٤ «وكان لا بد له أن يجتاز السامرة».

«وكان لا بد له ἔδει» تفيد نوعاً من **الإستعجال أو — وهو الأصح — نوعاً من الإلتزام**. لذلك نرى المسيح يتخذ طريقه من داخل السامرة مع أنه طريق شاق وحارٌّ (صيفاً)، بالإضافة إلى أنه محظور نوعاً ما بسبب تكرُّه اليهود من الإختلاط والسير في أرض السامرة واحتمال تعدّي أهل السامرة على المارّين أحياناً. أما الطريق الآخر الأسهل فكان من غرب الأردن ينطلق شمالاً حتى إلى الناصرة. وإن كان يبدو للباحث العادي أن هذا الاختيار هو وليد الحاجة إلى الإسراع في مغادرة اليهودية، ولكن الحقيقة التي كان يعلمها المسيح هي أنه كان ملتزماً بمهمة، فقد كان عطشاناً إلى ماء السامرة كعطشه على الصليب من أجل الخطاة. وكان طريق اليهودية إلى الجليل عبْر السامرة يستغرق ثلاثة أيام، بحسب يوسيفوس المؤرخ اليهودي.

٤:٥ «فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار، بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه».

سوخار:

الآن تسمى «عسكر». وقد بُحث عن هذا الاسم فوُجد في أخبار أيام السامرة في المخطوطات، ومكتوب اسمها إسكار Yskar في مدونات القرن الثاني عشر(٥)، وهي تقع تحت سفح جبل عيبال وهو جبل اللعنات، وفي مقابله تماماً جبل جرزّيم جبل البركات، وبين السفحين تقع مدينة شكيم التي كانت عاصمة مملكة إسرائيل بالقرب من مدينة السامرة التي تحوّل اسمها أيام هيرودس الملك إلى سبسطية نسبة إلى أغسطس قيصر [حيث أغسطس (*) باللاتيني يقابلها **سبستوس** Σεβαστός باليونانية]، ولكنها في أيام المسيح لم تكن قد أخذت صورتها واسمها بالكامل.(٦)

— «وإذا جاء بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها فاجعل البركة

---

٥ Conder, in "Palest. Exploration report", 1877, p. 150, cited by Westcott, op. cit., p. 67

(*) أوغسطس أو أغسطس تعني صاحب السمو أو الرفعة، وكذلك سبسطوس.

٦ Cambridge Bible Commentary, p. 52. أنظر الصورة الطوبوغرافية والخريطة.

على جبل جرزيم واللعنة على جبل عيبال.» (تث ١١: ٢٩)

ـ «وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلاً: هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن: شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين. وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة. رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي.» (تث ٢٧: ١١ـــ١٣)

«الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه»:

في بركة يعقوب إسرائيل الأخيرة وهو على سريره في مصر (تك ٤٨: ٢٠ـــ٢٢)، وهو واضع يديه على **أفرايم ومنسّى**، وهب يوسف هذا المكان أي هذه الضيعة المذكورة في تك ٣٣: ١٧ـــ٢٠. وكانت كلمات يعقوب هكذا: «وباركهما في ذلك اليوم قائلاً: بك يُبارك إسرائيل قائلاً يجعلك الله كأفرايم وكمنسّى، مقدّماً أفرايم على منسّى. وقال إسرائيل ليوسف: ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردّكم إلى أرض آبائكم. وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق إخوتك أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي.» (تك ٤٨: ٢٠ـــ٢٢)

وهناك في سفر يشوع يتضح صحة هذه الدعوى: «وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في منطقة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حمور أبي "شكيم" بمائة قسيطة فصارت لبني يوسف ملكاً» (يش ٢٤: ٣٢). ولا يزال قبر يوسف هناك بجوار هذا البئر حتى اليوم.

فإذا علمنا أن سبطي أفرايم ومنسى كان نصيبهم من أرض كنعان منطقة السامرة الآن بعينها، تكون دعوى السامريين بانتسابهم ليعقوب صحيحة، وأنهم وارثون بركة يعقوب في أفرايم ومنسّى صحيحة أيضاً. ولكن واقعهم الروحي والإلهي كان متدهوراً للغاية. كذلك يتضح من كلام السامرية للمسيح بعد ذلك: «ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منه هو وبنوه ومواشيه»، تأكيداً لميراث الأرض والبركة.

٦:٤ «وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة».

«ليس مثل الله يا يشورون، يركب السماء في معونتك والغمام في عظمته، الإله القديم ملجأ والأذرع الأبدية من تحت. فطرد من قدامك العدو وقال أهلك. فيسكن

إسرائيل آمناً وحده. تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر، وسماؤه تقطر ندى.» (تث ٣٣: ٢٦—٢٨)

«بئر يعقوب»:

هذه البئر موجودة حتى الآن تحت عناية الجهات الرسمية المحتفظة بالآثار. وكان عمقها في الأصل نحو ١٠٦ أقدام، ومياهها ترشح إليها من الأرض حولها فهي شحيحة نوعاً ما. وقد نزل في هذه البئر الرحَّالة اللفتنانت أندرسون في مايو سنة ١٨٦٦ فوجد عمقها ٧٥ قدماً — ونصف قطرها ٧ قدم — ولكنها كانت مطموسة وليس بها ماء، وكانت مُغشَّاة بحجارة غشيمة ولكن متماسكة.(٢)

والذي حيَّر العلماء هو لماذا هذه البئر شحيحة المياه مع أن حواليها ينابيع غزيرة في شكيم وكل الدائرة؟ وكان الردُّ هو أن يعقوب وهو متغرب هناك وقد اشترى قطعة الأرض هذه، أراد أولاً أن يكون له مصدر مياه خاصة به هو وبنوه ومواشيه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان حفر بئر في الأرض يعتبر آنئذ وضع يد ملكية يثبت ملكيته للأرض الواقع فيها البئر: «ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان حين جاء من فدان أرام (بين النهرين)، ونزل أمام المدينة. وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمئة قسيطة. وأقام هناك مذبحاً ودعاه إيل (إيل مفرد إلوهيم) إله إسرائيل.» (تك ٣٣: ١٨—٢٠)

«تعب يسوع من السفر»:

تعب يسوع من وعثاء السفر، أليس هو ابن الإنسان؟ أليس من أجل هذا تجشَّم رحلة النزول من حضن الآب ليشارك الإنسان شقاءه وأتعابه وأسفاره؟ ولكنه جيد أن يتعب يسوع مجرَّباً مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها، لكي يستطيع أن يعين المجرَّبين والتعابى. ولكن لعلَّه تعب من رحلة السفر الطويلة مع الشعب الذي أعطاه القفا دون الوجه: «مددت يديَّ طول النهار إلى شعب معاند ومقاوم.» (رو ١٠: ٢١)

«جلس هكذا على البئر وكان نحو الساعة السادسة»:

«**هكذا**: οὕτως» تفيد أنه جلس بدون ترتيب المكان الذي يجلس عليه من شدة التعب — أو بمعنى متعباً هكذا — وطبعاً كان جلوسه على الحجارة المرصوصة حول البئر. والبئر كان يبعد عن سوخار حوالي كيلو متر ونصف. وكان الوقت منتصف الظهيرة فأضاف الجو بحرارته على تعب الطريق جفاف الريق!!

---

2 Warren's Recovery of Jerusalem, pp. 464ff. cited by Westcott, *op. cit.*, p. 68.

وهل هي من مصادفات الحديث والرواية؟ أو أن هناك علاقة بين هذه القصة ومأساة الصليب، ففي الاثنين نقرأ عن التعب والعطش ونحو الساعة السادسة من النهار. بل والأدهش أن نقرأ في الروايتين أن التلاميذ تركوه وحده!!

«البئر»:

يورد ق. يوحنا في هذه الرواية لفظين متباعدين يعبّران عن البئر:

الأول: πηγή

ويعني ينبوع ماء، وفي أصوله اللغوية سواء باليوناني أو العبري أو العربي، يكون بمعنى «عين» بالعربي. وبالعبري "ayn" وهو الينبوع الطبيعي الذي لم تنقره يد إنسان وماؤه جارٍ أي حيٌّ. وهذا اللفظ التعبيري يذكره ق. يوحنا إذا كان ملازماً للرب سواء **جلس عليه أو أعطى هو منه ماءً حياً**: «يصير فيه ينبوع πηγή ماءٍ ينبع إلى حياة أبدية.» (٤ : ١٤)

الثاني: φρέαρ

وهو البئر المحفور باليد أو مصنوع كخزان، ويكون غالباً عميقاً ومياهه شحيحة وراكدة. واللفظة بالعربية مثل العبرية «بئر» "Béer". والعجيب أن هذا اللفظ التعبيري يذكره ق. يوحنا عندما يكون ملازماً للسامرية: «يا سيد لا دلوَ لك والبئر φρέαρ عميقة» (٤ : ١١)، وأيضاً عندما قالت: «ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر φρέαρ وشرب منها هو وبنوه ومواشيه» (٤ : ١٢).

وهكذا يكشف لنا ق. يوحنا عن منهجه الروحي، ويبثّه بالحديث بثّاً كفنٍ يطوّع الألفاظ لفكره اللاهوتي، وكأنه يريد أن يردد الآية: «شعبي عمل شرَّين. تركوني أنا ينبوع πηγήν المياه الحيّة لينقروا لأنفسهم آباراً (خزانات) λάκκους مُشقّقة لا تضبط ماءً.» (إر ٢ : ١٣)

أليس في هذا التصوير البديع بالعمل بالألفاظ ما يكشف عن رؤية كاتب الإنجيل أن بئر يعقوب هو هو المسيح ينبوع الحياة: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً... مَنْ يسمعْ فليَقُلْ تعالَ، ومَنْ يعطشْ فليأتِ، ومَنْ يُرِدْ فليأخذْ ماء حياة مجاناً.» (رؤ ٢١ : ٦؛ ٢٢ : ١٧)

أما «**الساعة السادسة**»: فليست الساعات عند ق. يوحنا بلا حساب. أليست هي عينها

ساعة الخلاص التي قال فيها «أنا عطشان»؟ إنه دائماً على ميعاد مع الخطاة في منتصف النهار قبل أن يأتي ليدين في نصف الليل.

أ ــ حديث الرب مع السامرية: (٤ : ٧ــ ٢٦)

وتظهر فيه المقابلة بين القديم والجديد على النحو التالي:

القديم: بئر بركات وذكريات الآباء الجسدية، ذات الماء المُعْطش.

الجديد: المسيح ينبوع الحياة الأبدية، والذي يشرب منه لا يعطش أبداً.

القديم: السجود في جبل أورشليم لليهود، وجِرزِّيم للسامريين الذين يسجدون لما لا يعلمون.

الجديد: «تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون بالروح والحق "للآب"».

القديم: «أنا أعلم أن مسيًّا يأتي... ذاك يخبرنا بكل شيء».

الجديد والاستعلان: «أنا هو»!

٤ : ٧و٨ **«فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً، فقال لها يسوع: أعطيني لأشرب، لأن تلاميذَهُ كانوا قد مَضَوْا إلى المدينةِ ليبتاعُوا طعاماً».**

واضح أنه لو كان المسيح مع تلاميذه لما طلب ماءً من امرأة. ولكن يتساءل الشُرَّاح لماذا تأتي امرأة لتستقي من بئر عميقة وحواليها عيون ماء كثيرة في المنطقة؟ كما يتساءلون لماذا تأتي وقت الظهيرة وهو ليس ميعاد استقاء؟ فالرد على ذلك بسيط ولكنه مُحرِجٌ. فالمرأة ذات سمعة سيئة، فهي اختارت وقتاً لا يكون فيه أحدٌ من نسوة المدينة يستقي، كما أنها اختارت البئر الأقرب إلى قريتها. فالبئر تبعد عن سوخار حوالي نصف ميل. ولكن ق. يوحنا لم يلتفت إلى هذه التفرعات التي تُلْهِي القارىء عن لُبِّ الحوار ونتائجه، وهذا هو أسلوب ق. يوحنا أن لا يتدخل في معرض القصة إلاَّ إذا التزم اللفظ بالتوضيح.

ولكن ماذا يوحي إلينا هذا المنظر؟ امرأة تستقي من بئر في منتصف النهار، والامرأة كجنس يُنْظَر إليه بخفَّة عند الحكماء في أعين أنفسهم: «وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة» (٤ : ٢٧)، ثم عند اليهود بازدراء وامتهان. فليست صنعة المرأة السَقْي من الآبار إن كانت امرأة ذات بيت

وخدم. ولكن هنا نرى الرب يكسر حاجز الجنس القائم بين الرجل والمرأة، وحاجز العداوة القائم بين الإنسان والإنسان، لأننا سنسمع حالاً أن اليهود لا يعاملون السامريين. ولكن أيضاً يكسر حاجز الطبقات ما بين ذي حيثية وغير ذي حيثية. فالمنظر أمامنا خصب يوحي بأن الجالس على البئر يمثل السمو غير الموجود في البشر. فإن قال: «أعطيني لأشرب»، فهو سؤال للأخذ، يخفي النية في العطاء. وهذا شأن الله دائماً: «يا ابني أعطني قلبك ولْتُلاحظ عيناك طرقي.» (أم٢٣: ٢٦)

السامرية فرغ ماؤها في منتصف النهار، مثل عرس قانا الذي فرغ خمره. فإن كان اليهود قد أعوزهم سرُّ الفرح، فالسامريون أعوزهم سرُّ الحياة.

ليس مصادفةً أن تأتي امرأة سامرية لتستقي والمسيح جالس على بئر يعقوب. ليس هذا من صُنع القَدَر بل مِنْ صُنع: مَنْ يصنع «أمراً مقضياً به على الأرض» (رو٩: ٢٨). فقد ساق الروح هذه المرأة التي هي خير من يمثل البشرية المُهانة التي خارج السياجات، لتصنع هذه المقابلة التي تم تدبيرها منذ الأزل. امرأة مُهانة من شعب ذليل، ليس غريباً عليها أن تتقابل مع مَنْ لَبِس الغُربة وأخذ شكل العبد المهان: «قليلٌ أن تكون لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب وردِّ محفوظي إسرائيل. فقد جعلتُك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدُّوسه **للمُهان النفس، لمكروه الأمة، لعبد المتسلِّطين**» (إش٤٩: ٦و٧). لقد سُجِّلت هذه المقابلة ليس في سفر إشعياء أول ما سُجِّلت، بل في سجل الأزل، لحساب مَنْ لبس ابن الله من أجلهم شكل العبد المهان!!

«أعطيني لأشرب»:

القول ينضح بالمفارقة الصارخة. ينبوع ماء الحياة يطلب أن يشرب من ماء بئر مُعْطِش ومن يد امرأة جفَّ منها ماءُ الحياء؟ ولكن دائماً أبداً تقف مفارقات الله مع الإنسان لحساب الإنسان. وهو دائماً يحتاج إلينا ليعطينا. ولكن قول الرب محسوب حسابه، وليحسب معي القارىء كلمات الرب للمرأة السامرية وهذه هي أولها: فسوف يجدها سبع كلمات بكل ميزان العدِّ والتصنيف وليس زيادة ولا نقصان. فكلمات الرب دائماً محسوبة ومُقنَّنة: انظر العَشْر الوصايا، وانظر السبعة التطويبات، والسبعة التوسلات في الصلاة الربانية، والسبعة الأمثال في إنجيل متى ١٣: ٣، والسبع الكلمات الأخيرة له على الصليب؛ تجد أن أقوال الرب تأتي مُحْكَمة الوزن والعدّ.

«لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً»:

من ملابسات القصة يبدو بترجيح شديد أن الرب أرسل تلاميذه ليبقى وحده. ولكن من المحتمل جداً أن ق. يوحنا بقي وحده معه. وكانت هذه مشيئة الرب وألحَّ عليها، لأنه ليس من المعقول بأي حال من الأحوال أن التلاميذ **جميعهم** يذهبون ليبتاعوا طعاماً و يتركون الرب وحده على طريق السامرة. هذا أمر غير محتمل ولا مقبول من مسلسل القصة. **فهم** في أرض غريبة وأيضاً معادية(٨). إذن، فكان هذا بناءً على إلحاح المعلم حتى يخلو بخروفه الضال الذي طالما فتش عنه. أما ق. يوحنا فربما هو الذي ألحَّ على البقاء معه واستجاب له الرب لأنه لا يغير شيئاً من الإحساس بوحدة المعلم. فكان هذا لحساب تسجيل هذه القصة المملوءة تعليماً وتجديداً. أما سكوت ق. يوحنا عن هذا التوضيح فهو أسلوبه المفضل في روايته.

٤: ٩ «فقالت له المرأة السامرية: كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامرية».

أمر غير مرتقب، وغريب عليها كل الغرابة، أن يتكلم رجلٌ مع امرأة و يهوديٌّ مع سامرية، ويطلب يشرب ماءً من إناءٍ سامري متنجس! وفوق هذا ما بال العداوة المحتدمة التي بيننا؟

ولكن ليس هذا كله الذي كان في حسبان هذه المرأة ولكن الأخطر من الكل الذي قفز إلى مقدمة تفكيرها أنها أحست بقداسة الجالس على البئر ورأت الخطر محدقاً بها. فاستنفرت فيها الخطيئة قوتها لتصد الهجوم قبل أن يقع، وتسد على النور مساره الذي كان قد اخترق قلبها عنوة... فابتدت رقة الرب بجفاء مصطنع وصوَّبت الكلمات في وقاحة متعمَّدة، وكأنها تراجع تعدِّي رجل على حياء امرأة، أو ترد عنها خدشاً لعفتها المزعومة: «كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية!»(٩) ولكن هيهات! فالعين الإلهية لا ترتخ، والقداسة لا تهادن، وسهم النور يستحيل أن تصده جحافل الظلمة. فالنور يضيء باقتدار، والظلمة مهما تحصنت وشاكست فهي لا تقوى على صده. فالخاطىء يبادر النور بلطمة، ولكنه يكون كمن يلاطم الهواء يسقط بعدها صريعاً له. وعاد الرب يلحُّ في دعوته والرب لا يُغلب أبداً. وكأنه المحتاج يتوَّج بالعطاء، و يتمادى في شرح صدق دعواه، يتودد لها لكي يبدد الإحراج عنها وهو يخفي شباكه وراء كلماته... هو يطرح اللطف

(٨) قص يوسيفوس المؤرخ عن صدامات دامية حدثت بين السامريين واليهود سنة ٥٢م. Ant. XX 118-136.

(٩) لاحظ أن التلاميذ أنفسهم اندهشوا لما رأوا معلمهم يتكلم مع امرأة: «وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة» (٤: ٢٧). وهذا بحد ذاته يظهر الفارق الهائل بين فكر المسيح وتلاميذه.

وهي تبرز الخراب: «اليهود لا يعاملون السامريين». ثم بدأت الحواجز تنهار...

١٠:٤ «أجاب يسوع وقال لها: لو كنتِ تعلمين عطيَّة الله ومَنْ هو الذي يقول لكِ أعطيني لأشرب لطلبتِ أنتِ منهُ فأعطاكِ ماءً حيًّا».

ــ عطية الله δωρεάν
إش٦:٩ «أُعطينا ابناً». υἱὸς ἐδόθη ἡμῖν
يو٣:١٦ «هكذا أحب الله العالم حتى أعطى ابنه الوحيد». ἔδωκεν

ــ ماءً حيًّا ὕδωρ ζῶν
يو١:٤ «فيه كانت الحياة». ζωή
رؤ٧:١٧ «لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتدهم إلى ينابيع ماء حية».
ἐπὶ ζωῆς πηγὰς ὑδάτων
رؤ٢٢:١ «وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلّور خارجاً من عرش الله والخروف». ὕδατος ζωῆς
إش١٢:٣ «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص».
ὕδωρ μετ' εὐφροσύνης ἐκ τῶν πηγῶν τοῦ σωτηρίου.
إش٤٤:٣ «أسكب (أعطي) ماءً على العطشان أسكب روحي على نسلك».
ὅτι ἐγὼ δώσω ὕδωρ... ἐπιθήσω τὸ πνεῦμά μου.
يؤ٢:٢٨ «أسكب روحي على كل بشر».
ἐκχεῶ ἀπὸ τοῦ πνεύματός μου.

المسيح يبدأ قوله بكلمة: «**لو كنتِ تعلمين**»؛ هو لا يتمنى لها أن تنكشف بصيرتها وتشتعل الشخص الجالس أمامها، بل بالفعل يفتح أمامها الباب وينبه ذهنها أن تُحسن الرؤيا، ويوحي إليها أن تطلب منه عطية، وهذا هو مفتاح الصلة الحقيقية التي بها تنشأ العلاقة القوية بين الله والإنسان.

وفعلاً تجمع المسيح في هذا الإيحاء العجيب، وفعلاً طلبت، وإن جاء الطلب غير صحيح فقد عدّله لها حتى بلغت المستوى! كذلك فإن المسيح ينبهها أنها محتاجة أن تعلم «من هو» ولا تعثر في منظره هكذا، المتعب والمجهد والعطشان! وكأنه يقول لها: "انظري جيداً لأني افتقرت وأنا غني كما أنا، ولكني افتقرت لأغنيكم، فلا تعثري في منظر بشريتي هكذا، بل ارفعي بصرك لتري

حقيقتي." وهذا قد تم بالحرف الواحد وفي أقل ما يمكن من الزمن!

في الحقيقة المسيح هنا بقوله «لو كنتِ تعلمين "عطية الله "» إنما يقدم نفسه للبشرية الخاطئة كما قصد أبوه الصالح تماماً: «هكذا أحب الله العالم حتى "أعطى" ἔδωκεν ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة». ثم يعود و يربط هذه العطية، وهي نفسه، بالماء ثم بالحياة، ولكن في صورة الماء الحي أي الجاري، ومن هنا التبس على السامرية الأمر. وهذا أسلوب ق. يوحنا في استخدام اللفظ الذي يرمي إلى معنيين: الأول عادي ومادي، والثاني روحي وإلهي!!

والماء الحي الذي في عُرْف العهد القديم هو مجرد ماء جارٍ من نهر أو خلافه، هو في العهد الجديد «الماء المُحيي» كعطية الله للإنسان على مستوى ماء الشرب الذي يُحيي الجسد بالأساس وبدونه يموت الإنسان. فالماء الحي عند المسيح هو «الحياة الأبدية نفسها». ولكن منظوره ومفهومه على أساس الحياة الجسدية التي يستمدها الجسد من الماء. أما الماء الطبيعي، إذا نال قوة روحية بالصلاة، فإنه يُعتبر ماءً للتقديس، وهو قادر أن يعطي الحياة الأبدية بالمعمودية بسبب قوة الحياة التي حلّت فيه بالصلاة.

كذلك وحينما نسمع في المزمور قول داود النبي: «عطِشَتْ إليك نفسي» (مز٦٣: ١)، فهو صراخ في طلب الحياة كصراخ العطشان إلى الماء طلباً للحياة. وهنا يكون الله هو بمثابة الماء الحي أو ماء الحياة أو الماء المحيي!! ولكنه هنا يسمى بالماء الحقيقي ἀληθινόν لتفرقته عن الماء الزائل.

ولو رجعنا بنظرة خاطفة إلى الوراء، لرأينا الماء عنصراً أساسياً في التغيير للتحول من القديم إلى الجديد في تعاليم المسيح الماضية. ففي عُرس قانا وجدنا الماء يتحول خمراً، ومع نيقوديموس الإنسان يتحول إلى خليقة جديدة «بالماء والروح»، ومع معمودية المعمدان يلزم للماء الروح القدس وإلاَّ بَطَل مضمونه. وهنا يقدم المسيح "نفسه كينبوع ماء حي" يفيض على من يعطش إليه و يطلب. وكان الماء في كل هذه المواقف هو الماء الحي الذي يعني بالنهاية «الآب» أو الله نفسه.

و يلزمنا جداً أن نرتفع بالحوار في شكله الفردي، لأن المسيح سيعطي السامرية وحدها، ولكن علينا أن ننظره من أفق أوسع يشمل كل مَنْ كان على مستوى السامرية: «إنسان صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لأن كل شيء قد أُعِدّ. فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون... حينئذ غضب رب البيت وقال لعبده اخرُج عاجلاً

إلى شوارع المدينة وأزقّتها وأدخِلْ إلى هنا المساكين والجُدْعَ والعُرْجَ والعُمْي... اخرُجْ إلى الطرق والسياجات وألزِمْهُم بالدخول حتى يمتلىء بيتي.» (لو١٤: ١٦-٢٣)

لو أدركنا أن حقيقة ينبوع الماء الحي تخص الله القدير في العهد القديم كما هو واضح من الآية عن ينبوع الماء الحي بكل وضوح: «أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون. الحائدون عني في التراب يُكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحيّة πηγὴν ζωῆς, τὸν κύριον إشفني يا رب فأُشفى... لأنك أنت تسبيحتي» (إر١٧: ١٣و١٤)، لأدركنا في الحال أن المسيح هنا في هذه الآية إنما يستعلن نفسه من خلال الماء الحي بكل يقين.

وإن أردت أيها القارىء أن تعرف صحة هذه العقيدة اللاهوتية أن المسيح هو الرب القدير ينبوع المياه الحية الذي يشفي كل جراح البشرية ويخلِّص الذين في الحضيض، فانتظر إلى نهاية هذه القصة لترى كيف نضح الرب عليها بالماء الحي فشُفِيَتْ وكيف سكب عليها من روحه فخلصتْ وقامت واستقامت، وتأهلت البشرية العاهرة أن تأخذ رتبة البنين وتصير تلميذاً ومعلماً!!

٤: ١١ «قالت المرأة يا سيد κύριε، Lord، لا دَلْوَ لك والبئر عميقةٌ. فمن أين لك الماءُ الحيُّ».

أخيراً رضيت العاصية أن تدخل الحوار!... فالعرض سخي غاية السخاء ولكنه غير معقول البتة؛ وهكذا دائماً عطية الله. وأنَّى للخاطىء أن يدرك حقيقة العطاء الإلهي وهو مرتبك بعطايا العالم، والفرق بين العطائين لا يُقاس ولا يحدُّ؟ هكذا صرخت النفس المنطوية على عجزها التي لم تذقْ بعد عطاء الله، وبلسان حالها: وهل تمطر السماء ذهباً؟ «أتحيا هذه العظام»؟ (حز٣٧: ٣)، «هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ها أنذا أُدخل فيكم روحاً فتحيون.» (حز٣٧: ٥)

«يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة»:

هكذا تغيرت صورة المسيح عند السامرية مِنْ «أنت يهودي» إلى «يا سيد κύριε». وهكذا ينجح المسيح دائماً في أن يغيِّر، لا صورته، بل صورة مَنْ يسمع إليه فيراه أكثر على حقيقته. ولكن الخاطىء يضع العراقيل دائماً في وجه من يحاول خلاصه!!

«يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة»؛ لقد استقرت الخطية في القاع وهيهات أن تصل إليها، ولكن خيطاً رفيعاً من الأمل يستتر خلف «يا سيد». أليس في هذه الكلمة ما يعني أنه صار

صاحب السيادة على نفسها؟ صحيح أنها تمسك بنظرة المستحيل، ولكن لمن «السيد» عنده شيء؟

«فمن أين لك الماء الحي»:

لقد عجزت أن ترى في الأفق حلاً، فإذا كان ليس له دلو ليستقي من بئر فكيف يعطي هذا ماءً جارياً وكأنه من ينبوع؟ هكذا تضع النفس لها قيوداً وتقفل على نفسها بالقَدَر لترضى بعجزها وتقطع الطريق على المحاولة، ولكن عند الرب حلولٌ تفوق القَدَر والمقدَّرات، وتتعدى كل الإمكانيات والتصورات: «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف٣: ٢٠)

١٢:٤ **«ألعلَّك أعظمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ وشَرِبَ منها هو وبنوهُ ومواشيه».**

عودة سريعة إلى الخلف ليتحصن الخاطئ في ماضيه ليراه حسناً وأفضل على كل حال من القفز نحو المجهول، هكذا تشبث نيقوديموس بشيخوخته ورأى فيها استحالة الدخول في ضيق البطن ليولد من جديد؛ بل هكذا رأى رؤساء الكهنة والفريسيون أن الهيكل بوضعه أفضل من تعديل يودي بحياة الأمة؛ بل وهكذا رأى تلاميذ المعمدان أن معمودية الماء أفضل من التغيير نحو معمودية الروح.

إن أصعب ما يلاقيه الخاطئ هو كيف يقفز نحو المجهول، ولكن هذا هو مطلب الإيمان الأول.

هكذا تعود السامرية تتشبث ببركات الآباء وبطوطم البئر الذي ورثوه عن يعقوب، وكأنه يُغني عن كل جديد! فمياهه الشحيحة الراكدة هي أفضل من الماء الحي.

يلاحَظ هنا أن الإنجيل يورد كلمة «وشرب منها هو وبنوه "ومواشيه"»، وهذا للإمعان في تحديد وظيفة الماء، باعتباره ماءً جسدياً أو حيوانياً محضاً في مقابل ما سيكشف عنه بخصوص «الماء الحي» الذي هو الماء المختص بالحياة الجديدة السماوية، التي طالما تغنَّى بها الربِّيون اليهود أنها هي هي التوراة. فالتوراة (الناموس) في تأملاتهم هي الماء الحقيقي التي تُحيِّي العين وتُنير البصيرة، والتي صحَّح معناها المسيح بأنها هي الحياة الأبدية التي تنبع في روح الإنسان بالروح القدس: «لأن الناموس (التوراة) بموسى أُعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو١: ١٧). فمياه الربِّيين لم تخرج عن كونها مياه الحرف لتطهير الجسد، أما مياه الرب يسوع

فهي مياه الروح للحياة الأبدية.

«إن كنت لا أرى معه دلواً ولا حبلاً»، أو «إن لم أضع إصبعي في أثر المسامير»! (يو٢٠: ٢٥). ولكنها تبحث في المستحيلات على كل حال، لأن في تقليد اليهود في التلمود وعند السامريين، أن يعقوب وهو عاطش مع بنيه ومواشيه وقف وصلى على البئر ونادى باسم الرب، ففاض منه ماءٌ حيٌّ أي جارٍ، وظل هكذا نابعاً والمياه تجري منه عشرين سنة، ولكن منذ ذلك الزمان لم نسمع أن هذا البئر فاض ماؤه ــ فالسامريون يدّعون أنهم من نسل أولاد يوسف ابن يعقوب، أفرايم ومنسّى الذين امتلكوا السامرة.

«فهل أنت أعظم من أبينا يعقوب؟»

وهنا يلذُّ للقديس يوحنا أن يُبْرِزَ هذا التساؤل كتساؤل اليهود: «ألعلّك أعظم من أبينا إبراهيم... مَنْ تجعل نفسك؟» (يو٨: ٥٣). وذلك لينبه ذهن القارىء أن: نعم «قبل أن يكون إبرهيم أنا كائن» (يو٨: ٥٨). أما هنا فيرد المسيح بطريقة أخرى ولو أنه لا يمانع أن يدخل هذا السباق فهو: «ههنا أعظم من الهيكل» (مت١٢: ٦)، و«ابن الإنسان هو رب السبت» (مت١٢: ٧)، و«قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو٨: ٥٨)، و«هوذا أعظم من سليمان ههنا» (مت١٢: ٤٢)، و«هوذا أعظم من يونان ههنا» (مت١٢: ٤١). ولكنه هنا بهدوء سيأخذ بيدها وبها حتى ترى فيه من هو أعظم من أبيها يعقوب!!

٤: ١٣و١٤ **«أجاب يسوع وقال لها: كلُّ مَنْ يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماءٍ ينبع إلى حياة أبدية».**

إش٤٩: ١٠ «لا يجوعون ولا يعطشون، ولا يضربهم حرٌّ ولا شمس، لأن الذي يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم».

رؤ٧: ١٦ «لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيءٌ من الحر. لأن الخروف في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماءٍ حية».

رؤ٢١: ٦ «أنا أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً».

إش٥٥: ١ «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه».

يو٦: ٣٥ «فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة من يُقْبِل إليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً».

يلزمنا هنا في البداية أن نوضح الفرق بين «**هذا الماء**» ماء يعقوب؛ و«**الماء الذي أُعطيه أنا**»(١٠)؛ والفرق بين «**يعطشُ أيضاً**»؛ و«**لن يعطش إلى الأبد**». فالمسيح هنا يستخدم الماء موضوع الحوار استخداماً من واقع حال الإنسان فيما يخص جسده، وفيما يخص روحه؛ فيما يخص حياته على الأرض، وفيما يخص حياته الأبدية. فالجسد يعطش ويعطش ويعود إلى الماء كل مرة، فهو لا يرتوي أبداً أبداً؛ ولكن الروح تعطش، فإذا ارتوت فلن تعطش أبداً لأنها ترتوي من ماء الحياة الأبدية؛ أو الماء الحي أو الماء الحقيقي، الذي هو الحياة الأبدية نفسها: «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)

المسيح يضع إصبعه على نفسه ويشير إلى ذاته، «والماء الذي أعطيه» هو عطية الاستعلان التي إذا سكبها على قلب الإنسان ووعيه فإنه يتعرف على حقيقة المسيح، فيدخل مجال الحق الإلهي وينتمي بروحه إلى السماويات؛ ومن كل ما هو سامٍ يشبع ويرتع ويمتلىء ويرتوي، فلا تعود الأشياء التي في الدنيا موضع عطش أو تلهُّف أو متعة روح.

المسيح يضرب على الوتر الحساس ليرنَّ صوته في أعماق النفس المتعبة التي نهبتها الشهوات والملذَّات والجري وراء سراب الغرور والمتعة، التي كلما شربت منها النفس ازدادت عطشاً إليها دون أن يدري الإنسان أنها تمتص رحيق حياته ونضارته وإرادته وكرامته، وأخيراً تتركه صريعاً للندم واليأس وخيبة الأمل. هذه هي «يعطش أيضاً».

«لن يعطش إلى الأبد»:

إنها قولة صدق ذات رنين حي تردده ألوف ألوف وربوات ربوات الأرواح القديسة في السماء بآمين.

إنها مقولة تتجلى في حياة مَنْ يُقْبِل ويشرب كل يوم، ولكنها سوف تبلغ أوج تجليها في المجد الأعلى، ومنتهى تحقيقها في ملكوت ابن الله: «لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس، لأن الذي يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم» (إش٤٩: ١٠). هذا يراه إشعياء من وراء الدهور، ينطقه بروح الله، فتردُّ عليه أرواح الأبرار التي تكملت في المجد: «لأن الخروف الذي في

وسط العرش يرعاهم.» (رؤ٧: ١٦)

هـو هـو المسيح المتكلم، «ينبوع الحياة الأبدية»، هنا «**بالاستعلان**» وهناك بالرؤيا والمشاهدة والعيان.

كـل من أدْمَنَ على شرب المياه المُعْطِشة هنا، يتمنى في يوم من الأيام لو لم يولد حينما يبلغ به العمر أرذله؛ أما الذي ذاق الحياة في المسيح يسوع فهو كل يوم يولد جديداً.

كـل مـن ضيَّع العمر في ملذات هذا الدهر وضيَّقت عليه الدنيا بعد ذلك، يتمنى لو يموت؛ أما الذي استعلن المسيح واستنشق الحياة الأبدية فيه، فهو يحيا كل يوم حياة جديدة ولن يموت أبداً.

«بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية».

إش١٢: ٢و٣ 	«هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً. فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص».

نش٤: ١٢ 	«أختي العروس جنَّة مُغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم».

«**الماء الذي أعطيه**» هو نعمة الاستعلان بالروح القدس، و بالاستعلان يتجلى المسيح في قلب الإنسان، فيشعر بالخلاص كقوة تجرف حياته كلها كنهر جارف لا يستطيع أن يحجزه، فينطق لسانه بالفرح والتهليل و يظل ينبع بفيضان. و يعيش باطمئنان في بهجة الخلاص، يشرب منها و يعبُّ عبّاً كل يوم، و يفيض على كل مَنْ يتعرف عليه، و يظل يفيض إلى أن يلتحم بالحياة الأبدية، وحينئذ ينجلي الخلاص في أكمل مفاعيله ومباهجه إلى أبد الدهور.

وهذا يعني أن الماء الذي يعطيه المسيح الآن يتحول فيه إلى خلاص في الحاضر يمتد إلى أبد الآبدين.

و بقدر ما يحتاج الخلاص هنا إلى مزيد من الشرب أي الاستعلان، بقدر ما في النهاية يصير في الإنسان قوة تزداد من تلقاء ذاتها حيث يصبح المسيح في القلب هو نفسه ينبوع الخلاص الذي لا يجف.

فـ«المياه الحية»، وقد أسماها المسيح «عطية الله»، حينما تستقر في نفس الإنسان تصبح قوة

حية فاعلة بذاتها تسكن هيكل الإنسان الروحي وتعمل فيه، تُحييه وتُهذبه وتُجدده. مثلها مثل عطية «**الحياة**» التي ينالها الإنسان من «**أكل الجسد**» الذي هو العطية الكبرى: «مَنْ يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية.» (يو٦: ٥٤)

ومثلها مثل «**كلمة الله**»: «كَتَبْتُ إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم.» (١يو٢: ١٤)

ومثلها مثل «**الحق**»: «من أجل الحق الذي يثبت فينا وسيكون معنا إلى الأبد.» (٢يو٢)

ومثلها مثل «**روح الحق**»: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم و يكون فيكم.» (يو١٤: ١٧)

ومثلها مثل «**مَسْحة النعمة**»: «وأما أنتم فالمَسْحَة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم أن يُعلِّمكم أحدٌ، بل كما تُعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حقٌ وليست كذباً كما عَلَّمَتْكم تثبتون فيه.» (١يو٢: ٢٧)

ومثلها مثل «**بذرة الله** Sperma of God»: «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية (طوعاً)، لأن زرعه (زرع الله) يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولودٌ من الله.» (١يو٣: ٩)

هكذا «**المياه الحية**»، روح الاستعلان ومعرفة الله، فإنها تسكن وتنبع فيه بلا توقف كالمياه الجارية و بلا نهاية، وتفيض قوة وراء قوة بلا نقصان بل بزيادة، حتى كما يقول بولس الرسول إلى «ملء الله».

وهكذا فإن نفس الإنسان التي تم فيها تجلي المسيح بالاستعلان، **أي شربت من ينبوع الخلاص، تصير هي بذاتها ينبوع خلاص**، كما يخاطبها سليمان النبي في نشيد الأنشاد: «أختي العروس جنة مُغلقة، عينٌ مقفلة، ينبوعٌ مختومٌ» (نش٤: ١٢)، بمعنى أن مواردها في الداخل وليس لها حاجة من الخارج: «ينبوع جَنَّاتٍ، بئر مياهٍ حية، وسيول من لبنان» (نش٤: ١٥). وسفر الرؤيا يكشف لنا عن مصدر الإندفاق ومنبع الفيضان الحر الدائم في داخل النفس هكذا: «وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلُّور خارجاً من عرش الله والخروف.» (رؤ٢٢: ١)

وقانون الارتواء من روح الله هو الامتلاء للزمان الحاضر والفيض الدائم، ثم الحياة الأبدية التي ننالها هنا نصعد بها إلى فوق حيث مصدرها: «وإن مَضَيتُ وأعددت لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو١٤: ٣)

١٥:٤ «قالت له المرأةُ: يا سيدُ أعطِني هذا الماء لكي لا أعطشَ ولا آتي إلى هنا لأستقيَ».

لقد نجح هذا السيد البديع، فهوذا استجابت السامرية إلى قول الرب: «... **لطلبتِ أنت منه فأعطاكِ** ماءً حيًّا». هذه أولى علامات العودة، عودة النفس إلى خالقها تلغلغ بطلبات كطفل يطلب على قدر تفكيره!!

كانت المرأة صادقة صدق الطفولة وهي تطبق كلام الرب: «مَنْ يشرب من الماء الذي أعطيه أنا **فلن يعطش**»، فقالت هي: «**أعطني** هذا الماء لكي **لا أعطش**». وأكملت من عندها: «حتى لا آتي إلى هنا وأستقي».

لقد استهوتها فكرة الماء الذي كل مَنْ يشرب منه لا يعطش، وأضافت بالضرورة ولا يتعب ويجيء ليستقي، لقد هدَّها مشوار كل يوم حاملة جرَّتها فارغة وملآنة؛ وكَلَّ ذراعاها من فَرْد الحبل وثَنْيِه ورفع الجرة بثقلها، الحبل بذراع والجرَّة بذراع، حتى ضاقت ذرعاً! ولكن لو كان هذا هو كل همّ الإنسان، وحتى مثله مائة ألف مرة لما غُلب الله من تحننه و بذل ابنه على الصليب من أجل الإنسان.

ولكن في قولها: «حتى لا آتي إلى هنا وأستقي»، فيه معنى الاغتناء ليس لما هو لذاتها فحسب، بل للذين تخدمهم أيضاً، وإلا على مَ سيعيش مَنْ تخدمهم؟ وهنا يلتقط الرب الخيط من فمها و يطلب أن يرى مَنْ تخدمهم.

١٦:٤ «قال لها يسوع: اذهَبي وادْعِي زوجَكِ وتعالَيْ إلى ههنا».

نعم يجب أن يأتي مَنْ تخدمه، وهو بالتقدير المبدئي زوجها، لأن العطية بحسب نظرها هي، تعني زوجها أيضاً. ولكن الرب الذي قرأ فكرها وضع هذا الطلب محكّاً لصدق قبولها العرض بأخذ العطية، و بالأكثر اختباراً لمدى صحة إيمانها بالكلام ومستوى يقظة ضميرها. الرب هنا يركّز على السامرية نفسها وليس على زوجها أو أهلها، لأنه بتوبتها وإيمانها هي، سيُقبل الجميع، فهو هنا

مستمر في إعدادها هي للعطية، ولأنه يستطيع أن يغفر الخطية فهو يستطيع أن يراها ويحاصرها بالضرورة. والآن وقد صارت خطيتها هي العقبة الوحيدة في وجه نوال العطية، لذا كان يتحتم كشفها والإعتراف بها تمهيداً لرفعها لتصبح على مستوى العطية. وحينئذ كما قال المسيح نفسه حينما تشرب هي من الماء الحي فإنه سينبع منها و يفيض على الزوج وعلى المدينة كلها. المسيح هنا يعرف الجواب مُسْبقاً: «ليس لي زوج»، عار المرأة الأعظم، لذلك يضع المسيح إصبعه على الجرح، ومِشْرَطه على الورم، ولكن برقة فائقة كمَنْ يستخدم المخدر حتى لا يشعر المريض بالألم. لقد تدرج معها وهو يسندها حتى تقوى على نطق ما لا يُنطق. وهكذا بلغ بها إلى نقطة اليقظة العظمى للضمير.

٤: ١٧و١٨ «أجابت المرأةُ وقالتْ: ليس لي زوجٌ. قال لها يسوعُ: حسناً قلتِ ليس لي زوجٌ، لأنه كان لكِ خمسةُ أزواجٍ، والذي لكِ الآن ليس هو زوجَكِ. هذا قلتِ بالصدقِ».

إجابة مقتضبة يلفها الحزن في مسحة من الألم كما من سهم يخترق القلب. هي رجفة الضمير الذي يجاهد كي يغلب انهياره، و يلتمس القوة من العين المسلَّطة عليه!

كان رد المسيح الفوري هو قبول الإعتراف أحسن قبول: «حسناً قلتِ». وهكذا جاء السند الذي كانت تحتاجه لتغلب انهيارها. وهكذا يسند المسيح «المُعْيِيَ بكلمة» (إش٥٠: ٤)، «أسندني فأخلُص» (مز١١٩: ١١٧). ليس العمل الذي وراء اعترافها هو الحسن، بل الحسن جداً أن نعترف به، فقولُ الحق عندما يشهد به الإنسان على خطاياه يُحسَبُ حقاً.

وعندئذ رفع المسيح النقاب عن شخصيته قليلاً وأخذ يسرد لها قصة حياتها كما في مرآة.

لأنه كان لها خمسة أزواج والذي لها الآن ليس زوجاً، ونحن لا نريد أن نخوض في ما لم يخُضْ فيه المسيح، ولكن شيئاً واحداً كان واضحاً من كلام المسيح أن وراء حياتها مأساة من الخيانات واستباحة الحرام اعترفت به السامرية ليس للمسيح فقط، فهو يعرف كل شيء ولا يحتاج إلى تفصيلات، ولكنها اعترفت هي بنفسها لأهل مدينتها أيضاً؛ وإن أعظم الإعتراف ما جاء علناً: «وقالت للناس... إنساناً قال لي كل ما فعلتُ!!» (يو٤: ٢٩)

حينما يستيقظ الضمير لا يعود يبالي بما يُقال عنه، بل يكون كل همِّه أن يقول هو عن نفسه، لا يعود ماضيه خفياً وراءه، بل يصير مكشوفاً أمامه: «وخطيتي أمامي دائماً» (مز٥١: ٣). والجرح

الذي كان يخفيه يرفع عنه الغضاضة و يستعرضه لمَنْ هو قادر أن يشفيه.

والمسيح في كشفه هنا لبقية سر مأساة السامرية إنما يكشف لها عن قدرته على محوها، وكأنه يكمل عنها اعترافاً ما لم تقوَ على الاعتراف به، ليستعيد لها صحة نفسها لتستضيء عيناها وتراه على حقيقته.

١٩:٤ «قالت له المرأةُ يا سيدُ أرى أنكَ نبيٌّ».

لقد انفتحت الرؤيا θεωρῶ. فكلمة «أرى» هنا لا تفيد الانطباع السريع بل قمة استعلان متدرج يبلغه المتصوفون حينما يُحدّقون بعقلهم في الله طويلاً، وتسمى هذه الدرجة عند المتصوفين بالثؤرية ــ أي الرؤيا العقلية.

من الصعب علينا جداً أن نحس بما أحسّته هذه المرأة عندما واجهها المسيح بكشف حياتها المخفية. إنه مزيج من الرهبة والرعبة مع قناعة بهيبة الجالس أمامها، وكأن حياتها كلها صارت مكشوفة أمام عينيه. ولكن عقلها ارتفع سريعاً لترى فيه إنساناً ذا اتصال بالله يستمد منه قوته وسلطانه.

حينما أفرغت المرأة خطيئتها استضاءت عيناها، وتأهلت لترى المسيح الرؤية الأولى على صحة، وإنما في غير اكتمالها: «فتطلع وقال أبصر الناس كأشجار يمشون. ثم وضع يديه أيضاً على عينيه وجعله يتطلع، فعاد صحيحاً، وأبصر كل إنسان جلياً» (مر٨: ٢٤و٢٥). هذه أولى مفاعيل عطية الماء الحي التي استقرت في أعماقها؛ وهذه أول حركة للإيمان يتحرك به قلبها.

لقد تدرجت في رؤيتها للمسيح من **«أنت يهودي»** إلى **«يا سيد»** إلى **«أرى أنك نبي»**. وهكذا تنجلي العين حينما يغتسل الجسد والنفس، والإعتراف بالخطية يرفع ثقلها عن القلب والضمير كما يرفع عقابها عن النفس. وهذه هي «عطية الله» التي وعدها المسيح بها، وهكذا علمت المرأة بالحق مَنْ الذي يقول لها أعطيني لأشرب. وهكذا أيضاً اكتشفت المرأة غنى المسيح من خلف فقره المصطنع، وعطش مَنْ له ينبوع الماء الحي.

ولم تكن رؤيتها أنه نبي لتقرير حق الواقع وحسب، بل لأنها ربطت بين امتيازه الإلهي كصاحب صلة بالله و بين حالها الفاضح فرأت فيه المنقذ. ولكن إلى مَنْ مِنَ الآلهة سيذهب بها هذا النبي؟ إله إسرائيل وأورشليم وجبل صهيون، أم إله السامريين وجبل جرزيم؟ إنها تود أن تعرف

إلى مَنْ تقدم توبتها وذبيحة خطيتها.

٤ :٢٠ «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورُشَليمَ الموضِعَ الذي ينبغي أنْ يُسجَدَ فيه».

من يصدق أن هذه النفس العفنة تنقلب بهذه السرعة إلى تائبة تبحث عن مكان للصلاة وتدقق في صحة المكان لتضمن توبة مقبولة؟ أمر لا يشغل بال إلا كبار اللاهوتيين.

لأن صحة أورشليم لتكون المكان الوحيد والفريد للعبادة والصلاة هي أعوص المشاكل أمام دارسي الناموس، وقد استطاع اليهود أن يزحزحوا هذا النير من على أعناق الشعب بأن قالوا بصحة المجامع المحلية لكل بلد.

أما هذا الإشكال اللاهوتي بالنسبة للسامريين فقد ظل كما هو، أعوص مما هو لليهودي ألف مرة، لأن أورشليم وهيكلها محظوران على السامري؟ فكيف الفكاك من القيود التي وضعها الإنسان في عنق نفسه؟؟

على كل حال هذا هو نبيٌّ مؤتمن، وهو من اليهود ولكن في غير تعصب، وقد أصبح قريباً منا عاطفاً علينا، فهو وحده القادر أن يحل معضلتنا، هل نتبع آباءنا القديسين البطاركة الأوائل الذين سجدوا في هذا الجبل أم أن أورشليم وحدها مكان العبادة؟ على كل حال كان هذا السؤال يحمل في طياته شكّاً في صلاحية جرزيم!!

فالمعروف أن يعقوب أبا الأسباط عَبَدَ الله في هذا المكان: «ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان حين جاء من فدان أرام، ونزل أمام المدينة وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمائة قسيطة، **وأقام هناك مذبحاً، ودعاه إيل إله إسرائيل**.» (تك٣٣: ١٨ــ٢٠)

في هذا الجبل: جرِزِّيم Gerizim

المقصود هو جبل جرِزِّيم الذي تقع البئر تحت سفحه مباشرة، وتقول التقاليد أن إبراهيم أب الآباء أصلح مذبحاً هناك بنيَّة تقديم إسحق ابنه حسب أمر الرب. وعلى هذا الجبل أيضاً تقابل مع ملكي صادق الذي باركه هناك. كما أن جرِزِّيم هو الجبل الذي أمر موسى أن يقف عليه ستة من أهم الأسباط لتقول البركات على من يعمل بالناموس (تث٢٧: ١٢). وفي توراة السامريين مكتوب

أن المذبح الذي أُقيم للعبادة الأُولى كان على جرزيم وليس على عيبال (تث٢٧: ٤—٨). والسامرية الآن تضع التقليد السامري المؤكد في مواجهة التعليم اليهودي غير المستند على وثائق!

و يُعتقَد أن الذي بنى المذبح على جبل جرزيم هو أخو رئيس كهنة أورشليم، حينما طرده أخوه من أورشليم بسبب زواجه من بنت سنبلَّط حاكم السامرة، وهو فارسي الأصل. فحينما طرده أخوه ذهب و بنى هذا الهيكل على جبل جرزيم وقام هو كرئيس كهنة بإقامة العبادة حسب الأصول اليهودية بمنتهى الدقة (نح١٣: ٢٨). كذلك فإن يوسيفوس المؤرخ اليهودي[11] يقول في تاريخه إن السامريين طلبوا من الإسكندر الأكبر الإذن ببناء الهيكل، فسمح لهم. و يضيف يوسيفوس على تاريخ نحميا بأن أعطى اسم «منسَّى» على أنه كان رئيس كهنة هيكل جرزيم وكان نسيباً لسنبلَّط حاكم السامرة الفارسي[12]. و يبدو من هذا التقرير أن تصريح الإسكندر الأكبر لم يكن للبناء بل ربما لإعادة بنائه، لأن الفرق بين زمن نحميا وزمن الإسكندر مائة سنة.

وقد هدم يوحنا هركانوس أحد المكابيين هذا الهيكل سنة ١٢٨ق.م ولكن ظل السامريون يعبدون في نفس المكان و يقيمون الفصح والصلاة في مواعيدها. و يتجهون نحوه بالصلاة كقبْلة إذا كانوا بعيدين عنه!

٤: ٢١ «قالَ لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنَّهُ تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجُدُونَ للآبِ».

«تأتي ساعة»:

هذه هي البشارة بالعهد الجديد، وهذه الساعة قريبة «تأتي»، وهي ساعة المسيح بلا شك، لأن بصَلب المسيح أُلغيت الذبائح وأُلغيت المذابح وأُلغيت الهياكل، إذ قد صار هو الذبيحة الأوحد للخلاص على المذبح الناطق السماوي في هيكل الله غير المصنوع بالأيادي حينما تكون العبادة والسجود لأب الجميع.

«تسجدون للآب»:

نقلة حاذقة وخطيرة من «**آباؤنا**» بالصورة المحصورة التعصبية إلى «**الآب**» الواحد الكلي للجميع. فعوض الانتماء التعصبي للبشر هوذا الانتماء لله الآب الحر المنفتح على كل بني البشر.

[11] Ant. XI,321-4.

[12] Ant. XI,302f.

وعوض العبادتين المتنافرتين المتعاديتين، هذه عبادة الواحد الأحد، وعوض الهيكلين المتصارعين بينهما هوذا الهيكل الواحد بيت الآب السماوي الذي يجمع الأولاد جميعاً دون نزيل أو غريب. وكأنما بجلوس المسيح على بئر يعقوب وفي أرض السامرة يعلن نفسه أنه يعقوب الجديد، إسرائيل البشرية كلها، الينبوع الحقيقي لماء الحياة الذي يجمع القريبين والبعيدين في ذاته و يضمهم إلى هيكل جسده، الآن بالحب والاستعلان، و بعد قليل بالدم على الصليب. «وتأتي ساعة» هي بعينها ساعة الفجر الآن التي تشير إلى ساعة الصليب السادسة، حين تُحل مشكلة السامرة والسامريين، وحين ترتفع العبادة فوق مستوى الأماكن والبلاد والجبال لتصير بالروح، والروح ليس لها وطن على الأرض بل موطنها السماء.

ولا ننسى أن في أول كلمة «"صدقيني" يا امرأة» ما يكفيها من اليقين والعزاء، عوض امتهان اليهود لهم والتعالي عليهم، يكفيها أن يكون «الآب» هو قِبْلة السجود، وهو قابلٌ الساجدين له.

٤ : ٢٢ «أنتم تسجُدُونَ لِمَا لَسْتُم تعلَمُونَ؛ أما نحنُ فنسجدُ لما نعلَمُ، لأن الخلاصَ هو من اليهودِ».

«تسجدون لما لستم تعلمون»:

المسيح هنا يستدرك ما قد يُفهم من تساوي أُورشليم بجرزيم بانتهاء عصرهما معاً بحلول الساعة. فإن كانت العبادة في هيكل أُورشليم ستبطُل، وكذلك بالتالي و بالأَوْلَى في جبل جرزيم، فليس هذا معناه أن عبادة اليهود خاطئة، ولكنها في سبيلها إلى الارتفاع فوق ذاتها لتبلغ الكمال في الله، أما عبادة جرزيم فهي وإن كانت عبادة مُقدَّمة في صورتها إلى الله ولكن الله نفسه غير معروف لدى السامريين. ومعلوم أن السامريين لا يؤمنون بالأنبياء جميعاً؛ في حين أن الأنبياء عند اليهود هم الذين تكلم الله بواسطتهم معلناً عن ذاته، و بالتالي كان اليهود ذوي معرفة صحيحة بالله، و بالتالي أيضاً أصبح السامريون محرومين من معرفة الله الصحيحة. فالناموس وحده بدون إلهام وتعليم سماوي ونبوة لا يخلِّص لأنه حرف والحرف وحده ـــ أي القانون ـــ يقتل إذا كان بدون مَنْ يرحم و يُشفق.

هنا المسيح لا يدافع عن اليهود ولا اليهودية، ولكنه يدافع عن الحق المُعْلَن لليهود فقط دون أقطار العالم أجمع، و يدافع عن مصدر الخلاص الآتي، بل الحاضر، أمام السامرية، المتكلم باسم الحق والخلاص، وهو نفسه المخلِّص الآتي الذي أتى! كما أن المسيح هنا لا يهاجم السامريين ولا

عبادتهم ولا معبودهم، بل يشفق على عبادتهم التي تذهب سدًى بسبب غياب الحقيقة منها وفقدان «استعلان الله» على حقيقته بفقدان وسطاء الاستعلان والإلهام وهم الأنبياء. لأن تسلسل الأنبياء انتهى بمجيء من تنبأوا عنه وهو المخلِّص؛ فصحَّ تنبؤهم وصحَّت نبواتهم. لذلك قال المسيح بكل يقين: **«إن الخلاص هو من اليهود»؛** لأن الخلاص ابتدأ بالاستعلان عنه ووصفه الأنبياء وكأنه حاضر، ورآه الآباء القديسون ونظروه من بعيد وحيُّوه وماتوا على رجاء. وهوذا ساعة الخلاص قد دقَّت دقاتها على صوت المعمدان وأصبحت حاضرة بحضور صاحبها.

٤ : ٢٣ «ولكنْ تأتي ساعةٌ، وهي الآنَ، حينَ الساجِدُونَ الحقيقيُّونَ يسجدُونَ للآبِ بالروحِ والحقِّ».

«ولكن»: ἀλλά

هنا يبدأ الكلام بـ«لكن»، وهي تعود على ما فات، أي على اختلاف العبادة باختلاف الحق فيها، وكأن المسيح يريد أن يقول: لنترك **«الآن»** الخلافات، لأن **«الآن»** أتت الساعة التي أصبح مفهوم السجود الحقيقي فيها يقوم على أساسين جديدين:

الأساس الأول: الساجدون أنفسهم إذ يتحتم أن يكونوا حقيقيين ἀληθινοί . و«الحقيقي» في إنجيل يوحنا وعند المسيح هو «الأليثيا»، و«الأليثيا» هي الله أو الانتماء الصادق لله، و يعني أن الساجدين يتحتم أن يكونوا لله عائشين، ليكونوا لله ساجدين، بمعنى أن يكونوا قد أفرزوا أنفسهم من العالم وتقدسوا لله، أي تخصصوا بالمعمودية وما تفرضه المعمودية في حياتهم وأفكارهم وأعمالهم فيما يخص الحق: «المولود من الروح هو روح».

الأساس الثاني: أن يكون سجودهم لله الآب آب الجميع، وليس آباً لشعب دون شعب، أو أمة دون أمة، أو جنس دون جنس، و يكون سجودهم للآب «بالروح والحق» ἐν πνεύματι καὶ ἀληθείᾳ

وهنا المسيح يرمي عصفورين بحجر واحد، فالعبادة بالروح يهاجم بها عبادة إسرائيل التي هي عبادة بالحرف، وهذه العبادة لم تَعُدْ مقبولة عند الله لأنها لم تَعُدْ بذي أثر ولا فائدة. والعبادة بالحق يهاجم بها عبادة السامريين فهي عبادة مزيفة أخذت الشكل دون الجوهر والاسم دون الحقيقة. وهي منذ البدء بلا فائدة: «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون».

ولكن كيف تكون عبادة الإنسان **«الآن»** بالروح والحق؟

«الآن» يقصد بها المسيح حضوره الشخصي الذي جعل الساعة حاضرة دائمة بحضوره، فالأبدية فيه مُعلّنة في عمق الحاضر الزمني. فـ **«الآن»** بوجود المسيح ــ الابن النازل من حضن الآب ــ هي الأبدية المستعلنة والحاضرة في الزمن، وهي كل المستقبل الروحي للإنسان.

+ والمسيح جعل، بالتجسد، **الإتصال بين البشرية والله أمراً حادثاً حدوثاً حقيقياً** وإلى الأزل ومفتوحاً على الجميع. وبهذا انفتح أمام الإنسان مجال الإتصال الروحي بالله سواء بالصلاة أو السجود بمعنى أن السجود بالروح صار متوفراً للإنسان في المسيح.

+ كذلك فالمسيح ــ الابن الوحيد ــ **هو الاستعلان الكامل لله** بالنسبة للإنسان كلُّ مَنْ يؤمن. إذن، أصبح الإنسان يعبد مَنْ يعرفه معرفة حقيقية وهذا هو السجود بالحق بكل معنى: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)

ولكن يُلاحَظ أن المسيح لم يتمجد بعد، ولم يحل الروح القدس بعد. لذلك، فالعبادة بالروح والحق التي قال عنها المسيح آنئذ هي عبادة المستقبل ــ بينما العبادة في الهيكل لا تزال قائمة ــ ولكن لأنه قد تم التجسد والمسيح حاضر **«الآن»**، إذن فالساعة موجودة ولكن لم يتم استعلانها الكلي بعد.

«السجود» لله هو عملية اتصال. يستحيل الإتصال بالله بواسطة العنصر الجسدي في الإنسان الذي هو منتمٍ إلى الحياة الأرضية.

«الله روح»، وقد وضع في الإنسان عنصراً روحياً يقيم كيانه، وهو متفوق على الجسد، ووُضع هذا العنصر أي «الروح» ليكون أداة اتصال بالله: «وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتُحفَظْ **روحكم** ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح» (١تس٥: ٢٣). وروح الإنسان في وضعه الصحيح خاضع لروح الله: «الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو٦: ٦٣). إذن، فمجال العبادة قد أصبح في المسيح هو المجال الأسمى الذي يتلاقى فيه الله والإنسان، أي أن زمان العبادة تحت توصيات وتعليمات جسدية قد انتهى: «أشكر إلهي بيسوع المسيح... فإن الله الذي أَعْبُدُه بروحي في إنجيل ابنه شاهدٌ لي كيف بلا انقطاع أذكركم.» (رو١: ٨و٩)

«لأن الآبَ طالبٌ مثلَ هؤلاء الساجدينَ له» (بالروح والحق).

«لأن»: καὶ γάρ

بادئة تجعل الآتي من الكلام يؤكد و يضمن و يسهّل ما فات من الكلام.

فالعبادة بالروح والحق، وإن بدتْ بالنسبة للإنسان مطلباً أعلى من إمكانياته، إلا أن هذا أمر متيسّر، لأن καὶ γάρ الله يسعى من جهته طالباً وجاذباً مثل هؤلاء الذين يسعون للسجود له بهذه الشروط، فلأن الله روح فهو يطلب الساجدين بالروح، ولأنه هو الحق فهو يطلب الساجدين بالحق. فالله من جهته عامل مشجّع وجاذِب ومسهِّل لكل الساعين للعبادة والسجود بالروح والحق؛ لأن هذه هي مسرة طبيعته.

٢٤:٤ **«اللهُ رُوحٌ. والذين يسجدونَ له فبالروح والحقّ ينبغي أن يسجُدُوا».**

المسيح يرتفع بمفهوم الله ليرتفع بمفهوم الإتصال به. فـ«الله روح» بمعنى أنه لا يدخل في كيانه أي شيء من قياسات العالم المنظور لا الزمان ولا المكان ولا المحدودية، وأهم تركيز هنا هو على المكان، لا أورشليم ولا جرزيم. وقد سبق وقلنا إن الله وضع في الإنسان عنصراً روحياً وهو الروح ليقيم كيانه كمخلوق روحي، ليتسنى له الإتصال بالله والوجود في حضرته دون النظر إلى الزمان أو المكان أو الشكل أو اللغة. لذلك فالعبادة والسجود لله لكي تكون منظورة من الله ولكي يراها ويسمعها ويستجيب لها، يلزم أن تكون من طبيعته بالروح والحق غير ملتزمة لا بزمان ولا بمكان لا بيهود ولا بسامريين. وهنا كلمة «ينبغي» تعني «يلزم إلزاماً» و«يتحتم تحتيماً»، أي لا يمكن أن تُقبل عبادة وسجود إلا إذا ارتفعت لمستوى الروح والحق؛ بمعنى أن لا ترتبط قط لا بأمكنة ولا بأزمنة ولا بأجناس ما.

وبنظرة سريعة إلى الخلف، نستطيع أن نحصل على محور التجديد في إنجيل يوحنا في الأمثلة السابقة. فالخمر الجيد ـــ في قانا، والهيكل الجديد ـــ في أورشليم، والماء والروح والميلاد من فوق عند نيقوديموس، والتعميد بالروح القدس على ضوء المعمدان، والماء الحي والعبادة بالروح والحق للسامرية؛ هذه كلها **عناصر الإنتقال من الحياة حسب الجسد إلى الحياة حسب الروح**، أي عناصر التجديد والخلقة الجديدة التي يرشّح المسيح مفاهيمها بالتدريج. كما أن هذه العناصر جميعها، الخمر والهيكل والميلاد الفوقاني والتعميد بالروح والسجود بالروح والحق، هي المقابل الروحي الحق والمطلق الذي لا تحدّه حدود بشرية أيًّا كانت تجاه اليهودية وكل العبادات الأخرى

للإنسان. هذه هي صورة العهد الجديد للإنسان عادة، التي صارت في محيط «تأتي ساعة وهي الآن».

والعجيب حقاً أن هنا هذه العناصر أو الرموز الحية: الخمر الجديد، الهيكل الجديد، الإنسان الجديد، العبادة بالروح والحق، تتركز في شخص المسيح نفسه: «أنا هو الذي يُكلِّمكِ»!

علينا الآن أن نجسِّد هذه المعاني المطلقة «بالروح» و«الحق»، حتى نفهم كيف يكون السجود بالروح والحق على مستوى حياتنا اليومية وعبادتنا. فالسجود بحد ذاته هو «بالجسد شكلاً» فإذا بقي السجود بشكله الجسدي والعددي فقط فهو لا يُحسب أنه سجود بالروح. ولكن إذا انطلق الإنسان من داخل السجود الجسدي بروحه بإحساس الوجود في حضرة الله، يُحسب سجوداً بالروح. والسجود بالروح له مواصفات روحية تثبت حقيقته. فإن روح الإنسان في حضرة الله تكون خاشعة غاية الخشوع، منضبطة، غير مشتتة، مطروحة أمام الله، مكشوفة بكل عيوبها وأخطائها، كما تكون الروح في حالة استقبال أكثر من كونها متكلمة وذات مطالب، شديدة التركيز والحساسية لاستماع تعليمات الله وتوبيخ الروح، أو تقبل التشجيعات الخفية أو الرد على أسئلة روحية للبنيان.

كذلك السجود بالروح لا يمنع أن يلتزم بالمواعيد والعدد وأصول السجود. ولكن إذا اكتفى الإنسان بالإتقان الشكلي فلن ينتفع شيئاً، وذلك يظهر بوضوح حينما يُنهي الإنسان سجوده وعبادته ويخرج كما دخل وذهنه مشغول بأموره الخاصة أو العامة. فعلامة السجود بالروح هي أن يخرج الإنسان من حضرة الله مفعماً بمشاعر الرضى والراحة والفرح مهما كانت أموره محزنة. فالحزن والضيقة والألم والشكوى كل هذه يتحتم أن ننفضها عنا قبل الدخول في حضرة الله للسجود. حالة خروجنا من السجود يكشف هل كنا حقاً في حضرة الله، وهل حصل إتصال فعلي أم لا. السجود بالروح في حضرة الله ليس هو واجباً، بل ضرورة روحية كالأكل والشرب والدواء والعلاج تماماً بالنسبة للجسد. إذا لم نمارس السجود بالروح، فالروح تجفُّ و يتعطل عملها، فتنقفل رؤية الإنسان ولا يحس بوجود الله، وقليلاً قليلاً ينكمش الإيمان و يفقد الإنسان حرارة الروح وتبدأ المُثُل العليا تهتز أمامه، و يزحف الشك على إيمانه، و يفقد الإحساس بصدق الإنجيل والله، و يشك في الحياة الأبدية، لأن أداة الإتصال بالله قد أصبحت عاطلة، أي الروح الموضوعة في الإنسان لهذا الأمر.

يلزم أن يفهم الإنسان أن الله وضع فيه الروح كأداة إتصال بالله، فإذا لم تُستخدم تُنزع مواهبها من الإنسان، وروح الإنسان الأمينة والنشطة والملتصقة بالله على الدوام تصير مكان سُكْنَى الروح القدس ومرافقته، فإذا أهمل الإنسان السجود بالروح، لا يعود يحظى بزيارة الروح القدس والنعمة. والخطية ترصده، فتتعتم الرؤيا: «روحك القدوس (يا رب) لا تنزعه مني»

(مز٩٥ : ١١). فإن كان الله قد وضع الروح في الإنسان رغبةً منه أن يتصل بواسطتها مع الإنسان، إذن أصبح السجود بالروح جزءاً لا يتجزأ من كيان الإنسان بالنسبة لحياته مع الله. لأنه كما أعطي الإنسان الشهية للأكل، كذلك أُعطي الروح للعبادة والسجود والصلاة. فإذا كان الإنسان يعرِّض نفسه للموت إذا لم يأكل، هكذا فهو معرَّض للموت إذا لم يسجد بالروح. غير أن الموت الروحي لا يشعر به الجسد، والنفس المستهترة لا تعيره اهتماماً. ولكن في نهاية عمر الإنسان يستيقظ ضميره فيرى عظم الخسارة بل المصيبة التي اكتسبها لنفسه بإهمال الإتصال بالله الذي سيذهب ليتراءى أمامه. لذلك فالمرجو أن يختبر الإنسان نفسه بعد كل سجود هل كان بالروح أم لا، وهل اتصل بالله فعلاً أم لا.

٤ : ٢٥ «قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيَّا ــ الذي يُقالُ له المسيحُ ــ يأتي. فمتى جاءَ ذاكَ يُخبِرُنا بكلِّ شيءٍ».

هنا عنصران في صميم الواقع في هذا الحوار يسيران جنباً إلى جنب. الأول أن السامرية بدأت تحس بقرب المسيح منها وبدأ الإشعاع الروحي الشخصي يطغى على الحديث، وهذا أمر في غاية الأهمية، لأن الإنسان إذا ابتدأ ينفتح على الله قليلاً، فإن الله ينفتح عليه كثيراً. وهكذا تدخل السامرية، دون أن تدري، في المجال الروحي للمسيح، وهذا هو الذي جعلها تلقائياً تمتد بفكرها نحو النبي الموعود الذي سجلته توراتهم في سفر التثنية الذي وعد به موسى.

أما العنصر الثاني فهو تسلسل الحديث، فقد انتهت السامرية إلى القول بأن اليهودي الواقف أمامها، وهو السيد، هو نبي. ولكن في تصريحه الأخير عن العبادة بالروح والحق التي ستكون لا في أورشليم ولا في جرزيم جعلها تتعلق في تفكيرها من نحوه، إنه يتكلم بأبعد من إمكانيات نبي، فالنبي الواقف أمامها لو كان يهودياً فهو حتماً سيُزكِّي أورشليم فوق جرزيم، ولكنه لا يفعل ما يتحتم على النبي اليهودي أن يعمله، فمَنْ يكون؟ وقفت السامرية أمام المسيح حائرة. أيمكن أن يكون هذا هو مسيَّا الذي طالما سمعوا عنه وانتظروه؟ لم تستطع أن تقطع بالأمر، لأن الرؤيا غير كافية أمامها. وهذا أمر في غاية الأهمية أيضاً، لأن أي شك من نحو الله يجعل صورة الله تهتز فوراً. هذا أخذت على الفور مبادرة من شأنها أن تكشف الحقيقة وتقطع بالأمر، فألقت بسؤالها أمامه، وهو ليس سؤالاً بل تساؤل، والرد عليه كفيل إما بأن يقطع الشك باليقين إن قال نعم، وإلاَّ فعليها أن تنطوي مرة أخرى على نفسها بانتظار مسيَّا ــ هذا الذي يستطيع وحده أن يُعرِّفها بالحقيقة وبكل شيء. والله دائماً يرحب جداً أن يدخل أي اختبار. وقصة جدعون أحد قضاة بني إسرائيل بتضح

فيها هذا المبدأ. ففي أول مقابلة مع ملاك الله الذي أمره أن يخرج ويحارب الأعداء، قدّم جدعون أول اختبار لصحة شخصيته وصحة كلامه وهو أن يبقى في مكانه في بيادر الحقل حتى يعود إليه بجدي يذبحه له ذبيحة تكريم، فوافق. وثاني اختبار قدّمه لصحة وعد الرب أن يكون الرب معهم في الحرب أن قدّم اختباره الثاني بصورة جزّة صوف وضعها في الظلّ بالليل، وفي أول يوم اشترط على الرب أن يملأ الطلُّ ــ أي الندى ــ الجزّة ولا يمس الأرض حولها، فوافق الرب وصنع ما طلب جدعون. وفي ثاني يوم غيّر الإختبار أن ينزل الطلُّ حول الجزّة ولا يمس الجزّة نفسها، وكان أن فعل الرب ما طلب. فتأكد جدعون وحارب وغلب. وكان الرب عند حسن ظن جدعون!

«أنا أعلم أن مسيّا ــ الذي يقال له المسيح ــ يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء»:

يقول «شناكنبرج» في بحثه عن عقيدة السامريين فيما يختص بالمسيا هكذا:

[انتظار العهد الماسيّاني عند السامريين ــ كما تقول به هذه المرأة ــ يأتي مطابقاً بما نقرأه من المصادر المحفوظة عن السامريين. فالمسيّا كان اسمه عندهم «تا. إب»، ومعناها قريب من اللغة العربية أي «الآيب» بمعنى الآتي أو الراجع وذلك بحسب التوراة (تث١٨: ١٨). فهو محسوب عندهم أنه النبي الذي سيظهر في آخر الأيام خليفة لموسى النبي. ولأهمية هذا النص من التوراة عند السامريين فقد جعلهم على رجاء مستمر. ومما جعله أمراً هاماً جداً عندهم أن في توراتهم تسجّل هذا الوعد بعد العشر الوصايا. وهذا المعنى «تا. إب» في مفهومهم هو قائد سياسي، فهو سيعيد مملكة إسرائيل (السامرة) مثل مسيّا اليهود على مستوى مملكة داود. غير أنه بسبب اتصاله بموسى، فقد تحتم أن يكون من سبط لاوي. إذن، فكونه هو كاهناً فهو سيعيد فم العبادة الحقّة، أما دوره كنبي مُشْعِل للحقائق وكمعلم فهو أمر منتظر ومترقّب بحسب مفهوم النبوة (تث١٨: ١٨).

وفي كتابهم المسمّى (ممار مركا) ــ وهو من القرن الثالث الميلادي ــ في الفصل الرابع والمقطع ١٢ يقول: إنه سيعلن الحق! ويوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر للقديس يوحنا يسجل ويؤكد في تاريخه أن السامريين لهم رجاء بمجيء المسيا. ويحقق العلماء في صحة مجيء كلمة «مسيّا» بدون «أل» التعريف في قول السامرية... ليكون مطابقاً لاسم المسيّا عندهم وهو بدون «أل» التعريف. وعندما قالت السامرية: «الذي يُقال له المسيح» فهي تترجم اسمه عندهم باسمه عند اليهود.](١٣)

---

(13) Schnackenburg, *op. cit.*, p. 441.

٢٦:٤ «قال لها يسوع "أنا هو" الذي أكلمك»! ἐγώ εἰμι, ὁ λαλῶν σοι

توقُّع المرأة لهذه الحقيقة، هو الذي دفع المسيح لإعلانها. لم يكن المسيح قادراً، بعد، أن يحجز عنها هذه الحقيقة حينما بلغتها وتوقفت عند حدودها عاجزة تطلب وتمد يدها لكي يُدخلها إلى النور أو يُدْخل النور إليها. لقد أدركت تماماً أن وراء هذا الإنسان شيئاً أعظم من نبي ولكنها تعثرت في أمرين: الأول أنه يهودي، والثاني هذا الجسد المتعَب العطشان. إن عثرة التجسد تقف الحاجز الأخير للإيمان الذي إذا تخطاه الإنسان بلغ إلى رؤية الله. والله وضع هذا الحجاب الحاجز بينه و بين الإنسان لاختبار هذا الإيمان، فهو الحاجز، وهو نفسه الطريق الموصل إلى السماء إلى قدس الأقداس: «طريقاً كرّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده.» (عب١٠: ٢٠)

يلاحَظ في الترجمة العربية(١٤) أنها أخفت «أنا هو» ἐγώ εἰμι دون معرفة. فهنا يقع هذا الإصطلاح كاسم شخصي لـ«يهوه»(١٥) كما تنطقه جميع أسفار العهد القديم. فالمسيح يُبرز شخصيته ليس كالمسيًا الذي تنتظره هي أو اليهود عموماً، كمن يردُّ المُلْكَ أو يُعلِّم التوراة عن صحة أو يبني هياكل و يصحح عبادات، بل هو «يهوه» الذي يصنع كل شيء جديداً. نطقه المسيح وهو مغطى بالسرِّية التي لا يفكُّها إلا من يبحث عنه!!

هذه هي المرة الأولى والوحيدة التي يعلن فيها المسيح عن شخصيته المسيَّانية قبل المحاكمة، يقابلها في إنجيل مرقس فقط موقفٌ مماثلٌ: «لأن من سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره.» (مر٩: ٤١)

وعلى القارىء أن يلاحظ أسلوب المسيح في إنجيل يوحنا في الإعلان عن نفسه، فمع نيقوديموس ابتدأ من «الريح التي تهب حيث تشاء»، مع صورة سرية للماء لقيام أولاد الله مولودين جداً من فوق؛ ومع السامرية ابتدأ من الماء الذي «من يشربه لا يعطش أبداً»، الصورة السرية للمياه التي تولد منها النفوس الجدد أيضاً.

أما نيقوديموس فتعثَّر، شأنه شأن معلِّم الحَرْف في العهد القديم: «لأن الأجنّة دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة» (إش٣٧: ٣)؛ وأما السامرية فطلبت بشغف وشربت بنَهمٍ، ورأت المسيًا، وتتلمذت وصارت طليعة الأمم.

---

(١٤) جاءت هذه الآية في طبعة بيروت: «أنا الذي أكلمك هو».

(١٥) أنظر شرح «أنا هو» كاسم شخصي ليهوه في المدخل ص٢١٨–٢٤٦ وعلى الخصوص ص ٢٢١.

لقد سقط عن السامرية ثوبها المنجّس بقذر الخطية، حينما انفتحت عينها مليًّا ورأت المسيح أمامها مُستعلناً. فقد ولّت منها في الحال شياطين الظلمة، ولفّها نور المسيح. إذ لَمَّا يسقط عن النفس ثوبها المنجّس، تتولى الملائكة إلباسها ثياب النور، وهي الثياب المزخرفة عند زكريا النبي: «وكان يهوشع لابساً ثياباً قذرة وواقفاً قدام الملاك فأجاب وكلّم الواقفين قدامه قائلاً: انزعوا عنه الثياب القذرة. وقال انظرْ قد أذهبتُ عنك إثمك وألبسك ثياباً مزخرفة... وملاك الرب واقف» (زك٣: ٣ـــ٥). نعم لقد لبست الأمم فرحتها يوم لبست السامرية ثيابها المزخرفة.

ب ـــ حديث الرب مع التلاميذ: (٤ :٢٧ـــ٣٨)

وتستمر فيه المقابلة بين القديم والجديد على النحو التالي:

القديم: «يا معلّم كُلْ».

الجديد: «لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم. طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمم عمله».

القديم: الأنبياء الذين زرعوا بالدموع.

الجديد: التلاميذ يحصدون ما لم يتعبوا فيه.

٤ :٢٧ **«وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة ولكن لم يقل أحدٌ ماذا تطلُبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها».**

+ **إحدى بركات الخدمة اليومية في المجامع:**
[أشكرك أنت الرب الذي لم تخلقني امرأة].
+ **إنذار الحكماء اليهود:**
[الرجل لا يتكلم مع امرأة في مكان عام حتى ولو كانت زوجته].
+ **قول للربانيين اليهود:**
[إنه خير لكلمات التوراة أن تُحرق من أن تُلقى على مسامع امرأة].
+ [سأل جليلي امرأة يهودية في الطريق أين الطريق إلى لِدّة؟ أجابت أيها الجليلي الأحمق ألم تسمع أنه ليس للرجل أن يتكلم مع امرأة في الطريق وأنت تسأل الطريق إلى لدّة؟].
رابي يوسا[١٦]

[16] Morris, Leon, *The Gosp. acc. to St. John*, p. 274.

- [أي رجل يعطي ابنته أي معرفة عن التوراة يكون هذا بمثابة أنه يعلمها الدعارة؟؟؟].

رابي إليعازار(١٧)

+ بولس الرسول:

[ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحداً في المسيح يسوع] (غل ٣: ٢٨).

عند هذا الحد من الحوار الذي انتهى باستعلان المسيح لذاته، وصل التلاميذ، ومن بعيد رأوا المعلم والسامرية فتعجبوا متحشّمين أن يتكلموا، لأن من عادة حكماء اليهود والرابيين والمعلمين عموماً أن لا يتحادثوا مع امرأة في الطريق مهما كان الأمر.

ولكن هذا التعجب بحد ذاته يكشف أن التلاميذ كانوا لا يزالون بعيدين جداً عن فكر المسيح والمسيحية. وهذا يوضح مدى التغيُّر الهائل الذي حدث للمجتمع اليهودي بالنسبة للمرأة بالذات، لما آمن بالمسيح واعتمد لوصاياه وقَبِلَ استعلان الحق الإلهي، الذي أضاء ذهن الإنسان وحياته.

ويقول العالم «ليون موريس» في كتابه لشرح إنجيل يوحنا في هذا الموضع إنه حتى إلى الآن حينما يُلقى السؤال في المجتمع اليهودي عن وضع المرأة يقال لهم: [إذا كنا الآن نحس أن المرأة قد حازت على أفضل التغيير في وضعها، فهذا في المجتمع المسيحي وليس بحسب الرؤية اليهودية القديمة]. (١٨)

«ولكن لم يقل أحدٌ ماذا تطلب أو لماذا تتكلم معها»:

هذان السؤالان اللذان لم يخرجا إلى حيِّز الوجود، يوضحان العلاقة القائمة بين المعلم والتلاميذ كيف كانت تقوم على أساس الإحترام الشديد والوقار والخشية. وهذا فعلاً أحد الآداب اليهودية التي ورثتها المسيحية وظهرت في الحياة الرهبانية القائمة دائماً على المعلم والتلميذ، ولكن للأسف لم تدُم، فعصرنا الذي نعيشه الآن انقلبت فيه المُثُل والأوضاع، وضاع الميراث والتراث بل ضاع منهج الحياة والحياء.

---

[17] Ibid.

[18] Ibid.

٤ : ٢٨ «فتركت المرأة جرَّتها ومضتْ إلى المدينة وقالتْ للناسِ».

استجابة المرأة هذه المرة ليس بالقول بل بالعمل. لم تَقُلْ: ماذا ستعمل وإلى أين تذهب، ولكنها تركت جرَّتها تأكيداً أنها لا بد حاضرة وأنها ستأتي أمراً هاماً!

عادت المرأة إلى أهل مدينتها في غير ثوبها المنجَّس بالقذر الذي به عرفوها، ولكن بثوبها الجديد المزركش بالنور صُنْعَ يَدِ النعمة وتطريز ملائكة، وافتهم و بُشْرَى الخلاص على فمها.

إنه أمرٌ لا يستطيع العقل أن يلاحقه، كيف أن هذه السنين كلها التي عاشتها هذه النفس في وحل الخطية تُغتسل في ساعة وأقل؟ لك يا عزيزي القارىء أن تحكم في نور هذه «التوبة العاجلة جداً» مدى تفاهة الخطية بطولها وعرضها وعمقها وخطوطها التي ترسَّخت في الشعور واللاشعور وقيدت الغرائز واستعبدت الأعضاء وكل الجسد!!

كيف انحلَّت و بادت هذه كلها في مواجهة النور وفعل النعمة!! انظر إلى جبروت الوقوف في حضرة الرب وماذا يصنع الحوار الصريح مع القادر على كل شيء! انظر الآن وتمعَّن في معنى التجديد، ومعنى الميلاد من فوق، ومعنى التحول من القديم إلى الجديد، ليس عادات وغرائز وحسب، بل قيم وتقاليد وقيود من حديد! تَفكَّر الآن كيف يُخلق الإنسان من جديد من فوق، كيف يغتسل بل يتقدَّس بل يلبس النور كثوب.

وما أخفق معلِّم الناموس في فهمه، مارسته السامرية في أعلى صوره. ألا ترى معي هنا لماذا بكل صدق وحق أخذ الله الملكوت من اليهود وسلَّمه للأمم؟ وكيف كانت السامرية باكورة ثماره؟

ذهبت السامرية إلى البئر بالجرَّة على رأسها والدموع على خدَّيها تبكي حظها ولا مَنْ يُعزِّي، فالشماتة خلفها!! وعادت إلى المدينة والفرحة تملأ قلبها، إكليل القداسة فوق رأسها وإنجيل البشارة على قدميها: «ومفديُّو الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون (العليا) بترنُّم، وفرحٌ أبديٌّ على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم، و يهرب الحزن والتنهد.» (إش٣٥: ١٠)

٤ : ٢٩ «وقالت للناس هلُمُّوا انظروا إنساناً قالَ لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيحُ».

لم تَدْعُ زوجها بل دعت الناس، كل الناس!
تركت جرَّتها، نسيت صَنْعتها، لم تَعُدْ تذكر بيتها ولا ماضيها، أهملت الجسد!

المسيح وحده ملأ فكرها، ملأ قلبها. دخلت مياهه أعماقها ففاضت أنهار ماء حيٍّ. لا بد أن يصير للناس كل ما صار لي.

هلموا هلموا: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا... اسمعوا فتحيا أنفسكم.» (إش٥٥: ١و٣)

«إنساناً قال لي كل ما فعلت»:

إن المبالغة التي تتكلم بها هي صادقة: «كل ما فعلت»، مع أن المسيح راجعها في أمر الخمسة والموجود معها الآن! ولكن المسيح فتح وعيها فاسترجعت كل ما فعلت وكأنها قالته، كأنها اعترفت به واحدة فواحدة. هكذا يستيقظ وعي الإنسان عندما يتوب. وبعدها تُمحى ذكرياته وتتلاشى سيئاته وتُترك له زلاَّته ولا يعود يذكر هو ولا يذكر له الناس ولا الله شيئاً واحداً مما فعل...

ولكن واحسرتاه على الذي كتم خطاياه وختم على خزيه وعار صباه، فهذه كلها تعود وتستيقظ معه في حضرة الديَّان، بعضها يجري أمامه، وبعضها يجري خلفه، وكأنه واقف وسط أعدائه.

«ألعلَّ هذا هو المسيح»:

إنها تعلم تمام العلم اليقين أنه مسيًا بلا نزاع، هو قال لها: «أنا هو». لقد دخلت الكلمة أعماقها، لقد صار المسيح مصوَّراً في قلبها وضميرها، لقد غطَّى كل صورة عداه، ومسح كل وجه سواه. لقد صار المسيح عريس حياتها الذي استعاد بتوليتها وأنعش أمل الحياة والوجود والخلود في أعماق أعماقها... ولكنها لم تُرِدْ أن تَسْتَبِقَ حكم المدينة عليه لئلا يناقضوها فيما قالت وفيما اعتقدت. تركت لهم الحكم، ولكن دفعتهم للمجيء لينالوا ويحكموا بأنفسهم ما حَكَمت و يعتقدوا ما اعتقدت، وقد كان!!!

٤ : ٣٠ «فخرجوا من المدينة وأتوا إليه».

الكل يجري و يتراكض... إشعياء يراهم و ينذهل من رؤياهم: «ها أُمة لا تعرفها تدعوها، وأُمة لم تعرفك تركض إليك... لأنه قد مجَّدك!» (إش٥٥: ٥)

لقد سمعوا نداءها واستجابوا لحرارة دعوتها وصدق مشاعرها. لقد وثقوا من صدق قولها، فأين هذه من صاحبة السيرة الأُولى التي كان يحتقرها كل ناظر ولا يأبه بقولها أحد! التي كانت تمشي

تتلصص الطرق التي فرغت من عابريها وتختار الأوقات التي لا يسير فيها أحد لتسير وحدها منطوية على خزيها!

٤ : ٣١ـــ٣٣ «وفي أثناءِ ذلكَ سألَه تلاميذُهُ قائلينَ: يا معلمُ كلْ. فقال لهم: أنا لي طعامٌ لآكلَ لستم تعرفونَهُ أنتم. فقال التلاميذ بعضُهم لبعضٍ: ألعلَّ أحداً أتاهُ بشيءٍ ليأكُلَ».

كان المعلم عطشاناً لماء السامرية ولكن ليس جوعاناً لطعام التلاميذ.

كان عطشه للماء يخفي وراءه عطشاً لخلاص السامرية والسامريين. والجوع إلى طعام المشيئة الأبوية أخفى هنا جوع الجسد، ليس عن تعالٍ فهو ابن الإنسان، ولكن عن أفضلية.

والتلاميذ هنا عادوا فأخذوا دور السامرية، هو قال لها عن الماء الحيِّ الذي مَنْ يشربه لا يعطش أبداً، وهي ظنته ماءً لراحة الجسد؛ وهو هنا يقول عن طعام يأكله بالحب الإلهي لتكميل مسرة الآب وهم ظنوه طعاماً أكله خلسة من يد عابر سبيل!!

٤ : ٣٤ «قال لهم يسوعُ: طعامي أنْ أعملَ مشيئةَ الذي أرسلَني وأتمِّمَ عَمَلَهُ».

المسيح تجتاحه الرغبة الإلهية لخلاص الناس بعنف يغطي كل أعواز الجسد! هنا يستعلن سر الحركة الإلهية في نفس وجسد المسيح كيف تحل محل كل رغبات وشهوات وحاجة الجسد والنفس معاً!

إن الأصوام العالية القدر والقدرة التي مارسها الرب سواء في الأربعين على الجبل وحده أو غيرها هي لرفع الجسد والنفس البشرية لتتصادق مع الرغبات الإلهية المقدسة التي للاهوته!! هنا حالة مصغَّرة من هذه الحالات التي كانت تعلن عن وجودها إزاء المهمَّات الكبرى! هنا مطالب اللاهوت تُغطِّي على مطالب الجسد، وتدعو الجسد للتآلف معها ليشبع من المشيئة المقدسة و يقنع بمجد الرسالة! هنا الجسد يستجيب بكل حرارته وقوته فتلتهمه نار الجذوة الإلهية فلا يبقى فيه إلاَّ إرادة موحَّدة لتكميل الرسالة حتى كمالها. وكأن المسيح يريد أن يقول لهم جئت لأعطي نفسي طعاماً لحياة الناس فوق أن آكل طعام الناس لأحيا. حياتي ليست من طعام الجسد بل من حياة الآب: «كما أرسلني الآبُ الحيُّ وأنا حيٌّ بالآب، فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦: ٥٧)

لا ننسى أبداً أن جسد المسيح تعيَّن أصلاً وأساساً ليكون ذبيحة وليس لمجاراة أعوزه!! والذبيحة بدأت يوم أن خرج إلى العالم يتبدي بالخلاص، الخلاص المعقود لواؤه على ذبيحة الجسد!! الذبيحة لم تبدأ وتنتهي عند الصليب، بل تراءى المسيح في إنجيله مذبوحاً بالنية من اليهود كل يوم!! أما هو فلم يشفق على الجسد، بل بسرور كان يقدمه للآب كل يوم في الأتعاب والاضطهادات والجوع والعطش ذبيحة مسرة!! «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ ولكن هيَّأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرّ. ثم قلت هأنذا أجيء، في درج الكتاب مكتوبٌ عني، لأفعل مشيئتك يا الله.» (عب١٠: ٥ـ٧)

إن العمل الحاسم الحازم الذي أخذه الرب في نفسه وعلى نفسه أنه قدَّس المشيئة كلية نحو الفداء!! «لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو١٧: ١٩)! لقد أفرغ المسيح كل عافية الجسد حتى آخر قطرة إلى أن قالها وهو مرتاح «قد أُكمل» (يو١٩: ٣٠). ليس أنه كان يسعى متسرعاً أن يشرب الكأس، بل بتمهُّل فائق الوصف والقدرة، وبتغييرات جذرية في تنوُّع الخدمة وتغيير الاتجاه في السير وتغير الأماكن للخدمة والتوقف عن العمل، ثم الاستئناف. كان يتحاشى الصدام المبكر مع القاتلين، حتى إلى درجة استخدام القدرة الفائقة في إخفاء وجوده، حتى يكمِّل كل العمل الذي كان يستلمه من الآب يوماً بيوم... لقد قالها أيضاً وهو مرتاح: «أنا مجَّدتُك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يو١٧: ٤)!!! ولكن أي تكميل؟ تكميل الآلام بالآلام: «لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب٢: ١٠)

نعم، وقد صار هذا التكميل المتقن لحساب كل البشرية ويزيد: «وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.» (عب٥: ٩)

فإذا كان تصميم المسيح الحاسم شديداً لهذا الحد في تكميل مشيئة الآب الذي أرسله وتتميم عمله، لذلك كان همُّه الطاغي أن ينفِّذ الخطة المرسومة بكل اعتناء، حتى صارت إرادة المسيح ومشيئته مبتلعة تماماً في مشيئة الآب من نحو العمل الموضوع أمامه. لذلك لا نتعجب أن يُسقط في الطريق كل اهتمامات الجسد ومسئوليات الناس والأهل: «فأجاب وقال (للقائل له): مَنْ هي أمي ومَنْ هم إخوتي. ثم مدَّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي. لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت١٢: ٤٨ـ٥٠)

٤ : ٣٥ **«أما تقولون إنه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد. ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضَّت للحصاد».**

كان تقاطر أهل السامرة في جموع متلاحقة لابسين ثيابهم التقليدية البيضاء كأنهم حقل قمح نضج للحصاد؛ فللحال اتخذه المسيح «كمثل» لعمل الملكوت المتسع بالنسبة للأزمنة القادمة بعد: «العمل وتكميل الخلاص بالآلام»؛ الذي هو بحسب تشبيه المسيح سقوط حبة الحنطة في الأرض لتموت ثم تخرج من جديد حقلاً من القمح للحصاد.

في هذه القصة، قصة السامرية، تستطيع الأذن الحساسة أن تتبين أنها موقَّعة على أنغام الصليب.

+ درجة درجة تبتدىء النغمة واضحة بمنظر المسيح **«متعب من السفر»**؛ وكأنه سفر الخدمة المجهد الطويل الذي انتهى بالضرب والجلد وضَفْر إكليل الشوك.

+ وهنا تبتدىء النغمة تعلو قليلاً حينما تقول القصة حرفياً أنها **«كان نحو الساعة السادسة»!! بلغة ساعة الصليب تماماً.**

+ ثم تزداد النغمة صراخاً حينما يقول المسيح: **«أعطيني لأشرب»**؛ **«أنا عطشان»** بلغة الصليب تماماً.

+ ثم النغمة تزداد لتصير صراخاً مدوِّياً حينما يقول المسيح «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني **وأتمم عمله»**؛ يقابلها على نفس السلم **«قد أُكمل»**.

+ ثم تهبط النغمة حزينة ممزوجة برجاء حيٍّ حينما يقول المسيح: **«الماء الذي أنا أعطيه»**؛ لترد عليها أنغام الصليب «وخرج منه دم **وماء**».

+ ثم عودة على ذي بدْءٍ: «لأن تلاميذه كانوا قد مضوا» **(وتركوه وحده)**... لتتقابل في انسجام مع نغمة «تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته **وتتركونني وحدي.**» (يو١٦: ٣٢)

+ ثم عودة أكثر إلى خلف لنسمع: «انظروا الحقول (القمح) قد ابيضَّت للحصاد...»؛ واسمع نغمة «إن لم تقع **حبة الحنطة** في الأرض وتمُتْ فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير.» (يو١٢: ٢٤)

+ ثم اسمع نغمة القوة عندما انتهى الرب مع السامرية إلى ما انتهى إليه، حينما تساءلت عن المسيَّا فقال لها: **«أنا هو الذي أُكلِّمك»؛**

+ وعلى جانب الصليب و بنفس القوة، وحينما تساءل بيلاطس: «أفأنت إذاً ملك»، أجاب يسوع: **«أنت تقول إني ملك لهذا قد وُلدت أنا»**.

+ ثم اسمع كودة الختام العالية جداً والسريعة جداً بصوت أهل السامرة يعلنون بلا تحفظ: **«هذا هو بالحقيقة المسيح مخلِّص العالم»؛**

+ واسمع النغمة المقابلة بنفس الرتْم من قائد حرس المائة: **«حقاً كان هذا الإنسان ابن الله»**.

ليس من اللازم أن هذا التوافق كان في ذهن ق. يوحنا، ولكن الروح لا يخطأ حينما يؤلف بين أقوال وأقوال قارناً الروحيات بالروحيات.

ولكن نستشف من هذه المقابلة أن قصة السامرية هي لقطة من منظر الصلبوت، معها في الحال جانب من بدء الخدمة وافتتاح الإرساليات. فالمسيح يتكلم عن الحصاد. والحصاد في إنجيل المسيح له ميعادان محددان لا ثالث لهما: الحصاد الأول حصاد المؤمنين بالكرازة، وهذا بدأ بعد القيامة ولن ينتهي إلا يوم القيامة، حيث الحصاد الثاني للدينونة!!

أما الأول: «الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون، فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فَعَلَة إلى حصاده.» (مت٩: ٣٧و٣٨)

أما الثاني: «وخرج ملاك آخر من الهيكل يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة: أرسِلْ منجلك واحصدْ، لأنه قد جاءت الساعة للحصاد، إذ قد يَبس حصيدُ الأرض! فألقى الجالس على السحابة مِنْجله على الأرض فحُصدت الأرض.» (رؤ١٤: ١٥و١٦)

وأصل قصة الأربعة الأشهر والحصاد والحقول المبيضَّة التي حيرت جميع الشراح هي حسب ظننا كالآتي:

كان التلاميذ يتكلمون مع بعضهم وأمامهم حقول القمح مخضرَّة على سفوح جبل جرزيم، أخصب بقاع إسرائيل، والزرع له في الأرض شهران وكانوا يتناجون أن بعد أربعة أشهر يكون

الحصاد. لأن القمح يستمر في الأرض ستة شهور كاملة حتى يُحصد: من منتصف أكتوبر إلى منتصف أبريل. علماً بأن منتصف أبريل أي وقت الحصاد المبكر هو زمن الصليب بالضبط. لذلك هنا كلمة «أربعة أشهر» من فم المسيح و«ثم يأتي الحصاد» إشارة واضحة جداً لتكميل عمله رسمياً على الصليب: «قد أُكمل»!!

وهنا الربط واضح بين قول المسيح: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني **وأتمم عمله**» وبين الأربعة الأشهر والحصاد في حديث المسيح الذي جاء بعده مباشرة!! هنا ليس تداعي الألفاظ ولا هو تداعي الأفكار، بل الحَبْك في إنجيل يوحنا.

بقية المعنى يتمشى معنا هكذا: أنتم تقولون أن بعد أربعة أشهر يكون الحصاد، وأنا أقول لكم ها هو الحصاد أمامكم والحقول أمامكم ابيضَّت للحصاد، فالسامريون كانوا يتقاطرون بثيابهم البيضاء مسرعين نحو المسيح بقيادة مَنْ آمنت وكانت أول الكارزين: «ارفعي عينيك حواليكِ وانظري. كلهم قد اجتمعوا أتوا إليك. حيٌّ أنا يقول الرب أنكِ تَلبسين كلهم كحُليٍّ، وتتمنطقين بهم كعروس.» (إش٤٩: ١٨)

هذا في الحقيقة منظر مبكر جداً جداً عن ميعاده، لأننا لسنا في زمان الحصاد لنفوس المؤمنين بالمسيح الذين يتقاطرون إليه بهذه اللهفة!! ولكن هذا ما حدث بسبب شدة التأثير الذي حدث للسامرية بسبب استعلان المسيح لنفسه استعلاناً كاملاً بقوة لاهوته: «أنا هو»، الذي لم يحدث قط وكأنه استعلان ما بعد القيامة. فكانت كرازة المسيح للسامرية على مستوى استعلان كامل لمسيح القيامة والخلاص والحياة الأبدية. وكان تأثير السامرية على السامريين من نفس النوع، لأن أمامهم امرأة خاطئة تحولت إلى قديسة، فكان هذا كفيلاً بصدق استعلان المسيح فيها!! فكان هذا الحقل البشري القادم لقبول الإيمان نموذجاً مبدعاً وكاملاً للحصاد القادم!!

٤: ٣٦و٣٧ «والحاصد يأخذ أجرةً ويجمعُ ثمراً للحياةِ الأبديةِ لكي يفرحَ الزارعُ والحاصدُ معاً. لأنه في هذا يصدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرعُ وآخر يحصدُ».

لاحظ أن الحاصد هنا لم يتعب، إنه يتلقى نفوساً آمنت جاهزةً للحياة الأبدية. ولكن عجيب هو الرب، فقد جعل للحاصد أجرةً لأنه يجمع مع المسيح وللمسيح حصيداً لن يتبدد. وفي الحقيقة إن الكلام هنا عميق وسرِّيٌّ للغاية، يُلزمنا أن نَسْتَبق الكلام لنقرأ في الأصحاح السادس عن «عمل الله»: «هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرْسَلَهُ» (يو٦: ٢٩). وبعد، يظهر من

الكلام بغاية الوضوح أن «عمل الله» هو بمثابة الأكل من المنّ الحقيقي الخبز الذي أرسله الله!!! «أنا هو خبز الحياة» ــ «مَنْ يأكلني يحيا بي»!

ثم لو رجعنا قليلاً في نفس الموضوع نجد المسيح يقول: «اعملوا لا للطعام البائد (الخبز اليومي) بل للطعام الباقي (الخبز الحي) للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه» (يو٦: ٢٧). «ختمه» هنا تعود ليس على الطعام، لأن هذا الفعل جاء واقعاً على شخص مذكر في اللغة ــ وهو المسيح ــ وليس على الطعام (المؤنث في اللغة اليونانية). فالطعام الباقي للحياة الأبدية الذي الآب ختمه هو المسيح، والعمل نفسه لحساب المسيح! «اعملوا للطعام». فهنا «الحاصد ثمر الحياة الأبدية» هو «عامل للطعام الباقي للحياة الأبدية»!! بمعنى أن الخادم أو المرسل طعامه هو الآخر أن يعمل للحياة الأبدية، يأكل المسيح و يُطعِمُ الناس من أطايبه!! هذه هي أجرة المرسل والكارز والخادم للكلمة أيًا كان!!

«لكي يفرح الزارع والحاصد معاً. لأنه في هذا يصدق القول أن واحداً يزرع وآخر يحصد»:

واضح أن المسيح يقصد هنا كل الذين تعبوا في كلمة الله منذ أن جاءت كلمة الله وكان هنالك من يحملها و يتكلم بها و يزرعها في قلوب الناس على كل الأجيال السالفة. لأننا نسمع عن مثل هؤلاء الذين خلّصوا نفوساً منذ القديم سمعاً مبهراً: «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (دا١٢: ٣). هؤلاء هم الذين زرعوا الكلمة في قلوب سامعيهم ومضوا. ليس أنهم أشخاص الماضي الذي يُنسى، ولا هم تعبوا وانتهى تعبهم إلى نسيان، حاشا لرب الحصاد ديان الأرض كلها أن لا يصنع عدلاً؛ فهؤلاء يعيِّدون الآن عيد الأبدية في عُرس فرح الخروف، هاتفين بالمجد إلى أبد الآبدين مع ربوات هم محفل ملائكة! هنالك يتلاقى الزارع والحاصد معاً وعلى «رؤوسهم فرح أبدي».

٤: ٣٨ «أنا أرسلتكم لتحصدُوا ما لم تتعبُوا فيه. آخرونَ تَعِبُوا وأنتم قد دخلتُم على تعبهم».

لكي يستقيم الشرح يلزم أن نفهم ما هو تعب الزارع وما هو تعب الحاصد. كذلك ما هو فرح هذا وما هو فرح ذاك. أما تعب الزارع فليس من الجهد المبذول والتعب المضني وسفك الدم، لأن هذا اشترك فيه الأنبياء تماماً على مستوى الرسل: «وآخرون عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل. وآخرون تجربوا في هُزء وجلد، ثم في قيود أيضاً وحبس. رُجموا نُشروا جُرِّبوا ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين مُذَلِّين، وهم لم يكن العالم

مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض. فهؤلاء كلهم، مشهوداً لهم بالإيمان، لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يُكْمَلُوا بدوننا» (عب١١: ٣٥ــ٤٠). أما عيِّنة آلام وتعب وعذاب وقتل واستشهاد الحاصدين فهو بكل تأكيد مماثل بالحرف الواحد!

إذن، ففرق التعب الوحيد أن هؤلاء الآباء والأنبياء القديسين القدامى جاهدوا دون رؤية: «من بعيد نظروها» !! (عب١١: ١٣). لم يذوقوا الخلاص، ولا عرفوا الحب الفادي، ولا سمعوا صوت العريس، ولا فرحوا بالرب في ملء استعلان مجده، ولا تشدَّدوا هكذا بالروح القدس المعزِّي؛ فكان تعبهم مريراً ومرارتهم بلا حلاوة. أما الرسل ومَنْ بَعدهم من المُرسَلِين والكارزين فلا يُحسَب تعبهم الجسدي قط بجوار الفرح والعزاء والقوة والمجد الذي كانوا يعيشونه. إن أعظم مَنْ تَعِب وتألم فيهم كان بولس الرسول، وكان أبهج شيء عنده أن يكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسده. اسمعه في آخر قول له: «جاهدتُ الجهاد الحسن... وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر» (٢تي٤: ٧و٨). لذلك كان المسيح نفسه يغبطهم: «والتفت إلى تلاميذه على انفراد وقال: طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه لأني أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا» (لو١٠: ٢٣و٢٤). واضح، إذن، أن تعب التلاميذ والمرسَلين عموماً عادله بهجة الخلاص وفرح الروح وزمالة المجد مع المسيح، فما عاد يُحسَبُ تعباً بل فرحاً: «الآن **أفرح في آلامي لأجلكم**» (كو١: ٢٤)، «ودعوا الرسل **وجلدوهم** وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم. وأما هم **فذهبوا فرحين** من أمام المجمع لأنهم حُسِبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع٥: ٤٠و٤١). إذن، صحّ قول المسيح أن آخرين تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم.

ج ــ إيمان السامريين: (٤: ٣٩ــ٤٢)

الاستعلان: «هذا هو مخلِّص العالم».

٤: ٣٩ــ٤١ **«فآمنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرونَ من السَّامريينَ بسببِ كلامِ المرأةِ التي كانت تشهدُ أنهُ قالَ لي كلَّ ما فعلتُ. فلما جاءَ إليه السَّامريون سألوهُ أن يمكُثَ عندهم، فمكثَ هناكَ يومينِ. فآمنَ به أكثرُ جداً بسببِ كلامِهِ».**

أمامنا نوعان من الإيمان: إيمان عن طريق الشهادة: «فآمن كثيرون بسبب كلام المرأة»، وإيمان مباشر عن طريق الاستعلان بالكلمة: «فآمن به **أكثر جداً** بسبب كلامه». والذي يسترعي

انتباهنا هنا هذا الإستعداد المتوفر جداً عند السامريين سواء للإيمان عن طريق مجرد الشهادة، أو بالأكثر عن طريق الكلمة المباشرة.

والذي يسترعي الانتباه في إيمان هذا الشعب السامري، أنهم لم يطلبوا آيات أو عجائبَ، بل كان إيمانهم مبنياً على القناعة الروحية وصدق الاستعلان من خلال الكلمة.

إن ق. يوحنا اهتم بأن يضع هذا المثل الإيماني عن السامريين في مقابل المثيل له عند اليهود، ليوضح كيف أن استعلان المسيح يمتد أكثر وبسرعة واستجابة تلقائية عند غير اليهود. وهكذا انفتح باب الأمم للإيمان على مصراعيه ــ مبتدئاً من السامرة ــ ونحن.

ولكن يُلاحَظ أن المسيح مكث هناك يومين. الرقم هنا مثير للدهشة فهو ليس ثلاثة أيام كالعادة. المعنى الدفين هنا أن إيمان السامرة جاء قبل الميعاد، جاء ناقص النُّضج، ينقصه الإيمان بالقيامة.

٤ : ٤٢ «وقالوا للمرأة: إننا لسنا بعد بسبب كلامِكِ نؤمنُ؛ لأننا نحن قد سمِعنا ونعلَمُ أن هذا هو بالحقيقةِ المسيحُ مخلِّصُ العالمِ».

لقد أحب الرب السامريين ــ أعداء اليهود ــ لكونهم منبوذين وخارج السياجات. لقد أكمل الله فيهم مَثَله المشهور عن الرجل الغني الذي صنع عشاءً **عظيماً** وأرسل عبده يدعو المدعوّين: «وأرسل "**عبده**" في ساعة العشاء ليقول للمدعوين (اليهود، أبناء الملكوت): تعالوا... فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون... حينئذ غضب رب البيت وقال لعبده أخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقَّتها وأدْخِلْ إلى هنا المساكين والجُدْع والعُرْج والعُمْي (مساكين اليهود الذين صنع معهم آياته). فقال العبد: يا سيد قد صار كما أمرتَ، و يوجد أيضاً مكان. فقال السيد **أخْرُجْ إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتي.**» (لو١٤: ١٦ــ٢٣)

في الحقيقة كان مسلك المسيح مع السامرية نوعاً من الإلزام المقبول. لقد عرض عليها الخلاص وأقنعها بضرورته فقبلته تحت اقتناع طاغٍ شبه التزام!! وهذا من حق الأمم، لأن الخلاص غريب عنهم. أما اليهود: «فالخلاص من اليهود»، يعرفونه وهم مدعوُّون له!! فلما رفضوه، قال الغني: «لأني أقول لكم إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوِّين يذوق عشائي.» (لو١٤: ٢٤)

وليلاحظ القارىء مسلك المسيح الذي جعلهم يهتفون به مخلِّصاً للعالم!! فأولاً لم يَنْحَزْ لمكان

العبادة عند اليهود في أورشليم ضد عبادة السامريين في جرزِّيم، إلا أنه هناك «بالحق والروح في العبادة». إذن، فهو يصلح أن يكون حَكَماً عادلاً لكل دين!! ثم إنه لم يفرِّق بين جنس وجنس! إذن فهو يصلح أن يكون كبيراً على كل الأجناس!! ثم إنه ذهب إلى عقر دارهم المتنجِّس عند اليهود، وأكل من أكلهم الممنوع، وشرب من شربهم المحرَّم. إذن فهو يصلح أن يكون حبيباً لكل الناس والمنبوذين بالدرجة الأولى. ثم إنه خلَّص أخطى خطاة مدينتهم ثم كلَّمهم بكلمة الخلاص عنه فأتوا به وخلصوا! فكيف لا يكون هذا الشخص مخلِّص العالم؟

لقب الذي أعطاه السامريون للمسيح هو أعلى استعلان لاهوتي للمسيح في الإنجيل! وقد جاء عن شدة تأثرهم به باقتناع، وشدة عوزهم إليه بلهفة، ثم إحساسهم بالعزلة المُرَّة عن اليهود التي يحسُّها العالم كله والتي رفعها عنهم، فلماذا لا يرفعها عن العالم كله؟ وتم قول هوشع النبي: «سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدعَوْن أبناء الله الحي.» (وردت في رومية ٩: ٢٥و٢٦)

أما السامرية فظلت أغنية الكارزين. ويذكر لنا التقليد أن الكنيسة الأولى قننتها كقديسة تحت اسم St. Photina القديسة فوتينا (فوتنة باللسان العربي) والاسم باليوناني Φωτινα أي المضيئة. وتعيِّد لها الكنيسة الغربية في ٢٠ مارس.(١٩)

(19) ICC, Bernard, vol. 1 p. 136.

الجزء الثاني: إنجيل قوة الكلمة

[٤:٤٦ ــ ٥:٤٧]

«**إنـجيـل قـوة الكلمة**» يشمل معجزتين أجراهما المسيح **بمجرد النطق بالكلمة** ثم عقَّب على المعجزة الثانية بتوضيح **قوة الكلمة**:

+ **المعجزة الأُولى: شفاء ابن خادم الملك** ــ وقد تمت في الجليل (٤:٤٦ــ٥٤): «فآمن الرجل **بالكلمة**».

+ **والمعـجزة الـثانيـة: شفـاء مـريـض بِرْكة بيت حسدا** وقد تمت في أُورشليم. و بها يبدأ الأصحاح الخامس، وقد تمت أيضاً بمجرد كلمة من المسيح: «قُمْ احمل سريرك وامشِ».

وقد عـقَّـب علـيـها الرب في بقية الأصحاح الخامس بتوضيح قوة الكلمة المحيية: «**مَنْ يسمع كلامي**... قد انتقل من الموت إلى الحياة» ... «يسمع الأموات **صوت ابن الله** والسامعون يحيون». ثم كشف سبب عدم إيمان اليهود، لأن «ليست لكم **كلمته** ثابتة فيكم».

+ +
+

مكان البشارة:
خامساً ــ في الجليل
(٤:٤٣ــ٥٤)

شفاء ابن خادم الملك

الترحيب بالمسيح في الجليل، وصُنعُ آية واحدة في قانا الجليل ذات طابع جديد:

٤:٤٣و٤٤ «وبعد اليومينِ خرجَ من هناكَ ومضى إلى الجليلِ. لأن يسوعَ نفسَهُ شَهِدَ أنْ ليس لنبيٍّ كرامةٌ في وطنِهِ».

«فيا رب الجنود القاضي العدل فاحص الكُلى والقلب، دعني أرى انتقامك منهم لأني لك كشفتُ دعواي. لذلك هكذا قال الرب عن أهل عناثوث الذين يطلبون نفسك قائلين لا تتنبأ باسم الرب فلا تموت بيدنا!! لذلك هكذا قال رب الجنود: هأنذا أعاقبهم، يموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم و بناتهم بالجوع.»
(إر١١: ٢٠ــ٢٢)

لقد حفر المسيح الزارعُ السماوي في أرض السامرة وألقى بذار الكلمة، ولما اطمأن إلى حفظ الوديعة بعد يومين غادر أرض السامرة وانطلق إلى الجليل. وكما يقول القديس كيرلس الكبير(٢٠):

[عبر في منتصف الطريق إلى الناصرة فأعطاها ظهره. وانطلق إلى الجليل الأعلى ــ لأنها لم تقبله في السابق ــ وقال عليها مَثَله المشهور: «ليس لنبي كرامة في وطنه»؛ ليس لأنه يسعى إلى كرامة الكرازة ولكن لأن عمل الخدمة لا يثمر في أرض يمتنع عليها شرب الماء، والآية يصعب إتيانها في قلب بلا أمانة].

وهنا يلمِّح المسيح إلى العلاقة بين تكريم الله ورضاه: «أُكرِمُ الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يَصْغرون» (أم٢: ٣٠). ولم يصنع آيات في كفرناحوم لأنهم لم يكونوا يؤمنون به.

[20] St. Cyril, *op. cit.*, p. 231.

٤ : ٤٥ «فلما جاء إلى الجليل، قبله الجليليون، إذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل في أورشليم في العيد لأنهم هم أيضاً جاءوا إلى العيد».

حتى هذا القبول من الجليليين يضعه ق. يوحنا موضع الهزال والتفاهة، إنما بلغته المملوءة سراً، عندما أضاف إلى ترحابهم السبب فيه: ليس من أجل شخص المسيح ولكن لأنهم عاينوا آياته. فرق شاسع بين تقرير ق. يوحنا عن إيمان السامريين الذي ترسخ في قلوبهم دون آية واحدة: «نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم»، وبين إيمان الجليليين الذي هو بلا إيمان، القائم على رؤية الآيات وحسب. وصحَّ في السامريين قول إشعياء النبي: «أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا. وُجِدتُ من الذين لم يطلبوني. قلتُ هأنذا هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي» (إش٦٥: ١). أما عن اليهود فـ: «بسطتُ يديَّ طولَ النهار إلى شعب متمرد» (إش٦٥: ٢؛ رو١٠: ٢١). ويلزم أن ينتبه القارىء، فمستقبلاً سوف يرفض الجليليون المسيح أيضاً في الأصحاح السادس والعدد ٦٦.

٤ : ٤٦ «فجاء يسوع أيضاً إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمراً. وكان خادمٌ للملك ابنُهُ مريضٌ في كفرناحوم».

كلمة «أيضاً» تعني ثانية. فالمسيح يسعى ثانياً إلى من يقبله أولاً. لقد تأثر به أهل قانا وأحبوه عندما صنع عندهم معجزته الأولى في تحويل الماء خمراً جيداً، فأحبهم هو أيضاً وها هوذا يعود إليهم وعلى استعداد لعمل المزيد.

«خادم للملك ابنه مريض»:

أما الملك فبحسب تحقيق العلماء هو هيرودس أنتيباس رئيس ربع على الجليل، وكان معروفاً في الشعب باسم «الملك». وكثير من العلماء يقولون إن هذا الخادم هو «خوزي» (المذكور في إنجيل لوقا ٨: ٣) أو ربما «مناين» (المذكور في سفر الأعمال ١٣: ١). وخوزي هو زوج يُونّا المرأة التي كانت تتبع المسيح مع النساء اللاتي كُنَّ يخدمنه من أموالهن الخاصة.

٤ : ٤٧ «هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل، انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لأنه كان مُشرفاً على الموت».

«وسأله أن "ينزل"»:

يلاحظ أن كفرناحوم واقعة على شاطىء البحيرة (بحر الجليل). أما «قانا» فهي على هضبة

أعلى كثيراً من مستوى البحر. والذي يهمنا هنا هو دقة الوصف الذي يعطيه ق. يوحنا لطبيعة المكان وطبيعة الحركة، مما يوضح بلا مواربة أنه مواطن عاش في هذه المناطق ودرسها وانطبعت في ذاكرته، كما أنه يسجل كلمات هذا الضابط الملكي حرفياً كما فاه بها، وكأنها مسجلة عنده. على أن المسافة بين كفرناحوم وقانا الجليل تبلغ بحسب تحقيق يوسيفوس المؤرخ اليهودي حوالي ١٦ ميلاً، قطعها هذا الضابط الملكي راكباً على الأرجح.

٤ : ٤٨ «فقال له يسوع لا تؤمنون إن لم ترَوا آيات وعجائب؟»

المسيح هنا يستحث الإيمان بدون آية: الإيمان بالكلمة. فالإيمان بالكلمة يستقر في القلب حيث تنمو الكلمة ويثمر، أما إيمان الآية فيستقر في العقل حيث القياس والمقابلة والشك والنسيان.

والعجيب حقاً أن في نفس هذه القصة بل وفي صميم هذه الآية آمن الضابط الملكي «بالكلمة»، فكانت «الحياة» هي الجائزة الممنوحة له في الحال. لذلك نلاحظ أنه في توبيخ المسيح، دائماً يكمن الباب المستور والعطية المخفية والحل المفرح والعزاء المقيم لو التفت الإنسان وقَبِلَ التوبيخ طالباً النور: «أومن يا سيد فأعِنْ عدم إيماني.» (مر٩: ٢٤)

«آيات وعجائب»: σημεῖα καὶ τέρατα

العجيبة هي الآية على المستوى المذهل للعقل، الذي يثير إما التعجب الشديد أو الإعجاب الأشد.

ويلاحظ أن مجيء هذين اللفظين معاً يقتصر على موضعهما هنا في إنجيل يوحنا. أما بالنسبة لأسفار العهد الجديد وأسفار العهد القديم فورودهما معاً موجود وبصورة مكثفة. والمقصود هنا هو الإعتماد على الرؤية العينية أو المظهر الباهر الشكلي للآية والمعجزة. ولكن يوجد إيمان صحيح قائم على الآية ولكن ليس القائم على الرؤية العينية، بل على المعنى والإحساس الباطني بالوعي والفطنة المسيحية، كآية تحويل الماء خمراً في عرس قانا الجليل التي على أثرها آمن به تلاميذه.

٤ : ٤٩ «قال له خادمُ الملك: يا سيد انزل قبلَ أن يموتَ ابني».

لقد فرغ صبر الأب، والجزع على ابنه جعله ينسى آداب الحديث مع من جاء يطلب منه الحياة!! فلم يكن قد أدرك بعد ــ مثل مرثا ــ أن سلطانه يتجاوز القبر والموت، وأن كلمته من على بُعد تُحيي وتقيم من الموت.

ق. يوحنا يلقينا مرة واحدة في قلب القصة الملتهب! أبٌ ملهوف على ابنه المريض وقد بلغ حافة الموت. والابن عزيز أعزَّ من النفس لدى الأب الحنون. وها الأمل قد انقطع من جهة كل علاج ممكن، وقد أطلَّ الموت بظلّه الكئيب والمفزع مصمماً على قطع شريان الحياة لمن تحبه نفس الأب.

لاحظ أن ق. يوحنا لم يهتم بمن هو هذا الخادم، أُمميٌّ هو أو يهودي، لم يعطِ جواباً، كما لم يهتم باسم الابن وعمره، يكفي أن ليس في الوجود أعزُّ من الابن. ولكن الذي يثير انتباه ق. يوحنا، و يود أيضاً أن يثير انتباهنا إليه، هو الزمن وسلطانه بأيامه وساعاته ودقائقه على قلب ضعيف الإيمان: إنه الفزع.

وق. يوحنا يترجم لنا أثر تباطؤ المسيح في الاستجابة كما يودها الضابط الملكي الذي لم يتعود قط إلا أن يأمر فيُطاع، وكيف أنشأ هذا التباطؤ في نفس هذا الضابط قلقاً مريعاً إزاء تصوُّره الموت وهو يزحف نحو فريسته.

ثم يترجم لنا القلق الذي انتاب هذا الضابط إلى إلحاح، فهو يتجنب الدخول في بحث كيفية الإيمان دون أن تحدث المعجزة، وهو جاء يطلب المعجزة وليس الإيمان!! ولم يكن المسيح في تصوُّره إلا صانع معجزات، هذه مهنته!! وهذه نظرة أهل زماننا إلى القديسين أيضاً، فهم أصحاب كرامات وحسب، يُطلب منهم عمل المعجزات وإلا فكيف يُدعَوْن قديسين؟ لا «ينظرون إلى سيرتهم» كما قال الكتاب (عب١٣ : ٧)، ولكن ينتظرون معوناتهم وحسب!

شيء واحد يلحُّ على ذهن الضابط الملكي كيف يقنع صانع المعجزات هذا بالنزول فوراً لانقاذ حياة ابنه!

٤ : ٥٠ «قال له يسوع اذهب ابنُك حيٌّ! فآمن الرجلُ بالكلمةِ التي قالها له يسوعُ وذهب».

أمام الرب كانت ثلاثة عوامل تحثه أن يقول كلمته:

الأول: ثقة الرجل وتعبه في السفر ٢٥ كيلومتراً حتى التقى به، فهو لم يُرِدْ أن يخيّب ظنه.

الثاني: الابن المريض، وها قضية الفصل بين الموت والحياة أُلقيتْ بين يديه، فكيف لا يفصل لحساب الحياة وهو ربُّها!!

ثالثاً: الإلحاح الذي يطوِّبه الرب جداً: صلُّوا صلُّوا ولا تملُّوا، الذي ضرب عليه مَثَل الأرملة المظلومة أمام قاضي الظلم وكيف أن إلحاحها غلَبَ ظلم القاضي. فكيف لا يُغلب وهو قاضي العدل!!

«اذهب ابنُكَ حيٌّ»: [أقمتَ الطبيعة بالكلمة] القداس الإلهي.
[مُنْقِذُ حياتنا من الفساد] القداس الإلهي.

قولة لا يقولها إلاّ الله. ولقد عظَّمها الضابط الملكي أيَّما تعظيم، وكأنه تلقَّاها من قائده الأعلى، وكأني به يضرب الكعبين و يرفع يده بالتحية وكأنه أمام ملك. لقد أخذ الكلمة كما هي وكأنها تأشيرة واجبة التنفيذ في الحال. انحنى الضابط أمام الرب كجندي ملتزم بالطاعة وانسحب من أمامه ومعه الكنز الذي استؤمن على استيعابه وما بقي أمامه إلا التحقيق. كانت الخطورة مُحْدِقة به على طول الطريق، لأنه كان قد «آمن بالكلمة» دون صاحبها. إلى ذلك الحين لم يكن المسيح عنده موجوداً بشخصه، بل اكتفى بالكلمة منه، يحققها دون أن يتحقق بعد من شخصه، شأنه شأن من يُكْرِمِ الإنجيل وينحني أمامه ويُقبِّله ويضعه على رأسه ويستودعه خزانة من ذهب، ثم ويُقبِّل كل يد تخدمه، أما صاحب الإنجيل والكلمة فغائب عنه، لا يعلم منه إلا اسمه.

٤ : ٥١و٥٢ **«وفيما هو نازلٌ استقبله عبيدُهُ وأخبروه قائلينَ إنَّ ابنَكَ حيٌّ. فاستخبرَهُم عن الساعة التي فيها أخذ يَتَعافى، فقالوا له أمسِ في الساعةِ السابعةِ تركتهُ الحمَّى».**

كان هذا السؤال هو الاختبار الفاصل في قلب هذا الضابط الملكي الذي أضمر كيف سيقيِّم المسيح به، فإن كان الولد قد شُفي في الساعة التي فيها نطق المسيح كلمته، يكُنْ هو المخلِّص حقاً، و به يؤمن حتماً، وإلا فلا إيمان البتة! ولكن بيني و بينك أيها القارىء العزيز أبهذا يُقيَّم الخالدُ الأبديُّ؟ أنُعادِلُ القديرَ بمنافِعِنا الخاصة؟ أنساوي ربَّ الحياة بشفاء جسد؟ ولكن لا مانع لدى المسيح: «فالذي يُقبِلُ إليَّ لا أُخْرِجه خارجاً» (يو٦: ٣٧)، «وفتيلة مدخنة لا يطفىء» (مت١٢: ٢٠)! أليس هو الراعي الصالح الذي يسعى وراء الخروف الضال، والذي له خراف أخر ينبغي أن يأتي بها من خلف السياجات؟ ألم يأتِ بالسامرية حالاً، وقد ضمّ شعباً في يوم واحد؟!

٤ : ٥٣ **«ففهم الأبُ أنه في "تلكَ الساعةِ" التي قالَ لهُ فيها يسوعُ إن ابنَكَ حيٌّ؛ فآمنَ هو وبيتُهُ كلُّهُ».**

«فآمن هو وبيته كله»:

لقد أفرخت «الكلمة» الحيَّة التي خبأها في قلبه وهو مسرع نحو بيته. لقد انفتح الكنز وخرجت منه الحياة ومعها الإيمان المؤدي إلى الحياة الأفضل! هنا، ولأول مرة، نسمع مبكراً عن إيمان عائلي برُمَّته. وأهل البيت بالنسبة لضابط الملكي يضم أفراداً وحاشية وخدماً كثيرين، صورة طبق الأصل من السامرية التي قادت مدينة إلى الإيمان بالمسيح. لذلك فإن وضع قصة شفاء ابن الضابط الملكي بعد قصة السامرية يدخل في مخطط إنجيل ق. يوحنا تحت عنوان: «**السامرة في مقابل اليهودية**»، و«**الأمم في مقابل الجليل**». والتفسير للاثنين هو القبول إزاء الرفض.

هنا تلمعُ علينا المقارنة المبدعة التي يشير إليها ق. يوحنا دون أن يعلن عنها. فالانطباق مبدع حقاً: وهي قصة إيليا النبي مع أرملة صَرْفة صيدا الأممية التي ألمح إليها الرب في إنجيل لوقا (٤: ٢٥). كيف أقام ابنها من الموت حياً: «فسمع الرب صوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. فأخذ إيليا الولد ونزل من العلية إلى البيت ودفعه لأمه وقال إيليا: انظري **ابنك حيٌّ؛** فقالت المرأة لإيليا: "**هذا الوقت علمتُ** أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق".» (١مل ١٧: ٢٢–٢٤)

وليلاحظ القارىء أن الكلمات التي قالها إيليا والتي قالتها المرأة تتجاوب حرفياً مع ما تم بين المسيح والضابط الملكي. ولكن تمتاز قصة الضابط الملكي بأن المسيح أقام الولد حيًّا بكلمة وعلى بُعْد ١٦ ميلاً. وحينما يتقصَّى القارىء في قصة خادم الملك القصيرة هذه، يندهش كيف تزاحمت فيها المعايير اللاهوتية والكلمات ذات الوزن العالي عند إنجيل يوحنا: «الأب» ــ «الابن» ــ «الموت» ــ «الحياة» ــ «الكلمة» ــ «الإيمان». وكيف اقترنت «الحياة بالموت» فصُرِع الموت، و«الإيمان بالكلمة» فانتهى إلى «الإيمان بالمسيح». ثم انظر كيف يبرز ق. يوحنا التكرار في كلام المسيح «**ابنك حيٌّ، فآمن**»، «**ابنك حيٌّ**»، «**ابنك حيٌّ، فآمن**»، لينتهي بنا إلى هذا المعيار المسيحي الأعظم: **الإيمان سِرُّ الحياة.**

كذلك يهمنا أن نوضح كيف يتخذ ق. يوحنا من هذه الآية القائمة على هذا المعيار، وهو أن الإيمان عنصر الحياة الذي يقيم من الموت، يتخذها أساساً لتعليمه. فبعد أن قدَّم الفعل العملي الصامت بالآية، يبتدىء في الأصحاح القادم مباشرة يبني عليه تعليمه، وذلك في الحوار العنيف

الذي دار مع اليهود حول قدرة المسيح وسلطانه على إعطاء الحياة بالمساواة مع الله: «كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يُحيي من يشاء» (يو٥: ٢١). كذلك يتخذ المسيح من إيمان الضابط الملكي «بالكلمة» الذي أوْصَلَه بالفعل إلى الحياة بالنسبة لابنه أساساً لتعليمه: «من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية.» (يو٥: ٢٤)

نفهم من هذا أن معجزات الشفاء في إنجيل يوحنا، إنما يعرضها بحساب معين يقوم على أساس التعليم المبني عليها. فهدف المعجزة عند إنجيل يوحنا هو استعلان المسيح وليس فقط عمل رحمة.

٤: ٥٤ «هذه أيضاً آيةٌ ثانيةٌ صنعها يسوعُ لمّا جاءَ من اليهوديةِ إلى الجليلِ».

هي محاولة من ق. يوحنا لتنبيه أذهاننا إلى الترابط الشديد بين الآيتين اللتين صنعهما الرب في قانا الجليل. ففي بداية القصة يشير إلى الآية الأُولى: «فجاء يسوع أيضاً إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمراً». وهنا يكرر الإشارة: «هذه آية ثانية». والهدف المشترك بين الآيتين هو «إظهار مجده» كما في الأُولى أمام تلاميذه؛ هكذا في الثانية أمام حشد من بيت الضابط الذي يُعتقد أنه أُممي «فآمن هو وبيته كله». هنا الاستعلان يأخذ صورة متقدمة في الثانية عن الأُولى. وهكذا يسير إنجيل يوحنا في هذا النمط من الاستعلان المتدرج.

والملاحظ أيضاً أن الآيتين تشتركان في سمات أساسية بالنسبة لإنجيل يوحنا وهي لحظات الحرج البالغ. في الآية الأُولى فروغ الخمر في وسط حفل العرس. في الآية الثانية: ابنه «كان مُشرفاً على الموت»، «قبل أن يموت ابني». ثم ردُّ الفعل السخي جداً: ستة أجران ملآنة خمراً (١٣٤ جالون = ٦٠٠ لتراً تقريباً) في الآية الأُولى، وفي الثانية: «اذهب ابنك حيّ».

الأصحاح الخامس

وقفة قصيرة

المرحلة التي تميزت بالصدام السافر مع الفريسيين
من الأصحاح الخامس حتى الثاني عشر:

على مدى الأصحاحات السالفة أكمل المسيح تقديم نفسه لكل فئات اليهود:

في أورشليم: للفريسيين والرؤساء.

في اليهودية: للشعب المتعصب.

في السامرة: للشعب المنبوذ.

وفي الجليل: للشعب الساذج فلاحين وصيادين.

وبذلك يكون قد استوفى عناصر الإيمان المناسب لهذه الفئات المتباينة كلٌّ على مستوى ثقافته وإدراكه.

ومن الآن يبدأ الصدام الذي بدأت بذاره مبكرة في اليهودية أو أورشليم، ويستمر إلى أن ينتهي بالآلام. وسوف نواجه في الأحاديث والمناقشات التي ستعبر عليها نماذج من الإيمان، ونماذج من الرفض. على التوازي: حيث بالكلمات الموجهه والأعمال ذات الأهداف، استعلن المسيح أفكار اليهود الناقصة والتي جاءت بلا تعقل ولا فهم. أما أشدها عنفاً على المستوى المأساوي غير المعقول، فكان في أورشليم. وكانت المناسبات المختارة هي الأعياد الرسمية للأمة. وقد تبلورت هذه الصدامات على ثلاثة محاور لثلاث آيات خارقة صنعها المسيح.

الأولى: شفاء المريض المقعد منذ ثماني وثلاثين سنة في بيت حسدا: **الأصحاح الخامس.**
الثانية: شفاء الأعمى المولود هكذا من بطن أمه: **الأصحاح التاسع.**
الثالثة: إقامة لعازر من الموت: **الأصحاح الحادي عشر.**

ولكن يتخلل هذه المجموعة المترابطة، **الأصحاح السادس** ــ الذي تم حوادثه في الجليل، وهو يبدو لكثيرين من الشراح وكأنه في غير موضعه، وكان ينبغي ــ في نظرهم ــ أن يكون موضع الأصحاح الخامس. ولكن تبويب ق. يوحنا، في الحقيقة يعتمد لا على التسلسل الجغرافي ولا

التاريخي، ولكن على طبيعة التعاليم والحوادث من جهة استعلان الرب لذاته، واستعلان أفكار قلوب اليهود. لهذا فإن الأصحاح السادس نجده يتبع فعلاً مجموعة الصدامات **واستعلان المسيح لشخصه كابن الله.** كما يكشف الشعب بل والتلاميذ الذين كانوا على غير المستوى، سواء للتلمذة أو للأمانة، إذ تركوا المسيح ولم يعودوا يسيرون وراءه. لذلك استحسن ق. يوحنا أن يضمّه إلى أعمال الرب التي أكملها في أورشليم بالرغم من أن حوادثه جرت في الجليل.

وهذه المجموعة من الصدامات التي تقع من الأصحاح الخامس حتى الأصحاح الثاني عشر تنقسم من جهة عنف الصدام إلى قسمين:

الأول: مجرد بادئة لريح الصدامات، وتستغرق الأصحاحين الخامس والسادس.

الثاني: الصدام في أوج عنفه، و يستغرق من الأصحاح السابع حتى نهاية الثاني عشر.

مكان البشارة
سادساً — في أورشليم
(٥: ١—٤٧)

الأصحاح الخامس

شفاء مريض بركة بيت حسدا
والمصادمة الأولى مع اليهود

الأصحاح الخامس يُعتبر تكميلاً لإنجيل «قوة الكلمة» الذي ابتدأ في الأصحاح الرابع بمعجزة شفاء ابن خادم الملك ٤: ٤٦—٥٤.

والأصحاح الخامس ينقسم إلى أربعة أقسام واضحة:

القسم الأول: سردٌ لتفاصيل الآية التي صنعها المسيح، أعداد من ١—١٨، وتنتهي بمحاولة قتل المسيح.

القسم الثاني: شرح تفصيلي لمركز الابن من الله الآب وماهية الابن في ذاته، أعداد من ١١—٣٠.

القسم الثالث: الشهادة للابن، **أولاً** من المعمدان، **ثانياً** من الآب، **ثالثاً** من الأعمال، **رابعاً** من الأسفار: ٣١—٤١.

القسم الرابع: أسباب عدم إيمان اليهود: ٤٢—٤٧.

على أن ما ورد في القسمين الثاني والثالث، أي شرح ماهية الابن وعلاقته بالآب، ثم الشهادة للابن على كل المستويات كما وردت في هذا الأصحاح، فهو يُعتبر الأساس الذي بني عليه إنجيل يوحنا كل تعاليم المسيح.

والمسيح يخاطب في هذا الأصحاح أعلى مستوى لفئات الأمة، والإشارة ستجيء عنهم واضحة هكذا: «ها هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. **ألعل الرؤساء عرفوا يقيناً** أن هذا هو المسيح حقاً.» (يو٧: ٢٦)

القسم الأول من الأصحاح الخامس

(١ــ١٨)

معجزة شفاء مريض بركة بيت حسدا(*)
وحوار مع الفريسيين ينتهي بمحاولة قتل المسيح

٥ : ١　«وبعد هذا كان عيدٌ لليهودِ، فصَعِدَ يسوعُ إلى أُورشليمَ».

«بعد هذا»: μετὰ ταῦτα

وتعني في اليونانية «بعد نفس هذه الأمور كحوادث»، وبها يقصد ق. يوحنا الإنتقال من مجموعة حوادث إلى مجموعة أخرى من الحوادث (أنظر ٣ : ٢٢ و٦ : ١)، وهذا الاصطلاح غير μετὰ τοῦτο التي تفيد مجرد التسلسل الزمني أي «بعد هذا الزمن» (أنظر ٢ : ١٢ و١١ : ٧).

«كان عيدٌ لليهود»:

تأتي **«عيد»** بدون «الـ» التعريف، أي ليس هو عيد الفصح، بل أحد الأعياد الأخرى، و يعتقد كل من القديس كيرلس[١] والقديس ذهبي الفم[٢] أنه عيد **الخمسين.** فإذا أخذنا بهذا التقرير يكون المسيح قد زار السامرة في بكور الصيف (مايو) بعد الفصح الذي أمضاه في أورشليم، كما يفيد أنه مكث في الجليل فترة قصيرة. و يقول العالم شناكنبرج أن الأخذ بهذا الرأي صائب، إذ يجعل التسلسل التاريخي في إنجيل يوحنا صحيحاً؛ حيث يأتي عيد المظال بعده في الأصحاح السابع، وعيد التجديد في الأصحاح العاشر، والفصح الأخير في الأصحاحين ١١و١٢. وهذا بعكس ما يقول كثير من الشراح الآخرين أن هذا العيد كان عيد **المظال** وذلك بسبب أن كلمة «عيد لليهود» جاءت بدون تعريف، وهذا ينطبق فقط على عيد المظال بحسب تحقيقات العهد القديم. وصعود المسيح لأُورشليم في عيد الخمسين ولو أنه أحد الواجبات اليهودية الملزمة للزيارة، لأن الأعياد الملزمة للحضور إلى أورشليم ثلاثة: الفصح والخمسين والمظال؛ إلا أن المسيح كان يتخذ من الأعياد عموماً فرصاً لمحاجاة الرؤساء والفريسيين، وللاتصال بجماهير الحجاج الآتين من كل أركان البلاد.

وعيد الخمسين من الأعياد الهامة التي يحتفل بها اليهود لتذكار استلام موسى للناموس على جبل

(*) يُقرأ هذا الفصل (يو٥ : ١ــ١٨) في الأحد الخامس من الصوم الكبير المعروف بـ«أحد المخلّع»، وذلك لأنه يمثل حالة شفاء تصحبها توبة: «ها أنت قد برئت. **فلا تخطيء أيضاً** لئلا يكون لك أشرُّ».

[1] St. Cyril the Great, *op. cit.*, p. 237.

[2] Chrysostom, *op. cit.*, *Hom.* 36, p. 125.

سيناء. ومن هنا يجيء في هذا الأصحاح تلميح المسيح بعد ذلك ــ في نقاشه مع الفريسيين ــ بخصوص كتب موسى أي الناموس: «يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك (أي التوراة وهي محور تذكار هذا العيد) فكيف تصدقون كلامي» (يو٥: ٤٥ــ٤٧). **هنا يجعل المسيح كلامه على مستوى التوراة.**

على أن كثيراً من الشراح ومن الآباء أيضاً يصِرُّ على أنه كان **عيد الفصح** الثاني الذي حضره المسيح والذي بالحساب الدقيق يقع سنة ٢٨ ميلادية. ودليلهم على ذلك ما ذُكر في الأصحاح السادس أن عيد الفصح كان قريباً (٦: ٤). على أن عيد الفصح الأول الذي حضره المسيح، ذُكر في الأصحاح الثاني عدد ١٣، وقد وقع سنة ٢٧ ميلادية. أما الفصح الأخير الذي صلب فيه الرب (يو١١و١٢) فوقع في سنة ٢٩ ميلادية. و بذلك يكون الرب قد حضر ثلاثة أعياد فصحية أثناء خدمته، صُلب في ثالثها، و بذلك تكون مدة خدمته حسب توقيعات إنجيل يوحنا وحسب التقليد القبطي ثلاث سنوات ونيف.[3]

«فصعد يسوع إلى أورشليم»:

هنا يلمح ق. يوحنا أن المسيح لم يشأ أن يأخذ تلاميذه بل صعد وحده، وكلمة «صعد» ــ كما جاءت في الأصل اليوناني ــ تفيد الذهاب الرسمي للعيد كالمعتاد حسب الناموس. و يبدو أن الرب شاء أن يصعد وحده حتى لا يظهر أيضاً بصورة مثيرة، بل دخل المدينة متخفياً منعاً للإثارة التي بدأت تأخذ وضعها العنيف. و يظهر هذا من التسجيل الواضح للقديس يوحنا: «أما الذي شُفي فلم يكن يعلم من هو، لأن يسوع اعتزل إذ كان في الموضع جمعٌ.» (٥: ١٣)

٥: ٢ **«وفي أورشليمَ عند بابِ الضأنِ بركة يُقال لها بالعبرانية بيت حِسْدَا** (بتسدا) **لها خمسةُ أروقةٍ».**

«باب الضأن»:

هذا الباب هو في سور مدينة أورشليم من ناحية الشرق وكان قريباً من الهيكل (أنظر نح٣: ١). وفي سفر نحميا يذكر أن بناء هذا الباب كان من نصيب الكهنة. و يبدو أنه كان ذا صلة خاصة بالذبائح التي تدخل منه للهيكل.

---

[3] See: ICC, *op. cit.*, ciii; Lightfoot, *op. cit.*, p. 148.

بركة بيت حسدا:

أبحاث كثيرة أجراها العلماء حول هذا الاسم: من «بيت زاتا» (بيت الزيتون)، إلى «بيت صيدا» محوَّرة، إلى «بيت إزدا» Bet Esda «بيت الفيضان». كما وُجد اسمها منقوشاً في دَرَج من النحاس في حفريات وادي قمران مكتوباً هكذا: Bet Esdatayin، و يعني «بيت إزد المجوز» (أي ذو العينين). بمعنى أن البركة لها حوضان يفيض فيهما الماء. ولكن أصح القراءات جميعاً ما جاء في النسخة الإسكندرانية اسم «بيت حسدا» Bet hesda وتعني «بيت الرحمة» بسبب الأشفية التي كانت تُجرى فيها.

والعجيب أن النقَّاد سلَّطوا نقدهم على إنجيل يوحنا بخصوص هذه البركة بهذا الاسم معتقدين أن ق. يوحنا اخترع هذا الاسم لهذه البركة ــ إذ كانت قد اندثرت معالمها. ولكن في هذا القرن تم اكتشاف هذه البركة بجوار كنيسة القديسة حِنَّة بواسطة رهبان الآباء البيض. ولما أكملوا حفرياتهم ظهرت البركة ولها بالفعل خمسة أروقة (أنظر الصورة). والبركة مساحتها كبيرة، فهي بعرض ١٦٥ــ٢٢٠ قدماً وطول ٣١٥ قدماً، مقسومة من نصفها بحاجز جعلها بركتين: واحدة شمالية والأخرى جنوبية، ولها على جوانبها الأربعة صفوف أعمدة، وكذلك على الحاجز الذي يقسمها. و بذلك ظهرت الخمسة الأروقة، ولها منزل مدرج كسلالم.

وقول ق. يوحنا أن هذه البركة يُقال لها «بالعبرانية» بيت حسدا، يقصد «باللغة الأرامية الدارجة» بين الشعب (العائد من السبي). كما يلاحظ أن هذا الاسم يفيد مبنى أكثر منه نبع ماء، لأن الخمسة الأروقة جعلت منه مصحَّة يؤمُّها المئات. وقد قام ببنائها بعض الخيِّرين؛ و يُقال أن هيرودس الكبير هو الذي أقامها. وقد ظلَّت هذه المصحَّة قائمة حتى إلى ما قبل خراب أورشليم سنة ٧٠م.

٥ : ٣ «في هذه كان مضطجعاً جمهورٌ كثيرٌ من مرضَى وعُمي وعُرج وعُسْم يتوقعون تحريكَ الماءِ».

«العُسْم»: ξηρῶν

وهم مرضى بأنواع الشلل. وقد ذكر نوع مرضهم في آخر قائمة المرضى لأن مريض هذه القصة واحد منهم. وهو المرض الذي أعيا الطب والدواء على حد سواء حتى اليوم.

«تحريك الماء»:

عودة مرة أخرى إلى «**الماء**» الذي يرافقنا منذ عرس قانا الجليل عبْر نيقوديموس والسامرية، وهنا أيضاً.

و«تحريك الماء» هي جملة فيها محاولة لمحاكاة الماء الجاري أو الماء الحي الذي تمناه المريض ولم يبلغه قط. وفي هذا تعبير مِسْتيكي (سرِّي) يشير إلى المسيح «الماء الحي» الذي وافاه هذا المريض السعيد فشفاه.

٥ : ٤ **«لأن ملاكاً كان ينزلُ أحياناً في البركةِ ويحرِّك الماءَ، فمَنْ نزل أولاً بعد تحريكِ الماءِ كان يبرأُ من أيِّ مرضٍ اعتراهُ».**

هذه الآية لم توجد في معظم المخطوطات الهامة ولكنها موجودة في بعض منها، وقد ذكرها بعض الآباء ومنهم ذهبي الفم(٤) معتبراً أن [البركة والماء هنا هما سبق تصوير للمعمودية، لكي يعطي اليهود صورة مُسْبقة لما ستأتي به المعمودية في المسيح. وتحريك الماء بواسطة الملاك هو تمهيد تصويري لما سيعمله الروح القدس ربُّ الملائكة.] وشرح ذهبي الفم هنا يتبع إلى حد ما الخط السرِّي المستيكي الذي ينهجه ق. يوحنا.

«بركة»: κολυμβήθρα

وهي نفس الكلمة الطقسية المستخدمة للتعبير عن جرن المعمودية. ولو أنها مشتقة من أصل κολυμβάω أي يسبح أو يعوم. وقول ق. يوحنا أن «ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء»، يعطينا تقريراً إنجيلياً عن تدخل سمائي إعجازي في العهد القديم لشفاء الأمراض الميئوس منها بنوع من الرحمة الإلهية، وذلك بحسب ترجمة اسمها «بيت حسدا». وهذا ليس غريباً لا على ق. يوحنا ولا على العهد القديم برمته. فالقديس يوحنا رأى في رؤياه هذا الملاك عينه واسمه «**ملاك الماء**»: «وسمعت ملاك المياه يقول عادلٌ أنت أيها الكائن والذي كان والذي يكون لأنك حكمت هكذا.» (رؤ١٦: ٥)

أما قوة الحياة والشفاء التي جعلها الله في الماء فهي تراث إلهي يملأ العهد القديم، ونحن لا ننسى الصخرة التي تفجرت ماءً تحت عصا موسى في سفر الخروج، وكان الماء للحياة والشفاء، لأن

---

4 *Op. cit.*, p. 126.

«الصخرة كانت المسيح» (١كو١٠: ٤)، وإذا لم يذكر سفر الخروج حالات شفاء للماء إلا أن الماء كان له هذه الطبيعة والقوة، فلم نسمع بأن أحداً كان يمرض قط بطول الأربعين سنة: «ثيابك لم تَبْلَ عليك، ورِجْلُك لم تتورم هذه الأربعين سنة.» (تث٨: ٤)

كذلك لا نجهل الشفاء الذي أجراه أليشع النبي لنعمان السرياني بالإغتسال في مياه الأردن، الأمر الذي طهّره من داء البرص الوبيل. والمسيح أيضاً ألمح إلى سر الله في ماء بركة سلوام بالذات، حينما أمر الأعمى الذي صنع له من ريقه مقلة من طين، أن يغتسل في بركة سلوام فأتى بصيراً. والشفاء والصحة في بركة سلوام وغيرها هو إرهاصة من إرهاصات عمل الروح القدس في سر المعمودية الذي استعلنه المسيح في مُقعَد بيت حسدا. بل ولا تزال بعض سراديب روما(٥) تشير إلى المعمودية برسم هذا المُقعَد ذي الثماني والثلاثين سنة الذابل الساق، وهو يسير بقوة حاملاً سريره على ظهره، تعبيراً فنياً مبدعاً عن «سر المعمودية»، باعتبار أن المعمودية تعيد مشلول الخطية صحيح الروح معافى حاملاً شهادة حياته المائتة السابقة على ظهره، على أساس أن المسيح هو الماء الحي الذي يعطي الحياة ويقيم من الموت عوض ماء بركة بيت حسدا الذي عزّ على مريضها، وامتنع عليه أن يُشفى. وهذه إشارة ضمنية رائعة إلى عجز العهد القديم بمائه — وعلى كل صورة — أن يُطهّر أو يشفي أو يُروي.

ومعروف أن ثلاث قراءات من الإنجيل كانت تُقرأ على المعمّدين الجدد في الكنيسة الأولى: الحديث مع نيقوديموس، وقصة المقعد، وتفتيح عيني الأعمى(٦).

٥ : ٥—٦ «وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثماني وثلاثينَ سنةً. هذا رآه يسوعُ مُضطجعاً وعَلِمَ أن لهُ زماناً كثيراً، فقال له: أتريد أن تبرأ».

ثماني وثلاثون سنة في المرض. هنا استحالة أن يكون هو الشلل المعروف، سواء النصفي أو الكُلّي، لأن المعروف في الطب أن مريضه يكون محدود الحياة بمدة قليلة. فهو ربما كان نوعاً من المرض الذي يُقعد المريض عن الحركة. ولكن لا يفوتنا أسلوب ق. يوحنا في اختيار الآيات ذات اللون الصارخ ليقدمها كنموذج لتفوّق المسيح الإلهي، فالأعمى «منذ ولادته»، والميت له «أربعة أيام في القبر»، وهذا المريض له «ثماني وثلاثين سنة» في مرضه، فالآية هنا مختارة من وسط مئات وربما ألوف كنموذج للقوة الفائقة.

------

[5] *Atlas of the Early Christian World*, trans. & ed. by Mary F. Hedlund & H.H. Rowley, London, 1958. p. 42.

[6] Brown, Raymond E., *op. cit.*, p. 211.

«أتريد أن تبرأ؟»:

اختار الرب هذا المُقْعَد ليُجري فيه آية الشفاء المجاني دون أن يطلب، هنا أسلوب ق. يوحنا السرّي، فهو يرمي إلى أبعد من المقعد ومن الآية في حد ذاتها. لأننا نعلم من أسفار العهد القديم أن شفاء الأعمى والأعرج ــ وهما آيتا الأصحاحين الخامس والتاسع ــ سيكون علامة مجيء المسيا وافتتاح عهد النعمة والخلاص. فإشعياء النبي يسبق و يصف المنظر بعينه: «هو يأتي ويخلّصكم، حينئذ تتفقح عيون العمي وآذان الصُم تتفتح، حينئذ **يقفز الأعرج (المشلول)** كالأيِّل (كالغزال) و يترنم لسان الأخرس، لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر.» (إش٣٥: ٤ــ٦)

«و يسمع في ذلك اليوم الصمُّ أقوالَ السفر، وتنظر من القتام والظلمة عيونُ العُمي، و يزداد البائسون فرحاً بالرب، و يهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل.» (إش٢٩: ١٨و١٩)

أما إرميا النبي فيصف المنظر باتفاق: «سبّحوا وقولوا: خلّص يا رب شعبك بقية إسرائيل... بينهم الأعمى **والأعرج**... جمعٌ عظيم يرجع إلى هنا.» (إر٣١: ٧و٨)

وداود النبي يشترك في الرؤيا: «الرب يطلق الأسرى، الرب يفتح أعين العُمْي، الرب **يقوّم المنحنين...**» (مز١٤٦: ٧و٨)

وهكذا يقف الأنبياء من وراء الأزمنة والدهور يتطلعون إلى يوم مريض بركة بيت حسدا، والأعمى المولود هكذا من بطن أمه، مع كل الآيات الأخرى التي صنعها يسوع، فيرد عليهم ق. يوحنا بلغته السرية: "هوذا اليوم قد أتى ومن له أذنان للسمع فليسمع!"

«أتريد أن تبرأ»؟

«ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشرُّ.» (٥: ١٤)

كشف القديس بولس الرسول عن أخطر مشكلة أدبية وأخلاقية بل وروحية تواجه الإنسان في الحياة عندما تعرَّض لعمل الإرادة في صراعها مع الخطية قائلاً: «لأني لست أعرف ما أنا أفعله **إذ لست أفعل ما أريده،** بل ما أبغضه فإياه أفعل... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيَّ... **لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحُسْنَى** فلست أجد. **لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل.**» (راجع رو٧: ١٤ــ٢٥)

فهنا يستعرض لنا بولس الرسول الإنسان الطبيعي في عراكه الداخلي مع الخير والشر، بعد أن

تعرف على ناموس الله من جهة الحق والباطل. فبولس اكتشف في داخله ناموسين: ناموس الخطية المسيطر على الجسد بأعضائه، وناموس الخير والصلاح المسيطر على ذهنه (عقله الروحي)؛ ووجد في الصراع القائم بينهما الإرادة مغلوبة، والخطية غالبة، وبالتالي فالذهن الروحي مكسور ومُهان، والأعضاء متمردة تستمرىء الإثم رغماً عن الإرادة الرافضة!!

ولكن بولس الرسول اكتشف أيضاً في المسيح يسوع ناموساً ثالثاً أعلى وأكثر قوة وسيطرة هو «ناموس روح الحياة»، أي قوة وفعل الروح القدس الموهوب للإنسان مجاناً بالإيمان الذي يأخذه الإنسان حالما يؤمن بالمسيح و يصدق مواعيده، ويخضع لوصاياه، معترفاً بخطاياه واثقاً من غفرانها المجاني بالدم بدون نقاش أو شرح أو تحفظ: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت». وفي الحال تيقَّن أن «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (راجع رو٧و٨)

ولكن الخطر الأكبر قائم بالنسبة للإنسان الذي **فقد «إرادة الخير والصلاح»**، فهو يفعل الخطية راضياً دون احتجاج من الضمير أو رفض من الإرادة، وبالتالي يكون الذهن الروحي قد انطمست فيه معالم ناموس الله من جهة الخير والشر، فلم يَعُدْ عقله منشغلاً بما يُرضي الله أو بما يهينه.

هنا يأتي المعنى العميق وراء سؤال الرب لمريض الثماني والثلاثين سنة: «**أتريد أن تبرأ؟**» ــ بمعنى: هل لا زالت لك إرادة الشفاء والحياة الأفضل؟ لقد علم الرب أن هذه الفترة الزمنية الطويلة في ذلَّة المرض والكساح قد حطَّمت نفس هذا الإنسان، والخطورة هنا تكمن في فقدان الإرادة نحو استعادة الحياة، حتى وإن كان قد بذل جهداً جسدياً عنيفاً ومستمراً ربما كل يوم مرَّة أو مرتين للنزول في البركة، والتي باءت كلها بالفشل. والرب هنا لا يسأل عن إرادة الغريزة نحو صحة الحياة التي يستوي فيها الإنسان والحيوان حتى وإلى آخر لحظة من عمره، وإنما يسأل عن إرادة استعادة الحياة التي بلا خطية، لأن بُرْء الجسد متوقف على البرء من الخطية. وهذا القصد الإلهي في كلام الرب واضح من انتهار الرب له لـمَّا لاقاه بعد ذلك: «ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضاً (أي ثانيةً) لئلا يكون لك أشرُّ.» (١٤:٥)

بهذا المعنى يكون الرب قد وضع النقاط على الحروف لتظهر كل قصة هذا الإنسان قبل مرضه وفي مرضه، حتى تبقى إلى الأبد عبرة لكل إنسان!... فقد عاش هذا الإنسان في اقتراف الخطيئة مما كان سبباً في ضياع صحته حتى آلت إلى ما آلت إليه من الضمور والشلل! لقد انصاع وراء شهوة

الخطيئة فاستعبدته وحطمته. والرب لما رآه تحنن عليه من تلقاء ذاته إذ لمح فيه بقايا إرادة، فبادره بسؤاله: «أتريد أن تبرأ؟» ليستفز فيه الرجاء الذي استبدت به محاولات الثماني والثلاثين سنة البائسة، ولكي يستنهض فيه الإرادة نحو الحياة الأفضل. و يلاحظ القارىء أن الرب لم يسأله عن إيمانه، فالإيمان يُبْحث عنه بعد أن نستوثق من وجود الإرادة. لأن الإيمان فعل إرادة. فالرب يستفز الإرادة في الإنسان ــ إرادة الإيمان بالحياة ــ يُرسي فوقها قوة الحياة الأفضل.

فانظر، أيها القارىء، كيف أن الرب لا ييأس من خلاص الخطاة، هو يطلبهم و يستنهض إرادتهم. فكيف ييأس الخاطىء من رحمة رب الحياة؟ وق. يوحنا يقدم مريض الثماني والثلاثين سنة نموذجاً لإرادة الحياة بالنسبة لخاطىء لم تنطفىء منه جذوة الحياة. و يقدم المسيح في منظر مَنْ قيل عنه: «قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء.» (مت ١٢: ٢٠)

هذا مما جعل الآباء القدامى وكثيراً من العلماء المحدثين يرون في قصة هذا المريض إشارة إلى شعب إسرائيل الذي أقام في التيه «ثماني وثلاثين سنة»، ثم عاش تحت «الخمسة» الأسفار التي للتوراة يترجى حياة وشفاءً، فلم يجد: «... الآن قوموا واعبروا وادي زَرَدَ، فعبرنا وادي زَارَدَ. والأيام التي سرنا فيها من قادش برنيع حتى عبرنا وادي زارد كانت ثماني وثلاثين سنة حتى فني كل الجيل... و يدُ الرب أيضاً كانت عليهم لإبادتهم من وسط المحلة حتى فنوا.» (تث ٢: ١٣ــ١٥)

ولكن ليعذرني القارىء إذا قلت إن هذا إسراف في التأويل يُخرج الرواية عن أصالتها التلقائية كما رواها ق. يوحنا و يُضعف من معناها الروحي.

٥: ٧ «أجابه المريضُ يا سيدُ ليس لي إنسانٌ يلقيني في البركة متى تحرَّك الماءُ بل بينما أنا آتٍ ينزلُ قدامي آخرُ».

كان رداً من واقع الحال، وكأني به يريد أن يقول: "أما الإرادة فهي حاضرة عندي يا سيد ولكن أن أجد قوة على التنفيذ فلست أجد"!!! وهو ردٌ صائب غاية الصواب استدرّ حنان الرب. ولكن خيبة أمل المريض لم تكن في إرادته التي استخدمها مئات المرات، ولكن في بني الإنسان الذين لم يؤتوا الرحمة، مهلاً نرحم أنت؟ «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً.» (مز٤٩: ٧)

ولكن بالرغم من صحة الرد وصحة التعليل، إلاّ أن القضية تحولت في نظر المقعد من قضية حياة في الخطيئة ضد نفسه والله، إلى خطأ الناس وخطية الآخرين. وهذه طبيعة الخطيئة تخفي

نفسها عن مصدرها الحقيقي لتظهر وكأن صاحبها منها براءٌ!! وهكذا تبلغ النفس البشرية تزييفها للحق، الأمر الذي يطوّح بها بعيداً عن الله وعن رحمته.

لقد وقع «أيوب» البار في هذا التزييف لما أتته بلواه، فنسبها إلى الله، وأخذ يعاتبه «يُكثر جروحي بلا سبب» (أي ٩ : ١٧) (هكذا)!! و«كفاف عن الرحمة» و«قد نسي حسنات أيوب الكثيرة في غابر الأزمان» (أيوب أصحاح ٣١)! وماذا كان رد القدير، الذي عيناه تخترقان أستار الظلام وأمسُ مكشوف أمامه كاليوم؟ قال له قولته المشهورة: «**تستذنبني لكي تتبرر أنت؟**» (أي ٤٠ : ٨). ولكن وبالنهاية قَبِلَ الرب ذنب أيوب على نفسه و برَّره وأبرأه!! أليس هو الفادي الذي حمل عارنا؟ وهل تغيّر الرب أبداً؟

«يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة»:

لقد استدر عطف السيد. أليس هو القائل على فم إشعياء النبي: «فرأى أنه ليس إنسان، وتحيَّر من أنه ليس شفيع» (إش٥٩ : ١٦)، فحنَّت أحشاؤه، «فخلَّصت ذراعه لنفسه، و برُّه هو عضده، فلبس البرَّ كدرع وخوذة الخلاص على رأسه» (إش٥٩ : ١٧). ونظر إلى المُقْعَد وكأنه ينظر إلى الشعب بأكمله أو الإنسان ككل!! وقال قولته وكأن ظهره مسنود على الصليب: «**قم احمل سريرك وامشِ**».

٥ : ٨و٩ «قال له يسوع قم احمِلْ سريرَكَ وامْشِ. فحالاً برِئَ الإنسانُ وحمَلَ سريرَه ومشَى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ».

ألم يقل ق. يوحنا في بدء روايته: «فصعد يسوع إلى أورشليم»؟ إذن، فقد أتى الفادي إلى صهيون. هكذا رآه إشعياء من وراء الدهور: «و يأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب... قومي استنيري لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك» (إش٥٩ : ٢٠ و٦٠ : ١). فليست بركة بيت حِسْدا (بيت الرحمة) ذات الخمسة الأروقة لتُترجَّى بعد، ولا المياه التي تحرِّكها الملائكة، بل ينبوع الرحمة الدائمة والفائضة مجاناً بلا وسيط و بلا شروط! هي كلمة صدرت منه فأحيت العاجز، وشددت أوصال جسده المنحلّ، وحركت عضلاته الضامرة، دبَّت فيها قوة الله فأحيتها بأقوى مما كانت. وظَهْرهُ الذي انحنى تحت عبء السنين الطوال قام واستقام، وحمل ثقل سريره كظهر شاب يستعرض قوته! لقد صار ماضيه الحزين كقصة وشهادة. وهذا حال كل من صدَّق وآمن بكلمة المسيح. لم يقل ق. يوحنا أن المُقْعَد آمن بالكلمة، ولا حتى عرف مَنْ هو الذي يكلمه!! لكنها «**الكلمة**» التي خرجت من فم المسيح «**الكلمة**».

فليـنـتبه القارىء إلى قوة **«الكلمة»** في حد ذاتها، إنها تنتهر الخطية فتلاشيها، وتنتهر المرض فـتلغي سطوته. لقد قال المسيح: إن «الكلام الذي أُكلِّمُكم به هو روح وحياة» (يو٦ : ٦٣). فإن كـانـت كـلـمـة المسيح هكذا بهذه القوة فكيف لا نُسْكِنُها قلوبنا؟ وما الذي يقف دون أن تعمل عـمـلـهـا فينا؟ لقد أصابت المُقْعَد وهو منطرح على سريره، فلماذا لا تصيبنا ونحن منطرحون تحت صليبه؟ و«كلمة» المسيح تعمل عملها ولا تحتاج إلاّ لمن **«يسمعها»** و يكون محتاجاً إليها.

لـقـد اسـتخدم المسيح هذا الإجراء الفريد من نوعه في شفاء المُقْعَد، الذي لم يكن يعي مَنْ هو الـذي يـكـلـمـه، في إثـبـات صـحـة وصـدق اسـتـعلائه لنفسه: «تأتي ساعة وهي الآن حين **يسمع الأموات** (بـالخـطـيـة) صـوت ابن الله والـسـامـعـون يحـيـون» (يو٥ : ٢٥). فالمُقْعد نموذج **«لموتى الخـطية»** الذين يعيشون موتهم وهم يريدون الحياة، الذي حالما سمع صوت المسيح قام وحمل سريره ومشى.

فانظر، أيها القارىء، كيف يقدم ق. يوحنا عناصر قصة شفاء المقعد بكل دقة وترتيب وحكمة مذهلة لتكون هي نفسها عناصر الحوار اللاهوتي العميق الذي أجراه المسيح مع اليهود بعد ذلك كونه «يعطي الحياة لمن يشاء» (قارن يو٥ : ٢١)، وأن كل من يسمع مجرد صوته يحيا ولو كان من سكان القبور (قارن يو٥ : ٢٨).

و بـالـنهاية هي ليست مجرد قصة شفاء أو معجزة باهرة من معجزات المسيح، بل هي قصة عمل الفداء مصوَّرة بعمقها.

ولـو يلاحظ القارىء، يجد أن ق. يوحنا على غير العادة لا يذكر أنها آية؛ كذلك نجد الرب في هـذه الـقـصـة صـاحـب مـبادرة إذ أعطى الشفاء كأمر: **«قُمْ، احمل، امشِ»**. فخضع له المريض كـمـن يخـضـع لفعل دخل كيانه وجدد حاله دون أن يكون له أية استجابة واعية مُسْبَقة؛ وأنه شُفي في الحـال دون إجـراءات ثـانـو يـة كـالغسل في البركة أو خلافه. كذلك فلم يشترط عليه الرب أي شرط، وهذه هي طبيعة الفداء بكل جلاء، مجانية مطلقة، من طرف واحد وهو الله في شخص يسوع المسيح.

نـحـن كـلنا هذا المُقْعَد، إذا أردنا أن نفهم الفداء ونعيه، وإذا تكرمنا أن نقبله طواعية! فنحن تـقـبَّـلنا هذا الفداء ونحن بعد خطاة مطروحو الجسد تحت ذِلَّة جبروت الخطية ولا حراك لنا؛ وفعل الـفـداء سَرَى فـيـنـا ولم يعُدْ لنا ــ إن كنا نفهم ــ إلا أن نحمل سريرنا ونذهب نبشر بالذي صنع

معنا هذا الفضل الفائق. ولا نعود نخطىء بل نحدّث بفضل الذي دعانا إلى الحياة في نوره العجيب.

٥ : ١٠ و١١ «فقال اليهودُ للذي شُفيَ: إنه سبتٌ، لا يحلُّ لك أن تحملَ سريرَك. أجابهم: إن الذي أبرأني هو قال لي احملْ سريرك وامشِ».

وفي الحقيقة إن المسيح لم يصنع هذه الآية **بالرغم** من أنه «سبت»، بل **لأنه** «سبت». لأن هذا الاختيار هو جزء من خطة استعلان المسيح لنفسه باعتباره «ربَّ السبت» حسبما قال مرة (مر٢ : ٢٨ ولو٦ : ٥)؛ ولكونه جاء ليعطي **«سبتاً»** جديداً، أي راحة «جديدة» عوض الراحة الجسدية القديمة (عب٤ : ١٠).

أما إجابة المقعد فتنمُّ عن تقدير لمن قال له قُمْ ... واحمل ... وامشِ، أكثر من تقديره لموضوع السبت، لقد ذُهِلَ المُقْعَد؛ أبَعْدَ أن أفنى عمره في الكساح الذي هو فيه وجاء مَنْ شفاه، يُطالَب بذنب شفائه وحَمْلِ سريره وسَيْرِهِ على رجليه صحيحة؟ إن هذه المغالطة المناقضة للواقع ظهرت في قلب ذلك المريض صارخة مستغيثة! لمن أسمع، ولمن أُطيع؟ للناموس الذي عجز عن أن يشفي عجزي؟ أو لذلك الإنسان الذي شفاني وقواني ودعاني للسير على قدميَّ؟ لقد قصد المسيح ذلك قصداً، أن يضع هذه الموازنة بصورتها العملية ليس في نظر المُقْعَد وحده ـــ وهو صاحب الحق الأول في المقارنة والموازنة بين الناموس وذلك الإنسان!! ـــ بل وفي نظر البشرية كلها!!

وليـنتبه القارىء، فإن المسيح هنا لا يقدم ناموساً يُحفظ، ولا قانوناً يُحكم بمقتضاه، ولا نظاماً يُدْرَس؛ بل قدم نفسه للمُقْعَد في «**كلمة**» قالها فكانت له للشفاء والحياة.

٥ : ١٢ «فسألوه: مَنْ هو الإنسان الذي قال لك احمل سريرك وامشِ».

لاحظ هنا أنهم لا يستفسرون عن الذي شفاه لأنهم يعرفونه تمام المعرفة؛ ولكنهم يسخرون من قول الرجل إذ يضعون «**هذا الإنسان**» في مقابل سبت «**الله وناموسه**».

ثم انظر كيف يتجاهل هؤلاء الفريسيون عمل الآية المذهلة، التي لو كانت قد حدثت في أيامنا هذه لرجّت العالم كله، ولا يرون في كل ما صار للمُقْعد إلا كونه يحمل سريره في يوم الراحة، و ينظرون إلى ذلك بمنظار مرعب، إذ يرون في ذلك استحقاقه للموت!! رجماً!!

[إذا حدث أن حمل أي إنسان أي شيء من مكان عام إلى بيته الخاص في السبت ويكون

ذلك عمداً فإنه يكون مستحقاً للموت رجماً.] (٧)

إنهم يبحثون عن الموت في كل ما هو حياة، وصحَّ فيهم قول المسيح أنهم: «يُصفُّون عن البعوضة و يبلعون الجمل.» (مت٢٣: ٢٤)

٥: ١٣ «أما الذي شُفي فلم يكن يعلم مَنْ هو، لأن يسوعَ اعتزلَ، إذ كان في الموضع جمْعٌ».

لم يكن من طبيعة المسيح أن يلفت أنظار الناس إليه، فهو ينتخب الذين يتكلم معهم، و ينتخب الوقت المناسب، والمكان اللائق، والظرف الذي ينطلق منه تعليمه.

٥: ١٤ «بعد ذلكَ وجدَه يسوعُ في الهيكلِ، وقالَ لهُ: ها أنت قد بَرئتَ، فلا تخطِئْ أيضاً لئلاَّ يكونَ لك أشرُّ».

ليعلم القارىء أن قدرة المسيح على الشفاء وإعطاء صحة الحياة قائمة أصلاً ومتأسسة على سِرِّ الفداء وقدرته على مغفرة الخطية، الذي دفع ثمنه بسفك دمه على الصليب. والمسيح كان يعمل و يتكلم على أساس أنه مصلوب، لأن الصلب أمر قد تقرَّر منذ الأزل، فلم يَعُدْ المسيح خاضعاً لتصريف الفعل **«يصلب»** كماضٍ، وحاضر، ومستقبل. فالمسيح مصلوب في الفكر التوراتي أو الطقس الموسوي منذ أن ذُبح خروف الفصح الأول: «وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التي تُدعى روحياً سدوم **ومصر حيث صُلِبَ ربنا أيضاً.**» (رؤ١١: ٨)

و بحسب فكر بولس الرسول، فالصليب هو قصد الله الذي قصده في المسيح منذ الدهور: «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة، أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُسْتَقصى، وأُنيرَ الجميع في ما هو **شركة السر المكتوم منذ الدهور،** في الله خالق الجميع بيسوع المسيح؛ لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماو يات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي **صنعه في المسيح يسوع ربنا.**» (أف٣: ٨ــ١١)

وعند بطرس الرسول، هو معروف قبل تأسيس العالم: «بل بدمٍ كريم كما من حَمَلٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة

(7) Sabb. a., quoted by Wünsche; cited by Westcott, *op. cit.*, p. 83.

من أجلكم.» (١بط١: ١٩و٢٠)

فقدرة المسيح على الشفاء والإقامة من الموت نابعة من قوة ذبيحة نفسه القائمة والدائمة فيه، والتي قدمها على الصليب، في الوقت المعيّن، عن كل خطاة الأرض، من أول الزمان وإلى آخر كل زمان.

بهذه القوة والقدرة الذبيحية والفدائية التي فيه، أعطى مُقْعَد بيت حِسْدا الشفاء والحياة الجديدة، على أساس أن كل خطاياه وعاره السابق حمله المسيح عنه في جسده بانتظار يوم الصليب. لذلك لا نسمع أن المسيح قد دان هذا المقعد. ولكن فقط، ولكي يضمن له هذه الحياة التي أعطاها له كي تبقى له بلا ديونونة، أمره بل آزره بنصيحة تكاد تكون دعاءً: أن لا يخطىء أيضاً أي ثانية، وذلك حينما وجده في الهيكل، لئلا يسقط عن العفو الذي أعطاه الخلاص المجاني. كما أن المسيح لم يشأ أن يظل هذا المريض الذي نال نعمة الشفاء جاهلاً بمن شفاه، فأعلن نفسه له ليعطيه فرصة الإيمان بالمسيح وقتما اكتمل انتباه وعيه المسيحي.

ثم قول المسيح: «لا تُخطىء أيضاً»، فيه إشارة إلى أن علّة مرضه الذي طال واستطال هي الخطية، فالخطية هي علة الإنسان الأُولى التي أوجبت عليه الموت. والمرض مهما كان، فهو جزءٌ من الموت الذي ورثه الإنسان من رأس جنسنا آدم الأول، ولكن يقابله الآن الحياة التي ورثناها من المسيح الذي وَلَدنا ثانية بالروح لله، والذي صار رأس الجسد أي الكنيسة، والذي حوّل الموت إلى حياة بالإيمان به، وحوّل المرض من تأديب وعقاب إلى علّة لتمجيد الله!!: «يا معلم مَنْ أخطأ هذا (الأعمى) أم أبواه حتى وُلد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه» (يو٩: ٢و٣)؛ «فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به.» (يو١١: ٤)

وهكذا كل مرض مهما كان ومهما أصاب، فهو لمجد الله، إذا حوّلناه إلى شكر حقيقي واحتملناه بصبر، فيتمجّد الله فينا بسبب هذا المرض عينه!! لذلك لم يفُتْ على ق. يوحنا أن يكمّل قائلاً:

«بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل»:

واضح أن المُقْعَد اتجه مباشرة إلى الهيكل ــ ربما حاملاً سريره ــ وهذا هو الذي أثار حوله العاصفة، ولكن القصد واضح أنه أراد أن يقدِّم الشكر لله! مما يلفت نظرنا أنه كان على شيء من التقوى، فالفتيلة المدخّنة ما فتئت تدخّن حتى اشتعلت!

٥ : ١٥ «فمضى الإنسانُ وأخبرَ اليهودَ أن يسوعَ هو الذي أبرأهُ».

واضح أن المُقْعَد وجد في المسيح مَنْ يستطيع أن يتحمل عنه تهمة حمل السرير، فأسرع في تبرئة نفسه، لا خيانة لِمَنْ شفاه، بل اعترافاً من واقع الحال. ثم أن المسيح لم يُوْصِهِ أن لا يقول لأحد، حتى يُحسب أنه أخلَّ بالوصية، بل ذهب ليُبري نفسه للكاهن اعترافاً بفضل الله ومَنْ شفاه.

المصادمة الأولى مع اليهود:

المسيح يعلن عن لاهوته وشخصيته الماسيانية في أعمق ما بلغه إنجيل ق. يوحنا، بطرحه أعظم قضية لاهوتية لتحتل الصدارة في الإيمان المسيحي، وذلك في خطوات متلاحقة و بتنظيم متدرج منسجم من الاستعلانات التي تكشف عن طبيعة الآب والابن والوحدة الفعلية القائمة بينهما.

والموقف الذي يقفه المسيح هنا أمام اليهود يتَّسم بالشجاعة البالغة القوة والاتزان، وهو يكشف عن ألوهيته أمام أعدائه المتربصين به، دون حذر، وهو يعلم تمام العلم أنه بذلك يخطب الموت و يستدعيه، ولكنه بآنٍ واحد يُرسي أساس الإيمان المسيحي برُمَّته! أما سامعوه فكانوا ــ و يتحتم أن يكونوا ــ إما واحد يصدِّق القول تصديق الإيمان فيقبل المسيح ربّاً وإلهاً، وإما واحد يصرُّ بأسنانه إذ يراه مجدِّفاً ومستحقَّ الموت بلا رحمة. ولم يقف المسيح من قبل مثل هذا الموقف الحرج الذي فيه يتقاسم سامعوه الحب الطاغي والكراهية المرَّة بلا توسط! و بالفعل كان هذا الدفاع اللاهوتي المنقطع النظير هو هو بعينه أدلَّة الإتهام التي قدمته إلى الصليب! كما صار هو بعينه دستور الحب والإيمان عند ملايين الملايين من بني الإنسان!

خطوات الاستعلان:

١ ــ «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل.» (آية ١٧)

٢ ــ «كما أن الآب يقيم الأموات و يُحيي، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَنْ يشاء.» (آية ٢١)

٣ ــ «الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن.» (آية ٢٢)

٤ ــ «لكي يكرم الجميعُ الابنَ، كما يكرمون الآب.» (آية ٢٣)

٥ ــ «مَنْ يسمعْ كلامي و يؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (آية ٢٤)

٦ ــ «تأتي ساعة، وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون.» (آية ٢٥)

٧ ــ «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في

ذاته.» (آية ٢٦)

٨ ــ «وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان.» (آية ٢٧)

٩ ــ «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.» (آيات ٢٨و٢٩)

ويلاحظ أن هذه الحقائق الأساسية في لاهوت المسيح، المقدَّمة هنا كدستور عمل، هي التي انبثقت منها كل تعاليمه التي قدَّمها قبل أو بعد ذلك، سواء كونه خبز الحياة، أو الماء الحي، أو نور الحياة، أو الراعي الصالح، أو الكرمة الحقيقية، أو القيامة والحياة.

١٦:٥ «ولهذا كان اليهودُ يطردونَ يسوعَ ويطلبون أن يقتلُوه لأنه عملَ هذا في سَبْتٍ».

«الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته.» (مز٣٧: ٣٢)

«ولهذا» = διὰ τοῦτο

أي «بسبب ما عمله يسوع في السبت»، ولكن تأتي كلمة «عَمِلَ» في اليونانية ἐποίει بمعنى «بسبب **ما تعوَّد أن يعمله**»، أي بصيغة التكرار والدوام من جهة كسر الناموس علناً وبإصرار وباستمرار، إذ كان يكاد لا يعمل آياته إلا في السبت.

وهذه في الحقيقة أول مرة يعلن فيها اليهود عن عداوتهم بالفعل، بنيَّة القتل. وهذا يعود إلى المغالاة التي فاقت كل الحدود في حفظ السبت، حتى بلغت إلى الحد الذي تساءل فيه كبار الربيين عن مدى خضوع الله نفسه لهذه الوصية! ويخبرنا العالم دودد(٨) في شرحه لإنجيل يوحنا أنه قد جرى بالفعل حوار بين أشهر أربعة ربيين يهود وهم غمالائيل الثاني ويشوع بن حنانيا وإلعازر ابن عزاريا ورابي عقيبا، أثناء وجودهم معاً في روما سنة ٩٥م، أي في زمن كتابة إنجيل يوحنا، وقد انتهى بهم الحوار إلى تقرير أن [الله يحفظ الوصية لأنه لا يعمل خارج حدود مسكنه أي السماء والأرض، ولا يسير مسافة أطول من قامته، لذلك فعمل الله هو في الحدود المسموحة!] أنظر وتعجب!!

من هنا كان رد المسيح عليهم، لأنه إذ كان يعلم مدى جنونهم في إخضاع الله للوصية قال لهم: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل»، فالله ليس تحت تحكم الزمان والمكان والحركة فهذه

[8] Dodd, C.H., *op. cit.*, p. 320.

كلها نواميس زائلة.

١٧:٥ «فأجابهم يسوع: أبي يعملُ حتى الآنَ وأنا أعملُ».

يعني أن الله لم يتوقف عن عمله قط. فهو لا يزال يعمل وإلاَّ تتوقف الحياة. فالله لم يخلق الخليقة بواسطة المسيح الابن ثم تركها تعمل من تلقاء ذاتها كما يقول الذين لا يؤمنون بالله والخلق! وإلاَّ تختل موازين الانضباط والتناسق والاستمرارية، فالله يحكم ويدير الخليقة بقوانين دائمة لا تخضع لفكر الإنسان.

والمسيح يضع نفسه مع الله الآب كمسئول عن الخليقة، وخاصَّة فيما يخصُّه من جهة قيامها ودوامها، وبالأكثر من جهة فدائها وخلاصها وتجديدها وتكميلها: «الله... كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين. الذي، وهو بهاء مجده ورسم جوهره، وحاملٌ كل **الأشياء بكلمة قدرته**، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي.» (عب١: ١-٣)

كذلك يقول بولس الرسول في سفر العبرانيين صراحة كيف أسس الابن الأرض والسموات، وكيف أنها تتغيَّر وفي النهاية يتلاشى شكلها المادي المنظور، أما المسيح الابن فلن يتغيَّر ولا يتبدَّل: «وأما عن الابن (فيقول:) كرسيك يا الله (الابن) إلى دهر الدهور قضيب الاستقامة قضيب مُلْكِك، أحببت البرَّ وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك. وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسمواتُ هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب١: ٨-١٢)

ثم يعود القديس بولس في رسالة أفسس ليوضح مركز المسيح من جهة الخليقة كلها في السماء وعلى الأرض، كيف أن تدبير الله منذ الأزل جعلها تتمحور في المسيح، وتتجمع، وتتحد بواسطته في انسجام يفوق تصور الإنسان: «إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته، حسب مسرته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء في المسيح** ما في السموات وما على الأرض في ذاك (المسيح).» (أف١: ٩و١٠)

بهذا يتضح لنا قول المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل». فالخليقة كلها في السماء والأرض لا تزال في دور الخلق والتجديد والترقِّي، وفق مشيئة الله وتدبيره مع المسيح الابن، لغاية

ستظهر في النهاية حينما يُخضع الله كل شيء لسلطان المسيح الابن: «لأنه يجب أن يملك، حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يُبطَل هو الموت.» (١كو١٥: ٢٥و٢٦)

وربوبية المسيح فوق الخليقة وكل نواميسها واضحة من قول المسيح: «ثم قال لهم: السبت إنما جُعِلَ لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت، إذاً ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً.» (مر٢: ٢٧و٢٨)

فالمسيح، بعمله الأشفية وصُنْع الرحمة في يوم السبت، كان يقوم في الحقيقة بعملية تكميلية للخلق مساوية في مضمونها الإلهي للخلق ذاته. فالذي يجعل الأعمى المولود هكذا يصبح له عينان والميت المدفون وله أربعة أيام يقوم، إنما يعمل عملاً من صميم جوهر الخلق والخالق، مما يثبت أن أعمال الخلق لم تنتهِ في نظر الله في اليوم السابع!

أما سبت المسيح الحقيقي فكان بعد أن أكمل أعمال الفداء وخلاص الإنسان على الصليب «قد أُكمل» (يو١٩: ٣٠)؛ أما بحسب الجسد فقد استراح في القبر: «لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً» (يو١٩: ٣١)، وأما بحسب الروح فبعد أن أكمل المسيح آلامه دخل إلى راحته العليا أي مجده: «أمَا كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده؟» (لو٢٤: ٢٦)

ودخول المسيح إلى مجده هو بحد ذاته الراحة العظمى التي يحكي عنها سفر العبرانيين هكذا: «لأن الذي دخل راحته **استراح هو أيضاً من أعماله، كما الله، من أعماله**، فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة.» (عب٤: ١٠و١١)

وهنا يُلاحَظ التوازي بين قول المسيح: «**أبي** يعمل حتى الآن **وأنا** أعمل» وبين «استراح **هو** أيضاً من أعماله كما **الله** من أعماله». فالعمل على التوازي، والراحة على التوازي بين الآب والابن كلٌّ في مجاله، ومجال الاثنين هو تكميل مجال واحد! لذلك يستطرد سفر العبرانيين و يقول إن راحتنا، أي سَبْتنا، هو «**راحة**» المسيح وسَبْتهُ وقد أُكملت مرة واحدة وإلى الأبد، «**إذاً بقيت راحة** لشعب الله» (عب٤: ٩)، و يقصد هنا راحة جديدة غير راحة السبت، وهي الشركة في سبت المسيح أي موته لبلوغ القيامة التي هي غاية ونهاية كل الأعمال؛ والراحة التي تمت فيها ذبيحة المسيح وقبولها لدى الآب فتمت المصالحة بين الإنسان والله.

من هذا نفهم الآن لماذا كانت وصية السبت هامة وصارمة وخطيرة بهذا المقدار في الناموس القديم وكان ثمن التعدي هو الموت حتماً!! ليس لأنها كانت ذات مدلول أو نفع خلاصي بأي

وجه من الوجوه، بل لأنها كانت تشير بالرمز إلى سبت العهد الجديد، سبت الله الأبدي، الذي كان ثمنه موت ابن الله أيضاً في القبر كنهاية لكل أعمال الناموس، الذي أُبطل بموت المسيح الفدائي. اسمع ما يقوله سفر العبرانيين كيف انتهى هذا الناموس بكل وصاياه من سبت وخلافه: «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال، إذ الشعب أخذ الناموس عليه (على أساس الكهنوت اللاوي)، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر (الرب يسوع) على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هارون؟ لأنه إن تغيَّر الكهنوت، فبالضرورة يصير تغيُّرٌ للناموس أيضاً» (عب٧: ١١و١٢)، «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمِّل شيئاً.» (عب٧: ١٨و١٩)

ثم يعود سفر العبرانيين و يتكلم بعد ذلك عن راحة الله في سبت الله الأبدي الذي أكمله المسيح بموته، والذي به فتح الباب لدخول الإنسان في هذه الراحة عينها أي الحياة الأبدية.

يبدأ بولس الرسول الحوار في رسالته للعبرانيين بوصف بني إسرائيل وهم في التيه وقد أغضبوا الله بقلة إيمانهم بقوله هكذا: «... حتى أقسمتُ في غضبي **لن يدخلوا راحتي**، انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي... ولِمَنْ أقسَمَ لن يدخلوا راحته إلا للذين لم يطيعوا؟ فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان. فلْنَخَفْ أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه... لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة... مع كون الأعمال قد أُكملت منذ تأسيس العالم. لأنه قال في موضع عن السابع هكذا: واستراح الله في اليوم السابع من جميع أعماله. وفي هذا (هنا) أيضاً (يقول) لن يدخلوا راحتي؟... إذاً بقيت راحة لشعب الله! لأن الذي (المسيح) دخل راحته (السبت الأبدي) استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها.» (عب٣: ١١و١٢و١٨و١٩)، (٤: ١و٣و٤و٥و٩و١٠و١١).

واضح، إذاً، أن سَبْتَنَا الأبدي الذي يقوم على إيماننا بالمسيح بموته وقيامته، قد ألغى وإلى الأبد سبت الناموس الرمزي الذي كان شبهاً للسماو يات وظلها.

ولكن يُلاحظ أن المسيح في قوله: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل»، لا يجعل عمله منفصلاً عن عمل الله بل متآزراً معه، كما يُفهم تماماً أن المسيح ينفي نفياً باتاً أن يكون خاضعاً تحت «**أعمال الله**»، و بالتالي تحت فكرة استراحة الله، بل أعلى منها وقوّاماً عليها، وهذا هو الذي أثار حفيظة اليهود أيّما إثارة.

٥ : ١٨ **«فمن أجلِ هذا كانَ اليهودُ يطلبونَ أكثرَ أنْ يقتلُوه. لأنه لم يَنقُض السبتَ فقط، بل قال أيضاً إن الله أبوهُ مُعادِلاً نفسَهُ بالله».**

لقد فهم اليهود كل ما ضمَّنه المسيح في قوله المختصر جداً: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل». فهو أولاً وقبل كل شيء قد ألغى سلطة الناموس وأبطل الاعتراف بوصية السبت علناً وبإصرار! معتمداً على ادعائه الصلة المطلقة بالله!

«إن الله أبوه»: πατέρα ἴδιον τὸν θεόν

الكلمة الخطيرة في هذه الآية هي ἴδιον التي تفيد الملكية الشخصية أي أن الله أبوه **الشخصي الذاتي.** وهنا يصبح المسيح ابن الله ومعادلاً له، ولقد وقعت على أسماع اليهود كالصاعقة، فهذا عين التجديف إن نظروه كإنسان. وهنا تكون مصيبتهم هم وتجديفهم هم وليس المسيح. وبالتالي اعتبروا أنه يدّعي أن عمله (وهو إنسان) يساوي عمل الله، وبذلك يكون قد كسر وصية السبت بمعنى أنه حلّها أي فكَّ رباطها وناموسها، وبالتالي أبطل الخضوع لناموسها.

وفي الحقيقة هذه كانت بالفعل نظرة المسيح، ونحن لا ننسى قوله: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو٢: ١٩)، «أما هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يو٢: ٢١). أي أنه ليس السبت فقط بل والعبادة الهيكلية بكل مشتملاتها وطقوسها وناموسها وكهنوتها وأعيادها وسبوتها بالتالي، وقد جعل «هيكل جسده» بمفهوم ذبيحته أي موته وقيامته، بكل أعضائه الجدد أي الكنيسة، هي الهيكل الجديد.

ولو أحسنّا الرؤية من جهة سر العداوة المرّة التي تراكمت في قلوب هؤلاء اليهود غير المؤمنين به والمعاندين له نجدها في عدم فهمهم وعدم قبولهم من قريب أو بعيد كونه يقول عن نفسه إنه ابن الله الذاتي ἴδιον. ولقد ضجُّوا من هذا التعبير، وأخيراً صارحوه عن سبب محاولتهم قتله قائلين: «وأنت **إنسان، تجعل نفسك إلهاً»** (يو١٠: ٣٣). ولكن لو أحسنوا الرؤية لرأوه العكس: «وهو إله، جعل نفسه إنساناً»!!

ولقد صَرَّ هؤلاء اليهود عداوتهم في قلوبهم من نحو قوله أنه **«ابن الله»**، حتى أفصحوا عنها بمرارة كعلّة طلبهم لصلبه أمام بيلاطس: «فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلُبْه اصلُبْه. قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة. أجابه اليهود: لنا ناموسٌ، وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعلَ نفسَه ابنَ الله.» (يو١٩: ٦و٧)

ثم يا لحذق هذا القديس يوحنا الرسول كيف يصوِّر لنا عثرة اليهود بقوة وعنف وجلاء لتكون لنا هي نفسها أساساً للإيمان الواثق الوثيق!! «الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دِينَ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد.» (يو٣:١٨)

والذي دخل في روع اليهود وطمس معالم رؤية الحق وسماعه، تَصَوُّرهم أن المسيح وهو إنسان يجعل نفسه **إلهاً**، ثم بادعائه أن الله أبوه يجعل نفسه **«إلهاً مقابل إله»** وهو الله، وبذلك يكون في نظرهم **إلهاً ثانياً**. ومن هذه النقطة بالذات بدأ المسيح شرحه وتوضيحه لمعنى الابن بالنسبة للآب في الله الواحد! وذلك في كل الحوار القادم (من آية ١٩ إلى ٢٣).

القسم الثاني من الأصحاح الخامس

شرح تفصيلي لمركز الابن من الله الآب وماهية الابن في ذاته

(٥ : ١٩ ــ ٣٠)

يتميز الجزء الأول من الإجابة الشاملة التي أجاب بها الرب على اعتراضات اليهود أنها تتخصص في توضيح طبيعة الابن وامتيازاته وتنقسم إلى قسمين:

قسم يختص بالعلاقات مع الآب ويستمر من الآية ١٩ إلى الآية ٢٣.
والقسم الآخر يختص بالعلاقات مع الناس من الآية ٢٤ إلى الآية ٢٩.

أما في العلاقات مع الآب، فيوضح أنه سواء كان في العمل أو في الكرامة، فالابن مطابق للآب تماماً، وذلك لكي ينظر الناس في عمل الابن عمل الآب، فأعمال الابن تستعلن عمل الآب غير المنظور عن قرب ورؤية (١)، وحتى يكون بتكريمهم الابن المنظور لهم يكرمون الآب غير المنظور. ويوضح المسيح ذلك بأربعة أدلة على أساس أنه يستحيل على الابن أن يعمل من ذاته شيئاً بدون الآب، وكل دليل يقدمه يبدأ بحرف «لأن» γάρ.

(أ) **«لأن»** مهما عمل ذاك (الآب) فهذا يعمله الابن كذلك (١٩).
(ب) **«لأن»** الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله وسيريه أعمالاً أعظم من هذه (إقامة المقعد) لتتعجبوا أنتم (٢٠).
(ج) **«لأنه»** كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء (٢١).
(د) **«لأن»** الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن.

"وبناءً على ذلك":

«لكي ἵνα يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله»! (٢٢و٢٣)

---

(١) وسوف نرى هذا التطابق في ارؤيا: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). وفي السمع أيضاً: «الذي يسمع الابن يسمع الآب (يو١٢: ٤٩ و١٤: ١٠).

٥: ١٩ «فأجابَ يسوعُ وقالَ لهُم: الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم لا يقدرُ "الابنُ" أن يعملَ من نفسِهِ شيئاً إلاّ ما ينظرُ الآبَ يعملُ، لأن مهما عَمِلَ ذاكَ فهذا يعمَلُهُ الابنُ كذلكَ».

يُلاحَظ هنا أن كلمة «الابن» تأتي بمفردها، وقد وردت هنا في الآيات من ١٩—٢٦ ثماني مرات، في حين أنها أتت في كل الإنجيل قبل ذلك وبعد ذلك عشر مرات فقط(١٠)، هذا يجعلنا نفهم أن الإنجيل يركّز جداً في هذه الآيات على القاعدة الإيمانية التي سيسهب بعد ذلك في شرحها.

وفي البداية ينبغي أن نلاحظ أن هذا الحوار جرى مع أشخاص قلائل مدرَّبين في المعرفة، فريسيين محنّكين. وهذا يظهر من الاختصار الذي نهجه المسيح في تقريره للحقائق وارتفاعه إلى مستوها المطلق، الأمر الذي يحتاج إلى فهم وعمق.

ثم نلاحظ ثانياً، أن المسيح تحاشى أن يتكلم بضمير المتكلم «أنا»، كما لم يذكر الصفات التي اعتاد أن يلقّب بها نفسه «كابن الإنسان»، أو حتى «ابن الله». ولكنه يقتصر هنا على التوصيف المطلق «للابن» بالنسبة إلى «الآب» على مستوى المفهوم البشري للآب والابن، وذلك لكي لا يصدم تفكيرهم في البداية، بل يأخذهم أولاً على المستوى المطلق للأمور ثم يتدرج بهم للتطبيق، فيُظهر شخصه بوضوح في الآية (٢٤): «الذي يسمع **كلامي** τὸν λόγον μου» ثم في الآية (٣٠) «أنا» ἐγὼ.

فابتدأ هكذا: **أن «الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً»!**

هذه حقيقة مسلَّم بها؛ ثم إن الابن ينظر إلى ما يعمله الآب ويعمل مثله تماماً إذا كان الابن مطيعاً ومخلصاً ومحباً للآب! هذه حقيقة أيضاً مسلَّم بها تماماً. إذن فالمسيح يتكلم عن **«أبوّة»** صادقة عاملة **«وبنوّة»** صادقة عاملة. وهذا يتضمن بالضرورة أن إرادة الابن تكون منبثقة من إرادة الآب طالما العمل متطابق. ويقول ذهبي الفم أن [«لا يعمل من نفسه شيئاً» ليس قول من يلغي سلطانه بل إعلاناً عن التساوي المطلق غير المتغير عن الآب في القوة والمشيئة.](١١)

«ما ينظر الآب يعمل»:

يلاحظ أن المسيح يستخدم هنا في هذه الآية فعل «ينظر» في صيغة المضارع وهو

(١٠) راجع المدخل ص٢٠٨ و٢٠٩، حيث ستجد أن كلمة الابن υἱός ὁ وردت بصفتها المطلقة في كل من الآيات التالية: يو٣: ١٦و١٧و٣٥و٣٦ مرتان — | يو٥: ١٩ مرتان و٢٠و٢١و٢٢و٢٣ مرتان و٢٦ | — يو٦: ٤٠ و٨: ٣٥و٣٦ و١٤: ١٣ و١٧: ١.

(11) Chrysostom, op. cit., p. 156.

باليونانية βλέπῃ ، وهذا يفيد صلة الآب بالابن حال تجسده. كما سيجيء الفعل أيضاً في المضارع في الآية (٣٠) أنه يدين «**كما أسمع أدين**». أما حينما **يستخدم المسيح الفعل الماضي فهو يشير إلى ما رآه وسمعه عند الآب قبل تجسده** كقوله: «أنا أتكلم **بما رأيتُ** عند أبي» (يو٨: ٣٨)، وكذلك: «وأنا **ما سمعته منه** فهذا أقوله للعالم» (يو٨: ٢٦). وهذا تأكيد ضمني لإثبات سَبْق وجود المسيح قبل تجسده.

كذلك قول المسيح: «الأعمال التي أعطاني الآب لأُكمّلها... الآب قد أرسلني» (يو٥: ٣٦)، ففعل «أعطاني» وفعل «أرسلني» تفيد وجوده السابق على تجسده. كذلك أيضاً قوله: «لأني خرجتُ من قِبَلِ الله وأتيتُ. لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني.» (يو٨: ٤٢)

والمُلاحظ أن فعل «أرسلني» الذي يفيد ما قبل التجسد يأتي معه فعل «ما سمعتُ» ، أو «ما رأيتُ» ، أو «ما أتكلمُ» ، كما في الآيات يو٣: ١١ــ١٣؛ ٣: ٣١و٣٢؛ ٨: ٢٦و٣٨؛ ١٢: ٤٩؛ ١٥: ١٥؛ ٥: ٣٦؛ ٧: ١٦؛ ١٤: ٢٤.

ولكن من كل الإفادات التي أفاد بها المسيح عن سبق وجوده مع الآب أو «**عند الله**» لم يستخدمها المسيح ليستعلن شخصه، أو يزيد من هيبته، ولكن استخدمها ليفيد صدق كلامه وصدق رؤيته وأهمية إرساليته للعالم. وهذا يتضح جداً في قوله: «الحق الحق أقول لك: إننا **إنما نتكلم بما نعلم؟ ونشهد بما رأينا** ولستم تقبلون شهادتنا. إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السمويات. وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو٣: ١١ــ١٣)

فكلمة المسيح هي من واقع رؤيا وسماع الآب، هي شهادة مهداة للإنسان للتصديق الفوري والإيمان بلا فحص، هي الآب منظوراً ومتكلماً ومُشاهداً في روح الابن. الذي يصدِّق كلمة المسيح تدخله الكلمة كروح للحياة، وهو يدخل الكلمة كمَنْ يدخل الملكوت أو الحياة الأبدية. الذي يسمع صوت المسيح ويستودعه أمانة قلبه ويحيطه بالتجلّة والكرامة والمجد يسمع صوت الآب، بل يقبل الآب، كابن عثر على أبيه. كلمة المسيح لا تحتاج إلى شرح ولكن تحتاج إلى إيمان فهي تشرح نفسها لمَنْ تدخل قلبه، يكفي أن يقول عنها المسيح إنها «روح وحياة.» (يو٦: ٦٣)

هنا المسيح يقصد بغاية الوضوح أن يقول لليهود أن الأعمال التي يعملها يستحيل اعتبارها منفصلة عن أعمال الآب، فهو لا يكسر السبت على مسئوليته دون الله؛ كذلك الإرادة، فإن وِحْدة العمل تحتم وِحْدة الإرادة. وهنا يبرز جوهر القضية وأساس العثرة عندهم، كون المسيح أصبح يُنْظَر

عندهم إلهاً ثانياً. فهو هنا يبرهن أن كلًّا من العمل والإرادة ليس منفصلاً عن الله ولا يعمل عملاً بدون الله، فالابن يعمل عمل الآب، والآب يعمل بالابن، والعمل واحد!! فالوحدة الإلهية مصونة مائة بالمائة. ولقد تسحَّب هذا الحق الإلهي بنوع ما على الذين يؤمنون بالمسيح أيضاً، فالمسيحي الحقيقي الذي آمن بالمسيح، والمسيح حلَّ بالإيمان في قلبه، يعمل حسب المسيح و يفكر حسب المسيح و يشاء حسب المسيح. إنها نعمة الابن حلَّت على الذين يحبون الله: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا» (في ٢: ١٣)!!؟ لذلك يستطيع أن يقول كما قال بولس الرسول: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)

وقد زاد المسيح هذا التأكيد بقوة لا تُجارَى بقوله في الآية (٣٠) القادمة: «**أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً** ــ كما أسمع (من الآب) أدين ودينونتي عادلة ــ **لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني**»، «**لا يقدر الابن أن يعمل... إلا ما ينظر.**» (٥: ١٩)

هنا التحديد قاطع مانع من جهة العمل وعدم القدرة على العمل، وهذا بحد ذاته ينبغي أن يسترعي انتباهنا جداً. **فعدم قدرة الابن أن يعمل إلاَّ ما ينظر الآب يعمله، يُظْهِر هنا أن التطابق كلي، ومن هنا يأتي جوهر الوحدة المطلق.** والتأمين هنا ضد الثنائية بالغ الحذر. والقضية واضحة وسهلة، فالابن جاء ليستعلن عمل الآب وإرادة الآب ومحبة الآب، فالعمل الذي يعمله هو عمل الآب: «الآب الحالُّ فيَّ هو يعمل الأعمال» (يو ١٤: ١٠)، وكذلك الإرادة: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله.» (يو ٤: ٣٤)

ومرة أخرى يقول المسيح: «**الابن لا يقدر أن يعمل**»... هذا ليس تحديداً لسلطان الابن ولا لقدرة الابن ولا لطبيعة الابن ولا انتقاصاً من قدرة الابن عن قدرة الآب، **ولكن هو حَسْمٌ** لقضية الثنائية التي شغلت بال الفريسيين والناس. فالمسيح يستطيع كل شيء إلاَّ شيئاً واحداً لا يستطيعه، وهو أن يكون شيئاً غير الله إرادة وعملاً!! لأنه أصلاً جاء ليستعلن لنا الله الآب بطبيعة الله الذي فيه، فيستحيل أن يعمل عملاً خارجاً عن إرادة الله وعمله!! هذا يكون ضد رسالته وضد طبيعته وهذا محال عليه أن يأتيه.

و يلاحظ القارىء هنا كيف يربط المسيح ربطاً ــ لا ينفذ إليه الباطل قط ــ بين الابن المنظور والمتجسد على الأرض و بين الآب غير المنظور في السماء، فهذا جوهر الإعلان الإلهي. فعمل المسيح الأساسي كمستعلِن لأ بيه، مُحْكَم غاية الإحكام حتى لا ينفذ إليه الفكر ناحية الفصل، وإلاَّ يكون السقوط في الثنائية المحرَّمة والمحرومة.

«لأن "مهما" عمل ذاك (الآب) فهذا يعمله الابن كذلك» = «"مهما" عمل الآب يعمله الابن كذلك»:

في «مهما» تكمن قوة الابن المطلقة، هنا التطابق لا يكتفي بالحدود المعقولة أو المنظورة بين الآب والابن، ولكن تتسع وتتسع لتبلغ اللانهائية: ـ «مهما» ـ غير المدركة للإنسان. أي أن الوحدة القائمة بين الآب والابن مؤمّنة ضد تفكير عقل الإنسان وقياساته. فوحدانية الله لله، فهي فائقة، وليس للإنسان إلاّ أن يصدِّقها و يهتف بعظمة قوتها وجلال مجدها.

والمسيح في هذه الآية يرتفع فوق كبرياء الفريسيين بشموخ يفوق مستوى ما اعتادوا أن يسمعوه أو يتعلموه، فقد وقف أمامهم يتكلم بصوت الله وهم يتأملون و يتصورون ما يقول؛ وأما شخصه الإلهي على حقيقته، فهم قط ما رأوه ولا تصوروه. تبّاً للعيون التي تنظر ولا تنظر والآذان التي تسمع ولا تسمع!

«الحق الحق أقول لكم»:

ولا يفوتنا مطلع كلام المسيح: «الحق الحق أقول لكم»، والتي يقولها ثلاث مرات في هذا الحوار الممتد، وهي بمثابة القَسَمَ الإلهي في العهد القديم: «بذاتي أقسمتُ يقول الرب» (تك٢٢: ١٦)، وهي تفيد دائماً الكشف عن حقيقة جديدة مقدمة مؤكّدة تأكيداً، وهامة للغاية كانت مخفية عن الإنسان و يعلنها المسيح كجزء من عمله الاستعلاني لله الآب، ويلزم أن تسجّل في قلب الإنسان لتكون موضع تصديق مطلق؛ و بذلك تُكوِّن ركناً ركيناً في الإيمان المسيحي. وهذه الآية التي جاءت بعدها هي العنصر الأول فيها.

٥: ٢٠　«لأن الآب يحبُّ الابنَ ويريهِ جميعَ ما هو يعملهُ وسيريهِ أعمالاً أعظمَ من هذهِ لتتعجّبوا أنتمُ».

«يحب»: (*) φιλέω/φιλεῖ

هنا يأتي الفعل في المضارع المستمر، فالآب يحب الابن حبّاً دائماً لم ولن ينقطع، أي هو حب الإتحاد أو على الأصح الوحدة الكلية.

كما يُلاحَظ أن فعل «يريه δείκνυσιν» يأتي أيضاً على مستوى فعل المحبة أي في المضارع الدائم. والمعروف أن جوهر المحبة عطاء، وهنا عطاء المحبة هو العمل الذي يريه الآب للابن،

(*) أنظر المدخل ص١٧٠ـ١٧٦.

وعمل المحبة عند الآب والابن هو آية، هو معجزة، هو حياة أبدية؛ في صورة أقوال وأعمال!

المسيح يكشف أساس التطابق في العمل بين الابن والآب: وكلمة «المحبة φιλεῖν» المستخدمة هنا لا تفيد التوقير والمشاعر المنعكسة من التعارف المعبّر عنها في مواضع أخرى بالأغابي ἀγαπᾶν، فهذه تنبع من حكم الفكر وخبرة الشخصية، بعكس الـ«فيلين φιλεῖν» فهي محبة الكيان والطبيعة. وهذه توضح العلاقة الذاتية بين شخص الآب والابن. وهكذا بالابن ومن خلال الابن تستعلن محبة الله الآب التي للابن، التي صارت لنا، في صورة الأعمال التي يعملها الابن؛ فهي كلها أعمال المحبة الخالصة. والابن حينما يعمل أعمال الآب فهو يردُّ على حب الآب: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يو٤: ٣٤). **فالأعمال التي يعملها المسيح هي بحد ذاتها استعلان دائم لمحبة الله.** لذلك تأتي كل أعمال المسيح وهي تتضوّع(*) برائحة حب الآب، سواء مع هذا المقعد أو الأعمى المولود هكذا أو كل الآيات التي أجراها يسوع، فالحب الإلهي هو غايتها وعلّتها معاً، لذلك صحّ قول المسيح في صلاته للآب: «أنا مجّدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته.» (يو١٧: ٤)

هنا يستعلن المسيح سر المحبة في الله كعنصر قائم في الذات الإلهية بين الآب والابن، وسر حب الآب للابن، فقد أعطى المسيح الامتياز الأعظم لاستعلان الآب أقصى ما يكون الاستعلان. فالتطابق في العمل والإرادة بين الآب والابن نابع من التحام الحب، وليس التعالي أو الامتياز. فالحب الإلهي القائم في الذات الإلهية هو سر وحدة العمل والفكر والإرادة. ولكن لأن الابن الآن قد تجسد آخذاً صورة الإنسان، أصبح من واقع الخلق البشري أن يتكلم المسيح قائلاً إن الآب «يُريه» كل ما هو يعمله، وأصبح أيضاً من واقع التقدم البشري الخاضع للزمان أن يتكلم المسيح و يقول «وسيُريه» أعمالاً أعظم، لأن التدرج في الاستعلان خاصة من مستوى الماديات إلى الروحيات يناسب الإنسان. أما الأعمال التي هي أعظم من معجزة شفاء المقعد، مثل إعطاء الحياة بالخلاص أي الحياة الأبدية بالقيامة من الأموات ــ وبالتالي الدينونة ــ فهي الأعظم. لأن الأمور الأقل هي للجسد والأعظم هي للروح: «فقال له سيده: نِعمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك.» (مت٢٥: ٢١)

«لكي تتعجبوا أنتم»:

مع أن المسيح لا يميل إلى إتيان العجائب ليتعجب الناس، لأن الإيمان الذي يسعى أن يعطيه

(*) أي تتحرك وتنتشر برائحة حب الآب.

المسيح يعطيه كعطية: «لأنكم بالنعمة مخلَّصون "بالإيمان" وذلك ليس منكم هو عطية الله» (أف ٢ : ٨)، و يعطيه نتيجة الثقة واليقين الذي يستقر في قلب مَنْ يسمع الكلمة طائعاً ببساطة قلب وليس بتعجب الذهن؛ ولكنه هنا يتكلم إلى الفريسيين بنوع خاص، كنوع من غير المؤمنين المعاندين، لذلك يؤكد ويشدد على نوعيتهم الخاصة بقوله: «أنتم» " ὑμεῖς " إضافة إلى صيغة المخاطب. ولماذا؟ لأنهم لا يخضعون لمنطق الإيمان الروحي ولا يتقبَّلون عمل الابن في شفاء المقعد، فأصبح لا بد أن يريهم أعمالاً أعظم لكي يُخضع أذهانهم العاتية، حتى إذا ما أنكروها أيضاً يكونون كمَنْ عميت أبصارهم وانسدَّت آذانهم ودخلوا تحت الدينونة بإرادتهم. لأنهم إذا لم يقبلوا الابن وقد عمل أمامهم أعمال الآب يكونون قد رفضوا الآب: «هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني.» (يو٥ : ٣٦)

٥ : ٢١ **«لأنه كما أن الآب يقيمُ الأموات ويُحيي، كذلك الابنُ أيضاً يُحيي من يشاءُ».**

لقد شفى أمامهم المقعد، وكان هذا واضحاً جداً أنه إنما يعطي نموذجاً مبسطاً لسلطانه الفائق على المرض الميئوس منه، الذي يعتبر الشفاء منه نوعاً من تجديد الحياة. فلأنهم لم يؤمنوا، لزم أن يكشف عن مدى قوة هذا السلطان الذي له بالإقامة من الموت وإعطاء الحياة؛ العمل الذي هو من اختصاص الله وحده.

وبقوله: «كذلك الابن»، ينقل إلى أذهانهم صورة الآب الذي فيه، المساوية للآب في كل شيء، ليس على المستوى المحدود في آية أو معجزة ولكن على المستوى الكلي لكل الناس وفي كل الظروف والأحوال: «يُحيي من يشاء». فسلطان الابن على الأموات والأحياء سلطان مطلق، فهو الذي «يُحيي»، والأموات عنده تحت سلطانه كالأحياء يأمرهم فيأتمرون و يدعوهم للحياة فيلبُّون. نعم، فليس أمام غير المؤمنين إلا أن يتعجبوا، وتعجُّبهم سيدينهم في اليوم الأخير: «لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج ... الذين عملوا السيئات (أبغضوا النور ولم يؤمنوا بالنور) إلى قيامة الدينونة.» (يو٥ : ٢٨و٢٩)

والمسيح يكلم هنا الفريسيين الحافظين لمواد دستور إيمانهم، وهو ينقل لهم صورة طبق الأصل من إحدى صلواتهم المسماة بالبراكوت وهي البركة الثانية من البركات الثماني عشرة: (شيمون عسر)

[أنت أيها الرب المقتدر إلى الأبد. أنت الذي تُحيي الموتى. وأنت القوي للخلاص، أنت الذي تسند الأحياء برحمتك، وأنت الذي بحنانك العظيم تقيم الموتى وتحييهم. أنت الذي

تصنع الصلاح من نحو الراقدين في التراب. أنت صادق في وعدك بقيامة الأموات. مبارك أنت أيها الرب يا من تقيم الأموات.](١٣)

٥ : ٢٢ «لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كلّ الدينونة للابن».

الذي يعطي الحياة لا بد أن يحكم فيها وعليها، والذي يقيم الموتى له أن يحاسبهم، هذه حتمية الامتياز الذي أُعطي للابن. والمسيح يكلّم الفريسيين العارفين بالناموس: «فالذي يخطىء يموت» (قارن حز١٨: ٢٠). إذن، فالذي يقيم من الموت هو الذي يغفر الخطايا، والذي يغفر يدين، لأن الذي يُحيي يُميت أيضاً!!

والآب إذ أعطى الدينونة للابن، فليس معنى ذلك أنه لا يدين بل أنه يدين بالابن. فكما خلق العالم به، كذلك به أيضاً يدين العالم. فالآب لا يدين أحداً بدون الابن، لأنه أعطاه أن يُحيي من يشاء وهذا يستلزم أن يدين.

أما قول المسيح أنه قد أعطى «كل» الدينونة، فمعناه أنه قد تولى الحكم هنا وهناك، على الأرض وفي السماء. أما هنا فعلى قياس ما أظهر النور واستعلن الآب: «لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو١٥: ١٥)، «أنا هو نور العالم» (يو٨: ١٢)؛ فالذي يتبع ويسمع وينفتح بالروح ويقبل الاستعلان، فقد جاز الدينونة، ويكون قد انتقل من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، فيدخل في الحقيقة العظمى وينهمر عليه فرح الله الآب. والذي يحجب النور عن عينيه بيديه يدخل الظلمة برجليه، والذي يسدّ الصوت إلى أذنيه، فقد دين وحرم نفسه من رؤية الله والحياة.

أما دينونة السماء فستكون: إما بأكاليل المجد: «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضِع لي **إكليل البر الذي يَهَبهُ لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً**» (٢تي٤: ٧و٨)؛ وإما: «أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم؟ تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.» (لو١٣: ٢٧و٢٨)

(١٣) Westcott, *op. cit.*, p. 86.

وبقية البركات الثماني عشرة تجدها في كتاب: «الإفخارستيا والقداس»، للمؤلف، طبعة ١٩٧٧، ص١١٨—١٢٣.

٥ : ٢٣ «لكي يُكرمَ الجميعُ الابنَ كما يُكرمونَ الآبَ. مَنْ لا يكرم الابن لا يكرم الآبَ الذي أرسلَهُ».

المسيح هنا يعلن صراحة ولأول مرة عن لاهوته المساوي للآب بلا مواربة، مع أنه شخصياً لا يطلب الكرامة لنفسه: «مجداً من الناس لست أقبل» (يو٥: ٤١). ولكنه يطلب مجد الآب: «من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم» (يو٧: ١٨)، ولكن كيف يمجِّد الناس الآب وهم يرفضون بل و يهينون الابن؟ «لكنني أكرم أبي وأنتم تهينونني. أنا لست أطلب مجدي، يوجد من يطلب و يدين» (يو٨: ٤٩و٥٠). فالواقع الإلهي هو أن الآب أرسل ابنه لكي يستعلن حقيقة الله الآب والحياة الأبدية التي عنده! التي فيها و بها الخلاص، لذلك أصبح الابن حاملاً بالضرورة كرامة الآب ومجده: «أنا مجَّدتك على الأرض» (يو١٧: ٤). لذلك يتحتم لكي يمجد الناس الآب أن يمجدوا الابن، هذا من جهة شخص الابن في ذاته، وإضافة إلى ذلك فإن الابن يمثل شخص الآب الذي أرسله، فالذي لا يمجد الابن ــ المسيح ــ لا يكرم الآب الذي أرسله. والمسألة في عمق معناها ليست مسألة مُرسِل ومُرسَل، بل مسألة الوحدة القائمة بينهما!!

هذا يعني أن المسيح يطالب بمجد الآب سواء في شخصه كابن الآب أو بصفته كمُرسَل من الآب ويمثله بذاته! لذلك فعدم تكريم الابن هو كذلك بالنسبة للآب. والذي يزدري بالمسيح يزدري بالله الآب وعقابه أشرُّ: «من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة ... مخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي.» (عب١٠: ٢٨ــ٣١)

وتحقيقاً لبنوّة المسيح للآب قام المسيح بشفاء الناس وإعطائهم الحياة على أساس غفران الخطايا، الأمر الذي هو من صميم اختصاص الله الآب: «ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك.» (مت٩: ٦)

وتحقيقاً لكون المسيح مُرسَلاً من الآب، فقد باشر أعمال الآب: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يو٤: ٣٤). ولكن إذ أعطى الله الابن سلطاناً لكي يشفي ويحيي ويقيم من الموت، تحتَّم أن يعطيه أيضاً سلطاناً لكي يدين، لأن غفران الخطايا هو الجزء الأعظم من سلطان القاضي أو الديان. وحينما تقول الآية التي نحن بصددها وفي مستهلّها: «لكي»، فهي تعني «وبناءً على ذلك»، أي بناءً على كل ما سلف، بمعنى بناءً على أن الابن يعمل عمل

الآب، وبناءً على أن الآب يحب الابن ويريه كل ما يعمل، وبناءً على أن الابن يقيم الأموات ويعطي حياة، وبناءً على أن الآب أعطى كل الدينونة للابن؛ بناءً على ذلك كله، تحتم أن يكرم الناس الابن كما يكرمون الآب، وإلاَّ فالمهانة وعدم الإكرام تصبح موجَّهة للآب الذي أعطاه كل هذا والذي أرسله أيضاً.

ولكن واضح تصميم الآب أنه لكي يكون للابن الكرامة والمجد المساويين للآب في كل شيء، أعطاه كل الدينونة لتخضع له كل خليقة ما في السموات وما على الأرض. هنا حقٌ للمسيح أن يقول: «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠)، وأن يخاطب الآب: «كل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي وأنا ممجَّد فيهم» (يو١٧: ١٠)؛ وكذلك، وعن حق وعن يقين واستحقاق، أن يُدعى المسيح ابن الله، وأن يدعو المسيح الله الآب **«أبي»**.

ولكن يخطىء الناس وإلى يومنا هذا في أنهم يفهمون أن المجد قد صار كله للابن، لذلك لم تَعُدْ الغالبية من المؤمنين يقدمون المجد والكرامة إلا للمسيح ولا يُذْكر مجد الآب إلا في الجمل الرسمية من الصلوات المحفوظة. **لذلك وجب هنا أن ننبه أن المسيح جاء ليستعلن الآب، حتى تكون صلتنا بالآب أكثر وضوحاً وتغلغلاً في الفكر والقلب بالعبادة الشخصية. والحقيقة التي يتحتم أن يفهمها كل مؤمن أنه كلما ازدادت صلتنا بالمسيح ازداد حضور الآب في القلب بصورة عملية؛ فإذا ضعفت صورة الله الآب في الوعي، فهذا معناه أن الوعي المسيحي ناقص جداً والإيمان يحتاج إلى مراجعة شديدة:** «في ذلك اليوم تطلبون باسمي، ولست أقول لكم أني أسأل الآب من أجلكم لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني.» (يو١٦: ٢٦و٢٧)

ومن صميم الإيمان الحي الموصل للحياة بالفعل أن يكون **إيماننا بالآب هو الموصل لإيماننا بالمسيح**، لأن المسيح هو عطية الله الآب لنا: «لو كنتِ تعلمين **عطية الله** ومَنْ هو الذي يقول لكِ أعطيني لأشرب» (يو٤: ١٠)، ثم أن المسيح سبق وأعلن أنه: «**لا يقدر أحد أن يُقْبِل إليَّ إنْ لم يجتذبه الآب الذي أرسلني**» (يو٦: ٤٤)، وأن كافة التلاميذ المخلصين للمسيح هم عطية الله الآب للمسيح: «كانوا لك وأعطيتهم لي» (يو١٧: ٦). فحتى الشكر الذي نقدمه يتحتم أن نقدمه دواماً للآب في اسم المسيح (أف٥: ٢٠، كو٣: ١٧)، علماً بأن جوهر الإيمان والعبادة يتص أن المجد والكرامة ــ ⲧⲓⲙⲏ ــ متساوية تماماً بين الآب والابن والروح القدس، لذلك تحتم أن تكون العلاقة الشخصية الحية والعملية مع الحب المتبادل للثالوث الأقدس متساوية.

٢٤:٥　**«الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم: إنَّ مَنْ يسمعُ كلامي ويؤمنُ بالذي أرسلني، فلهُ حياةٌ أبديةٌ، ولا يأتي إلى دينونةٍ، بل قد انتقلَ من الموتِ إلى الحياةِ».**

مرة أخرى يستعلن المسيح الوحدة الترابطية بين الآب والابن إنما بصورة غير ملحوظة، إذ يعتبر أن الخلاص لا يتم للإنسان إلاَّ بالآب والابن. فالإيمان الذي يربط بينهما يؤدي إلى الحياة الأبدية و يعتق من الموت الحقيقي وليس موت الجسد.

ونعود سريعاً إلى قول المسيح: «الحق الحق أقول لكم»، التي هي الإعلان الرسمي الإلهي على مستوى القَسَم، والذي يتصدَّر حقيقة جديدة كانت مخفية وقد صار إعلانها علناً لتكون ركناً أساسياً في الإيمان المسيحي.

وهنا يلزم، أيها القارىء العزيز، أن ننتبه غاية الإنتباه، إنما في خشوع وخضوع كلي لسلطان الكلمة، لأن وراءها أعظم عطية يمكن أن ينالها الإنسان على الأرض. وأقدِّم لك هذه الخطوات لكي تصل إلى سرِّ هذه الآية:

١ ــ مطلوب بساطة قلب وفكر يشبه فكر الأطفال لقراءة وفهم أقوال المسيح وهذا القول بالذات!

٢ ــ مطلوب تصديق قلبي وفكري بهدوء وتركيز في المعنى الذي تحو يه الكلمات في أقوال المسيح.

٣ ــ مطلوب معرفة أن هذه الآية تحمل وصية ضمنية أي ما يشبه الأمر الإلهي، وكل وصية أو أمر إلهي يُقبل فوراً بدون أسئلة جانبية أو طلب زيادة وضوح أو شرح. فالأمر يحمل قوَّته في قبوله كما هو بدون فحص. وحالما يقبل الإنسان الأمر، يبدأ الأمر يفسِّر نفسه ويلقِّن الإنسان كيف يمكن تكميله والحصول على كل ضماناته. هذا ينطبق على كل وصايا المسيح.
والأمر، أي الوصية، في هذه الآية: **«إن مَنْ يسمع كلامي و يؤمن بالذي أرسلني»**، يمكن وضعه كالآتي: «اسمع صوتي وآمن بالذي أرسلني».

٤ ــ كل **وصية** للمسيح تحمل معها **«وعداً»**، بمعنى أن كل وصية تحمل معها عطية سخية تفوق العقل، لأن كل وعود المسيح هي فائقة جداً على الطبيعة. لا يمكن أن يعطي المسيح أمراً أي وصية دون أن يصرِّح ضمناً بالوعد والعطية السخية التي تتبعها حتماً. وكل وعود المسيح مطلوب تصديقها بالقلب بشدة كما هي.

والوعد الذي في هذه الوصية هو: «له حياة أبدية»، وأنه «لا يأتي إلى دينونة»، أي ينعتق من الدينونة بمغفرة خطاياه، سواء في الحاضر في الضمير أو في المستقبل في الدينونة العامة، بل قد انتقل من الموت الحقيقي (غير الجسدي أي موت الخطية) إلى الحياة (الحقيقية). هذا يتم بالتصديق الإيماني.

والآن مطلوب أن تقرأ الآية مرة أخرى بكل هدوء وعلى المهل وتطبق الشروط السالفة. والنتيجة ستكون في حالة النجاح في التطبيق أن يحصل الإنسان على الإحساس بأن سر الآية قد انفتح على النفس، وأن الإنسان دخل في الكلمات والكلمات دخلت في الإنسان وصار الإنسان في مواجهة المسيح والآب والحياة الأبدية!

أما بعد ذلك فيلزم تكميل الإيمان بدراسة الكلمة ومعرفة دقائق الإيمان وممارسة العبادة كما تفرضها الكنيسة بتدقيق.

«مَنْ يسمع كلامي»:

> «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك **وأجعل كلامي في فمه** فيكلمهم بكل ما أوصيه به، و يكون أن الإنسان الذي **لا يسمع لكلامي** الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه.» (تث١٨: ١٨و١٩)
>
> «يوقظ كل صباح، يوقظ لي أذناً لأسمع كالمتعلمين، السيد الرب فتح لي أذناً وأنا لم أعاند، إلى الوراء لم أرتد.» (إش٥٠: ٤و٥)

السمع هنا ليس سمع الأذن الموصل إلى العقل للفهم المنطقي فحسب، بل يتضمن دخول الكلام ـــ وهو روح ـــ من الأذن إلى القلب ليحركه، لأن الكلمة فيها حياة. إذا تحرك القلب تحت وطأة سماع الكلمة يكون سماعاً صادقاً حقيقياً قال عنه المسيح في سفر الرؤيا: «مَنْ له أذن فليسمع ما يقوله الروح» (رؤ٢: ٧). هنا يطلب المسيح أذناً روحية تسمع بالروح! وفي إنجيل القديس متى يقول: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا (يوحنا المعمدان) المزمع أن يأتي. مَنْ له أذنان للسمع فليسمع» (مت١١: ١٤و١٥). هنا يطلب الأذن التي تقبل الحقيقة وما وراءها، **لأنه إن كان المعمدان هو إيليا إذن فيسوع هو المسيَّا الآتي!!** والمسيح يطلب الأذن التي تسمع الروح وتفهم القصد وتؤمن بالوعد!!

«يسمع كلمتي»: ὁ τὸν λόγον μου ἀκούων

«كلام الحياة الأبدية عندك.» (يو٦: ٦٨)

«وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن... الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير.» (يو١٢: ٤٧و٤٨)

هنا جدير بنا أن نفرق بين «يسمع **صوتي**» التي ستأتي في الآية القادمة (٢٥)، و«يسمع **كلمتي**» في الآية (٢٤). والفرق بينهما كبير، فصوت المسيح قوة روحية حينما يستقبله القلب المشتاق له، ترن فيه رنة الحياة وتهتز أوتاره بل جدرانه، كمَنْ يستقبل رب الحياة. أما الكلمة فهي إنجيل الخلاص، والصوت كائن في الكلمة وفي كل آية. الكلمة تمنح حقيقةً ومعنًى روحياً ووعداً وتأكيداً، وهي قادرة أن تغير وتجدد وتلد من جديد، أما الصوت فهو صوت شخص ابن الله الذي يعلن عن وجوده ومعه الحب والحياة والعطف والحنان. وكأن الإنسان بلغ الملكوت: «خرافي تسمع صوتي.» (يو١٠: ٢٧)

ثم يلزمنا هنا أن نصحح الترجمة العربية، فهي ليست «يسمع كلامي» بل «يسمع كلمتي» (**اللوغس**)، ومعناها الكلي: «يقبلني باعتباري "**الكلمة**" المتجسد، الابن الوحيد المحبوب ناطقاً بصوت الآب واسمه».

ومعروف أن المسيح بمجرد أن قال كلمته، فقد انقسم العالم إلى مَنْ يسمع وإلى مَنْ لا يسمع، إلى مؤمن وإلى رافض. الذي يسمع يؤمن والذي يؤمن **«لا يأتي إلى دينونة»**. وهذا اصطلاح يهودي معناه البسيط أنه لا يُطلَبُ حضوره أمام القاضي أو الديَّان، بمعنى المعافاة المطلقة أو البرءة بدون محاكمة.

«ويؤمن بالذي أرسلني»:

المسيح هنا يعتمد على كل ما استعلنه عن الآب. فهو يطالب كل مَنْ يعرف الآب كما استعلنه المسيح، أن يؤمن به، بمعنى أن يؤمن بما نقل الابن عنه من قول أو وعد. فمثلاً نقل المسيح عن الآب هكذا: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦). المطلوب هنا تصديق كلام الآب تصديقاً ينفذ في العقل ويخترق القلب ويملأه، فيؤمن بصدق الآب وصدق وعده: أنه أحبَّنا بالفعل وأنه أرسل ابنه بالفعل فديةً لكلِّ مَنْ يؤمن، فلا يهلك بل ينال الحياة الأبدية.

وكوننا نؤمن أن الآب كان صادقاً وأرسل ابنه ليفدينا، هذا بحدِّ ذاته هو الإيمان بالآب.

ويجعل الآب له علاقة مباشرة بنا: «الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو١٦ :٢٧)؛ «وهم قبلوا وعلموا يقيناً أني خرجتُ من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني.» (يو١٧ :٨)

انظر أيها القارىء كيف أن الإيمان بوعد الآب وصدق كلمته هو النصف المكمِّل للإيمان بالمسيح المؤدي للحياة الأبدية والانعتاق من الدينونة.

«له حياة أبدية»:

المسيح لا يسوِّف، فالمعنى ينصبُّ على الحاضر ἔχει = له **الآن** وكل أوان، لأن الحياة الأبدية غير مرتبطة بالزمن. الحياة الأبدية مثل كل عطايا الله الروحية هي فائقة على الطبيعة، هي فوق الزمان، هي لنا إذا أخذناها الآن، فتبقى معنا إلى الأبد.

«انتقل من الموت إلى الحياة»:

لينتبه القارىء ولا يرفع الأفعال هنا إلى المستقبل، فهي قد تمَّت!! «يكون قد نتقل» هنا المسيح يصوِّر حالةً مقضيًا بها، حكماً نافذ المفعول، وكأنه قد صار! بمعنى أن المؤمن الذي انتهى في نفسه من قضية سماع كلمة المسيح واخترقت أذنه الروحية واستقرت في القلب وأصبحت حقيقة إيمانية، وصدَّق كلام الآب وآمن به، فإنه يشعر في قلبه شعور الإيمان اليقيني أنه قد غُفرت خطاياه، وأنه قد سقطت عنه كل الدينونة، وكفَّ عنه صراخ الضمير المشتكي واللائم الدائم، ويحس أنه انتقل من حالة ظلمة قلبية محيطة إلى نور الله، وفرح يدوم مع شكر لا يهدأ «كل حين على كل شيء.» (أف ٥ :٢٠)

وإنجيل يوحنا قدير في أن يستحضر الفعل الأخروي الذي كنا ننتظره وكأنه سيحدث بعد الموت، يحضره في الآنيَّة الزمنية؛ **الآن** وفي هذه الساعة: «تأتي ساعة "**وهي الآن**" حين يسمع الأموات (بالخطية) صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو٥ :٢٥). ولكن مطلوب الأذن الروحية الآن!

المسيح في إنجيل يوحنا يُفهمنا استعلاناً جديداً عن الموت والحياة!! فالموت الجسدي القديم والرعبة المحيطة به قد انتهيا إلى الأبد وحل محلَّهما الموت الأخطر: وهو موت الخطية الذي كان منسيًا أو مخفيًا. و«الحياة» الفعلية التي كنا ننتظرها خطأً بعد الموت فلا نكاد نذكرها أو نفهمها أو نحسها، استعلنها المسيح في الحاضر إذ أسقط عنها الزمن الكاذب فظهرت بقوة أكثر من قوة حياة بالجسد: «فإن **الحياة أُظهرت** وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب

وأُظهرت لنا... ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو١ : ٢و٤)

بهذا المعنى الاستعلاني الجديد الذي يقدمه المسيح في هذه الآية، نفهم كيف يؤكد المسيح أن مَنْ يسمع كلامه ويؤمن بالذي أرسله يكون قد انتقل من الموت إلى الحياة، إنه اختبار الحاضر: «تأتي ساعة وهي الآن»!! والانتقال من الموت إلى الحياة، بمعنى سقوط الدينونة وشروق فجر الحياة الأبدية، من شأنه أن يجعل الإنسان يشعر بكيانه **في المسيح والآب** ولا يعود يعيش لنفسه!! فالذي آمن به الإنسان وصدَّقه يُحسُّه ويراه ويحبه ويعيشه!!!

ولكن كون الإنسان قَبِل الآب والابن في كيانه وعاش الحياة الأبدية بنوع ما الآن، لا يعني أنه لا يوجد موت للجسد أو أن هذه هي كل الحياة الأبدية. فالذي نختبره ونأخذه بالإيمان الآن تأخذه ــ كما يقول بولس الرسول ــ كعربون، والعربون دائماً يكون نسبةً ضئيلةً إذا قارنَّاه بالحصيلة الكلية: «نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح، الذي فيه أيضاً أنتم **إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم**، الذي فيه أيضاً **إذ آمنتم خُتِمتم بروح الموعد القدوس**، الذي **هو عربون ميراثنا**، لفداء المُقْتَنَى لمدْح مجده.» (أف١ : ١٢ــ١٤)

وعلى العموم فالمسيح في هذه الآيات لا يقدم تعليماً بقدر ما يطرح عملاً؛ فهو يحفِّز السامع والقارىء ليأخذ قراره، إنه نفس موقفه تجاه اليهود، يطرحه على الإنسان على مدى الدهور. إنه لا يعلِّمهم بل يتحداهم، يطرح الحياة والموت أمامهم، فإما يقبلون الحياة فيه، وإما يقتلونه فَيَبقَوْا في الموت إلى الأبد.

٥ : ٢٥ «الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم: إنه تأتي ساعةٌ، وهي الآنَ، حينَ يسمعُ الأمواتُ صوتَ ابنِ الله والسامعونَ يحيَوْنَ!».

«تأتي ساعة، وهي الآن»:

على القارىء أن ينتبه إلى الفارق الكبير بين قول الرب في هذه الآية **«تأتي ساعة وهي الآن»**، وبين قوله في الآية القادمة «تأتي ساعة» بدون «الآن». فالأُولى تشير إلى الواقع الحاضر وهو الواقع الروحي، فهي ساعة الخلاص والوقت المقبول الذي تكلم عنه إشعياء النبي (إش٤٩ : ٨؛ ٦١ : ٢). أما الثانية التي أتت بدون **«الآن»**، **فهي** تشير إلى المستقبل في نهاية الزمان وهي ساعة الدينونة.

القيامة بالروح قادمة كما تنتظرها الأجيال والآن هي حاضرة. المسيح يؤكد ما يؤمن به الجميع

أن استعلان القيامة القادمة في نهاية الزمان هي أمر حتمي بحسب رجاء اليهود، ولكن الجديد الذي لم يكن يتوقعه أحد هو استعلان المسيح لبدء عمل هذه القوة القادرة على الإقامة من الموت الآن، **وهي بعينها قوة الحياة الأبدية!** هذه القوة التي تحيي الموتى قائمة وكائنة في الكلمة التي ينطقها المسيح. والكلمة التي ينطقها المسيح هي استعلان الآب والحياة الأبدية التي كانت عنده، وها هو المسيح يستعلنها بالكلمة المنطوقة والآية المعمولة: «والسامعون يحيون»!

هنا ينقل المسيح كل التراث اليهودي عن المستقبل الذهبي البعيد والمجهول والذي فيه تسود إسرائيل على العالمين والذي عبَّر عنه الأنبياء «بذلك اليوم»، وعن الآمال العريضة المذخرة فيه، ينقله فجأة إلى هذه الساعة الآن: «فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها أيتها العظام اليابسة "**اسمعي**" كلمة الرب»، «هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، هأنذا أُدخل فيكم روحاً فتحيَوْن... وتعلمون أني أنا الرب»، «ثم قال لي يا ابن آدم (ابن الإنسان) هذه العظام هي كل بيت إسرائيل. ها هم يقولون **يبست عظامنا، وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا** (بسبب الخطية وغياب الله)؛ لذلك تنبأ **وقُلْ** لهم: هكذا قال السيد الرب هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي... وأجعل روحي فيكم فتحيون... و يكون لجميعهم راعٍ واحد.» (حزقيال ٣٧)

واضح هنا أن الأنين و يَبَس العظام وانقطاع الرجاء على لسان النبي بالروح يعبِّر أقوى تعبير عن حالة إسرائيل الروحية أيام المسيح.

أما قول الله على لسان حزقيال: «**أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب**»، فهي هي قول الرب بعينه: «**تأتي ساعة حين يسمع الأموات صوت ابن الله**».

وكلمة «الأموات» هنا يلزم أن نفهمها على أنها موتى الخطية أو عدم الإيمان بالمسيح، لأن موتى الجسد سيذكرهم المسيح بالتحقيق مع صفة مضاعفة ليفرقهم عن موتى الخطية بقوله: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع **الذين في القبور** صوته فيخرج ...»، والفرق في الذين يسمعون بين الآيتين، هو أن سامعي صوت المسيح في الآية التي نحن بصددها هم موتى الخطية ولا يذكر هنا «**جميع**»، لأن فيهم من يسمع و يستجيب وفيهم من لا يسمع ولا يستجيب، حيث تأتي كلمة «السمع» في اللغة اليونانية بمعنى السمع والقبول؛ أما موتى الآية القادمة فيذكر فيها «الجميع» لأن جميع الموتى سوف يقومون للدينونة بلا تفريق.

لقد سبق وأعلن المسيح في الأصحاح الرابع عن مجيء هذه الساعة المنتظرة منذ الدهور، ساعة ما بعد الزمن، ساعة الأخرو يات، أي أزمنة الحياة الأبدية التي ليست أزمنة الجسديات، حينما قال:

«تأتي ساعة وهي **الآن** حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له» (يو٤: ٢٣). هنا يصف المسيح جوهر العبادة اللائقة بالله، لأن الله روح والساجدون له يتحتم أن يسجدوا له بالروح. الآن نفهم سرَّ هذه الآية التي مرت علينا، فمعناها ينحصر في أنه لا عبادة مقبولة أو منظورة أو مسموعة من الله إلاّ عبادة القائمين من الأموات الذين انتقلوا من الموت إلى الحياة، أي الذين سمعوا صوت ابن الله، بمعنى قبوله ليجلس الابن على عرش القلب ويدبر ويسود، والذين آمنوا بالذي أرسله أي آمنوا بالآب كونه أرسل ابنه مبذولاً على الصليب حتى لا يهلك كلُّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. فالإيمان بالآب مُسْتَعْلَن عملُه وقوته في إرسالية الابن. والذين أقامهم المسيح من الموت «**الآن**» هم الذين غُفِرتْ خطاياهم، فسقطت عنهم الدينونة وانتقلوا من الموت إلى الحياة، فدخلوا في برِّ المسيح ليتبرأوا أمام الله كأبناء بلا لوم. والقديس بولس يتكلم عن موتى الخطية بوضوح: «وأنتم إذ كنتم **أمواتاً بالذنوب والخطايا**.... ونحن **أموات بالخطايا، أحيانا** مع المسيح.» (أف٢: ١و٥)

هؤلاء هم الساجدون بالروح الذين يطلبهم الله ودفع ثمن حياتهم الجديدة ببذل ابنه الوحيد. أما كيف يسجدون «**بالروح**» فهذا عرفته الكنيسة جيداً في يوم الخمسين ومارسته بقوة، حتى إن صلاة التلاميذ كانت تزعزع المكان: «ولما صلُّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس.» (أع٤: ٣١)

لقد تحقق قول الرب ولا يزال من جهة الساجدين بالروح ومن جهة الذين يسمعون بالروح! «فتأتي ساعة وهي الآن»، ولا زالت إلى «**الآن**» حاضرة في عمق الزمن وهي ليست من الزمن في شيء!

ثم عودة إلى «**الحق الحق أقول لكم**» التي استهل بها المسيح هذه الآية. فالحقيقة الإيمانية الجديدة التي يعلنها المسيح والمحسوبة أنها ركن ركين في الإيمان المسيحي، هي أن الإنسان الذي مات بالخطية وانطفأت جذوة روحه تحت سلطانها المهلك، مدعو للحياة من جديد. كلمة المسيح فيها حياته وهذه هي «**القيامة الأُولى**» التي عبر عنها الروح في سفر الرؤيا: «مُبارك ومُقدَّس من له نصيب في القيامة الأُولى، هؤلاء ليس للموت الثاني (الدينونة) سلطان عليهم.» (رؤ٢٠: ٦)

«يسمع صوت ابن الله»:

أنظر المقارنة بين «يسمع كلامي» و«يسمع صوتي» في شرح الآية السابقة (ص٣٥٦و٣٥٧).

«ابن الله»:

هذه واحدة من ثلاث مرات في إنجيل يوحنا يذكر المسيح فيها أنه «ابن الله» بوضوح وعلانية، أما المرتان الأخريان فهما: في آية (١٠: ٣٦)، آية (١١: ٤). وهذه الصفة الجوهرية يتمسك بها ق. يوحنا سواء من فم المسيح أو من البراهين العملية والاستعلانية التي تيقَّن منها، وجعل من هذه الصفة ركيزة الإيمان الأُولى لإنجيله: «لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح **ابن الله**.» (يو٢١: ٣١)

٥: ٢٦ «لأنه كما أن الآبَ له حياةٌ في ذاتِهِ كذلك "أعطى" الابنَ أيضاً أن تكونَ له حياةٌ في ذاتِهِ».

الكلام هنا هو في صميم الطبيعة الإلهية. والمسيح يحدد موقعه من هذه الطبيعة بالنسبة للآب. ولكن لا يمكن الكلام عن **الطبيعة** الإلهية دون التعبير عن **الذات** الإلهية.

الطبيعة الإلهية يشترك فيها الآب والابن على السواء. فالطبيعة الإلهية للآب هي نفسها الطبيعة الإلهية للابن. «والحياة» هي من صميم خواص الطبيعة الإلهية.

ولكن الحياة في الله ليست ممنوحة ولكن هي خاصية الذات الإلهية، فكيان الله حي بذاته. «أنا الكائن بذاتي ἐγώ εἰμι». والذات الإلهية واحدة، هي آب وابن كلٌّ منهما قائم في الذات الإلهية الواحدة. فالآب له بالضرورة الحتمية حياة في ذاته الإلهية، والابن بنفس الضرورة الحتمية له حياة في ذاته الإلهية.

الآية هنا لا تفيد على الإطلاق أن الآب «**أعطى**» حياة للابن في ذاته، هذا مُحال؛ **ولكن الآب أعطى الابن «أن يكون»** له حياة في ذاته كما الآب له حياة في ذاته، أي أن هذا هو حال كيان الأُبوَّة والبُنوَّة!

فإذا كانت طبيعة الحياة الذاتية هي في الابن كما في الآب، فلماذا أضاف المسيح القول أن الآب **أعطى الابن أن يكون له هذا؟** واضح أن السبب هو التمييز بين الآب والابن في الذات الإلهية.

وإليك قول ذهبي الفم في هذا الموضوع:

[أترى كيف أن المسيح يعلن التعادل الكامل بينهما إلاَّ في نقطة واحدة وهي أنه: واحد هو الآب، وواحد هو الابن. لأن بقوله «قد أعطى» يوضح هذا التمايز، ولكنه يعلن أن كل

شيء ما عدا هذا متساوٍ تماماً. وعليه فمن الواضح أن الابن يعمل كل شيء بسلطان وقوة مثل الآب تماماً. وأن الابن لا يأخذ قوة من أي مصدر كان لأنه له حياة كما الآب له حياة.](١٣)

٥:٢٧　**«وأعطاه سلطاناً أن يدينَ أيضاً لأنه ابنُ الإنسانِ».**

في كل الامتيازات المذكورة في التسع الخطوات التي أعلن المسيح فيها لاهوته (أنظر صفحة ٣٣٨)، يقف هذا الامتياز وحده ليختص ببشرية المسيح. فهنا امتياز الدينونة أخذه المسيح باعتباره **«ابن إنسان»** حسب القراءة اليونانية الصحيحة υἱὸς ἀνθρώπου بدون التعريف بـ«الـ» = τοῦ. وذلك يعني أن المسيح يتبوأ مركز الدينونة العالي ليس بصفته ممثلاً للبشرية، وإلا لزم أن يكون «ابن الإنسان»، ولكن المذكور هنا هو «ابن إنسان»، فرفع «الـ» التعريف توضح أن اصطلاح «ابن الإنسان» لا يفيد شخص المسيح بل الجنس أي أنه يدين كإنسان! وهذا المعنى يحمل منتهى العدالة الإلهية إذ جعل الديان الذي يقضي لبني الإنسان هو **«ابن الإنسان»**، أي من جنس مَنْ يقضي لهم: هذا ما يقرره بولس الرسول في سفر العبرانيين بوضوح: «من ثَمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء **لكي يكون رحيماً** ورئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يُكفِّر خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجرَّبين... لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مُجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه (نجد نعمة للمعونة في وقت الحاجة)» (عب٢:١٧و١٨؛ ٤:١٥و١٦). لذلك أصبح من خصائص المسيح العجيبة التي تميزه كقاضٍ للبشرية أنه يشفع في المذنبين! «وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول (بصفته مُقدِّم أقدس وأعظم ذبيحة حية على عرش الله)، فمن ثَمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين يشفع فيهم» (عب٧: ٢٤و٢٥). أي أن ديان الناس هو بعينه محامي البشرية الأول. وقد جمع بولس الرسول هاتين الوظيفتين معاً هكذا: «من هو **الذي يدين؟** المسيح، الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله، **الذي أيضاً يشفع فينا**» (رو٨: ٣٤ ــ ترجمة مصححة عن اليونانية).

إذن، خطير حقاً أن نفقد لأنفسنا وظيفة الشفاعة هذه برفضنا المسيح الشفيع فلا يبقى لنا منه إلا الدينونة!!

---

13 Chrysostom, *op. cit.*, p. 139.

واستخدام المسيح للفظ «ابن إنسان» هنا ينبهنا مباشرة إلى نبوة دانيال: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل **ابن إنسان** أتى وجاء إلى القديم الأيام (الآب) فقرَّبوه قدامه فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا٧: ١٣و١٤). وبولس الرسول أدخل في اللاهوت صفة المسيح «الإنسان» بقوله: «فإنه إذ الموت بإنسان **بإنسان** أيضاً قيامة الأموات» (١كو١٥: ٢١)؛ موضحاً بذلك الجنس البشري الذي يتجنس به المسيح ليكمل به عمل الفداء!

وهكذا يتضح لنا أن في قول المسيح: «وأعطاه أن يدين أيضاً لأنه **ابن إنسان**»، تلميحاً واضحاً لنبوة دانيال التي يحاول المسيح فيها أن ينبه ذهن اليهود إليها لينتبهوا إلى شخصه، ولكن شكراً لله، فالذي عثر فيه اليهود صار لنا دليل حياة ومرساة إيمان.

٥: ٢٨و٢٩ **«لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعةٌ فيها يسمعُ جميعُ الذينَ في القبورِ صوتَه، فيخرجُ الذينَ فعلوا الصالحاتِ إلى قيامةِ الحياةِ، والذين عَمِلوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونةِ».**

لقد طرح المسيح أمامهم في الآية (٢٥) درجة أولى من درجات السمع والحياة: «تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون». هنا سماع صوت المسيح، والإنسان لا يزال يعيش، ولو أنه ميت بالخطية في الحقيقة! وهنا السماع هو في درجته الاختيارية، كذلك الحياة التي ينالها من جراء غفران الخطية هي حياة جديدة في صميم الحياة القديمة، حياة حقيقية بالروح في صميم حياة الجسد الزائلة.

ففي هذه القوة التي للرب في إقامة موتى الخطية لقبول حياة أبدية، يقول الرب: «لا تتعجبوا، لأنه تأتي الساعة الأخيرة ــ ليست الآن ــ تأتي في وقتها المحدد، فيسمع جميع الموتى (موتى القبور)». هنا قيامتان، لأنه في الحقيقة لو تمشينا مع لاهوت ق. يوحنا وفهمه للموت والحياة والقيامة، يكون موتى القبور هم إما الذين فاتتهم القيامة الأُولى ــ التوبة والغفران والمعمودية ــ **ولم يسمعوا لصوت المسيح** ولا اقتنعوا بندائه للتوبة ولا رجعوا عن سيرة الخطية، بل استمروا في غيِّهم في طريق الموت الروحي وضاع عليهم زمن الخلاص، واحتوت أجسادهم القبور؛ هؤلاء يسمعون صوت المسيح ــ ليس المخلِّص بعد ــ بل الديَّان، وهو الصوت الذي يدعوهم لتقديم حساب الحياة ويطالبهم بثمن دمه الذي سفكه من أجلهم فازدروا به، ويطالبهم بثمر الإنجيل

الذي طرحه أمامهم بين أيديهم، فطرحوه تحت أرجلهم وداسوا على الكلمة وأهانوا الروح. هؤلاء لهم قيامة واحدة أو صحوة يصحونها على الضمير المعذَّب حيث يواجهون الدينونة بل ويقيمون فيها؛ أما القيامة الأُخرى، فهي للذين أحبوا النور وكانت أعمالهم بالله معمولة، فهؤلاء لهم القيامة الثانية في ملكوت ابن الله حيث ميراث المجد. والمسيح يخاطب اليهود أن هنا لهم أن يتعجبوا كما يشاءون، لأن ما سبق وقاله بخصوص القيامة الروحية الأُولى لموتى الخطية، لهم أن يقبلوا به أو لا يقبلوا، أما إقامته الجبرية لكل ذي جسد فهو أمر حتمي سوف يخضعون له صاغرين.

ولو يلاحظ القارىء أن الرب سبق وطرح أمام نيقوديموس دعوته نفسها: «لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق» (يو٣: ٧). فلهذا قال له: «لا تتعجب أنه ينبغي أن تولد من جديد»، ولهؤلاء قال: لا تتعجبوا أنكم سوف تقومون لدينونة عتيدة. فسماع الأذن اليهودية المنغمسة في الماديات والدنيويات صعب عليها أن تقبل التجديد لتحيا للروح. وأصعب من ذلك أن تصدق أنها ستُدان: والكلام لنا أيضاً...

فعلوا الصالحات وعملوا السيئات:

هو التعبير العملي عن الإيمان وعدم الإيمان، قبول النور ورفض النور، محبة الحق وبغضة الحق، فالذي آمن بالمسيح قد صار له عمل صالح بالدرجة الأُولى: «فقالوا له: ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله. أجاب يسوع وقال لهم: **هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله**» (يو٦: ٢٨و٢٩). لأن الذي آمن بالمسيح يعني على المستوى الايماني الحقيقي أنه قد صار يعيش للمسيح والمسيح يحيا فيه، وصار الروح القدس يعمل معه أعمال الله الصالحة. ويستحيل لأحد أن يؤمن بالمسيح ولا يكون له عمل صالح.

أما الذي لا يؤمن، فلا يملك الصالح ــ الله ــ الذي يعمله ــ أو يعمل لحسابه ــ ولا يعرف ما هو الصلاح الذي يطلبه. والشجرة تُعْرَفُ من ثمارها (مت٧: ١٩و٢٠). ولو تلاحظ تجد أن المسيح في الآية ٢٥ والآية ٢٨ أوضح أنه صاحب دينونتين: الأُولى ــ دينونة خلاص ــ للضمير ليُحييه ويُقيمه من موت الخطية، والدينونة الثانية للحكم على مَنْ قَبِل ومَنْ رفض. فالذي قَبِل دينونة الضمير الأُولى ينجو من الدينونة الدائمة اللائمة لأنه يكون قد قَبِلَ الحياة الأبدية ويعيشها. والذي رفض دينونة الضمير يكون قد ضاعت عليه فرصة التوبة وفرصة الحياة أيضاً، ولا تبقى له إلا دينونة الندم.

الإيمان والأعمال: كما تقدمه الكنيسة سواء بتعليم القديس يوحنا الرسول، أو بتعاليم الرسل الآخرين.

١ ــ **توجد دينونة «للإيمان» قاطعة:** «الذي يؤمن به لا يُدان والذي لا يؤمن به قد دِينَ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد.» (يو٣: ١٨)

و يشرحها ق. يوحنا في رسالته هكذا: «إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم، لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه. مَنْ يؤمن بابن الله، فعنده الشهادة في نفسه. مَنْ لا يصدِّق الله، فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة (قوة الشهادة وصدقها) أن الله أعطانا حياة أبدية، **وهذه الحياة هي في ابنه.** مَنْ له الابن، فله الحياة؛ ومَنْ ليس له ابن الله، فليست له الحياة.» (١يو٥: ٩ــ١٢)

وهذا يعني به ق. يوحنا أن الإيمان بالمسيح له شهادة حاضرة، وهي الحياة الأبدية التي تكون قد انسكبت في قلب مَنْ آمن بالمسيح، وصار يحيا في ملء نعمة الروح. فمَنْ له هذه الحياة تكون له الشهادة في نفسه ومن الآخرين، أنه مؤمن حقاً بالمسيح، و يكون هذا بحد ذاته برهاناً رفع الدينونة عنه إلى الأبد. وذلك بعكس مَنْ ليس له إيمان ولا شهادة. فإن الدينونة تظل تلاحقه الآن بسبب عدم الإيمان، وفي النهاية بسبب سوء الأعمال!!

٢ ــ **وتوجد دينونة «للأعمال» قاطعة:**

ــ «ونحن نعلم أن **دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون** مثل هذه. أفتظنُّ هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله. أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذْخَرُ لنفسك غضباً **في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب "أعماله".** أما الذين بصبر **في العمل الصالح** يطلبون المجد والكرامة والبقاء، **فبالحياة الأبدية.** وأما الذين هم من أهل التحزُّب ولا يطاوعون للحق **بل يطاوعون للإثم، فسخطٌ وغضبٌ، شدةٌ وضيقٌ على كل نفس إنسان يفعل الشر... ومجد وكرامة وسلام لكل مَنْ يفعل الصلاح.**» (رو٢: ٢ــ١٠)

ــ و يعود القديس بولس الرسول يؤكد حتمية وقوفنا أمام الديان:

«لأنه **لا بد** أننا جميعاً نُظْهَرُ أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢كو٥: ١٠)

ــ بطرس الرسول أيضاً يشترك في هذا التأكيد عينه:

«الذين سوف يعطون حساباً للذي **هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات.**» (١بط ٤ : ٥)

ــ وبولس الرسول يحدد الدينونة بيوم معين يصفه للوثنيين ببساطة هكذا:

«فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل (إنسان) قد عيَّنه مُقدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات.» (أع١٧: ٣٠و٣١)

ــ ويحدد بولس الرسول هذا اليوم الذي للدينونة بيوم ظهور المسيح هكذا:

«أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح **العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته...**» (٢تي ٤ : ١)

ــ علماً بأن عقيدة الإيمان بدينونة الأعمال مع القيامة هي راسخة في إيمان الكنيسة منذ أيام الرسل:

«قيامة الأموات والدينونة الأبدية.» (عب٦ : ٢)

ــ كما استقر الإيمان الأول في الكنيسة بأن المسيح كـ«ربّ» هو الذي سيضطلع بالدينونة وذلك من فم المسيح نفسه:

«هذا أقامه الله في اليوم الثالث؛ وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات. **وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعيَّن من الله ديَّاناً للأحياء والأموات.**» (أع١٠: ٤٠ــ٤٢)

وق. يوحنا يقدم نفس التعاليم موضحاً دينونة الأحياء بأنها فرصة التوبة وإعطاء الحياة الأبدية المعتبرة القيامة الأُولى في الآية (٥ : ٢٥)، وموضحاً دينونة الأموات معبِّراً عنها «بالذين في القبور». إنها الدينونة التي بلا خلاص ولا توبة حيث الحكم الأخير، فهي قيامة يتميز فيها الذين قبلوا الحياة الأبدية بالإيمان عن الذين ضاعت عليهم فرصة الحياة برفضهم للإيمان.

وقد مهد ق. يوحنا لسلطان المسيح على الأحياء والأموات في الآية (٢١) بقوله: «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَنْ يشاء». هنا سلطان المسيح واضح في قوة القيامة من الأموات التي تلازمها الدينونة، وفي قوة إعطاء الحياة لمَنْ يشاء التي تختص بدعوة

أموات الخطية للقيامة الأُولى لنوال الحياة الأبدية من الآن.

على أن ق. يوحنا يزيد رسالة المسيح الأساسية وضوحاً **بالنسبة للمختارين** سواء في حياتهم الآن أو في قيامتهم من الموت هكذا: «وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُتلف منه شيئاً بل أُقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه مشيئة الذي أرسلني أن كل مَنْ يرى الابن θεωρῶν (رؤية إيمان بالروح) ويؤمن به تكون له حياة أبدية (من الآن) وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٣٩و٤٠)

ويزيد المسيح نفسه تأكيداً لقوة الحياة والقيامة التي ينالها مَنْ يؤمن به، وذلك بفاعلية سر التناول من جسده ودمه الذي يرسّخ فيه قوة الحياة والقيامة من الأموات ــ وهو المسمّى عند الآباء «ترياق عدم الموت» ــ هكذا:

«مَنْ يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٥٤)

لهذا ربطت الكنيسة بحسم بين سر الإفخارستيا (المؤسس على الموت والقيامة) وسر غفران الخطايا، باعتبار أن غفران الخطايا هو التمهيد الحتمي للانعتاق من الدينونة و بالتالي لنوال الحياة الأبدية في القيامة.

وإن كان ق. يوحنا لم يحدد «قيامة الأجساد» بالنص إلا أنه لمّح لها بقوله: «الذين في القبور» حيث القبور μνημείοις تعني «غرفة **حفظ** الجسد» في المنطق اللغوي للكلمة، وقد اختارها ق. يوحنا عن الكلمة الأخرى τάφος التي تعني «مكان **سكنى** الموتى»، وهو تعبير غير واقعي وغير روحي. ولكن الأجساد سواء في مفهوم القديس بولس أو القديس يوحنا ليست مادية وإن كانت على صورتها:

«هكذا أيضاً قيامة الأموات يُزرع في فساد، و يُقام في عدم فساد؛ يُزرع في هوان، ويُقام في مجدٍ؛ يُزرع في ضعف، ويُقام في قوة؛ يُزرع جسماً حيوانياً و يُقام **جسماً روحانياً**. يوجد جسم حيواني، ويوجد **جسم روحاني**.» (١ كو١٥: ٤٢ــ٤٤)

ولكن واضح و بالنهاية أن ق. يوحنا صبَّ كل اهتمامه في كل هذه الآيات على قدرة المسيح الحالية في إعطاء حياة أبدية لموتى الخطية؛ ولهؤلاء أسَّس عن قصد واهتمام بالغ سر الجسد والدم ليسند فعل إيمانهم بهذا العمل السري الفائق عن التعبير. لذلك، وفي ختام هذه الآيات، نود لو نلفت النظر لخطورة التأكد من رسوخ فعل الإيمان بالمسيح الذي يكون له شهادة في الإنسان حسب

تعبير ق. يوحنا ، وهذه الشهادة هي في الإحساس بالحياة الأبدية وفعلها الفائق لجعل الحياة تسمو فوق الطبيعة البشرية ولها برهانها الصادق : نصرة وفرح دائم مع شهادة .

ولا ينخدع الإنسان المسيحي بأن له إيماناً بالمسيح وهو لا يعيش هذه الحياة ، لأنه سينخدع حتماً وبالتالي بأن له أعمالاً صالحة تظهر في عينه أنها صالحة وهي ليست كذلك في عين الله . ويكفي ليقظة الضمير أن نضع هذه الآية أمام كل قارىء ليلتفت إلى نفسه :

«**أنا عارف أعمالك**، أن لك اسماً **أنك حي وأنت ميت**. كُنْ ساهراً وشدّد ما بقي الذي هو عتيد أن يموت **لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله**. فاذكر كيف أخذت، وسمعت، واحفظ وتُبْ فإني إن لم تسهر أقدِم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدِم عليك» (رؤ٣: ١ــ٣).
وهذا نموذج من دينونة المسيح للضمير في الحياة الحاضرة. وطوبى لمَنْ يقع تحت هذا الصوت...

٥: ٣٠ «أنا لا أقدرُ أن أفعلَ من نفسي شيئاً. كما أسمعُ أدينُ. ودينونتي عادلةٌ، لأني لا أطلبُ مشيئتي، بل مشيئةَ الآب الذي أرسلني».

«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً» :

المسيح ينتقل هنا من التكلم بصيغة «الابن» في الآيات السالفة إلى التكلم بصفته الأنا « Ἐγώ » .

نرجو الرجوع لشرح الآية (١٩) لأن فيها الإفادة كاملة عن عمق هذا المعنى ومغزاه اللاهوتي (راجع ص ٣٤٥ــ٣٤٩).

«كما أسمع أدين» :

إذا لم نحسن فهم معنى هذا القول سينحرف بنا المعنى إلى مفهوم خاطىء سقط فيه كثيرون ممن تعرضوا لشرح هذه الآية ــ قدامى ومُحْدَثين ــ إذ قالوا باعتماد الابن اعتماداً كاملاً على الآب. ولكن واقع التساوي المطلق بين الابن والآب لا يجيز قول الاعتماد. فالحقيقة أن الآب يدين والابن ينفذ الدينونة، والعلاقة **بين الفعل غير المنظور لنا عند الآب ــ يدين ــ والفعل المُنَفَّذ المنظور لنا عند الابن كمنفّذ للدينونة** هما فعل واحد ليس بينهما أعلى وأدنى، أو واحد منهما أصلي والثاني مقلّد، أو الأول أمر والثاني طاعة عمياء. ولكن الفارق الوحيد هو أن **الأول غير منظور، عند الآب؛ والثاني أصبح منظوراً بالابن**. ويلزمنا أن نزيد الأمر هنا وضوحاً. فكل فعل وفكر ومشيئة وتدبير عند الآب يقوم الابن أولاً باستعلانه للمنظور، ثانياً بتنفيذه عملياً في واقع

الإنسان. وبين الفعل وتنفيذه والفكر واستعلانه والمشيئة وتكميلها والتدبير وإخراجه لحيز الوجود المنظور تساوٍ كامل ومطلق في القوة والحكمة والمعرفة. لذلك لا يصح ولا يجوز أن نقول إن الابن يعتمد في عمله أو كلامه أو تعليمه على الآب. وإلاَّ لزم أن نقول بالتالي أن الآب يعتمد على الابن بنفس المقدار، لأنه إن كان الابن يعتمد على الآب في معرفته لكيفية العمل والقول، فالآب يعتمد على الابن في كيفية التنفيذ الدقيق الكامل. ولكن الأصح أن لا نقول بالإعتماد أحدهما على الآخر، بل نقول بالإتفاق المطلق والتساوي المطلق بين عمل الآب وعمل الابن. فالمشيئة واحدة والعمل واحد والفكر واحد والكلمة واحدة عند الآب والابن، ولكنها غير منظورة لنا عند الآب ومنظورة لنا بالابن. فالابن يرى ما عند الآب وينفذ أمامنا ما يره. والابن يسمع ما عند الآب ويقول لنا ما يسمعه. والابن يعرف مشيئة الآب ويكمل المشيئة كما هي.

وهنا يتحتم أن نفهم أن «القدرة» على تنفيذ كل ما عند الآب تنفيذاً كاملاً تاماً يستلزم نفس «القدرة» التي عند الآب، وإلا ما استطاع المسيح أن يُخرج إلى حيز الوجود والعمل كل ما يريده الآب ويشاءه!! وهذه هي رسالة الابن — بحسب قدرته المساوية للآب — أن يعرِّفنا بالآب ويستعلن لنا كل ما عند الآب، لأنه لا توجد خليقة كائنة ما كانت، سواء رؤساء ملائكة أو ملائكة أو أنبياء، يستطيعون أن يعرفوا أو يروا الله **كما هو**، أو يدركوا مشيئته **كما هي**، أو يسمعوا صوته، أو يفهموا **حكمته**، سوى الابن الوحيد. لذلك يقول المسيح نفسه: «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.» (يو ١ : ١٨)

«دينونتي عادلة»:

قالوا إن العدالة هنا يستمدها المسيح من الله. ولكن لو صحَّ هذا لفقدنا وظيفة المسيح في حد ذاتها. لأنه إن كان الله هو الذي سيدين بدون المسيح فمَنْ سيخلص؟ المسيح هنا له دور فعَّال في الدينونة، ليس معنا بل مع الله أبيه أولاً. فقد تبوأ مركزاً جديداً أمام الله الديَّان من واقع تجسده وموته الكفاري، وهو دور التشفيع! وشفاعة المسيح ليست كلامية بل كدافع ديون! فقد استطاع المسيح بتقديم ذبيحة نفسه من أجل الخطاة أن يطالب باستحقاق براءة موكليه بمقتضى الدم المسفوك المتكلم والمُطالِب بأقصى حدود الرحمة أمام قضاء الله على العصاة. **والآب ارتضى بالمسيح مُصالِحاً، وقد وكَّله رسمياً أن يصالح له العالم بدم صليبه**. فمن المداولة، **يسمع المسيح من الآب** الحكم وينطقه. ولكن ما أعدلها دينونة، تلك التي تعتمد في نُطقها على شفاعة الدم المسفوك.

«لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني»:

مشيئة المسيح هي، كليًّا وجزئياً، أن يصنع مشيئة الآب: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يو٤: ٣٤). وأما ما هي مشيئة الآب فهي هكذا: «هذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُتلِفُ منه شيئاً، بل أُقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كلَّ مَنْ يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٣٩و٤٠). فإن كانت مشيئة الآب هكذا تنسجم انسجاماً بديعاً مع إرادة الابن الذي أخذ على عاتقه تنفيذها بكل قدرته وقوته، ثم إن كانت مشيئة الآب هكذا حِفْظ أولاده من الشرير وهذا كان هو هو عمل الابن الوحيد، فقد تطابقت مشيئة الآب على عمل الابن، والنتيجة هي ارتفاع عدالة الدينونة بعمل الابن.

ولكن هذه العدالة المُعتمِدة أساساً على شفاعة دم المسيح، هي بدورها شديدة الوطأة على الرافضين. صحيح أن اليهود الذين يخاطبهم المسيح هنا كان فكرهم خالياً من موضوع الدم والشفاعة، ولكن لم يكن فكر المسيح يخلو منه ولا فكر كاتب الإنجيل. فدينونة المسيح العتيدة تستمد قوتها بل رحمتها من قضية الصليب وهكذا الموت التعسفي الذي جازه وحيثيات الحكم الذي اتخذه المسيح أساساً لتبرئة الخطاة:

ـــ «مَنْ سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرِّر، **مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله** ـــ (تعادل القضاة) ـــ الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو٨: ٣٣و٣٤)

القسم الثالث من الأصحاح الخامس

الشهادة للابن: من المعمدان، من الآب، من الأعمال، من الأسفار
(٥: ٣١-٤١)

المسيح يدعم مركزه الإلهي كديان بالشهادة أمام اليهود،
والقديس يوحنا ينتفع من وراء ذلك بتدعيم الإيمان بالمسيح لدى المؤمنين.

٥: ٣١ **«إن كنتُ أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً».**

يُلاحَظ في إنجيل يوحنا أن الشهادة تأتي دائماً مدعَّمة بالدينونة. لقد كانت الآيات السالفة مرتكزة على محور الدينونة. والآن ينتقل المسيح من استعلان عمله كديَّان إلى تدعيم هذا العمل الإلهي بالشهادة. وبادىء ذي بدء، فالمسيح كما سنرى لا يقبل الشهادة من إنسان (٥: ٣٤) تماماً كما أنه **لا يقبل مجداً** من إنسان (٥: ٤١).

هذا له معنى لدى المسيح، سواء طرحه أمام اليهود أو طرحناه نحن على مستوى اللاهوت، لأن الذي يعتمد على شهادة الناس يحتاج إلى الناس و يعتمد عليهم، وهذا لا يستقيم عند المسيح ولا يستقيم لاهوتياً.

ولكن أيضاً إن كان المسيح يشهد لنفسه أمام اليهود، فهو يضع نفسه تحت معايير أحكامهم بالقبول أو الرفض، فيظهر كمَنْ يبحث عن أو يطلب استحسانهم أو موافقتهم، وكأنه يطلب مجداً من الناس لنفسه.

لذلك، **فلكي يكون المسيح** حرًّا من الناس ــ وهو بالحق كذلك ــ رفض أيضاً أن يشهد لنفسه أمامهم، مع أنَّ له الحق أن يشهد لنفسه (٨: ١٤) وقد أعطى المبرِّر لذلك في حينه.

وهكذا رفض المسيح أن يقبل شهادة من أحد، كما رفض أن يشهد لنفسه، ولم يحسب مجداً من الناس أمراً يهمُّه!

أما قول المسيح «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً»، فهذا يعني به أنها ليست حقاً لدى اليهود وحسب معاييرهم، ناموسيةً كانت أو عُرفيةً. لأننا نعلم بحسب الحق أن شهادة المسيح هي الحق بعينه.

ولكن المسيح هنا يقطع خط الرجعة على المتشككين والرافضين، فلا يعطيهم فرصة للمعارضة. ولا يسمح لهم أن يظنوا عنه أنه يطلب أن يتمجد في أعينهم! أي في عين بشر. وهنا يظهر بوضوح حذر المسيح من أن يجعل خط استعلانه الإلهي سواء للآب أو لنفسه أن يتداخل فيما هو بشري. فالحق الإلهي كالمجد الإلهي، ليس في عوزه إلى ما هو بشريّ قط.

ولكي نتأكد من هذا الأسلوب الإلهي الذي يسير عليه المسيح، يمكن أن نسمعه وهو يؤكد ذلك من وجهة نظره الحرّة هكذا: «فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك، شهادتُك ليست حقاً» — (بحسب العرف والناموس اليهودي الإنساني) — فكان رد المسيح مُفحماً هكذا: «أجاب يسوع وقال لهم وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب، وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا إلى أين أذهب» (٨: ١٣و١٤). هنا المسيح يقول ما معناه: وإن كنتُ أرفض أن أشهد لنفسي بحسب معيار العالم الذي ينظر إلى مَنْ يشهد لنفسه على أنه يطلب مجد نفسه، إلاّ أني أشهد لنفسي ولكن ليس بحسب معيار العالم الذي لا يعرفني ولا يعرف المجد الذي أتيت منه ولا المجد الذي أنا ذاهب إليه، بل أشهد لنفسي بحسب معرفتي لذاتي من أين أنا وإلى أين أنا!!

٥: ٣٢ «**الذي يشهدُ لي هو آخرُ وأنا أعلمُ أنَّ شهادتَهُ التي يشهدُها لي هي حقٌّ**».

لقد أخطأ مَنْ قال إن المسيح يتكلم هنا عن شهادة يوحنا المعمدان. فشهادة المعمدان — كما سيذكرها المسيح بعد ذلك — وصفها المسيح بأنها كانت مؤقتة وجاءت وكأنها مجاملة أو لتسوية الوضع أمام الفريسيين الذين سألوه. في حين أن المسيح يتكلم هنا عن الشهادة التي تقيم حجّته أنه الديّان!! والتي عليها يبني المسيح أصالة وجوده ورسالته وتعاليمه! وسيجيء ذكرها بالتفصيل بعد ذلك سواء في الآية (٣٧) أو في الأصحاح ١٨:٨.

كذلك يُلاحظ أن الفعل «يشهد» يجيء في زمن المضارع الدائم (ὁ μαρτυρῶν - μαρτυρεῖ)، وهذا لا يستقيم إطلاقاً في حالة شهادة إنسان مثل المعمدان، ولكن يطابق الشهادة من الله.

«وأنا أعلم»:

هنا يأتي الفعل οἶδα الذي يفيد المعرفة الكاملة والمطلقة وهي تختلف عن المعرفة التي تأتي بالبحث والاختبار ἔγνωκα والتي جاءت بعد ذلك في الآية (٤٢): «ولكني قد **عَرَفْتُكم** أنْ ليست لكم محبة الله في أنفسكم».

ويُلاحَظ أن قول المسيح هنا يشير إشارة سريَّة بليغة إلى علاقة المسيح بالآب كونها شخصية وكاملة ومطلقة، وكونها إحدى الثوابت العميقة التي يحياها المسيح في داخله.

«إن شهادته التي يشهدها لي هي حق»:

تأتي بنوع من التعيين والتخصيص، والتي تفيد الإستمرارية ذات الوضوح والبرهان الداخلي والتأكيد الشخصي لدى المسيح. ثم قوله **«إنها حق»** يفيد المعرفة الفائقة بـ**«الأليثيا»**، وهو الحق الثابت الإلهي. ويلزم هنا أن نمتد أكثر لنسمعه يقول عن الآب بالنسبة لليهود أنهم **«لا يعرفونه»** سواء في الآيات ٥: ٣٧و٣٨ أو في الأصحاح ٨: ١٩.

هنا تتضح معرفة المسيح بالآب أنها فوق الناموس والأنبياء والإجتهاد بكل صنوفه، كما يتضح في نفس الوقت علَّة عدم قبول اليهود للمسيح وهي الحجاب الكثيف الذي يحجز اليهود عن التعرُّف على الابن بسبب تغرُّبهم عن **الله الآب**، أي تمسُّكهم بالحرف، فعَمِيَتْ أعينهم عن «الكلمة» بمفهومها وواقعها الحي. وهذا ما أشار إليه المسيح بعد ذلك بقوله: «وليست لكم كلمته ثابتة فيكم.» (٥: ٣٨)

٥: ٣٣و٣٤ «أنتم أرسلتُم إلى يوحنَّا (المعمدان) فشَهِدَ للحق. وأنا لا أقبلُ شهادةً من إنسانٍ، ولكني أقولُ هذا لتخلُصُوا أنتُم».

يلاحظ القارىء المقارنة بين «أنتم» و«أنا». «أنتم» كان يهمكم أن تسمعوا شهادة من إنسان، أما «أنا» فلا أقبل شهادة من إنسان! ولكني أقول ذلك لكي أُذكِّركم بما علمتموه وسمعتموه منه، لأنه قال لكم الحق وشهد له أمامكم، لعلكم تخلصون.

ويظهر حِذْق ق. يوحنا الباهر هنا في أنه ذكر شهادة المعمدان مباشرة في هذه الآية بعد أن ذكر شهادة الآب «آخر» ــ (غير نفسه) ــ في الآية السابقة. وهذا لكي يقطع خط الرَّجعة على مَنْ يفكر أن المسيح بقوله: **«آخر»** كان يقصد المعمدان. ولكن للأسف لم ينتبه كثير جداً من الشراح لهذه اللفتة.

والسبب الذي أغوى الشُّرَّاح في الخلط بين الـ«آخر» وهو الآب وبين شهادة المعمدان، هو أن المسيح ألمح لشهادة الآب بلغة خاصة وسرية إلى حد ما. لأن كلمة «آخر» هي في الحقيقة تكملة لـ«أنا» أي أنها شهادة اثنين «**أنا والآخر**». والعجيب أن يظن الشراح أن الآخر هو المعمدان! فهل المعمدان يمكن جمعه مع «أنا» المسيح لتكون شهادة واحدة حسب الحق؟

«أنتم أرسلتم... فشهد»:

يلاحظ هنا في الوضع التاريخي للشهادة التي أعطاها ق. يوحنا، أنها جاءت في الماضي بكل ملابساتها؛ صحيح أنه شهد للحق، وهذا كان يلزم أن يؤول إلى إيمان اليهود بالمسيح ليخلصوا. ولكن شهادته انتهت، ونُسِيَ المعمدان، ونُسيت شهادته، وذلك بالنسبة للفريسيين الذين يبحثون عن الحق عبثاً. شهادة المعمدان بصفته المُرْسَل من الله للشهادة كانت بحسب الحق تماماً، وهذا يوضح أن اليهود عثروا ليس فيمَنْ شهد له المعمدان بالحق، أي المسيح، ولكنهم أيضاً عثروا في الله الذي أرسل المعمدان ليشهد للحق، وبالضرورة عثروا في الحق ذاته، فصارت شهادة المعمدان ضدهم: «جميع الشعب إذ سمعوا والعشارون برَّروا الله، معتمدين بمعمودية يوحنا. **وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه.**» (لو٧: ٢٩و٣٠)

٥: ٣٥ **«كان هو السراجَ المُوقَدَ المُنيرَ وأنتم أردتم أن تبتهجُوا بنورِهِ ساعةً».**

«كان» فعل ماضٍ أي «ليس هو الآن»، ربما في السجن أو قد مات، ولكن على كل حال قد توقف عن الإشتعال والإنارة. «**لم يكن هو النور**» على كل حال «**بل جاء ليشهد للنور**»، فالمصباح يُوقَدُ لكي ينير، ولكنه لا ينير من ذاته. والمصباح يستهلك ذاته، فالنور الذي يعطيه وقتي وإلى زمن محدود.

«وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة»:

هنا الكلام سرِّي للغاية، فالمسيح يراجع اليهود لأنهم ظنُّوا المعمدان أنه المسيا، وهكذا برزت الإرادة البشرية الخاطئة محاولةً أن تُلزم الإرادة الإلهية أن يكون هو المسيَّا، وقد هلَّلوا له، مفتعلين البهجة للخلاص الكاذب «**ساعة**»، في حين أن بهجة الخلاص «**أبدية**». وهكذا تبدو الإشارة هنا سرِّية حزينة وخطيرة للغاية بخصوص سجن المعمدان وموته السريع جداً، أليس خطأهم الشنيع في التعرُّف على النور الحقيقي وجَعْلُهم المعمدان نوراً عِوَض كونه شاهداً للنور هو الذي أسرع بإنهاء رسالة المعمدان؟ أرادوا، بعناد قلبهم وزَيفْ رؤياهم، أن يبتهجوا بنوره ساعة ففقدوه إلى الأبد؟ لقد شهد المعمدان نفسه أن نور مصباحه يلزم أن ينقص ليزداد النور الحقيقي، ولكنهم أرادوا أن

يشعلوه بزيادة فانطفأ بين أيديهم!! وعِوَض أن يؤمنوا بشهادته ليخلصوا، عثروا في نوره فانْعَمَتْ بصائرهم عن الحق الذي شهد له.

٥ : ٣٦ «وأما أنا فلي شهادةٌ أعظمُ من يوحنَّا لأن الأعمالَ التي أعطاني الآبُ لأُكمِّلَها، هذه الأعمالُ بعينها التي أنا أعْمَلُها هي تشهدُ لي أنَّ الآبَ قد أرسلني».

الأعمال عند المسيح يضعها في أعلى وأقصى اهتماماته، فهي برهان إرساليته والأساس الذي يبني عليه رسالته:

+ «الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي.» (يو١٠: ٢٥)
+ «أعمالاً كثيرة حسنة أرَيْتُكم من عند أبي.» (يو١٠: ٣٢)
+ «إن كنتُ لست أعمل أعمال أبي، فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه.» (يو١٠: ٣٧و٣٨)
+ «الآب الحالُّ فيَّ هو يعمل الأعمال. صدقوني إني في الآب والآب فيَّ، وإلاَّ فصدِّقوني لسبب الأعمال نفسها.» (يو١٤: ١٠و١١)
+ «لو لم أكنْ قد عملتُ بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي.» (يو١٥: ٢٤)
+ «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله.» (يو٤: ٣٤)
+ «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته.» (يو١٧: ٤)

فالأعمال عند المسيح في الواقع تغطي حياته على الأرض كمُستعلِن لله الآب. وكلها تصبُّ في اتجاهين متقابلين: الدينونة، وإعطاء الحياة؛ وهما محور رسالته بكل ما تشمله من تعليم وصُنْع آيات أي بالقول والفعل، وهذه هي بعينها شهادته التي يشهد بها على الدوام. وهذه هي التي يقول عنها أن له شهادةً أعظم من يوحنا.

فالعمل عند المسيح شهادة متواصلة، يشهد بها وتشهد له، فهي الحق والحق شهادة بحد ذاته! لذلك فكل كلمة وكل فعل في المسيح يحمل عنصراً إيمانياً لأنه يحمل الحق. فإذا توافق مع الفكر، اهتز له القلب في الحال وتجلَّى المسيح بالإيمان. من هنا كان اهتمام المسيح بتكميل الأعمال التي أعطاه الآب بالغَ الحد، لأنها كما قلنا تشهد له أبلغ شهادة ليس في آذان الناس بقدر ما في قلوبهم. لذلك صحَّ القول: «مَنْ قَبِلَ شهادته (أي آمن بالقول والعمل) فقد ختم أن الله صادق.» (يو٣: ٣٣)

وهذا عجيب جداً وجدير بنا أن نلتفت إليه، **فإيماننا بالمسيح هو بعينه تصديق الله**، بمعنى أنه يمجد الله أيضاً: «هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه، مَنْ يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. مَنْ لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه.» (١يو٥: ٩و١٠)

هنا أيضاً جدير بنا أن نلتفت إلى قوة الكلام، فالذي يؤمن بابن الله يصبح وله شهادة في قلبه مدموغة بصدق الله ولا يعود في حاجة أن يطلب مزيداً من شهادة أو مزيداً من تأكيد. فالإيمان بالمسيح يحمل تأكيده فيه لأنه هو شهادة صدق الله. وهل ممكن أن يكون فوق شهادة صدق الله شهادة تصديق أيضاً؟

والمسيح يؤكد لنا ذلك بقوة وفي سرٍّ، لكل مَنْ ينفتح قلبه ليفهم: «أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته (مشيئة الله) يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي. مَنْ يتكلم (و يعمل) من نفسه يطلب مجد نفسه وأما مَنْ يطلب مجد الذي أرسله فهو "صادق" وليس فيه ظلم.» (يو٧: ١٦—١٨)

«الأعمال التي أعطاني الآب لأُكملها»:

+ «الأعمال التي **أعطاني** δέδωκεν الآب.» (يو٥: ٣٦)

ق. يوحنا يختص بالتشديد على **«العطاء»** في علاقة الآب بالابن(١٤):

+ «الآب يحب الابن وقد دفع δέδωκεν كل شيء في يده.» (يو٣: ٣٥)
+ «يسوع وهو عالم أن الآب **قد دفع** ἔδωκεν **كل شيء إلى يديه** وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي...» (يو١٣: ٣)
+ «الآب لا يدين أحداً، بل **قد أعطى كل الدينونة للابن.**» (يو٥: ٢٢)
+ «**وأعطاه سلطاناً أن يدين** أيضاً لأنه ابن الإنسان.» (يو٥: ٢٧)
+ «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك **أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته.**» (يو٥: ٢٦)
+ «وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني، **أن كل ما أعطاني (المختارون) لا أتلف منه شيئاً بل أُقيمه** في اليوم الأخير.» (يو٦: ٣٩)

---

(١٤) راجع المدخل ص ٢١١.

+ «**إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل مَنْ أَعْطَيْتَه.**» (يو١٧: ٢)
+ «**العمل الذي أعطيتني** لأعمل قد أكملتُه.» (يو١٧: ٤)
+ «أنا أظهرتُ اسمك **للناس الذين أعطيتني** من العالم. كانوا لك، وأعطيتَهم لي.» (يو١٧: ٦)
+ «كنت أحفظهم **في اسمك الذين أعطيتني.**» (يو١٧: ١٢)
+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، **لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.**» (يو١٧: ٢٤)
+ «الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم.» (يو١٢: ٤٩)

لكي نفهم مستوى فعل العطاء بين الآب والابن يلزم أن نفهم أن العطاء من الآب إلى الابن هو بالأساس للإستعلان ثم للتكميل(١٥).

فعملُ الآب يعطيه الآب للابن، ليُخْرجه إلى حيز الوجود. لذلك فعمل الابن هو استعلان بالفكر والفعل لنفس عمل الآب على مستوى التنفيذ. فكل شيء وكل عمل وكل مشيئة هي عند الآب غير منظورة، والآب يعطيها للابن ليُظْهِرَها، أو يعطي الابن أن يُظْهِرَها و يُعلنها على مستوى الفعل والواقع المنظور.

لذلك، فالأعمال عند الآب والابن هي واحدة، غير منظورة عند الآب ومنظورة بالابن. من هذا نفهم أن **«العطاء»** في الله من الآب للابن لا يفيد الأخذ بالنسبة للابن بمفهومه السالبي، كما لا يفيد التكليف بنوع الأمر من الأعلى للأقل بل هو للتكميل فالابن يكمل عمل الآب.

واضح هنا الهدف من إعطاء الآب الأعمال للابن، حيث كلمة **«يكمّلها»** هنا تفيد التكميل حتى النهاية أو حتى الكمال τελειώσω . إذن، فليس مجرد التكميل ولا مجرد النهاية، بل المعنى يتضمن **بلوغ النهاية الحقيقية**، فالعمل ليس للتكميل بل **للكمال! أي يكمّلها كمالاً وليس تكميلاً.** وهذا الأسلوب العجيب الذي اختص به ق. يوحنا يجعلنا نرى الأعمال التي يعملها الابن دائماً في مستوى **«الكمال المسيحي»** «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه (كمالاً) τελειώσας .» (يو١٧: ٤)

ـــ «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا **مكمَّلين** (كمالاً) τετελειωμένοι إلى واحد.» (يو١٧: ٢٣)

(١٥) أنظر شرح أصحاح ١٧: ٨و٩.

ــ «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كَمَلَ (كمالاً) τετέλεσται ، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان.» (يو١٩ : ٢٨)

و يشترك القديس بولس في سفر العبرانيين في هذا الأسلوب من جهة الكمال المسيحي: «لأنه لاقَ بذاك الذي من أجله الكلُّ وبه الكلُّ، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن **يكمِّل** رئيس خلاصهم بالآلام» (عب٢ : ١٠). هنا يرتفع مفهوم الآلام إلى مستوى بلوغ الكمال!
ــ «وإذ **كُمِّل**، صار لجميع الذين يطيعونه سبَبَ خلاص أبدي.» (عب٥ : ٩)

٥ : ٣٧و٣٨ «والآب نفسه الذي أرسلني هو يشهد ــ (قد شهد)(١٦) ــ لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته وليست لكم كلمته ثابتة فيكم لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به».

المسيح ينتقل من شهادة الأعمال التي يعملها، وهي نفسها أعمال الآب، إلى شهادة الآب نفسه بصورة مباشرة: «لأني لستُ وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني» (يو٨ : ١٦). وهو يعود و يكرر ذلك في نفس الأصحاح بقوله: «الذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يو٨ : ٢٩). لذلك فمن المستحيل أن نتصور الابن وحده بدون الآب بأي حال من الأحوال.

لذلك حينما يشهد الابن لنفسه، تكون شهادة الآب مع شهادته حتماً: «أنا هو الشاهد لنفسي و يشهد لي μαρτυρεῖ الآب الذي أرسلني» (يو٨ : ١٨). هكذا تأتي شهادة الآب في الأصحاح الثامن في صيغة الفعل المضارع الدائم.

أما شهادة الآب في الآية التي نحن بصددها فقد جاءت بالفعل الماضي (٥ : ٣٧) = μεμαρτύρηκεν ، وهي الشهادة الذي شهد بها الله على فم الأنبياء كما جاءت في الأسفار المقدسة، والتي انتهت بشهادة المعمدان، والتي على أساسها ذكر المسيح **«كلمة الله»** ــ في الأسفار ــ موبخاً اليهود أنهم لم يثبتوا فيها: «وليست لكم **كلمته** ثابتة فيكم» (يو٥ : ٣٨)، كذلك عاد فذكر الأسفار بوضوح في الأصحاح العاشر قائلاً إنها تشهد له (١٠ : ٣٥).

(١٦) الترجمة العربية هنا يلزم أن تُصحَّح: فهي في اليونانية جاءت في الماضي التام: **«قد شهد»** μεμαρτύρηκεν .

٥ : ٣٧و٣٨ «لم تسمَعُوا صوتَهُ قطُّ ولا أبْصَرتُم هيئتَهُ. وليست لكم كلمتُهُ ثابتةً فيكُم، لأنَّ الذي أرسَلَهُ هو لستُم أنتم تؤمنونَ بهِ».

المسيح يبدأ هنا يستعلن ذاته على أنه هو هو صوت الآب وهيئته، وكلمته أيضاً، ولكن ليس بالعيان بل بالإيمان؛ ليس برؤية العين وسماع الأذن التي انحبست في الماديات، وإنما بالعين الروحية التي يمكن أن ترى الله في المسيح، والأُذن الروحية المفتوحة على صوت الله في المسيح الذي هو الوعي المسيحي. فاليهود إذ رفضوا المسيح، **رفضوا صوت الله**، وانحجب عنهم الله واختفى من محيط حياتهم لما عجزوا أن يتحققوا من المسيح. أما كلمته ــ التي بَثَّها في الأسفار ــ فضاعت من متناول إدراكهم.

المسيح يوضح هنا أن قبول «إرسالية المسيح» هو بعينه الانفتاح على صوت الله وكلمة الله وهيأته، وإرسالية المسيح مثبتة وواضحة في الأسفار المقدسة، والمسيح هو نفسه كلمة الله في الأسفار. فلو كانوا أخلصوا للأسفار المقدسة وثبتوا في كلمة الله، لكان من السهل عليهم أن يؤمنوا بالمسيح. والتأكيد هنا على الشهادة، شهادة الله للمسيح التي أكملها لهم في الأسفار المقدسة.

٥ : ٣٩ «فتِّشوا الكتبَ لأنكم تظنونَ أنَّ لكم فيها حياةً أبديةً وهي التي تشهدُ لي».

هنا بلغ المسيح نهاية التوضيح. فاللوم عليهم شديد، لأنهم وهم متخصصون في البحث في الأسفار المقدسة وشرحها وتأويلها، كيف بعد هذه السنين كلها من البحث والتفتيش لم ينفتح ذهنهم على سر الحياة الأبدية الكائنة في الأسفار ليدركوا منها الأمور المختصة بالمسيح؟ فالشهادة التي تقدمها الأسفار للمسيح غزيرة وواضحة: «ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لو٢٤ : ٢٧). فالأسفار المقدسة هي بحد ذاتها استعلان كامل للمسيح، وهي لم تترك شيئاً من حياته وأعماله وموته وقيامته والخلاص الذي أكمله بالفداء بذبيحة نفسه إلاَّ وتعرضت له في أكثر من موضع. إن شهادة الأسفار للمسيح تكاد تكون صورة كاملة طبق الأصل من حياته وأعماله:

ــ «لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سُرِرْتُ به. ونحن سمعنا هذا الصوت مُقْبلاً من السماء إذ كُنَّا معه في الجبل المقدس. **وعندنا الكلمة النبوية وهي أَثْبَتُ، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مُظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم. عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة**

إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط١: ١٧ــ٢١)

و يعود القديس بطرس لموضوع البحث والتفتيش في الكتب وفي الزمان عن المسيح هكذا:

ــ **«الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أوما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق (بالنبوَّة)، فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.»** (١بط١: ١٠و١١)

«فتشوا»: ἐρευνᾶτε

في المعنى اليوناني تدل على الفحص الدقيق الشديد المثابر للأسفار، الذي يتجه ناحية التأويل والتفسير الروحي والسرِّي للمدراش. وللتدليل على هذا المعنى نأتي بقول للعلامة الفريسي اليهودي هلّليل: [قد اعتاد هلّليل القول: مزيدٌ من التوراة، مزيدٌ من النار!! من اقتنى كلمات التوراة، اقتنى لنفسه حياة الدهر الآتي](١٧). ويتمادى العشق القلبي والفكري بكلمات التوراة عندهم حتى قالوا: [إن التعرُّف على الله في التوراة، حتى ولو لم يكن مصحوباً بتوبة، يجعلها تعطي غفراناً للخطايا](١٨). طبعاً خطأ لأن التعرف على الله يأتي ومعه التوبة.

المسيح لا يقول لهم «فتشوا»، لكي يبدأوا و يفتشوا؛ بل هو يراجع عليهم مهنتهم في المعرفة وجهادهم في الدراسة التي كلها باءت بالفشل. لقد ظنوا أن في الحرْف ــ الناموس ــ حياة فاشتبكوا مع الموت ــ (كسر السبت) ــ وما قاموا ولا استقاموا. ولم تأتِ مراجعة الرب لهم من فراغ، لقد واجههم بالعلَّة القاتلة التي قتلت فيهم حاسة الكلمة والحياة والروح: «ليست لكم محبة الله في أنفسكم» (٥: ٤٢). وليس هذا فقط بل: «وتقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه.» (٥: ٤٤)

والمسيح يضمِّن اتهامه حقيقة مخفية غاية في الأهمية وهي: إن كونهم قد أخفقوا أن يسمعوا صوت المسيح يعني أنهم أخفقوا في أن يسمعوا صوت الله في الأسفار!! وهذا عودة مرة أخرى للآية (٢٤): «الحق الحق أقول لكم: إن **مَنْ يسمع كلامي** و يؤمن بالذي أرسلني **فله حياة أبدية**». اليهود كانوا يبحثون عن الحياة الأبدية بواسطة تفتيشهم للأسفار. كانوا يجرون وراء صوت الله! وها هوذا صوت الله في فم المسيح؛ ولكنهم لأنهم لم يكونوا على مستوى صوت الله في الأسفار لم يجدوه، فعثروا في صوت المسيح ولم يتبيَّنوه!

---

17 Westcott, *op. cit.*, p. 91.

18 Ibid.

٥ : ٤٠ «ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة»!

المسيح هنا ينبههم، وكأنه يقول لهم إنتبهوا، شهادة الله لي في الأسفار لا تزال قائمة أمامكم، إنتبهوا، أنا هو صوت الله!! لا تفوّتوا الفرصة على أنفسكم، تعالوا لأن عندي حياة لكم!! الحياة الأبدية التي تفتشون عليها في الأسفار هي معي، هي فيَّ، هي أنا: «فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا.» (١يو١: ٢)

«ولا تريدون... لتكون لكم حياة»:

إنها أخطر جريمة يقترفها الإنسان ضد نفسه! حينما يشعر بالدعوة للعودة إلى الله، و يكون باب الحياة قد فُتح أمامه، والصوت يدعوه مُلحّاً في الدعوة، مُشْفِقاً، مُشجعاً، مُتوسلاً!! فتقف الإرادة لتَسُدَّ منفذ الحياة، مُتعلِّلة بعلل كلها الضلال والموت بعينه!!

٥ : ٤١ «مجداً من الناس لستُ أقْبَلُ».

تتمشى الشهادة مع المجد في إنجيل ق. يوحنا سلباً وإيجاباً. المسيح لا يقبل شهادة من الناس لذلك لا يقبل المجد أيضاً من الناس. لأن كِلاَ الوصفين يستلزم الإعتماد على الإنسان والخضوع لمعايير البشر.

المسيح يطرح هذه الآية أمام اليهود تأميناً لهم حتى يأتوا إليه. فهو لا يطلب المجد لنفسه ولا يقبله من أحد، ولكن يطلبهم هم ليُقْبلوا إليه. المسيح يكرر بأسلوب آخر ما سبق أن قاله «وأنا لا أقبل شهادة من إنسان. ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم.» (يو٥: ٣٤)

القسم الرابع من الأصحاح الخامس

أسباب عدم إيمان اليهود

(٥:٤٢ـ٤٧)

٥:٤٢ «ولكني قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم».

تسلسل الأفكار يأتي هكذا: المسيح لا يقبل المجد من الناس، لأن مجد المسيح الوحيد هو مع الآب وفيه. ولا أحد يستطيع أن يأتي إلى المسيح إن لم يجتذبه الآب أولاً. اليهود **«لا يريدون»** أن يأتوا إلى المسيح، لأن الآب لا يجتذبهم، والآب لا يجتذبهم لأنهم ليست لهم محبة الله في أنفسهم. لو كانوا أحبوا الله، لجاءوا إلى المسيح بإرادتهم. لذلك، فرفضهم للمسيح علامة على أنهم في عداوة مع الله. لقد أصابهم المسيح هنا في مقتل!!!

«عرفتكم»: Εγνωκα

عن اختبار ويقين، المسيح هنا يستعلن مخبآت قلوبهم، المخفية ليس عن عين الله بل عن أعينهم هم!! فالفاقد لمحبة الله لا يعلم أين يسير، لأن الظلمة قد أعمت عينيه!!

«في أنفسكم»:

المحبة موجودة حتماً في أفواههم وفي محفوظاتهم ونصوص إيمانهم، فهي أولى الوصايا. ولكن المسيح فحص أنفسهم فلم يجدها!! وإذا غابت المحبة عن القلب، سكنت البغضة: «وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب.» (يو١٥: ٢٤و٢٥)

٥:٤٣ «أنا قد أتيتُ باسم أبي، ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه، فذلك تقبلونه».

تغرُّب اليهود عن محبة الله أفقدهم القدرة على التعرف على المسيح لما جاء باسم الآب، مع أن **«قوة الاسم»** عاملة في المسيح، ولها برهانها القوي في تعاليم المسيح وأعماله. كيف تغاضى

اليهود عن ذلك؟ هذا في الحقيقة محيِّر لعقولنا للغاية! هذا بالإضافة إلى التحذير المخيف الذي أنذر به الله الذين لا يطيعون المسيّا الآتي والمتكلم باسم الله: «و يكون أن الإنسان الذي **لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به "باسمي"** أنا أطالبه» (تث١٨: ١٩). ولكن فقدان حب الله أفقدهم كل ما هو لله، فلم يَبْقَ لهم إلا ما هو لأنفسهم. لذلك، إن جاءهم مَنْ يتكلم باسم **نفسه**، رأوا فيه أنفسهم فيقبلونه.

٥: ٤٤ «كيف تقدِرُون أن تؤمِنُوا، وأنتم تقبَلُونَ مجداً بعضُكم من بعضٍ، والمجدُ الذي من الإلهِ الواحدِ لستم تطلُبُونَهُ».

«كيف تقدرون أن تؤمنوا»:

الإيمان في أبسط وأقوى صوره هو «تمجيد الله» بالقول والعمل؛ ثمر الإيمان الفاخر هو التسبيح بمجد الله على الدوام. إذا انشغل المؤمن بتمجيد الآخرين ضعفت قوة تسبيح الله من قلبه. والذي انشغل بتسبيح مجد الناس عجز لسانه عن النطق بمجد الله.

فإذا كان انشغال الإنسان بتمجيد الناس هكذا يحطُّ من قدرته على عمل واجبات الإيمان نحو الله، فكم بالحري إذا انشغل إنسان بطلب المجد لنفسه؟

وإذا كان طلب الإنسان المجد لنفسه هكذا يحطُّه عن أداء واجبات الإيمان من نحو الله، فكم أيضاً يكون لو استهان ولم يطلب ولم يُعطِ المجد الذي للإله الواحد؟ ثم أليست هذه هي العلَّة التي أنْهَت على مجد إسرائيل وبني إسرائيل وأتت بالخراب على الهيكل والمدينة والشعب والأُمَّة؟ وأطاحت بالميراث والتراث؟ وعلى الناس أن يختاروا بين مجد الله ومجد أنفسهم!

٥: ٤٥ «لا تظنوا أني أشكُوكُم إلى الآبِ. يوجَدُ الذي يشكُوكُم وهو موسَى الذي عليهِ رجاؤُكُم».

المسيح يُحيل قضية اليهود على محكمة الإختصاص: أي الناموس بقيادة موسى، لأن وظيفة الابن تبقى كمُصالح وشفيع لدى الآب فقط عن الذين يؤمنون به؛ أما مَنْ أخطأ في الناموس وتعدَّى ولم يُعطِ الكرامة لمَنْ له الكرامة، فبالناموس يُدان. وإن كنتم تلاميذ موسى ــ حسب ما تقولون ــ فموسى يُطالب. والمسيح هنا يوقعهم في تناقض مُشين، لأنهم بتصرفهم المُعادي للمسيح وتمسكهم بناموس موسى بآن واحد، يُظهرون ويكشفون تناقضهم. فموسى كتب عن المسيح فكيف

يعادونه، إن كانوا يؤمنون بموسى وإله موسى حقاً ؟

٥: ٤٦و٤٧ **«لأنكم لو كنتم تصدِّقون موسى، لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي».**

موقف خطير للغاية، فالفريسيون يتصرفون كقضاة لناموس موسى، و يطالبون بالتطبيق الحرفي للناموس، الذي بلغوا به إلى المطالبة بموت المسيح بسبب كسر وصية السبت. والمسيح واقف على قمة الناموس بصفته النبي الذي سيقيمه الله بدل موسى رأساً برأس: **«نبياً» «مثلي»**. وهذا الذي عليه ينعقد لواء المرحلة الأخرى للناموس، وهي مرحلة الإنتقال من الحرف للروح، بوصايا وتعاليم وذبيحة أعظم، و بكلام آخر يضعه الله في فمه، يبدو كلامه حينئذ وكأنه مخالف للناموس الأول؛ لذلك احتاط الله وسبق وحكم ضد مَنْ يتمرد على هذا النبي الآخر، فكلُّ مَنْ يسمع ولم يُطِعْ، يقع في الحال تحت حكم الله وليس الناموس «أنا أُطالبه»: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك **مثلي** له تسمعون!... **أُقيم** لهم نبياً من وسط إخوتهم **مثلك**، وأجعل كلامي في فمه، **فيكلِّمهم بكل ما أُوصيه به و يكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به** باسمي أنا **أُطالبه**.» (تث١٨: ١٥—١٩)

والآن يتقدم المسيح دعواه ضد حَفَظَةِ الناموس والقوَّامين على شرفه. وكأنِّي به يقول لهم وأمام موسى: هوذا أنا الذي مثل موسى أتيتُ بحسب وعد الناموس، وهوذا باسم الله أتكلم و بوصية الله أوصي، فإن سمعتم لي كنتم تلاميذ موسى عن حق، وأبناء الله الحي؛ وإن لم تسمعوا فأنتم تحت الحكم، وموسى والناموس يشهدان ضدكم!

الأصحاح السادس

الجزء الثالث: إنجيل الاستعلان

استعلان طبيعة المسيح وشخصه

استعلان الآب والابن

و يشمل الأصحاحات من السادس حتى الثاني عشر

الأصحاح السادس: استعلان طبيعة المسيح "المُخْبية" وشخصه السماوي.

«أنا هو خبز الحياة.» (٦: ٤٨)

- «هذا هو الخبزُ النازلُ **من السماء** لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت.» (٦: ٥٠)
- «مَنْ يأكلني **فهو يحيا بي**.» (٦: ٥٧)
- «الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذُله **من أجل حياة العالم**.» (٦: ٥١)

الأصحاح السابع: استعلان طبيعة المسيح "الروحية" (الصخرة).

[أنا هو الماء الحي].

- «إنْ عطش أحدٌ **فليُقبِلْ إليَّ** ويشربْ.» (٧: ٣٧)
- «مَنْ آمن بي ... تجري من بطنه أنهار **ماء حيٍّ**.» (٧: ٣٨)
- «قال هذا عن **الروح** الذي كان المؤمنون به مُزْمِعين أن يقْبلوه.» (٧: ٣٩)

الأصحاح الثامن: استعلان طبيعة المسيح "النورانية" المحرِّرة الأزلية.

«أنا هو نور العالم.» (٨: ١٢)

- «من يَتْبعْني، فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له **نور الحياة**.» (٨: ١٢)
- «إنْ حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون **أحراراً**.» (٨: ٣٦)
- «قبل أن يكون إبراهيم، **أنا كائن**.» (٨: ٥٨)

الأصحاح التاسع: التطبيق العملي لاستعلان طبيعة المسيح النورانية.

«ما دمتُ في العالم، فأنا نور العالم.» (٩:٥)

- «أتؤمن بابن الله ... قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو.» (٩:٣٥–٣٧)
- «لدينونةٍ أتيتُ أنا إلى هذا العالم حتى يُبصر الذين لا يبصرون ويَعمى الذين يُبصرون.» (٩:٣٩)

الأصحاح العاشر: أ ــ استعلان عمل المسيح الفدائي من نحونا:

«أنا هو الراعي الصالح.» (١٠:١١)

- «والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.» (١٠:١١)
- «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية.» (١٠:٢٧و٢٨)

ب ــ استعلان بنوة المسيح ومساواته للآب:

- «لأني قلتُ إني ابن الله...» (١٠:٣٦)
- «أنا والآب واحد.» (١٠:٣٠)

الأصحاح الحادي عشر: استعلان قوة المسيح المُحيية والمُقيمة من الموت.

«أنا هو القيامة والحياة.» (١١:٢٥)

- «من آمن بي ولو مات فسيحيا.» (١١:٢٥)
- «لعازر هلمَّ خارجاً.» (١١:٤٣)

الأصحاح الثاني عشر حتى عدد ٣٦:

استعلان ملوكية المسيح ودينونة رئيس هذا العالم.

- «أوصنّا مباركٌ الآتي باسم الرب ملك إسرائيل.» (١٢:١٣)
- «الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرحُ رئيس هذا العالم خارجاً.» (١٢:٣١)

ختام لإنجيل الاستعلان: (١٢:٣٧–٤٣).

ملخص لإنجيل الاستعلان: (١٢:٤٤–٥٠).

مكان البشارة
سابعاً ــ في الجليل
(٦ : ١ ــ ٧١)

الأصحاح السادس

استعلان طبيعة المسيح المُحيية وشخصه السماوي

«أنا هو خبز الحياة» (١)

ويشمل هذا الأصحاح:

١ ــ المعجزة التي سيجعلها المسيح آية تعليمه: **إشباع الجموع** (٦ : ١ ــ ١٥).

٢ ــ الآية الملازمة لإشباع الجموع: **السير على الماء** (٦ : ١٦ ــ ٢١).

٣ ــ **حديث الرب** في مجمع كفرناحوم عن جسده كخبز الحياة الأبدية، موسى طلب وأرسل الله المن من السماء لإعالة الشعب في البرية، المسيح هو نفسه الخبز الحي الذي نزل من السماء ليأكله الإنسان فيحيا إلى الأبد (٦ : ٢١ ــ ٧١).

يلزم لنا من بداية هذا الأصحاح حتى نهاية الإنجيل أن ننتبه لما سيعلنه المسيح عن نفسه، فالمعجزات كلها عبارة عن آيات أو إشارات توضح مَنْ هو المسيح. فالتركيز ليس على المعجزة ولا حتى على تأثيرها من جهة إيمان الناس، ولكن على ما تشير إليه من جهة مَنْ هو المسيح. (٢)

لذلك سنواجه في هذا الأصحاح قول المسيح عن نفسه: «**أنا هو**» والتي تأتي في الأصل كاسم شخصي لله: «أنا الكائن بذاتي» ἐγώ εἰμι، أي أنها أصلاً تتعلق بطبيعة وكيان الله، وقد استخدمها المسيح بتأكيد وإصرار، وسوف تتكرر في إنجيل يوحنا في مواضع عديدة(٣)، وتأتي هنا «**أنا هو خبز الحياة**».

---

(١) تُقرأ أجزاءٌ من هذا الأصحاح في كلٍّ من عشية وباكر وقداس الأحد الثاني من الخمسين المقدسة (وهو أول أحد في الخمسين المقدسة بعد أحد توما)، وذلك بسبب أن الإفخارستيا هي سر الحياة الأبدية وعربون القيامة: «فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير». ولنفس هذا السبب تكرر قراءة أجزاء من هذا الأصحاح في مناسبات عديدة من خمسين القدسة (عشية الثلاثاء الأول وعشية السبت الأول وقداس السبت الثاني وقداس الجمعة الثانية وقداس السبت الثالث وعشية الأحد الرابع من الخمسين المقدسة). وبالإضافة لذلك تُقرأ أيضاً فصول من هذا الأصحاح في **الصوم الكبير** (قداس الخميس السادس والأربعاء السابع)، وذلك على اعتبار أن الصوم الكبير هو الموسم الذي نشتاق فيه إلى خبز الحياة بدلاً من الطعام البائد. ولنفس السبب وكاستعداد للدخول في الصوم الكبير تُقرأ فصول من هذا الأصحاح في الأربعة الآحاد التي تسبق مباشرة الصوم الكبير (وهي الأحد الرابع من طوبة والأحد الأول والثاني والثالث من أمشير).

(٢) راجع المدخل ص ٢٩٠ ــ ٢٩٣.

(٣) راجع المدخل ص ٢٣١ ــ ٢٤٣

١ ـــ معجزة إشباع الجموع

(٦: ١ـــ١٥)

«هكذا قال الرب في وقت القبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب... قائلاً للأسرى اخرجوا للذين في الظلام اظهروا. على الطرق يرعون وفي كل الهضاب مرعاهم. لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس لأن الذي يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم.» (إش٤٩: ٨ـــ١٠)

ملاحظات هامة:

لاحظ أن المسيح انتقل من الخدمة في أورشليم، وذهب إلى الجليل حيث أجرى هذه المعجزة. وتُعتبر هذه الحادثة أنها الوحيدة في خدمة المسيح العامة التي تُذكر **في الأربعة الأناجيل بدون استثناء، قبل زيارة المسيح الأخيرة لأورشليم ليُصلب هناك:** (مت١٤: ١٣ـــ٢١، مر٦: ٣٠ـــ٤٤، لو٩: ١٠ـــ١٧، يو٦: ١ـــ١٥). وهذا مما ينبه فكر القارىء إلى الأهمية القصوى لهذه القصة وما سيبني الإنجيل عليها من مبادىء لاهوتية.

ق. يوحنا ينفرد هنا ببعض بيانات هامة في سرد هذه القصة؛ فقبل أن يبدأها، ينبه القارىء **أن فصح (البصخة) اليهود كان قريباً.** هنا أسلوب ق. يوحنا السرائري أو اللاهوتي يظهر بوضوح لأن **«الفصح»** بالمفهوم المسيحي هو تقديم **جسد المسيح** ذبيحة، أي أصل وأساس الإفخارستيا، الخبز الذي نكسره كل يوم على المذبح. إذن، فهو يسبق القصة بفتح الأذهان أنه بصدد ربط الخبز المكسور ـــ الذي شكر عليه الرب وبارك وبثَّه قوة روحية من عنده فأشبع به الخمسة الآلاف من خمس الخبزات ـــ ربطه بالإفخارستيا أي جسد المسيح المكسور لإشباع العالم بالروح للحياة الأبدية.(٤)

---

(٤) توجد في سراديب روما رسومات حائطية توضح مائدة إفخارستية وعليها خمس خبزات وسمكتين إشارة إلى أن معجزة إشباع الجموع أخذتها الكنيسة الأُولى على أنها ذات هدف إفخارستي.

كذلك وُجد في مدينة هيرابوليس **Hierapolis** بأسيا الصغرى شاهد على قبر أبركيوس **Abrecius** مكتوب عليه **ΙΧΘΥΣ** وهو اسم السمكة باليونانية حيث أوائل الحروف تُقرأ: «يسوع المسيح ابن الله مخلِّص»، مع إشارة إلى خبز وكأس الإفخارستيا. أنظر:
Raymond E. Brown, op. cit., Vol. I, p. 247.

علماً بأن ربط الخبز الجديد الحي النازل من السماء بالفصح يتوازى مع ربط **«الفصح»** بنزول **«المن»** في طقوس الفصح اليهودي، وهذا ما سيركز عليه المسيح في حواره مع اليهود.

كذلك فالرواية في إنجيل يوحنا أكثر توضيحاً من بقية الأناجيل، فهي ذات ملامح حيّة ودقيقة، تشير بلا أي تحفظ أن الراوي كان واحداً من الموجودين سواء أثناء المعجزة الأولى أي إشباع الجموع، أو الثانية وهي السير على الماء. فهو الوحيد الذي يذكر أنهم جدَّفوا نحو خمس وعشرين غلوة أو ثلاثين. فتقدير المسافة هنا تقدير شخصي يتوخى الدقَّة؛ مما يعطي الرواية إحساساً حيًّا بواقعية واعية وذاكرة حديدية، أو قُلْ هي تذكير من الروح القدس.

كذلك فمن الصعب أن لا نلتفت إلى الغاية التي يهدف إليها ق. يوحنا من ربط معجزة إشباع الجموع من الخبز مع معجزة السير على الماء(٥) واختفاء المسيح عن الذين أرادوا أن يجعلوه ملكاً. فهو **أولاً** بصدد تقديم المسيح في موازنة مع موسى حيث **«المن»** يترادف مع **السير في البحر الأحمر**، ليوضح أن عهد الشبع والمسرَّة المادية المحلية كميراث أرض تفيض لبناً وعسلاً قد انتهى، ونحن بصدد عهد الروح لِشبَع وسرورِ الروح للإنسان عامة لميراث الحياة الأبدية وفيض الروح القدس. **وثانياً**، الانتقال بالفكر اليهودي من انتظار مسيًّا اليهود المحدود الذي سيعيد المُلْكَ لإسرائيل، ويحرر الأمّة ويخلِّصها من عبودية الرومان، ويعطي المنَّ من السماء، ويحطم الأمم كموسى الجديد؛ إلى حقيقة المسيح الإلهية في العهد الجديد والخلاص العام من الخطية وتحرير الإنسان ـــ كل إنسان ـــ من عبودية الشيطان إلى حرية أولاد الله.

القصة:

(أ) ظروف المعجزة (١ــ٤).

(ب) التحضير للمعجزة (٥ــ١٠).

(ج) إشباع الجموع (١١ــ١٣).

(د) تأثير المعجزة (١٤ــ١٥).

(٥) كان في التقليد اليهودي عند الربيين أن المسيا سيأتي من البحر، أي ماشياً على الماء. فهنا معجزة سير المسيح على الماء آتياً إلى تلاميذه في الظلام تنبيه من قِبَل المسيح لأذهان اليهود أنه المسيَّا دون أن يعلن ذلك.

أ ــ ظروف المعجزة : (١ــ٤).

٦: ١و٢ «بعد هذا مَضَى يسوعُ إلى عَبْرِ بحرِ الجليلِ وهو بحرُ طبريّةَ. وتَبِعَهُ جمعٌ كثيرٌ لأنهم أبصَرُوا آياتِهِ التي كان يصنعُها في المرضَى».

«**بعد هذا**» التي ابتدأ بها ق. يوحنا الآية متصلة بآخر آية (٢)، أي بعد أن أجرى آيات شفاء لأمراض كثيرة في منطقة الجليل، التي اختصَّها بأكثر وقت من خدمته. بعد هذا عبر في قارب كبير ــ أي سفينة صيد ذات الحجم الكبير ــ (تَسَعُ ثلاثة عشر شخصاً) هو وتلاميذه. وقد عبر البحيرة من ناحية الغرب، أي من كفرناحوم (عدد ٢٤) التي كان يخدم فيها، وهي مقر إقامته مع التلاميذ، متجهين إلى ناحية الشمال الشرقي عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية.

بحر طبرية :

لا يُذكر اسم بحر الجليل بهذا الاسم إلا في إنجيل ق. يوحنا، وهو الاسم الحكومي أو الرسمي لبحر الجليل بعد إقامة طبرية العاصمة (غير المقدسة) التي أقامها هيرودس رئيس ربع الجليل شرق بحر الجليل وذلك سنة ٢٦م.

والقديس لوقا الإنجيلي يذكر اسم المدينة التي ذهب إليها الرب هو وتلاميذه (طلباً للراحة) أنها بيت صيدا شرقاً. وهي ليست بيت صيدا التي في غرب البحيرة بل بيت صيدا أخرى منسوبة ليولياس الذي أقامها باسمه، «**فأخذهم وانصرف منفرداً إلى موضع خلاء لمدينة تسمى بيت صيدا.**» (لو٩: ١٠)

وهذه المدينة تسمى الآن «التلّ». وهي في أقصى الشمال الشرقي للبحيرة ــ وتقع في منطقة الجولان. أما مكان عمل المعجزة فيبعد عنها بحوالي ميل واحد (و يسمى الآن «البطيحة»)، و به عشب أخضر للرعي يزدهر وقت الفصح فعلاً[٦]. أما المسافة ــ على الأرض ــ بين هذا المكان الذي سعى إليه الرب للراحة و بين كفرناحوم التي أتت منها الجموع جرياً وراء الرب فهي حوالي تسعة أميال، أي نحو ساعتين مشياً على الأقدام، وكانت الجموع في غاية الحماس والفرح بسبب الآيات الكثيرة التي صنعها الرب، وكان معظمها لشفاء مرضاهم.

---

[6] See: ICC, *op. cit.* Vol. I, p. 171.

٦ : ٣و٤ **«فصَعِدَ يسوعُ إلى جبلٍ (تلٍّ) وجَلَسَ هُناكَ مع تلاميذِهِ. وكان الفصحُ عيدُ اليهودِ قريباً».**

المسيح هنا وحده على التل مع تلاميذه والشعب كله تحت التل يرى ويسمع. القديس يوحنا يود أن يُدخلنا معه في هذا المنظر ليستحضر في ذهننا نفس منظر موسى النبي على الجبل، بعد أن أكمل الفصح الأول ومسح عار العبودية عن الشعب المذلول، وعَبَر إلى سيناء يتنسم رائحة الحرية، وكان الشعب كله واقفاً ليسمع و يرى و يرتعب: «وقال لموسى اصعد إلى الرب أنت وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، واسجدوا من بعيدٍ، ويقترب موسى وحدَهُ إلى الرب وهم لا يقتربون، وأما الشعب فلا يصعد معه.» (خر٢٤: ١و٢)

وعلى القارىء أن يتذكر دائماً أن حلول عيد الفصح عند اليهود كان يوقظ فيهم مشاعر الحرية التي فقدوها تحت عبودية الرومان، وكانوا يتحرَّقون شوقاً إلى المخلِّص الذي تكلم عنه موسى ليُعيد إليهم الحرية ويخلِّصهم من نير الرومان. فكانت حساسيتهم مرهفة للغاية، يصورها هنا ق. يوحنا أروع تصوير بكلمات مختصرة للغاية، نتمنى أن لا تفوت على مشاعر القارىء. إذ أن كل كلمة تحمل كمًّا من المشاعر يصعب سردها. ولكن إذا وضعنا الكلمات الأساسية بجوار بعضها حينئذ ينكشف سِرُّ الإنجيل:

«صعد يسوع على الجبل» ــ «عيد الفصح» ــ «أكلوا وشبعوا» ــ «هذا هو بالحقيقة النبي» ــ «علم يسوع أنهم مزمعون أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً».

إذن، فالإنجيل يضعنا داخل مشهد من المشاهد الحية التي عاشها الرب وسط شعب أخفق في الرؤيا، إذ انتهى إلى قرار حاسم أن المسيح نبيٌّ، وكان عليه حتماً أن يصحح ويكشف عن حقيقة نفسه أنه ليس موسى جديداً بل هو هو الرب الإله، وأنه ليس موسى الذي عليه أن يذبح الفصح للشعب بل هو هو الفصح نفسه، الخروف المذبوح الذي يتحتم أن يؤكل لحمه، ولكن لأنه هو حَمَلُ الله الذي دمهُ بروح أزلي، فكان ــ بخلاف الفصح الأرضي ــ يلزم أن يُشرب دمهُ أيضاً!!

وإن كان فصح مصر الأول عهد خلاص من عبودية مصر، فالمسيح فصح خلاص أبدي لحياة أبدية.

فالرب صعد إلى الجبل وقلبهُ مملوءٌ بهذه الرؤيا. ألم يسمع المسيح بأذنيه ما قاله يوحنا المعمدان عنه: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩)؟ ثم ألم يضع المسيح في نفسه أنه

الراعي الصالح الذي يضع نفسه عن الخراف؟ والآن هوذا الخراف اجتمعت حوله على سطح التل كما يصفها إنجيل القديس مرقس (٦ : ٣٤): «فلما خرج يسوع، رأى جمعاً كثيراً، فتحنن عليهم، إذ كانوا **كخراف** لا راعي لها فابتدأ يعلّمهم كثيراً». وبدأ الرب يَقْسم الخبز ويُعطي وكأنه يقتطع من لحمه ودمه ليُطعم الخراف الجائعة. أكل الشعب وشبع ولم يدرِ ماذا أكل، إذ حَسِبَ اليهود أنهم أكلوا خبز الأرض، ولكن كان الرب وحده يعلم ماذا أعطى وماذا سيُعطي.

ب ــ التحضير للمعجزة: (٥ــ ١٠).

٦ : ٥ــ٧ **«فرفعَ يسوعُ عينيهِ، ونظرَ أن جمعاً كثيراً مُقْبِلٌ إليهِ. فقال لفيلبُّس: مِنْ أينَ نَبْتاعُ خبزاً ليأكلَ هؤلاء؟ وإنما قال هذا ليمتحنَهُ ــ لأنه هو عَلِمَ ما هو مُزمِعٌ أن يفعل. أجابه فيلبُّس: لا يكفيهِم خبزٌ بمئتَي دينارٍ ليأخُذَ كلُّ واحدٍ منهُم شيئاً يسيراً».**

ق. يوحنا يهتم هنا بحوار المسيح مع فيلبُّس، ومنذ بداية الإنجيل وق. يوحنا يركّز على شخصية فيلبُّس(٧)، فهو التلميذ الذي لم يأتِ إلى المسيح، بل المسيح هو الذي ذهب إليه في البداية ليدعوه (يو١ : ٤٣)، وهو الذي في النهاية بعد زمانٍ طويل مع المسيح هذه مدّته، ودون جميع التلاميذ، يسأل الرب: «يا سيد أرنا الآب»، مما أدهش الرب فرد عليه لائماً: «قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبُّس» (يو١٤ : ٨و٩). وهنا وفي هذا الأصحاح، بادره الرب بالسؤال: «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هذا الجمع؟»، فلم يكتفِ فيلبُّس بصعوبة السؤال من جهة «**من أين** نبتاع الخبز»، إذ أضاف إلى السؤال صعوبة أخرى هي الأهم عنده إذ «**بكم يتكلّف** هذا الخبز». الرب هنا يريد أن يكشف وضع فيلبُّس بالنسبة للرسالة.

فيلبُّس يتبع الرب، ولكن بحساباته الخاصة وفي أضيق حدود الإيمان الشكلي، الرب اختاره لمميزات خاصة في أخلاقه المستقيمة وطيبة قلبه وقدرته في اتباع الرب، ولكن لم تكن له حرارة الإيمان بالرب، وبطولة المغامرة لتحقيق متطلبات الإيمان الحيِّ؛ وكان على الرب أن يكشف له، بل يكشف لنا، بل يكشفنا معه، أن هذا الإيمان الهزيل، بل الميت، لا يوافق الإيمان المسيحي الحي القائم على قدرة الرب الفائقة. وكأن معجزة إشباع الخمسة الآلاف من خمس الخبزات، مقصودة قصداً لتحطيم حسابات الأرقام والتحفظات التي يضعها العقل القاصر، والحكمة الإنسانية

(٧) راجع المدخل ص ٣٠٥ و٣٠٧ــ٣٠٩.

الكاذبة، في طريق اتّباع الرب إلى الصليب، ثم إلى المجد والحياة الأبدية. فإمّا الحسابات والأرقام مع العقل، ومعها الشحّ والتوزان في الأخذ أو العطاء؛ وإمّا الإيمان بالمسيح مع الله ومعه الشبع الفائض والسخاء في التوزيع والحياة الأفضل.(٨)

وليس جزافاً أن يسترعي انتباه ق. يوحنا إهتمامُ المسيح الشديد بفيلبُّس لامتحان قلبه قبل البدء بالمعجزة. فالمقصود هو القارىء والكنيسة كلها، لكي يُمتحن الإنسان قبل البدء بالمعجزة فيكون على مستوى الإيمان بالمسيح كربٍّ وإله، وهو يقرأ ويتأمل ليحصل على نصيبه هو أيضاً من شبع الحياة، بل ومن الفائض أيضاً.

ولينتبه القارىء جداً أن المسيح جاء، ليس ليسدّ الأعواز، بل ليملأ ويفيض، فهو القائل: «... أتيتُ لتكون لهم حياة **وليكون لهم أفضل**» (يو١٠:١٠)، حيث الترجمة «أفضل» هنا قاصرة جداً، لأن معناها الحرفي بحسب اللغة اليونانية: حياة الكثرة والفَيْض والسموّ اللانهائي:

περισσόν (life of abundance, excellence and preeminence

وهذه الأوصاف تليق فقط بالحياة الأبدية. فنحن مدعوّون، ليس فقط لأن نؤمن به كربٍّ وإله في ذاته، بل وأن نؤمن أن في يديه شِبَع سرورٍ: «تُعرِّفني سُبُل الحياة. أمامك شِبَعُ سرورٍ، وفي يمينك نِعَمٌ إلى الأبد» (مز١٦: ١١). فمن أهم وأعظم أوصاف الحياة الأبدية التي يعطيها الله لمتَّقيه: الفيضُ في الحب والسرور والسلام والشبع حتى الملء في الأخذ والعطاء. ومن أوصاف الله الملازمة له أنه «غنيٌّ في المراحم» (أنظر أف٢: ٤)، بل وغنيٌّ جداً.

«فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مُقْبلٌ إليه، فقال لفيلبُّس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء. وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه هو عَلِمَ ما هو مُزْمِع أن يفعل»:

لقد كانت صفة المسيح الأُولى مع تلاميذه أنه «المعلِّم»، ولقد كانت وسيلة الرب للإرتقاء بإيمان تلاميذه هي التلقين والتعليم والإمتحان. فبالرغم من أنه كان يعلم ما هو مزمع أن يفعله، ولكنه وضع فيلبس أمام السؤال المحرج للإمتحان: «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء»؟ وتركه يُقدِّر دون أن يوعز إليه بالحل. ولقد اكتشف فيلبُّس بعد أن أكمل الرب المعجزة مقدار القصور المريع الذي وقع فيه، إذ تخطت كل حساباته. وهذه هي نفسها الإمتحانات التي يضعها المسيح أمام كنيسته وتلاميذه كل يوم، ولا تزال مشكلة الحصول على «المئتي دينار» هي المشكلة الوحيدة أمام حسابات عدم الإيمان، لأنه بحسب أصول حسابات عدم الإيمان يكون الوضع الإقتصادي

(٨) يلاحظ أن الأصل تشتق منه كلمة «فَضَلَت» عنهم من الكسر περισσεύω (يو٦: ١٢و١٣) هو نفس الأصل المركّب منه كلمة: «أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم **أفضل** περισσόν » (يو١٠: ١٠)

والمادي هو الحل الأساسي لانتعاش المشاريع والذي ينتهي بها دائماً إلى الإفلاس الروحي. فنحن الآن نقرأ على كل مؤسسة الإعلان الحزين بمقتضى حسابات عدم الإيمان «**مطلوب مئتي دينار لإشباع الجموع**»، ويُجمع مليون جنيه، ولا تزال الجموع جائعة للحق.

هذا السؤال الساخر الذي على فم كل إنسان ناقد: وهل السماء تمطر ذهباً؟ وهو نفس القول الساخر الذي وجهه الشيطان للمسيح، والذي واجهه الرب وهو في أشد محنة الجوع الحقيقي: «قُلْ أن تصير هذه الحجارة خبزاً» (مت٤: ٣). هذا في الواقع معناه الروحي هو محاولة تقييد عمل الله بفرض حلولنا العاجزة بحسب أصول حسابات عدم الإيمان. وعليه، يحتم أن ندرك أن الإيمان وحده هو الذي يخلق الحلول لأصعب المشاكل، بل يخلق المواعيد: «**بالإيمان** قدّم إبراهيم إسحق وهو مُجرَّب، قدّم الذي قَبِلَ **المواعيد** وحيده.» (عب١١: ١٧)

٦: ٨و٩ «قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ، هُنَا غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ(٩) أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ. وَلكِنْ مَا هذَا لِمِثْلِ هؤُلاَءِ؟».

مرة أخرى يُلقي علينا الإنجيل درساً ثميناً في إحترام الإمكانيات الضعيفة والمواهب الصغيرة. من يستطيع أن يصدق أن هذا الغلام الصغير المجهول الهوية يتدخل تدخلاً مباشراً في تكميل معجزة كبيرة بهذا الحد؟ لم تكن تدري أمُّه حينما دسّت في مخلاته هذه الأرغفة الشعير الخمسة والسمكتين على عجل، حينما ألحَّ عليها للسماح له باللحاق بالمعلم مع الأهل والصحاب؛ ويا لفرحة الأم حينما أتاها ولدها في المساء يجري ويطفر ويلهث يقص عليها، وهو مقطوع الأنفاس، قصة أرغفتها الخمسة والسمكتين، التي أمسكها الرب بيديه، وباركها فأشبعت آلاف الرجال والنساء والأطفال، والأم تسمع وهي ذاهلة لا تريد أن تصدق. ومن يصدّق أن مشاعر الأمومة الحانية نحو حبيبها الصغير تتحول هكذا إلى بركات فائضة في يدي الرب خلال «خمسة أرغفة شعير وسمكتين».

خبز الشعير أرخص من خبز القمح وهو غذاء الفقراء، وهذا تمادٍ في إظهار ضعف عطايانا التي يمكن أن يباركها الله لتصير لملء الشبع والغِنَى، أما السمكتان فبحسب تحقيقات علماء الكتاب المقدس - كانتا مملَّحتين(١٠)، وهي عادة أهل السواحل في الإحتفاظ بفائض أسماكهم. وقد أتت

(٩) لمعرفة المعنى السري وراء عدد الخمسة أرغفة، ارجع إلى المدخل ص٣٥٨ هامش رقم ١٢.

(١٠) لا تزال عادة تذكار أكل هذه الأسماك المملحة تمارس يوم شم النسيم حينما تجتمع الجموع معاً في اليوم التالي لعيد الفصح (القيامة) عند الأقباط.

الكلمة اليونانية ὀψάριον تفيد أنها من نوع الأسماك الصغيرة التي نسميها في اللغة الدارجة «بساريا».

«ولكن ما هذا لمثل هؤلاء»:

هذه مقارنة حسابات تؤدي إلى الطرق المسدودة والأبواب المغلقة. وهي مقارنة أعوازنا واحتياجاتنا بالنسبة لأرصدة إيماننا، وهي دائماً بالناقص، والفشلُ مصيرُها المحتم. ولكن كم مئات وألوف الأشخاص اعتمدوا على حسابات الخمس الخبزات والسمكتين، وهي حسابات الإيمان الذي يصرف من مخازن الله السرية، المملوءة دائماً حتى الفيض، فأقاموا مئات وألوف من مشاريع البر للفقراء والأيتام والمُعْوَزين، قامت ونجحت وآوت الملايين على مر العصور وكان دليلها الاقتصادي الوحيد الخمس الخبزات والسمكتين.

إذن، فلنتذكر على الدوام هذه المعادلة الإيمانية أن خمسة فقط مضروبة في الإيمان تساوي خمسة آلاف زائد اثنتي عشرة قفة.

١٠:٦ «فقال يسوع اجعلوا الناس يتَّكئون. وكان في المكانِ عُشبٌ كثيرٌ. فاتَّكأ الرجالُ وعددهم نحو خمسة آلاف».

يلاحظ القارىء هنا أن الرب أمر التلاميذ أن ينظموا الجموع إعداداً للأكل. فمن الناحية العامة قال لهم أن «اجعلوا الناس»، وهنا تُستخدم كلمة ἀνθρώπους تفيد الرجال والنساء والأطفال عامة. ثم أمر أن يجلس الرجال بترتيب، وهنا تُستخدم كلمة ἄνδρες وهي تعني الرجال فقط، حيث تذكر الأناجيل الأخرى أن الرب أمر أن يكونوا مجموعات، مئة مئة وخمسين خمسين: «فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على **العشب الأخضر**. فاتكأوا صفوفاً صفوفاً، مئة مئة وخمسين خمسين.» (مر٦: ٣٩و٤٠)

ويُلاحظ أن النساء والأطفال لم يُحسبوا ضمن العدد وذلك حسب عادة اليهود ـــ لأنهم يستثنون النساء والأولاد من العدد ـــ وكذلك لأن عددهم يبدو أنه كان صغيراً.

كما يلاحظ القارىء وضوح فكرة الاهتمام بالنظام والترتيب «رفاقاً رفاقاً» التي تأتي باليونانية συμπόσια συμπόσια، ثم الصفوف تتكون من مجموعات مجموعات πρασιαὶ πρασιαί، وهذا الوصف لا يأتي إلا في وصف الحدائق بنظام مجموعات الزهور كل مجموعة معاً. فانظر أيها القارىء وتأمل. وسبق أن نبهنا أن ظهور العشب الأخضر يناسب بالفعل

زمن قرب الفصح وهو نهاية أشهر الربيع (أبريل) بعد الشهور المطيرة، وكأن الأناجيل اتفقت معاً لتقدم لنا صورة مبدعة نسقتها روح المسيح الجمالية، مما أبهرت عيون التلاميذ، وجعلت هذه المعجزة مرسومة بدقة في أذهانهم.

كما أن الأناجيل ذكرت العشب الأخضر بتوضيح مما يزيد الرواية واقعية، أن الراوي شاهد عيان، وهو يستحضر لأذهاننا وصف المزمور للمسيح الراعي للخراف: «الرب راعيَّ فلا يُعوزني شيء، في مراعٍ خضر يربضني إلى مياه الراحة يوردني.» (مز٢٣: ١ــ٢)

وفي الحقيقة نستطيع أن نستشف من وصف ق. يوحنا وبقية الأناجيل صورة ما كان يجري في قلب المسيح. فالمشهد يعود بنا إلى سفر الخروج ويستحضر إلى ذهننا منظر شعب إسرائيل بعد أن رأى الله على الجبل، كيف جلسوا على السفح وأكلوا وشربوا في حضرة الله: «ثم صعد موسى ... ورأوا إله إسرائيل (بحسب ما تراءى لهم) وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل **فرأوا الله وأكلوا وشربوا.**» (خر٢٤: ٩ــ١١)

فهذا الذي حدث في سفر الخروج ما هو إلا نبوة إفخارستية من الدرجة الأولى، حققها المسيح على المستوى السري الملموس، حيث اجتمع فيها للإنسان رؤية الله **والأكل والشرب في حضرته**، وهو نفس ما يصرخ به الشماس على المذبح في بداية القداس الإحتفالي:

[أيها الإكليروس وكل الشعب، بطلبة وشكر، بهدوء وسكوت، ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق لتنظروا المذبح، وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه ...]

(القداس الإلهي: «خدمة الشماس والألحان»، صفحة ٨٢و٨٣)

ج ــ إشباع الجموع: (١١ــ١٣).

١١:٦ «وأخذ يسوع الأرغفة وشَكَرَ ووزَّعَ على التلاميذِ والتلاميذُ أعطوا المتَّكِئينَ. وكذلك من السمكتين بقدرِ ما شاءُوا».

وأخيراً أخذ يسوع الخمسة الأرغفة على يديه وشكر. وهكذا بدأت قصة البركة العظمى في حياة الإنسان. وهنا تمت عملية التحول السري العجيب؛ فالمادة الميتة أخصبت بروح الحياة، فتحول المحدود إلى اللامحدود، والقليل إلى الكثير الفائض بلا حدود، والخبز البائد إلى عيِّنة لخبز حي يحمل سِرَّ الله، يتكاثر دون أن يخضع لأية معادلة أو نسبة يعقلها أو يفهمها الإنسان. لقد تحولت كل لقمة

في يد الرب إلى نعمة، يأكلها الجاهل فيحس بالشبع ولا يعرف من أين أتاه الشبع فيطلب المزيد، ويأكلها المؤمن فتنفتح عيناه ويمسك باليد التي ألقت في قلبه بالنور. هي خبزة شعير في فم الجائع المتلهف لملء البطن، وهي جوهرة ثمينة عليها ختم الآب في عين الجائع لروح الله. هي لقمة سائغة لذيذة في فم الأحمق، وهي نفسها للحكيم جمرة نار تحرق الخطية وتزيل العار عن الذي تنجست شفتاه. هي لقمةٌ لسدّ جوع الجسد أكلها الجليليون فشبعوا، وهي السر الذي تشتهي الملائكة أن تطّلع عليه (١بط١: ١٢)، بل والأنبياء والملوك اشتهوا مجرد أن يَرَوْها فلم يروا (لو١٠: ٢٤).

ولينتبه القارىء، فحينما يقول الإنجيل إن المسيح «شكر» ــ أي شكر الآب ــ فهو يُشرك الآب في البركة ويثبت أنه ــ «خبز» ــ بحسب مشيئة الآب. وهذا هو «خَتْمُ الآب». ولهذا أيضاً لا يتم فعل السر في الإفخارستيا إلا بالدعاء باسم الآب والابن والروح القدس.

وتأتي كلمة **«شكر»** بلفظها السرائري: εὐχαριστήσας (من إفخارستية) في إنجيل ق. يوحنا فقط، وهي الفعل المسيحي المقابل للفظ اليهودي **Berekah** أي «بارك»، الذي استُخدم في الأناجيل الأخرى.

ولكن يلاحظ القراء الذين يشتغلون بمفهومات إجراء سر الإفخارستيا، أن بعد الشكر يلزم فعل «كَسَرَ»، وهي اللفظة الملازمة دائماً وحتماً لفعل الإفخارستيا. «وبارك وقسم» كما جاءت في الأناجيل الأخرى، «وباركه وقسمه، وأعطاه ...» (القداس الإلهي).

ولكن ق. يوحنا يلتزم بمفهوم عجيب حقاً بالنسبة للفصح الحقيقي الذي ذُبح من أجلنا، أي جسد يسوع على الصليب. **إذ اهتم ق. يوحنا جداً أن يذكر أن ذبيحة المسيح العظمى لم يُكْسَرْ لها عظمٌ:** «وأما يسوع فلما جاءوا إليه **لم يكسروا** ساقيه لأنهم رأوه قد مات ... لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل **عظمٌ لا يُكسر منه**» (يو١٩: ٣٣و٣٦). لذلك، وبالرغم من أن الأناجيل الأخرى اهتمت أن تذكر الفعل الإفخارستي الملازم للبركة وهو **«كَسَرَ»** الخبز، توضيحاً أن الرب أجرى فعلاً إفخارستياً للخمس الخبزات؛ نجد ق. يوحنا ــ وبعكس المألوف ــ لا يذكر الكسر بالمرة إمعاناً منه لمطابقة أكثر حرفية بين الفِعْل الإفخارستي الذي أجراه على الخمس الخبزات وبين الفِعْل الإفخارستي الذي تم في جسده الذي لم يُكسر على الصليب!

فانظر أيها القارىء وتأمل في قدرة ق. يوحنا للربط المُذهل بين الآية التي أجراها المسيح وبين تطبيقها الذي تم على الصليب. وكأنه يود أن يقول إن الخبز الحي النازل من السماء، الذي هو جسده، الذي قدّمه على الصليب عن حياة العالم كله، لا يتجزأ ولا يُكسر بل يُعطى ككلٍّ:

«من يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦ : ٥٧). وهذا المفهوم يلزمنا نحن أيضاً، فنحن حينما نتناول من سر الذبيحة المُقدَّمة على المذبح؛ إنما نتناول، ليس كسرة خبز، بل المسيح كله. كما نلاحظ أن كلمة «شَكَرَ» و«وزَّع» على التلاميذ تأتي بنفس الوضع الإفخارستي كما جاء في سر العشاء الأخير.

٦ : ١٢و١٣ **«فلما شَبِعُوا (امتلأوا)، قالَ لتلاميذِهِ: اجمَعُوا الكِسَرَ الفاضِلَةَ لكي لا يضيعَ شيءٌ. فجَمَعُوا وملأوا اثنتي عشرة قفةً من الكِسَرِ من خمسةِ أرغفةِ الشعيرِ التي فَضَلَتْ عن الآكِلِينَ».**

يُلاحَظ في التفسير اللفظي أن كلمة «شبعوا» تُرجمت هكذا إلى العربية خطأ، لأن أصلها اليوناني ἐνεπλήσθησαν معناه «**امتلأوا**». وهذا الفعل يأتي ليس فقط لكي يفيد الشبع من الجوع بل ليفيد «**الملء**»، حيث يمتد المعنى ــ عند ق. يوحنا ــ إلى الناحية الكلية أي الملء النفسي والروحي بالراحة والسرور. أما كلمة «الشِبَع» من الجوع فقط فقد أوردها ق. يوحنا في كلام المسيح للتعبير العكسي عند الذين لم يدركوا السر: «الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز **فشبعتم**» (يو٦ : ٢٦)؛ حيث «شبعتم» باللغة اليونانية ἐχορτάσθητε. والمعنى المقصود واضح، أن الرب أعطاهم أن يذوقوا خبز الإفخارستيا **ليمتلئوا** حياةً «ونعمةً» وسروراً وتنفتح أعينهم فيدركوا سر الرب، ولكنهم أغفلوا ما ذاقوه من نعمة وسعادة وجَرَوْا وراء شهوة بطونهم وجهالة عقولهم وطلبوا منه بعد كل ذلك أن يصنع لهم آية، كأن يُحْدِر لهم منًّا من السماء مثل موسى ليأكلوا ويشبعوا مجاناً. هذا هو أسلوب ق. يوحنا في استخدام الألفاظ للتعبير عن المعاني العميقة التي تحتاج إلى تعمق وفحص دقيق. أما الأناجيل الأخرى فاكتفت بكلمة «الشِبَع» بمعنى ملء البطن فقط: ἐχορτάσθησαν (مت١٤ : ٢٠ ومر٦ : ٤٢ ولو٩ : ١٧).

ومما يزيد هذا التفسير يقيناً، أنه بالرغم من أن إنجيل القديس مرقس ذكر أن التلاميذ جمعوا من الكسر اثنتي عشرة قفة «**مملوءة**» حيث جاءت كلمة «مملوءة» باللفظ اليوناني πλήρεις، نجد أن ق. يوحنا لم يشأ أن يذكر كلمة «مملوءة» بالنسبة للقفف، فكلمة «الملء» كانت عند ق. يوحنا ذات عمق كبير ولم يستخدمها قبل ذلك إلا في معنى «ملء المسيح»، «ومن **ملئه** نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة.» (يو١ : ١٦)

وفي وصف الإفخارستيا في «الديداخي»(١١) تأتي أيضاً كلمة «الملء» بالنسبة للأكل من الإفخارستيا هكذا:

[فإذا امتلأتم μετὰ δὲ τὸ ἐμπλησθῆναι (أي شبعتم) أعطوا شكراً هكذا ...]

وأما كلمة «الكِسَرِ» κλάσματα فلم تَرِد في كتب العهد الجديد إلا في قصة إشباع الجموع في الأربعة الأناجيل. وفي العهد القديم أتت مرتين ولكن ليس بنفس المعنى إذ أتت في صيغة «فتات»: «لأجل حفنة شعير ولأجل **فتات** من الخبز» (حز١٣: ١٩)، وكذلك في سفر القضاة جاءت بالمفرد: «أسند قلبك **بكسرة** خبز» (قض١٩: ٥). وقد دخلت بصيغة الفعل في طقس الإفخارستيا بصورة ملازمة لـ«بَارَكَ وكَسَر»، وعند القديس بولس: «الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح.» (١كو١٠: ١٦)

أما كلمة «**قفة**» فتأتي في اليونانية بنفس اللفظ κόφινος ويُظن أنها كانت تُستخدم مع الجموع لملء العَليقة لإطعام الدواب التي كان يركبها الناس. أما كلمة «سَلّ» التي جاءت في نفس الوضع بالنسبة لمعجزة إشباع الأربعة الآلاف فجاءت باليونانية σπυρίς، وقد وردت هي نفسها في سفر الأعمال (٩: ٢٥)، وتحت كلمة «زنبيل» (٢كو١١: ٣٣)، وكانت تَسَعُ رجلاً جالساً فيها. ومن هذا يتضح لنا حجم القفَّة في ذلك الوقت.

ويلاحظ أن إنجيل ق. يوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن الرب بنفسه هو الذي أمر التلاميذ أن **يجمعوا الكِسَر الفاضلة**، وأضاف إضافة ذات قيمة إفخارستية عالية للغاية حينما ذكر السبب: **«لكي لا يضيعَ شيءٌ»**.

وهنا يلزم أن ننتبه أن المسيح ركَّز على الخبز وحده دون السمك، لكي تُجمع كل كِسَره، ثم أردف أن ذلك لكي «لا يضيع منه شيء». هذه الجملة ذاتها نسمعها من فم الرب بعد ذلك على مستوى النفوس المؤمنة: «وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني "**لا أُتْلِف منه شيئاً**" بل أُقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٣٩). إذن، فقول الرب بالنسبة للكِسَرِ الفاضلة «**لكي لا يضيع منها شيء**»، إشارة بليغة أن الخبز الذي باركه «إفخاريستياس» قد تحول إلى خبز إفخارستي مقدس، فلا ينبغي أن يتلف منه شيء، وهو يرمي من بعيد لتصوير المؤمنين الآكلين من جسده. علماً بأن كلمة «**لا يضيع**» وكلمة «**لا يتلف**» المترادفتين في اللغة العربية، جاءتا في

(١١) الديداخي ١٠: ١. أنظر كتاب: «الإفخارستيا والقداس» للمؤلف، طبعة ١٩٧٧، ص٣٠٠.

الأصل اليوناني بتركيب واحد بمعنى «ينحل» : μὴ ἀπολέσω, μή τι ἀπόληται. وفي شرح المسيح لمعنى الخبز الحي ذكر الخبز الذي يتلف أو يضيع بكلمة «البائد» وهي نفس الكلمة اليونانية ἀπολλυμένην .

كذلك فإن اهتمام الرب بأن يجمع التلاميذ الكِسَر الفاضلة وإعطاء السبب لذلك لكي «**لا يضيع منه شيء**»، إشارة أخرى ذات هدف بعيد وعميق. **فهو يقارن بين الخبز الإفخارستي**، أي «خبز الشكر» السري في العهد الجديد، وبين «المن» الذي أكله الشعب في البرية بالضيق، والذي كان **لا يَفْضُل منه** شيءٌ، إذ كان **على قدر حاجتهم اليومية فقط**: «ولما كالوا بالعُمِر (عُشر القفة) لم يُفْضِلِ المُكَثِّر، والمُقلِّل لم يُنْقِص. كانوا قد التقطوا كلُّ واحدٍ على حسب أُكْلِهِ» (خر١٦: ١٨). كذلك، فكان إذا طمع أحد في إبقاء شيء منه، فإنه كان يتلف و ينتنُّ: «لكنهم لم يسمعوا لموسى، بل أبْقَى منه أناسٌ إلى الصباح فتولَّد فيه دودٌ وأنْتَنَ فسخط عليهم موسى.» (خر١٦: ٢٠)

وواضح الآن من قول الرب باهتمام أن تُجمع الكِسَر الفاضلة لكي **لا يضيع** منها شيء، أن هذا في الحقيقة إشارة إلى أن هذا الخبز الإفخارستي المقدس ليس خبز العَوَز والحاجة فقط بل خبزُ الزيادة والفضْلة والكثرة: «أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل (زيادة)» (يو١٠: ١٠)، كما هو أيضاً إشارة إلى أنه ليس للضياع والتلف، بل هو خبز ينبغي أن يبقى، بمعنى أن الذي يأكله بعين مفتوحة وقلب مؤمن لا تضيع حياته ولا تتلف بل تبقى وتحيا. وهذه المعاني العميقة سيعود الرب و يشرحها بدقة على مستوى «الخبز الحي» النازل من السماء الذي يعطيه هو، أي جسده، في مقارنة واضحة مع المن الذي أكله آباؤهم وماتوا. ولكن ما أشهى المعاني المستترة في هذا الإنجيل العجيب!!!

و يلاحظ القارىء أن من هذه الإشارة التي اهتم بها الرب: أن يجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع منها شيء، أخذت الكنيسة منذ البدء نفس هذا الاهتمام وطبَّقته على كسر الخبز السرِّي أي جسد الرب في سر الإفخارستيا، حيث يجتهد الكاهن والشماس معاً أن يجمعوا الفتات المتبقية — في الصينية — بعد توزيع الجسد، و يلتقطها الكاهن باهتمام حتى لا يضيع منها شيء.

كما أن جمع الكسر المتفرقة معاً في اثنتي عشرة قفة لا يزال يحمل معنى روحياً متسعاً. فقد اتخذته الكنيسة في طقس الإفخارستيا ليشير إلى جمع شمل المتفرقين من أبناء الله، بل ووضعت الكنيسة في الطقس الإفخارستي دعاءها الرسمي على هذا المعنى بالذات، وذلك في ترتيب طقس

ليتورجية «الديداخي»، التي يُظن أنها من وضع الرسل أنفسهم:

[أما بخصوص «المكسور» (أي الخبز المكسور) κλάσμα فقولوا هكذا: نشكرك يا أبانا ... كما كان هذا «المكسور» (أي الخبز المكسور) مبعثراً فوق التلال ـــ(قمحاً)ـــ ثم جُمع معاً وصار واحداً، هكذا اجعل كنيستك تجتمع معاً من أقاصي الأرض إلى ملكوتك.](١٢)

ومع الفحص والتدقيق، نجد أن نفس الكلمات بلفظها اليوناني التي جاءت هنا في هذه الإفخارستيا، جاءت في معجزة كسر الخمس الخبزات وجمع الكِسَر التي فضلت. وهذه الكلمات هي: «كِسَر الخبز» κλάσματα، و«شَكَر» εὐχαριστήσας، «على الجبل» ὄρος، «اجمعوا» و«تجمعت معاً» συνηγάγετε. فإذا أضفنا إليها ما ذُكر في إنجيل ق. يوحنا عن محاولة جَعْل المسيح مَلِكاً بعد معجزة الخمس الخبزات مباشرة، تكون قد تطابقت أيضاً كلمة «ملكوتك» ـــ الواردة في الديداخي ـــ مع «المسيح كملك».(١٣)

وبالنهاية نستطيع أن نقول إن رواية إطعام الجموع من الخمس الخبزات بكل تفاصيلها جاءت بوضع إفخارستي غاية في العمق الروحي، أخذته الكنيسة حتى بكلماته وحروفه، إلى درجة أن الكنيسة في العصور الأُولى كانت تفضِّل أن يكون الخبز الإفخارستي من الشعير!(١٤)

أما التدقيق في كون الكسر قد جُمعت في اثنتي عشرة قفة، فهذا إشارة واضحة إلى جمع أبناء الله المتفرقين في كنيسة الرسل الاثني عشر المتحدة، في شخص يسوع.

كذلك لا يفوتني أنا كاتب هذه السطور أن أحكي للقارىء أن في أيامي وجدتُ تدقيقاً زائداً عن الحد في البيوت في جمع كِسَر أو فتافيت الخبز بوجه خاص بعد الأكل باهتمام بالغ، بإحساس جعلني شديد الانتباه والسؤال دائماً في ذهني، لماذا هذه المبالغة في جمع الكِسَر أو فتافيت الخبز خاصة؟ وإني رأيت بعينيَّ أن أمي كانت تجمع الكِسَر وتقبِّلها قبل أن تضعها في سلة الخبز بعد الأكل. وأخيراً أدركتُ أن التراث القبطي لا يزال مطبوعاً بقصة الخمس الخبزات، وأن البيت القبطي كان وربما لا يزال يعايش إنجيل يوحنا، بل المسيح.

(١٢) الديداخي ٩: ٣و٤. أنظر كتاب: «الإفخارستيا والقداس» للمؤلف، طبعة ١٩٧٧، ص ٣٠٠.

13 Brown, Raymond E., *op. cit.*, Vol. I, p. 248.

14 Ibid, p. 248, citing J. McHugh, *VD* 39 (1961), 222-39.

د ــ تأثير المعجزة: (١٤ــ١٥).

٦ : ١٤و١٥ «فلما رأى الناسُ الآيةَ التي صَنَعَها يسوعُ قالُوا إنَّ هذا هو بالحقيقةِ النبيُّ الآتي إلى العالم. وأما يسوعُ فإذ عَلِمَ أنهم مُزمعونَ أن يأتُوا ويختطفُوهُ ليجعلُوهُ مَلِكاً انصَرَفَ أيضاً إلى الجَبَلِ وحدَهُ».

وهنا تأتي، أيها القارىء العزيز، إلى أخطر ما في قصة إشباع الجموع من سالبية وجهالة وخروج عن خط الإيمان الصحيح بالنسبة لحقيقة المسيح المخلِّص والفادي.

واضح من بداية القصة حينما ذكر الإنجيل: «وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى» (يو٦: ٢)، أن هؤلاء الذين تبعوا الرب كانوا مأخوذين بالمعجزات التي تمت لمرضاهم وربما كان فيهم نفس المرضى الذين شفاهم الرب. فلما جاءت معجزة إشباعهم في القفر وصل بهم الحماس إلى أقصاه، ولكنه لم يكن حماساً روحياً في أهدافه بل جسدياً وسياسياً في مرماه، خاصة إذا أضفنا هذا الحماس الجسدي للشبع الإعجازي المبهر إلى الإحساس بالضيق من العبودية المرّة، التي كانوا يعانونها تحت حكم الرومان عامةً وحكم هيرودس ملك الجليل خاصةً، بعدما أقْدَم على قتل يوحنا المعمدان في السجن، علماً بأن يوحنا المعمدان كان نبياً محبوباً لدى الناس.

والآن، لقد رأى المتحمسون من الجليليين صورة تنطبق على النبي الذي ينتظرونه مثل موسى يمكن أن يشبعهم خبزاً ويحررهم من العبودية حسب تحقيقات الربيين: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون.» (تث١٨: ١٥)

ولكن الرب أجرى معجزة إشباع هؤلاء الخمسة الآلاف مع نساء وأولاد لأنه كان لا يمكن أن يصرفهم جائعين، لأن الراعي لا يُعذِّب خرافه. فالرب عندما كان يُجري معجزة ــ أي معجزة ــ لم يكن يقصد المعجزة بحد ذاتها، ولم تكن المعجزة معجزة بالنسبة له، فهذا عمله. فعمل المسيح هو عمل الله، وأعمال الله كلها معجزات عند الإنسان ولكن ليس عند الله(١٥). كل عمل من أعمال الله التي كان يجريها المسيح كان يحمل إشارةً أو شهادةً أو برهانَ الله الذي في المسيح.

فعندما أخذ المسيح الخبزات الخمس على يديه وشكر، صار الخبز حاملاً سِرَّ الله وقوته، صار

(١٥) يرجع المدخل ص٢٩٤.

خبزَ الله ولكن في سر، فلم يَعُدْ خبز الشقاء والعَوَز والجوع الذي تُعَدُّ خبزاته بالأرقام، بل خبز الراحة والسعة والشبع والزيادة بسبب قوة الله المحيية. فالزيادة التي حدثت في الخمس الخبزات هي من فعل الروح، والمسيح كان يدرك ذلك، وكان رد الفعل الذي ينتظره هو أن الناس الذين أكلوا من بركة وقوة الله، أن يمجّدوا الله و يدركوا سِرَّ الله الفائض في المسيح فيؤمنوا بالمسيح بصفته التي أعلنها عن نفسه و يصدقوه أنه ابن الله.

ولكن خطأ الناس دائماً هو أنهم يستخلصون من بركات الله الخاصة لهم مزيداً من التعالي على الآخرين، مغالاة في التعظُّم بعقائدهم، وفرصة لطلب النقمة على أعدائهم. على هذا الأساس أراد بعض المتحمسين من الخمسة الآلاف أن يتخلصوا من واقع جوعهم وعوزهم وأمراضهم وعبوديتهم تحت أرجل الرومان واستبداد هيرودس بأن يصنعوا من المسيح مخلِّصاً ومُنتقِماً لهم حسب فكر قلوبهم، و ينصِّبوه ملكاً لأنفسهم بالشكل الذي يستحسنوه. وقد وضعوا في قلوبهم أنه إذا رفض، فعليهم أن يختطفوه عنوة ويجعلوه ملكاً بالقوة، الشيء الذي لم يُسمع به قط على مدى كل تاريخ شعب يعبد الله بالحق!

طبعاً، ردُّ الفعل عند القارىء هو أن هذه جهالة، ولكن المحزن أن العالم لا يزال يطلب ذلك، بل وكثير من الحكومات والكنائس والعقائد والمتدينين يصلُّون و يطلبون و يلحون على الله والمسيح أن يكون ملكاً عليهم وحدهم، ليردَّ عنهم ظلم الآخرين، و ينصرهم على الأقوياء والمستبدين! فالحروب الصليبية باسم المسيح كان شعارها الصليب مرسوماً على البيارق والسيوف، لقد نصَّبوا المسيح بالفعل ملكاً محارباً بالسيف والرمح ليقتل ويحطم المغيرين والأعداء. كذلك أيضاً كانت محاكم التفتيش والقتل وإشعال النار في المؤمنين غير الخاضعين لسلطان البابوات (آنذاك)، كان كل هذا يجري باسم المسيح الذي نصَّبه خلفاء أباطرة الرومان ملكاً لأنفسهم على روما وحدها ليُخضع العالم تحت أرجلهم؛ بل ولا يزال حتى اليوم كل كنيسة وكل عقيدة تطلب وتلح وتؤكد على المسيح أن يلتزم بنصرتها كملك عليها، بالدفاع عنها، والانتقام من أعدائها. ولو كان ممكناً أن يظهر المسيح لهم لاختطفوه ولأرادوا أن يجعلوه ملكاً عليهم وحدهم و بالقوة.

لهذا كان قلب المسيح ثقيلاً وحزيناً على هؤلاء الجليليين الذين تاهوا عن الله وعن خلاصهم الحقيقي، وفقدوا الرؤية الصحيحة للمسيح كمخلِّص وفادٍ. ولم يكن أمام المسيح بعد أن صنع المعجزة إلا أن يختفي فجأة عنهم «وينصرف وحده»!

ولا يزال المسيح إلى الآن يرفض أن يكون ملكاً عنصرياً أو عقائدياً على شعب ما أو على عقيدة

ما، أو يكون واسطة لتسهيل الحياة الطبيعية، أو ضامناً لمسرات الناس الأرضية، فـ« المسيح هو ربٌّ **لمجد الله الآب**» (في ٢ : ١١). وآيات المسيح كلها هي لمجد الآب الذي لن يتأتى إلا بحب الناس بعضهم للبعض، والعفو عن الخاطىء المذنب. وإن قول المسيح: «أنا مجَّدتك على الأرض» (يو١٧ : ٤)، يعني أنه أعطى نفسه ذبيحة حب لكل الناس، والمسيح هو مسيح العالم كله لحساب الآب السماوي.

٢ ــ الآية الملازمة لإشباع الجموع

السير على الماء[١٦]

(٦: ١٦ــ٢١)

«أبصَرَتْكَ المياه يا الله، أبْصَرَتْكَ المياه ففَزِعت، ارتعدت أيضاً اللُجَج ... في البحر طريقُك وسُبُلك في المياه الكثيرة وآثارُك لم تُعْرَف.» (مز٧٧: ١٦و١٩)

«الباسِطُ السمواتِ وحدَهُ والماشي على أعالي البحر.» (أيوب٩: ٨)

٦: ١٦ــ٢١ **«ولما كان المساءُ نزلَ تلاميذُهُ إلى البحرِ. فدخلوا السفينةَ وكانوا يذهبونَ إلى عبْرِ البحرِ إلى كفرناحومَ. وكان الظلامُ قد أقْبَلَ، ولم يَكُنْ يسوعُ قد أتى إليهم. وهاجَ البحرُ من ريحٍ عظيمةٍ تَهُبُّ. فلما كانوا قد جَدَّفوا نحو خمسٍ وعشرين أو ثلاثين غَلْوَةً σταδίους نظرُوا يسوعَ ماشياً على البحرِ مُقتَرِباً من السفينةِ؛ فخافُوا. فقال لهم: أنا هو لا تخافُوا. فرَضُوا أن يقبَلُوهُ في السفينةِ، وللوقتِ صارَت السفينةُ إلى الأرضِ التي كانوا ذاهِبينَ إليها».**

«أنت متسلِّطٌ على كبرياء البحر عند ارتفاع لُجَجِه أنت تسكِّنها.» (مز٨٩: ٩)

لقد اشترك مع إنجيل ق. يوحنا، في رواية هذه المعجزة الملازمة لمعجزة إشباع الجموع، كلٌّ من إنجيل القديس متى (١٤: ٢٢)، وإنجيل القديس مرقس (٦: ٤٥)، ولكن بأوصاف تختلف اختلافات طفيفة.

فبينما يسرد ق. يوحنا هذه المعجزة باختصار شديد، نقرأ في إنجيل القديس مرقس أن المسيح «أَلْزَمَ تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوا إلى العَبْر، إلى بيت صيدا (الجليل)، حتى يكون قد صرف الجمع. وبعدما ودَّعهم مضى إلى الجبل ليصلي» (مر٦: ٤٥و٤٦). بهذا تكمل الصورة التي أعطاها ق. يوحنا في إنجيله حيث يتضح من كلمة «أَلْزَمَ» تلاميذه، عند القديس مرقس، أن

(١٦) راجع المدخل ص٢٧٩ــ٢٨٠.

الرب استخدم سلطانه أمام إلحاح التلاميذ في البقاء معه خوفاً عليه من المتحمسين الذين أرادوا أن يختطفوه، ولكن الرب هو الرب، لا يحتاج إلى آخر. كذلك نفهم من كلمة «"ويسبقوا" إلى العَبْر»، أن الرب وعدهم بالمجيء إليهم. ولكن كيف سيتقابل معهم؟ لم توضح الأناجيل ذلك، وربما كان الإتفاق أن يسيروا بالسفينة بحذاء الشاطىء الشمالي للبحيرة، حيث يقابلهم سائراً على الشاطىء. لذلك نقرأ في إنجيل ق. يوحنا: «وكان الظلام قد أقْبل، **ولم يكن يسوع قد أتى إليهم.**» (٦: ١٧)

ويُلاحَظ أن الرب ألزم تلاميذه على ركوب السفينة في المساء ὀψία، فـ«المساءُ» هنا لا تفيد المقصود من كلمة «أبسيا» اليونانية، فكلمة «أبسيا» في اليونانية تفيد «الغروب» أي آخر ساعات النهار ولكن قبل ظلام الليل. فالتلاميذ ركبوا السفينة في الغروب. وعندما حلَّ الظلام ــ وهذا هو بدء الليل الذي يكون بعد الغروب بحوالي ساعة ــ يقول إنجيل ق. يوحنا أن بدخول الليل لم يكن يسوع قد أتى إليهم بعد، فانقطع أملهم من رؤيته سائراً على الشاطىء.

وق. يوحنا هنا لا يورد كلمة «**الظلام**» إلاّ ووراءها معنى غياب النور أي المسيح، وهكذا ينسج ق. يوحنا من الألفاظ معاني أعمق من مجرد شكلها ومعناها البسيط. ومعنى مجيء الظلام بأسلوب ق. يوحنا يكون غياب النور أو الإيمان أي عدم مجيء المسيح، وهذا يحمل معه حدوث تجربة خطرة، فيقول مباشرة: «**وهاج** البحر من ريح عظيمة تهُبُّ»، حيث التجربة هنا تصنعها الطبيعة سواء الرياح أو الأمواج بإيعاز من رئيس سلطان الهواء ــ القوة المعادية ــ كما يقول القديس بولس (أف٢: ٢). وهكذا يكون غياب المسيح قد كشف عن حضور المجرِّب. ومن سياق القصة ــ كما جاء في إنجيل القديس مرقس: «ولما صار المساء كانت السفينة في **وسط البحر، وهو على البرِّ وحده**، ورآهم **معذَّبين** في الجذف، لأن الريح كانت ضدهم» (٦: ٤٧و٤٨). نفهم من ذلك أن الرياح كانت شمالية غربية، واتجاه السفينة كان نحو الشمال الغربي وهذا اتجاه موقع كفرناحوم. والنتيجة أن الرياح والأمواج قذفت بالسفينة إلى عمق البحيرة بعيداً جداً عن الشاطىء. فإذا عرفنا أن أقصى عرض للبحيرة[١٧] كان نحو أربعين غَلْوة στάδιον بالقياس الروماني، والغَلْوة أو الستاديون تساوي حوالي ٢٠٠ متراً، أي أن عرض البحيرة حوالي ٨ كيلومترات. وق. يوحنا يذكر أنهم جذَّفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غَلْوة أي ما بين خمسة

(١٧) الآن طول بحيرة الجليل ٢١ كيلومتراً وعرضها ١٢ كيلومتراً. ولكن بحسب القياسات في زمن يوسيفوس (القرن الأول للميلاد) كان عرض البحيرة ٤٠ ستاديون أي ٨ كيلومترات، وطولها ١٤٠ ستاديون أي ٢٧ كيلومتراً. علماً بأن الستاديون στάδιον يساوي ٦٠٠ قدم.

إلى ستة كيلومترات بعيداً عن الشاطىء. و يضيف القديس مرقس أن ذلك استغرق منهم وقتاً طو يلاً حيث أصبحوا في الهزيع الرابع: «ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر» (مر٦: ٤٨). والهزيع الرابع يقابل الساعة الثالثة بعد نصف الليل. وهذا معناه أنهم ظلوا يجدّفون معذَّبين من الرياح والأمواج التي ضدهم نحو عشر ساعات متواصلة بلا راحة!!

وهكذا أيضاً، وبالمعنى الروحي العميق، يجيء المسيح في الهزيع الرابع من الليل للمعذَّبين الذين ينتظرونه بفروغ الصبر. وداود النبي، وكأنه كان على الشاطىء الآخر وراء الدهور السالفة يرصد بالنبوَّة هذا المنظر المأساوي العجيب، وكيف سيجيء الرب حتماً في الميعاد للخلاص المرسوم يقول:

ــ «النازلون إلى البحر في السفن، العاملون عملاً في المياه الكثيرة، هم رأوا أعمال الرب وعجائبه في العمق، أمر فأهاج ريحاً عاصفة فرفعت أمواجه، يصعدون إلى السموات، يهبطون إلى الأعماق؛ ذابت أنفسهم بالشقاء. يتمايلون ويترنحون مثل السكران وكل حكمتهم ابتُلِعَتْ. فيصرخون إلى الرب في ضيقهم، ومن شدائدهم يخلصهم. يُهْدِئُ العاصفة، فتسْكُنُ، وتسكت أمواجها. فيفرحون لأنهم هدأوا. فيَهديهم إلى المرفإ الذي يريدونه. فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم.» (مز١٠٧: ٢٣ــ٣١)

إن قول ق. يوحنا أنهم «نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة فخافوا فقال لهم "أنا هو" لا تخافوا»، يحمل مقارنة على التوازي بين موسى والمسيح تأتي في موضع الإعجاز والإعجاب، لأن موسى بعد أكل خروف الفصح مباشرة انطلق بالشعب إلى البحر الأحمر ليشقَّه ويسير وسط أمواجه بإعجاز يُتعجَّب منه.

وبالعودة إلى قصة الخمس الخبزات وما رادفها من ذكر الفصح، يأتي مباشرة ذِكْرُ المسيح ماشياً على البحر المضطرب ليعطي تكملة المقارنة مع موسى، الذي لكي يعبر البحر الأحمر مع الشعب أمره الرب أن يَفْلِقَ المياه ليسير على اليابس في العمق، أما الرب فسار هنا وهو يتهادى على سطح المياه: أبْصَرَتْهُ المياه ففَزِعَتْ!! «أبصرتك المياه يا الله أبصرتك المياه ففزعت ارتعدت أيضاً اللجج .... في البحر طريقُك وسُبلك في المياه الكثيرة وآثارُك لم تُعْرَف» (مز٧٧: ١٦و١٩). أما كيف فزعت المياه وارتعدت اللجج، فهذا يصفه القديس مرقس في اختصار شديد: «فصعد إليهم إلى السفينة فسَكَنَت الريح، فبُهتُوا وتعجبوا في أنفسهم جداً إلى الغاية.» (مر٦: ٥١)

أما سلطانه على الرياح والأمواج فيصفه القديس مرقس في موضع آخر هكذا: «فحدث نوءُ

ريح عظيم، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلىء. وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له: يا معلم أما يَهمُّك أننا نهلك؟ فقام **وانتهر الريح وقال للبحر: أسكتْ، اِبْكَمْ. فسكنت الريح وصار هدوء عظيم. وقال لهم ما بالكم خائفين هكذا. كيف لا إيمان لكم.** فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض: من هو هذا فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه.» (مر٤: ٣٧—٤١)

«فرضوا أن يقبلوه (يأخذوه) في السفينة»:

الآن يلزم أن نصحح الترجمة العربية للآية: «فرضوا أن يقبلوه في السفينة...» والتي جاءت في الترجمة الإنجليزية بصورة أفضل: **and willingly received**. هنا فعل إرادة ومشيئة وليس «رضا». وقد جاء الفعل في اليونانية في زمن الماضي المتصل كحالة مستديمة، بمعنى أنه كانت لهم إرادة بتلهُّف أن يدخل السفينة ἤθελον οὖν λαβεῖν، وقد جاءت في الترجمة اللاتينية: voluerunt accipere لتفيد الشعور المتلهِّف بالإرادة لاستقبال الرب. والذي يُزيد هذا المعنى تأكيداً، ما جاء في إنجيل القديس مرقس: «وأتاهم ماشياً على البحر **وأراد** أن يتجاوزهم...» ونحن نفهم من هذا أن الرب كان سائراً على الأمواج بمحاذاتهم، ولم يكن له قصدٌ أن يدخل السفينة، مكتفياً بأن يُظهر نفسه لهم ليبدِّد خوفهم، ولكن على العكس، فقد ازداد خوفهم من أن يكون الذي يرونه خيالاً فطمأنهم بصوته و بالجملة المعهودة: «"أنا هو" Ἐγώ εἰμι لا تخافوا». و«أنا هو»، التي سجلها هنا ق. يوحنا، تأتي برنينها اللاهوتي المعبِّر عن شخص الله، فالمسيح أراد أن يعلن عن حضوره الإلهي لتلاميذه في هذه المناسبة. فلما اطمأنوا أنه الرب، أظهروا إرادتهم أن يأخذوه معهم في السفينة. وكلمة «فرضوا أن يقبلوه» بلغة ق. يوحنا السرائرية تفيد قبول الإيمان بعد نفور الخوف الذي يأتي من عدم الإيمان: «كيف لا إيمان لكم» (مر٤: ٤٠). كذلك حينما تدخَّل بطرس ليختبر حقيقة أنه الرب، (كما ورد في إنجيل متى): «وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال، ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجعوا — أنا هو— لا تخافوا. فأجابه بطرس وقال: يا سيد، إنْ كُنتَ أنت هو **فَمُرْني أن آتي إليك** على الماء.» (مت١٤: ٢٥—٢٨).

يتضح من هذا أكثر أن الرب كان ماشياً بمحاذاة السفينة، كما يتضح أن بطرس أراد أن يسير نحوه **ليسير معه**.

كذلك فإن قول إنجيل القديس مرقس: «فأراد أن يتجاوزهم»، لا يأتي بدون معنى أو أهمية لاهوتية، فهذا هو وضع الله حينما كان يتراءى للإنسان قديماً، مثلما تراءى لموسى؛ حينما اجتاز

الربُّ، أي تجاوزَه، ليرى موسى خَلْفَه ولا يرى وجهه: «فقال (موسى): أرِني مجدك. فقال (الله): أُجيز كل جودتي قدامك، وأنادي باسم الرب (أنا هو ἐγώ εἰμι) قدامك، وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم. وقال: لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني و يعيش. وقال الرب: هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة، و يكون متى اجتاز مجدي، أني أضعُكَ في نُقْرةٍ من الصخرة، وأسْتُرك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفعُ يدي فتنظرُ ورائي. وأما وجهي فلا يُرَى.» (خر٣٣: ١٨–٢٣)

وهكذا نرى الربَّ يسير بجوار موسى ويجتاز أمامه، حيث يقول الوحي الإلهي هنا بضرورة أن يجتاز الرب حتى يمكن للإنسان التعرُّف عليه.

كذلك نرى نفس الوضع مع إيليا حينما تراءى له الله **بعد أن اجتاز** أمامه «فقال (الرب): اخرُجْ وقِفْ على الجبل أمام الرب، **وإذا بالرب عابرٌ (مجتاز)**، وريحٌ عظيمةٌ وشديدة قد شَقَّت الجبال وكَسَّرت الصخور أمام الرب ولم يكن الرب في الريح. وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نارٌ ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوتٌ منخفضٌ خفيفٌ. **فلما سمع إيليا، لفَّ وجهه بردائه وخرج ووقف** في باب المغارة، **وإذا بصوت إليه** يقول: مالك ههنا يا إيليا.» (١مل١٩: ١١–١٣)

وهنا أيضاً نرى عبور الرب (اجتيازه) أمام إيليا ضرورة إلهية يشترطها الوحي، حتى يمكن التعرُّف عليه بعد ذلك **من صوته.**

وهذا ما حدث تماماً في قصة سير الرب على المياه بجوار السفينة واجتيازه: «وأراد أن يتجاوزهم»، ثم إذ صرخوا كان صوته إليهم: «"أنا هو" ἐγώ εἰμι لا تخافوا». هكذا استعلن المسيح ذاته لهم كرَبٍّ وإله، وليس كخيال، فتعرَّفوا عليه، فأرادوا في الحال أن يأخذوه في السفينة. هنا يضيف القديس مرقس: «فصعد إليهم في السفينة». وهذا أيضاً ردٌّ مباشر على كثير من العلماء الذين أرادوا أن يقلِّلوا من معجزة السير على البحر، إذ قالوا أن قول الإنجيل: «ماشياً على البحر»، يفيد أنه كان يسير على شاطىء البحيرة وليس على الماء. فبشيء من البصيرة والدقة العلمية نكتشف زيف تحليلهم للكلمات، إذ يقول القديس مرقس إنه صعد إليهم في السفينة، فلو كان المسيح سائراً على الشاطىء لكان القول: «ونزل» إليهم في السفينة، لأن الشاطىء أعلى من مستوى البحر والسفينة. ولكنه يقول إنه صعد إليهم في السفينة، لأن مستوى الموج الذي كان يسير عليه منخفضٌ عن مستوى السفينة.

كذلك يضيف القديس مرقس «فسكنت الريح». نعم، فدخول الرب إلى سفينتنا المضطربة، يتبعه حتماً سكونٌ وهدوءٌ. وهنا يتضح القصد الإنجيلي أن الرب هو قاهرُ قُوَى الموت وسلطانه.

٦: ٢١ «وللوقتِ صارَت السفينةُ إلى الأرضِ التي كانُوا ذاهبينَ إليها».

هنا يضيف ق. يوحنا معجزة أخرى على نفس مستوى السير على الماء، تتوافق تماماً مع سلطان الرب على إخضاع عنف الريح ولجج البحر. فالذي أضافته الرياح العاصفة من مشقة على الرحلة، وما كسحته الأمواج من مسافة زائدة، رفعه الرب من حساب الرحلة؛ فللحال وجدوا أنفسهم على الشاطىء. وهنا تطابق لنص ق. يوحنا على النص النبوي في المزمور الذي صوَّر هذه الرحلة من وراء الأزمنة، أمرٌ يتعجب له: «يُهْدِئُ العاصفة فتسكُنُ، وتسكت أمواجها. فيفرحون، لأنهم **هَدَأُوا، فيَهْديهم إلى المرفإ الذي يريدونه**» (مز١٠٧: ٢٩و٣٠).(١٨)

وبلغة ق. يوحنا، فإنهم حالما قبلوه بإرادة فرحة، بلغوا شاطىء الأمان. إنها صورة حية لنهاية تجربة بحر الحياة الصاخب، ومعاندة القوى الشريرة التي تقف معاندة إلى أن يدخل الرب سفينة العبور، لتصير للحال في ميناء الراحة الأبدي.

هنا نكتفي بالشرح القليل الذي قدمناه من خلال السطور أثناء تحليلنا للنصوص الواردة في القصة. لأن الشرح الكامل سوف يقدمه المسيح بنفسه وبإسهاب في مجمع كفرناحوم في اليوم الثاني من وصول السفينة إلى كفرناحوم.

(١٨) [ألا إني سائح طالب دار السما موطني، لا بد أن تنتهي غربتي وأمضي إلى موطني].

٣ ــ حديث الرب في مجمع كفرناحوم عن جسده الحي كخبز الحياة الأبدية (١٩)

هذا الحديث ينقسم إلى ثلاثة أقسام مطوّلة، وكل قسم يبدأ بمبادرة من اليهود:

أ ــ الجزء الأول من الحديث (٦: ٢٦ــ٤٠): و يبدأ بالسؤال البسيط: «ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له: يا معلم متى صرت هنا؟»

ب ــ الجزء الثاني من الحديث (٦: ٤١ــ٥١): و يبدأ بتذمر بسؤال استنكاري: «فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء، وقالوا: أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه...».

ج ــ الجزء الثالث من الحديث (٦: ٥٢ــ٥٨): و يبدأ إثر منازعة فيما بينهم: «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟»

وكانت الحقائق التي جاءت رداً على هذه الأسئلة الثلاثة، كفاية لكل حديث، كالآتي:

الجزء الأول من الحديث: اختص باستعلان الحياة الأبدية المخفية في جسد المسيح: «أنا هو خبز الحياة».

الجزء الثاني من الحديث: اختص بعلاقة الابن بالآب: «ليس أن أحداً رأى الآب إلاّ الذي من الله. هذا قد رأى الآب»؛ «لا يقدر أحدٌ أن يُقبِلَ إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني...»

الجزء الثالث من الحديث: اختص بالحصول على المسيح الكلمة المتجسد بأكل جسده وشرب دمه: «من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية... فمن يأكلني فهو يحيا بي».

(١٩) راجع المدخل ص٢٧٣ــ٢٧٥ و٢٨٢ــ٢٨٤.

التمهيد لحديث الرب: (٦:٢٢ــ٢٥).

٦:٢٢ــ٢٥ **«وفي الغَدِ لـمَّا رأى الجمعُ الذينَ كانوا واقِفينَ في عَبْرِ البحرِ أنه لم تكن هناك سفينةٌ أخرى سوى واحدةٍ، وهي تلك التي دَخلَها تلاميذُهُ، وأن يسوعَ لم يدخل السفينةَ مع تلاميذِهِ بل مضى تلاميذُهُ وحدَهُم؛ غَيرَ أنه جاءت سفنٌ من طبرية إلى قُربِ الموضعِ الذي أكلوا فيهِ الخبزَ إذ شَكَرَ الربُّ. فلمَّا رأى الجَمْعُ أن يسوعَ ليس هو هنالكَ ولا تلاميذُهُ، دخلُوا هم أيضاً السفنَ وجاءوا إلى كفرناحومَ يطلبون يسوعَ. ولمَّا وجدُوه في عَبْرِ البحرِ قالوا له: يا مُعَلِّمُ متى صِرْتَ هُنا».**

من هذه الرواية يتضح لنا أن الجموع كانت تراقب المسيح مراقبة شديدة لعلهم يستطيعون أن ينجحوا في محاصرته وإقناعه أن يُنصِّبوه ملكاً، حسب الرواية السابقة. وقد لاحظ الجمع، وخاصة المتحمسون منهم، أن التلاميذ مضوا وحدهم، وأما الرب فبقي على الجبل وحده وأنهم في الصباح لم يجدوه.

«غير أنه جاءت سفن من طبرية إلى قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز τὸν ἄρτον إذ شكر الرب»:

هذا تعبير إفخارستي واضح: «الذي شكر عليه الرب» أي الذي باركه أو قدَّسه الرب بصلاة الشكر أو الإفخارستيا.

ويلاحظ هنا أن مجيء السفن إلى هذا الموضع ليس طبيعياً، فالمكان ليس به مرفأ. ولكن إذا لاحظنا أن الريح العاصف الشديد كان يهب من الشمال الغربي، لأدركنا في الحال أن الرياح اكتسحت سفناً (بدون «الـ» التعريف أي عرضاً)، إلى هذه الناحية الشرقية، فانتهزها الرجال المتحمسون وركبوا هذه السفن إلى كفرناحوم بحثاً عن المعلم. وبهذا أيضاً ندرك أن هؤلاء الرجال كانوا في غاية الحماس ومتأثرين غاية التأثر من عجيبة الخبز الذي أكلوا وفاض عنهم. ومما زاد من حماسهم، اكتشافهم عند عثورهم عليه في كفرناحوم أن المسيح لم يركب أي سفينة، ولا بد أنه شاع خبر عبوره البحيرة سائراً على الماء، فأهاج آمالهم في مملكة الأحلام التي كانوا يحلمون بها. وسؤالهم له: «متى (أو كيف على وجه الأصح) صرت هنا؟»، هو محاولة ملحَّة منهم ليكشف لهم المعلم عن سِرِّ قدرته المتعاظمة في نظرهم علانية، ولكن للأسف فإن كل هذا الحماس والسعي والأمل الذي اعتمل في نفوسهم بخصوص المسيح، لم يخرج عن المحيط المادي والسياسي الذي كانوا يحلمون به على مستوى ما كان يعيش فيه آباؤهم مع موسى.

وهنا يبدأ المسيح يصحح مفهوماتهم عن قدراته الفائقة ومصدرها وغايتها، و يصحح المقارنة الخاطئة بينه و بين موسى، و يضع أسس العلاقة الصحيحة التي تربطه بالإنسان على نور العلاقة التي تربطه بالآب السماوي.

أ ــ الجزء الأول من الحديث: (٦ : ٢٦ــ ٤٠).

«أجابهم يسوع وقال: الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه. فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟ أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله. فقالوا له: فأية آيةٍ تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المنَّ في البرية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا.

فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم. فقالوا له: يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة. من يُقْبِلْ إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمنْ بي فلا يعطش أبداً، ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون، كلُّ ما يعطيني الآب فإليَّ يُقْبِل، ومنْ يُقْبِلْ إليَّ لا أُخرِجْه خارجاً؛ لأني قد نزلتُ من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني؛ وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أنَّ كل ما أعطاني لا أُتْلف منه شيئاً بل أُقيمه في اليوم الأخير، لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أنَّ كلَّ مَنْ يرى الابن و يؤمن به، تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير».

٦ : ٢٦و٢٧ **«أجابَهُمْ يسوعُ وقالَ: الحقّ الحقّ أقولُ لكم أنتم تطلبونَني ليس لأنكم رأيتم آياتٍ، بل لأنكم أكلتُم من الخبزِ فشبعتم، اعملوا لا للطعامِ البائدِ، بل للطعامِ الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابنُ الإنسانِ، لأن هذا الله الآبُ قد ختَمَهُ».**

كان رد المسيح على سؤالهم عنه رداً كاشفاً حاسماً مبكِّتاً، ومعناه أنكم لستم تطلبونني بل تطلبون عطاياي. لـمّا أكلتم من الخبز لم تروا فيه آية بل طعاماً للشبع، كما لم تروا في كل الأشفية التي صنعتُها أمامكم أية إشارة أو آية إلى مَنْ صنعها، بل ربحاً وراحة للجسد تطمعون في المزيد منه وتطلبون الأكثر والأعجب؛ حيث يلاحظ هنا أن قول الإنجيل: «ليس لأنكم رأيتم آيات» يفيد **«رؤية الإيمان»** وهي غائبة عنهم.

ويلاحظ القارىء أن المسيح نفسه لم يكن يرى في الآيات التي يصنعها للناس من أشفية وغيرها مجرد أعمال رحمة أو محبة أو عطف، بل فعل إثارة لعقولهم وقلوبهم، حتى يدركوا ويؤمنوا بحقيقة شخصه، لكي بالإيمان به تكون لهم الحياة الأفضل والنعمة الدائمة الأبدية والشبع الحقيقي لأرواحهم وليس لأجسادهم. وهذا نفهمه بوضوح من تبكيته لهم: «اعملوا لا للطعام البائد ــ الخبز للشبع الجسدي ــ بل للطعام الباقي للحياة الأبدية (جسد المسيح نفسه) الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه».

ليتذكر القارىء قول الرب أثناء جمع الكسر في الاثنتي عشرة قفة: «لكي لا يضيع منه شيء» (آية ١٢). هنا كلمة «يضيع» هي نفسها التي جاءت هنا بمعنى «يبيد» أو «البائد»، إشارة من الرب أن الخبز الذي كسره ووزعه عليهم ينبغي أن لا يضيع فهو ليس من نوع الخبز البائد، بمعنى أن فيه سر الديمومة والحياة، إنْ بلغوا سِرَّ القوة التي كانت فيه ــ بالإيمان بالمسيح ــ الذي باركه وقسمه وأعطاه.

وهنا نرى أن الرب يشير إلى أن كل أعماله وآياته التي صنع قد تؤخذ وتُفهم وتؤكل على أنها بائدة، أي مادية أرضية، إذا لم يؤخذ المسيح الذي فيها بالإيمان. كما أنها قد تؤخذ وتُفْهَمُ على أنها باقية وحيَّة وأبدية إذا أخذ المسيح القائم فيها بالسِرّ.

وهنا يستهدف ق. يوحنا القارىء والسامع، فهو يروي رواية المسيح مع الجليليين واليهود ليس كتاريخ أو قصة، بل كفص إشارة وآية موجهة لقلب القارىء والسامع. وعطايا المسيح ــ أي عطايا ــ يستحيل أن تعمل للحياة الأبدية أو يكون لها نفع روحي إذا لم يكن المسيح هو قصدها الكلّي ومنتهى غايتها. فالذي يطلب من المسيح أن يُشفى، لن ينتفع من شفائه شيئاً إذا لم تكن الصحة المعطاة المستمدَّاة هي آية بحد ذاتها تعمل لحساب المسيح، وإلا يكون شفاؤه كملء بطن الجليليين من الخمس الخبزات التي لإفخارستيا المسيح، ليس إلاّ.

يُلاحظ هنا كلمة «"يعطيكم" ابن الإنسان». فالكلمة باليونانية δώσει هي عطية للحياة الأبدية، وهي من نفس أصل الكلمة التي رأيناها في قصة السامرية: «لو كنتِ تعلمين عطية الله τὴν δωρεὰν τοῦ θεοῦ» (يو ٤: ١٠)، فهي هناك «عطية المياه» الحية للحياة الأبدية، وهنا «عطية الطعام ــ أي الخبز الحي» للحياة الأبدية.

وهنا يُضمر النص الإنجيلي فعل الروح القدس المحيي، إن كان في الماء للمعمودية للميلاد الثاني، وإن كان في الخبز أي الجسد للإفخارستيا كطعام الحياة الدائمة.

أما كلمة «**ختمه**» ἐσφράγισεν فهي هنا واقعة **على المسيح، وليس على «الطعام»** βρῶσιν لأنها تأتي واقعة على اسم مذكر عاقل وليس على مؤنث حيث كلمة «طعام» في اليونانية مؤنثة، وهي تأتي في كتابات العهد الجديد لتفيد فعل الروح القدس في الميلاد الثاني أي ختم المعمودية (أف١ : ١٣ و٢كو١ : ٢٢)؛ أما هنا وهي تخص المسيح فتفيد ختم التقديس: «الذي **قدَّسه** الآب وأرسله إلى العالم» (يو١٠ : ٣٦). ختم **التقديس** الذي تم بواسطة الآب سواء في الميلاد: «فلذلك أيضاً **القدوس** المولود منكِ يدعى ابن الله» (لو١ : ٣٥)، «لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح **القدس**» (مت١ : ٢٠)، أو في المعمودية: «الذي ترى الروح **القدس** نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي سيعمِّد بالروح **القدس**. وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابن الله» (يو١ : ٣٣—٣٤)، أو في القيامة: «وتعيَّن ابنُ الله بقوة من جهة روح **القداسة** بالقيامة من الأموات.» (رو١ : ٤)

كما تأتي «خَتَمهُ» في قول الإنجيل: «لأن "**هذا**" الله الآب قد ختمه» بمعنى إضافي أن الله الآب قد «شهد له بنفسه». [كما نقول في أحاديثنا أنا مستعد أن **أختم** وأبصم على هذا أنه حق، حيث يفيد قولنا هذا شهادة للتصديق]. وهذا المعنى تكرر كثيراً في إنجيل ق. يوحنا (أنظر يو٣ : ٣٣). ولكن المعنى الثاني أن الآب يشهد له يأتي مترتباً على المعنى الأول أن: «**الآب قدَّسه**».

كما يُلاحَظ أنه للمرة الأولى والوحيدة في كل الأناجيل يأتي التعبير عن الله بـ«الله الآب» من فم المسيح بالمعنى العام، لأن المعتاد أن يقول المسيح إما أبي أو الآب، ولكن أن يأتي الله بالصيغة الأبوية العامة من فم المسيح، فهذا ليفيد أنه ليس ختماً خاصاً بالمسيح نفسه ولكن ختماً خاصاً بالإنسان ككلٍّ، **فهو** ختم أبوة الله على جسد الابن الوحيد، الكلمة المتجسد، ليصير الله به أباً لكل من يقبله (و يتناول منه).

٦ : ٢٨ «**فقالوا له: ماذا نفعلُ حتى نعمَلَ أعمالَ الله**».

سؤال مستمد من قول الرب السابق: «"**اعملوا**" ... للطعام الباقي للحياة الأبدية».

كان هؤلاء الجليليون يريدون أن **يأخذوا**، يأخذوا شبعاً جسدياً وراحة وكبرياءً وسلطةً، ليتحرروا بالجسد، فأرادوا وتحمسوا لأن يستخدموا الرب لتكميل شهواتهم بأن يجعلوه ملكاً. والمسيح الآن يردُّهم إلى الوضع الصحيح الذي يوصلهم إلى أكثر مما كانوا يريدون و يشتهون، ولكن ليس

لحساب الجسد الفاني، والطعام البائد، والعبودية السياسية، والعالم الذي وُضع بجملته في يد الشرير؛ ولكن لحساب الروح والحياة الأبدية. والمسيح، كملك سماوي، يعطي عطايا للمجد، وذلك بأن يعملوا و يعطوا و يبذلوا ويخسروا كل شيء لامتلاك المسيح كملك على قلوبهم لمجد الله. وشتان بين شهوة الأخذ وشهوة العطاء. فالأولى دائماً لحساب الجسد البائد، والثانية لحساب الجسد المُقام في مجد.

وأما سؤالهم للمسيح: «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟»، فهو سؤال يبدو صحيحاً في مظهره، ولكنه يضمر إصراراً على استخدام القدرة المظهرية، من عبادة وطقس، والفكر أو التدبير المادي كوسيلة للعمل، فالسؤال يكون صحيحاً إن هم قالوا: ما هو عمل الله لنعمله مباشرة؛ ولكنهم وضعوا قوة أنفسهم قبل قوة عمل الله: «ماذا **نفعل** حتى **نعمل**».

هذا هو انطباع الفكر اليهودي العام، وهذا يتضح من رد المسيح المصحّح الكاشف أن عمل الله لا يحتاج إلى فعل إنسان بل إلى إيمان: «هذا هو **عمل الله، أن تؤمنوا** بالذي هو أرسله»، هذا هو عمل الله، وهو العمل الوحيد الذي يطلبه الله لكي ينالوا الطعام الباقي للحياة الأبدية ولكي يحيوا إلى الأبد.

٦ : ٢٩ «أجابَ يسوعُ وقال لهم: هذا هو عملُ الله أن تؤمِنُوا بالذي هو أرسَلَهُ».

الرب هنا يكشف سر قصورهم في فهم كل الآيات التي عملها أمامهم، وفي فهم جوهر معجزة الخمس الخبزات التي فجرت شهوتهم للعودة إلى القوة والمُلْكِ. فلأنهم **أخفقوا في أن يرتفعوا بالآيات من مجرد الانتفاع بها إلى الإيمان البسيط السهل بالذي صنعها، لذلك ضاع عليهم الانتفاع بعمل الله لخلاصهم ولنوال الحياة الأبدية.**

والمسيح الآن يردُّهم إلى الوضع الصحيح بالنسبة له وللآيات التي صنعها، و بالنسبة لآمالهم في فهم المُلْكِ والحرية والخلاص. فـ«**عمل**» الله الذي عمله ــ و يلاحظ القارىء أن كلمة العمل هنا جاءت بالمفرد الفريد ــ هو أنه أرسل لهم مَنْ سيخلِّصهم ويحررهم و يُشبعهم و يُفرحهم و يُحييهم من الموت، وهو العمل الأعظَم من كل الأعمال التي عملها لهم الله في السابق، والعمل **الوحيد** الذي يحوي كل الأعمال الأخرى و يكملها و يستعلن الله فيها، سواء عمل الخلقة أو بركات الآباء أو التوراة أو الناموس أو الأنبياء، فإذا آمنوا به يكونون قد آمنوا بكل أعمال الله وتَمّموها، وختموا أن الله صادق: «ومَنْ قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذي أرسله الله

يتكلم بكلام الله.» (يو٣: ٣٣-٣٤)

وإذ يتكلم هنا إنجيل يوحنا بصدد الخبز الباقي للحياة الأبدية وكيفية الحصول عليه عملياً بالنسبة لسؤال الجليليين: «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟»، لا يمكن أن يتوه عن ذهننا قول المسيح بنفسه عن نفسه وعن هذا الطعام عينه أنه هو هو عَمَل مشيئة الآب!! وقد حدث سابقاً حينما سأله التلاميذ أن يأكل وهم حول بئر يعقوب: «وفي أثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين يا معلم كُل. فقال لهم أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم ... **طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله**» (يو٤: ٣١-٣٤). هنا يكمن جوهر معنى الطعام في قول المسيح: «هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله»، لأنه إن كان المسيح قد عمل مشيئة الله الآب الذي أرسله، واعتبر هذا العمل بمثابة طعامه السري الأسمى الذي يغتذي عليه، فكم وكم يكون الإيمان بالمسيح؟ ألا يكون هو الطعام الذي فيه عمل كل مشيئة الآب والابن معاً!؟ وماذا كان طعام المسيح السري إلاّ تكميل كل مسرة ومشيئة الآب من نحو خلاص العالم الذي أحبه بتقديم جسده على الصليب؟ فإذا كان طعام المسيح السري هو تقديم جسده على الصليب، إذن فقد صار جسده طعامنا السري الذي فيه تكميل كل مشيئة ومسرة وحب الآب والابن معاً من نحو خلاصنا وحياتنا. و يُلاحَظ أن في قول المسيح: «هذا هو عمل الله أن "**تؤمنوا**"»، جاءت كلمة "**تؤمنوا**"، بالقراءة اليونانية المصححة على النسخ الأكثر صحة، فبدل كلمة πιστεύσητε تُقرأ πιστεύητε ([٢٠])، وقد جاءت كفعل دائم مستمر الذي يفيد معنى «الشركة والارتباط السري الدائم».

٦: ٣٠و٣١ «فقالوا له: فأيةَ آيةٍ تصنع لنرى ونؤمنَ بكَ. ماذا تعمل؟ آباؤنا أكَلُوا المَنَّ في البريَّةِ كما هو مكتوبٌ أنه أعطاهُم خُبزاً من السماءِ ليأكُلُوا».

يلاحظ هنا أن الجليليين الذين رأوا معجزة الخمس الخبزات وأكلوا وشبعوا واعتبروها حافزاً لهم مناسباً جداً لكي يُنصِّبوا المسيح ملكاً، اعتماداً على أنها معجزة مكافئة لمعجزة موسى والمن ذات رنين واضح وشديد أن المسيح حتماً هو النبي؛ عادوا يضيفون على طلبهم آية من السماء، أو بالأحرى إنزال المنّ من السماء. وهنا نرى دخول عنصر جديد على فكر هؤلاء الجليليين شكّكهم فيما انتهوا إليه سابقاً، من أنه بمقتضى معجزة الخمس الخبزات والسمكتين يستحق أن يكون ملكاً؛ وهذا كان من تأثير دخول عناصر متعلمة فريسية أخرى في النقاش، مما يفيد أيضاً أن تكملة الحديث هنا **يدور** في مجمع اليهود في كفرناحوم.

---

[20] ICC, *op. cit.*, p. 193.

هنا ينبغي أن نرجع إلى الفكر اليهودي المعتمد ــ في زمن المسيح ــ الذي استقى منه اليهود هذا الطلب من المسيح بانزال المن من السماء لإثبات أنه المسيَّا الذي ينتظرونه. فالمعروف أن هذا الفكر الذي كان ينادي به المتعلمون من اليهود يرجع إلى الكتابات الرؤيوية التي كانت سائدة ــ بتحقيق العلماء ــ في ذلك الزمن، مثل رؤية باروخ التي جاء فيها:

[إنه سيأتي زمان فيه تنفتح مخازن المنّ، و ينزل المنُّ من السماء، وسيأكلون منه في هذه السنين (زمن ملوكية المسيَّا على الأرض)، لأن هؤلاء هم الذين سينتهي إليهم كمال الزمان.](٢١)

كذلك كان شائعاً قول للربيين يقول: [إن الذي فدى في السابق، أنزل لهم المن. كذلك فادينا في الأيام الأخيرة سيُنْزِل لنا المنّ، كما هو مكتوب في المزمور: «تكون حَفْنَةُ بُرٍّ (قمح) في الأرض في رؤوس الجبال» (مز٧٢:١٦)]. في حين أن نزول المنّ من السماء كان مجرد رمز لنزول الكلمة المتجسد. ومعروف أن **الرمز لا يُحيي، والرمز أيضاً لا يتكرر**، فكان المن رمزاً لما سيأتي. وأوضحُ تعبير لذلك أن نزول المنّ من السماء توقَّف عندما دخل بنو إسرائيل أرض كنعان وأكلوا من ثمر الحنطة، لأن الوقت آنذاك كان في الربيع. وثمر الحنطة (الخبز) كان واضحاً أنه إشارة إلى كلمة الله. فالمنُّ ــ **كرمز** ــ توقَّف لما أكلوا من الحنطة التي هي الخبز. وها هو المسيح يقدم جسده الإلهي باعتباره أنه هو الخبز **الحقيقي**. فإن كان العهد القديم كان قائماً بالمنّ؛ فالعهد الجديد قائم بالخبز الحقيقي، والحقيقي يلغي الرمز. والعهد القديم وإن كان قائماً بالناموس كخمسة أسفار موسى؛ فالعهد الجديد قائم بكلمة الله الحية.

وقد أصبح من المُسلَّمات في تعاليم الربيين في ذلك الوقت أن عودة نزول المن من السماء ستكون هي العلامة المميزة والثابتة التي ستلازم مجيء المسيا، والتي أصبح اليهود يترقبونها بفارغ الصبر. وهكذا كان طلب اليهود من المسيح أن يُجْرِيَ آية نزول المن من السماء، لازمةً لكي يُثبت بها صدق دعوته. علماً بأن التعبير عن المنّ بأنه الخبز السمائي كان أمراً مألوفاً لدى اليهود، كما ورد في المزامير: «**أمْطَرَ عليهم مَنّاً للأكل وبُرَّ (قمح) السماء أعطاهم**. أَكَلَ الإنسانُ خبز الملائكة، أرسل عليهم زاداً للشبع» (مز٧٨: ٢٤و٢٥). كما أن واقع قول المسيح لهم: «اعملوا ... **للطعام (الخبز) الباقي** للحياة الأبدية»، كان حافزاً لهم ليطلبوا مزيداً، من واقع النص.

---

[21] II Baruch XXIX.8. Cited by C.H. Dodd, *The Fourth Gospel*, p. 335.

هذا مما حدا بالمسيح أن يصحح لهم مفهوم **معنى المنّ** و يصحح لهم **مَنْ هو الذي أنزل المنّ من السماء.** كما صحح لهم مفهوم **استخدام الخبز السمائي.**

٦: ٣٢و٣٣ **«فقال لهم يسوعُ: الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم ليسَ موسى أعطاكُم الخبزَ من السماءِ، بل أبي يُعطيكُمُ الخبزَ الحقيقيَّ من السماءِ، لأن خبزَ اللهِ هو النازلُ من السماءِ الواهبُ حياةً للعالم».**

المسيح هنا يصحح بأن المنّ لم يكن إلاَّ رمزاً فقط للخبز السمائي، لقد جاء من السماء فعلاً والله هو الذي أرسله عليهم، وليس موسى، ولكنه كان رمزاً للحقيقي الذي هو «مأكلٌ حقٌّ»، فلم يكن المن خبزاً جوهرياً ἄρτος ἀληθινός . أما الخبز الذي يتكلم عنه المسيح فهو خبز جوهري، أي حقيقي يختص بطبيعة الله والعبادة الحقة الذي سبق المسيح وعرّفها للسامرية هكذا: «ولكن تأتي ساعة وهي الآن (ساعة المسيح) حين الساجدون "**الحقيقيون**" يسجدون للآب "**بالروح والحق.**"» (يو٤: ٢٣)

هنا الخبز الذي يتكلم عنه المسيح هو خبز حقيقي من الله ومُقدَّم إلى الله، و بقوله «النازل» كفعل دائم النزول، يشير إلى طبيعته الفائقة غير الزمنية. فالمنُّ مهما كان على مستوى المعجزة باعتباره نزل من السماء، إلاّ أنه كرمز فقط لا يختص بطبيعة الله ولكن بطبيعة الإنسان المادية؛ ولذلك فإنه إذا تُرك، كان ينتنُّ و يضربه الدود شأن جثة الإنسان التي تغتذي منه، **فهو "خبزٌ بائدٌ"**: «الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة، والله سيبيد هذا وتلك.» (١كو٦: ١٣)

المسيح هنا يهتم، في الواقع، بتصحيح نظرة اليهود ومفهومهم لحقيقة طبيعة الأُخرويات، أو الزمن الماسياني الذي كانوا يترقبونه؛ فقد أخطأت كل التعاليم اليهودية في هذا الأمر وربطته بالخيرات المادية والسلام المادي الجسدي، وقد تسرَّب إلى بعض الآفاق المسيحية في العصور الأُولى هذا التعليم اليهودي الخاطىء والفاسد، والذي اعتُبر أنه هرطقة، أي تعليم غريب غير إلهي، وظلت هذه الهرطقة لاصقة في بعض الشيع المسيحية حتى اليوم سواء في مفهوم عصر الألف سنة أو في مفهوم القيامة والحياة الجديدة بأنها حياة جسدية تماماً.

والمسيح يشدِّد جداً في ردِّه على السامرية أن هذا العصر قد حضر وصار بالفعل منذ «**الآن**»، ولم يعُدْ مستقبلاً آخرَ للإنسان، إذ بمجيء المسيح قد بدأت الساعة. كما يشدد أيضاً على أن العبادة الحقيقية لهذا العصر ليست في أورشليم ولا في مجامع من حجارة أو طوب أو على تلال مرتفعة أو

جبال، ولا هي سجود مظهري بالجسد: «قال لها يسوع يا امرأة صدّقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب.» (يو٤: ٢١)

والعصر الروحي الجديد الذي وصفه بأنه «تأتي ساعة وهي **الآن**»، لا ينتمي بعد للمظاهر الجسدية سواء في العبادة أو عطايا الله جميعاً، بل الكل يتعلق بالروح لأنه عصر الحضور الإلهي، وكلُّ ما يتعلق به يتناسب مع طبيعة الله، أي يكون بالروح والحق.

فلما تكلم مع السامرية فيما يختص بالماء، رفعه في مفهوم السامرية من ماء الجسد الذي يسدُّ العطش الجسدي، إلى الماء الروحي، الذي يروي الإنسان بصورة دائمة للحياة الأبدية. و يُلاحَظ أن عطية الماء من الصخرة والمن من السماء تجيء دائماً مجتمعة في تذكار عطايا الله الإعجازية في القديم. كما جاء في سفر نحميا: «وأعطيتهم **خبزاً** من السماء لجوعهم، وأخرجت لهم **ماءً** من الصخرة لعطشهم.» (نح٩: ١٥)

وهنا يلزمنا أن ننتبه كيف ربط أيضاً ق. يوحنا في إنجيله على التوالي وعلى نفس المستوى بين الماء الحي في قصة السامرية والخبز الحي في قصة إشباع الجموع، لكن ليس كأنهما عطايا للشبع والارتواء الجسدي لامتداد الحياة الجسدية المحدودة، بل كعطية واحدة سرية مُستعلَنة في شخص المسيح لنوال الحياة الأبدية مع الله بلا حدود: «أنا هو خبز الحياة. من يُقْبِلْ إليَّ فلا **يجوع**، ومَنْ يؤمنْ بي فلا **يعطش** أبداً.» (يو٦: ٣٥)

المسيح يتكلم هنا عن الخبز بالنسبة للعصر الماسياني على أنه:

خبز ليس لإشباع الجسد، بل خبز حقيقي، أي جوهري، لإشباع الروح للحياة الأبدية.

فهو خبز لا يختص بالجسد المادي، لأن الجسد بالمفهوم المادي لا يفيد شيئاً: «الروح هو الذي يُحْيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً.» (يو٦: ٦٣)

هذا المعنى ينقلنا إلى مفهوم أن هذا الخبز يستحيل أن يأتي أو يكون بواسطة إنسان، لأنه خبز روحي جوهري يختص بطبيعة الله،

فهو خبز الله الحقيقي الذي يتحتم أن يكون خبزاً سمائياً، لا أرضياً، بالمعنى الحقيقي.

وأن يكون موهوباً من الله ليس على المستوى الزماني كأنه يختص بزمن ما يأتي في المستقبل.

بل خبز حقيقي ἀληθινός يختص بالأبدية القائمة في الله باستعلانه في الحاضر الدائم إلى أبد الآبدين: «تأتي ساعة **وهي الآن**».

وأن يكون خبزاً غير محدود بالزمن كالمن الذي دام فقط أربعين سنة وانقطع لعدم الحاجة إليه،

بل هو خبز دائم الفعل والعمل،

غير محدود لشعب كما كان المنُّ في القديم، بل خبز خاص بالعالم كله: «لأن خبز الله — (أي الخبز الذي هو من طبيعة الله) — هو النازل من السماء (أي ليس من طبيعة الأرض) الواهب **حياة للعالم** (حياة سمائية من نفس طبيعة مصدره السمائي)» (يو٦: ٣٣)، حيث الإشارة هنا بدأت تتركز في **شخص** سمائي وليس في **شيء** أرضي.

فالمسيح يشير خفيًّا هنا إلى نفسه، وإن كان لا يتعجل الاستعلان عن نفسه أنه هو الخبز الحي الحقيقي النازل من السماء، مما جعلهم يظنون أن هذا الخبز هو شيء يمكن أن يُعطى لهم فيريحهم من زراعة وحصاد وطحين وعجين وخبيز وتخزين.

ولكن يمكن أن نتعمق مع القارىء، إذا أطال أناته علينا، لنشرح له معنى أعمق لمفهوم التوراة كخبز وطعام عند الروحيين المتأملين من متصوفي اليهود وكبار الربيين على مستوى «فيلو» اليهودي وغيره الذين أخذوا عن سفر الحكمة قوله:

«الحكمة بَنَتْ بيتها، نحَتَتْ أعمدتها السبعة، ذبحت ذِبْحَها، مَزَجَت خمرها، أيضاً رتَّبت مائدتها، أرسلت جواريها تنادي على ظهور أعالي المدينة: مَنْ هو جاهل فلْيَمِلْ إلى هنا، والناقص الفهم قالت له: هَلُمُّوا كُلُوا من طعامي واشربوا من الخمر التي مزجتُها. اتركوا الجهالات فتَحْيَوْا، وسيروا في طريق الفهم.» (أمثال٩: ١—٦)

فقد اعتبروا التوراة، أي الناموس، أنه الغذاء الروحي والخبز المتحصِّل من القراءة والهذيذ المتواصل فيهما. علماً بأن ق. يوحنا كان متيقظاً منذ مطلع إنجيله إلى هذا الاتجاه، وقد أطاح بهذه النظرية في آية واحدة: «لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو١: ١٧). وهنا وضع الإنجيل الحد الفاصل بين طبيعة الناموس وهدفه، وبين طبيعة النعمة والحق. فالأول (أي الناموس) كان لتهذيب الحياة بالسلوك البشري في خوف الله، والثاني كان لقبول حياة الغبطة بالروح والشركة في الحق، أي قبول طبيعة الله.

وقد امتد «فيلو» العالم المتصوف اليهودي بمفهوم الخبز الروحي إلى المنّ أيضاً، معتبراً أن المنّ هو رمز **للتوراة** وتعبير عن «**الحكمة**»، كما جاء في سفر الأمثال.

وهنا يشير المسيح إلى أن المنّ لم يكن إلاّ رمزاً والرمز لا يُحيي؛ ولم يكن هو الخبز الحقيقي الذي يؤدي إلى الحياة الأبدية، وبالتالي فإن المن باعتباره خبز التوراة عند حكماء اليهود لم يؤدِّ ولن يؤدي إلى الحكمة الحقَّة ولا إلى معرفة الله الحقيقية.

ولكن بينما كان المسيح يضع أسس الحكمة الحقيقية و يشرح معنى الخبز الحقيقي، توطئة للدخول في مفهوم ذبيحة الحكمة العظمى، بتقديم جسده وليمة على مائدة الحياة الأبدية؛ هبط فكر اليهود إلى مستوى السامرية عندما سمعت بالماء الحي فطلبته لكي يُغْنيها عن عطش وجهد وعن جذب هذا العالم الشديد، فسألوه:

٦ : ٣٤ «فقالوا له يا سيدُ أعْطِنا في كلِ حينٍ هذا الخبزَ».

وتشديد سؤال اليهود على أن يكون عطاء هذا الخبز كل حين لا يجيء من فكرهم، بل لأن المسيح أكدَّ وشدَّد على أن خبز الله هو «النازل من السماء»، حيث جاءت كلمة «النازل» كفعل دائم السريان في الصيغة الدائمة المستمرة. فظنوه أنه ينزل كل يوم. وفي الواقع لا نرى في سؤالهم هنا: «يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز» أي انحراف في محيط فهمهم أنه خبز ينزل إليهم من السماء فيعطيهم حياة دائمة. غير أن اعتراضهم الشديد على هذا الخبز ظهر بوضوح حينما كشف المسيح عن سر هذا الخبز أنه هو جسده الذي سيبذله عن حياة العالم. بعكس السامرية التي سألت نفس السؤال ببساطة: «يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي» (يو٤: ١٥)، ثم علمت أن هذا الماء ليس ماءً للشرب بل هو دعوة لسيرة مقدسة وطاهرة فيها ترتوي من حب الله والمسيح، أو بمعنى آخر، هو توبة؛ فلم تعترض، بل اعترفت وتابت وتطهرت، وقبلَتْ المسيح مخلّصاً، بل و بشّرت، وكأنما يريدنا الإنجيل أن نعرف أن الخاطىء (السامرة) لما لم يتمسك ببرّه واعترف بخطيته خَلُصَ، والبار - (اليهود) - في عين نفسه هلك.

٦ : ٣٥ «فقالَ لهمْ يسوعُ أنا هوَ خبزُ الحياةِ من يُقْبِلْ إليَّ فلا يجوعُ، ومن يؤمِنْ بي فلا يعطشُ أبداً».

لمَّا سألت السامرية المسيح أن يعطيها من مائه الحي لكي لا تعطش، أعطاها نفسه فقبلته.

وعلى نفس المستوى لمَّا طلب منه اليهود أن يعطيهم من خبز الله الحقيقي، أشار إلى نفسه: «... يا سيد أعْطِنا في كل حين هذا الخبز، قال لهم: **أنا هو خبز الحياة من يُقْبِلْ إليَّ فلا يجوع**»، فلو كانوا قد قبلوا منه عطية نفسه، لما جاعوا. العطية جاهزة أمامهم والخبز حاضر: «أنا هو خبز الحياة»، «أنا هو نور العالم»، «أنا هو الباب»، «أنا هو الطريق»، «أنا هو الحق»، «أنا هو الراعي الصالح»، «أنا هو الكرمة الحقيقية»، «أنا هو القيامة»، «أنا هو الحياة»... فهل يمكن أن يكون التعريف بنفسه أكثر من هذا؟! لو فتشوا الكتب لوجدوه، إنه هو الحياة الأبدية: خبزاً وماءً؛

فهو يخاطب اليهود أصحاب التوراة وميراث الأنبياء بطوله وعرضه، فهوذا الذي يغطي هذه النبوات كلها بالنسبة للحياة الأبدية يقول لهم علانية: «أنا هو»، **«أنا هو» خبز الحياة وماؤها.** اسمع ما تقوله التوراة وهي ترمز إلى المسيح:

+ «هوذا **الإنسان قد صار كواحد منا** عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمدُّ يدهُ و يأخذ من شجرة الحياة أيضاً و يأكل ويحيا إلى الأبد.» (تك٣: ٢٢)

+ «**وشجرة الحياة** في وسط الجنة.» (تك٢: ٩)

+ «مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من **شجرة الحياة** التي في وسط فردوس الله.» (رؤ٢: ٧)

+ «طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة ... هي **شجرة حياة لمسكيها** والمتمسك بها مغبوط.» (أم٣: ١٣و١٨)

+ «ثمر الصديق **شجرة حياة.**» (أم١١: ٣٠)

+ «**وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة**، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس (الأناجيل الأربعة).» (تك٢: ١٠)

+ «وأراني نهراً صافياً من ماءِ حياةٍ لامعاً كَبلّور، خارجاً من عرش الله والخروف ... وعلى النهر من هنا ومن هناك **شجرة حياة.**» (رؤ٢٢: ١و٢)

+ «**يروون من دَسَم بيتك**، ومن **نهر نِعَمِكَ تسقيهم** لأن **عندك ينبوع الحياة** و بنورك نرى نوراً.» (مز٣٦: ٨و٩)

+ «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية، أنا **أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً.**» (رؤ٢١: ٦)

والرب في قوله لليهود: «أنا هو خبز الحياة، مَنْ يُقْبِلْ إليَّ **فلا يجوع**، ومن يؤمن بي **فلا يعطش أبداً**»، يجمع الأكل والشرب معاً، فهو الطعام السمائي الكلي والكافي، الذي عاد ووصفه كسِرِّ الإفخارستيا الأبدية، الذي هنا نأكله ونشربه بالسر وهناك نشبع ونرتوي منه بالحق إلى الأبد.

أنظر أيها القارىء في قوله **«أبداً»**: «**لا يعطش أبداً**»، «من **يأكل** جسدي **ويشرب** دمي فله حياة **أبدية**» ... «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم.» (يو٦: ٥٤و٥٣)

فهو شجرة الحياة الوحيد المستعلَن هناك بالحق، وهنا بالسر المكتوم. ولكن المسيح سواء هنا أو هناك هو مأكلٌ حقٌّ ومَشْرَبٌ حقٌّ، منه نستمد قوة الحياة ونورها وفرحها ومسرَّتها الآن، و**«الآن»**

عند المسيح مربوط «**بالأبد**»، لأنه في المسيح المستقبلُ حاضِرٌ كله ومُمتدٌّ بلا تغيير فيه ولا ظل دوران. فما نراه هنا في مرآة نراه هناك هو هو وجهاً لوجه.

إسمعه وهو يقول للسامرية التائبة: «من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا **فلن يعطش إلى الأبد** بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع **ماء ينبع إلى حياة أبدية**» (يو٤ : ١٤). ثم اذكر كيف ارتوت هذه التائبة المباركة من ماء الحياة وأرْوَتْ آخرين. وتأمل أيها القارىء في قوله: «من **يُقْبِلْ** إليَّ فلا يجوع، ومن **يؤمن** بي فلا يعطش ...»، فهو لا يُخيب رجاء من يُقْبِلُ إليه لأن في يمينه شِبع سرور: «أمامك شِبَعُ سرور. في يمينك نِعَمٌ إلى الأبد» (مز١٦ : ١١). وإشعياء النبي يقول: «يقودك الرب **على الدوام** ويشبع في الجدُوب نفسك، ويُنشِّط عظامك، فتصير كجنةٍ ريًّا وكنبع مياهٍ **لا تنقطع** مياهه.» (إش٥٨ : ١١)

فالمسيح يقدم نفسه لليهود ولنا كطعام حقيقي «**مأكلٌ حقٌّ**» **يدوم هنا وفي السموات، ولا ينقطع قط**. فالشبع من المسيح هو شبع إلهي سمائي لا يؤول إلى جوع دنيوي قط. والارتواء من المسيح هو ارتواء الروح بالروح. فينبوع المسيح ينبوع سمائي إلهي ينسكب بجملته في أحشاء الإنسان لينبع فيه ومنه، هذا وعد المسيح وعمل الروح الذي يجري الآن أمام عيوننا، وطوبى لمن يرى و يسمع.

هذا الكلام حلو كشهد العسل، ولكن هناك فرق بين من يشتهي عطايا المسيح ومن يشتهي المسيح نفسه. فالجليليون كانوا كالسامرية، لمَّا سمعوا هذا الكلام الحلو الذي يقطر عسلاً قالوا له: هات منه يا سيد، ولقبوه بالسيد تملقاً لعلهم يفوزون بعطاياه، ولكن كاشف الكُلى والقلوب أدرك أنهم يقبلون عطاياه ولا يقبلونه هو، و يؤمنون بمنفعة مواهبه ولا يؤمنون به هو. فلما قال: «**أنا هو**» ازدروا به و بعطاياه. فوضع لهم الشرط كالمشرط: عطاياي لمن يُقْبِلُ إليَّ، وغِنَايَ لمن يؤمن بي.

٦ : ٣٦ «ولكني قلتُ لكم إنكم قد رأيتُموني ولستم تؤمنُونَ».

الكلام هنا تكملة للقول: «أنا هو خبز الحياة»، وردًّا على قولهم: «أعطنا في كل حين هذا الخبز»، لقد أخطأوا الرؤية وتزيَّفَتْ لهم الحقيقة، بل الحق الناصع، بسبب تركيزهم الكلي على شهواتهم ومنافعهم وآمالهم الدنيوية الكاذبة. فخبز الحياة الذي قدمه المسيح لهم هو شخصه، ولكنهم تجاوزوه وأرادوا آية المن النازل من السماء، لأن ذلك كان يُرضي شهواتهم.

فهنا يواجه المسيح رؤيتهم المزيفة ويحاول أن يردهم للحقيقة مرة أخرى: «ولكني قلت لكم إنكم قد **رأيتموني ولستم تؤمنون**». الإشارة هنا إلى آية سابقة هي: «الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم **رأيتم آيات**، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم» (يو٦: ٢٦)، لقد رأوا الآية واضحة أمامهم عندما بارك الخبز وأطعمهم: خمسة آلاف من خمس خبزات، فكان شخصه هو محور الآية لأنهم رأوه كمُعطي خبز الشِبَع، كصاحب بركة السماء، هذه البركة التي رأوها بل أكلوها، ولكنهم آمنوا بالخبز الذي ملأ بطونهم ولم يؤمنوا لا بالبركة ولا بمصدرها. لماذا؟

هنا يشرح لهم المسيح سبب عدم إيمانهم وهو **أنهم مرفوضون من الله الآب**، فلو كانوا مقبولين لدى الله الآب لكان الآب قد سلَّمهم للابن، ولكانوا أقبلوا على الابن بمسرة إرادتهم، ولكان الابن قد أدخلهم في النور وصاروا أبناء الله. أما لماذا رفضهم الله؟ فالمسيح يشير بكل وضوح إلى آية سابقة وهي: «**هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله**» (يو٦: ٢٩)، عندما يعمل عمل الله. فالمسيح عمل أمامهم وتحت بصرهم عمل الله، مبرهناً أنه هو الذي أرسله الله لهم؛ ولكن:

«قد رأيتموني ولستم تؤمنون»:

بالإضافة إلى رؤية المسيح صانعاً معجزات، وهذا بحد ذاته هو عمل الله الذي ينبغي أن يؤدي إلى التعرف على المسيح شخصياً كمُرْسَلٍ من الله وابن له، يركِّز المسيح هنا وفي مرات أخرى أيضاً على **التعرُّف عليه شخصياً بدون آيات**. هذا نعرفه بوضوح من قوله لفيلبُّس: «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبُّس، **الذي رآني فقد رأى الآب**، فكيف تقول أنت أرِنَا الآب» (يو١٤: ٩). وهذا يشير إلى أن شخص الرب كان يحمل سمات إلهية لا تخفى عن العيون المفتوحة التي طوَّبها الرب: «فإني الحق أقول لكم إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يَرَوْا **ما أنتم ترون** ولم يَرَوْا، وأن يسمعوا **ما أنتم تسمعون** ولم يسمعوا» (مت١٣: ١٧). الرؤيا هنا والسمع حاستان مفتوحتان على الإيمان. فالحواس البشرية جُعلت لا لتخدم الجسد فقط، بل هي متصلة بالروح إذا تهذبت بالكلمة الإلهية وخضعت لهاتف الخير وإيحاء الروح.

ولكن شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة تُتلف حواس الإنسان وتُخضعها لتخدم ملذات الإنسان، فيُصاب بالعمى والصمم الروحيين.

فالرب يتعجب جداً من فيلبُّس كيف فات عليه **الإحساس** بالحقيقة الإلهية الكائنة في المسيح، كما يتعجب جداً من اليهود هنا **الذين لم يؤمنوا به، حتى** بعد أن رأوه متكلماً بكلام الله وعاملاً أعمال الله.

ولكن المسيح يشدد أولاً على سهولة وإمكانية الإيمان به بدون رؤية آيات وأعمال ولكنهم أخطأوا رؤيته لأنهم أخطأوا إلى الله: «فقالوا له أين هو أبوك؟ أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً.» (يو٨: ١٩)

ثم يتنازل المسيح إلى واجب الإيمان به إذا تكلم كلام الله: «فإن كنتُ أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟ الذي من الله يسمع كلام الله لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله» (يو٨: ٤٦و٤٧)؛ «لو لم أكن قد جئت وكلَّمتُهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عُذْر في خطيتهم.» (يو١٥: ٢٢)

ثم يتنازل المسيح أكثر و يرى أنه من الواجب بل ومن الضرورة أن يؤمنوا به لأنه يعمل أعمال الله: «إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي (شخصياً) فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه.» (يو١٠: ٣٧و٣٨)

أي أن الإيمان بالمسيح مفتوح في الدرجة الأولى برؤيا بدون قول أو عمل، وإلا فالدرجة الثانية بالقول و بالعمل، فإن انغلق الإيمان واحتجب المسيح حتى بعد الرؤيا والقول والعمل، فهذه علامة غضب الله.

٦: ٣٧ «كلُّ ما يعطيني الآب فإليَّ يُقْبِلُ. ومَنْ يُقْبِلْ إليَّ، لا أُخرجه خارجاً».

يلاحظ القارىء هنا أن الآية تبتدىء بـ«كلُّ»، أي أن عطية الله الآب للمسيح تأتي بالجمع، ولكن الذين يُقْبِلون إلى المسيح من هذا الجمع يأتون واحداً واحداً بالمفرد، حسب جذب الآب لكل واحد في وقته وترتيبه؛ فطريق المسيح ضيِّق لا يتسع في المسير إلاَّ واحداً فواحداً ـــ فالأخ لا يستطيع أن يفدي أخاه (راجع مز٤٩: ٧). فعلاقتنا بالمسيح فردية كعريس وعروس، ولكن تعجب أن المفديين حينما يتكامل كلُّ واحد منهم في المسيح، يجمعهم المسيح معاً بتَقْي الروح الواحد ليصيروا مرة أخرى واحداً في المسيح، كعذراء مخطوبة لرجل واحد، كعريس وعروس، مع أنه لا حَصْرَ لها من الكثرة، كنيسةً لا عيب فيها، عروساً متسربلة بصلوات القديسين وعِطْرهم، نازلةً من السماء مزيَّنة بكل فضائل المسيح.

وإذا أراد القارىء أن يتعمق هذا المعنى و يتذوق هذه المقارنة، فليسمع ما يقوله وما يبتَّج به بولس الرسول، إذ يرى أن كلَّ المفديين والمختارين كانوا مجموعين معاً ككلٍّ، كجسد واحد في المسيح الذي يجمعهم في كيانه الإلهي قبل أن يتجسد، قبل أن يكون زمان يُعَدُّ ولا عالَمٌ: «مبارك

الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما **اخترنا فيه قبل تأسيس العالم** لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١ : ٣و٤)

فعطية الآب للمسيح: «كلُّ ما يعطيني الآب» هي كلٌّ ومجموع، ومن الكل يُقْبِلُ إلى المسيح كلُّ فرد ليِنال التبني الموضوع لنا على أساس قبول موت الرب وقيامته، حسب الخطة المرسومة منذ الأزل: «إذ سبق فعيَّننا ــ بلا حدود ــ للتبنِّي ــ (لنأخذه) بيسوع المسيح، لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (أف ١ : ٥)

وهنا تتقابل مشيئة الله مع مشيئة المسيح في سيمفونية الطاعة والبذل، بصورة رفعت البشرية إلى مستوى الحياة الأبدية مع الله.

ــ «مجِّد ابنَك ليمجِّدك ابنُك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً **على "كل" جسد** (الدعوة عامة) **ليعطي حياة أبدية "لكل مَنْ" أعطيته.**» (يو١٧ : ١و٢)

ــ «أبي الذي أعطاني إياها ــ وأنا أعطيها حياة أبدية.» (يو١٠ : ٢٩و٢٨)

وهذا هو منتهى سر الاتفاق في العمل الإلهي بين الآب والابن.

والمسيح يقرر حقيقة غاية في السخاء المدفوع ثمنه دماً: «ومن يُقْبِلْ إليَّ **لا** أُخرِجه خارجاً». هنا اللغة العربية عاجزة عن أن توفي للمسيح حق التشديد الشديد على وعده هذا، فحرف النفي البسيط «لا» يجيء في اليونانية بصورة مشددة للغاية οὐ μὴ الذي جاءت ترجمته في الإنجليزية: **I will in no wise** الذي قد نترجمه إلى: "يستحيل بأي حال".

فتصوَّر، أيها القارىء، هذا الوعد الذي يجيء كأنه عَهْدٌ بأن الرب يستحيل بأي حال أن يُخْرِجَ مَنْ يُقْبِلُ إليه، مما يجعل كلامه لليهود هنا مؤكَّداً أنهم لم يأتوا إليه، بل وبصراحة مضمرة، أنهم مرفوضون من الله ومطرودون من لَدُنه، لأنهم لم يُقْبِلوا إلى المسيح ولا حتى قَبِلوه.

أما كلمة **«خارجاً»** في قوله «أُخْرِجُه خارجاً»، فهي كلمة قاسية جداً ومُرّة للغاية، وتظهر مرارتها في قوله: «الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم **خارجاً.**» (يو١٢ : ٣١)

والآن، أيها القارىء العزيز، ينبغي أن نسأل هل أَقْبَلْتَ إلى المسيح بالحق قولاً وعملاً؟ إذا كان ذلك فأنت ضمن عطية الآب ــ غير المحدودة بعدد أو زمن أو قانون ما. فالعالم كله، لو يشاء، مدعوٌّ إلى حضن الآب ــ فأنت للمسيح مُعيَّن ومُخْتَارٌ للحياة الأبدية. وإن لم يكن ذلك

بعد، فأمامك الدعوة مفتوحة، ألقِ بنفسك على مشيئة الله لتشعر بجذب الآب لك وتكتشف فيه محبة المسيح وسرَّه.

٦ : ٣٨و٣٩ **«لأني قد نزلتُ من السماءِ ليس لأعْمَلَ مشيئتي بل مشيئة الذي أرسَلَني. وهذه مشيئةُ الآبِ الذي أرسَلَني أنَّ كلَّ ما أعطاني لا أُتْلِفُ منهُ شيئاً بل أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ».**

الكلام هنا مكمِّل لقول المسيح أن: «مَنْ يُقْبِلْ إليَّ، لا أُخرجه خارجاً، "**لأني**" قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني». الكلام هنا يُزيد التأكيد على شدة اهتمام المسيح في تأدية رسالته بالنسبة للذين أعطاهم الآب له ليهبهم الحياة الأبدية.

وهكذا بقدر ما أُعطِيَ المسيح سلطاناً على كل جسد ليعطيه الحياة الأبدية (يو١٧ : ٢)، بقدر ما أخذ على نفسه الحفاظ على كل نفس تأتي إليه أن لا تتلف أو تضيع. وهذا الضمان يظل قائماً حتى اليوم الأخير الذي فيه تنال النفس نصيبها في القيامة العظمى، هذا التأكيد يكرره المسيح كثيراً بسبب ضعف إيمان الإنسان بالمستقبل: «لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أُعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل (إبراهيم وموسى والأنبياء)، ولا يقدر أحدٌ أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد.» (يو١٠ : ٢٦ـــ٣٠)

هذا وصف تصويري مُبْدع لحقيقة العناية الإلهية في قوتها الهائلة والشاملة لحفظ الكون كله بكل أجزائه، ثم العناية الخاصة جداً بالنفوس البشرية التي التجأت إلى المسيح في ضعفها المتناهي مستندة إلى معونته أمام قُوَى الشر الهائلة، التي تبدو في طغيانها وكأنها قادرة أن تبتلع البشرية كلها: «ولا يخطفها أحدٌ من يدي» التي لها قوة يد الآب. فالمسيح هو الابن الوحيد المُرْسَل من الآب، والذي نزل من السماء لتأدية هذه الرسالة بكل دقة وقوة وسلطان حتى اليوم الأخير، الذي فيه تُستعلن خطة الخلاص العُظمى بكل أمجادها، وتلتحم قوى الحياة الأبدية التي ننالها الآن ـــ بالسر في الحاضر ـــ بقوى الحياة الأبدية المستعلنة في الله، والتي سنشترك فيها إلى كل ملء الله!

وقد لاحظ بعض علماء الكتاب المقدس أن الآيات المتتابعة ٣٧و٣٨ و٣٩و٤٠ لا تختص بحديث الخبز السمائي موضوع الجدل الذي انشغل به الجليليون، ولكن الحقيقة أن الجليليين في سؤالهم المسيح: «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟»، هذا السؤال هو الذي ردَّ عليه المسيح أن:

«عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله»، ثم ابتدأ ينتقل من التركيز على موضوع الخبز الحي إلى موضوع رسالته العامة أولاً بصفته أنه هو «**عمل الله**» المطروح للإيمان به، ثم ابتدأ يشرح ما هو عمل الله في المسيح من إرساليته وتتميم مشيئة الآب الذي أرسله، ثم ما هي هذه المشيئة التي التزم بها المسيح أشد الالتزام.

٦ : ٤٠ «لأنَّ هذه هي مشيئةُ الذي أرسَلَني أنَّ كلَّ مَنْ يَرَى الابنَ ويؤمنُ بِهِ، تكونُ لهُ حياةٌ أبديةٌ، وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ».

واضح هنا أن المسيح يشرح الإجابة على نفس سؤال الجليليين له: ما هو عمل الله الذي يمكن أن نفعل؟ كما أنه هو إعادة توضيح لرد المسيح: **هذا هو عمل الله:** أن تؤمنوا بالذي هو أرسله: أي تصدقوه!!

والإضافة التي أضافها المسيح جديداً في هذه الآية هي كيفية الإيمان به: «**كلُّ مَنْ يرى الابن**»، كذلك، الإيمان به: «**تكون له الحياة الأبدية** (منذ الآن)»، و يكمل فعل هذه الحياة، واستعلانها بتجلي الجسد الروحاني في اليوم الأخير: «وأنا أقيمه في اليوم الأخير»، وهذه الآية تأتي لتوضيح وتأكيد آية سابقة بنفس المعنى: «ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون» (يو٦: ٣٦). فالإضافة الجديدة توضح لهم أن **عدم الإيمان به**، أي عدم تصديقه بعد أن رأوه يعمل مشيئة الله وسمعوه يتكلم بكلام الله وأكلوا البركة الإلهية من يديه، معناه أنهم رفضوا مشيئة الله، وحرموا أنفسهم من الحياة الأبدية.

«كل من يرى الابن»:

كلمة «**يرى**» هنا لا تمتُّ إلى النظر الطبيعي بالعين ولكنها رؤية بالقلب والفكر الروحي المدرَّب بالكلمة. وتأتي باليونانية θεωρῶν واضحة جداً لتفيد هذا المعنى. وهي تمتُّ إلى معنى التأمل الذي نسميه في التدريب التصوفي «التاورية»، وفيها يرتقي الفكر إلى رؤية الحقائق الإلهية حيث يستنير الفكر بالنور الإلهي الداخلي. وهذا المعنى يوضحه المسيح مرة أخرى في آية تالية: «**الذي يراني θεωρῶν يرى الذي أرسلني. أنا قد جئتُ نوراً** إلى العالم حتى كلُّ مَنْ يؤمن بي لا يمكث في الظلمة.» (يو١٢: ٤٥و٤٦)

التدرج في هذه الآية هام للغاية، فالرؤية توصل إلى النور، أي التأمل القلبي والذهني في

المسيح وأقواله وأعماله بعمق وتمعن، والذي يكشف بسهولة الله الذي في المسيح والذي هو أرسله، فيرى الإنسان الحق الإلهي و يصدقه و يؤمن به و يدخل في الاستنارة الإلهية المحيية.

هذه ليست عملية معقدة ولا تعتمد على أي مجهود بشري، بل إن مجرد قبول المسيح والإيمان به يصل بهذه العملية إلى أقصاها بدون حساب زمني: «بنورك (يارب) نرى نوراً ... لأن عندك ينبوع الحياة.» (مز٣٦: ٩)

فمن الرؤيا إلى النور إلى الحياة، هذه هي القاعدة الإلهية في المسيح بالإيمان: «بعد قليل لا يراني θεωρεῖ العالم أيضاً (ستنحجب حقيقة المسيح عن العالم بواسطة عثرة الموت على الصليب) وأما أنتم **فترونني** θεωρεῖτε **إني أنا حي فأنتم ستحيون.**» (يو١٤: ١٩)

ب ـ الجزء الثاني من الحديث: (٤١ : ٥١).

٦: ٤١و٤٢ **«فكان اليهود يتذمَّرونَ عليهِ لأنهُ قالَ أنا هوَ الخبزُ الذي نزلَ مِنَ السماءِ، وقالوا أليسَ هذا هوَ يسوعَ بنَ يوسفَ الذي نحنُ عارِفونَ بأبيهِ وأُمِّهِ. فكيفَ يقولُ هذا إني نَزَلتُ من السماءِ».**

هنا ابتدأ العنصر اليهودي المتعلِّم يظهر في الحوار، مما يفيد أن الحديث كان فعلاً داخل مجمع كفرناحوم. والتذمر طبيعة لم تفارق بني إسرائيل منذ أن خرجوا من مصر، وكان الله يعاقبهم على تذمرهم، ولكنهم كانوا دائماً يعودون إلى هذا الداء الوبيل الذي أودى بحياتهم كافة. وكان موضوع تذمرهم هنا قول الرب: **«أنا هو الخبز الذي نزل من السماء»**، وهو مجمل ما قاله المسيح عن نفسه في ثلاث آيات سابقة (٣٣و٣٥و٣٨): «خبز الله هو النازل من السماء»، «أنا هو خبز الحياة»، **«لأني قد نزلتُ من السماء»**.

وواضح أنَّ وضع المسيح البشري المعروف لديهم وقف عثرة في قبول لاهوته. وهذا هو سر التجسد بكامله. ولم يكن معروفاً على المستوى العام ميلاد المسيح البتولي من عذراء، ولكن حتى ولو لم يكن معلوماً شيء عن سر ميلاد المسيح البتولي، فكلام الرب كان يكفي جداً أن يشير إلى ذلك السر بدون أي صعوبة أو نقاش. لذلك نرى ق. يوحنا في إنجيله يتحاشى الخوض في أنساب المسيح ويتخطى كل روايات الميلاد مكتفياً باستعلان لاهوت المسيح من فم المسيح نفسه، استعلاناً لا يترك أي مجال للتحقيق البشري أو لشهادة الشهود.

وعلى هذا الأساس تماماً كان ردُّ المسيح عليهم:

٦: ٤٣ــ٤٧ **«فأجاب يسوعُ وقالَ لهُمْ لا تَتَذمَّرُوا فيما بينَكم. لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يُقْبِلَ إليَّ، إنْ لم يجتذِبْهُ الآبُ الذي أرسَلَني، وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ. إنه مكتوبٌ في الأنبياءِ ويكونُ الجميعُ متعلِّمينَ من اللهِ. فكلُّ مَنْ سَمِعَ من الآبِ وتَعلَّمَ يُقْبِلُ إليَّ. ليس أنَّ أحداً رأى الآب إلاَّ الذي من اللهِ. هذا قد رأى الآبَ. الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُمْ مَنْ يؤْمِنُ بي فلَهُ حياةٌ أبديةٌ».**

يجيب الرب على موضوع تذمُّرهم، وهو قوله عن نزوله من السماء، بأنه لا يأتي إليَّ أحدٌ بالفحص ومعرفة الأنساب، أما الذي تعلم من الله فهذا يأتي إليَّ، لأن الله هو أبي الذي أرسلني وهو يجتذب إليَّ كلَّ الذين فتحوا عيونهم وقلوبهم لقبول مشيئة الآب، لأن مشيئة الآب هي رسالتي وعملي.

وهنا يستشهد المسيح بكلام إرميا النبي: «**بل هذا هو العهد** الذي أقْطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، **أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم**، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً، **ولا يعلِّمون بعدُ كلُّ واحدٍ صاحبه وكلُّ واحدٍ أخاه** قائلين: **اعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم**، يقول الرب.» (إر٣١: ٣٣و٣٤)

المسيح هنا نقل العلم واحتكار المعرفة من أئمة اليهود ــ خاصة الفريسيين، وهم الذين كانوا يتزعمون دائماً معارضة المسيح ومصادرة أقواله وإثارة الشعب ضد تعاليمه ــ كما هو حادث في هذا الموضوع أمامنا ــ نقله إلى عامة الشعب مباشرة وبلا تعليم، وهنا إشارة قوية جداً إلى عمل الروح القدس. المسيح يستشهد بهذه النبوة التي تقول إن العهد الجديد الذي سيقطعه الرب مع بني إسرائيل لن يجعل الشريعة محتكرة للتعليم العقلي والتلقين الشفاهي، بل سيجعلها مكتوبة بأصبعه ــ أي بالروح القدس ــ في ألواح قلوبهم اللحمية حيث لا يعود أحدٌ يحتكر لنفسه التعليم. ولا يعلِّم الواحد الآخر معرفة الرب، لأنهم كلهم من صغيرهم إلى كبيرهم سيعرفون الرب، لأنهم سيكونون متعلِّمين من الله. والمسيح هنا يركز على كلمة «**كل**»، فلا صغير في العلم، ولا كبير في التعليم، بل الجميع بلا تفريق: «كلُّ مَنْ سمع من الآب وتعلَّم يُقْبِلُ إليَّ» بدون وسيط أو معلِّم أو رابي.

فالمسيح يتكلم عن ظهور هذا العهد الذي قطعه الله على نفسه، وأكَّده بالأنبياء، وها هو قد أرسل ابنه لتنفيذه على أساس أن كلمة الله سيكتبها الآب في قلوبهم: «لكن ماذا يقول؟ الكلمة

قريبة منك في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها» (رو١٠: ٨). كل من يسمع لها ويصدقها فإنه يصبح متعلماً بدون معلم، ويجتذبه الآب إلى المسيح لينال به الوعد بالحياة الأبدية: فـ«كل من سمع من الآب وتعلَّم يُقْبِلُ إليَّ». وتلاميذ الرب كانوا أول برهان صادق لقيام ذلك العهد.

والمسيح يضع نفسه كمعلِّم لـ«**معرفة الله**» عنه، ولكن ليس كمن يعلِّم عن كتاب مكتوب أو معلِّم مشهور، بل كمن رأى **الله في جوهره** وفي سرِّه الأعظم كابن له سمع منه وتعلم: «ليس أن أحداً رأى الآب إلاَّ الذي من الله. هذا قد رأى الآب.» (يو٦: ٤٦)

لذلك كان المسيح ــ الكلمة ــ هو الوحيد الذي يتكلم بكلام الله: «**لأن الذي أرسله الله** يتكلم بكلام الله» (يو٣: ٣٤). فمن يسمع من المسيح فهو يسمع من الله رأساً، فمن سمع وتعلم يُقْبِلُ إلى المسيح، مُذعناً مؤمناً أنه بالحقيقة ابن الله. والعلاَّمة ديديموس الضرير[٢٢] يضع بطرس الرسول في إيمانه واعترافه مثلاً لذلك؛ والقديس أغسطينوس[٢٣] أيضاً يقول بهذا المعنى.

وسنرى المسيح في موضع آخر قادم كيف يكشف لليهود أنهم لا يسمعون له أو يسمعون منه ولكنهم يسمعون من إبليس: «لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن **تسمعوا** قولي. أنتم "**من أب**" هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا...» (يو٨: ٤٣ و٤٤). هنا يكشف الرب سِرَّ من رفض المسيح وقاومه.

٦: ٤٥ و٤٦ **«كلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الآبِ وتعلَّم، يُقْبِلُ إليَّ. (لأن) ليسَ أنَّ أحداً رأى الآبَ إلاَّ الذي من الله. هذا قد رأى الآبَ».**

هنا يقدم المسيح لليهود نقلة كبيرة وتحوُّلاً جذرياً من عهد موسى الذي يُقال أنه رأى الله، ومن عهد الأنبياء الذين تكلموا عن رؤيا وسمع من الله، **أنهم في الحقيقة لم يروا الله في ذاته، في طبيعته الإلهية وجوهره**، بل يقول سفر العبرانيين أنه كلمهم «بأنواع وطرق كثيرة» (عب١: ١). فهم إنما رأوا شبه الرب كقول الله الصريح: «فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هرون ومريم (اللذين كانا قد تكلما ضد موسى بسبب زواجه من امرأة حبشية) فخرجا كلاهما. فقال: اسمعا كلامي. إن كان منكم نبيٌّ للرب **فبالرؤيا أستعلنُ له في الحُلم أكلِّمهُ.**

[22] Schnackenburg, *op. cit.*, p. 451.

[23] Tract. on John, xxvi,8.

وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمينٌ في كل بيتي. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز، **وشِبْهَ الربِّ يعاينُ**. فلماذا لا تخشيان أنْ تتكلما على عبدي موسى؟» (عدد١٢: ٥–٨). وكلمة الإنجيل واضحة: «الله لم يَرَهُ أحدٌ قط.» (يو١: ١٨)

أما الرب يسوع فيقول عن نفسه علناً وجهاراً إنه رأى الله، ومنه خرج، لأنه من طبيعته وجوهره، لذلك فقد رآه في ذاته، حيث الرؤيا هنا رؤية الذات للذات. فالآب والابن ذات واحدة.

«ليس أن أحداً رأى الآب إلاَّ الذي من الله. هذا قد رأى الآب»:

فالرؤيا هنا **رؤيا ذاتية**، ليس بالعين ولا بالتأمل بل رؤية تطابق المثيل على المثيل، فالابن يرى الآب كما يرى الآب الابن، لأن وحدة الذات والجوهر والطبيعة جعلت المعرفة بينهما واحدة: «ليس أحدٌ يعرف الابن إلاَّ الآب. ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن» (مت١١: ٢٧). والمشيئة والكلمة واحدة والعمل واحد، لذلك قال لفيلبس: «الذي رآني فقد رأى الآب» في كل شيء (يو١٤: ٩). هذا عبَّر عنه المسيح في قوله للآب: «كل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي» (يو١٧: ١٠). ثم في موضع آخر قادم يتجمع كل ذلك في قول واحد: «أنا والآب واحد.» (يو١٠: ٣٠)

وبناء على أنه هو الوحيد الذي رأى الله الآب وخبَّر، أصبح الإيمان بشخصه وبكلمته وعمله ضرورة حتمية، لأن الله الآب يتكلم ويعمل به: «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، **كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في** ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء.» (عب١: ١و٢)

والمسيح ينتهي من قوله أنه الوحيد الذي رأى **الآب**، إلى حتمية الإيمان به لنوال الحياة الأبدية.

٦: ٤٧ **«الحقَّ الحقَّ أقول لكُمْ مَنْ يؤمن بي فلَهُ حياةٌ أبديةٌ».**

لماذا؟ لأن هذه هي رسالته – الحياة الأبدية – التي أرسله الآب إلى العالم ليكملها، وقد أكملها، وأعطاها، بسفك دمه فدية عن العالم كله، لكلِّ من يؤمن به. وهذا هو تسلسل الكلام: المسيح هو الوحيد الذي رأى الآب، لأنه هو الوحيد «الذي من الله παρὰ τοῦ θεοῦ» (يو٦: ٤٦)، لذلك إن سمعوا له وآمنوا به يكونون قد سمعوا الآب، وبالتالي ينالون القصد من رسالته، ورسالته هي أن ينالوا الحياة الأبدية.

ثم يبتدىء الإنجيل بعد ذلك في توضيح كيف يؤمنون به لينالوا الحياة الأبدية. وعلى مستوى أن لا حياة بدون أكل وشرب وتنفُّس، هكذا سيعطيهم أن يأكلوه و يشربوه و يتنفسوا روحه القدوس.

هذا هو موضوع حديث المسيح حتى نهاية الأصحاح.

٦ : ٤٨ــ٥١ **«أنا هو خبزُ الحياةِ. آباؤُكُم أكلُوا المنَّ في البريةِ وماتُوا. هذا هو الخبزُ النازلُ من السماءِ لكي يأكلَ منه الإنسانُ ولا يموتَ. أنا هو الخبزُ الحيُّ الذي نزلَ من السماءِ. إنْ أكلَ أحدٌ مِنْ هذا الخبزِ يحيا إلى الأبدِ. والخبزُ الذي أنا أُعطي هو جَسَدِي الذي أبذُلُهُ مِنْ أجلِ حياةِ العالمِ».**

يبدو لأول وهلة أن الكلام هنا مكرَّر ومُعَاد. ولكن كل كلمة وكل آية تأخذ وضعها وترتيبها بإحكام.

«أنا هو خبز الحياة»:

هذه الآية تأتي كشرح توضيحي للآيات السابقة: «الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن بي، **فله حياة أبدية**». أي أن المسيح اعتبر نفسه خبزاً لنوال الحياة الأبدية، حيث كلٌّ من المسيح والخبز الذي يعطيه يَهَبُ الحياة الأبدية، لأن الحياة الأبدية فيه. فالمسيح فيه الحياة و يعطي الحياة، لأن المسيح حيٌّ ومحيي: «لأني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون» (يو١٤ : ١٩). وخبز الحياة هو كذلك خبز حي، فهو يعطي الحياة لأنه خبز الله، لأنه جسد المسيح. فالتطابق الذي يجعله المسيح بين كيانه الحي **«أنا هو»** المحيي، وبين كيان الخبز الحي **«الجسد»** المحيي هو تطابقٌ كلِّي؛ لذلك يعود المسيح بعد ذلك و يوضح هذا التطابق هكذا: «أنا هو الخبز الحي». وهنا يكمن سر التجسد العجيب الرهيب على مستوى إتحاد الكيان الإلهي **«أنا هو»** بـ**«الجسد»** البشري المولود من الروح القدس إتحاداً سرياً كاملاً أبدياً.

والحيرة التي يقع فيها العقل الذي لم يقبل سر التجسد تكون حيرة حقيقية، إذ كيف يمكن للمسيح وهو إنسان أن يكون خبزاً ــ والخبز معروف أنه يؤكل لقوام الحياة الجسدية؛ أما للذين قبلوا سر التجسد، أي بالإيمان بالمسيح الكلمة المتجسد، يصير من السهل عليهم أن يدركوا سر الإفخارستيا في قول الرب: **«الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي»**. فهذا هو غاية التجسد، فالمسيح تجسد ليعطي جسده الحي للعالم ليكون بذرة الخليقة الجديدة. هذه الحقيقة سرية للغاية والذي يقبلها إنما يقبلها بالإيمان. والمسيح عرض الإيمان به على اليهود لينكشف لهم السر فرفضوه:

«إن كلَّ مَنْ يرى الابن ويؤمن به، تكون له الحياة الأبدية؛ ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون». فقبول المسيح، أي المجيء إليه والإيمان به أولاً، كفيل بأن يكشف كل أسرار المسيح والحياة الأبدية. ولكن **الخطأ الذي ارتكبه اليهود، والذي لا يزال يرتكبه العالم، أن الناس يريدون أن يعرفوا سر المسيح قبل أن يأتوا إليه ويؤمنوا به، وهذا مستحيل.**

والآن فالنصيحة العظمى التي نقدمها للناس جميعاً هي أن يأتوا إليه بلا فحص وأن يقبلوه ويؤمنوا به لتنفتح عيونهم وقلوبهم ويدركوا سر المسيح والله بكل يقين، وسر الحياة الأبدية.

والمسيح في قوله إنه «يعطي جسده» يصير فاعلاً: «أنا هو»، ومفعولاً به: «جسدي» بآن واحد!! فالمسيح كائن في الله وفي الجسد معاً بآن واحد، لذلك حينما يبذل جسده فهو يعطي نفسه في هذا الجسد ليصير الأكل من الجسد إتحاداً به وبالله الآب، وقوة هذا الإتحاد هي الحياة الأبدية.

«الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم»:

والخبز الحي هو جسد المسيح الذي سيُذبح بإرادته، الذي فيه الحياة الأبدية غير القابلة للموت، ليكون ذبيحة إلهية حية حياةً أبدية، لكي كلُّ مَنْ يأكل منها يحيا فيه وفي الله الآب، على أنه يستحيل على أحد أن يأكل منه أكلاً حقيقياً إلاَّ إذا كان قد آمن حقاً بالمسيح. لأن الأكل الحق من الجسد الحق لا يكون إلاَّ بالإيمان الحق، فهنا ليس مجرد الأكل يُحيي، ولكن الأكل بالروح والحق هو الذي يحيي.

٦: ٤٨ــ٥٠ «أنا هو خبزُ الحياةِ. آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء (حقاً) لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت».

وهنا يأتي الرد على اليهود بالمقارنة مع المنِّ الذي نزل من السماء. فيقول المسيح: «آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية "**وماتوا** ἀπέθανον "» والترجمة اليونانية الحرفية: «وقد صاروا **مائتين** أو أمواتاً»، وبهذا لا تأتي هنا بمعنى الموت الطبيعي بل صاروا أمواتاً أو **مائتين روحياً**. وهذا يؤكده المقابل في الآية القادمة: «هذا هو الخبز... يأكل منه الإنسان **ولا يموت**». علماً بأننا نأكل من خبز الحياة (الإفخارستيا) ونموت جسدياً. فهنا «لا يموت» تأتي بمعنى عدم الموت الروحي؛ وفي المقابل من جهة المنِّ، فإن كلَّ من أكل المنَّ مات ــ أي مات روحياً. وهذا كان عقاباً لعدم الإيمان والتذمر وعمل الشرور والزنا. فالعيب كان فيهم، وليس بسبب عيب في المن كطعام من السماء. كما يوضح ذلك بولس الرسول في سفر العبرانيين: «ولمَنْ أقْسَمَ لن يدخلوا راحته إلاَّ

للذين لم **يطيعوا**. فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا **لعدم الإيمان**» (عب٣: ١٨و١٩). علماً بأن كلمة «راحته» رفعها بولس الرسول من راحة أرض كنعان إلى راحة الله الخاصة: «فلنجتهد (بالإيمان) أن **ندخل (نحن) تلك الراحة** لئلا يسقط أحدٌ (منا) في عِبْرَة العصيان هذه عينها» (عب٤: ١١). إذن، فالذين أكلوا المنّ الذي نزل من السماء لم يُنْعفهم أكلُهم من المن، وذلك بسبب خطيتهم، فحُرموا من دخول السماء.

«آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا»:

ليتنبه الدارس للكلمة إلى القصد الذي يهدف إليه المسيح هنا(٢٤)، **فهو لا يلغي المضمون** الروحي والسمائي للمن، بل على العكس، فالقصد الذي يهدف إليه المسيح هو أنه بالرغم من أنهم أكلوا المن إلاَّ أنهم ماتوا. لأننا نعلم علم اليقين أن الوحي المقدس على فم بولس الرسول أوضح أن **المن كان طعاماً روحياً** كما كان الماء الخارج من الصخرة شراباً روحياً، أي بالمفهوم الكتابي أن الطعام، أي المن والماء، أي الصخرة، كانت رمزاً للمسيح. ولكن الطعام الروحي والشراب الروحي لم ينفعا آكليه وشاربيه بسبب **عدم الإيمان، والتذمر على الله وشهوة الشرور والزنا:**

ــ «وجميعهم أكلوا **طعاماً واحداً روحياً**، وجميعهم **شربوا شراباً واحداً روحياً**، لأنهم كانوا يشربون **من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح**. لكن بأكثرهم لم يُسَرَّ الله لأنهم طُرحوا في القفر. وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا، حتى لا نكون نحن **مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك**... جلس الشعب للأكل والشرب (الروحي) **ثم قاموا للَّعب. ولا نزنِ كما زنى أناسٌ منهم** فسقط في يوم واحد ثلاثةٌ وعشرون ألفاً، **ولا نُجرِّب المسيح كما جرَّب أيضاً أناسٌ منهم** فأهلكتهم الحيات، ولا تتذمروا كما تذمر أيضاً أناس منهم **فأهلكهم المُهْلِك**.» (١كو١٠: ٣ــ١٠)

وبالتطبيق، يقول المسيح ويشدد على الإيمان به قبل أن يخوض في مفهوم الأكل والشرب من خبز الحياة الذي يعطيه، الذي هو جسده الذي سيبذله على الصليب من أجل حياة العالم. **فهذا** الخبز الحي النازل من السماء حقاً هو أيضاً لن يفيدهم شيئاً إذا لم يؤمنوا به. **المسيح جمع الإيمان**

(٢٤) مع مزيد من الأسف والحزن فقد وقع علماء الكتاب المقدس في خطأ فهم كلام المسيح عن المن: «آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا»، بأن المن كان طعاماً جسدياً بلا قيمة روحية، لذلك كلُّ من أكله مات وطُرِح جسدُه في القفر. في حين أن هذا هو الواقع أيضاً في أكل جسد المسيح، أي الإفخارستيا، فنحن نأكل الجسد المقدس ونموت أيضاً وتُطرح أجسادنا في القبور. فكلمة **«ماتوا»** فُهمت خطأ وعلى القارىء الانتباه إلى هذا الشرح.

بـه **والأكل منه كفعل روحي واحد.** فالذي يؤمن به يأكل حياة أبدية، والذي لا يؤمن به يأكل دينونة.

وواضح أن هؤلاء اليهود المحاججين لم يؤمنوا به بل وتذمروا عليه، على نفس مستوى ما عمل آباؤهم في البرية مع الله. هذا هو الذي جعل المسيح يركّز على صفة الأكل من الخبز الحي الجديد، أي جسده والشرب من دمه بعد ذلك.

لذلك جعل المسيح الإيمان به وسماع كلمته وطاعته وعدم التذمر شرطاً أولاً وأساسياً لكي «يأكل منه الإنسان ولا يموت». وهذا نجده واضحاً جداً في الآيات التي سبقت الإعلان عن أن الخبز الحي الجديد هو جسده المبذول لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. وهنا نعيد قول المسيح الذي جعله شرطاً للدخول في مفهوم الأكل من جسده: «وقال لهم **لا تتذمروا... كلُّ** من سمع من الآب وتعلم "**يُقْبِلُ إليَّ**"... **من يؤمن بي فله حياة أبدية...** أنا هو خبز الحياة».

وهذا يعود علينا بالتوضيح أن الإيمان بالمسيح وقبوله مع الشكر الدائم، شرط أساسي لاستعلان الروح في الإفخارستيا ونوال الحياة الأبدية.

يلاحظ القارىء أن جسد الرب الذي يعطيه، أو الذي بذله عن حياة الإنسان، قدّمه أصلاً وأساساً لكي يرفع الخطية ويلغيها ويكفّر عنها ويمسح دينونتها ويزيل آثارها المدمرة في جسد الإنسان وعقله وروحه. ثم نظرة واحدة سليمة إلى حال الإنسان قبل المسيح توضح لنا لماذا أعطانا جسده هذا. فالخطية أفرغت الإنسان من مضمونه ككيان مخلوق بيد الله على صورة الله وفيه نفخة روح الله!! الخطية أعمت عين الإنسان، وسدّت أذنيه عن رؤية الحق والنور والله وسماع صوته المحيي. الخطية استبدّت بالإنسان، وسادت عليه، واستعبدته لكل ما هو إثم ونجاسة وعار، وجعلته يتآخى مع الحيوان بل مع الشيطان، وأوردته مهالك الموت، فصار جسده المضيء بنور الله تلفُّه الظلمة. وعوض نفخة الله المحيية المبهجة، صارت تتردد في جنباته رياح الموت وعواصف الرعبة والخوف ممن له سلطان الموت أي إبليس. الكل أخطأ وزاغ وأعوزه مجد الله، ليس من يعمل الصلاح، ليس ولا واحد!! (راجع رو٣: ٢٣ ومز١٤: ٣). والجوع إلى الله والحق جعل الإنسان يتلمس الله في السماء والأرض والحجر والشجر.

الله تحنن على صورته ولم يشأ إطلاقاً أن يفسد جماله فيها، أو أن يسحب روحه منها، أو تسود ظلمة الخطية على نور بهاء معرفته، أو تبقى غنى نعمته عاجزة عن أن تُشبع جوع الإنسان.

لهذا تجسد ابن الله ليطعمنا من جسده، ليردَّ جوعنا إلى شبع حقيقي من الله، ويسقينا من دمه لتسري روحه فينا مرة أخرى للحياة من بعد موت. وهكذا، ولكي يقيمنا الله من الموت والعدم، أعطانا نفسه لنأكله، لكي يستبدل جسدنا بجسده ودمنا بدمه، وهكذا لا نعود نحيا نحن للموت بل هو يحيا فينا للحياة، فنحن الآن «أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

فلو ارتفعنا هنا بمستوى الخبز والمنِّ والأكل إلى المستوى الروحي الذي أراد بعض الربيين أن يرتفعوا إليه، باعتبار المنَّ أنه هو التوراة أي الناموس؛ نجد المقارنة أصبحت أكثر صحة وأقوى بياناً. فالخبز الحي، أي جسد المسيح المبذول أي المذبوح من أجل حياة العالم، هو المقابل للتوراة أو الناموس، مؤسساً على النعمة المجانية (البذل) للخلاص والحياة. أما التوراة أو الناموس فهو مؤسس على معرفة ناموس الخطية وحكم الموت للمخالف. فالأول جاء للحياة في مقابل الثاني الذي كان للدينونة والموت. فالذي أكل من خبز المن، مات بسبب المخالفة والخطية التي بلا كفَّارة، في مقابل أن الذي يأكل من الجسد الحي يحيا ولا يموت بسبب نعمة التبرير المجانية ورفع الخطية المميتة.

فإن كان المن الذي نزل من السماء بواسطة موسى، الذي هو رمز للناموس، قد أكله آباؤهم وماتوا روحياً بسبب المخالفة والخطية التي بلا كفَّارة، فلم يدخلوا راحة الله؛ فالمقارنة أصبحت أيضاً بين موسى: «لأن الناموس بموسى أُعطي»؛ وبين المسيح: «أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا». وهذا ليس على مستوى الأفضلية بين المسيح وموسى، بل على مستوى السببية لأن كلًّا من ناموس موسى والمن لم ينتفع به إسرائيل بسبب التعدي، لهذا جاء المسيح ورفع التعدي، بل ووهب عوض التعدي نعمة، ليعطي الحياة مجاناً بجسده المبذول عن حياة العالم؛ نأكله فنعيش!!

وعلى القارىء أن ينتبه إلى تسلسل المعاني وترابطها في إنجيل ق. يوحنا التي جاءت هكذا:

(أ) أبي يعطيكم **الخبز الحقيقي** من السماء.

(ب) **خبز الله، هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم.**

(ج) **أنا هو خبز الحياة.** آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز **النازل** من السماء **لكي** يأكل منه الإنسان ولا يموت.

(د) أنا هو الخبز **الحي** الذي **نزل من السماء.**

(هـ) الخبز الذي **أنا أعطي هو جسدي.**

(و) الذي **أبذله** من أجل حياة العالم.

ويلاحظ القارىء أن الآيات (أ)، (ب) هي وصف المشورة الإلهية كتقرير حقيقة يراد تتميمها. فالخبز **الحقيقي هو خبز الله**، أي أنه يمتُّ إلى طبيعة الله، فكلمة الحقيقي ἀληθινός هي صفة لا تطلق على الماديات، لأنها صفة الله وصفة المسيح: «أنا هو... الحق» (يو١٤: ٦). وهذا الخبز الحقيقي، الذي هو خبز الله، موطنه الدائم «من السماء». ولكن مشورة الله تقررت أن هذا الخبز يأخذ حالة نزول من السماء لإعطاء حياة أبدية للعالم. وهنا «**نازل**» هو تقرير حال لم يدخل في حيز الفعل.

ثم تأتي الآية (ج) حيث يكشف فيها المسيح عن صفة هذا الخبز أنه هو هو نفسه: «خبز الحياة» ــ أي **الخاص «بالحياة الأبدية»** الذي وُضع له أن ينزل من السماء (حال) ــ لكي يأكل منه الإنسان كغذاء روحي دائم فلا يذوق الموت الروحي.

ثم تأتي الآية (د) ويضيف فيها المسيح صفة ذاتية جوهرية لهذا الخبز وهو أنه خبز «**حيٌّ**» = ὁ ζῶν، أي أن جوهره حياة. ثم يُدخل المسيح هذا الخبز الحقيقي، أي خبز الله الذي موطنه السماء والمعيَّن له النزول من السماء، يُدخله في حالة الحركة الفعلية في صميم الزمن: «الذي **نزل**». وهنا يعلن عن سر التجسد الذي تم في صميم حركة الزمان وصار فعلاً ماضياً.

ثم تأتي الآية (هـ) وفيها يكشف أكثر عن صلة هذا الخبز بنفسه، أنه جسده، وهنا يجعل الخبز يعبِّر عن نفسه وعن جسده معاً.

ثم تأتي الآية (و) وفيها يكشف عن نيَّة مبيَّتة عند المسيح ومقرَّرة، أن هذا الخبز، أي جسده، هو معدٌّ الآن لحالة بذل أو ذبح إرادي.

وإلى هنا يكون المسيح قد أعدَّ الفكر للدخول في سر المسيح الأعظم، وهو الفداء بالموت أي الصليب، بعد أن **أمَّن على الجسد من الموت الروحي**، عندما قرر أنه «**خبز حيٌّ**» وأنه «حيٌّ بالآب» حياة أبدية لا يرقى إليها الموت المادي. فالموت على الصليب أنشأ غلبةً على الموت، وقد استُعلنت الحياة الأبدية التي فيه.

كما يكون قد أعدَّ الفكر لحتمية الأكل من هذا الجسد ليحيا به الإنسان إلى الأبد، أي لنوال الحياة الأبدية التي فيه.

أما الأكل من هذا الجسد فقد أحدث الصدمة الأخيرة لعقول اليهود، والذي بدأ الرب يؤكده دون أن يشرحه، متجاوزاً جهلهم هكذا:

ج ـ الجزء الثالث من الحديث: (٦: ٥٢ ـ ٥٨).

٦: ٥٢ «فخاصَمَ اليهودُ بعضُهُم بَعْضاً قائلينَ كيفَ يقدِرُ هذا أنْ يعطيَنا جَسَدَهُ لنأكُلَ».

كان تذمر اليهود سابقاً ينصبُّ **على شخصيته كيف يقول: «أنا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء**... أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه، فكيف يقول هذا **إني** نزلت من السماء؟» (يو٦: ٤١و٤٢). وهنا كان **ردُّ المسيح يتعلق باستعلان شخصه** وعلاقته بالآب والسماء: (٦: ٤٣ ـ ٤٧).

أما هنا فيتحول السؤال إلى: **«كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟»**

والمخاصمة فيما بينهم تأتي بمفهوم الانقسام وحدَّة الاختلاف. فكلمة «خصام» أتت باليونانية ἐμάχοντο على مستوى المحاربة بالرأي والكلمة. فبعضهم فهمها على مستوى الروح وقَبِلَها، والآخر فَهِمَها على مستوى الجسد الطبيعي، فرفضها بشدة.

وللأسف فإن هذه الخصومة وهذا الانقسام قائمان حتى اليوم بين الكنائس، على نفس أساس الانقسام في الفهم، بين الارتفاع إلى المستوى الروحي السرائري وبين النزول إلى المستوى المادي الطبيعي. ولا نريد أن نخوض هنا في صحة العقائد من عدمها، ولكن سنلتزم في الشرح بالدقة وأمانة وروحانية الكلمة التي يقولها الرب؛ متذكرين دائماً أبداً، فيما يختص بأصول العلاقة بالمسيح، أنها تقوم على أساس أن قبول إعلان الرب عن نفسه والإيمان به والخضوع لسلطانه الإلهي، يؤدي إلى استعلان أسراره باستنارة الروح. وهذا ما حاوله المسيح مع اليهود: أن يقبلوه أولاً، إن كان بالكلمة أو بالآية أو بالعمل، لكي يستعلن لهم حقيقته، ولكنهم أصرُّوا على: **«كيف»** و**«لماذا»** و**«مَنْ أعطاك هذا السلطان»** و**«أين هو أبوك؟»**، فظلوا محبوسين في ظلمة الشك أبداً تحت سلطان العقل والمعقول: «كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟»

أما ردود المسيح، فقد ظن علماء الكتاب أنها لم تعبأ قط بتشككات اليهود، وأنه لم يتنازل ولا بكلمة واحدة ليردَّ على أسئلتهم، أو يشرح لهم كيف سيقدر أن يعطيهم جسده، أو ما معنى أن يأكلوه. هذه في الحقيقة نظرة غير صحيحة، فالرب اعتنى جداً بالرد دائماً؛ إنما كعادته، كانت ردوده تحتاج إلى مَنْ يكشف عن عمق معناها والأسرار التي تحويها، ليعرف أنها فعلاً ردود كاملة وصحيحة عن كيف سيعطي جسده وكيف سيأكلونه. وإلا فما كان جيداً ولا لائقاً من المسيح أن يبدأ ردَّه بجملته الرهيبة التي تزيد الحق حقاً بقوله:

٦:٥٣ «فقال لهم يسوع الحقّ الحقّ أقولُ لكُمْ إنْ لم تأكلُوا جَسَدَ ابنِ الإنسانِ وتشربوا دَمَهُ، فليسَ لكم حياةٌ فيكُم».

الرب يقول مخاطباً اليهود، وليس اليهود فقط، بل والتلاميذ، وليس الاثنا عشر فقط بل ويخاطب السبعين الآخرين أيضاً حسب التقليد. أما «كيف يقدر»، وهو الجزء الأول من السؤال المحيِّر لعقول اليهود، فيرد المسيح عليه هكذا: بأن تأكلوا جسده وتشربوا دمه. فإذا كان الجسد يؤكل وحده، فهذا يعني أنه سينفصل عنه الدم؛ فهنا الإشارة صارخة إلى عملية الصليب العنيفة التي سيجوزها على أيديهم. **فاليهود هم أنفسهم الذين، بتقديمه للموت على الصليب، سيجعلونه «قادراً» أن يعطيهم جسده للأكل ودمه للشرب.** هذا هو الرد على: «**كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده...**»

أما الجزء الثاني من سؤالهم المحير: «**كيف يعطينا جسده "لنأكل"**»، فكان ردُّ المسيح عليه أنه ليس الجسد وحده الذي سيؤكل، بل والدم يُشرب أيضاً. فالعثرة التي صدمت عقولهم من حيث استحالة أكل الجسد البشري، حوَّلها المسيح إلى استحالة أشد، استحالة، بشرب الدم البشري! وحينئذ يصبح لا مفرَّ من فهم آخر للأكل والشرب بالنسبة للجسد والدم، فهنا مفهوم ذبائحي رفيع المستوى تعايشوا معه مئات السنين، والإشارة واضحة إلى ذبح إسحق بأمر الله الذي طلب من إبراهيم أن يقدمه ذبيحة له جسداً ودماً.

فإن كان اليهود قد أضمروا صلبه، فالرب يسوع قَبِل ذلك برضى الطاعة للآب كإسحق لأبيه، أما شرب الدم فهو مُحرَّمٌ بأمر الله بالنسبة للذبائح الحيوانية، والسبب أعلنه الوحي هكذا: لأن الدم فيه الروح وهو أيضاً رباط النفس بالجسد:

«لحماً بحياتِهِ دَمِهِ لا تأكلُوهُ.» (تك ٩: ٤)

«لكن احترز أن لا تأكل الدم، لأن الدم هو النفس فلا تأكل النفس مع اللحم.» (تث ١٢: ٢٣)

فإعلان المسيح هنا عن شرب دمه يرتفع أولاً بمفهوم ذبيحته عن الذبائح الأخرى، و يرتفع ثانياً بمفهوم شرب دمه إلى مفهوم شرب غير جسدي وقبول روح الحياة في دم المسيح للتقديس، وهكذا يتم الارتباط بنفسه ارتباطاً أبدياً:

ـ «لأنه إنْ كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلةٍ مرشوش على المُنجسين يُقدس إلى طهارة

الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يُطهر ضمائركم من أعمالٍ ميتةٍ لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٣و١٤)

أي أن حياة المسيح الأبدية التي في دمه تنتقل إلى مَنْ يشرب دمه بالإيمان. وهذا ما شدد عليه المسيح كنتيجة حتمية لمن يشرب دمه: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان **وتشربوا دمه فليس لكم حياة (أبدية) فيكم**».

أما كلمة الاحتقار التي وجهوها للمسيح: «كيف يقدر **هذا** أن يعطينا جسده لنأكل»، فرد عليها المسيح أن «هذا» الذي احتقروه هو «**ابن الإنسان**» الذي أشار إليه دانيال في رؤياه أنه هو الذي سيكون عليه رجاء اليهود الذين ترجوه وانتظروه:

ــ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاءَ إلى قديم الأيام، فقرَّبوه قُدَّامهُ (ذبيحة)، فأُعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً **لتتعبَّد له** كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دانيال٧: ١٣و١٤)

وقول المسيح واضح: «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد **ابن الإنسان** وتشربوا دمه...». وهكذا يردُّ المسيح على احتقارهم بأن أظهر لهم عماهم، أنهم مزمعون أن يذبحوا من تَرَجَّوه منذ آبائهم وانتظروه بفارغ الصبر، وأن الذي احتقروه هو هو الذي ستتعبَّد له كل الشعوب.

وهنا يلزمنا أن ننبه القارىء أن يحترس من شرح بعض علماء الكتاب المقدس الذين رأوا في كلمة «ابن الإنسان» هنا بالذات، أي من جهة أكل جسد ابن الإنسان وشرب دمه، أن المعنى يشير إلى أن الرب يقدم ويبذل بشريته **his humanity**. وهذا أمر مؤسف ومُحزن للغاية، فهذه النظرية هي بعينها نظرية فصل طبيعة المسيح إلى طبيعتين فصلاً واضحاً صارخاً لا نؤمن به الأرثوذكسية اللاخلقيدونية القبطية. لأن المسيح أشار مراراً وبوضوح أنه **سيبذل نفسه** وليس جسده وحده أو بشريته. فهو سيبذل نفسه في جسده، ولا يمكن أن «أنا هو» ينفصل عن جسده، ولا يمكن أن تنفصل نفسه عن الله أبيه بحسب إيمان الكنيسة أن «لاهوته لم ينفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده» (القداس الإلهي). فالمسيح متحد بالآب وبالجسد إتحاداً ليس فيه انفصال، لذلك يقول الكتاب: «هكذا أحب الله العالم حتى **بذل ابنه** ...» (يو٣: ١٦)، ولم يقل حتى بذل جسد ابنه.

فليتنبه القارىء بل وكل عالِم وباحث وشارح بل وكل لاهوتي، أن ذبيحة الصليب هي

المسيح ككل، والذي قدم هذه الذبيحة هو الآب والابن معاً؛ الآب بسبب حبه للعالم، والابن بسبب حبه للآب. فهي ذبيحة حب فيها كل حب الآب وكل حب الابن وطاعته، مظهرها جسد إنسان مصلوب على الصليب، وجوهرها **حب إلهي مذبوح**. أما قوة الصليب والذبيحة التي عليه فلا تكمن في الجسد الظاهر للعيان، لأنه حسب قول المسيح: «الجسد لا يفيد شيئاً» (يو٦: ٦٣)، بل قوة الذبيحة التي أنشأت خلاصاً وفداءً ومصالحة، فهي تكمن بالدرجة الأُولى في **الروح والنفس** ــ ثم الجسد ــ بكل كيانها الإلهي البشري معاً. فالمسيح، ككل، هو الذي تحمَّل العار والخزي؛ أي أن الابن في ملء كيانه الإلهي يُرْضِي الآب، لكي يخلص الإنسان من اللعنة، أما الموت الذي ماته المسيح على الصليب، فكان يستحيل أن يقع على الجسد وحده **لينشيء قوة خلاص**، إلا إذا قَبِلَه الابن بكل إرادته ومشيئته الإلهيتين، لأن جسد المسيح وإن كان قد قَبِل الموت، إلا أنه كان غير مستحق للموت! والموت تمَّ للجسد **بسبب** قبول ورضى الآب أولاً: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو٢٢: ٤٢)، **وبسبب** قبول ورضى الابن: «لأجل هذا أتيت "**أنا**" (الابن في ملء اللاهوت) إلى هذه الساعة.» (يو١٢: ٢٧)

إذن، فالموت على الصليب الذي تم للمسيح، اشترك فيه الآب والابن اشتراكاً فعلياً.

لذلك، فنحن حينما نأكل جسد المسيح ونشرب دمه فنحن نأكل «الكلمة المتجسد»، نأكل المسيح ككل: «من يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦: ٥٧)، نأكل كل حب الآب من نحونا، ممثَّلاً في مشيئته التي تمت في ذبح الابن، ونأكل كل حب المسيح ممثَّلاً في منتهى طاعة الابن للآب حتى الموت، لتكميل خلاص الإنسان. وهذا بعينه هو انفتاح سر الإتحاد الدائم بين الآب والابن علينا الذي ننال في هذا السر، وبهذا ندخل في صميم الحياة الخاصة التي بين الآب والابن التي هي هي الحياة الأبدية.

وعلى القارىء والباحث أن ينتبه دائماً أبداً، أن المسيح حينما يتكلم، فكلامه لا يؤخذ على المستوى العادي الطبيعي: «الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة.» (يو٦: ٦٣)

ثم عاد المسيح ونقل الإشارة من النبوة عن ابن الإنسان إلى الواقع الحي أمامهم، أي إلى نفسه. المسيح هنا يستحضر الأُخرويات اليهودية المترجَّاة إلى الحاضر الزمني في شخصه. فاستعلن نفسه أنه هو هو **«ابن الإنسان»** رجاء الدهور الذي قَبِل عن رضى أن يكون ذبيحتهم بسبب المسرة الموضوعة أمامه في طاعة الآب وفي حُبّه للخطاة:

٦ : ٥٤ «مَنْ يأكُلُ جَسَدِي ويشربُ دَمِي فلهُ حياةٌ أبديةٌ وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ».

أي أن يكون له حياة لا تزول من الآن وتُستعلن في اليوم الأخير، وتتمجد بالقيامة إلى الأبد. وهكذا يصبح أكل الجسد وشُرب الدم هو هو تحقيق مجد الأُخرويات التي ترقَّبها اليهود على أساس أن الجسد والدم هما طعام الحياة الأبدية النازل من السماء لحياة ممجَّدة لا تزول إلى أن يجيء الرب: «كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء» (القداس الإلهي).

وهنا يُلاحَظ أن كلمة «يأكل» لم تأتِ في وضعها العادي φαγεῖν، بل جاءت في اليونانية τρώγειν بمعنى الأكل الدائم المسرور والذي لا ينتهي بزمن معين، وكذلك الشُرب بمعنى الشركة الدائمة بالفعل والكلمة والروح على أساس الإفخارستيا في مفهومها الفائق.

ويُلاحَظ هنا أن الرب لا يدخل في المحاجاة ولا النقاش بعقلية اليهود السلبية، ولكنه احتفظ دائماً بخط الإيجابية الواقعية في استعلان نفسه بالنسبة للآب وللإنسان على محور واحد وهو ذبيحة نفسه.

٦ : ٥٥ «لأن جَسَدِي مأكَلٌ حقٌّ ودَمِي مَشْرَبٌ حقٌّ».

هذه هي الإضافة الجديدة التي يشرح بها المسيح حقيقة أكل جسده وشُرْب دمه. فهنا لا يزال المسيح يخاطب اليهود الذين اعتقدوا أن **المنّ هو خبز سماوي كعلامة مطلوبة** في الأيام الأخيرة للتحقق أن مسيرة الله مع شعبه في البرية ستستأنف ثانية لافتتاح عصر المجد لإسرائيل.

فهو يقول هنا أن **جسده هو الطعام «الحقيقي»، ودمه هو الشراب «الحقيقي»**، وليس المن أو ما يشبه المن ولا ماء الصخرة أو ما يشبهها. وهذا هو المعنى الأبسط والأضعف الذي يخاطب به عقول اليهود. ولكن المعنى الأعمق والأهم هو بالنسبة لمستوى حديث المسيح الذي يهدف به إلى استعلان الحق فيما يخص شخصه بالنسبة لعلاقته بالآب وبالإنسان.

فكلمة «**الحق**»(٢٥) التي أتت مرتين في مأكل الجسد وشرب الدم هي استعلان لجوهر الجسد ولجوهر الدم. وكلمة «الحق» جاءت في اليونانية في بعض المخطوطات ἀληθής «الحق»،

(٢٥) راجع المدخل ص١٠٩.

والمخطوطات الأخرى ἀληθῶς «حقاً». فالأُولى أي «الحق» ἀληθής تأتي بمعنى الواقع الحقيقي «**ضد الظاهر**» أو بالمفهوم اللاهوتي facts، والثانية أي «حقاً» ἀληθῶς تأتي بالمفهوم اللاهوتي «**ضد المزيّف**» أي أصلي genuine وتهدف إلى معنى أنه مأكلٌ يختص **بحاجة الإنسان «الحقيقية»** وليس للحاجة العارضة كالجوع. والحاجة الحقيقية للإنسان هي لروحه.

وهكذا يتحقق فعلاً أن قول المسيح يهدف إلى إقناع اليهود أن جسده ودمه ἀληθῶς أي للحاجة الحقيقية بالنسبة لإسرائيل ــ أي الحياة الأبدية ــ وليس لحاجة ملء البطن أو المسرة بعمل إعجازي ــ لحياة المجد الدنيوي ــ كما تجيء كلمة ἀληθής للمعنى الأعمق كما فهمها وسجلها الإنجيل، أن **الأكل من الجسد** ليس كما تصوروا أنه أكل قطعة لحم جسد إنسان عادي وأن **الشرب من الدم** ليس هو شرب ملء الفم من الدم المادي حسب ظاهر المعنى، وظاهر اللحم والدم، بل هو **أكل روحي بالحق وبالجوهر**، أي **أكل الجسد كله بملء الكلمة فيه**. «والكلمة صار جسداً» (يو١: ١٤)، أي «**أكل سر التجسد بأكمله**»، هذا هو جوهر الجسد، وشرب الدم **هو شرب أو احتواء كل دم ذبيحة المسيح على الصليب** أي «**شرب سر الفداء**»، «**بشرب كل حياة المسيح التي في دمه**». هذا هو المأكل الحق للجسد والشرب الحق للدم، لأن الحق لا يتجزأ قط وهو يختص بالإلهيات.

ولا ننسى أن كلام المسيح دائماً أبداً **هو روح وحياة**. ولكن لا ننسى أيضاً أن كلام المسيح كان مسموعاً بالأذن اللحمية ونحن الآن نقرأه بالحروف المكتوبة، وقول المسيح أن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا، وأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، فهنا الروح والحق في السجود لا يلغيان السجود الجسدي بل يرفعانه إلى مستوى الروح والحق. هكذا أيضاً في أكل الجسد وشرب الدم فإنه يجري على المستوى الجسدي المحسوس المنظور في سر الإفخارستيا بالخبز والخمر، لأن المسيح المأكول محسوس ومنظور، ولكن المأخوذ منه للحياة الأبدية هو الروح والحق على مستوى «أنا هو الحق».

ولكن حتى هذه الآية لم يُفصح المسيح عن إجراء سر الإفخارستيا بالخبز والخمر لأن ميعاده لم يحضر بعد. فالمسيح هنا يضع الأساس الذي سيبني عليه يوم الخميس سرَّه الخالد، ثم يتمم هذا السر بالفعل يوم الجمعة. على أن ق. يوحنا لم يطرق جميع الأسرار على مستواها الطقسي المادي، بل استعلنها جميعاً على المستوى الإلهي الروحي. فقد ذكر الميلاد الثاني من الماء والروح، ولكنه لم يذكر كلمة واحدة عن إجراء سر العماد؛ وذكر الجسد والدم والأكل والشرب منهما، ولم يذكر كلمة واحدة عن كيفية إجراء سرِّ الإفخارستيا بالخبز والخمر؛ وذكر التجسد الإلهي بعمق لا

الإنجيل الروحي وعن حياة الكلمة قبل التجسد، ولم يكتب كلمة واحدة عن ولادة المسيح العجيبة أو سر بتولية العذراء مريم ولا حتى اسمها مع أنها عاشت معه زمناً طويلاً في بيته.

هذا هو ق. يوحنا وهذا هو إنجيله، فهو دائماً أبداً يتكلم عما لم يتكلم عنه بقية الإنجيليين، وشغله الشاغل هو استعلان الحق الإلهي في حياة المسيح وكل أعماله وأقواله.

٦ : ٥٦ «مَنْ يأكُلْ جَسَدِي ويَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فيَّ وأنا فيهِ».

هنا ينتقل المسيح بعقول اليهود نقلة كبيرة وهامة للغاية، فالأكل من المنّ السماوي لم يغير شيئاً من طبيعة آبائهم، فقد ماتوا «روحياً» بمفهوم أنهم حُرموا من الدخول إلى راحة الله بسبب عدم الإيمان، وبالأكثر بسبب العصيان والتذمر على الله والتمرد، بل واستخدام الأكل للذة الجسد وشهوة النفس: «كما هو مكتوب جلس الشعب للأكل (من المن) والشرب (من ماء الصخرة)، ثم قاموا للعب، ولا نزنِ كما زنى أناس منهم...» (١كو١٠: ٧و٨). واضح أن الأكل من المن والشرب من ماء الصخرة مع أنه كان «طعاماً روحياً وشراباً روحياً» (١كو١٠: ٣و٤)، إلا أنه لم يغيّر من طبيعتهم شيئاً، بل تحول هم الأكل والشرب إلى لعب وزنا.

هنا يعطي المسيح المقارنة بين أكل وشرب يثمر موتاً لأنه لم يتغلغل جوهر الروح والنفس، وبين خبز الحياة الذي يعطيه المسيح بجسده ودمه لينشئ حياة أبدية؛ فجسده مأكلٌ حقٌّ أي جوهريٌّ، أي إلهيٌّ، وفي نفس الوقت هو جسد ذاتي أي يختص بشخص المسيح ابن الله. فالذي يأكل منه، أو على الأصح يأكله، فالجسد يصير فيه ويبقى فيه كما هو، جسد ابن الله الوحيد بصفاته الحية.

ويلاحظ القارئ أن كلمة «يثبت» كما جاءت بالعربية هي في اللغة اليونانية يبقى μένει وهو نفس الفعل المشتقّ منه كلمة «الباقي»: «الخبز "الباقي" للحياة الأبدية μένουσαν» في الآية ٢٧.

وكذلك الدم، فالذي يشرب منه أو على الأصح يشربه، يصير الدم فيه ويبقى فيه دم ابن الله الوحيد المذبوح بصفاته، بالروح الأزلي الذي فيه ونفس المسيح الحية الخالدة.

وبمعنى كليٍّ، يكون كل «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي»، أصير أنا كلّي فيه وأبقى فيه بجسدي، أي بسر تجسُّدي، وبدمي، أي بسر فدائي بحياتي وموتي وقيامتي، فيصير موتي فيه لموته

أي فدائه، وحياتي لحياته الأبدية، وتصير قيامتي لقيامته في ملء المجد.

وهكذا يتم القول بالحرف الواحد: «يثبت فيَّ وأنا فيه». هذا الثبوت هنا عجيب حقاً وسرِّيٌّ للغاية. فهو ثبوت الجسد الإلهي بالجسد (الروحي) للإنسان وثبوت الروح الأزلي بروح الإنسان، وهذا هو الذي ينشيء فينا القيامة. إنه التحام حي، شخص بشخص، ينشيء إتحاداً ووحدة. وهذا هو ما حَدَا ببولس الرسول أن يقول: **«لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه.»** (أف ٥ : ٣٠)

والعجيب أيضاً في سر الثبوت هذا أنه مُتبادَلٌ لتأمين الإتحاد، خوفاً من ضعف الإنسان وانفلاته. فنحن لا نثبت فيه بإمكانياتنا الضعيفة وإيماننا الأضعف فقط، وإلا فالإنفكاك وشيك الحدوث لا محالة، لذلك أمَّنه المسيح بنفسه أيَّما تأمين: «يثبت فيَّ **وأنا فيه**». ولاحظ هنا، أيها القارىء العزيز، أن الثبوت جاء هنا فردياً **لكل** مَنْ يأكل و يشرب بإيمان، واحداً واحداً. إنها علاقة فردية أنشأها المسيح بموته عن كل نفس، لأنها علاقة حب، بل عِشْق متبادل، ملأت قلب المسيح نحو النفس البشرية كعريس وعروس. ولكن لا يخطىء الفاهم والشارح، فالحب سبب، والبذل ثم الثبوت والإتحاد نتيجة: **«هكذا أحب... حتى بذل»** «ليس لأحد "**حب**" أعظم من هذا أن "**يضع أحد نفسه**" لأجل أحبائه» (يو١٥ : ١٣)؛ «الذي عنده وصاياي ويحفظها **فهو الذي يحبني**، والذي يحبني يحبه أبي، **وأنا أُحبه وأُظهر له ذاتي**. في ذلك اليوم تعلمون أني **أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.»** (يو١٤ : ٢١و٢٠)

إذن لا يخطىء أحد ويفهم أن الأكل من الجسد والشرب من الدم أنه فريضة، أو هو طقس فرضه المسيح كما فرض موسى الناموس كقانون، بل هو فعل محبة وثمرة عشق متبادل بين النفس والمسيح المذبوح كعريس من أجلها. لذلك يصرِّح المسيح لليهود بمواجهة صعبة ومُرَّة: إنهم محرومون من خبزه الحي، من جسده ودمه، لأنهم رفضوه كابن الله الحبيب: «لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني.» (يو٨ : ٤٢)

أما بالنسبة للربط بين الآيات، فبعكس ما يرى كثير من علماء الكتاب المقدس بأن الآيات مكررة وغير مترابطة، نجدها نحن مترابطة أشد الارتباط لو أخذنا بالعمق الروحي الذي هو من خصائص هذا الإنجيل، فقوله: «لأن جسدي مأكلٌ حقٌّ ودمي مشربٌ حقٌّ»، فهو هنا ينقل الأكل والشرب من الجسد والدم إلى مستوى «الحق»، أي مستوى **«أنا هو»**، أي بالمفهوم اللاهوتي، إلى مستوى الجوهر الذاتي، أي بتوضيح أكثر إلى مستوى **«أنا»** = الذات الإلهية للابن + **«هو»** كيان الابن أي جوهره أو طبيعته.

لذلك فالتسلسل يأتي هنا بمنتهى القوة والعمق حينما يقول بعد ذلك: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت "**فيَّ**"، و"**أنا**" فيه». «**فالحق**» في الآية السابقة يُفَسَّر في الآية التي بعدها بـ«**أنا**».

وإلى هنا لم ينحرف المسيح بنظره أو توجيه كلماته بعيداً عن اليهود الذين يحاجونه، كما يرى علماء الكتاب المقدس، ولكن المسيح كان، بآن واحد، ينظر إلى تلاميذه وإلينا وإلى الأجيال كلها إلى منتهى الدهور، لذلك تجيء كلمات المسيح دائماً ذات أبعاد متسعة لا تغيب عن القلوب المتسعة.

٦ : ٥٧ «كما أرسَلَني الآبُ الحيُّ وأنا حيٌّ بالآبِ (كذلك)، فمَنْ يأكُلُني فهو يَحْيَا بي».

وهنا ختام التنقل بالفكر اليهودي إلى نهايته وغايته العظمى. فلقد تدرج المسيح تدرُّجاً غاية في الدقة والاستعلان:

- من **الخبز الباقي** للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان،
- إلى «**خبز الله** النازل من السماء»،
- إلى «أنا هو خبز الحياة»،
- إلى «**أنا هو** الخبز الحي **الذي نزل** من السماء»،
- إلى «الخبز الذي أنا أُعطي **هو جسدي الذي أبذله** من أجل حياة العالم»،
- إلى «إنْ لم **تأكلوا جسد** ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم»،
- إلى «من يأكل جسدي ويشرب دمي **فله حياة أبدية**، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير»،
- إلى «جسدي **مأكلٌ حقٌّ** ودمي مشربٌ حقٌّ»،
- إلى «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي **يثبت فيَّ وأنا فيه**»؛
- إلى هذه الآية الأخيرة التي نحن بصددها: «من يأكلني **فهو يحيا بي**».

هنا في هذه الآية الأخيرة، يعلن المسيح وجوده الكلي ككلٍّ as a whole — «يحيا بي» — في إفخارستيا الجسد والدم، كحياة نحياها في حياته.

«كما أرسلني الآب الحي وأنا حيٌّ بالآب، فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي»:

«أرسلني الآب»:

الإرسالية هنا تستهدف الإعلان عن «التجسد»، ولكنها تتضمن معنًى ضمنياً ذا أهمية، وهو

وحدة التناسق بين الآب والابن على أساس وحدة الكرامة، وليس كسيد وعبد: «لكي يكرمَ الجميعُ الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله.» (يو٥: ٢٣)

وهنا يضع المسيح إرساليته في الموازنة المتوازنة «**كما** ...، ... **كذلك**» التي يلجأ إليها المسيح ليجعل علاقته بالآب مثلاً يُحتذى ويُمتلك لنا: مثل «**كما أرسلتني** إلى العالم، (كذلك) **أرسلتُهم** أنا إلى العالم» (يو١٧: ١٨)، «**كما أحبني** الآب، **كذلك أحببتكم** أنا» (يو١٥: ٩)؛ «... **كما** أنك أنت أيها **الآب فيَّ** وأنا فيك (**كذلك**) ليكونوا **هم** أيضاً واحداً **فينا**.» (يو١٧: ٢١)

وق. يوحنا يستخدم نفس أسلوب المسيح في رسالته: «مَنْ قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سَلَكَ ذاك (تجاه الآب) هكذا يسلك هو أيضاً.» (١يو٢: ٦)

فإذا كانت الإرسالية تستهدف معنى التجسد والشهادة والاستعلان للآب، فالمسيح يضعها ضمن الأشياء الموهوبة لنا عندما «نأكله» في سر الإفخارستيا. فعندما نأكله، نحيا بحياته بكل مخصصاتها مثل: «**كما أنَّ الآب يعرفني** وأنا أعرف الآب، (**كذلك**) **أعرف خاصتي** وخاصتي تعرفني.» (يو١٠: ١٥و١٤)

والمسيح نقل لنا في شخصه بجسده ودمه علاقته بالآب وعلاقة الآب به.

«الآب الحي»:

صفة من الصفات الجوهرية أي الطبيعية لله التي طالما وُصف بها الله في العهد القديم: «لأنه مَنْ هو مِنْ جميع البشر الذي سمع صوت **الله الحي** يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش.» (تث٥: ٢٦)

أما كلمة «الحي» فهي ليست صفة شخصية فقط وإنما صفة جوهرية ــ كما قلنا ــ يعبر عنها المزمور: «عندك ينبوع الحياة.» (مز٣٦: ٩)

«وأنا حيٌّ بالآب»:

هنا اللغة العربية قاصرة عن أداء المعنى الوارد في الأصل اليوناني διὰ τὸν πατέρα والتي تجيء بمعنى «بسبب»: "Because" or "on account of" والتي لا يمكن فهمها في اللغة اليونانية على أن الآب علة أو آلة لحياة المسيح، إذ كان يتحتم أن تجيء διὰ τοῦ πατρός .

والتعبير «أنا حيٌّ بالآب» تعبير لاهوتي مبسَّط معناه أن الابن لا يحيا وحده، ولكن حياة الآب هي حياة الابن.

فإذا أكلنا الجسد والدم، فنحن لا نعود نحيا وحدنا، بل نحيا **حياة المسيح النابعة من نفس ينبوع الآب.** وهكذا يتم الرباط الإلهي بين الإنسان والله الآب بحياة المسيح التي تنالها ونحيا بها من الإفخارستيا، أي الجسد والدم.

ونلاحظ أن المسيح سبق وأعلن أن له حياة أبدية **في ذاته،** وكلمة «في ذاته» تعني في صميم طبيعته وجوهره: «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته» (يو٥: ٢٦). فهنا الحياة الذاتية للآب والابن واحدة، لأن **الحياة الأبدية هي من جوهر الطبيعة الإلهية.** ولكي تكون العلاقة بين الآب والابن واضحة في ذهن القارىء، فليفهم أن الابن يستمد من الآب بنُوَّته فقط، وهذه العلاقة ليست مستحدثة قط، أي لم يكن هناك زمن ما لم يكن في الذات الإلهية بنوَّة، بل البنوَّة والأُبوَّة قائمتان أزلياً في ذات الله الأزلية. فالأُبوة صفة جوهرية في الله، والبنوة مثلها تماماً صفة جوهرية في الله. أما الطبيعة ــ أي الجوهر ــ فواحد، فطبيعة الآب هي طبيعة الابن، وحياة الآب هي حياة الابن، لأن الحياة ليست صفة ذاتية بل جوهرية. فالمسيح هو الحياة الأبدية من جهة طبيعته، وهذا يعلنه ق. يوحنا في بداية رسالته الأُولى هكذا:

«فإن **الحياة أُظهرت،** وقد رأينا ونشهد ونخبركم **بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا.**» (١يو١: ٢)

أما المسيح فقد كرر مراراً وتكراراً أنه هو الحياة: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)، «أنا هو القيامة والحياة.» (يو١١: ٢٥)

فهنا قول المسيح **«أنا حيٌّ بالآب» يفيد إتحاد الأُبوَّة بالبنوَّة في حياة واحدة غير منفصلة،** يكشفها المسيح ويعلنها بالقول والعمل. أما هنا في هذه الآية فهو يسلمها لمن يأكل جسده و يشرب دمه لأنه يحيا به: **«من يأكلني فهو يحيا بي»، وبالتالي يحيا بالآب، لأن المسيح حيٌّ بالآب.**

وبمعنى آخر أيضاً: فلأن **«الآب حيٌّ»،** فيتحتم بالضرورة أن يكون **الابن حياً،** لأن الابن بالآب قائم و يكون ويحيا، وكما أن **الابن (المسيح بالتجسد) حيٌّ** فيتحتم بالضرورة أن منْ يأكل المسيح **يصير حياً،** لأن الإنسان بتناوله الجسد والدم يصير ويقوم ويدوم في المسيح و بالمسيح.

وقد أعلنها المسيح في موضع قادم: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩)، و يصفها ق. يوحنا في نهاية رسالته الأولى بمنتهى الوضوح والقوة: «وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا **حياة أبدية**. وهذه الحياة هي في ابنه. **من له الابن فله الحياة** ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة... ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق **والحياة الأبدية**.» (١يو٥: ١١و١٢و٢٠)

أما إذا أردنا أن نفهم القصد والغاية العُظمى من أكل جسد المسيح وشُرْبِ دمه كمأكلٍ حقٍّ ومَشْرَبٍ حقٍّ، هذا الذي عبَّر عنه المسيح أخيراً: «من يأكلني فهو يحيا بي»، فعلينا أن نعود إلى فكر بولس الرسول الذي يعبِّر عنه تعبيراً واقعياً غاية في العمق والتصوير اللاهوتي لمفهوم كيف يتحول جسد المسيح فينا إلى جسد كلي وشامل ــ جسد سري ــ نصير فيه أعضاءً بل نصير من نفس مادته الروحية الفائقة: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

فانظر، أيها القارىء، وافهم أن الإفخارستيا، أي الأكل والشرب من جسد المسيح ودمه بالروح والحق والشكر، هي المدخل الحسي والروحي واللاهوتي بآن واحد للدخول في جسد المسيح السري، بل للإتحاد به أيضاً، بل للثبوت الأبدي، بل للحياة الأبدية والتمجيد الدائم.

وهنا بعد أن استعلن المسيح وجوده الذاتي الكلي كحياة في الجسد والدم،

و بعد أن استعلن الثبوت المتبادل بين المسيح والإنسان من خلال الجسد والدم؛

كشف الرب الاستعلان الأخير بأن **الإنسان أصبح له نصيبٌ مع الله الآب**، أي ثبوت حياة الإنسان ــ بالتالي ــ بالله الآب أيضاً من خلال المسيح الحي في الإنسان، بالجسد والدم، أي من خلال الإفخارستيا في مضمون ذبيحة المسيح.

وهكذا يصل المسيح بالفكر اليهودي إلى **أساس العهد الجديد بدم المسيح**، كعهدِ **دمٍ بروح أزلي يربط الإنسان بالله الحي!!**

هذا العهد الجديد استعلنه المسيح وسجله بالقول والكلمة يوم الخميس: «هذا هو جسدي ... هذا هو **دمي الذي للعهد الجديد**، الذي يُسْفَكُ من أجل كثيرين» (مر١٤: ٢٢و٢٤). ثم حققه على مستوى ذبح الجسد وسفك الدم الفعلي يوم الجمعة.

وهكذا يضع المسيح الفكر اليهودي أمام عهد جديد بفصح جديد، ليس بالمنِّ ولا بلحم خروف مذبوح، ولكن بذبيحة نفسه التي هم مزمعون ومضمرون تقديمها، ليصير **جسده ودمه هما عهد الله الجديد مع شعبه.**

والمسيح يوضح بذلك لليهود أن المن الجديد الذي يطلبونه يستلزم عهداً جديداً سبق الرب وأعلن عنه بفم أنبيائه:

ــ «لأنه يقول لهم لائماً هوذا أيام تأتي، يقول الرب، حين أُكمِّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً، لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم** يوم أمْسَكتُ بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر، لأنهم لم يثبُتوا في عهدي وأنا أهملتهم، يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجْعلُ نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً.» (عب٨: ٨ــ١٠)

وهكذا يقدم المسيح جسده ودمه لليهود المزمعين أن يذبحوه، كمنٍّ جديد وفصح جديد معاً ــ للحياة وليس للموت بعد ــ حيث يصير دمه وثيقة عهد الله الجديد مع شعبه؛ وهذا يعبِّر عنه بطرس الرسول في رسالته الثانية هكذا:

ــ «كما أن قدرته الإلهية **قد وهبت لنا كل ما هو للحياة** (الأبدية) والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وَهَبَ لنا **المواعيد** (العهد) العظمى والثمينة، **لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.»** (٢بط١ : ٣ــ٤)

فحياة الآب والابن المتحدة، وهي صميم الطبيعة الإلهية، سلَّمها لنا المسيح في الجسد والدم، لنشترك فيها فنحيا بالله و بالتقوى.

٥٨:٦ «هذا هو الخبزُ الذي نزلَ من السماءِ، ليسَ كما أكلَ آباؤُكم المنَّ وماتوا. مَنْ يأكلْ هذا الخبزَ فإنه يَحْيَا إلى الأبدِ».

وعودة المسيح على ذي بدء لنفس الآية التي انطلق منها ليشرح لليهود معنى الخبز الحقيقي النازل من السماء، هذا الذي يطلبونه بخداع البصر كأنه المنُّ القديم، هذا الرجوع والذي يختم به المسيح شرحه المطوَّل، يثبت أن نظر المسيح المثبت على اليهود المحاججين كما هو لم ينحرف، فهم كانوا من البداية إلى النهاية الهدف الذي سلَّط عليه كل إعلاناته. ولكن للأسف لم تكن لهم أذن تسمع، ولا عيون تبصر، فآباؤهم أكلوا المن وماتوا، وهم اشتهوا أن يأكلوه، فما أكلوه، وما عاشوا.

فكان كلام المسيح على آذانهم كلغز بقي بلا حلّ، أو بحسب قول المسيح نفسه: «لكم قد أُعطيَ أنْ تعرفوا أسرار ملكوت الله، وأما للباقين فبأمثالٍ حتى إنهم مبصرين لا يُبْصِرونَ وسامعين لا يفهمون» (لو٨: ١٠). وليتمعَّن القارىء مليًّا في كلمة «**أسرار ملكوت الله**»، لأنها هي هي موضوع حديثه في الجسد والدم، كما يلاحظ أن أسرار ملكوت الله تعبر على العيون فلا تراها وعلى الآذان فلا تسمعها لأن سر الرب لمتَّقيه (أو لخائفيه) (مز٢٥: ١٤). والذي يصدّق أقوال الله وهي كلها تحمل سر الله، فالله يعلن له أسراره فيفهمها ويُسرُّ بها: «تأتي ساعة حين لا أُكلمكم أيضاً بأمثالٍ، بل أُخبركم عن الآب علانيةً» (يو١٦: ٢٥)، وهذا تم بالحرف الواحد في عشاء الخميس، وفي يوم الخمسين.

«هذا هو الخبز»:

في هذه الكلمة الصغيرة «**هذا هو**» يعبر الرب بشريط أقواله كلها من «الخبز النازل من السماء» إلى «مَنْ يأكلني يحيا بي»، والتي انتهى بها إلى، والتي تحوي في داخلها، سر موت الرب وقيامته. **فالأكل** يحمل، بقوة، معنى الذبيحة المذبوحة. «**ويحيا بي**» يحمل معنى القيامة والحياة. **والاثنان معاً** يحملان الشركة الكاملة السرية في فعل وقوة الفداء والخلاص؛ كما يطرحان، مُسبقاً، سر الإفخارستيا الذي سيأتيه الرب في وقته.

كما يلاحظ القارىء أن كلمة «**هذا هو**» تجيء لتشير إشارة مباشرة ومنطبقة انطباقاً سرياً على قول المسيح «**أنا هو**». لأن الخبز النازل من السماء أصبح واقعاً حياً ملموساً مشخَّصاً في المتكلم، أي ابن الله الكلمة المتجسد الذي ذُبح فعلاً وقام وهو حي.

التعقيب على حديث الرب في مجمع كفرناحوم
(٦: ٥٩ــ٧١)

٦: ٥٩ «قالَ هذا في المجمع وهو يعلِّمُ في كفرناحومَ».

ق. يوحنا هو المتكلم الآن، وهو يعيّن المكان الذي تم فيه حديث المسيح الذي سبق أن سجّله، أي في المجمع، ولم يكن ذلك أثناء العبادة ولكن في وقت التعليم. ومن الأمور التي تبهج القارىء أن بقايا آثار مجمع كفرناحوم هذا لا تزال قائمة بصورة حية جميلة في فلسطين، في الموضع المعروف بـ«تل حوم» (أنظر الصورة)، حيث وجد العالم وِلْسن أثناء حفرياته حجراً كبيراً محفوراً عليه صورة وعاء المن. (٢٦)

والمعروف أن درس نزول المن كان ضمن خدمة الصباح في مجامع اليهود. والدروس في المجمع كانت تُقام في أيام السبت والاثنين والخميس.

٦: ٦٠ــ٦٣ «فقال كثيرونَ من تلاميذِهِ، إذ سَمِعوا، إنَّ هذا الكلامَ صعبٌ. مَنْ يقدرُ أنْ يسمعَهُ. فعلمَ يسوعُ في نفسِهِ أن تلاميذَهُ يتذمَّرونَ على هذا، فقال لهم: أهذا يُعْثِرُكم؟ فإن رأيتم ابنَ الإنسانِ صاعِداً إلى حيثُ كان أوّلاً. الروحُ هو الذي يُحيي أما الجسدُ فلا يُفيدُ شيئاً. الكلامُ الذي أُكلمكم به هو روحٌ وحياةٌ».

«الروح هو الذي يُحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة»:

المسيح يلحُّ على العقل البشري أن لا يهبط بالإلهيات إلى مستوى التراب، ولقد كرر ذلك في كل حديث، ولكن ليس بنفس الهدف.

فأولاً مع نيقوديموس، كان الهدف هو **الميلاد الجديد للإنسان من فوق وبالروح،** ولما عجز عن إدراك «الميلاد الثاني» الروحي للإنسان، اضطر المسيح أن يقول له: **«المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح»** (يو٣: ٦). أما كيف يتم ذلك؟ فمن المستحيل على العقل البشري متابعته، كما لو أردت أن تتتبَّع ريحاً تهبُّ، فأنت لا تعرف لا من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كلُّ مَنْ وُلد من الروح، فأنت ترى فيه الواقع المتغير أي الإنسان الروحي الجديد

---

[26] Warren's recovery of Jerusalem, p. 344. Cited by: Westcott, *op. cit.*, p. 108.

بالعقل الروحي الجديد، فتندهش، ولكن يتعذر عليك الفحص.

وثانياً مع المرأة السامرية، كان الهدف أن يسقيها الماء الحي أي الروح القدس، ولما تفكرت أنه ماء جسدي وعجزت عن إدراك شُرْب الماء الحي، طلب منها أن تتوب عن خطاياها التي كانت سر العجز، فلما تابت شربت من الماء الحي. ولكن كيف شربته؟ لا نعلم، الذي نعلمه أنها صارت مُبشِّرة بالخلاص، وقادرة أن تسقي الآخرين، لأن نبع المياه الحية اندفق في أحشائها.

وثالثاً مع الجليليين، أراد أن يُطعمهم من خبز الحياة النازل من فوق، فحسبوه مَنًّا، وعجزوا عن فهم خبز الحياة. طلب منهم أن يؤمنوا به أولاً حتى يدركوا سر جسده المذبوح وسر دمه المسفوك اللذين هما خبز الحياة الأبدية، فلما عثروا ــ حتى تلاميذه عثروا ــ في كيفية أكل الجسد وشُرب الدم، عاد مرة أخرى يقول إن كلامه على مستوى الروح وليس على مستوى الجسد. فهو أكلٌ حقٌّ وشربٌ حقٌّ، أي **أكل جسدٍ روحيٍّ سماويٍّ، وشُرب دمٍ روحيٍّ سماويٍّ ــ وليس أكل جسدِ إنسانٍ وشُرب دم إنسانٍ ــ بل هو أكل الكلمة في الجسد وشُرب الروح في الدم.** أما كيف يكون ذلك؟ فهذا ما لا يمكن أن يلاحقه العقل، تماماً كما لا يمكن أن يلاحق كيف صار الكلمة جسداً. هكذا وبنفس السرية يصير الإنسان بالأكل من الجسد والشُرب من الدم إنساناً روحياً يتغذى بالروح وسر الكلمة، الكلمة الذي كان منذ البدء عند الله، الفعَّالُ في الخليقة، فلكي يكمل فعله في الخليقة البشرية، أخذ جسداً؛ وبدون هذا الجسد لم يكن ممكناً أن تبلغنا كلمة الله كفعلِ خلاصٍ. فكلمة الله في ذاتها مُخلِّصة، ولكنها لم تخلِّص بالفعل إلا بالجسد والدم على مستوى الذبح وسفك الدم.

فاللاهوتيون وأصحاب الفكر القائل أن الأكل والشرب هما على مستوى الإيمان بالكلمة المقروءة والمبشَّر بها فقط، وليس بالخبز والخمر المتحوِّلين، يتجاوزون سر التجسد كفعل حدث، و يتخطَّوْن عملية الذبح وسفك الدم كفعل حدث، هذه التي بها أدركنا سِرَّ الكلمة ابن الله!! أي أن الأكل من جسد المسيح والشرب من دم المسيح يستحيل أن يكون نظرياً تأملياً تصوفياً بالفكر أو حتى بالإيمان فقط. إن الأكل من الجسد والشرب من الدم هما **شركة في فعل مأسوي عنيف،** شركة في ألمٍ وغُصَّةِ موتٍ وقيامة، وليس شركة في مبدأ إيماني يؤخذ بالفهم. فالله لم يخلِّص العالم بالكلمة المنطوقة، بل بالكلمة المتجسدة المذبوحة.

إن قول الرب: «**الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة**»، لا معنى له ولا قوة إلاَّ **بفعل الموت والقيامة.** «فالروح والحياة» لم يُستعلنا لنا، ولن يُستعلنا فينا إلاَّ **بشركة فعلية** في الموت

هـذا عـيـنـه، وفي القيامة هذه عينها، وهذا لن يتم فينا إلاَّ بأكل الجسد الذي فيه سِرُّ الموت وشرب الدم الذي فيه سِرُّ الحياة.

لذلك، و بالنهاية، يكون استعلان الحياة الأبدية هو بالكلمة الحية، وفي الفعل المحيي معاً، بلا تعارض أو تمييز.

أما سِرُّ الإفـخارستيا الذي أسسه الرب في عشاء الخميس بالخبز والخمر، اللذين بثَّ فيهما سِرَّ جسده ودمه، أي سر تجسُّده وذبحه، فقد جاء بعد أن أكمل المسيح استعلان الموت والقيامة في نفسه، مقدِّماً جسده ودمه عطيةَ حبٍّ مُسْبقة لأحبائه كخبز الحياة الأبدية، كحقيقة مطلقة لا بد أن تؤخذ أولاً بحد ذاتها قبل أن تُطبَّق على مادة سر الإفخارستيا. فالمسيح قدم الحقيقة المطلقة أولاً، ثم بعد ذلك أخضعها للممارسة العملية. فالإفخارستيا حقيقة مطلقة بقوة سر المسيح للممارسة عملياً.

وفي سر الإفخارستيا تتحد الكلمة المطلقة بالفعل المنظور:

[... كلُّ مرة **تأكلون** من هذا الخبز **وتشربون** من هذه الكأس، **تبشرون** بموتي **وتعترفون** بقيامتي] (القداس الإلهي).

الأكل ينشيء بشارة، والشرب ينشيء اعترافاً، وهكذا نشترك في حياة المسيح وموته بالسر والكلمة معاً، بالحقيقة المطلقة والفعل المنظور.

وليُلاحظ القارىء أن المسيح لم يَرُدّ على نيقوديموس حينما سأله: «كيف يمكن أن يكون هذا» (يو٣: ٩)، عن الميلاد من الروح ـــ كما أنه لم يرد على اليهود عندما سألوا: «كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل»، لأن المسيح قصر استعلان الفعل السرائري، سواء في المعمودية أو الإفخارستيا فقط على الذين آمنوا بالكلمة. وكل ما استطاع المسيح أن يُزيده شرحاً هو قوله إن الكلام الذي يقوله «روح وحياة»، لأن الجسد، أي المادة، لا يفيد شيئاً بحد ذاته، ولكن الروح والحياة اللذين في الجسد والدم يفيدان في كل شيء.

وق. يوحنا تحاشى ذكر الطقس ليوفي الحقيقة الروحية المطلقة فهمها وعملها أولاً، وهو بذلك يحرس الطقس من أن يُبتر فيكون بشكله المادي نهايةً بحد ذاته، فتسقط الكنيسة في أحد خطأين: الخطأ الأول أن تحسب المادة فعَّالة بحد ذاتها، والخطأ الثاني أن ينحصر سر الإفخارستيا في أن يكون مجرد رمز.

وللقديس أُغسطينوس شرح يفيد هذا المعنى إذ يقول:

[وهكذا يريد المسيح أن يُفهَم هذا الأكل وهذا الشرب على أنهما واسطة للشركة في جسده وأعضائه التي هي الكنيسة... فالسِرُّ في الإفخارستيا هو الوحدة في المسيح القائمة بين الجسد والدم اللذين يُقدَّمان على مائدة الرب يومياً في بعض الكنائس وعلى فترات معينة في كنائس أخرى، واللذين يتناولهما البعض للحياة والبعض الآخر للهلاك. أما السرُّ نفسه فهو موضوع لحياة كل الناس وليس لهلاك أحد بالمرة لكل من يتناوله] (عظه ١٦: ١٥ على إنجيل يوحنا).

[هكذا فإن معنى أن يأكل الإنسان من الجسد وأن يشرب من الدم، هو أن يَثْبُتَ في المسيح والمسيح يثبتُ فيه؛ وبالتالي فإن كل من لا يثبُتُ في المسيح والمسيح لا يثبت فيه، فهو بلا شك لم يأكل جسده ولا شرب دمه، بل إنه في الحقيقة أكل وشرب من سر عظيم بهذا المقدار لدينونة نفسه] (عظه ١٦: ١٨ على إنجيل يوحنا).

وهكذا جمع القديس أُغسطينوس بين الحقائق المطلقة التي شرحها الرب وبين عمل السر في الإفخارستيا، وجعل الحقائق المطلقة حارساً لصحة السر وعمله.

وهنا نسمع أن **كثيرين** من تلاميذه قالوا: «هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه»، لنتذكر دائماً قول النبوَّة عند ميلاد المسيح على فم سمعان الشيخ: «ها إن **هذا** قد وُضع **لسقوط وقيام** كثيرين في إسرائيل، ولعلامةٍ تُقاوَمُ.» (لو٢: ٣٤)

لقد سقط هؤلاء **الكثيرون** من تلاميذه عن مستوى الروح والحياة. وكلمة «**كثيرون**» توضح النسبة بينهم وبين الاثني عشر، أي بين الذين يسقطون والذين يقومون في المسيح يسوع على مستوى الإيمان وتصديق الرب، وهي دائماً نسبة محزنة. وهي ليست محزنة لأنها على المستوى العام فقط بل وعلى المستوى الخاص جداً، إذ هي قائمة بين المدعوِّين أيضاً: «هكذا يكون الآخِرون أولين والأوَّلون آخِرين. لأن كثيرين **يُدْعَوْنَ وقليلين** يُنتخبون.» (مت٢٠: ١٦)

لماذا؟؟؟ لأن الكثيرين يحكِّمون العقل والمنطق، **والقليلون** هم الذين يطيعون الإيمان والكلمة ببساطة قلب، والعقل بطبيعته يحكم حسب مقاييس العالم، ويبدأ بفرح كاذب وينتهي بالحزن والتشاؤم (مت٢٢: ١٣و١٤)، أما القلب فيعيش بمقياس الروح، ويبدأ بالتسليم الهادىء وينتهي إلى الفرح والابتهاج: «وإذ هم **يكسرون الخبز** في البيوت كانوا يتناولون الطعام **بابتهاج وبساطة قلب** مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب.» (أع٢: ٤٦و٤٧)

«هذا الكلام صعب»:

كلمة «صعب» تأتي في اليونانية بمعنى «التصلب» σκληρός من σκέλλω أي «يجف» أو «ينشف»، وهذه الكلمة يفهمها الأطباء، إذ هي تُستخدم لوصف الأوعية الدموية حينما تُصاب بالتصلب وعدم الليونة فتمنع مسيرة الدم فيها. فلو أضفنا إليها الكلمة التي جاءت بعدها: «من يقدر أن يسمعه ἀκούειν »، فهذا يكمل المعنى بأن كلام المسيح لم يدخل مجاري أسماعهم، لأن آذانهم الروحية مسدودة ولم تنفتح بكل الكلام الروحي الذي قاله المسيح، والكلمة صارت ثقيلة على آذانهم وغير مقبولة، والنتيجة أنهم بدأوا يتذمرون، لأن: «مَنْ ليس معي فهو عليَّ» (مت١٢: ٣٠)، لأن الأُذن الطبيعية احتكرت العقل وامتلأت بمتطلبات الدنيا. أما صعوبة الكلمة التي انسدت آذانهم عن قبولها، فهي على مستويين مرتفعين:

الأول الذي سقطوا من دونه وهو: كيف أن «يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه» يكون قد نزل من السماء؟

والثاني: «كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل» ودمه لنشرب؟

لهذا كان ردُّ المسيح على الصعوبة الأُولى هكذا: ماذا سيكون موقفكم حينما ترون ابن الإنسان صاعداً إلى السماء حيث كان أولاً ومن حيث نزل؟

والمستوى الثاني الذي سقطوا منه وعثروا فيه كان ردُّه عليه أن الجسد المأكول ليس لحماً بشرياً، بل جسداً إلهياً حقيقياً يؤكل بالحق أي بالروح (في الصورة التي سيعطيها، أي الخبز)، والدم ليس دماً بشرياً بل هو دم بروح أزلي يُشْرَب بالروح (في الصورة التي يعطيها، أي الكأس)، لأن أكل الجسد بالجسد لا يفيد شيئاً، **ولكن الأكل الروحي للجسد بالروح يُحْيي**.

وقد عقَّب المسيح على ما قاله فيما يخص الأكل والشرب، بأنه على مستوى الروح والحياة ويوصِّل إليهما، وهما كأساس للروح يُبْنَى عليه القلب ويرتفع، أما العقل أو الجسد فلا يستطيع أن يبلغ إليهما.

ويلاحظ القارىء أن المستوى الأول الذي أنشأ صعوبة عند التلاميذ المزيَّفين يختص بنزول المسيح من السماء، **وهذا يفيد التجسد الإلهي، وهو حجر الأساس في بناء الإيمان**. أما المستوى الثاني الذي أعثرهم والذي يختص بالأكل من الجسد والشرب من الدم، **فيفيد الفداء والخلاص، وهو جوهر الإيمان وتاجه.**

«فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً»:

هذه هي المرة الأُولى التي يذكر فيها إنجيل ق. يوحنا **«صعود»** الرب باللفظ الواضح، إذ لم يذكر إنجيل ق. يوحنا صعود الرب إلا بعد قيامته، حينما قال للمجدلية: «...اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو٢٠:١٧)

أما إغفال ذكره حادثة الصعود ذاتها في الرواية، بعد القيامة فلأن الأناجيل الأخرى استوفت شرحها كرواية. بينما اهتم ق. يوحنا بالآيات والإعلانات التي لم تذكرها الأناجيل الأخرى، واستوفى **الشرح اللاهوتي للصعود** مراراً وتكراراً في قول المسيح إنه نزل من السماء، والذي نزل سيصعد حتماً:

«**وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء** ابن الإنسان **الذي هو** في السماء.» (يو٣:١٣)

«أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم **أمضي إلى الذي أرسلني.**» (يو٧:٣٣)

«أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت **لينتقل من هذا العالم إلى الآب...**» (يو١٣:١)

«**أنا أمضي** لأُعد لكم مكاناً.» (يو١٤:٢)

«وتعلمون **حيث أنا أذهب** وتعلمون الطريق.» (يو١٤:٤)

«**لأني ماضٍ إلى أبي.**» (يو١٤:١٢)

«سمعتم أني قلت لكم **أنا أذهب** ثم آتي إليكم.» (يو١٤:٢٨)

«وأما الآن **فأنا ماضٍ** إلى الذي أرسلني ... إنه **خير لكم أن أنطلق**، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزي.» (يو١٦: ٥و٧)

«... **فلأني ذاهب إلى أبي** ولا ترونني أيضاً.» (يو١٦:١٠)

«خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم **وأذهب إلى الآب.**» (يو١٦:٢٨)

«ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، **وأنا آتي إليك.**» (يو١٧:١١)

«وأما الآن فإني **آتي إليك.**» (يو١٧:١٣)

هنا يعطينا إنجيل ق. يوحنا **رؤية لاهوتية عميقة** ومبدعة عن **«معنى»** الصعود **«وقوته»**.

فمعنى الصعود لاهوتياً:

هو أن النزول، أي التجسد، رسالة مؤقتة (زماناً قليلاً) انتهت تماماً بالصليب، وهي خاصة

بابن الله المتجسد وحده: «ليس أحد صعد ... إلاَّ الذي نزل» (يو٣: ١٣). والصعود تكميلٌ للنزول.

أما الإقامة الدائمة فهي في السماء: «ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو٣: ١٣)

والنزول تحقيق فعلي وعملي مُبْدع من جهة الله في مشاركة الإنسان: «حلَّ بيننا» (يو١: ١٤)؛ «اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.» (مت١: ٢٣)

أما قوة الصعود:

فهي في ارتباطه بإرسال الروح القدس الذي حل محل المسيح وكمَّل عمله، وكان الشرط الوحيد والأساسي لإرسال الروح القدس هو صعود المسيح، إذ أن صعود المسيح كان جزءاً أساسياً لتكميل الخلاص. علماً بأن الصعود كان قوة روحية هائلة فكَّت أسْرَ المقيَّدين بالروح: «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا» (أف٤: ٨)، كما أنه بالصعود تم إعداد مكان لنا في أقداس الله العليا: «دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبديًّا» (عب٦: ٢٠ و٩: ١٢)، بل وفتح طريقاً ملكياً صاعداً إلى السماء: «وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق» (يو١٤: ٤)، «طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب، أي جسده.» (عب١٠: ٢٠)

لذلك، فقوة الصعود أصبحت هبة لنا، حتى أننا نحسب بالإيمان أنه أصعدنا معه وأجلسنا معه في السماويات (أف٢: ٦)، والذي يقرأ الأصحاحين الأول والثاني من سفر الأعمال يشعر بقوة الصعود وكيف ألهبت قلوب التلاميذ لينطلقوا في الصلاة استعداداً لقبول الروح القدس لبدء كرازة العالم!!

وأخيراً، فإن صعود الرب أثبت لاهوت المسيح، أولاً لأن الرب كان **يُعلِّم بالصعود وتحدث عنه**، كالنزول تماماً، أي أنه كان عنده جزءاً أساسياً في خطة الخلاص، وثانياً صعوده بالجسد بعد الموت والقيامة استعلن به مجده الإلهي وأثبت به أن نزوله وتجسده كان حقيقة خلاصية. وصعوده بقوة لاهوته وسلطانه تميَّز عن صعود إيليا بأن قيل عن إيليا أنه «أُصعد بواسطة الرب»، وبأن ذلك تم في مركبة أُرسلت إليه لتحمل ثقله البشري أو ثقل خطاياه، وأن هذه المركبة كانت نارية للتطهير ليؤهَّل للدخول في عالم الأرواح المبرَّرة (٢مل٢: ١—١١).

كذلك، فإن صعود المسيح إلى فوق كان إشارة إلى البركة العظمى التي وهبها للعالم، كما كان إشارة مبدعة إلى أنه جعل أعداءه تحت قدميه. كما كان صعوده، بحسب تعليمات الملائكة للتلاميذ، إشارة وآية عُظمى أنه كما صعد هكذا سوف يأتي أيضاً في مجده ومجد أبيه (لو٩: ٢٦)؛

ونحن بهذا ننتظر مجيئه بفارغ الصبر في رجاء حار صادق، «نعم ... آمين تعالَ أيها الرب يسوع.» (رؤ٢٢ : ٢٠)

٦ : ٦٤—٦٦ **«ولكن منكم قومٌ لا يؤمنونَ ــ لأنَّ يسوعَ مِنَ البدءِ عَلِمَ مَنْ هُم الذينَ لا يؤمنون ومَنْ هو الذي يُسلِّمه ــ فقال: لهذا قلتُ لكم إنهُ لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يأتي إليَّ إنْ لم يُعْطَ مِنْ أبي. مِنْ هذا الوقتِ رَجَعَ كثيرونَ مِنْ تلاميذِهِ إلى الوراءِ ولم يعودُوا يَمشُونَ مَعَهُ».**

المسيح يوجه الكلام هنا إلى مجموعة كبيرة من تلاميذه(٢٧) ربما السبعين الذين كان منهم القديسان مرقس ولوقا، ويفرزهم بعينه الفاحصة كاشفاً الذين لا يؤمنون به أمام ضمائرهم. لأن تذمُّرهم السابق وعدم إيمانهم كانا في داخل قلوبهم وغير مُعلَنَيْن. ولكن من العسير أن يخادع الإنسان الله. فالمسيح هنا يعلن لاهوته من خلال درايته بالقلوب وما تخفيه. فلما واجههم المسيح بحقيقة ضمائرهم، لم يستطيعوا أن يستمرُّوا في مسيرتهم الكاذبة مع الرب، فكشفوا نيّتهم بأن تركوه علناً، ولم يعودوا يسيرون معه، بل **رجعوا إلى الوراء** وساروا في طريقهم. وما ألعنها مسيرة! «وكما لم يستحسنوا أن يُبْقُوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض.» (رو١ : ٢٨)

والمسيح هنا يعود فيكرر أمام تلاميذه عامة أنه لا يجمع تلاميذه جزافاً؛ ولا أحد يأتي إليه من ذاته، بل إن كان المسيح يختار أحداً فإنه يختار الذي دعاه الآب، وإن كان أحد يأتي إليه فهو الذي يجذبه الآب. لذلك فالمسيح غير آسف على المفقود وغير خائف على الموجود. فالمفقود ليس من نصيبه أصلاً، والموجود لا يستطيع أحد أن يخطفه من يده لأنه أخذه من يد الآب!

وبسبب علم المسيح بالذي له وبالذي ليس له، لم يكن يمالىء ولم يكن يهادِن، ولا يترجَّى ولا يسترضي، فكانت كلمته دائماً **أمْضَى** من كل سيف ذي حدين، تدخل إلى مفارق النفس والروح، وتميِّز أفكار القلب ونياته (عب٤ : ١٢).

«من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يسيرون معه»:

يا حسرة البشرية كلها على هؤلاء التلاميذ. كيف صاروا عاراً على مسيرة الحب والوفاء.

---

(٢٧) يقول هيبوليتس الإسكندري أن القديس مرقس والقديس لوقا كانا من السبعين رسولاً:

Cited by: ICC, Bernard, *op. cit.*, Vol. I, p. 220.

اسمع ما قيل عن حب المسيح لتلاميذه: «... إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى.» (يو١٣: ١)

الآن نحن نعلم أن الرب كان يتكلم معهم من مصدر الحق الإلهي،
كان يدعوهم إلى شركته في الآب أن يكونوا واحداً معه في مسيرة الحياة الأبدية،
كان يعرض عليهم سر أكله وشربه بالروح لإتحاد أبدي،

كان يكشف لهم عمق أعماق أسرار الله ليكونوا، لا علماءً ولا خبراءً فيها فحسب، بل وشركاء، شركاء لا في معرفته بل شركاء في الطبيعة الإلهية بكل مذخراتها ومواهبها لبني الإنسان.

لم يكن يفرض نفسه للأكل والشرب من مستوى الأسياد والعظماء حينما يدعون العبيد لحرية مقيّدة، بأن يأكلوا معهم على مائدتهم تكريماً لهم،

بل كان يدعوهم من المستوى الأدنى، من مركز الخدم والعبيد، «... آخذاً صورة عبدٍ» (في٢: ٧)، و يدعوهم ليكونوا شركاء معه في مجد الألوهة: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧: ٢٢). أعطى مجده في اتضاع العبيد، في وداعة الخدام، في دموع التوسل: «قام عن العشاء وخلع ثيابه (ثياب الكرامة) وأخذ منشفةً واتّزر بها (على وسطه كعبد) ثم صبَّ (بيده) ماءً في مغسل (طشت)، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها (أيضاً) بالمنشفة التي كان متّزراً بها ... فلما كان قد غسل أرجلهم ... قال لهم: أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك، فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أنْ يغسل بعضكم أرجل بعض.» (يو١٣: ٤و٥ و١٢و١٣و١٤)

ولكن التلاميذ لم يستحسنوا كلام المسيح وقرروا أن يقطعوا علاقتهم به، وعادوا إلى الوراء إلى سيرتهم الأولى وفضلوها على سيرته، لأنها أصبحت ثقيلة على قلبهم، وصارت تكلفهم خسارة أرباحهم المعنوية والمادية:

بعضهم كانت علة دوافعهم كرامة وعادات وتقاليد،
وآخرون كانت دوافعهم مالية وأرباحاً من الحرام والممنوعات،

وآخرون كانت غير ذلك، وآخرون وآخرون. هذه الدوافع كانت مخفية في قاع القلب تنتهز العلل والمسوغات التي تبرِّر الترك. فما لهم والتواضع والمحبة، وما لهم والتوبة المكلِّفة، وما لهم للدخول في أسرار الله ومواهب الروح، وما لهم وتكاليف القداسة وربح الحلال الضيق! لقد ظنوه في البداية غنيمة يغتنمون من ورائها المزيد من الأرباح والكرامات والجلوس عن اليمين واليسار في مُلكه الذي توهموه وجاهدوا من أجله. وهوذا الآن يعرض عليهم موته وذبيحته وتقسيم جسده وشرب

دمه، فهل هذا هو ما يخرجون به من الغنيمة؟

وبعد عِشْرَةٍ قصيرة كان هذا الفراق الحزين والمؤلم على قلب المعلم، لم يتركهم بل هم الذين تركوه، حتى يهوذا لم يطرده الرب بل احتمله بصبر فائق حتى آخر الطريق وإلى أن طرد نفسه، فقد قال الرب مرة: «ومن يُقْبِلُ إليَّ لا أُخرجه خارجاً» (يو٦: ٣٧). ولكن إن كان ترك المسيح هكذا يبدو سهلاً هيناً، فالخسارة فادحة عليهم وعلى أولادهم وإلى الأبد.

«ومن تلك الساعة»:

وما أشقاها ساعة! إنها ساعة بؤس في يوم رفض، لا تزال تتكرر وتُذْكرُ حتى هذه الساعة.

إنها ساعة لعنة في تاريخ المؤمنين الذين يبيعون الرب والإيمان بلا ثمن أو بثمن بخس، وبخس للغاية.

٦: ٦٧و٦٨ **«فقال يسوعُ للاثني عَشَرَ: ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدُونَ أن تمضُوا؟ أجابَهُ سِمْعَانُ بطرسُ: يا ربُّ إلى مَنْ نذهبُ، كلامُ الحياةِ الأبديةِ عندَكَ».**

السؤال هنا الذي يسأله المسيح للاثني عشر هو سؤال استنكاري، يستفز به حرية الرأي والإرادة فيهم. ومعلوم أن الرد عليه سيكون بالنفي، مما يفيد أن الرب يسأله لطرح الحرية أمام الاختيار حتى يستوثق كلُّ واحد فيهم من موقفه وأمام نفسه، لأنه، في الواقع وعين الأمر، كان يوجد بينهم مَنْ هو مهيَّأٌ للسقوط، ومن هو ساقط بالفعل، فبطرس لولا مساندة الرب له في اللحظة الحرجة لهوى وصار كنجم سقط، أما يهوذا حامل الصندوق ــ أو بلغة الزمن الحاضر: مدير الإدارة المالية أو أمين الخزانة لزمرة التلاميذ ــ فكان يسرق أولاً بأول ما يقع في الصندوق، والذي يسرق يبيع دائماً بأرخص الثمن، فقد باع معلمه بحصيلة يوم أو يومين.

«يا رب إلى مَنْ نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك»:

في الحقيقة، كان ردُّ بطرس ليس تماماً رداً على سؤال المسيح، بل كان هو الرد الحاسم القاسم على جحود التلاميذ الذين رجعوا إلى الوراء ولم يعودوا يسيرون معهم ولا مع معلمهم. وكأنما رآهم داود النبي من وراء الزمن وتكلم بلسانهم: «هذا كلُّه جاء علينا وما نسيناك **ولا خُنَّا في عهدك**، لم يرتدَّ قلبُنا إلى وراءٍ ولا مالت خطوتنا عن طريقك.» (مز٤٤: ١٧و١٨)

لقد كانت شهادة بطرس أقوى شهادة نطق بها التلاميذ، وقد جاءت متوافقة مع فكر المسيح، ولو أنها لا تدخل إلى عمقه. فقد جاءت بما يتناسب مع حاجتهم، فقد رأوا في المسيح كنز الحياة

الأبدية الذي لا يفرغ؛ وليس مجرد الكلمات أو الحديث في ذاته؛ ولكنه الكلام المؤدي إلى الحياة الأبدية الذي شعرت به قلوبهم ووثقوا منه بعقولهم، فنطقت به أفواههم.

ويُلاحَظ أن رد بطرس بهذه الآية: «كلام الحياة الأبدية عندك»، هو مستمد من قول المسيح: «**الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**»، «**من يسمع كلامي... فله الحياة الأبدية**» (يو٦: ٦٣ و٥: ٢٤)، كما هو رد مفحم على التلاميذ الذين خانهم إيمانهم واعتبروا أن كلام المسيح صعب. كما هو أيضاً ردٌّ يؤمّن به بطرس تأميناً مباشراً على ما أعلنه الرب أنه «خبز الحياة» المعطي الحياة الأبدية، كما هو «ماء الحياة» ونورها.

وعلى هذا الأساس: «**إلى من نذهب**»، إن كان هو الوحيد الذي يقود إلى الحياة الأبدية، فهنا إشارة موبِّخة ومستهينة برجوع بعض التلاميذ إلى الوراء، كما هي إشارة إلى فكر الجليليين الذين يطلبون نبيًّا يكون على مستوى موسى و يعطيهم المن من السماء.

وهكذا يضع بطرس المقارنة المستحيلة بين المسيح وبين أي آخر. فكلام المسيح في نظر بطرس يشهد للمسيح أنه هو هو وليس آخر الذي ينبغي أن "**يُذهب إليه**" أو بلغة المسيح: «**يأتي إليَّ**»، الذي في موضع آخر يترجمه بطرس الرسول هكذا: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (لو١٨: ٢٨)، و بهذه الآية كان بطرس الرسول يمهد لبقية اعترافه:

٦: ٦٩ «ونحن قد آمنَّا وعَرَفْنا أنَّك (قدوس الله) أنت المسيحُ ابنُ الله الحيِّ».

بطرس لا يزال يتكلم بلسان التلاميذ، لأنه كان أكثرهم اندفاعاً وحرارة، ولو أنه ليس أكثرهم إيماناً أو محبة للمسيح. و يُلاحَظ أن بطرس يضع الإيمان والمعرفة في موضعهما الصحيح، فالإيمان باعتباره تصديق الله ببساطة قلب بدون محاورة العقل يأتي أولاً، ومنه يستمد السلوك طبيعته المتواضعة والأمينة. كما يستضيء العقل الروحي بنور المعرفة فيبلغ به الإيمانُ حدَّ العمل كشهادة، وحدَّ الرؤيا العقلية فيتواجه مع الحق الإلهي، وهنا يبلغ الإيمان اليقين.

ولم يكن هذا المبدأ الإيماني عند بطرس مجرد فكر عارض بل نسمعه بعد ذلك بسنين كثيرة يشرح هذا المبدأ عينه في رسالته الثانية: «ولهذا عينه، وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدّموا في **إيمانكم** فضيلة (عمل) وفي الفضيلة **معرفة** (رؤية مستنيرة).» (٢بط١: ٥)

والرب يسوع يؤمّن على هذا بقوله: «وهم **قبلوا** (آمنوا) **وعلموا** يقيناً (بالسلوك والفكر) أني

خرجت من عندك» (يو١٧: ٨). وبولس الرسول يؤكد ذلك جاعلاً القلب مخزناً للإيمان والفم مخرجاً للمعرفة والشهادة: «**لأن القلب يؤمَن به للبر، والفم يُعتَرَفُ به للخلاص.**» (رو١٠: ١٠)

هذا المبدأ يتنكر له كثير من علماء الكتاب المقدس، مع أنه هو المفتاح السري الذي إذا استهان به الإنسان شقَّ عليه الإيمان البسيط الفعَّال وسقط عن المعرفة الصحيحة المستنيرة بالروح. علماً بأنه قد تجيء كلمة «المعرفة» قبل كلمة «الإيمان» في بعض مواضع الإنجيل، وهذا لا يقلل من أهمية اشتراكهما معاً في بلوغ الحق الإلهي، فلا معرفة بدون إيمان ولا إيمان بدون معرفة.

وقول بطرس: «**أنت المسيح، ابن الله الحي**»، هي شهادة ذات وزنٍ عالٍ، لأنها تجيء بعد خيانة الجزء الأكبر من التلاميذ، كما تجيء بعد أن أعلن المسيح عن هدف مجيئه، وهو الموت الذي يُعتبر في نظر بطرس إخفاقاً شديداً للرجاء الذي وضعه بطرس والتلاميذ أن يكون المسيح ملكاً يحكم ويسود ويعطيهم نصيبهم في الحكم. فهذه الشهادة لا تأتي مجاملة ولا من أجل رجاء كاذب، بل عن يقين. ومضمون هذه الشهادة هو أن التلاميذ قَبِلُوا المسيح وآمنوا به وتبعوه بإخلاص، فعلموا بالخبرة والواقع أنه **هو المسيح ابن الله**، أو **قدوس الله**، كما جاءت في بعض المخطوطات، و«**قدوس الله**» تأتي في فم المسيح كأساس للتعرف عليه: «فالذي **قدَّسه الآب** وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت **إني ابن الله؟**» (يو١٠: ٣٦)

وتأتي الصفتان معاً في فم الملاك المبشر: «فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضاً **القدُّوس المولود منك** يُدعى **ابن الله.**» (لو١: ٣٥)

فـ«قدوس الله» هي صفة المسيح الأُولى التي يمكن أن تُبنى عليها كل الصفات الإلهية الأخرى، من جهة إرساله إلى العالم أو كشف سر تجسده أو كشف سر بنوته لله.

ويُلاحظ أن المسيح خَاطَب الله بـ«**الآب القدوس**» (يو١٧: ١١). فهنا، إذ يلقِّب بطرسُ المسيحَ بـ«**قدوس الله**» يضعه في موضع المساواة في الكرامة والقداسة مع الآب من حيث الطبيعة الواحدة للآب وللمسيح (القداسة).

وفي سفر الرؤيا يلقبه الوحي: «هذا يقوله **القدوس الحق** الذي له مفتاح بيت داود...» (رؤ٣: ٧)، وكلمة «قدوس» هي مدخل إلى طبيعة الله واستعلان الصلة بصميم هذه الطبيعة. فتسمية «**قدوس الله**» للمسيح هي تأكيد لطبيعة المسيح المُعلِنة لطبيعة الله، واستعلان لصلة

المسيح بالله كواحد معه. وصفة هذه القدُّوسية في المسيح هي فريدة لشخصه التي جاء ليعطيها لتلاميذه والمؤمنين به بذبيحة نفسه، ليشتركوا بجسده ودمه في هذه القداسة.

ومرَّة أخرى يردُّ بطرس على المستوى الإلهي العميق الذي يتكلم منه المسيح، فبطرس حينما قال: «**أنت هو**» فهو يجيب إجابة مباشرة على قول المسيح: «أنا هو» ἐγώ εἰμι، وهي اسم ذات الله، فالمسيح يقولها ليستعلن بها نفسه والآب، بهذا المعنى يكون كلام بطرس صحيحاً وواقعياً؛ حينما قال: «نحن قد آمنا "**وعرفنا**"»، فهنا كلمة "عرفنا" التي تجيء باليونانية: ἐγνώκαμεν تتضمن **معرفة الاستعلان** وكشف الحقيقة التي أظهرها بطرس.

وعلى كل حال، فإن شهادة بطرس الرسول توضح الثقة المطلقة والأمانة والتبعية للمسيح، هذا ما أراد أن يعلنه بطرس للمسيح، مؤكِّداً أن كل كلامه عن الحياة الأبدية قد صار هو أكلَهم وشُربَهم بالفعل. وهكذا أُلقيت النار على الأرض لكي تحرق وتنير، تحرق الأفكار والنيات التي تغتذي على الظلمة فترتد، وتنير وتبهج القلوب التي تسعى نحو النور فتمتد.

٦: ٧٠و٧١ «**أجابهم يسوع: أليس إني أنا اخترتكم الاثني عشر وواحدٌ منكم شيطانٌ. قال عن يهوذا سمعان الإسخريوطي لأن هذا كان مزمعاً أن يُسَلِّمَهُ وهو واحدٌ من الاثني عَشَرَ**».

وحتى بعد رجوع كثيرين من التلاميذ إلى الوراء فلا يزال في حظيرة الاثني عشر ذئبٌ، ليس مرتداً إلى الوراء فحسب بل وجاحد وخائن أيضاً، إذ وهو يمارس التلمذة مع التلاميذ كان يمارس وظيفة الجاسوس للذي يدبِّر عملية التسليم. أمر مؤلم وفظيع. فلولا طبيعة قلب الرب وعطفه على التلاميذ بلا استثناء لأفرز هذا الخائن منذ اللحظة الأُولى، فالتلاميذ كانوا متيقظين له واكتشفوا ممارسته لسرقة الصندوق أولاً بأول، فكانوا يعضُّون على نواجذهم(٢٨)، ولكن لم يجرؤ أحد أن يفاتح المسيح بحقيقة هذا التلميذ الخائن، ولا المسيح نفسه شاء أن يفضح سرَّه وسريرته، بالرغم من أنه كان يعلم منذ البدء مَنْ سيُسلِّمه!!

فبعد ما أعلن بطرس بحماس وشجاعة عن إيمان الجماعة وثقة الاثني عشر، لم يَنْسَقْ الرب وراء هذه الشهادة، لأنها لم تكن تخص إلا أحد عشر فقط! فأراد أن يصحح الشهادة، لا من

(٢٨) النواجذ أي الضروس، وهذا تعبير عن الصبر.

حيث مضمونها، ولكن من حيث مَنْ يحملها ويمثلها منهم!

وحينما قال الرب ردًّا على اعتراف بطرس: «أليس إني أنا اخترتكم الاثني عشر»، لم يقصد العدد في مفرداته ولكن كان يصوِّر إسرائيل الجديد في بطن الكنيسة، فالتصوير كامل من حيث مضمون العهد، والعهد لا يقوم على الأفراد، لذلك لما سقط الخائن ومات بيد نفسه لم يفرق شيئاً، إذ انتخب التلاميذ من يلحم العدد على أصله، فـ«الاثني عشر» عدد لا يحوي عدداً، بل يحوي كنيسة ذات رأس واحد لجسد واحد. ولكن الألم الذي كان يعتصر قلب المسيح، وهو يشير إلى خائن من وسط تلاميذه الأخصَّاء، كان واضحاً في كلماته: «أليس إني اخترتكم»، فهو يشير بحزن شديد إلى براءة قلبه وضميره، وإلى حبه الشامل الكامل الذي لا يتوقف في عمله وقصده ذلك كله أمام خائن وهو يستمع. لقد اختار يهوذا ليُظهر فيه منتهى حبه المجاني الذي يقوم على عدم انحيازه للصالح دون الطالح: «أو ما يَحِلُّ لي أن أفعل ما أريد بما لي **أم عينك شريرة لأني أنا صالح.**» (مت٢٠: ١٥)

المسيح حينما أطاع الله الآب حتى إلى الموت، موت الصليب، كان يُظهر في طاعته صفة البنوّة الفريدة. ولكن حينما احتمل المسيح خيانة يهوذا كل يوم حتى الذبح، كان يُظْهِرُ في احتماله صبر الله على الخطاة.

أعمال كثيرة عملها المسيح في الظاهر والخفاء استعلن فيها صفات الألوهة والنُّبل البشري معاً، التي كانت تلتحم في انسجام بديع، ولكن احتماله ليهوذا سنين طويلة حتى إلى يوم العشاء، وهو يعلم أنه سيسلِّمه كان من روائع صفات الكلمة المتجسد!!

ولكن طول أناة المسيح على التلميذ الخائن كانت تذخر له غضباً يوم الغضب واستعلان دينونة عادلة، دون أن يغضب المسيح أو يندم أو يدين.

«والذي سلَّمني إليك له خطية أعظم.» (يو١٩: ١١)

«**أما أنا فلستُ أدين أحداً.**» (يو٨: ١٥)

«وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا **لا أدينه**، لأني **لم آتِ لأدين العالم** بل لأخلِّص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي **فله من يَدينهُ، الكلام الذي تكلمت به هو يَدينهُ في اليوم الأخير.**» (يو١٢: ٤٧و٤٨)

«وواحد منكم شيطان»: = واحد من الأخصَّاء التابعين.

لو كان يهوذا قد ارتد إلى الوراء مع المرتدين ومعه الصندوق، لكان هذا له أكثر شرفاً وأقل

نقمة!!

ولكنه استمرأ بساطة روح التلاميذ وطيبة قلب المعلم!! وسار في موكب القديسين حاملاً عاره داخل صندوق!! «وكان الصندوق معه وكان يحمل ما يُلْقَى فيه.» (يو١٢: ٦)

كان عمل الشيطان منذ بدء خدمة المسيح أن يرد المسيح إلى الوراء: «أعطيك هذه جميعها إن خررتَ وسجدتَ لي» (مت٤: ٩)، «فقال له يسوع اذهب يا شيطان» (مت٤: ١٠)، فذهب الشيطان مدحوراً.

ولكن يهوذا بإغراء الفضة خرَّ وسَجَد، فدخله الشيطان وصال به وجال، وتبع المعلم مع التابعين، وحَبَكَ الخطة مع رؤساء الكهنة وقضاة روما ... «فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة.» (يو١٣: ٢٧)

كان يسوع يرى يهوذا في اتفاق وتردٍّ مع الشيطان، ملتصقاً به على الدوام، فلم يشأ أن يفرِّق بين عمل هذا وعمل ذاك، لأنهما صارا واحداً، فكان من حق المسيح أن يسمي يهوذا بالشيطان.

وحتى بطرس نفسه لما أراد أن يُثني المسيح عن مشيئة الآب في قبول الصليب، الذي من أجله كان قد جاء، نظر الرب فرأى بطرس ملتحفاً بالشيطان وقد تبخرت منه ادعاءات الإيمان، فلم يتردد الرب أن يخاطب الشيطان فيه: «فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان أنت مَعْثَرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (مت١٦: ٢٢و٢٣). ولكن بطرس ــ بالكاد ــ فلت من قبضة الشيطان بسبب "بقية" إيمان: «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو٢٢: ٣٢). ولكن يهوذا لم يكن له إيمان البقية.

ولكن تبقى إشارة المسيح الحزينة «واحدٌ منكم»، ذات مَغزى، لم يعيِّن الرب من هو هذا الواحد الذي سيخون، فكان على كل واحد يتبع الرب في كل زمان ومكان أن يفحص نفسه! وخاصة حاملي الصناديق!!

وهكذا ينتهي أصحاح خبز الحياة الذي سيُبذل عن **حياة** العالم، بالإشارة إلى **الموت** المزمع أن يكون، والإشارة أيضاً إلى أن هذا الموت هو بسبب عدم الإيمان الذي حتماً ينتهي إلى خيانة!!

الأصحاح السابع

مكان البشارة
ثامناً ــ في أورشليم
في عيد المظال
(٧:١ ــ ٨:٥٩)

الأصحاح السابع

استعلان طبيعة المسيح «الروحية» (الصخرة)

[أنا هو الماء الحي]

١ ــ ظروف زيارة المسيح لأُورشليم في عيد المظال (٧:١ــ١٣).
٢ ــ محادثات في منتصف العيد (٧:١٤ــ٣٦).
٣ ــ محادثات اليوم الأخير من العيد (٧:٣٧ــ٥٢).

١ ــ ظروف زيارة المسيح لأُورشليم في عيد المظال: (٧:١ــ١٣).

٧:١ **«وكان يسوعُ يترددُ بعدَ هذا في الجليلِ. لأنه لم يُرِدْ أن يتردَّدَ في اليهوديةِ لأن اليهودَ كانوا يطلُبُونَ أن يقتُلُوه».**

لقد لخص ق. يوحنا في مقدمة إنجيله نصيب الخدمة التي قام بها الرب نحو شعبه: «جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله» (يو١: ١١)، ونراها:

في اليهودية: «لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه».

وفي الجليل: سنقرأ حالاً: «ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذٍ صعد هو أيضاً إلى العيد، لا ظاهراً، بل كأنه في **الخفاء.**» (يو٧: ١٠)

وهكذا ترك الرب الجليل لآخر مرة وفي الخفاء. فبعد أن أشبع الخمسة الآلاف وأجرى الآيات الكثيرة هناك، رفضوه وصادروا أقواله، وتركه كثيرون من تلاميذه ولم يعودوا يسيرون معه.

أما في أُورشليم: فسترى كيف أن أعنف رفض له كان ينتظره هناك، مع التهديد بالقتل بصورة متلاحقة وشديدة حتى انتهى بالصليب.

ونقرأ على التوالي في هذا الأصحاح السابع وما يليه (الثامن) هكذا:

٧ : ١٣ : «ولكن **لم يكن أحدٌ يتكلم عنه جهاراً** لسبب **الخوف من اليهود**».
٧ : ١٩ : «أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس. **لماذا تطلبون أن تقتلوني**».
٧ : ٢٥ : «فقال قوم من أهل أورشليم أليس هذا هو الذي **يطلبون أن يقتلوه**».
٧ : ٣٠ : «فطلبوا أن **يمسكوه**».
٧ : ٣٢ : «فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خدّاماً **ليمسكوه**».
٧ : ٤٤ : «وكان قومٌ منهم يريدون أن **يمسكوه**».
٨ : ٣٧ : «أنا عالمٌ أنكم ذُرِّية إبراهيم. لكنكم **تطلبون أن تقتلوني**».
٨ : ٤٠ : «ولكنكم الآن **تطلبون أن تقتلوني**، وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله».
٨ : ٥٠ : «فرفعوا حجارة **ليرجموه**».

وصدق فيه قول إشعياء النبي: «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدُّوسُهُ **للمُهان النفس، لمكروه الأُمة، لعَبْد المتسلِّطين**... في وقت القبول استجبتُك. وفي يوم الخلاص أعنتك... وأجعلك عهداً للشعب...» (إش٤٩ : ٧و٨)

ويهمنا أن نوضح من قول ق. يوحنا في هذه الآية أن المسيح كان يتردد في اليهودية قبل مجيئه إلى الجليل، وهذا يمثل الجزء الأول من خدمته التي أغفلها الإنجيليون الثلاثة.

٧ : ٢ **«وكان عيد اليهود عيد المظال قريباً».**

> «في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب. في اليوم الأول محفلٌ مقدسٌ... سبعة أيام تقربون وقوداً للرب. في اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدس تقربون وقوداً للرب إنه اعتكاف (راحة).» (لا٢٣ : ٣٤—٣٦)

يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس أن عيد المظال هو أكبر وأقدس أعياد اليهود(١) وأكثرهم مسرَّة

---
1 Jos., *Antiq.* VIII, 4.1.

للشعب. وكان يقع في شهر تشري اليهودي، سابع شهور التقويم العبري، وكان العيد يستغرق سبعة أيام مع يوم أخير للراحة ويُسمى اليوم العظيم من العيد (١٥–٢٢)، وهذا الشهر يوافق شهر سبتمبر–أكتوبر بالتقويم الغربي، وهو آخر الأعياد للسنة المقدسة(٢). ويخرج اليهود في هذا العيد إلى العراء ويعيشون في مظال σκηναί يصنعونها من أغصان الأشجار تذكاراً لمعيشة اليهود ٤٠ سنة في البرية بعد خروجهم من مصر (عدد٢٩: ١٢–٣٨).

وهذا العيد بالذات كان يُنْظَر إليه أنه مرتبط برجاء آخِر الأيام وأمجاد وخيرات منتظرة. ولكن في أيام المسيح كانت قد أُضيفت طقوس أخرى تذكارية تعليمية. ففي كل يوم كان رئيس الكهنة يخرج بملابسه الرسمية مع جوقة اللاويين، ومعهم قِدْرٌ من الذهب يملأونها ماءً من بركة سلوام، ويدخل بها رئيس الكهنة ويصبُّها على المذبح، وتُصْرَف في وادي قدرون، في مجرى من الفضة، وذلك تذكاراً للصخرة التي أخرجت الماء وسقت شعب إسرائيل في البرية(٣). ويرد اللاويون عليه بالآلات الموسيقية نشيد هالليل الكبير وتسابيح صهيون، ويرددون مقطعاً من إشعياء النبي (١٢: ٢و٣و٦): «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً. **فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص**... صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن **قدوس إسرائيل عظيم في وسطك**». [وهو نفس النشيد الذي تستخدمه الكنيسة القبطية في أيام أسبوع الآلام باعتبار أن المسيح أُخرج خارج أورشليم حاملاً صليبه، فالكنيسة تعيِّد لهذا الخروج: «لذلك يسوع أيضاً لكي يقدِّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب. فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب١٣: ١٢و١٣). وهو نفس الخروج الذي تكلم عنه موسى وإيليا حينما ظهرا مع الرب في التجلي: «وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا. اللذان ظهرا بمجدٍ **وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يُكمِّله في أُورشليم**... وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع: يا معلم جيدٌ أنْ نكون ههنا. **فلنصنع ثلاث مظال. لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة**» (لو٩: ٣٠–٣٣). وهكذا واضح أن **خروج المسيح** خارج الباب الذي **يعني آلامه ثم صلبه**، مرتبط في ذهن العهد القديم **بالمظال** وهو عيد الخروج خارج أبواب البيوت في أورشليم والإقامة في المظال، الذي هو تذكار **الخروج في البرية** والحياة في العراء، **تمهيداً لدخول** أرض الميعاد.]

(٢) ويلاحظ أن الأعياد الرئيسية لليهود لها علاقة كبيرة بالأرض والزرع:
فعيد الفصح هو بداية الحصاد والباكورات؛
وعيد الخمسين هو كمال الحصاد؛
وعيد المظال جمع حصاد العنب والزيتون **والشكر** على بركات السنة كلها.
(٣) راجع المدخل ص٢٧٦.

وقد اتخذ الرب ذلك المشهد أساساً لتعليمه: «**وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع** ونادى قائلاً: إن عطش أحد فَلْيُقْبِلْ إليَّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يو٧: ٣٧و٣٨)، وهذا ردًّا على هتاف اللاويين بالنسبة لنشيد الصخرة التي أخرجت الماء.

كذلك، كان من طقوس ذلك العيد أنه في أول يوم فيه كان يُبْدأ بإنارة المنارة الذهبية الكبرى ذات الثماني الشُعَب والأربع المنارات الأخرى التي كانت توضع في رواق النساء. وكانت أنوارها تنعكس على كل البيوت في أورشليم **ويتلألأ ضوؤها في سماء أُورشليم كلها حتى جبل الزيتون.** وكانت تُضَاءُ شُعْبةً في كل يوم، حتى اليوم الأخير الثامن حيث تُضاء الشعبة الأخيرة وذلك تذكاراً **لعمود النور** الذي كان يقود شعب إسرائيل بالليل في البرية. وقد استخدم الرب هذا المنظر أيضاً لتقديم تعليمه بالمقابل: «ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً **أنا هو نور العالم.** من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة.» (يو٨: ١٢)

وكان منظر المسيح وهو يعلم بصفته «**الصخرة الحقيقية**» و«**النور الحقيقي**» في وسط الشعب وهو مبعثر في عراء أُورشليم في **مظالّه** σκηναί، وكأنه في التيه متبدٌ، يصوِّره إنجيل يوحنا وكأن: «الكلمة صار جسداً وحل بيننا ἐσκήνωσεν» يلاقي الشعب التائه المهموم الذي لم يصل بعد إلى راحته ولا ظفر بوعد ميراثه... وقد جاءهم الرب بملء تحقيق وعد الدهور، ومعه راحة الله إلى الأبد، ومفتاح بيت داود ذي المنازل الكثيرة (يو١٤: ٢) يفتح ولا أحد يُغلق: «وكرسيه كالشمس أمامي. مثل القمر يُثَبَّتُ إلى الدهر. والشاهد في السماء أمينٌ. سلاه.» (مز٨٩: ٣٦و٣٧)

وأمام **الذبائح الكثيرة** التي يمتاز بها هذا العيد دون جميع الأعياد، وقف المسيح يقول لليهود: «أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس. لماذا تطلبون أن **تقتلوني؟**» (يو٧: ١٩)؛ وكأنه يسلِّم بالأمر الواقع باعتباره الذبيحة العتيدة ولكن يطلب التفسير من جهة سلوكهم.

وقد التقط الكتبة والفريسيون امرأة في العيد أمسكوها وهي تخطىء. وبإباءٍ وشَمَم قالوا للمسيح إن موسى في الناموس أمر أنَّ مثل هذه تُرجَم. ونسي هؤلاء الأئمة والعظماء أن آباءهم الذين يفتخرون بشرف النسب إليهم، فعلوا فِعْلَتَها وهم في البرية متبدِّين على شكل حالهم في هذا العيد بالذات. ولعل ق. يوحنا ذكر هذه القصة في هذا العيد لهذه المناسبة: «جلس الشعب للأكل

والشرب ثم قاموا للّعب... كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً» (١كو١٠: ٧و٨). وأخيراً وبعد تحقيق للضمير أجراه المسيح بهدوء ثبت أن كل المشتكين عليها كانوا خطاة. أما المسيح فرأى فيها صورة لحال شعبه، فتحنن وعفا عنها وعنه، ودفع ثمن خطيئتها دمَهُ!!! هذا كله كان في عيد المظال.

٧: ٣ـ٥ **«فقالَ له إخوَتُهُ انتَقِلْ مِنْ هنا واذهَبْ إلى اليهوديةِ لكي يرَى تلاميذُك أيضاً أعمَالكَ التي تعملُ. لأنه ليسَ أحدٌ يعملُ شيئاً في الخفاءِ وهو يريدُ أنْ يكونَ علانيةً. إنْ كنت تعملُ هذه الأشياءَ فأظْهِرْ نفسَكَ للعالمِ. لأنَّ إخوتَهُ أيضاً لم يكونُوا يؤمِنونَ بهِ».**

«فقال له إخوته»:

هؤلاء الإخوة هم بحسب تسجيل القديس متى (١٣: ٥٥): يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا. وهم بحسب تحقيقات العالم Lightfoot(٤) بالمقارنة مع إنجيل مرقس (٣: ٢١و٣١) أن هؤلاء الإخوة هم أولاد يوسف خطيب مريم من زواج سابق، وباعتبارهم أكبر سناً قدموا هذه النصيحة كأنهم يرشدون الرب. ويلاحظ أن إنجيل يوحنا يفصلهم عن التلاميذ وعن الرسل. مع ملاحظة أن عدم انسجامهم شعورياً مع المسيح والإفصاح عن عدم إيمانهم به يضعهم في وضع حرج واستفهام على ضوء الاعتراف الجريء الواضح الذي قدمه بطرس الرسول منذ قليل (يو٦: ٦٨و٦٩). وهم بنصيحتهم هذه، أي الذهاب لليهودية (أورشليم)، يقدمون في الواقع انتقاداً ضمنياً للمسيح أنه تخلّف عن عيد الفصح السالف، وعن غيابه عن أورشليم الذي طال لمدة ستة شهور. والآن هي فرصة في هذا العيد لكي يرى الجموع المزدحمة كلها في أورشليم في هذه المناسبة أعماله ومعجزاته، حيث يجتمع كل تلاميذه الكثيرين الذين تبعوه في اليهودية: «فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع **يصيِّر ويعمِّد تلاميذ أكثر من يوحنا...**» (يو٤: ١)، بل وكان أيضاً له من بين أعضاء السنهدريم من يتودَّدون إليه سرًّا مثل نيقوديموس (يو٣: ١)، وهؤلاء في نظر إخوته يمكن أن يكونوا عَزْوة(٥) له إذا رأوا أعماله الجديدة.

---

4 Lightfoot, J.B., *op. cit.*, Excursus II. Cited by Westcott, *op. cit.*, p. 116.

والقديس إبيفانيوس أسقف قبرص (٤٠٣م) يؤيد هذا الرأي.

(٥) أي يشدُّون أزْره.

٧ : ٤ـ٧ **«لأنه ليس أحدٌ يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية. إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم. لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به.**
فقال لهم يسوع إنَّ وقتي لم يَحْضُرْ بعدُ. وأما وقتُكم ففي كلِّ حينٍ حاضِرٌ.
لا يقدرُ العالمُ أنْ يبغضَكم ولكنه يُبغضُني أنا لأني أشهَدُ عليه أن أعمالَهُ شرِّيرَةٌ».

يبدو هنا الكلام الذي قاله إخوة الرب وكأنه غير واضح، لكن رد المسيح عليه يُظْهِر كل خفاياه. فالذي يوضح المعنى ثلاث جمل:

الأُولى: قالها ق. يوحنا وهي: «لأنَّ إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به».

والثانية: قالها الرب: «وقتي لم يحضر بعد».

والثالثة: «لا يقدر العالم أن يبغضكم».

بهذا نفهم أن إخوة الرب أرادوا أن يدفعوه للظهور في أُورشليم في العيد. ولكنهم يضعون نصيحتهم في قالب من النقد الشديد غير اللائق؛ إذ لاحظوا أنه بقي في الجليل وحولها مختفياً لمدة ستة أشهر، لم يذهب لأُورشليم ولم يحضر أعيادها طول هذه المدة، فاعتبروا ذلك أنه جبن أو خوف من الظهور العلني بسبب أن اليهود هددوه بالقتل في أُورشليم آخر مرة. ووجه النقد والتعيير عندهم هو أنه يدّعي أن أعماله يعملها على المستوى العلني العام، فكيف يختفي و يعمل أعماله في القرى فقط، «إنْ كنت تعمل ... فأظهِر نفسك للعالم». وهكذا تظهر هذه النصيحة التي فيها حثٌّ ودفعٌ للظهور أن فيها تعييراً وشماتة، ولا تأتي من مصدر صادق، بل لأنهم لم يكونوا يؤمنون به. أي لم يدركوا هذه السنين كلها رسالته الإلهية أو يشعروا بشخصه الفائق. وهذا يكشف عمى قلوبهم بل و يكشف ضمناً استحالة أن يكونوا إخوته من **الأم**، لأن موقفهم يكشف انعدام الروح الأخوية والأُسرية تماماً. وردُّ المسيح عليهم بالرفض يوضح موقفه و يفضح موقفهم.

أما دفاعه عن أسلوب اختفائه هذه المدة في الجليل فهو لأنه يتحاشى استباق الحوادث والزمن، لأنه يعلم أن **ساعة الصليب** ــ وهي نفسها **ساعة الظهور العلني** للعالم ــ يتلقى ميعادَها من الآب رأساً: **«لم تأتِ بعد»**. فأي إثارة زائدة للرؤساء في أُورشليم ــ إذا ظهر علناً بتحدٍّ ــ قد تخلق مشاكل تُعطّل خطّة التسليم الهادىء التي دبرها الآب السماوي والتي يعلمها مُسْبَقاً و يريدها في حينها. **«وقتي لم يَحْضُرْ بعد»**. ولكن شهادتي ضد العالم وأعماله الشريرة باقية كما هي، و بالتالي لا يزال أمامه عمل وشهادة وتعليم. أما وقتهم فحاضر كل حين ــ يستطيعون أن يذهبوا إلى أُورشليم حينما يشاءون كزائرين، **أما المسيح فلا يذهب هذه المرة إلا ليُصْلَب!!**

أما موقف إخوته المفضوح فيردُّ عليه بطريق غير مباشر، «لا يقدر العالم أن يُبغضكم(٦)» ... لأنه سبق وأن شهد على العالم «أن أعماله شريرة». وهذا يفيد أن العالم لا يُبغضهم لأن أعمالهم متوافقة مع العالم. ولهذا فقط لم يكونوا يؤمنون به، لأنهم كانوا يطلبون ما للعالم، ولا هو كان يؤمن بهم، وهذا واضح غاية الوضوح على الصليب، إذ سلَّم أُمَّه القديسة العذراء مريم ليوحنا تلميذه، ولم يُسلمها لهؤلاء الإخوة المزعومين الحقودين. ولا يفوت علينا أن يوحنا هنا بالذات كان يعلم بسلوكهم ونياتهم. وفي الوقت الذي يفضح فيه المسيح نيَّتهم وأعمالهم، يعلن أنه لم ولن يُهادِن العالم ولا الشر الذي في أعمالهم:

«ولكنه يبغضني أنا لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة»:

هنا يتضح أن أهل العالم لا يحتملون التبكيت، و يواجهون كشف الخطايا بالهجوم والبُغضة وإن لزم فبالقتل.

و يلاحظ القارىء أن انتقاد أعمال الرب سهل، و يسقط فيه كل من لم يحتفظ في قلبه بصورة صادقة للإيمان بالرب، بالضبط كما يسهل انتقاد الله في أعماله في الخليقة، بسبب قِصَر النظر وعدم شمول الإدراك البشري لقدرة وقوة الله غير المحدودة واللانهائية.

وقد سقط يهوذا ليس الإسخريوطي أحد التلاميذ الاثني عشر في نفس السقطة التي هوى فيها إخوة الرب ــ حتى في الليلة الأخيرة قبل التسليم ــ وذلك بانتقاد أقوال الرب وأعماله، ولكن ليس بسبب عدم الإيمان وإنما بسبب ما أضمره يهوذا من انتظار محبة العالم، وهذا بسبب عدم الثبوت في كلام الرب ومحبته: «قال له يهوذا ليس الإسخريوطي يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزمع أن **تُظْهِر ذاتك لنا وليس للعالم**» (يو١٤: ٢٢). والعجيب أن الرب لم يرد مباشرة على يهوذا موضحاً هذا الأمر، لأن الرب علم أن علة سؤاله لا ترجع إلى طلب المعرفة بل محبة العالم، وهذا بالتالي يرجع لعدم ثبوته في الرب، لا في كلامه ولا في محبته: «أجابه الرب **إن أحبني أحد يحفظ كلامي**، ويحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو١٤: ٢٣)

وهكذا يشترك الجليليون مع التلاميذ الذين رجعوا إلى الوراء، مع إخوة الرب، وحتى مع يهوذا ليس الإسخريوطي في خداع البصر الذي وقعوا فيه جميعاً، بسبب انتظارهم اليهودي التقليدي الكاذب لمجد دنيوي في شخص ملوكية المسيَّا، فلما أدركوا أن نهاية رسالة المسيح هي موت وذبح

(٦) العالم هنا عند إنجيل يوحنا هو العالم بدون الله، عالم بدون نعمة و بلا نور و بلا حياة أبدية.

وجسد ودم، انتقلوا ناقدين وناقمين وعلى الأقل جداً غير فاهمين...

ولكن هذا الموقف من إخوة الرب لم يمنع أن يصبح يعقوب أخو الرب واحداً من الرسل فيما بعد؛ ولا أن يكون يهوذا ليس الإسخريوطي أحد التلاميذ الإثني عشر المؤتمنين. وهذان الاثنان بالذات يبدو أن خبرتهما المؤلمة أنشأت إيماناً ساخناً حاراً بعد استعلان مجد الرب بالقيامة، فكتب كل منهما رسالة. ولكن يبدو من الرسالتين مدى تأثر الشخصية بالتقليد والقوالب اليهودية القديمة إلى حدٍّ ما، مما يكشف عن سر عثرتهم الأولى.

٧ : ٨ ـــ ١٠ «اصعَدُوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أصعدُ بعدُ إلى هذا العيد لأن وقتي لم يُكمَل بعدُ. قال لهم هذا ومكث في الجليل. ولما كان إخوتُهُ قد صعدُوا (...) حينئذٍ صعد هو أيضاً (إلى العيد)(٧) لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء».

بالرغم من تضارب أفكار علماء الكتاب المقدس في هذه الآيات إلاَّ أن المعنى واضح تماماً كل الوضوح. فإخوة الرب لم يكن قصدهم من ذهاب المسيح للعيد إلاَّ للظهور العلني أمام العالم وعمل الآيات جهاراً ليجمع حوله التلاميذ وذلك نعلّة في النفس. ورد المسيح واضح: «اصعدوا أنتم إلى هذا العيد» بالقصد الذي ترونه من مشاركة المعيِّدين في الاحتفالات وأفراح هذا العيد، حيث كانوا يذهبون في جماعات كبيرة؛ وهذا يشير إلى أن رفض المسيح يكاد يكون لهم هم ولصُحبتهم ولأفكارهم وليس للذهاب إلى العيد.

أولاً: ورود كلمة «**بعد**»: «أنا لا أُصعد **بعد** إلى هذا العيد»، معناها واضح وهو: «أنا لا أُصعد "**الآن**"». وهذا توضحه بقية الرواية هكذا: «فلما صعدوا صعد هو **أيضاً**». إذن، فعدم صعوده لم يقصد منه النفي الكامل للصعود بل النفي للظرف الزماني الآن وبصحبتهم، لأنه صعد بعد ذلك بمفرده. وبالرغم من ورود الكلمتين مترادفتين «**صعدوا ... وصعد أيضاً**»، إلا أن الزمن بينهما كبير وسيظهر ذلك من الشرح.

ثانياً: أما المسيح فهو لا يصعد أصلاً إلى العيد ليعيِّد أو يشارك في التعييد، إلاَّ أنه صعد إلى أُورشليم في هذا العيد ليكمّل عملاً آخر غير العيد.

---

(٧) توجد مخطوطات كثيرة لم ترد فيها هذه الإضافة بل وردت هكذا: «ولما كان إخوته قد صعدوا إلى العيد حينئذ...».
أنظر: The Pulpit Commentary, p. 307.

ثالثاً: إن صعودهم كان في جماعة، أي صعود علني ترافقه التسابيح والزمر والطبل وأغصان النخيل، وهذا غير الصعود الذي كان يُضْمره الرب أن لا يكون علنياً بل في الخفاء، ودون أن يأخذ تلاميذه معه، لأنه كان لا يريد إثارة الأوساط الرئاسية في أورشليم، كما أنه لم يكن مثل بقية المعيِّدين، بل صعد إلى أورشليم ليكمِّل رسالته و يسلم حياته. فهو لم يصعد للعيد ليقدم ذبائح بل صعد ليقدم ذبيحة نفسه. هذا هو المعنى بل المعاني المستترة وراء الكلمات التي تبدو متضاربة شكلاً فقط: «اصعدوا (إلى العيد) أنتم، **أنا لا أصعد بعد إلى هذا العيد** ولما صعدوا **صعد هو أيضاً**».

رابعاً: نفهم من الأناجيل الأخرى أن الرب لم يصعد مباشرة إلى أورشليم كما جاء في إنجيل القديس متى (١٩: ١): «ولما أكمل يسوع هذا الكلام **انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن**»، أي عَبَرَ في إقليم بيريه. وكذلك كما جاء في إنجيل القديس مرقس (١٠: ١): «وقام من هناك وجاء إلى **تخوم اليهودية من عَبْر الأُردن** فاجتمع إليه جموع أيضاً، وكعادته كان أيضاً يعلمهم». وهذا يؤكد كلام الرب أنه فعلاً لم يكن مقصده أورشليم مباشرة لحضور العيد، إذ أمضى مدة طويلة في عبوره الأُردن في إقليم بيريه، ثم منها عبر ثانية إلى تخوم اليهودية ثم إلى أورشليم. وهذا يتوافق جداً مع إنجيل ق. يوحنا في موضع متقدم: «فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من أيديهم ومضى أيضاً إلى عبر الأُردن إلى المكان الذي كان يوحنا يُعمِّد فيه أولاً ومكث هناك» (يو١٠: ٣٩و٤٠). وفي نهاية رحلته حطَّ الرحال في قرية بيت عنيا بجوار أورشليم لزيارة خاطفة لمرثا ومريم وأخيهم لعازر (قبل معجزة إقامته من الموت): «وفيما هم سائرون دخل قرية، فقَبِلَتْه امرأة اسمها مرثا في بيتها وكانت لهذه أختٌ تُدعَى مريم التي جلست عند قدميَّ يسوع وكانت تسمع كلامه» (لو١٠: ٣٨و٣٩). ومن قرية بيت عنيا دخل إلى أورشليم في منتصف العيد.

٧: ١١ـ١٤ **«فكان اليهودُ يطلُبُونَه في العيدِ ويقولُونَ أينَ ذاكَ. فكان في الجُمُوعِ مناجاةٌ كثيرةٌ من نحوِهِ. بعضُهُم يقولون إنه صالحٌ. وآخرونَ يقولونَ لا بل يُضِلُّ الشعبَ. ولكن لم يكُنْ أحدٌ يتكلَّمُ عنهُ جِهاراً لسببِ الخوفِ من اليهودِ. ولما كان العيدُ قد انتصَفَ صَعِدَ يسوعُ إلى الهيكلِ وكان يُعلِّمُ».**

واضح من هذا الكلام أن المسيح كان غائباً في الأيام الأُولى من العيد: «**أين ذاك**»، وواضح جداً أنه لم يظهر إلاَّ في منتصف العيد: «ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع».

«فكان "اليهود" يطلبونه في العيد و يقولون "أين ذاك"»:

كلمة «اليهود» هنا تشمل المُعَادِين له والأصدقاء، والمُعَادون هم الرؤساء والفريسيون الذين قاوموه بشدة، كما جاء في الأصحاح الخامس، وكان رده عليهم موبِّخاً عنيفاً فبلغت الخصومة أقصاها: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه. لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم.» (يو٥: ٤٤و٤٥)

وهؤلاء كانوا يبحثون عنه في كل الجماعات القادمة من الجليل ــ على مستوى مباحث أمن الدولة ــ ولم يجدوه. وهكذا صحَّ فكر المسيح وقوله لإخوته: «اصعدوا أنتم إلى هذا العيد أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد» (يو٧:٨)، لأنه تخلف عن الركب حتى لا يعطي أعداءه فرصة لتدبير المكائد.

«أين ذاك»:

تأتي كلمة «**ذاك**» ἐκεῖνος في قالب الإحتقار والحقد والتنمُّر، كما جاءت كلمة «كيف يقدر **هذا** أن يعطينا جسده لنأكل» (يو٦: ٥٢)، بمعنى الازدراء والتجاهل. وهذا يكشف مقدار ما بلغه الصدام من التربُّص به وانتظاره مدة ستة شهور منذ ترك أورشليم، لأن ضغينتهم لم تهدأ.

«وكان في الجموع مناجاة كثيرة من نحوه. بعضهم يقولون إنه صالح. وآخرون يقولون "لا" بل يضلُّ الشعب»:

كلمة «مناجاة» ترجمة ركيكة للأصل اليوناني γογγυσμός والتي تأتي بمعنى **لَغَطٌ** وهي باللاتينية **murmur** (و يعرفها الأطباء كوصف لدقات القلب غير المنتظمة). واللغط هو بالنسبة للشعب أصواتٌ غير منسجمة أو متضاربة بين من يقول أنه صالح ἀγαθός أي طيب ومستقيم ولا عيب فيه، وهي صفة من صفات الله: «ليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله» (مت١٩: ١٧)، أوردها إنجيل يوحنا عن عَمْد ليعلن بها الإتجاه الإيماني الصحيح؛ والآخر **ينفي الصلاح عنه على أساس سياسي وناموسي: لأنه «يُضلُّ الشعب»**، سواء من جهة السبت أو من جهة إدِّعاء أنه المسيَّا. وهي نفس العلة التي قدمها رؤساء الكهنة ضده ليُصْلب (لو٢٣: ٢و١٤). ولكن بالرغم من ذلك لم يستطع الرؤساء هؤلاء أن يحركوا الشعب ضده، لأنه كان قد اكتسب ثقتهم: «وقالوا ليس في العيد لئلا يكون شَغَبٌ في الشعب.» (مت٢٦: ٥)

«لسبب الخوف من اليهود»:

اليهود هنا تتضح صفتهم، فهم ولاة الشعب سواء فريسيين أو كتبة أو كهنة. فبالرغم من أنهم لم يصدروا حكمهم عليه بعد، ولكن نيّاتهم كانت معروفة للشعب، لذلك كان الذين يساندونه بالرأي والفعل لا يجرؤون أن يُظْهِروا ذلك جهاراً.

٢ ــ محادثات في منتصف عيد المظال: (٧: ١٤ــ٣٦).

تنقسم هذه التعاليم إلى ثلاثة أقسام بحسب الأشخاص الذين يسألون والرد عليهم.

أ ــ تعاليم موجَّهة لليهود: (٧: ١٤ــ٢٤).

ب ــ تعاليم موجَّهة إلى سكان أورشليم: (٧: ٢٥ــ٣١).

ج ــ تعاليم موجَّهة إلى الخُدّام المُرسَلين من الفريسيين ورؤساء الكهنة: (٧: ٣٢ــ٣٦).

٧: ١٤ــ١٨ **«ولما كان العيدُ قد انتصَفَ صَعِدَ يسوعُ إلى الهيكلِ وكان يُعلِّمُ. فتعجَّبَ اليهودُ قائلينَ كيف هذا يعرفُ الكتبَ وهو لم يتعَلَّمْ. أجابَهُم يسوعُ وقالَ تعليمي ليسَ لي بل للَّذي أرسَلَني. إن شاءَ أحدٌ أن يعمَلَ مشيئتَهُ يعرفُ التعليمَ هل هو من الله أم أتكلَّمُ أنا من نفسي. مَنْ يتكلَّمُ مِنْ نفسِهِ يطلُبُ مجدَ نفسِهِ. وأما مَنْ يطلُبُ مجدَ الذي أرسَلَهُ فهو صادِقٌ وليس فيه ظلمٌ».**

انتصاف العيد، أي في اليوم الرابع من بدايته، وواضح هنا بالتأكيد أن المسيح لم يحضر العيد من أوله بالفعل. كما أن ظهوره في منتصف العيد بعد أن أجهد الرؤساء أنفسهم في البحث عنه، يوضح ظهوره **المفاجيء** لهم. وهذا يقصده المسيح و يدركه ق. يوحنا جيداً ويحاول أن يُبرزه بصورة نَبوِيَّة، فهذا تحقيق فعلي لقول ملاخي النبي: «هأنذا أُرسل ملاكي فيهييء الطريق **أمامي. ويأتي "بغتة" إلى هيكله السيد الذي تطلبونه**... ومَنْ **يحتمل** يوم مجيئه ومَنْ **يثبت** عند ظهوره لأنه مثل نار.» (مل٣: ١و٢)

والعجيب حقاً أن زكريا النبي يصف ذلك اليوم الذي فيه يتغير كل شيء بمجيء الرب أنه يكون عيد المظال بعينه!! «و يكون أن كل الباقي من "**جميع الأمم**" الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة **ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيِّدوا عيد المظال**» (زك١٤: ١٦). وحينما قدَّم إخوة الرب النصيحة ــ دون أن يقصدوا الحق ــ كانت نبوة دهرية دون أن يدركوها أو يحترموها: «**أَظْهِرْ** ذاتك "**للعالم**"»، وتأتي مُحكمة على نبوة زكريا السابقة أن ذلك يكون في

عيد المظال. وهي رنين مبدع مسموع للنبوة التي قدمها سمعان الشيخ: «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد **أبصرتا خلاصك** الذي أعددته قدام وجه "**جميع الشعوب**" (يهود الشتات من كافة أقطار وشعوب الأرض) **نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل.**» (لو٢: ٢٩و٣٠)

ولاحظ أن الرب في هذا العيد وقف وقال: «**أنا هو نور العالم**» كما سيأتي (٨: ١٢). كما سيتكلم في هذا الأصحاح أيضاً عن الحياة والنور، فيأتي الكلام موقّعاً توقيعاً صادقاً على ما جاء في مقدمة الإنجيل: «فيه كانت **الحياة** والحياة كانت **نور** الناس.» (يو١: ٤)

أ ــ تعاليم موجهة لليهود: (٧: ١٤ــ ٢٤).

وتنحصر في:
مصدر رسالته (١٦ــ١٨)؛
في دحض الشرح الخاطىء للناموس (٧ــ١٩)؛
وضد روح وتاريخ الناموس (٢٠ــ٢٤).

مصدر رسالته:

٧: ١٥ **«فتعجّبَ اليهودُ قائلينَ كيف هذا يعرف الكتبَ وهو لم يتعلَّم».**

«كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم»:

واضح هنا أن الكتب تعني الأسفار المقدسة، وكلمة «**يتعلم**» تفيد التلمذة للربيين ودراسة اللغة، ولكن المقصود طريقة التعليم بسلطان والشرح والحوار وضرب الأمثال والإقناع! فهي التي أذْهَلَت كلَّ مَنْ سمعه حتى أعداءه. فنقرأ في كلٍّ من إنجيل مرقس وإنجيل متى وإنجيل لوقا:

«وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يُعلِّم. **فبُهتوا مِنْ تعليمه، لأنه كان يعلّمهم كمنْ له سلطان وليس كالكتبة.**» (مر١: ٢١و٢٢، قارن متى ٧: ٨)

«ولما كان السبت ابتدأ يعلِّم في المجمع. وكثيرون إذ سمعوا، **بُهتوا قائلين: مِنْ أين لهذا هذه. وما هذه الحكمة التي أُعطيت له...**» (مر٦: ٢، قارن متى ١٣: ٥٤)

«وكان الجميع يشهدون له **و يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه.**» (لو٤: ٢٢)

ولكن أصعب من كل ما يمكن تصوُّره في التعليم اليهودي هو الدخول في دقائق الناموس وشرحه. وهذا هو ما أراد ق. يوحنا تقديمه من جهة قدرة المسيح الفائقة على ذلك، و يقصد بذلك قصداً أن يكشف المصدر الإلهي في المسيح.

ومعروف أن أي ناموسيٍّ لا تُقبل شهادته أو شرحه للناموس إلاَّ إذا أعلن عن الشخص الذي تلقى عنه المعلومة المطروحة للكلام، والذي يتحتم أن يكون «ربِّي» أي معلم سنهدريمي رسمي ومُعتَرَف به. و يلاحِظ القارىء أن الرب يسوع استخدم نفس الأسلوب الناموسي رداً على اندهاش الذين سمعوا تعليمه، والذي لا بد أنه كان تعليماً عن الناموس:

١٦:٧ **«أجابهم يسوعُ وقالَ: تعليمي ليسَ لي بل للَّذي أرسَلَني».**

«تعليمي ليس لي (ليس مني) بل للذي أرسلني»:
أي مستمدٌّ من الله رأساً. فالكلام والتعاليم التي أقولها منسوبةٌ، ليس لمعلِّم ولا لربِّي أو ناموسي، بل منسوبة إلى صاحبها وهو الآب الذي أرسلني! هذا رد قاطع ومُفحِم.

١٧:٧ **«إن شاءَ أحدٌ أنْ يعمَلَ مشيئتهُ يعرف التعليمَ هل هو من الله أم أتكلَّمُ أنا من نفسي».**

هنا المسيح يطرح أمام سامعيه الوسيلة للتحقُّق من المصدر الإلهي لتعليمه، ليتأكد أنه تعليم الله وليس تعليم «ربِّي» أو حتى تعليم المسيح. فهو يقول أن الطريقة الوحيدة هي طريقة عملية أخلاقية توافقية. فإذا استطاع إنسان أن يتوافق مع مشيئة الله، أي أن يكون فكره وسلوكه بحسب مشيئة الله، فإنه يدرك في الحال ما أقوله أنا إن كان هو كلام الله، وإن كان يوضح مشيئة الله، أم أتكلم أنا من نفسي. وبمعنى آخر أيضاً، فإن الإنسان الذي يؤمن حقاً أن المسيح قد أتى من الآب يكون هو الإنسان الذي شاء و يشاء أن يعمل و يعرف مشيئة الآب. وهذا هو الأسلوب المحبَّب للمسيح وهو الأسلوب العملي جداً والبسيط للغاية المطروح أمام كل إنسان دائماً أبداً: ونبسطه أمام القارىء في أربع كلمات:

آمنْ بالرب، **تَستعلنْ** أسراره؛
تعالَ ليسوع، **تكتشفْ** الله؛
اخضعْ لمشيئته، **تُدركْ** مشيئته.

والعكس مستحيل المستحيل. فالفحص والدراسة والتحليل لا توصل إلى الحقيقة الإلهية الكائنة في أقوال المسيح وتعاليمه. فلو كان المسيح يتكلم من نفسه و يعلّم من نفسه و بسلطانه الشخصي، لكان من الممكن إخضاع كل أقواله وتعاليمه للفحص العقلي والنقد لكشف محتواها حسب الثوابت الأدبية. ولكن الحقيقة المذهلة أن كل كلام المسيح، وكل تعاليمه، ليست له ولا منه ولكنها من الله الآب ولله الآب؛ وأصبح التسليم لها حتمية روحية كلية.

١٨:٧ **«مَنْ يتكلَّمُ مِنْ نفسهِ يطلبُ مجدَ نفسهِ؛ وأمّا مَنْ يطلبُ مجدَ الذي أرسلهُ، فهو صادقٌ وليس فيه ظلمٌ».**

المسيح هنا يثبت أنه مرتبط بالمصدر الذي يقول و يعلّم لحسابه. فلو كان تعليمه هو حصيلة فكره ودراسته الخاصة، لكان يطلب ثمنه شهرة أو مجداً لنفسه. ولكن الآن لا يطلب لنفسه شيئاً، لا شهرةً ولا مجداً ولا أتعاباً خاصة، ولكنه يطلب مجد الله أبيه الذي أرسله فقط. إذن، فلأنه أخرج نفسه من التأثير الشخصي في عملية التعليم وأصبح التعليم كله خاصاً بالله، يكون التعليم إلهياً مائة بالمائة، وحقاً وصدقاً وليس فيه أي ابتزاز، و يكون المسيح صادقاً وعادلاً في كل ما يقول، وليس ظالماً كما يفترون.

نفهم من هذا بالنسبة لأنفسنا، أن طلب المجد الشخصي والسعي إليه يثبتان تزييف التعليم وابتزاز مجد الآخر وهو الله. كذلك فإن صدق التعليم الإلهي وصدق المُعلم الذي من الله يتوقفان على لمن يطلبُ المعلمُ المجدَ: لنفسه أم لله؟ والرب سبق وو بخ الفريسيين، وهم معلمو الشعب: **«كيفَ تقدرونَ أنْ تُؤمنوا وأنتم تقبلونَ مجداً بعضُكُمْ مِنْ بعضٍ؟»** (يو٥: ٤٤). الرب هنا أخرج الفريسيين ليس من دائرة التعليم الصحيح فحسب، بل ومن دائرة الإيمان بالله، لأن الإيمان بالله يتوقف بالدرجة الأُولى على تمجيد الله.

والرب هنا في الآية: **«مَنْ يتكلم مِنْ نفسه يطلب مجد نفسه»**، يطبّق نفس المبدأ على نفسه على نمط ما وجّهه إلى الفريسيين. ثم يعود يوجه التعليم الصحيح إلى غايته الصحيحة: **«أما مَنْ يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلمٌ (أي عادل)».**

و يلاحظ الدارس المدقق أن هذا المبدأ ينطبق تماماً على قول القديس بولس: «لكنه **أخلى** نفسه» (في٢: ٧). فالمسيح أخلى نفسه من المجد وطلب المجد: «مجداً مِنَ الناسِ لستُ أقبلُ» (يو٥: ٤١)، بل ومن الكرامة أيضاً كما رأيناه في غسل أرجل تلاميذه كعبد: «أجابَ يسوعُ: أنا

ليسَ بي شيطانٌ لكني أُكرمُ أبي وأنتم تُهينونني. أنا لستُ أطلبُ مجدي، يوجدُ مَنْ يطلبُ و يَدينُ» (يو٨: ٤٩و٥٠). وذلك كله لحساب مجد وكرامة الآب الذي أرسله!! والنتيجة أن الآب ردَّ له المجد مجدين، إذ ردَّ عليه الآب بصوت مسموع من السماء علناً: «**مجَّدتُ وأُمجِّدُ** أيضاً» (يو١٢: ٢٨). فالذي أخلى نفسه من المجد، عاد إليه المجد مضاعفاً: مجدٌ في الأرض ومجدٌ في السماء! ولكن الذي يطلب و يأخذ مجداً من الناس وهو أصلاً لحساب مجد الله، فإنه بتعبير الإنجيل **ظالمٌ ومبتزٌّ**. اسمع ما يقول الرب بشأنه: «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم.» (يو٥: ٤٥)

١٩:٧ **«أليسَ مُوسى قد أعطاكُم النّامُوسَ وليسَ أحدٌ منكم يعمَلُ الناموسَ. لماذا تطلبونَ أنْ تقتُلُوني؟».**

المسيح هنا ينقل التعليم نقلة خطيرة، فهو يهاجم الفريسيين على أرضهم المزعومة وفي بيتهم الذي جعلوه مغارة لصوص: يهاجمهم في أمانتهم للناموس بل وفي معرفتهم له بل وفي عملهم به. و يهاجمهم داخل الهيكل وليس في الخفاء أو في زاو ية!! ولكن على أي أساس يهاجمهم؟

الكلام هنا متصل اتصالاً وثيقاً بما قبله، وليس كما يظن خطأً علماء الكتاب أنه متصل بالأصحاح الخامس، حيث يدَّعون أنه نقل وتغيير في ترتيب الأصحاحات. لقد قال الرب في الآيات السابقة: «تعليمي ليسَ لي بلْ للذي أرسلني. إن شاءَ أحدٌ أن **يعمل مشيئتهُ، يعرف** التعليم هل هو مِنَ الله أمْ أتكلَّمُ أنا مِنْ نفسي» (يو٧: ١٦و١٧). فهو يبني على هذا الكلام أنهم **لا يعملون مشيئة الآب** لأنهم لم يعرفوا تعليم المسيح أنه من الله. هذا أولاً، أما ثانياً، فلأنهم على خلاف ناموس موسى وقواعده وأصوله **يريدون أن يقتلوه**، مع أنه جاء ليُكمِّل الناموس. وهكذا بينما هم يتهمونه بكسر السبت بدون حق، ها هو الآن يقيم عليهم الدعوى أنهم لا يكسرون الناموس فحسب، بل و يعملون ضده بمحاولة قتله مع أنه يعمل مشيئة الله.

و يلاحظ القارىء أن في الأصحاح الخامس ينتهي المسيح إلى إقامة الدعوى ضدهم أيضاً على أساس الناموس، ويجعل الناموس نفسه قاضياً وديّاناً وشاكياً ضدهم، على أساس أنهم لا يقرأون الناموس قراءة صحيحة واعية، وإلاَّ كانوا قد عرفوا منها أنها تشهد له، إذ قال لهم: «فتشوا الكتب» (يو٥: ٣٩)، وأيضاً على أساس أنه ليس لهم محبة الله فيهم، لأنه وهو ابن محبة الله رفضوه ولم يقبلوه مع أنه جاء باسم أبيه ولم يجيء إليهم باسم نفسه!! ثم أضاف على الدعوى ضدهم في الأصحاح الخامس شكوى ثقيلة للغاية، إذ اتهمهم بأن ليس لهم إيمان بالله، لأن مجد الله أنكروه

وطلبوا مجد أنفسهم و بدأوا يطلبون مجد الناس بعضهم من بعض.

أما هنا، في الأصحاح السابع، فالدعوى قائمة عليهم على أساس التعليم نفسه وذلك بشهادتهم هم: «**كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟**»، فبالرغم من اعترافهم بمعرفته المدهشة بالكتب، وقدرته ذات السلطان في التعليم وليس كالكتبة والفريسيين ــ وطبعاً هذا يعود على أن تعليم الكتبة والفريسيين قائمٌ على ناموس موسى، أما تعليم المسيح فهو من المصدر الأعلى من الناموس أي الله نفسه، كما أن تعليم المسيح جاء ليكمل كل تعاليم سابقة و يصححها ــ فبالرغم من اعترافهم هذا إلاَّ أنهم بسبب أن المسيح لا يمتُّ إلى مدارسهم ومُعلِّميهم، اعتبروه أنه يُضلُّ الشعب، مع أن تعليمه من الله. ولو كانوا «**يعملون الناموس**»، أو بمعنى آخر لو كانوا يقيسون التعليم الذي يُعلِّم به المسيح على الناموس، لأدركوا مصدر التعليم أنه من الله. ولكنهم لأنهم «**لا يعملون الناموس**»، خرجوا عن مقياس الناموس، فانْعَمَت بصيرتهم وطلبوا أن يقتلوا الذي جاء ليُكمِّل لهم الناموس!

٧: ٢٠ــ٢٤ **«أجابَ الجمعُ وقالوا بكَ شيطانٌ، مَنْ يَطلُبُ أنْ يقتُلَكَ؟ أجابَ يسوعُ وقالَ لهُمْ عملاً واحداً عَمِلْتُ فتتعجَّبونَ جميعاً، لهذا أعطاكُم موسى الختانَ ــ ليس أنه مِنْ موسى بل من الآباءِ ــ ففي السَّبْتِ تَخْتِنُونَ الإنسانَ. فإن كانَ الإنسانُ يقبَلُ الختانَ في السَّبْتِ لئلا يُنْقَضَ ناموسُ موسى أفتسخطونَ عليَّ لأني شَفَيْتُ إنساناً كلَّهُ في السبتِ. لا تَحْكُموا حسبَ الظاهرِ بل احكُمُوا حُكْماً عادِلاً».**

حينما تَعْمي بصيرة الإنسان، يرى الأبيض أسوداً. فعكس الرؤيا الصحيحة للمسيح أنه ابن الله، رأوه وكأن به شيطان. والدليل على أن البصيرة قد انْعَمَتْ عند هؤلاء، أنهم كانوا قد رأوا بأعينهم كيف شفي مريض بيت حسدا المشلول وتعجبوا جميعهم من هذه الآية. إذن، فكان ينبغي أن تُقيِّم هذه الآية تقييماً صحيحاً، فهي عُملت في السبت، فكان ينبغي أن تُنسب لبركات الله في السبت كما تُنسب لبركات الناموس، هذا هو الحكم الصحيح. والرب أعطاهم جَوَاز عملِ الختان في يوم السبت (الختان يُعْمل إلزاماً في اليوم الثامن من الولادة ــ فاحتمال وقوعه في سبتٍ أمر وارد دائماً ــ فالختان يُعمَل أصلاً من أجل الصحة ــ أي الطهارة ــ وكلمة الشفاء الواردة باليونانية تفيد الصحة الجسدية ὑγιῆ التي تُنطق Hygie والتي جاءت منها الكلمة الإنجليزية Hygiene أي الصحة العامة، فإذا تطهر الإنسان في اليوم الثامن أصبح صحيحاً ومقبولاً في جماعة بني إسرائيل).

فإن كان الختان يُعمل أصلاً من أجل صحة الإنسان، فكم وكم بالحري أن يَشفي المسيح إنساناً كسيحاً مشلولاً ليصير صحيحاً، ليس في عضو واحد بل في كل أعضاء جسمه؟ وهنا يظهر المسيح أنه يعمل فعلاً مكمِّلاً للناموس، إذ جعل الإنسان كله طاهراً. وهذا في الحقيقة جزء لا يتجزأ من عملية الفداء، فلا ننسى إطلاقاً قول إشعياء النبي أننا بجلداته شُفينا وأنه حمل أمراضنا وأسقامنا عليه (إش٥٣: ٥و٤). فعملية الشفاء الروحي التي أجراها المسيح لنا أجراها من رصيد آلامه ودمه.

كما يظهر المسيح أنه يكرم السبت و يكمل بركاته، بأن عمل فيه أعمالاً لمجد الله وتكريم الإنسان. و يكفي كرامةً لهذه السبوت أن جعل السبت يوماً من أيام ابن الإنسان، بسبب أعمال الشفاء التي أكملها فيه.

ثم يعود المسيح لائماً هؤلاء، سواء كانوا فريسيين أو من العامة قائلاً: «لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكماً عادلاً». هنا لفتة من لفتات المسيح الخطيرة، إذ اعتبر أن الأعمال الطقسية والمراسيم والقوانين تحمل صورتين للحق الإلهي، صورة ظاهرية تُرى بالعين وصورة جوهرية حقيقية تُقاس على برِّ الله أو حقِّ الله. فالصورة الظاهرية نسبها المسيح للعين κατ' ὄψιν والصورة الجوهرية نسبها للحق أو البر δικαίαν κρίσιν . والخلط بينهما أو الاكتفاء بالظاهر، كفيل بأن يُضيِّع حق الله و يطمس معالم البرِّ الإلهي. والنتيجة أنهم من أجل حفظ رسوم يوم السبت، رفضوا رب السبت وقرروا قتله.

ب ــ تعاليم موجهة إلى سكان أورشليم: (٧: ٢٥ــ ٣١).

٧: ٢٥ــ٢٧ **«فقالَ قومٌ مِنْ أهلِ أورشليمَ أليسَ هذا هوَ الذي يطلبونَ أنْ يقتلوهُ. وها هوَ يتكلَّمُ جهاراً ولا يقولونَ لهُ شيئاً. ألعلَّ الرؤساءَ عَرَفوا يقيناً أنَّ هذا هو المسيحُ حقاً. ولكنَّ هذا نعلمُ مِنْ أينَ هوَ. وأمَّا المسيحُ فمتى جاءَ لا يعرف أحدٌ مِنْ أين هو».**

يلزمنا هنا أن نفرق بين الأوساط التي يتكلم معها المسيح(٨): اليهود ويمثلهم دائماً الفريسيون، والجموع وهم أهل الجليل وعامة الشعب، **وأهل أورشليم** وهم سكان العاصمة ولهم دائماً دراية

(٨) راجع المدخل ص٢٩٨.

بأحوال الرؤساء وسياساتهم ولكن لم يكونوا موافقين دائماً على أعمالهم.

وهنا يبرز هذا العنصر الذي كان واقفاً يراقب الحوار الذي استظهر فيه المسيح على خصومه من اليهود والجموع، الذين، في الحال، انحازوا لجانب المسيح نوعاً ما، و بدأوا يستنتجون من صمت اليهود أن خططهم لقتله غير لائقة. وتقدموا في استنتاجهم خطوة أخرى: **ألعل الرؤساء يتيقنون من صدق رسالته أنه المسيح؟**

ولكن العقبة التي وقفت إزاء تفكيرهم وتقريرهم عن صحة رسالة المسيح والتيقُّن من شخصه، هي أن المتداوَل بين عامة الشعب، متعلمين وغير متعلمين، وخاصة في الأوساط التي تمارس حضور التعليم في الهيكل والمجامع، كان أن المسيح حينما يأتي لا يعرف أحد من أين يأتي؛ وذلك من واقع الكتابات الرؤيوية(٩). ولكن كان معروفاً عن المسيح أنه من الجليل، ومن الناصرة، وأنه مولود في بيت لحم، وأن أباه (؟) وأمه معروفان لديهم وحتى إخوته وأخواته (؟).

وأيضاً يرد المسيح على ما كان يدور في قلوب هؤلاء الأُورشليميين وقد عرفه بإحساسه الإلهي:

٧: ٢٨ــ٣١ **«فنادى يسوعُ وهوَ يُعلِّمُ في الهيكلِ قائلاً تعرِفونني وتعرفونَ مِنْ أينَ أنا ومِنْ نفسي لم آتِ بل الذي أرسلَني هو حقٌّ الذي أنتم لستم تعرفونهُ. أنا أعرفهُ لأني منهُ وهو أرسلني. فطلبوا أنْ يُمسِكُوهُ. ولمْ يُلْقِ أحَدٌ يَداً عليهِ لأنَّ ساعتهُ لم تكن قد جاءت بعدُ. فآمَنَ بهِ كثيرونَ من الجمعِ وقالوا ألعلَّ المسيحَ متى جاء يعمَلُ آياتٍ أكثرَ من هذه التي عَمِلَها هذا».**

لقد أدرك المسيح بإحساسه الإلهي ما كان يدور في قلوبهم، ووافق على أنهم يعرفونه و يعرفون من أين أتى، ولكن معرفتهم للأسف كانت أيضاً حسب الظاهر. والظاهر لا يحل محل الحق والجوهر، وإنما يشير إليه إشارة بليغة؛ فكونه «من الناصرة» إشارة ليست بسيطة، بل هي نبويَّة، وتفيد حقيقته، لو أنهم فتشوا الكتب. وكونه مولوداً في بيت لحم، هذه أيضاً إشارة نبوية تفيد حقيقته، لو أنهم فتشوا الكتب. وهكذا نرى أنه حتى الظاهر عجزوا عن أن يسيروا على هُداه ليدخلوا إلى الحقيقة المخفية تحته. لذلك جاهر المسيح بصوت عالٍ ــ لأن كلمة «نادى» تأتي باليونانية ἔκραξεν وتفيد «الصراخ» أو «المناداة بصوت عالٍ»؛ وقال: «مِنْ نفسي لم آتِ، بل

(٩) راجع المدخل ص٩١. هذه الكتب المسماة أبوكريفا العهد القديم التي تعرض لهذا الموضوع هي سفر أخنوخ ٤٨: ٦ وسفر عزرا الرابع ١٣: ٥١.

الذي أرسلني هو حقٌّ الذي أنتم لستم تعرفونهُ». وهكذا بدأ المسيح يستعلن لهم ما هو تحت الظاهر، أي مِنْ أين أتى ومَنْ هو: أمور تمتُّ إلى الحق الذي يفوق معرفتهم الناموسية، ويلزم أن يتقبَّلوها لتكمل معرفتهم. فـ«الحق» الذي أرسل المسيح لا يعرفه إلا المسيح، والمسيح يعرفه لأنه منه، أي أنه هو نفسه من الحق. والكلام كان واضحاً بالنسبة للسامعين إذ أدركوا أنه يتكلم عن الله، وأنه هو من الله، وأن الله هو الذي أرسله؛ لأنه قد سبق وأوضح ذلك مراراً. ولكن الجديد في الموضوع هو أن المسيح بذلك قد أخرس الذين يتماحكون بقولهم إن المسيح لما يأتي لا يعرف أحدٌ **من أين يأتي ولا مَنْ هو.** فهو الآن يقول لهم جهاراً وفي الهيكل إني أتيتُ من عند الله — من حيث لا يعرفون — وليس من الأرض أو البحر، وأنه هو ابن الله، وليس كما يظنون أنه ابن يوسف.

ولما فهموا أنهم في نظره لا يعرفون الله ولا يعرفون حتى الكتب، اغتاظوا وتحركوا و«طلبوا أن يمسكوه»، لأن انفعالهم كان على مستوى الهَوَس الناموسي. ويكمل الإنجيل أنهم لم يستطيعوا أن يلقوا عليه اليد لأن ذلك كان فوق طاقتهم الهزيلة، ولأنه ينبغي أنه هو الذي يسلِّم ذاته حسب التدبير الإلهي عندما تأتي الساعة!...

ولكن في الجانب الآخر كان قوم يسمعون ويميزون بين الحق والكذب وبين النور والظلمة. قوم رأوا في كل آية عملها المسيح برهاناً صادقاً على دعوته، ثم رأوا في العدد المهول من الآيات المعمولة تأكيداً على صدق دعوته. ويمكن أن ندعوهم مؤمني الآيات: «ألعلَّ المسيح **متى جاءَ** يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟». ونفهم من قولهم هذا أنهم كانوا يطبِّقون، في أفكارهم، بين المسيَّا الذي سمعوا عنه وعن أوصافه من المعلمين وبين يسوع الواقف أمامهم ووراءه هذه الآيات كلها!...

ج — تعاليم موجهة إلى الخدام المرسلين من الفريسيين ورؤساء الكهنة: (٧: ٣٢—٣٦).

٧: ٣٢—٣٦ **«سَمِعَ الفريسيُّونَ الجمعَ يتناجَوْنَ بهذا من نَحْوِهِ، فأرسلَ الفريسيُّونَ ورؤساءُ الكهنةِ خدَّاماً ليُمْسِكوه. فقالَ لهم يسوعُ: أنا معَكُمْ زماناً يسيراً بَعْدُ ثم أمْضي إلى الذي أرسَلَني. سَتَطلبونني ولا تَجِدُونَني، وحيثُ أكونُ أنا لا تقدِرُونَ أنتم أنْ تأتُوا. فقالَ اليهودُ فيما بينهم: إلى أينَ هذا مُزْمِعٌ أن يذهبَ حتى لا**

نَجِدَهُ نَحنُ. ألعلَّهُ مُزْمِعٌ أنْ يذهَبَ إلى شَتَاتِ اليونانيينَ ويُعلِّمَ اليونانيينَ. ما هذا القولُ الذي قالَ سَتَطْلبُونَني ولا تجدُونَني وحيثُ أكونُ أنا لا تقدِرُونَ أنتم أن تأتوا».

الآن نحن ندخل المرحلة الثالثة من المحادثة:

كان حديث الشعب عن المسيح يُلتقط أولاً بأول ويُبلَّغ به مجمع السنهدريم الذي يضم كل الطبقات الدينية المسئولة، من فريسيين ورؤساء كهنة عاملين وغير عاملين. فبمجرد أن بلغ السنهدريم خبر إنحياز قطاع من الشعب لتعاليم المسيح، تشكّلت لجنة في الحال، وأرسلت مجموعة من الخَدَم — وهم ضباط يأتمرون بأمر السنهدريم — لهم صفة رسمية تخوّل لهم القبض على الأشخاص.

رؤساء الكهنة:

وهذه الفئة تتشكل من الرؤساء السابقين: حنَّان، والرئيس الحالي قيافا، ومَنْ يساعده مِنْ أبنائهم: أليعازار بن حنّان، وسمعان بن قمحيت، وإسماعيل بن قابي، وكذلك أعضاء أُخر من العائلات الرئاسية(١٠)، علماً بأن لقب رؤساء الكهنة لا يمتُّ للوظيفة الدينية بقدر ما يعني العمل السياسي — كما نسمع ذلك في سفر الأعمال: «وحدث في الغدِ أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعُوا إلى أورشليمَ مع حنَّان رئيسِ الكهنةِ وقيافا ويوحنا والإسكندرِ وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة» (أع ٤: ٥و٦). وهذه التشكيلة هي صورة للسنهدريم συνέδριον ، وهو الهيئة العليا لمحكمة القضاء العالي، ومركزها أورشليم، والتي تشكلت لأداء عملها أثناء حكم الرومان وكان عليها تصريف الأمور، ولكن لم يكن في سلطتها إصدار حكم الموت على أحد. وكان من سياسة الرومان أن يساندوا سلطة السنهدريم.

والسنهدريم(١١)**:** كان يتكون من ثلاث طبقات:

الأُولى: رؤساء الكهنة العاملين وكل رؤساء الكهنة السابقين وبعض أبنائهم، وهي الهيئة الأرستقراطية في أورشليم، وكان مركز عملهم ورزقهم من الهيكل، ولم يكن لهم صلة كبيرة بالمجامع المحلية. وكانوا يلعبون بمصير الأمة اليهودية تحت ستار السلطة الدينية.

الثانية: الصدُّوقيون وكانوا يتسمون بالكهنة πρεσβύτεροι أو الشيوخ. ولم يكونوا كهنة

---

[10] Derenbourg, *Hist. de Palest.*, pp. 230f.

[11] ICC, Bernard, *op. cit.*, p. 277-8.

بالمعنى الديني ولكنهم كانوا دائماً ملتصقين برؤساء الكهنة، **وهم صفة قضائية**. والكهنة ورؤساء الكهنة كانوا في عداء وصدام خفي مستمر مع الطبقة الثالثة.

الثالثة: وهم «**الفريسيون**» أو «**الكتبة**»، وهم ما يمكن أن **نسميهم طبقة المحامين** ويُسَمَّوْن باليونانية «الكتبة» γραμματεύς، أو «الناموسيون» νομικός (ولم يذكرهم بهذا الاسم ق. يوحنا في إنجيله)، وكانوا يُذكَرون تحت اسم «الفريسيين». وهؤلاء كانت لهم دراية دقيقة وواسعة بالناموس اليهودي والتقاليد المتعلقة به. وكانت وظيفتهم متابعة تطبيق الشريعة بتزمُّت يفوق حد الوصف. وكانت تدخلاتهم وسلطانهم متزايدين على المجامع المحلية وليس الهيكل؛ أي لم يكن لهم تدخُّل في مراسيم العبادة، وإنما الحفاظ على التقاليد وتعاليمها. لذلك كان صدامهم مع المسيح متواصلاً، وكانوا يندسُّون وسط الشعب ليديروا الحوار والأسئلة والإعتراضات، وكانوا يبلِّغون السنهدريم في الحال بأي انحراف عن أفكارهم المقفولة. وقد ورد ذكرهم تحت اسم الفريسيين: «فقال الفريسيون بعضهم لبعض: انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً (لم يُحسنوا إحكام التضييق عليه وعلى تعاليمه) هوذا العالم قد ذهب وراءه.» (يو١٢: ١٩)

وقد انضم هؤلاء مع الصدوقيين (الكهنة) في عملية القبض على المسيح ومحاكمته، تحت اسم الفريسيين: «فأخذ يهوذا الجند وخُدَّاماً (ضباط) من عند رؤساء الكهنة **والفريسيين** وجاءوا إلى هناك بمشاعل ...» (يو١٨: ٣)

«فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة»:

فالمحركون الأساسيون في هذه العملية هم الفريسيون. ولكن بدون أمر رسمي من رؤساء الكهنة لا يمكن تنفيذ أي حكم في السنهدريم. لذلك نجد أن أية حركة نحو تطبيق أية عملية يلزم أن يشترك فيها رؤساء الكهنة مع الفريسيين، كما يجيء في (٧: ٤٥، ١١: ٥٧)، حيث يكوِّنان معاً السلطة المنفذة للسنهدريم.

«فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني»:

المسيح هنا أمام ضباط السنهدريم الذين معهم أمر للقبض عليه، يخاطبهم الرب بصفتهم أنهم هم الذين سيقبضون عليه فعلاً بعد قليل (يوم الخميس). فما معنى التسرُّع **«وهو» ليس معه أمر (من الآب) بالتسليم؟**

الخدام الضباط وجدوا أنفسهم أمام سلطة ذات مستوى أرقى وأعلى لم يواجهوها من قبل، شلَّت

أيديهم وجَمَّدت أرجلهم. لم يكن سهلاً على **أنفسهم** ولا على **وظائفهم** أن يعودوا بدونه، ولكن كان سهلاً عليهم أن يفقدوا «**هذه**» و«**تلك**» ولا يمدُّوا أيديهم عليه!!! لم يكن الخوف وحده الذي أرْعَبَهم من الاقتراب إليه، ولكن كلامه كان فيه روح وحياة أنعشت نفوسهم المجدبة، ورفعت من أرواحهم فوق السنهدريم والقوانين والوظائف والحياة والموت. فعادوا فرحين لأنهم لم يقبضوا عليه، وليكنْ ما يكون ...

أما الزمان اليسير الذي حسبه الرب وقاسه: فكان ستة شهور ليأتي الفصح الأخير وليكمل الزمان و يُذبح المسيح فصحنا ...

«ثم أمضي إلى الذي أرسلني»:

كلمة «**أمضي**» هنا، وهي بمعنى مجرد الذهاب، تأتي مترادفة مع كلمتين بنفس المعنى ولكن بشرح آخر: «وإنْ **مضيتُ** وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ ...» (يو١٤: ٣). والكلمة الثالثة: «إن **ذهبتُ** أرسله إليكم» (يو١٦: ٧). و يهمنا هنا أن نشرح الفرق بين هذه الثلاثة الأفعال المترادفة.

فالأُولى: «أمضي إلى الذي أرسلني» (٧: ٣٣). هنا المضي ὑπάγω تفيد عملاً شخصياً بمعنى «**الإنسحاب**». وقد أتت أيضاً في يو٨: ١٤: «وأعلم من أين أتيت وإلى أين **أذهب**» ὑπάγω. وفي الآية ١٣: ٣: «وأنه من عند الله خرج وإلى الله **يمضي**». وفي الآية ١٤: ٤: «وتعلمون حيث أنا **أذهب** وتعلمون الطريق». وفي الآية ١٦: ٥: «وأما الآن فأنا **ماضٍ** إلى الذي أرسلني». و يلاحظ هنا أن معنى المضي في اللغة اليونانية هو مجرد إنسحاب شخصي يفيد معناه فقط.

والثانية: وقد أتت في الآية ١٤: ٣: «وإن **مضيتُ** وأعددت لكم مكاناً ...» πορεύομαι. وفي الآية ٧: ٣٥: «ألعله مزمع أن **يذهب** إلى شتات اليونانيين و يُعلم هناك». وفي الآية ١٦: ٧: «ولكن إن **ذهبت** أرسله إليكم». وهنا ينصبُّ معنى «الذهاب» باللغة اليونانية على القصد منه، فهو ذهاب **ومضيٌّ له عمل وهدف. فيظهر الذهاب أنه مكمِّل لإرسالية لها غاية.**

والثالثة: وقد أتت في ١٦: ٧: «إنه خير لكم أن **أنطلق**» ἀπέρχομαι. وفي الآية ٦: ٦٨: «يا رب إلى من **نذهب** وكلام الحياة الأبدية عندك». وهنا الذهاب يأتي باللغة اليونانية بمعنى **الفراق فقط**. ومجرد الفراق هو الذي تشدد عليه الآية بالرغم من أن الفراق نفسه قد يُنشىء شيئاً آخر.

وقد اعتنينا بتوضيح هذه الفروقات لسبب واحد، وهو أن اللغة العربية تقف عاجزة في مواقف كثيرة عن أن تعبِّر عن المعنى بكلمة واحدة، فتأتي الكلمة غير كافية إطلاقاً لشرح المعنى كما رأينا. فالذهاب قد يكون لعمل ما، وقد يكون إنسحاباً، وقد يكون مجرد ذهاب فُرْقَة.

«أمضي إلى الذي أرسلني»:

لا يزال المسيح هنا يخاطب **الذين أرسلهم** السنهدريم، وهو يتكلم بنفس المشاعر التي تجول في قلوبهم فهو **مُرْسَل** كما هم **مُرْسَلون**، هم مرسلون من السنهدريم وهو مُرْسَلٌ من الله. والكلام واضح لهم ومؤثر للغاية. رسالتهم قبض ودينونة وعنف، هم كرهوها أشد الكُره، ولولا أكل العيش لتركوها. ورسالته وضحت أمامهم أنها للحب والسلام والفرح والشفاء والشكر. لقد خجلوا جداً من أنفسهم وعادوا يتحدثون بفضل الذي سمعوه.

«ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا»:

بمجرد سماع هذه الآية يتوارد إلى الذهن قول الرب: «اطلبوا تجدوا» (مت٧:٧). ولكن هنا للأسف سيطلبون ولا يجدون، ليس لفوات الوقت، ولكن لفوات الفهم والإدراك والتعرف على المُرْسَل والراسل. فهي فرصة حرجة للغاية لا تتكرر ولن تتكرر بالنسبة للذين رأوه وأنكروه، للذين سمعوه ورفضوه، للذين تحدث إليهم وابتسم في وجههم وأفاض من حبه عليهم، وفي النهاية رجعوا إلى الوراء ولم يعودوا يسيرون لا معه ولا خلفه. هؤلاء سيطلبونه بعد، ولكن لن يجدوه لأنه يكون قد أنهى رسالة النظر والسمع واللمس، ودخل في مجال مجد التجلي الأبدي حيث لا يُرى بعد بالعين بل بالإيمان ... سيذهب المسيح كعريس إلى خدره الأبدي السرّي، و يُغلَقُ الباب حينما تغرب شمس يوم الإفتقاد: «كم مرة أردت أن أجمع أولادك ... ولم تريدوا» (لو١٣: ٣٤). فإلى الذين قبلوه يقول: «تعالوا إليَّ»؛ وإلى الذين رفضوه يقول: «اذهبوا عني». إنها لحظات في عمر الإنسان تقرر مصيره الأبدي والذين تفوتهم ساعة الخلاص المعروضة دائماً «**الآن**»، يطلبونها بعد فلا يجدونها.

«... ألعله مزمع أن يذهب إلى شَتات اليونانيين ويُعلِّم اليونانيين»:

لقد بحَّ صوت المسيح إزاء آذان مسدودة. لقد سبق وردَّ في الآيات السابقة على «**من أين أتى**»، «**ومن هو**» التي كانت علَّة التعرف عليه، وهم علموا أنه يقول عن الله مصدر كيانه ومصدر مجيئه. وهوذا الآن يكمِّل القول أنه ذاهب إلى الذي أرسله، ولكن إلى هناك لا يستطيع أحد أن يتبعه، وهو إن كان معهم الآن فهو إلى زمان قليل للغاية ... ولكن طاشت عقولهم في جغرافية الأرض وإلى أماكن التمشي فيها واستقرت في مواضع اليونانيين. أليس أنه مولود في الناصرة أو بيت لحم وأبوه وأمه عندنا ... فعساه قد قرر أن يغيِّر المواضع والأوطان، إن كان قد عزَّ عليه العودة

إن الجليل. إلى هذا الحد الضيّق القريب انتهت أفكارهم وتأملاتهم وانتهى ذكاؤهم الأحمق. ولكن شيئاً واحداً صادقاً ظل لاصقاً بعقولهم هو أنه ذاهبٌ، لا خوفاً منهم، ولكن رغبة في التعليم، فهو لا يزال في مخيلتهم أنه هو هو «المعلم»، حيث يعلّم هناك شتات اليهود. وهذا الأمر ارتاحت جداً عقول ضباط السنهدريم، فهو وإن كان سيكون نوراً للأمم هناك فهو لا يزال يطلب مجد إسرائيل. على قدر هذا تنبأوا وهم لا يدرون ... ولكن بقي السؤال محيراً لعقولهم: ما هذا القول الذي قال: ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟ وكان على المسيح أن يضع هذا في قلبه ليوضحه لنا شيئاً فشيئاً.

٣ ــ محادثات اليوم الأخير من العيد: (٧: ٣٧ ــ ٥٣).

٧: ٣٧ ــ ٣٩ «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إنْ عطِشَ أحدٌ فلْيُقبِلْ إليَّ ويشرب. مَنْ آمنَ بي كما قال الكتابُ تجري مِنْ بطنِهِ أنهارُ ماءٍ حيٍّ. قالَ هذا عن الروح الذي كان المؤمنونَ بِهِ مزمعينَ أنْ يقبَلُوهُ، لأن يسوعَ لم يَكُنْ قدْ مُجِّدَ بَعْدُ». (١٢)

«وفي اليوم الأخير العظيم من العيد»:

كان العيد سبعة أيام يعيشونها في مظال من فروع الشجر التي تمثل التيه أربعين سنة في المظال في البرية (أنظر شرح الآية ٧: ٢)، أما اليوم الثامن فكان يُعامَلُ كأيام السبوت، فكانت له كرامة السبت، لذلك سُمِّيَ باليوم الكبير أو العظيم، ويمثل عندهم في الذكرى يوم الوصول إلى أرض كنعان. والآن في زماننا هذا يعيِّد اليهود له عيداً خاصاً يُسمونه «الهنوكة» أو عيد الأنوار، وهو يلي عيد الشكر عند الأمريكان. ويُعيِّدون له بإنارة المنارة ذات الشُعَبِ الثماني، حيث تبقى الشعبة الثامنة لتُنار في هذا اليوم.

وفي كل يوم من الأيام السبعة ــ حسب ما سبق ووصفنا ــ كان رئيس الكهنة يذهب باحتفال خاص إلى بركة سلوام ويملأ جرة من الذهب ماءً يصبُّها على مذبح النحاس وقت ذبيحة الصباح، حيث تجري المياه في مجرى خاص من الفضة لتصبَّ في وادي قدرون. وأثناء ذلك يسبحون تسبحة إشعياء النبي مع المزامير (أنظر شرح الآية يو٧: ٢).

(١٢) هذا الفصل (٧: ٣٧ ــ ٥٣) يقرأ في صلاة عشية عيد الخمسين.
ويقرأ في قداس الجمعة السابعة من الخمسين وهي السابقة مباشرة لعيد الخمسين.

أما في اليوم الثامن فتتوقف هذه العملية حيث يُمنع العمل فيه. وقد وجد الرب أن هذه هي المناسبة الوحيدة حيث وقف — و يبدو أنه وقف على مكان عالٍ — ونادى قائلاً:

«إنْ عَطِشَ أحدٌ فَلْيُقْبِلْ إليَّ»:

إن طقس حمل الماء وصبّه على المذبح كان يُمثل خروج الماء من الصخرة في البرية التي شرب منها الشعب(١٣). و بولس الرسول رأى أن هذه الصخرة التي كانت تتبعهم هي المسيح. ولم يكن استدلاله على ذلك من عنده، ولكنه أدرك ذلك بالروح، من موقف الرب في هذا اليوم الثامن بالذات من العيد ليقول، عِوَض ماء الصخرة: «إنْ عَطِشَ أحدٌ فَلْيُقْبِلْ إليَّ ويشربْ». وطبعاً، سبقت السامريةُ أهلَ أورشليم في شُرْبها من هذا الماء الحي عوض ماء بئر سوخار.

كما سبق أن علّم المسيح بذلك في يو٦: ٣٥ في المناسبة التي أوضح فيها **أنه هو المنُّ الحقيقي، خبزُ الحياة،** جسدُه الذي سيبذله من أجل حياة العالم، ليأكل المؤمنون ولا يموتون بل يحيون إلى الأبد: «فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة. مَنْ يُقْبِلْ إليَّ فلا يجوع، ومَنْ يؤمن بي **فلا يعطش أبداً**»، أي أنه هو المنُّ، وهو الصخرة في برية العالم، للأكل الحقيقي والشُرْب الحقيقي. لقد أخذ على عاتقه أن يعولنا في برية هذا العالم حتى نصل إلى الوطن السمائي الدائم بخبزه السرّي للغاية ومائه السرّي لأقصى غاية. فالإرتواءُ منه للقلب العَطِشْ لا يبقى إرتواءً وحسب ولكنه يحوّل الصخرَ إلى نهرٍ، فيصير ينبوعَ إرتواءٍ للآخرين. شيء يفوق عقل العطشان!! أما السر في ذلك فلأن **الإيمان** بالمسيح، الذي هو مصدر الإرتواء، يأتي بالإتحاد بالرب. فالربُّ، حينما نشرب من ملئه، يصير فينا كما هو ينبوعَ إرتواءٍ للآخرين. نفتح فمنا والروح يتكلم، ونتكلم والروح يعلّم، ونعلّم والروح يعمّد، ونعمّد والمسيح يخلق إنساناً جديداً على صورة خالقه في القداسة والمجد. لقد ذهب زمان الحَبَلِ بالأنين والولادة بالوَجَع. فبطن الإنسان، عِوَض أن كانت مقرَّ الخطيئة والموت، صارت عرشاً لله والروح. وعِوَض أن كانت تحبل بالخطية وتلد بالألم والدموع، صارت تحبل بالروح لتجري منها أنهار ماء و ينابيع الفرح للحياة ... والإنسان الذي كان يأكل من تراب الأرض بعرق جبينه ويمزج لقمته بدموعه، صار يأكل خبز الله النازل من السماء و يغمس لقمته في دم ابن الله.

«مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي»:

الكتاب هنا يعود بالسامع والقارىء إلى قصة الصخرة في البرية التي عليها سيبني المسيح كنيسته ويخلق منها الإنسان الجديد على صورته، وهي نفس قراءات مراسيم الهيكل في عيد المظال.

---

(١٣) راجع المدخل ص٢٧٦.

إذ يقرأون فصلاً من سفر الخروج: «ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة **فيخرج منها ماء ليشربَ الشعب**» (خر١٧: ٦). وهكذا لم تعد الصخرةُ صخرةً، بل **ينبوعَ سَقي!**

كما يقرأون فصلاً من سفر العدد: «ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين، **فخرج ماءٌ غزير، فشربت الجماعة** ومواشيها» (عدد٢٠: ١١)، وهنا الصخرة لم تعد صخرة، بل **نهراً يفيض.**

ثم يقرأون فصلاً من سفر التثنية: **«الذي أخرج لك الماء من الصخرة الصوّان»** (تث٨: ١٥)؛ ومن سفر المزامير: **«المحوّل الصخرة إلى جداول مياه، الصوّان إلى ينابيع مياه»** (مز١١٤: ٨)، وهنا الصخرة تتحول إلى جداولَ و ينابيعَ.

وهكذا فليس مثلَ الخاطىء الذي نشفت روحه وجفت مشاعره نحو الله إلاّ الصخرةُ الصوان.

وليس الذي آمن بالمسيح إلاّ هذه الصخرةُ عينها، حينما يمسُّها روح الله لتخرج منها أنهارٌ و ينابيعُ وجداولُ. وسِرُّ الماء والإرتواء يظل هو المسيح وحده!...

وهكذا يستعلن المسيح نفسه في الصخرة، ثم يستعلن عمله في النفس البشرية، مؤكداً أنه هو وحده الذي فيه ومنه الروح والحياة قديماً وجديداً.

«قالَ هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعينَ أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكُنْ قد أُعطي بعدُ، لأن يسوع لم يكُنْ قد مجّد بعد»:

هنا يتدخل ق. يوحنا لكي — من خبرته الخاصة ومن مجرى الأيام والحوادث — يشرح ما التبس في قول المسيح في حينه، إذ كيف تخرج من بطن الإنسان، إذا آمن بالمسيح، أنهارُ ماءٍ حيٍّ والكتاب لم يذكر شيئاً مثل هذا بالنسبة للماء؟ فهذا ظَلَّ في الحقيقة أُحجية ولغزاً، إلى أن حلَّ الروح القدس بعد الصليب والقيامة وانسكب على التلاميذ، فشعروا كيف ينسكب الروح عليهم كالماء ويفيض الروح من قلوبهم وأفواههم كأنهار.

وهنا يتضح قول إشعياء: «لأني أسكب ماءً على العطشان، وسيولاً على اليابسة، **أسكب روحي على نسلك** و بركتي على ذُرِّيتك.» (إش٤٤: ٣)

ونبوة يوئيل: «و يكون بعد ذلك أني **أسكب روحي على كل بشر**، فيتنبأ بنوكم و بناتكم،

ويحلم شيوخكم أحلاماً، و يرى شبابكم رؤى، وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء **أسكب روحي في تلك الأيام**» (يوئيل٢: ٢٨و٢٩)؛ حيث «**السكْبُ**» صفة تختص بالماء. وهو هنا يصف بها عطية الروح القدس.

وإشعياء النبي يصف الماء الذي نبع من الصخرة على هذا المستوى من عمل الروح: «قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب ولم يعطشوا في القفار التي سيَّرهم فيها. **أجرى لهم من الصخرة ماءً وشقَّ الصخرة ففاضت المياه**» (إش٤٨: ٢٠و٢١). وهكذا، كما فاضت المياه من بطن الصخرة، هكذا فاض الروح القدس من بطن الذين شربوا من نعمة المسيح، ولم يتوقف فيضانهم، فصار كنهرٍ جارٍ، جرى هذه السنين كلها ولم يتوقف حتى جرفنا تياره نحن أيضاً في أواخر الدهور.

«لأن الرُّوح القدس لم يكُنْ قد أُعطي بعد، لأن يسوعَ لم يكُنْ قد مجِّد بعدُ»:

نعلم أن انسكاب الروح القدس هو عطية الآب حسب وعد الآب (أع١: ٤)، حتى إن الروح القدس سُمِّي «**روح الموعد**» (أف١: ١٣). وقد ارتبط موعد انسكاب الروح بصعود المسيح وانطلاقه إلى الآب: «إن لم أنطلقْ لا يأتيكم المُعزِّي» (يو١٦: ٧)، فطالما بقي المسيح على الأرض على المستوى الزمني تعطل انسكاب الروح.

أما تمجيد المسيح فهو اصطلاح وضعه ق. يوحنا ليشمل النصرة على الصليب والموت والنصرة على العالم وتكميل العمل الخلاصي الذي آل إلى المجد.

أما مجد الصليب والموت فواضح من قول الرب: «**الآن تمجَّد ابن الإنسان**» (يو١٣: ٣١)، عند أول خطوة في تقرير الموت على الصليب، لحظة خيانة يهوذا.

وأما النصرة على العالم فواضحة من قول المسيح: «الآن دينونة هذا العالم الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو١٢: ٣١)، وذلك في لحظة سماع صوت الآب: «مجدت وأمجد أيضاً.» (يو١٢: ٢٨)

وأما عن تكميل العمل الخلاصي فواضح من قول الرب في صلاته للآب: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتهُ، والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كَوْنِ العالم.» (يو١٧: ٤و٥)

أما مجد الصعود والعودة إلى الآب، فواضح من قول الرب: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني.» (يو١٧: ٢٤)

فكل خطوات ودرجات المجد جمعها ق. يوحنا في قول واحد: «لم يكن قد مُجِّد بعد». وهذا يقيِّم لاهوتياً على أعلى مستوى، إذ نرى أعمال المسيح متحدة في وحدة المجد الواحد. فالقديس يوحنا، بهذا القول الواحد الذي تبرهنه جميع أقوال الرب، يجعل أعمال المسيح الاستعلانية في الموت والقيامة والصعود وحدة مطلقة في المجد ليس فيها ما هو أقل من المجد، الذي تُصوِّره آلامه وتذللاته: «ظُلِمَ أما هو فتذلَّل» (إش٥٣: ٧)، وقبوله الموت كخاطىء، وما هو ممجَّد الذي تصوِّره القيامة، وما هو على مستوى المجد الأسنى في أعلى السموات. بل إن ق. يوحنا يقرر، في واقعية مذهلة، أن جميع صور الآلام والصليب تقف في قوة مجدها وكرامتها على مستوى مجد الجلوس عن يمين الآب سواءً بسواء.

ولتوضيح ق. يوحنا لكلام المسيح وزن عالٍ جداً، فكلام المسيح: «من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي»، هو في ذاته وعد معطَّل، لأن المسيح لم يكن قد صُلب وقام وانطلق إلى الآب، ولم يكن قد انسكب الروح القدس بعد؛ مما جعل وعد المسيح غير المحقَّق موضع سؤال محيِّر، لولا تدخُّل ق. يوحنا بالشرح. فهو تدخُّل إلهامي أنقذ حيرتنا، لأن التلاميذ على سبيل المثال ظلوا **عطاشى** وبلا أنهار تفيض منهم حتى وإلى ما بعد القيامة. ولكن هناك، في يوم الخمسين، بدأ قول المسيح يتحقق ويُفهم.

وق. يوحنا يتدخل، لا ليشرح ما غمض من كلام المسيح، بل ليثبت صدق قول الرب بالدرجة الأُولى.

«الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد»:

وهذا القول في ذاته أيضاً مُحيِّر، لأن في الأصل اليوناني في معظم المخطوطات لا توجد كلمة **«أُعطي»** فهي مُضافة. فكيف أن الروح لم يكن بعد، مع أن الروح عاملٌ في الخليقة وفي التجسد وفي كلام الرب وأقواله وجميع أعماله؟ الحقيقة هنا تختص بنا نحن، بالبشرية التي لم تكن مُهيَّأة بعد أن تتقبَّل الروح القدس وعطاياه إلاَّ بعد أن دخل المسيح إلى الأقداس العليا فوجد لنا فداءً أبدياً(١٤). فالبشرية انتقلت نَقْلات متلاحقة في شخص المسيح وبشريته من تجسُّد، لموت، لقيامةٍ، لصعود، وهي تترقى معه وفيه، ولكنها لم تبلغ كمال استحقاقها لتكون في شركة حقيقية مقدسة مع الله والمسيح إلاَّ بعد أن تراءى المسيح أمام الآب، وهو لابسٌ بشريتنا، وجروحُه فيه كحَمَلٍ أُكملت ذبيحته، فكَمَّلَ بذلك **فداء** الإنسان وتصالُحه مع الآب. لذلك ظل الروح القدس معطَّلاً

(١٤) راجع المدخل ص٢٨٤ــ٢٨٥.

عن انسكابه على الإنسان، حتى أكمل المسيح في نفسه المصالحة النهائية مع الآب، واستعاد الابن كلَّ مجد الله كابن، فانفتح الطريق المُغْلَق والمحروس بلهيب نار الشاروبيم إلى قلب الآب ونعمته، فصار دخولنا إلى الآب بلا مانع. عندئذ انسكب الروح القدس ليعطينا كل ما اكتسبه المسيح لحسابنا: «يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو١٦: ١٤)

وبذلك يلزمنا أن نفهم أن علاقة تمجيد المسيح بمجيء الروح لا تتعلق بشخص المسيح في حد ذاته، وهي لا تنصبُّ على طبيعة المسيح بالتالي وكأنه كان ينقصها المجد، بقدر ما تنصبُّ على طبيعتنا نحن. فتعذُّر مجيء الروح القدس قبل أن يُكمِّل المسيح مجده أمر يختص بطبيعتنا نحن بالدرجة الأُولى؛ إذ قبل أن يكمِّل المسيح **أعمال** الخلاص من نحونا ــ التي هي أعمال تمجيده ــ لم نكن نحن مؤهَّلين لمجيء الروح القدس.

٧: ٤٠ــ٤٤ **«فكثيرونَ من الجمع لما سَمِعُوا هذا الكلامَ قالوا: هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. آخرونَ قالوا: هذا هو المسيحُ. وآخرونَ قالوا: ألعلَّ المسيحَ من الجليلِ يأتي؛ أَلَمْ يقل الكتابُ إنه من نسلِ داودَ ومن بيتِ لحمِ القريةِ التي كان داودُ فيها يأتي المسيحُ. فحدث انشقاقٌ في الجمع لسببه. وكان قوم منهم يريدون أن يُمسكوه ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه الأياديَ».**

انقسم السامعون إلى ثلاثة أقسام:

فالبعض رأوا في المسيح تحقيق نبوة موسى كما جاءت في سفر التثنية (١٨: ١٥)، وبذلك تحقق لهم الرجاء على مستوى الأمة للخلاص السياسي. وللأسف، فإن المسيح لا يمثل هذا الرجاء الدنيوي، فهو حقاً جاء على مستوى النبوة، كما شرح ذلك بإسهاب بطرس الرسول في خطابه في سفر الأعمال في الأصحاح الثالث (٢٠ــ٢٦) ــ ونرجو القارىء الرجوع إليه ــ ولكن ليس لردِّ الأمة من عبوديتها للرومان أو لإنزال المن من السماء، ولكن «لردِّ **كل واحد** منكم عن شروره»؛ فهو خلاص فردي وروحي وليس خلاص أمة وسياسة.

أما البعض الآخر فوجد فيه المسيَّا، ودليله الآيات التي صنعها أمامهم. فهو مسيَّا المعجزات في نظرهم الذي يمثل القوة الخارقة لمزيد من البركات الدنيوية والجسدية. وللأسف أيضاً فإن المسيح لم يجيء ليصنع آيات، بل لتكون آياته وأعماله كلها آية تشير إلى شخصه كابن الله وإلى طبيعته الإلهية التي منحها للإنسان عامة: ليرفعه إلى خليقة جديدة جديرة بالموطن السماوي.

أما البعض الثالث فقد وقفت أمامه العثرات والعقبات التي فرضتها تعاليم الربيين أمامهم، فجعلتهم يتركون كل ما قاله وعمله المسيح جانباً ليبحثوا عن مولده وموطنه. وق. يوحنا يسجل لهم نتائج فحوصاتهم، إذ رأوا أنه لا ينبغي أن يأتي المسيح من الجليل بل يتحتم أن يأتي من بيت لحم كأقوال الأنبياء. وهنا يهدف ق. يوحنا من تسجيله الحرفي لأقوالهم هذه إلى هدفين:

الأول: وهو الأبسط في نظره، أنهم يجهلون تاريخ المسيح ــ لأنه وُلد فعلاً في بيت لحم ــ وجاهلون في تأكيداتهم ــ لأنهم يبحثون عن الظاهر.

أما الهدف **الثاني:** وهو الأعظم والأخطر، فإن ق. يوحنا يرى أنه حتى ولو صحَّت أبحاثهم أنه ولد في بيت لحم فإن ميلاده في بيت لحم لا يشير ولا يؤكد من أين جاء المسيح على مستوى الإرسالية وعلى مستوى الوطن الحقيقي وعلى مستوى الطبيعة التي جاء بها: «تعرفونني وتعرفون من أين أنا، ولكن من نفسي لم آتِ بل الذي أرسلني هو حقٌّ الذي أنتم لستم تعرفونه» (يو٧: ٢٨). وهذه هي المبادىء الأساسية التي نهج عليها ق. يوحنا في إنجيله فلم يذكر قصة ميلاده أصلاً، لأنه اهتم بموطنه السمائي.

٧: ٤٥ــ٥٣ **«فجاء الخُدَّام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم: لماذا لم تأتوا به. أجاب الخُدَّام: لم يتكلم قط إنسانٌ هكذا مثل هذا الإنسان. فأجابهم الفريسيون: ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم، ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به، ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون. فقال لهم نيقوديموس الذي جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم: ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل. أجابوا وقالوا له: ألعلك أنت أيضاً من الجليل. فتش وانظر. إنه لم يَقُمْ نبيٌّ من الجليل. فمضى كل واحد إلى بيته.**

٨: ١ **أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون».**

عادت حملة الضباط (البوليس) إلى السنهدريم المنعقد بحضور بعض الفريسيين المختارين ورؤساء الكهنة دون أن ينفذوا أمر المجمع بالقبض عليه. وكان السبب المباشر أنهم فعلاً لم يستطيعوا ذلك.

أولاً، لأنهم شعروا بقوة الرب الطاغية التي حلَّت أوصالهم، فلم يستطيعوا الإقدام على القبض عليه.

ثانياً، لأن الرأي الشعبي أمامهم كان معظمه منحازاً للمسيح، وكان من الخطورة أن يُقْدِمُوا

على هذا العمل.

أما العذر الذي قدّموه فكان في حقيقته تحدياً لأوامر السنهدريم، لأن معناه أن هذا ليس إنساناً عادياً يليق به القبض عليه!! و يلاحظ القارىء التأكيد على نفي الوضع العادي **للإنسان** بالنسبة للمسيح في الكلام: «لم يتكلم قط **إنسان** هكذا مثل هذا **الإنسان**». فقوة الكلام هنا منصبَّة على **هذا الإنسان** أنه **ليس إنسانٌ مثله**، وثانياً على الكلام الذي سمعوه أن **ليس كلامٌ قط سُمع من إنسان مثل هذا الكلام!!** وهذا في الواقع يسجله ق. يوحنا ليكشف الرأي الرسمي لبوليس السنهدريم الذي يعتمد في تقريره على صدق الحالة أمامه والذي يحمل معنى حقيقة المسيح في شخصه: «ليس إنساناً» وفي كلامه «ليس كلاماً قط لإنسان».

أما رد الفريسيين الذين أخذوا المبادرة في الكلام وليس رؤساء الكهنة، وذلك طبعاً بسبب توترهم الأعمى الذي يوقعهم دائماً في الخطأ حتى ضد القانون والناموس الذي يدّعون حمايته، فكان قولهم:

«ألعلكم أنتم أيضاً ضللتم»:

هنا الإتهام الموجه للضباط يصيب هدفين: **الأول**، أنهم خالفوا أوامر السنهدريم الصريحة بالقبض عليه دون فحص. **والثاني**، أنهم انحازوا إلى صفِّه وأيَّدوا صحة كلامه، و بالتالي عدم صحة الأمر بالقبض عليه. ولم يكن أمام الفريسيين المتسرعين في الإتهام وفي إصدار الأوامر إلاَّ أن يقدموا برهاناً واهياً جداً للدفاع عن أنفسهم أمام إصرار الضباط على عدم صحة قرار القبض عليه ألاَ وهو أن يلوذوا بتقديم أعذار واهية أن أحداً من الرؤساء أو الفريسيين لم يؤمن به. وواضح أن هذا العذر يخرج عن مستوى مسئولية الضباط ولا يدخل في اختصاصات هيئة البوليس.

ولكن شعور الفريسيين بالكراهية والحقد ضد المسيح جعلهم ينقلبون على الشعب الذي انحاز إلى المسيح والذي سبَّب فشل مهمة الضباط في القبض على المسيح، فخرج السخط من أفواههم باللعنات على الشعب المسالم.

«ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون»:

ومعروف أن طبقة المتعلمين من الكتبة والفريسيين والناموسيين، وهم المتشددون بحرفية الناموس والمترفِّعون بعلمهم، ومعهم الصدُّوقيون (كهنة ورؤساء كهنة) وهم الطبقة الأرستقراطية المترفِّعة بوظائفهم (الإلهية)، كانوا جميعاً ينظرون إلى الشعب المسالم غير المتعلم بنظرة الإحتقار الشديد باعتبارهم «مساكين الأرض»، كغنم تُساق بالعصيِّ، يُشرَب لبنها و يُنتَف صوفها وتُسام

كما تُسام البهيمة لهوى صاحبها. كما كان الشعب الذي لا يدرس الناموس ويمارسه بحرفيته ــ في نظرهم ــ ملعونٌ، وذلك حسب حرفية أحكام الناموس والعمل به. وطبعاً العيبُ عيبُهم، لأن نقص التعليم والجهالة ليست هي خطية الجاهل بل خطية المتعلم. ويكفي للتدليل على ذلك تعليم الربيين عن عدم استحقاق المرأة نهائياً لنوال أي تعليم عن الناموس(١٥). أما هذا العذر الذي قدّمه هؤلاء الفريسيون بأن أحد الرؤساء أو الفريسيين لم يؤمن به، وهذه اللعنات التي صبَّها هؤلاء الفريسيون على الشعب، لم ترُقْ لأحد الأعضاء الحاضرين لأنه كان يؤمن بالمسيح، ولكن خِفْيةً، وهو نيقوديموس «معلّم إسرائيل» (يو٣: ١٠)، الذي زار المسيح ليلاً. ويبدو أنه كان يتودد إلى المسيح، وكان صديقاً للقديس يوحنا، وقد اعترف للمسيح وكثيرون معه بأنه **«من الله»**: «يا معلم نعلم أنك أتيت من الله» (يو٣: ٢). لذلك انتهز نيقوديموس هذه الفرصة للرد على هؤلاء الفريسيين ردًّا أردعهم في الحقيقة، إذ أوضح لهم بطريق غير مباشر أنهم هم **الذين لا يعملون بالناموس**، أو بالحري ــ وبحسب أسلوب ق. يوحنا ــ هم المستحقون اللعنة وليس الشعب الذي انحاز للمسيح.

«ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل»:

وبهذا القول يكون نيقوديموس قد انحاز للضباط الرافضين لصحة قرار القبض، وبطريق غير مباشر ساند المسيح إنما بالطريق القانوني.

٧: ٥٢و٥٣ **«أجابوا وقالوا له: ألعلَّك أنت أيضاً من الجليلِ. فتِّش وانظرْ. إنه لم يَقُمْ نبيٌّ من الجليلِ. فمضى كلُّ واحدٍ إلى بيتِهِ.**

٨: ١ **أما يسوعُ فمضى إلى جبلِ الزيتونِ».**

لم يستمعوا للنصيحة القانونية حسب الناموس، بل حثَّهم غضبهم أن ينقلبوا على نيقوديموس أيضاً فأسندوا إليه جهالة الجليليين (الفلاحين)، وعن طريق خفي ألحقوا به عاراً أن يكون من أتباع المسيح لأنه يحاول الدفاع عن واحد منهم. وهذا يوضح مدى الشطط الذي اندفعوا فيه. ثم زوَّروا الحقيقة حينما قالوا: **«لم يَقُمْ نبي من الجليل»**. وكأنهم أقاموا أنفسهم حُكَّاماً على العناية الإلهية يربطونها حينما أو حيثما شاءوا؛ علماً بأن نبياً مرموقاً، وهو يونان، كان من «جتّ حافر»

(١٥) يذكر المعلم المشهور رابي إلعازر هذا القانون المستقر عند معلمي الناموس:

[أي رجل يعطي ابنته أي معرفة عن التوراة يكون بمثابة أنه يعلمها الدعارة].

أنظر أيها القارىء وتعجَّب وتألم!! ارجع لكتاب: «شرح إنجيل يوحنا»، للعالم ليون موريس **Leon Morris**، ص ٢٨٤.

بالجليل، فهو من سبط زبولون وهم سكان الجليل الأصليون (٢مل١٤: ٢٥). ولكن — بلغة ق. يوحنا وأسلوبه — حتى ولو لم يكن قد قام نبي من الجليل، فهذا لا يمتُّ إلى قضية ابن الله في شيء، وهو الذي نزل من السماء وبقي هناك «ابن الإنسان الذي هو في السماء». وما كان الجليل ولا كانت اليهودية إلا «**موطئاً لقدميه**».

مدينة على بحر الجليل

الأصحاح الثامن

الأصحاح الثامن

استعلان طبيعة المسيح «النورانية»
«أنا هو نور العالم»

ويشمل هذا الأصحاح :

١ ــ المرأة الخاطئة : (٨ : ٢ــ ١١).

٢ ــ حوار المسيح مع اليهود :

أ ــ «أنا هو نور العالم» : (٨ : ١٢ــ ٢٠).

ب ــ «أنا هو» : (٨ : ٢١ــ ٢٩).

ج ــ «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» : (٨ : ٣٠ــ ٥١).

د ــ المسيح وإبراهيم : «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» : (٨ : ٥٢ــ ٥٩).

مكان البشارة
ثامناً (تابع):
في أورشليم
في عيد المظال

الأصحاح الثامن
١ ــ المرأة الخاطئة
(٨: ٢ــ١١)

يفتتح ق. يوحنا الأصحاح الثامن بحادثة المرأة التي أمسكت وهي تُخطىء، و يبدو أن القصة في ظاهرها لا تتمشى مع سياق أحاديث المسيح في الهيكل، و يعترض العلماء على وضع هذه القصة هنا في هذا الموضع من إنجيل يوحنا، كما يعترض البعض الآخر على خروج هذه القصة ــ من حيث صياغة الكلمات اليونانية والظروف المحيطة بالحديث ــ عن أسلوب ق. يوحنا، وخاصة لورود اسم «**الكتبة**» مع الفريسيين، وهو لقب لم يستخدمه ق. يوحنا في إنجيله قط، وكذلك ورود «جبل **الزيتون**» وذِكْر الرب أنه كان يعلّم وهو «**جالس**» ... إلخ.

ولقد انقسم الآباء الأوائل ما بين مؤكد لصحة الرواية ولورودها في مكانها الصحيح أمثال: القديسين «**جيروم**» و«**أُغسطين**» و«**أمبروسيوس**» وكثير من آباء الكنيسة الغربية، على أساس ورود القصة بوضعها في نسخة الفولجاتا، وهي النسخة اللاتينية التي تقول إنها وُجِدَتْ في كثير من المخطوطات اليونانية وأنها تُقرأ في عيد القديسة بيلاجية في ٨ أكتوبر من كل عام.

و يكشف هؤلاء الآباء عن سبب غياب هذه القصة في المخطوطات الأخرى، وهو خوف الآباء الأوائل من استخدام هذه القصة كمشجّع للإنحلال الخُلقي مما حدا بهم إلى حذفها من نسخ بعض المخطوطات (أُغسطين، «ضد بيلاجيوس»، ٢: ١٧).

وقد وُجدت هذه القصة في المخطوطات الأكثر قدماً وهي النسخة الممفيسية: Memphitic version والنسخة الحبشية والنسخ الأرمنية. و يقرر العالم جرايزباخ Greisbach أنه وجدها بحالها في مائة مخطوطة، و يعود العالم ألفورد Alford و يقول إنه وجدها في ثلثمائة مخطوطة وخاصة النسخ اللاتينية، وهي التي لجأ إليها في الشرح كلٌّ من أمبروسيوس وأُغسطين وجيروم.

و يلاحظ الباحث أن الآباء الشرقيين كانوا هم الأكثر تحفظاً وامتناعاً، بل وحضّاً للإمتناع عن الخوض في شرح هذه القصة أو الرجوع إليها أو حتى ذكرها بالمرة، بل وقد لجأ البعض إلى جحد صحة هذه القصة برُمَّتها سواء بسبب اعتراضات خارجية في القصة أو اعتراضات جوهرية أخلاقية. والذين جحدوا هذه القصة أو صمتوا إزاءها هم: أوريجانوس و يوحنا ذهبي الفم وكبريانوس. ومعروف أن أوريجانوس كان مُحَارَباً جنسياً إلى الدرجة التي فيها خصي نفسه بنفسه، لذلك فإن حذفها من شرحه لإنجيل يوحنا له ما يبرِّره من ظروفه الخاصة. ويوحنا ذهبي الفم كان مضَّطَهَداً على مستوى اضطهاد المعمدان بسبب التعليق على خطية الزنا، لذلك فإن حذف هذه القصة من تفسيراته يتمشى مع ظروف حياته وخدمته أيضاً.

ولكن الذي يقطع بصحة هذه القصة وورودها بحالها في الإنجيل هو ورودها في كتاب **تعاليم الرسل** .Apost. Const (٢ : ٢٤)، وذلك في سياق صحة وضرورة قبول عودة الخطاة التائبين إلى الكنيسة، الأمر الذي كان بعض المتعصبين وضيّقي العقل يعلِّمون ضدّ ذلك، مما كان يمكن أن يؤدي إلى تفكُّك الكنيسة كلها. وقد أورد كتاب «تعاليم الرسل» القصة بكلماتها.[1]

المرأة الخاطئة:

٨ : ١ــ٦ **«أما يسوعُ فمضى إلى جبلِ الزيتونِ. ثم حضرَ أيضاً إلى الهيكلِ في الصُّبحِ وجاءَ إليهِ جميعُ الشعبِ فجلسَ يعلِّمهم. وقَدَّمَ إليهِ الكتبةُ والفريسيونَ امرأةً اُمسكت في زناً. ولما أقامُوها في الوسطِ، قالوا له يا مُعَلِّم هذه المرأةُ اُمسكت وهي تزني في ذاتِ الفعلِ، وموسى في الناموسِ أوْصانا أن مثلَ هذه تُرْجَمُ. فماذا تقولُ أنتَ؟ قالوا هذا ليجرِّبُوهُ لكي يكونَ لهم ما يشتكُونَ بِهِ عليهِ».**

«جبل الزيتون»:

ذهاب المسيح إلى جبل الزيتون كان أمراً معتاداً وذلك للصلاة هناك. وقد كان هذا محور قصة التسليم. وقد تعرف يهوذا على المكان بسبب اعتياد الرب قضاء الليالي مُصلِّياً هناك: «وكان في النهار يعلِّم في الهيكل، وفي الليل يخرج و يبيت في الجبل الذي يُدْعَى جبل الزيتون، وكان كل الشعب **يبكِّرون** إليه في الهيكل ليسمعوه» (لو٢١: ٣٧و٣٨). علماً بأن بيت عنيا التي كان يلجأ إليها الرب للراحة في بيت مريم ومرثا كانت خلف تلك التلال من جهة الشرق. وكان بستان

[1] Reynolds, H.R., *op. cit.*, pp. 312-316.

جثسيماني على منحدرات الجبل المواجهة لأُورشليم.

وأما مجيئه إلى الهيكل في «الصباح **الباكر**» ὄρθρου أي «مبكراً»، **فهي كلمة سقط معناها** في الترجمة العربية ـــ فهذا كان اعتياد الرب في الخدمة.

وجلوس الرب أثناء التعليم هو من اعتياد كبار المعلمين، إذا كانت التعاليم تمتد إلى أوقات طويلة.

وذِكْرُ كلمة «**الكتبة**» مع «الفريسيين» ليس أصلاً من استخدام ق. يوحنا وهي تخصيص للجماعة المدققة، ويُكْتَفى عن الاثنين في إنجيل يوحنا عادة بـ «**اليهود**». وقد اعتنى هؤلاء المكدَّرون أن يزعجوا الجمع الملتفّ حول المعلم بهذه القضية الخاصة بهذه المرأة كحيلة مدبَّرة، والتي غالباً كانت جاهزة ومحجوزة لرفعها للجهات القضائية المختصة، ولكنهم أحضروها في الصباح للشَّوْشرة ولاستخدامها كوسيلة ليستخلصوا من المسيح حكماً منافياً للناموس يكون نواة للشكوى عليه. والقضية بالصورة التي قدموها للمسيح ناقصة ومبتورة. فالفاعل الأصلي مع المرأة غير موجود، والشهود غير موجودين، وهم الذين يلزم أن يكونوا اثنين على الأقل، مع زوج المرأة إذا كانت متزوجة.

وأحكام الناموس بمقتضى هذه الحالات هي كالآتي:

«إذا زنا رجل مع امرأة: فإذا زنا مع امرأة قريبه فإنه يُقتل، الزاني والزانية» (لا ٢٠: ١٠)، وهما حالتان متساويتان غير أن الحالة الثانية تعتبر «**فعل فاضح**».

«إذا وُجِد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجةِ بعلٍ يُقتل الاثنان، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة.» (تث ٢٢: ٢٢)

«إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجلٍ فوجدها رجلٌ في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة والرجل من أجل أنه أذلَّ امرأة صاحبه.» (تث ٢٢: ٢٣و٢٤)

«ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها، يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده. وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً. ليس على الفتاة خطية للموت.» (تث ٢٢: ٢٥و٢٦)

«إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجِدا، يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلَّها. لا يقدر أن

يُطلِّقها كل أيامه.» (تث ٢٢: ٢٨و٢٩)

وقد أورد هؤلاء المنكِّدون سنداً قانونياً لا يمكن أن يفلت منه القاضي بأي حال من الأحوال، وهو حدوث القبض على الزانية «**في ذات الفعل** ἐπ’ αὐτοφώρῳ» والذي يُسمَّى في القضاء: In ipso furto، وبالعربية: «**حالة تلبُّس**».

وهكذا قدَّم هؤلاء المنكِّدون هذه القضية على حالها وتركوا للمسيح أن يختار الحكم القضائي في مقابل اختيارهم هم الرجم بحسب الناموس.

وفي الحقيقة حاول كثير من العلماء إقصاء هذه القصة برُمَّتها من إنجيل يوحنا لعدم توافقها مع أسلوب الإنجيل، علماً بأن ق. يوحنا أوردها كعادته كآية مخفية غاية في الأهمية والخطورة، إذ يُبْرز هنا ق. يوحنا الصورة الحقيقية التي كانت في ذهن الكتبة والفريسيين عن مستوى المسيح التشريعي والقضائي؛ ومن ناحية أخرى يُبْرز المسيح باعتباره المشرِّع الجديد الذي بحكمه وقضائه سيلغي حالاً وفي جملة واحدة غير مباشرة كل شريعة موسى القضائية القائمة على البيِّنة والملابسات، **والتي أهملت تماماً حكم الضمير، والباعث الأخلاقي، وتقوى الشهود ونزاهة القاضي!! وإني في الحقيقة لأتعجب كل العجب كيف يحدث هذا الهجوم المكثَّف من بعض الآباء والعلماء على هذه القصة التي قضت بعجز التشريع والقضاء الموسوي واستحدثت للقضاء المسيحي مستوى عالٍ من الاستنارة الروحية والأخلاقية وتقديس حق الحياة للخاطىء؟**

وعلى القارىء أن يتبصَّر معي في مطلب هؤلاء المتعطشين لسفك الدم، المطالبين بحياة امرأة هي إنسان له حق الحياة كما لهم. واعتمادهم الوحيد في هذا السلوك الدموي اللاإنساني هو ناموس موسى! ولم يكْفِهِمْ هذا المطلب القاتل الذي بيَّتوا له لهذه المرأة التي وقعت في أيديهم، بل استخدموه أسوأ استخدام لتلفيق تهمة قتل أخرى أضمروها وأحكموا التمهيد لها لاصطياد المسيح ذاته ...

وليلاحظ القارىء، إذا تبصَّر في نيَّة هؤلاء القتلة، مقدار إحكام الفخ الذي وضعوه للمعلم لأنه:

إن حَكَمَ المسيح بحسب الناموس القائم على الحرف والدينونة، فقُتلت المرأة أمام عينيه وبحُكْمٍ منه، يكون قد انحرف انحرافاً هائلاً عن مستوى الحب والرحمة والفداء الذي جاء ليرفعه عالياً كمعيار للحياة الجديدة بكل مقوماتها، سواء من جهة الأخلاق العامة أو السلوك أو الخدمة أو التشريع أو القضاء. فالمسيح رفع الرحمة فوق العدل، وجعل المحبة الينبوع والمصبَّ، وأسَّس عمل

لتوبة ليحتوي كل يأس الإنسان.

وإن هو حكم بمقتضى الحب والرحمة، يكون قد تجاهل الناموس بنفس الجهالة التي في قلوب هؤلاء الأدعياء الذين يرونها أنها هي هي الناموس الأقدس القائم — في أذهانهم — على الحرف القاتل، و يكون المسيح بذلك مستحقاً للقتل!! علماً أنهم يضعونه هنا في مأزق، لأنه سبق وقال إنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمّله!! (مت٥: ١٧)

والذي يلزم أن ننتبه إليه في هذا المضمار التشريعي والقضائي الذي أُقحم فيه المسيح، أن المسيح سبق أن قال، وسيعيد القول: «إني لم آتِ لأدين العالم بل لأخلّص العالم» (يو٣: ١٧، ١٢: ٤٧)؛ و بالمعنى الأبسط أنه جاء ليُبرئ الخاطىء لا ليقتله، وهو سيبرئه على حساب نفسه، إذ سيدفع هو ثمن خطيته من دمه. فإن كنا سنسمع منه حالاً حكم براءة مُذهل لهذه المرأة الخاطئة الحقيرة: «أنا لا أدينكِ، اذهبي ولا تخطئي أيضاً!!»، فهذا حكم قائم على دفع غرامة فادحة: حياة بحياة ونفس بنفس. لقد فداها المسيح قبل أن يعطيها البراءة — لقد حكم على نفسه بالقتل ليبرئها!! — إنه قاضٍ، نعم قاضٍ، ولكنه محامٍ بآنٍ واحد، وليس محامياً فقط بل وأب، بل وحبيب يكره الخطية ولكنه يحب الخطاة.

٨: ٦–٩ **«وأما يسوعُ فانحنى إلى أسفلُ وكان يكتبُ بأصبعِهِ على الأرضِ. ولما استمرُّوا يسألونَهُ، انتصبَ، وقال لهم: مَنْ كان منكم بلا خطيةٍ فليَرْمِها أولاً بحجرٍ. ثم انحنى أيضاً إلى أسفلُ وكان يكتبُ على الأرضِ. وأما هم فلما سمعوا، وكانت ضمائرُهم تبكِّتهم، خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخِرين، وبقي يسوع وحدَهُ والمرأة واقفةٌ في الوَسَطِ!»**

أمام حماس هؤلاء المتكدّين المتربّصين للقتل والإيقاع بالمسيح، انحنى الرب في هدوء و بدا كمن يكتب على الأرض بأصبعه وكأنه غير مُبالٍ بحمسهم. وقد اصطنع الرب هذا الموقف ليفلّ من غلوائهم، ويمهد للدخول داخل ضمائرهم. ولكنهم استمروا يطالبونه بالجواب و بإلحاح، فما كان منه إلاَّ أن انتصب فجأة ليستحضر انتباههم و بادرهم بالحكم: **فهو موافق على ناموس موسى** تماماً، لأنه لم يأتِ لينقضه، ولكنه جاء **ليكمّل ما نقص فيه وفيهم**، ليصير **«ناموس الكمال»** وليس ناموس موسى بعد. فلكي يُرجم الخاطىء بحسب نص ناموس موسى يلزم أن يكون مَنْ ينطق بالحكم، ومَنْ ينفّذ الحكم، لم يأتِ الخطية، وإلاَّ يكون هو الأوجب بالرجم والموت: «مَنْ كان منكم **بلا خطية فليَرْمِها أولاً بحجر**».

فلما واجههم بالحق الذي في روح الناموس **واشترط على من ينفذ الناموس أن يكون على مستوى الناموس،** وهذا حق وعدل لا يختلف عليه اثنان، خرجوا من ساحة المحكمة التي أقاموها بأنفسهم، الواحد بعد الآخر، لأن ضمائرهم كانت تبكِّتهم. لأنه **من ذا الذي يستطيع أن يتصور أن خاطئاً يتحمل دم خاطىء أمام الله؟** لقد أصابتهم الرعبة أمام عيني المسيح التي اخترقت ضمائرهم، بل عظامهم، وكان تأثير كلام المسيح على الشيوخ شديد الوطأة لأنهم لم يكونوا أفضل من قضاة سوسنة في سفر دانيال(٢). لقد تخلَّوا عن فريستهم بين يديه، بل وتركوه هو أيضاً بعد أن بيَّتوا أن يكون هو فريستهم الأخرى.

٨: ١٠و١١ **«فلما انتصَبَ يسوعُ ولم ينظرْ أحداً سوى المرأةِ قال لها: يا امرأةُ أين هم أولئك المشتكونَ عليكِ. أما دانكِ أحدٌ. فقالت: لا أحدَ يا سيدُ. فقال لها يسوعُ: ولا أنا أدينُكِ. اذهبي ولا تُخطِئي أيضاً».**

«أين هم أولئك المشتكون عليكِ. أما دَانَكِ أحدٌ. فقالت: لا أحد يا سيد»:

لقد خسر هؤلاء المشتكون قضيتهم واستقالوا كقضاة وتركوا منصتهم. فالمشتكون صاروا تحت الشكوى عينها والقضاة فقدوا صلاحيتهم، لأنهم صاروا تحت الدينونة. فإذا وضح أن الناموس هكذا أصبح بلا قضاة في إسرائيل فقد بطل الناموس!!

وهكذا عرَّى المسيح كُلًّا من الناموس والناموسيين، فالناموس صارم وأساسه «**رفع الشر**» أي **إبطال الخطية،** ولكن وضح أنه لا يوجد مَنْ يستطيع أن يحكم به لأنه لا يوجد مَنْ هو بلا خطية حتى يستطيع أن **يرفع الشر** من إسرائيل أو **يُبْطِلَ الخطية!**

إذن، الناموس ــ بحد كلماته ــ يحكم على الخاطىء ويدين الخطية، **ولكن لا يستطيع أن يبطل الخطية.** وهذا أول عمل استعلاني عمله المسيح إزاء الناموس، **لقد استعلن عجزه باستعلان عجز كلِّ مَنْ يحكم ويدين به، لأنه إذا حكم أي قاضٍ على الخاطىء أو أدانه، وهو نفسه خاطىء، يحكم ويدين نفسه بآن واحد.** هذا القانون المسيحي يذكره القديس بولس ــ شيخ الفريسيين ــ الذي يعلم ما هو الصحيح في الناموس حقاً: «لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان، كلُّ مَنْ يدين، لأنك **فيما تدين غيرك تحكم على نفسك،** لأنك **أنت الذي تدين تفعل**

(٢) ارجع لقصة سوسنة في كتاب: «الأسفار القانونية الثانية»، حيث تجدها في آخر سفر دانيال النبي ــ وتُقرأ هذه القصة ضمن قراءات سحر سبت النور في نهاية أسبوع الآلام.

تلك الأمور بعينها ... أَفتظنُّ هذا، أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله.» (رو٢: ١و٣)

كما كشف المسيح نقص الناموس الخطير في كونه يحكم بحسب الظاهر والمنظور، و يتجاهل عن عَمْدٍ ما في الباطن والضمير، وذلك إزاء حكم المسيح الذي اعتمد اعتماداً قوياً على **حكم الضمير**، والذي ثبت أنه قادر أن يلغي حكماً بالإعدام ثابتاً على يد شهود عيان.

وهكذا حينما وقف المشتكون ــ والحجارة في أيديهم في لهفة لتنفيذ حكم الموت في هذه النفس الخاطئة ــ أيقظ المسيح ضمائرهم، فرأوا فجأة أنهم واقعون في نفس الفعل الذي يدينونه، فألقوا الحجارة من أيديهم، وخرجوا من ساحة قضاء الناموس، وتركوا الخاطئة للمسيح!! بل وتركوا المسيح أيضاً، إذ ذابت نفوسهم فيهم.

و يقول في هذا القديس أُغسطين:

[و بقي اثنان: المرأة التعسة (بل السعيدة) في مواجهة الرحمة المتجسدة.](٣)

و بذلك أصبح المسيح ــ وبموافقة القوّامين على الناموس ــ أنه هو وحده القادر أن يحكم على الخاطىء و يدين بمقتضى الناموس لأنه هو وحده والوحيد الذي بلا خطية! ولكن لكي تظهر رسالة المسيح واضحة كل الوضوح قال: «**ولا أنا أدينُكِ**». ولماذا لا يدين؟ وأين الناموس؟

لقد أدان المسيح نفسه وأكمل حكم الناموس في نفسه عنا وعن هذه الخاطئة، وتقبَّل عن كل خطاة الأرض حكم الموت؛ فأصبح الوحيد الذي له حق التبرئة، فهو يبرىء الخاطىء والفاجر، لأنه دفع دمه ثمناً **لخطية** الخاطىء **وفُجْر** الفاجر، كان مَنْ كان. لهذا يقول بولس الرسول: «وأما الذي لا يعمل ولكن **يؤمن بالذي يبرِّر الفاجر** فإيمانه يُحْسَب له برًّا.» (رو٤: ٥)

وهنا يقول القديس أُغسطين أيضاً:

[لأنك فيَّ، أصبحت بلا خطية.](٤)

[و بقول المسيح «اذهبي ولا تخطئي أيضاً» فقد أدان الخطيَّة ولكن برَّأ الخاطىء.](٥)

---

[3] Tract. 33.5. *op. cit.*, p. 198.

[4] Ibid.

[5] Ibid., p. 199.

وحينما مات المسيح على الصليب عن الخطاة، أكمل كل مطالب الناموس وأحكامه ضد كل الخطاة. فحفظ للناموس كرامته، وأرسل كلُّ محافظ قضاياه للحفظ في دار مخازن رحمة الله. و بذلك يكون المسيح قد أنشأ بموته ناموساً آخر فوق ناموس موسى. فناموس موسى يحكم و يدين على أساس ثبوت الخطية، فالخطية هي قوة الناموس حيث تتنوع قوانين الناموس على أساس تنوع الخطية. فجاء المسيح ورفع الخطية بكل أنواعها بموته، وأبطلها بكل أشكالها نهائياً بذبيحة نفسه، فصار ناموس موسى بلا قوة، وتعطلت كل بنوده وقوانينه ونحّى قضاته. ألم يحدث هذا فعلاً أمام المسيح حينما خرج القضاة المشتكون بمقتضى الناموس؟ أما تنحّى القضاة؟ فانخفضت هامة الناموس وارتفعت هامة المسيح! فتجلَّت محبة الله ورحمته في قوة ذبيحة المسيح. **فإن كانت قوة ناموس موسى هي الخطية لحكم الموت، فقد صارت قوة ناموس المسيح هي النعمة للبراءة. وهكذا حكمت النعمة في المسيح عوض النقمة في الناموس.** وعلى هذا الأساس قال المسيح للمرأة المرتجفة تحت نقمة الناموس، «**ولا أنا أدينك**، اذهبي ولا تخطئي أيضاً».

وللقارىء أن يتعجب كيف خرج المسيح من هذه القضية الشائكة المميتة وقد **برَّأ المرأة، وأدان المشتكين، وزكّى ناموس موسى، واحتفظ له بكرامته، وأخيراً أرسى قواعد ناموس النعمة والحياة.**

«اذهبي ولا تخطئي أيضاً»:

كلمة «**اذهبي**» بالمفرد، هي نفسها تأتي بالجمع («"اذهبوا" بسلام»)، والتي تُقال في نهاية الليتورجيا أي الصلاة العامة أو الإفخارستيا؛ وتسمى "Missa" وهي الإذن للمصلّين بالخروج من حضرة الله محمَّلين بالبركة. وهذه الكلمة تحمل بالفعل قوة إلهية للحفظ والرعاية من لدن الله القدير وكأن المسيح يدعو لها بالحفظ. و يكفي توضيحاً لذلك أن نتذكر أن هذه المرأة الخاطئة قد انتقلت من حكم الموت إلى حكم الحياة، ومن لعنة الناموس إلى رحمة المسيح.

كما يُلاحَظ أنه قبل أن يقول لها المسيح: «**لا تخطئي أيضاً**»، قال لها «**اذهبي**»، محمَّلة بقوة براءة أو تبرير من عنده، هي لا تستحقها بسبب أعمالها، ولكن استحقتها بسبب حضورها إليه، أو بالحري مثولها في حضرته، والمثول في حضرة الله نعمة عظمى؛ حتى وإن كان على غير دعوة أو ميعاد كالسامرية أو هذه الخاطئة أو كبولس الرسول نفسه!! يكفي أنها انتظرت منه رحمة، فوجدتها مضافاً إليها نعمة.

إن معظم الشرّاح والعلماء والآباء الأوائل لم ينصفوا هذه المرأة الخاطئة، ولكن كيف؟ ولماذا؟

نحن جميعاً سنمثل أمام كرسي المسيح على هذا الحال نفسه، وليس مَنْ يستحق أن يتزكى قط بسبب أعماله، ولكن إن كنا ننتظر رحمة فسنجدها، وإن كنا نرجو منه حياة فسنحيا.

«لا تخطئي أيضاً»:

أي لا تعودي إلى سيرتك الأولى، هي دعوة للتوبة. ولكن الذي يدعو إلى التوبة هنا هو المسيح ويوجهها شخصياً منه إليها، فهي دعوة مدعّمة بالقوة، وكأنه يعرض نفسه كسند خفي لجهادها ويَعِدها سرًّا بالمؤازرة. إنه يستحث فيها إرادتها الحرة، ولكنه هو نفسه يشاء ذلك منها، أي أنه يضم مشيئته إلى مشيئتها، فأي رجاء ملأ قلب هذه الخاطئة في هذه الساعة. إنه في الحقيقة رجاء يمتد إلينا وإلى كل خاطىء يلقي نفسه بلا شفقة بين يديْ المسيح، كما ألقى هؤلاء الكتبة الأفظاظ هذه المرأة الخاطئة، بل السعيدة، في يديْ المسيح.

وفي نهاية قصة المرأة الخاطئة التي اعترضت حديث المسيح في عيد المظال، وفرّقت بين حديثه عن «الماء الحي» و«نور العالم»، نود أن نوجه نظر الباحث أن كلام المسيح بخصوص المرأة الخاطئة **كان بحد ذاته تعليماً هاماً للغاية عن ناموس موسى ومقارنته العملية بناموس المسيح**. أي أن قصة المرأة الخاطئة قدمها ق. يوحنا في مكانها الصحيح.

٢ ـــ حوار المسيح مع اليهود

(٨: ١٢ــ٥٩)

أ ـــ الجزء الأول من الحوار
«أنا هو نور العالم»
(٨: ١٢ــ٢٠)

«الشعبُ السالكُ في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نورٌ.» (إش٩: ٢)

«الجلوس في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد ... أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطّع قيودهم.» (مز١٠٧: ١٠و١٤)

٨: ١٢ «ثم كلمهم يسوعُ أيضاً قائلاً: أنا هو نورُ العالمِ. مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمةِ بل يكونُ له نورُ الحياةِ».

نحن لا نزال في عيد المظال.

عود على ذي بدء:

لقد توقّف حديث المسيح الذي قدمه في الهيكل للشعب وهو في **«الخزانة»** عند قوله: «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عَطِشَ أحدٌ فليُقْبِلْ إليَّ و يشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ» (يو٧: ٣٧و٣٨). توقف الحديث لشرح ق. يوحنا عن معنى هذه الآية بالنسبة لانسكاب الروح القدس، ثم تلا ذلك وصف انقسام الشعب بين مؤيِّد ومعارض، ثم أتت حملة الضباط التي أرسلها رؤساء الكهنة والفريسيون للقبض عليه، ثم التحقيق مع أعضاء الحملة بسبب عدم القبض عليه. و ينتهي الأصحاح السابع بانقسام أعضاء السنهدريم على أنفسهم، ثم انفضاض السنهدريم، وذهاب **كل واحد إلى بيته.**

ثم يبتدىء الأصحاح الثامن بحضور المسيح مبكراً من جبل الزيتون، واستئناف التعليم في الهيكل بحضور الشعب، ثم محاولة الكتبة والفريسيين الشوشرة على التعليم بإحضار المرأة الخاطئة، وتنتهي قصتها أيضاً بخروج الكتبة والفريسيين منهزمين **واحداً فواحداً**، وتخرج الخاطئة منتصرة.

ثم يستأنف المسيح تعليمه من بعد «الماء الحي» إلى «نور العالم».

«ثم كلّمهم يسوع أيضاً ...»:

هنا يرتبط الحديث بالآية: «من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي.» (٣٨:٧)

ونحن هنا، من جهة مجرى الحوادث المترادفة، أمام حقيقة طقس آخر هو طقس «النور» في عيد المظال الذي كان يجري بإيقاد أربع منارات مرتفعة جداً داخل الهيكل، كل منها لها أربعة صحون على الظهر، يصلون إليها لإشعالها بواسطة سُلَّم، وفي كل صحن فتيلة مشتعلة مصنوعة من القماش الذي يستخدمه الكهنة كأحزمة لربط الوسط[٦]. وكانت توضع في بيت النساء في رواق النساء، حيث كان المسيح يعلّم. كذلك نحن الآن أيضاً في آخر أيام العيد وهو اليوم الثامن.

والإحتفال الطقسي بإيقاد النور في رواق النساء ـــ في الخزانة التي في الهيكل، وفي كل المظال التي كانوا يعيشون فيها في هذه الأيام ـــ كان تذكاراً **لعمود النور** الذي أرسله الله لهم، يقودهم في برية التيه **أثناء الليل** (خر١٣: ٢١). وهنا أيضاً يرى المسيح المناسبة لكي يستعلن لهم نفسه أنه هو النور الحقيقي الذي جاء لينير العالم.

«أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة»:

أما عمود النور الذي قادهم في البرية في ليل تيههم وقتياً فكان قد انقطع لعدم الحاجة إليه، وأما المسيح فهو النور الذي جاء لينير العالم دائماً وإلى الأبد.

وحينما يعلن المسيح أنه «نور العالم»، فهذا تعبير عن روح رسالته وفعلها: إنه **«الكاشف والمُعلِن عن الله في العالم المظلم»**؛ إنه إعلان عن تحقيق كل مواعيد الله السابقة متركزة فيه شخصياً. كما أنه دعوة عامة لليهود والعالم كله أن ينتبه إلى هذا الشروق الإلهي. إنها دعوة موازية لدعوته السابقة في الأصحاح السابع: «إنْ عَطِشَ أحدٌ فليُقْبِلْ إليَّ و يشربْ» (يو٧: ٣٧). أما هنا فهي: "إن أعوز العالم معرفة الله في ما سبق، فها الآن المعرفة تغطي كل الأرض؛ المعرفة التي تشرح كلَّ وجودٍ كان ما كان، في حضرة وجود الله!!"

فحينما يقول المسيح: «أنا هو نور العالم»، فهو يعني، بحسب اللغة اليونانية: «أنا هو النور

٦ *Mishnah Sukkah* 5:2-4. Cited by: Raymond E. Brown, *op. cit.*, Vol. 1, p. 344.

للعالم»، الذي شرحه المسيح بعدها مباشرة في آية موازية: «بل يكون له "نور الحياة"»، فهو النور للعالم، النور المعطي للحياة!! والتي لخصها ق. يوحنا شارحاً بقوله في مقدمة إنجيله: «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يو١: ٤)، حيث الحياة في المسيح تكون بعينها هي نور الناس، أو نور العالم!! **«فالنور» بالمعنى الإلهي هو «الحياة في عالم الله».** ودخول النور إلى عالم الإنسان حوَّله إلى عالم الله، ليحيا فيه الإنسان.

ثم لينتبه القارىء جداً، فقول المسيح: «أنا هو نور العالم» لا يعني به النور المختص **بمشاكل** الإنسان تجاه العالم، بل النور المختص **بالإنسان نفسه** تجاه الله!! لأن مشكلة الإنسان العظمى في العالم هي نفسه، هي معرفته لذاته على ضوء معرفته لله. وحينما يقول المسيح: «**أنا** هو نور العالم»، فهو يكشف بصورة مفاجئة وقوية مدى اقتحام **الذات** الإلهية للعالم، هذه القوة التي لا يشرحها إلاَّ التجسد. فهو وحده الذي يرفع الغموض منها، لأن قائلها هو الإنسان يسوع المسيح بحسب الفكر البشري.

لذلك لكي يرفع المسيح مفهوم «أنا هو نور العالم» من المستوى الرمزي أو التصوري، الذي قد يقع فيه السامع أو القارىء، دعَّمه في الحال بالفعل العملي والإختباري الذي يعلن مدى الحق الإلهي فيه، فيقول: «مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة»، حيث يتحول **«النور»** إلى «حياة»، أي إلى عمل وسلوك يشهد بمدى الحق في هذا النور!! هنا النور يصير «كخبز الحياة» الذي مَنْ يأكله يحيا به إلى الأبد، أي يحيا بالمسيح، والماء الحي الذي مَنْ يشربه تخرج من بطنه أنهار ماء الحياة، أي يكرز بالمسيح الذي يحيا فيه؛ هكذا النور كلُّ مَنْ يقبلهُ، أي يؤمنُ به، يصير له «نور الحياة»، أي المسيح نفسه يحيا فيه.

هكذا، فالخبز الحي والماء الحي ونور الحياة هو هو شخص المسيح، عندما يؤمن به الإنسان يصير خبزه الجديد وماءَهُ الجديد ونوره الجديد في حياته الجديدة.

والمسيح هو الخبز الحي ومُعطي هذا الخبز، والماء الحي ومُعطي هذا الماء، ونور الحياة ومُعطي هذا النور. هنا لينتبه القارىء، لأن معنى هذا أن كل استعلانات المسيح يستحيل فهمها أو قبولها أو الإيمان بها أو الحياة فيها بدون المسيح نفسه. فهي ليست مُدْرَكات يمكن أن تُفهم وتُنسى، بل هي واقع حياة في حياة. فبقدر ما نؤمن بالمسيح، نأخذ، و بقدر ما نأخذ، نقترب، و بقدر ما نقترب، نفهم وندرك ونستعلن ونكرز!!

لقد دخل النور «**الحقيقي**» إلى العالم ملتحفاً جسد إنسان، وهو أصلاً «اللابس (الملتحف) النور كثوب» (مز١٠٤ : ٢)، جاء لينير البشرية من داخل كيانها، فصارت حياة الإنسان نوراً بعد أن كان يتخبط في ظلمة العالم. لقد استنارت حياة الإنسان بالنور الإلهي، فأنارت، وصارت أنواراً في العالم: «أنتم نور العالم» (مت٥ : ١٤). ولا يزال المسيح هو هو عمود النور الذي يسير بالبشرية المستنيرة به وبالله، في طريقها الضيق الحرج، داخل ليل برية العالم المظلم، يقودنا خطوة بعد خطوة. والذي يتبع النور لا يشعر بلَيْل العالم، ولن تدركه الظلمة، هذه حقيقة يدركها كلُّ من استنار بالمسيح والتصق به: «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف» (مز٢٧ : ١)، هذا نشيد داود الذي سار وراء الرب وتسبحته في فمه، وتهليل الخلاص في قلبه.

وحينما نطرق هذا الفكر من الوجهة اللاهوتية يتضح لنا عمقه، فالطبيعة البشرية بالنسبة للنور الإلهي **مظلمة** ــ خاطئة، ضيقة، يدبُّ فيها الموت ــ وشعاع الله لم يكن ينفذ إليها، ولكن حينما استعلن لنا الرب الطبيعة الإلهية التي فيه، وصيَّرنا شركاء فيها، نفذ النور الإلهي إلى أعماقنا، فأدركنا طبيعة الله وأسراره، واستنارت عقولنا وقلوبنا بفكره ومشيئته وكلماته. لأن طبيعتنا العمياء الخرساء، بالنسبة لشخص ذات الله، استُهدِفت لعمل روح الله القدوس، فدخلها النور، ودخلتها الحياة الإلهية، فتغيرت وتجددت، وصار لها أذنٌ تسمع ما لم تكن تسمع، وعينٌ ترى ما لم تكن ترى، وقلبٌ يستطلع بالروح حتى أعماق الله: «ورأينا مجده» (يو١ : ١٤)، وروح تحيا مع الله: «من التصق بالرب فهو روح واحد.» (١كو٦ : ١٧)

«أنا هو نور العالم»: Ἐγώ εἰμι τὸ φῶς τοῦ κόσμου

هذا القول يستحيل أن ينطقه إلاَّ الله وحده: «وقال لي أكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثم قال لي قد تمَّ. **أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. أنا أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً ... والمدينةُ لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها، لأن مجد الله قد أنارها، والخروف سراجها. وتمشي شعوب المُخَلَّصينَ بنورها ... لأن ليلاً لا يكون هناك.**» (رؤ٢١ : ٥و٢٣ و٢٤و٢٥)

ويلزم أن نرجع إلى مقدمة إنجيل يوحنا، لنرى كيف قدَّم الإنجيلُ المسيحَ باعتباره «**الكلمة**» و«**النور الحقيقي**» و«**الحياة الأبدية**»، ثم كيف يشهد ق. يوحنا ضمن شهادة التلاميذ: «و(نحن) رأينا **مجده**».

فالكلمة، وهو بهاء ونور مجد الآب والحامل للحياة الأبدية، تجسد، فاستُعْلِنَ فيه نور الآب،

واستُعْلِنَتْ الحياة الأبدية التي كانت عند الآب مخفية عن حياة هذا العالم. والنور لما أضاء في قلوب التلاميذ، كان هو التجلي بعينه حيث رأوا مجده، فالنور والمجد معاً لا يفترقان. والمجد هو التعبير البشري لرؤية الحضور الإلهي أو الكيان الإلهي في المسيح: «أنا هو». لذلك، فالنور الإلهي في المسيح: «أنا هو نور العالم»، الذي صار بتجسده، هو تعبير عن طبيعة الله التي استُعلِنَتْ للإنسان في تجسُّد الكلمة، خصيصاً لإعلان عهد الخلاص للإنسان. وبمعنى آخر يكون النور الإلهي المُعْلَن في المسيح والذي يشهد له المسيح «أنا هو نور العالم»، هو تعبير عن حقيقة فعل الخلاص الذي يُفهم أنه انعتاقٌ من ظلمة هذا الدهر وتفاهة مجده. وإشعياء النبي يصف هذا الإشراق العجيب في ملء الزمن بالنسبة لكنيسة الله هكذا: «قومي استنيري لأنه قد جاء **نورك ومجد الرب أشرق** عليك، لأنه ها هي الظلمةُ تغطي الأرضَ (الوثنية)، والظلامُ الدامسُ الأمم (الخطية). أما عليكِ فيشرقُ الرب (أنا هو نور العالم) ومجدُه عليكِ يُرى. فتسير الأمم في نورِكِ، والملوك في ضياءِ إشراقك.» (إش ٦٠: ١—٣)

ثم انظر كيف يرى إشعياء النور الإلهي المتجلِّي بالمجد في كنيسته يلتحم بالخلاص التحاماً، وباعتباره الغاية العُظمى في خطته الإلهية، يقول إشعياء: «تسمِّين أسوارك خلاصاً وأبوابك تسبيحاً. لا تكون لكِ بعدُ الشمسُ نوراً في النهار ولا القمرُ ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لك نوراً أبدياً وإلهك زينتكِ (أنا هو نور العالم). لا تغيب بعدُ شمسُكِ وقمرُكِ لا ينقص، لأن الرب يكونُ لكِ نوراً أبدياً، وتكمُلُ أيامُ نَوْحِكِ، وشعبك كلهم أبرارٌ.» (إش ٦٠: ١٨—٢١)

ويطيب لهذا النبي القديس أن يمزج النور بالخلاص بالتسبيح بزينة النفس، أي التجلِّي الروحي.

لقد أشار إليه إشعياء النبي: «أنا الربُّ، قد دعوتُكَ بالبِرِ، فأُمسكُ بيدِكَ وأحفظُكَ وأجعلُكَ عهداً للشعبِ، **ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمي،** لتُخرجَ مِنَ الحبسِ المأسورين، من بيت السجن، الجالسين في الظلمة.» (إش ٤٢: ٦و٧)

وليلاحظ القارىء أن المسيح بعد أن قال: «أنا هو نور العالم»، فتَّح عيني الأعمى بالفعل!... كذلك يقول إشعياء، وكأنه يحكي ما يرى من وراء الزمان، كيف أُهين النور وحاولت الظلمة عبثاً إطفاءَه، ولكنه انتصر، وصار خلاصاً لأقصى الأرض، واستنارت به الشعوب، وتحررت من سلطان الظلمة، وصارت الكلمة غذاءً للروح وماءً للحياة كينبوع أبدي: «قد جعلتُكَ نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادي إسرائيل، قدُّوسُه **للمهان النفس، لمكروه**

الأمة، لعبدِ المتسلِّطين ... قائلاً للأسرى: اخرجوا، **للذين في الظلام: اظهروا ... لا يجوعون ولا** يعطشون، ولا يضربهم حرٌّ ولا شمس، لأن الذي يرحمهم يَهْديهم، **وإلى ينابيع المياه** يوردهم ...» (إش٤٩: ٦و٧ و٩و١٠)

وهنا يجمع إشعياء النبي **النور، وتفتيح العيون، وخبز الحياة، والماء الحي، والينابيع.**

«نور الحياة»:

وكذلك ملاخي النبي: «ولكُم أيها المتَّقون "**اسمي**" تُشرِقُ شمسُ البر والشفاءُ في أجنحتها.» (مل٤: ٢)

وما يهمنا هنا في هذه النبُوة الأخيرة: أن **الله سيعطي اسمه مقروناً بإشراق النور، وبالحياة التي فيه،** التي بلا أسقام، كناية عن الخليقة الجديدة التي تتنفس بالروح، وسوف يرى القارىء أن الرب سيكشف عن اسم الله الذي يتكلم به، بعد أن قال: «أنا هو نور العالم»، وكيف أعطى الشفاء بالفعل للمولود أعمى، فأصبح له «نور الحياة» على المستوى المحسوس. ونبوة ملاخي تعطي المقارنة صحيحة وعملية؛ كما أن الشمس هي للعالم لحياة الجسد وتجديده وشفائه، كذلك الرب هو شمس الروح وبرُّها ونورها وطهارتها.

وقد حاول الربيون تفسير **النور** كما جاء في العهد القديم، كما في المزامير: «الرب **نوري**... ممن أخاف» (مز٢٧: ١)، بأنه هو الناموس، لأن الناموس يوضح السلوك في الحياة كالنور في الظلمة. وهذا لم يَغِبْ عن سماع الرب وفكره، فهو يصحح و يعلن نفسه أنه «**نور الحياة**»، و«**الطريق**» أيضاً، و«**الباب**»، وأن مَنْ يتبعه، لا تُدركه الظلمة ولا يُدركه ليل.

وحينما يوضع الناموس في مواجهة المسيح، يكون المسيح هو كمال الناموس. وكما قال الربِّيون إن «**الهيكل**» هو «**النور**»، قال المسيح انقضوه وأنا أُقيمه في ثلاثة أيام، هيكلاً يملأ لا الأرض فقط، بل والسماء، نوراً ومجداً، كناية عن الخليقة الجديدة بجسده.

وق. يوحنا في رؤياه رأى منظر هذا الهيكل الجديد بالفعل، والرب سِرَاجُه، وشعوب المخلَّصين تمشي في نوره (رؤ٢١: ٢٣و٢٤).

إن استعلان الطبيعة الإلهية في المسيح كان بقصد أساسي، وهو أن تمتد قُوَى هذه الطبيعة وتتخلل الإنسان ككيان مخلوق أصلاً على **صورة الله**. وتعاليم المسيح وكلماته كانت انبعاثاً

وامتداداً لهذه القُوَى الإلهية التي في طبيعة المسيح: «الكلام الذي أُكلِّمُكم به هو **روح وحياة**» (يو٦: ٦٣)، **ونور أيضاً** بالضرورة، وخاصة حينما كان يتكلم المسيح عن نفسه وعن طبيعته «"**أنا هو**": نور العالم». هذه هي انبعاثات الطبيعة الإلهية في كلمات، وكأن الكلمات شعاع هذا النور، إذا أصاب قلباً مفتوحاً تخلله وأضاءه. هذا هو قول المسيح: «**مَنْ يتبعني** فلا يمشي في الظلمة بل **يكون له نور الحياة**». وهكذا فإن نور العالم يتضح أنه «**نور الحياة**».

وما معنى «**يكون له** نور الحياة»؟ أليس أن نور الحياة يكون قد استقر فيه — «المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)، **وصار مِلْكاً له**؟ ثم ما معنى أن **نمتلك نور الحياة** الذي في المسيح؟ أليست **هذه هي الشركة** في أعلى وأعمق معناها، حيث يجمعنا فيه وإليه شعاع نوره وقوة حياته المنبعثة من تعاليمه وكلماته وروحه؟ وأليس هذا هو بعينه الذي يقوله المسيح في صلاته للآب: «**أنا فيهم** وأنت فيَّ» (يو١٧: ٢٣)؟ **هذا هو منبع النور ومَصَبُّه**. أما قوته فقد أوضحها المسيح على المستوى العملي: «أنتم الآن أنقياء (مضيئون) **لسبب الكلام الذي كلَّمْتُكم به**. اثبُتُوا فيَّ وأنا فيكم» (يو١٥: ٣و٤). «إنْ حَفِظْتُم وصاياي (نور)، تثبتون في محبتي، كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبُتُ في محبته» (يو١٥: ١٠). أما رفع هذا المستوى العملي إلى المستوى الرؤيوي فقد هتف به داود: «بنورك نرى نوراً» (مز٣٦: ٩). فنور المسيح واسطة لمُعَايَنة نور الآب، أي واسطة لرؤيا وإتحاد. لذلك فنور المسيح أو المسيح كنور، هو شاهدٌ للمسيح، سواء كان بالكلمة أو العمل.

فالنور أصلاً كطبيعة بحد ذاتها لا يحتاج إلى شاهد — أي إلى مَنْ يشهد له — بل يحتاج إلى مُشَاهِدٍ، أي إلى مَنْ يرى ويفرح، لأن النور يكون دائماً شاهداً لنفسه.

٨: ١٣و١٤ «**فقال له الفريسيونَ: أنت تشهدُ لنفسِكَ. شهادَتُكَ ليست حقاً. أجابَ يسُوعُ وقال لهم: وإن كنتُ أشْهدُ لنفسي فشهادتي حقٌّ** ἀληθής، **لأني أعلمُ من أين أتيتُ وإلى أين أذهبُ. وأما أنتم فلا تعلمونَ من أين آتي ولا إلى أين أذهبُ**».

موضوع الشهادة والديـنونة بالنسبة للمسيح أمرٌ خطير للغاية، فهو يلتحم التحاماً مُحْكَماً مع طبيعة المسيح **الكلمة المتجسد، الابن المُرْسَل**.

فالمسيح يطرق هذا الموضوع من ناحيتين: من ناحية مصدرها أي «**الكلمة**» أي «**الابن**»؛ ومن ناحية **التجسد** أي «**ابن الإنسان**». وهنا يلزم بل يتحتم التعارض فتظهر المضادة paradox: فهو من جهة ليس له أن يدين لأنه جاء «كمُرسَلٍ» ليُخلِّص فقط، كما أنه ليس له أن يشهد

لنفسه، لأنه لم يأتِ ليعمل مشيئته أو يتكلم من نفسه. هذا من وجهة نظر ابن الإنسان.

وفي نفس الوقت أيضاً، له أن يدين لأن الآب أعطى له كل الدينونة، لأنه وإن كان هو ابن الإنسان بالتجسد فهو لم يتغير كونه الابن الوحيد وهو والآب واحد، فهو يعرف كمُرْسَلٍ من أين أتى وإلى أين يذهب ليجلس عن يمين الآب.

كذلك له أن يشهد لنفسه، وشهادته تكون هي الحق، لأنه لا يطلب من شهادته القول الذي يقوله أو العمل الذي يعمله مجداً لنفسه، إنما هو يستعلن الآب كغاية ونهاية لكل قوله وعمله، لذلك تأتي شهادته حقاً ملءَ الحق، لأنه يطلب مجد الآب.

والمسيح يدرك جداً هذه الحقيقة و يضغط عليها ضغطاً بقوله: «و"**إنْ**" **كنتُ** أشهد لنفسي» وهي تجيء باليونانية: « κἄν » وتعني **«حتى ولو»**، موضحاً بها أنه بنوع من التنازل قال سابقاً: «**إن كنتُ** أشهد لنفسي **فشهادتي ليست حقاً**» (يو٥ : ٣١)، فهو يستدرك هنا هذا القول السابق بقوله: «وإنْ كنتُ أشهد لنفسي فشهادتي حق» للتأكيد على أن شهادتي لنفسي تبقى هي الأصح وهي الحق، بحسب الاستعلان الصحيح لشخصي الذي **وإن كنتم لا تدركونه أنتم**(٧) ولكنني أنا أدركه، فأنا أعرف من أين أتيتُ وإلى أين أذهبُ باعتباري الابن و«الكلمة»، حيث أن الابن يشهد له أبوه حتماً، فشهادة الابن لنفسه هي شهادة مزدوجة: شهادته لنفسه وشهادة أبيه له. كذلك فهو باعتباره **«الكلمة»** الذي يستعلن الآب لا يقبل شهادة إنسان، وإلاَّ ما كان هو **«كلمة الله»**، فـ**«الكلمة»** لأنه **كلمة الله** وقد جاء ليشهد لله تكون شهادته هي بعينها **شهادة الله، فهي الحق** عين الحق.

و يلاحظ القارىء ــ إثباتاً لقولنا هذا ــ أنه في حالة قول المسيح: «إنْ كنتُ أشهدُ لنفسي فشهادتي ليست حقاً» (يو٥ : ٣١) تجيء **«أنا»** في اليونانية مخفَّفة ἐγώ في وضعها الشخصي كإنسان ἐὰν ἐγὼ μαρτυρῶ . ولكن في قوله: «أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني» (يو٨ : ١٨)، تأتي **«أنا هو»** في اليونانية بثقلها الإلهي ἐγώ εἰμι .

وهكذا، وبالنهاية، فإن **«شهادة»** المسيح و **«دينونة»** المسيح على السواء إذا نُظِرَتْ من وجهة نظر بشرية كالتي نظر بها الفريسيون للمسيح، **فهي** فعلاً ليست حسب الحق ولا هي

(٧) معلوم أن العالم يعرف خاصته، والمسيح ليس من هذا العالم. وهكذا يظل المسيح غريباً عن هذا العالم؛ وكلُّ من ينتمي إلى هذا العالم لن يعرف حقيقة المسيح من أين أتى وإلى أين يذهب.

تُحسَبُ شهادة أو دينونة. ولكن يوم أن نعرف من أين جاء المسيح وإلى أين يذهب ـــ أي نعرف حقيقة المسيح الإلهية **كواحد مع الآب** ـــ حينئذ سنعرف أن شهادته حقٌ ودينونته حقٌ.

وهكذا نرى في هذا الاعتراض على شهادة المسيح لنفسه عجز الفريسيين عن اللحاق بفكر المسيح وطبيعته الإلهية الناطقة فيه. فالمسيح يقول: «أنا هو نور العالم» على أساس عملي قد قام بإثباته بالبرهان والدليل القاطع، بالكلمة القوية الحية الفعّالة، وبالفعل الإعجازي. وهذه بحد ذاتها هي القوى المنبعثة من طبيعته الإلهية المنيرة، أو هذا هو النور الذي يشير بكل هدوء وبساطة إلى مصدره وهو الله الآب. **والنور يشهد لنفسه لا محالة** بمجرد ظهوره، حيث يكشف عن مصدره ويستعلن هدفه بآن واحد. لذلك يستحيل إخفاء النور الإلهي، فبمجرد أن ظهر النور الإلهي متجسداً، بدأ فعله يسري في القلوب والعقول ليستعلن ماهيته وليستعلن مصدره: «و(نحن) رأينا **مجده** مجداً كما لوحيدٍ من الآب.» (يو١ : ١٤)

وشهادة المسيح باعتباره النور الإلهي حقٌ منتهى الحق، لأنه وإن كان يشهد لنفسه فهو يشهد بآن واحد إلى مصدره أي الله الآب ـــ الذي منه أتى ـــ فهو في الحقيقة «حقٌ من الحقّ»، أو كما كان يقول المسيح دائماً: «الحق الحق أقول لكم...». لأنه حقٌ مرتين: حق له وفيه، وحق الآب الذي هو منه!!

فقول الفريسيين: «أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقاً»، هو تماماً مثل قول الأعمى للنور: "أنتِ الظلمة"، أو مثل محاولة عابثة لإطفاء الشمس. هنا العيب ليس في النور على الإطلاق، ولكن العيب في غياب العين الروحية والعقل المميز للحق حتى يمكن أن يرى النور فيقول للنور: "أنت نور بالحقيقة".

هنا اعتراضٌ لا بد من توضيحه، إذ ما ذنب هؤلاء الفريسيين والرؤساء الذين ليست لهم عيون تبصر ولا آذان تسمع؟ هذا أجاب عنه المسيح مراراً وتكراراً: إن آمنتم بي ترون الروح، وتسمعون للحق وتدركون الحياة، وتعلمون من أين أتيت وإلى أين أذهب، وإذا لم تؤمنوا بي فعبثاً تحاولون إذ تظل عيونكم تبصر النور ولا تراه إلاّ ظلمة، وآذانكم تسمع الحق ولا تميزه إلاّ باطلاً، وتجهلون من أين أتيتُ وإلى أين أذهبُ، لأنكم تبحثون عن أنساب الجسد. أما مسوغات الإيمان بي فهي الأعمال التي عملتُها بينكم ولم يعملها أحدٌ غيري قط. فإن عَسَرَ عليكم الإيمان بي متكلماً وموضحاً، فآمنوا بالأعمال التي تنطق بأنها بالله معمولة!

أمـا قـولـكـم أن شهادتي لنفسي ليست حقاً، فهذا دليل قاطع أن عيونكم لا ترى النور وآذانكم لا تـتـبين الحق؛ ولهذا لا تعرفون من أين أتيت وإلى أين أذهبُ، وهذا لا ينفي الحقيقة، فعدم رؤية الـنـور لـيـست كفيلة بأن تلغي وجوده. و يكفي للنور أن يعرف أن مصدره هو الله، ورسالته هي أن ينير العالم، وأنه هو هو قائم في الله وممتد إليه، وحينئذ حقَّ له أن يقول: «"أنا هو" نور العالم»!

٨: ١٥و١٦ «أنتم حَسَبَ الجسدِ تَدِينُونَ. أما أنا فلستُ أدينُ أحداً. وإن كنتُ أنا أدينُ، فدينونتي حقٌّ، لأني لستُ وحدِي، بل أنا والآبُ الذي أرسَلَني».

«أنتم حسب الجسد تدينون»:

هنا يستطرد المسيح من مجرد الشهادة لنفسه التي ينفون حقيقتها إلى هدف هؤلاء الفريسيين من هـذا الـنـفـي. **فـقـولهـم: «شهادتك "ليست حقاً"»، هو في الحقيقة اتهام مباشر له بالإدعاء والـتـزيـيـف والكذب. فهم بذلك أقاموا أنفسهم «ديَّانين» للحق، بالرغم من أنه ليست لهم معرفة صحيحة به.** فالرب هنا يكشف من أين انخدعوا، وكيف أن دينونتهم هي الباطلة، وليس الحقُّ الـذي يـشـهـد به هو. فيقول لهم: **«أنتم حسب الجسد تدينون»** ذلك لأن ليست لهم معرفة روحـيـة. أي أن اعـتـمـادهم هو فقط على المقاييس البشرية من رؤية جسدية ودراسة أنساب ووطن وفـهـم جـسـدي وتـعـالـيـم حـرفـيـة على مـسـتوى الجسد؛ وكأنه يقول لهم: أنتم تحاولون أن تقيسوا الـروحـيـات بـالجـسـديـات وتحكموا على الإلهيات بالمعرفة القائمة على الحرف، فعثرتم في الله الآب الذي أرسلني، وعثرتم فيَّ أنا الذي جئت لأُخرجكم من الظلمة إلى النور.

«أما أنا فلست أدين أحداً»:

أنا لا أدينكم على هذا، ولا أحكم عليكم في ذلك، ولا أدين أحداً غيركم بالمرة. لأني لم آتِ لأدين العالم بل لأُخلِّص (الذين في) العالم.

أمـا الـدلـيـل على صحة قوله هذا فهو أنه لم يَدِنْ المرأة الخاطئة التي أمسكوها في ذات الفعل، والتي يقضي الناموس برَجْمِها، بل دعاها للتوبة وآزرها بقوة من عنده دون أن يلغي الناموس.

٨: ١٦ «وإنْ كـنـتُ أنـا أَدِيـنُ، فـديـنـونـتـي حقٌّ، لأني لستُ وحدي بل أنا والآبُ الذي أرسَلَني».

المسيح هـنـا يـعـلـن لهم أن هناك دينونة أخرى خطيرة ليست حسب الظاهر، وليست حسب

الجسد، بل حسب فكر الآب وموازين الله، وهي التي «أعطيت كلها للابن». هذه الدينونة هي حسب الحق ἀληθινή، **وهي التي ستُدَانُ بها الخطية والعالم والشيطان**(٨)، أي دينونة كل الذين ليس فيهم الحق.

هذه يقول عنها المسيح: «وإن كنتُ أنا أدينُ فدينونتي **حقٌّ**، لأني لستُ وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني». أما من جهة الدينونة عامة، فالمسيح وعد أنه لن يدينهم على ما قالوه وتفكَّروا به من جهته ــ **إن كان على مستوى الجهل والجهالة والحكم حسب الظاهر والجسد:** «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم **لا يعلمون** ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤)، ولكن إن كانت مقاومتهم لشهادته وعدم الإيمان به ليس عن جهل أو جهالة وليس مجرد حكم حسب الظاهر والجسد، بل **كان مقاومة عن معرفة وانصياعاً وراء «الحسد»** لأنهم: «كانوا قد **أسلموه حسداً**» (مر١٥: ١٠)، **حفاظاً على مراكزهم ومجدهم الكاذب، فهم يكونون قد انحازوا إلى هذا العالم ورئيس هذا العالم وإلى الباطل، ويكونون قد وقعوا تحت «دينونة الحق»**: «لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم» (يو١٩: ١١)!! **لأن جوهر «دينونة الحق» هو الفصل بين الحق والباطل ــ وبالتالي وبالضرورة ــ إسكات صوت الباطل.**

«لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني»:

ثم انتقل المسيح من الدينونة إلى الشهادة مرة أخرى لينفي عن نفسه، عندما قال: «**أنا هو** نور العالم»، أنه يطلب ما لنفسه أو يسعى لمجد نفسه. فأوضح لهم أن شهادته هذه ليست من ذاته أو لمجد نفسه، بل مستمدة من شهادة الله الآب له، وعلى ذلك فهذه الشهادة التي يشهد لها **هي شهادة اثنين: هو والآب.** وبذلك تكون صحيحة حسب مقاييس حرفية الناموس الذي يفهمونه.

(٨) أ ــ **أما دينونة الخطية فهي** عمل الآب والابن وقد أوضحها بولس الرسول: «**فالله إذ أرسل ابنه** في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، **دان الخطية** في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا.» (رو٨: ٣و٤)

ب ــ **أما دينونة العالم فهي أيضاً** عمل الآب والابن: «الآن نفسي قد اضطربت وماذا أقول. **أيها الآب نجني من هذه الساعة**، ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة. أيها الآب **مجِّد اسمك.** فجاء صوت من السماء مجَّدتُ وأمجِّد أيضاً ... أجاب يسوع ... **الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرَحُ رئيسُ هذا العالم خارجاً.**» (يو١٢: ٢٧و٢٨ و٣٠و٣١)

ج ــ **وأما دينونة الشيطان** رئيس هذا العالم فهي أيضاً من عمل الآب والابن: «ولكن **إن ذهبتُ أُرسله (الروح القدس) إليكم**، ومتى جاء **ذاك يبكِّتُ العالم** على خطية وعلى برٍّ **وعلى دينونة.** أما على خطية، فلأنهم **لا** يؤمنون بي؛ وأما على برٍّ، فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً؛ وأما على دينونة، فلأن رئيس هذا العالم قد دِينَ.» (يو١٦: ٧ــ١١)

١٧:٨و١٨ «وأيضاً في ناموسكم مكتوبٌ أن شهادةَ رَجُلين حقٌّ. "أنا هوَ" الشَّاهِدُ لنفسي ويشهَدُ لي الآبُ الذي أرسَلَني».

يلاحظ هنا تأكيد المسيح لشخصيته الإلهية «أنا هو» ــ ἐγώ εἰμι ــ وهي تمهيد لشهادة واحدة: الآب والابن.

«وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حقٌ(*)»:

هنا يعلن المسيح مقدار الهوّة التي تفصله ــ كصاحب العهد الجديد ــ عن «ناموس اليهود»، أي عن روح الأحكام التي صار يحكم بها الفريسيون بحسب الجسد فوتوا روحانية العهد القديم.

لذلك فالمسيح عندما يقول هنا «ناموسكم»، فذلك لا يُحسَبُ تقليلاً من قيمة الناموس أو إلغاءً له، ولكنه يتكلم عن الناموس بحسب تفسيرهم الجسدي الذي رأيناه أنه أنشأ في فكرهم ديمونة الحق والله نفسه. أما ناموس موسى الصحيح، فيعلن ويصرخ من جهة المسيح الذي سيأتي، بديمونة من يرفضه: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه» (تث١٨: ١٩). فلو عاملهم المسيح حسب ناموس موسى الصحيح لقطعهم، ولكننا رأيناه لا يدينهم بالرغم من أنهم انحرفوا عن متطلبات الناموس وفهمه الصحيح: «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى (الناموس) لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تُصدِّقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي.» (يو٥: ٤٥ــ٤٧)

«أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني»:

ويلاحظ القارىء أن قول المسيح في الآية السابقة: «لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني»، ثم يكرر «أنا والآب الذي أرسلني»، ثم إذ يضيف عليها: «إن شهادة رجلين حقٌّ»، يوضح بأبرز تعبير عن «الوحدة» الذاتية القائمة بينه وبين الآب. بل ومن تطابق الشهادتين، شهادته عن نفسه وشهادة الآب عنه، تبرز وحدة المشيئة والفكر.

والذي نخرج به من شرح المسيح أن استعلان المسيح لذاته والآب هو حقيقة، بل حقٌّ مطلقٌ، لا يحتاج أن يكون له شهادة من بشر تؤيده. والتجاء المسيح للناموس: «إن شهادة رجلين حقٌّ»، هو احتقار لتفكير اليهود، وإخضاع لمنطق الناموس ليخدم الحق وليس ليؤيده. أما دليل جهلهم للحق وجهالتهم بالناموس فتظهر في سؤالهم الآتي:

(*) تث١٧: ٦.

١٩:٨ «فقالوا له: أين هو أبوكَ؟ أجابَ يسوعُ: لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عَرَفتُمُوني لَعَرَفتُم أبي أيضاً».

يُلاحظ أن الفريسيين لا يسألون عن من هو أبوك؟ لأنهم أدركوا باليقين أنه يتكلم عن الله، ولكنهم في استهانة بهذه العلاقة يحاولون أن ينفوا عن المسيح قدرة هذا «الآب» على الشهادة لحساب المسيح، مدركين أنه يتعذر على المسيح أن يستحضر شهادة شفوية أو كتابية من هذا الآب.

أما إجابة المسيح ففيها ألمعيَّة وحكمة عميقة، إذ واجههم بالغباء الذي وقعوا فيه حينما قالوا: «أين هو أبوك؟» لأنه كان يلزم التعرف بهذا الآب قبل أن يُسألَ عن مكان وجوده: فكأنه يقول لهم: كان يلزم أولاً أن تتعرفوا على أبي قبل أن تسألونني أين هو. فبقوله: «لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً»، يجيب عليهم إجابة مستترة هي نفس الإجابة التي أجاب بها فيلبُّس حينما سأله: «أرِنَا الآب وكَفَانا» (يو١٤: ٨)؛ لأنهم لو كانوا قد عرفوا المسيح، لعرفوا الآب، لأن المسيح هو الصورة المنظورة للآب غير المنظور، وكلمته هي الكلمة المنطوقة من الآب، والعمل الذي يعمله معمول بتدبير الآب، وكذلك المشيئة هي مشيئة الآب. ولكن لأنهم عثروا في المسيح ولم يَرَوْا منه إلاَّ بشريَّته، انحجب عنهم لاهوته، لذلك غابت عنهم صلته بالآب، و بالتالي لم يدركوا من هو أبوه ولا أين هو أبوه.

كذلك لو كان اليهود على علم صحيح بالله «يهوه»، ولهم صلة حقيقية به، لأدركوا المسيح، لأنه ابنه والحامل لصفاته. وفي هذا تعيير مرٌّ لليهودية على وجه العموم التي اسْتُؤمِنَت أصلاً على معرفة الله دون بقية الشعوب، ولكنها برفضها للمسيح، أثبتت أنها متغرِّبة تماماً عن الله.

ومن حيث منهج الحوار، واضح أن اليهود برفضهم شهادة المسيح عن نفسه التي هي شهادة الآب حتماً و بالضرورة، فإن عيونهم وآذانهم انسدَّت عن إدراك الله. هم سَدُّوها بأعمالهم وأخلاقهم، والله سدَّها لهم، لأنهم لم يستحسنوا أن يُبْقُوا الله في معرفتهم. و بهذا تلَفَتْ أدوات المعرفة الحقيقية عندهم ــ «لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً» ــ و بالتالي تعذرت الطاعة لصوت الله لغياب الصوت ذاته!! وهكذا بلغ الاستعداد عندهم لادراك الاستعلان الذي جاء به المسيح إلى الصفر. فانتهى بهم الأمر إلى رفض المسيح **لأنهم لم يعرفوه**، أو بالحري لأنهم **لم يتعرَّفوا عليه**. وهكذا ذهبت دقات الإنذار المتوالية التي أطلقها الله شديدة ومتكررة في آذانهم: «تأتي ساعة وهي **الآن**»، «الآن»، «الآن» حتى انتهى الأوان! وصدر الحكم ووقعوا تحت الدينونة: «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري، لم تكن لهم خطية، وأما الآن **فقد رأوْا وأبْغَضُوني**

أنا وأبي، لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب.» (يو١٥: ٢٤-٢٥)

٨: ٢٠ **«هذا الكلامُ قالَهُ يسوعُ في الخزانةِ وهو يُعلِّمُ في الهيكلِ. ولم يُمسِكْهُ أحدٌ لأن ساعَتَهُ لم تكن قد جاءَت بعدُ».**

وضح الآن المكان الذي التجأ إليه المسيح لإجراء هذه التعاليم، وهو المكان المخصَّص لوضع خزائن جمع الأموال. وهو داخل رواق النساء المكان المحبب جداً للشعب حيث كانت توقد المنارات الأربع في عيد المظال. وقد اختار الرب هذا المكان بالذات داخل الهيكل لأنه قريب، بل في مواجهة المكان المخصَّص لانعقاد السنهدريم والذي يجتمع فيه اليهود عادة، وهذا المكان هو المسمَّى «جازت» Gazith، و يقع بين رواق النساء والرواق الداخلي. وهذا يوضح أن المسيح كان يلقي تعليمه على مسمع من أعضاء السنهدريم. وقد أشار إليه المسيح أثناء محاكمته: «فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع: أنا كلَّمتُ العالمَ علانية. أنا علَّمتُ كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع **اليهود** (الفريسيون) دائماً وفي الخفاء لم أتكلم بشيء.» (يو١٨: ١٩و٢٠)

وعلى المفهوم الميستيكي الذي يرمي إليه ق. يوحنا، يكون قد صدر الحكم النهائي على اليهود من داخل هيكلهم، وعلى خلفية ناموسهم، وفي حضرة سنهدريمهم: أن ليست لهم معرفة بالله.

وليس عبثاً ولا هو لماماً أن يذكر ق. يوحنا أن هذا الحكم صدر في هذا الموضع ومن هذا المنبر الرسمي، فهو إنما قصد قصداً أن يوثِّق الحكم و يسجله للتاريخ وللعالم وللإنسان ككلّ، فليس اليهود فقط، مَنْ حَضرهُم هذا النطق، بل وكل مَنْ يدَّعي بادِّعاء اليهود و ينتهي إلى ما انتهوا إليه.

«ولم يمسكه أحد لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد»:

مراراً وتكراراً انتهى اليهود إلى الأمر بإلقاء القبض عليه، ورُتِّبت كل الأمور، ولكن في آخر لحظة يلغيها المسيح بحق الفيتو الإلهي، لأن حكم الإنسان على الله هو محض افتراء لا يرقى أبداً إلى التنفيذ، فصَلْبُ المسيح لم يكن بأي حال من الأحوال بحسب مشيئة إنسان بل بحسب ضرورة رآها الله وحدَّد ساعتها، ولأن ساعة التسليم الإرادي لم تكن قد جاءت بعد، فهكذا تتفرق الأجهزة والأيدي المتربِّصة في مرارة وسخط يندهش لها رؤساء الكهنة الذين لم يستطيعوا أن يخفوا سخطهم من هذا الأمر أثناء المحاكمة.

ب ــ الجزء الثاني من الحوار

«أنا هو»

(٨ : ٢١ــ٢٩)

٨ : ٢١ــ٢٤ **«قال لهم يسوعُ أيضاً: أنا أمضي وستطلُبونني وتموتونَ في خطيَّتكم. حيث أمضي أنا لا تقدِرُون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود: ألعلَّه يقتلُ نَفْسَهُ، حتى يقولُ حيث أمضي أنا لا تقدِرُون أنتم أن تأتوا. فقال لهم: أنتم مِنْ أسفَلُ أما أنا فمِنْ فوقُ. أنتم من هذا العالمِ أما أنا فلستُ من هذا العالم. فقلت لكم: إنكم تموتونَ في خطاياكم لأنكم إن لم تؤمِنُوا أني أنا هو تموتونَ في خطاياكُم».**

«أفعالُهُم لا تَدَعُهم يرجعون إلى إلههم، لأن روح الزنا في باطنهم، وهم لا يعرفون الرب. وقد أذلَّت عظمة إسرائيل في وجهه، فيتعثَّر إسرائيلُ وأفرايمُ في إثمهما، و يتعثر يهوذا أيضاً معهما. يذهبون بغنمهم و بقرهم (ذبائح) ليطلبوا الرب ولا يجدونه، قد تنحَّى عنهم. قد غدروا بالرب.» (هو٥: ٤ــ٧)

مفتاح فهم هذه الآيات كلمة «أيضاً» والتي تأتي باليونانية: οὖν πάλιν = «ومن أجل ذلك»، أي أن هناك سبباً متكرراً يتكلم من أجله المسيح. و يلاحظ القارىء أن في الأصحاح السابع عدد ٣٣و٣٤ قال المسيح هذا الكلام نفسه تقريباً، وفي نفس الموقف لما جاءت حَمْلة ضباط الهيكل للقبض عليه، وهنا أحسَّ المسيح أن نيَّتهم متجهة أيضاً للقبض عليه مرة ثانية، لذلك وبسبب وضوح نيَّتهم للقتل، بدأ المسيح هنا يحذر بتأكيد وجدِّية أنهم هم الخاسرون في هذه القضية، خسارة لن تُعوَّض لأنها ستكون لهم للموت الأبدي، لأن خطيتهم ستبقى في عنقهم ولن تغفر لهم.

«تموتون في خطاياكم»:

يُلاحظ أن الخطية هنا هي خطية رفض المسيح: «والذي لا يؤمن بالابن ... يمكث عليه غضب الله.» (يو٣: ٣٦)

«ستطلبونني»:

ولكن للأسف ستبحثون عني على الأرض وأنا سأكون في السموات، لذلك عبثاً تبحثون، ولن تجدونني لأنكم محبوسون في النظرة الجسدية الأرضية، ويا ليتكم كنتم تبحثون عني بصلاح نية، ولكنكم في حقدكم اليائس وعناد مقاومتكم لمشيئة الله، لن تكون خيبة أملكم هيِّنة أو يمكن تعويضها، بل ستكون حكماً مؤبداً بالموت في خطيتكم. أما هذه الخطية فسوف يكشف عنها المسيح بعد ذلك بوضوح.

«حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا»:

يلاحظ أن المسيح هنا يركز على الفارق الشاسع بين «أنا» ἐγώ و«أنتم» ὑμεῖς . هذا هو أساس وجوهر الإنفصال الذي لا يمكن تلاحمه مرة أخرى كما هو حادث وسهل الآن بالجسد، الأمر الذي سيوضحه المسيح في آية قادمة.

٨: ٢٢ **«فقال اليهودُ: ألَعلّه يقتلُ نفسَهُ حتى يقولُ حيث أمضي أنا لا تقدِرُونَ أنتم أن تأتوا».**

اليهود هنا هم الفريسيون المتربِّصون، الذين سبق أن قالوا، ردًّا على تحذيره أنه سيمضي ولا يقدرون أن يأتوا إليه، إنه ربما يكون قد فكَّر أن يمضي إلى شتَات اليونانيين ليُعلِّم هناك (٧: ٣٥). ولكن هنا نجد أن ردَّهم يشتدُّ فيه التهجُّم والخساسة مع مرارة الحقد، ربما لشعورهم أن المسيح يتعالى عليهم ويترفَّع عن مستواهم. كما يكشف ردُّهم: إنه ربما «يقتل نفسه»، مقدار ضيق العقل والتفكير المسدود، إذ بحثوا في أنفسهم كيف لا يستطيعون أن يذهبوا إليه؟ باعتبار أن إمكانياتهم في نظرهم تفوق إمكانياته؟ فرأوْا أن هناك مكاناً واحداً لا يستطيعون الذهاب إليه، وهو جِهنَّم، حيث تستقر أرواح الذين يقتلون أنفسهم (حسب مذهب اليهود). كل ذلك تفكروا فيه في ضمائرهم، ولكن المسيح عَلِمَ بما يُضْمرون وبما يُفكِّرون.

٨: ٢٣و٢٤ **«فقال لهم: أنتم من أسفلُ أما أنا فمن فوقُ. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم. فقلت لكم إنكم تموتون في خطاياكم لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو ἐγώ εἰμι تموتون في خطاياكم».**

المسيح هنا يشرح السبب الذي سيحتِّم بعدم قدرتهم على تتبُّع المسيح. ويوضحه على أساس اختلاف الطبيعة واختلاف الوجود بين ما هو أرضي وما هو سماوي، هذا الإختلاف الذي هو أيضاً

السبب في قصور فهمهم.

هذا الاختلاف في الطبيعة سبق أن شرحه لهم الرب بصورة أخرى: «لأني أعلمُ من **أين أتيتُ** وإلى **أين أذهبُ**، وأما أنتم **فلا تعلمون** من أين آتي ولا إلى أين أذهبُ... **أنتم حسب الجسد...**» (٨: ١٤و١٥). هنا يكون عدم معرفتهم لطبيعة المسيح ومن أين جاء، هو الذي سبّب عدم معرفة المسيح؛ وأما عدم معرفتهم إلى أين يذهب فقد أضاع عليهم معرفة رسالته ومعرفة الذي أرسله.

هنا المسيح يوضح أكثر جداً من أي شرح آخر من أين هو وما هي طبيعته:

«**أنتم من أسفل**» ἐκ τῶν κάτω ، أي من الطبيعة الترابية، من الأرض، من المحدود الزمني المنتهي إلى الموت، من تحت الباطل والزيف والأقنعة الزائلة.

«**أما أنا فمن فوق**» ἐκ τῶν ἄνω أي من الطبيعة الخالقة، من السماء، من اللامحدود الأزلي، من الخالد الأبدي، من الحق القائم بذاته والدائم بكيانه.

«**أنتم من هذا العالم**»، المتغير والزائل المحكوم بالقُوَى الطبيعية، والذي أُخضع للباطل، و يسوده الشر، و يغطيه الظلُّ و يعبث به الدوران!

«أما أنا **فلستُ من هذا العالم**»، **أتيت إليه مُرْسَلاً، وأتركه** وأذهب من حيث أتيتُ؛ **دخلتُه** لأُخلّصه، وأفْدِيه، وأُحييه، وأُنيره، ثم أنطلقُ مفتتحاً الطريق المؤدي إلى السماء لمَن استطاعوا أن يغلبوه ــ كما غلبتُه «بدم الخروف وبكلمة شهادتهم» (رؤ١٢: ١١). هنا ردٌّ يُخرس ظنّهم الآثم أنه يذهب إلى الجحيم بقتله لنفسه.

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن طبيعة المسيح هي «من فوق» ولم تنزل أبداً «إلى أسفل». فنزوله إلينا كان فقط من أجلنا، وأما هو من حيث طبيعته فهو لم يزل «من فوق»، وهو لم يَزَلْ موجوداً فوق في السماء حتى أثناء وجوده معنا على الأرض: «ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، **ابن الإنسان الذي هو في السماء**» (يو٣: ١٣). فنزوله كان فقط من أجل أن يجذبنا معه إلى فوق و يرفعنا معه حتى إلى الآب(*)، كما قال هو نفسه في مناسبة أخرى: «**وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذبُ إليَّ الجميع**» (يو١٢: ٣٢)، حيث هذا الجذب السّري يعتمد أساساً على كون طبيعته طبيعة إلهية «من فوق» وإلى فوق، فإن تم الإتحاد بينه و بيننا نحن الذين «من أسفل» فلا بد أن يجذبنا معه إلى فوق.

(*) «رفع قديسيه معه إلى العلاء وأعطاهم قرباناً لأبيه» (صلاة القسمة لعيد القيامة والخمسين المقدسة).

هنا تظهر للغاية أهمية الإتحاد بالمسيح. لأن الخطايا التي عُملت هي في الواقع شهوات ورغبات أرضية ارتبطت بها النفس وصارت تُشكِّل ثقلاً أرضياً شديداً جداً، يستحيل معه أن نرتفع إلى السماء، إن لم تتغلب عليها جاذبية المسيح. فالإرتفاع إلى فوق مع المسيح مذَّخر للذين أحبوا المسيح وعاشوا معه وصادقوه واتحدوا به. فإن لم نكن عائشين معه **في شركة حقيقية** ــ وليس مجرد شركة فكرية أو عقائدية ــ يستحيل أن نرتفع معه إلى فوق، لأن طبيعتنا تُوقعنا من جديد إلى الأرض.

وأما هو فطبيعته سماوية «من فوق» وله القدرة على الرفع إلى فوق، بل إن هذه القدرة على الرفع هي قدرة **مطلقة**. وأما ثقلنا فهو غير مطلق ولكنه محدود، حتى إذا اعتبرنا ثقل البشرية كلها مجتمعة، فهي في مجموعها لا تخرج عن كونها خليقة محدودة ــ وخطايانا مهما كثرت هي أيضاً محدودة ــ وأما هو فله طبيعة إلهية مطلقة، ولذلك فقدرته على الجذب «إلى فوق» تفوق بلا قياس ثقل البشرية الذي يجتذبنا إلى أسفل.

من أجل ذلك، فالإتحاد بالمسيح في غاية الأهمية لأنه الوسيلة الوحيدة التي بها نرتفع معه إلى فوق، بكل هدوء وبكل سلام، لأنه هو الذي يجذبنا ويرفعنا ولسنا نحن من ذواتنا.

وبهذا المعنى أيضاً قال: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً. وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً **وآخذكم إليَّ** حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو١٤: ٢ــ٤). **«آخذكم إليَّ»** لأنكم بدوني لا تستطيعون أنتم أن تأتوا إلى فوق لأنكم أنتم بحسب طبيعتكم «من أسفل». ولذلك: «كما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن» (يو١٣: ٣٣). ولما اعترض بطرس قائلاً: «لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن؟»، أوضح الرب أنه طالما الخطية كائنة فيه ــ وهي التي ستقوده إلى الإنكار ــ فهو لا يستطيع أن يتبع الرب ولا أن ينجذب إليه «إلى فوق». «ولكنك ستتبعني أخيراً» (يو١٣: ٣٦)، أي متى طهَّرتُك من خطيتك التي تثقِّلك الآن وتجذبك إلى أسفل.

فالأماكن النورانية الفوقانية التي لها الإرتفاع المهول تحتاج إلى خفة كبيرة للوصول إليها، فلن تبلغها إلاَّ بعد أن يرفع الرب عنا أثقالنا، و يعلمنا كيف نصعد معه إلى فوق ثم إلى فوق وإلى أبد الآبدين.

هذه هي في الحقيقة شهوة المسيح الأزلية التي من أجلها احتمل كل شيء، والتي طلبها من أجلنا بإلحاح من الآب: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني، **يكونون معي حيث أكون أنا** لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو١٧: ٢٤)

هذا هو نصيبنا المفتخر فوق. ولكنهُ يُصنع هنا في الزمان الحاضر. فإن مُتْنا قبل أن نحصل على هذا الإتحاد وقبل أن نحقِّق هذه الصلات الحية بالمسيح، فكما يقول لليهود: «ستطلبونني وتموتون في خطيتكم» (يو٨: ٢١)، حيث الخطية هنا بالمفرد وهي خطية رفض المسيح وعدم التجاوب معه.

لذلك يجب أن ننتبه جداً أن في قول المسيح: «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق» دعوةً سرية وتنبيهاً لأذهاننا لضرورة تكوين علاقة حية به حتى نتغيَّر ونتجدَّد، فنعرفه على حقيقته ونأخذه، وإذا ما أخذناه يحملنا معه إلى فوق!

أما إنْ تغاضينا عن الدعوة وأهملناها، فإننا نصير كاليهود الذين رفضوه ونبقى بعيدين عنه.

ولذلك، يوضِّح المسيح مدى الهوّة التي بينه، والتي تختبىء وراء كيانه الإلهي غير المنظور والمتغرِّب زماناً يسيراً بعدُ، وبينهم كبشر يهود عندما رفضوه ليَبْقَوا على الأرض التي استوطنوها. ويُعقِّب المسيح مستزيداً قوله توضيحاً: «**فقلت لكم إنكم تموتون في خطاياكم**». لأن مجيئي لم تدركوه، وخلاصي لم تقبلوه، وفدائي أهنتموه. لهذا بَقِيَتْ لكم خطاياكم مربوطة في أعناقكم.

«لأنكم إنْ لم تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم»:

والمسيح هنا يَبْلغ في استعلان شخصه الإلهي أقصى المدى، حينما يقول: «إن لم تؤمنوا أني **«أنا هو»**. **وأنا هو** ἐγώ εἰμι، كما قلنا مراراً، هو **«اسم الله»** الشخصي، أي الذاتي الذي عُرف به(٩)، ويُنطَقُ بالعبرية «Ani ho» (تث٣٢: ٣٩، إش٤٣: ١٠). وقد لقَّب المسيح نفسه بهذا الاسم، ليس اختطافاً، بل إن الآب **أعطاه اسمه ليعلنه ويتكلم به**: «أنا أظهرتُ اسمك للناس» (يو١٧: ٦)، «**عرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهُم**، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو١٧: ٢٦). ومعنى كلام المسيح: أنه إذا لم يؤمنوا باسمه «أنا هو»، أي يؤمنوا به باعتباره حامل اسم الله والمتكلم عنه لكي يحمل خطاياهم ويفديهم، فسيموتون في خطاياهم.

ويلاحظ القارىء في هذه الآيات أننا الآن في اليوم الأخير من العيد، والكلُّ يتهيَّأ لأن **يمضي** إلى بلده ووطنه وأهله. فمن هذا المنطلق والإحساس قال لهم المسيح: «أنا **أمضي** وستطلبونني»، (أي لن يكون معهم في عيد المظال القادم)، ولن يستطيعوا أن يذهبوا وراءه بعد ذلك، وسيموتون في خطاياهم بسبب عدم إيمانهم ورفضهم له. كذلك كما لاحظنا في تسجيل ق. يوحنا لكلام الفريسيين السابق عندما قالوا عنه: «ألعله مزمع أن يذهب إلى **شتات اليونانيين ويعلِّم**

(٩) راجع المدخل ص٢١٨—٢٤٦، وعلى الأخص ص٢٢٢ و٢٢٩.

اليونانيين» (يو٧: ٣٥)، فإن ق. يوحنا يُنْبِىء من بعيد إلى **مستقبل الكنيسة وكرازتها في العالم اليوناني**، كذلك هنا يُنْبِىء بقول الفريسيين: «ألعله **يقتل نفسه**»، بما سيتم فعلاً على مستوى **تسليم ذاته** ليُذبح بإرادته، وذلك في أسلوب سرِّي مُبْدِع.

كذلك نلاحظ في قول المسيح: «**أنا من فوق**»، «أنا لست من هذا العالم»، أنه لتوجيه الذهن **إلى الآب** الذي جاء من عنده، ثم في قوله: «**أنتم من أسفل**»، «أنتم من هذا العالم»، أنه ليوجِّه ذهنهم **إلى أب الآباء** الذي منه انحدروا، أي إبراهيم، وهو سيستخدم هذا المعنى بعد قليل حينما يقول: «قبل أن يكون **إبراهيم، أنا** كائن»، مشيراً إلى أزليته. ويمتد بنفس المعنى ليعلن أن الذين أضمروا قتله، فقدوا أُبوَّة إبراهيم، فصاروا من أب هو إبليس.

ولكن اليهود أصابهم الدوار حينما سمعوا المسيح يقول بوضوح عن نفسه: «أنا هو» ἐγώ εἰμι، فاستدرجوه: «من أنتَ»؟

٨: ٢٥ «فقالوا له: مَنْ أنت؟ فقال لهم يسوع: أنا من البدءِ ما أُكلِّمُكُم أيضاً بِهِ».

«فقالوا له: من أنت؟»:

واضح أن الفريسيين يسألون، ولكن ليس على أساس من صحة الضمير والنية، فهم يطالبونه أن يوضح شخصيته لا لكي يؤمنوا به ولكن ليجدوا علّة أخطر يمسكونها عليه، خاصة وهو يستخدم اسم الله «أنا هو»: «آني هوــ بالعبرية Ani ho» والتي تُرجمت في السبعينية بـ«أنا هو الكائن بذاتي». وحتى ولو كانت لهم أقل نية لمزيد من معرفة شخصه، بعد كل الذي قاله لهم، لكان سؤالهم يتحدد في طلب المزيد، ولكنهم هنا يطالبونه بإعلان محدد: «مَنْ أنتَ؟». وهو نفس السؤال الذي سألوه ليوحنا المعمدان، فالمعمدان ردَّ عليهم رداً واضحاً يتناسب مع نيتهم فقال: أنا لست المسيح. ولست إيليا. ولست النبي (الذي تنبأ عنه موسى). أي كان الرد بالسلب الكامل من جهة الأسماء الكبيرة، ثم **حدد شخصه بعمله** قائلاً: «أنا صوتُ صارخ». ثم أشار إلى المسيح الذي ينتظرونه: «ولكن في وسطكم قائمٌ الذي **لستم تعرفونه**». أما رد المسيح هنا فهو إيجابي، من نحو الإعلان عن شخصه والإعلان عن عمله.

«أنا من البدء ما أُكلِّمُكم أيضاً به»:

المسيح هنا يشير إلى شخصه [«**أنا**»]، وشخصه لا بد وأن يكون قد ظهر من الإعلانات العديدة التي تكلم بها عن نفسه: إنه هو «نور العالم»، و«الخبز النازل من السماء»، و«ينبوع

الماء الحي»، وأن كلامه على وجه العموم «روح وحياة». أما كلمة «**من البدء**»، فهي في أسلوب ق. يوحنا إشارة إلى أن **شخصه المتحدِّث لم يُستحدَث في العالم**، بل هو ممتد في الأزل: «**في البدء** كان الكلمة والكلمة كان عند الله»، ولكن استعلانه ابتدأ منذ بدأ المسيح يتكلم عن نفسه ورسالته: فكلمة في البداية «من البدء» تعود على الكلام مباشرة «أنا ... ما أكلمكم به»، ثم تعود على شخص المسيح بطريق غير مباشر بالتالي. فكلام المسيح لا يُقصد به أن يعلن لهؤلاء المقاومين أنه «البدء» ἀρχή أو أنه «في البدء» أو «من البدء»، لأن هذه الاصطلاحات اللاهوتية تحتم وجود ظرف يوناني معين مثل: ἐξ ἀρχῆς أو ἀπ᾽ ἀρχῆς، ولكن المستخدم في هذه الآية هو τὴν ἀρχήν، ومعها لم يجيء الكلام ــ أكلمكم ــ من أصل «الكلمة اللوغس» λόγος حتى كان يتبادر إلى الذهن «في البدء كان الكلمة»؛ بل جاء الكلام بمعنى «الحديث» λαλεῖν وليس λέγειν، وفي الفعل المضارع أيضاً. لذلك فكلمة «**بالبداية**» لا تعود على شخص المسيح، ولكن تعود على الحديث نفسه. أي أن المسيح منذ البداية أعلن عن شخصه في أحاديثه ــ وكان ينبغي أن يُعرف من كلامه ــ ولكن حديثه **منذ البداية** عن نفسه يحمل معنى يمتد بالضرورة الحتمية ليغطي وجوده أيضاً، الذي هو منذ البداية. أليس هو القائل بعد ذلك مباشرة: «**قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ**»، و«**إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى** وفرح» (٨:٥٨و٥٦)؟

لذلك فردُّ المسيح: «أنا من البدء ما أُكلمكم به»، يفيد أن شخصه من البدء قد استُعلن بواسطة حديثه. والملاحظ دائماً في كل ردود المسيح على المقاومين أنه لا يرد ردًّا مباشراً على السؤال، ولكنه كان يجيب إجابة تغطي أسئلتهم المخادعة، وتجيب على عدم **فهمهم** له، وتعطي معلومات جديدة وصحيحة عن حقيقة شخصه. لذلك يكمل المسيح ردَّه عليهم بما يفيد **نقص فهمهم** مع **مكرهم وخداعهم**، أي جهلهم ولؤمهم معاً.

٨:٢٦و٢٧ **«إن لي أشياءَ كثيرةً أتكلَّمُ وأحكُمُ بها من نحوكم. لكن الذي أرسلني هو حقٌّ، وأنا ما سمعتُه منه فهذا أقولُهُ للعالم. ولم يفهموا أنه كان يقولُ لهم عن الآب».**

واضح هنا من استطراد المسيح، أن ردَّه: «أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به» لا يغطي اتساع جهلهم وعمق لؤمهم، وأن عنده «**كلامٌ**» و«**حُكْمٌ**»، كلام يغطي جهلهم وحُكْم يحكم به على خداعهم ولؤمهم. ثم يستطرد المسيح، إنه مهما أشاعوا من الكذب والتضليل بين الشعب، فهو يكفيه أنه يعلن الحق الذي سمعه من الآب، ليس لهم بل للعالم كله. و يقول ق. يوحنا مُعلِّقاً،

إنهم لم يفهموا أنه كان يتكلم عن الآب عندما قال: «"الذي أرسلني" هو حقٌّ».

٨: ٢٨و٢٩ **«فقال لهم يسوعُ: متى رفعتُم ابنَ الإنسانِ، فحينئذٍ تفهَمُون أني أنا هو، ولستُ أفعلُ شيئاً من نفسي، بل أتكلمُ بهذا كما علَّمني أبي. والذي أرسَلَني هو معي، ولم يتركني الآبُ وحدِي، لأني في كلِّ حينٍ أفعلُ ما يُرضيه».** (١٠)

وكأنما المسيح قطع كل الأمل في أن يتعرف عليه خاصته، أي اليهود، أو يُقْبِلوا إليه: «إلى خاصَّته جاء وخاصته لم تقبله» (يو١: ١١). فلم يَبْقَ أمامهم إلا أن يعودوا ويدركوا، إنما بعد فوات الأوان، بعد أن يفعلوا به فِعْلَتهم، حينما تأتي ساعتهم متوافقة مع ساعة سلطان الظلمة، ويتم رَفْعُه على الصليب، وحينئذ تتجلى حقيقته أنه: «أنا هو»، الذي هو الاسم الجليل والكريم والمُرعِب الذي ليهوه، الذي حمله المسيح وأعلنه باعتداد نائباً عن الآب الذي أعطاه كل ما يقول ويعمل. أما من نفسه فلم يعمل شيئاً، بل في كل شيء لمرضاة ومشيئة الآب الحالِّ فيه، والذي لم يتركه لأيديهم قط. وهنا ليس من الضرورة أن تكون إشارة المسيح إلى كونهم سيعرفونه، في الصَّلْب أو بعد الصليب، بل هي إشارة غير مربوطة بالزمن بل بالعمل، فالعمل الذي عملوه سيُنقَش على عقولهم وقلوبهم، ولن يُنسى الآن قط، لأن السماء والأرض ما تزال تردد ما فعلوه إلى أن يُستعلن في مجده مجروح الجانب، وحينئذٍ «ستنظره كل عين والذين طعنوه وينوحون عليه» (راجع رؤ١: ٧) نوح الندم بلا ندم، حينما يُستَعْلَن، لا مسيًّا إسرائيل بعد، بل ديَّانَ العدل!

«متى رفعتم ابن الإنسان»:

هنا المسيح يستخدم الاصطلاح المحبَّب إليه، والمعروف في التقليد العبراني، والذي يشير إلى الصليب والقيامة معاً، فهو ارتفاع ورِفْعَة، هوان ومجد، فعلان مترافقان ومتضامنان. وقد استُخدم هذا التعبير في العهد القديم بنفس هذا المعنى. فنقرأ عن **ارتفاع المجد**: «في ثلاثة أيام أيضاً **يرفع** فرعون رأسك ويردك إلى مقامك.» (تك٤٠: ١٣)

أما عن **الرفع للهوان** والموت فنقرأ: «في ثلاثة أيام أيضاً **يرفع** فرعون رأسك عنك ويُعَلِّقك على خشبة» (تك٤٠: ١٩). وهكذا حينما تتعارض مشيئة الخطاة مع مشيئة الله، فلا بد من

(١٠) يُقرأ هذا الفصل (٨: ٢٨ـــ٤٢) في عشية عيد الصليب (١٧ توت و١٠ برمهات) لما جاء فيه من إشارة إلى رفع المسيح على الصليب واستعلان لاهوته: «متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذٍ تفهمون أني أنا هو».

الصليب ولا بد من المجد. وحينما يصلبون ابن الإنسان، حينئذ سيدركون أنه ابن الله.

«بل أتكلَّم بهذا كما علَّمني أبي»:

المسيح هنا يشير إلى كل تعاليمه، وإلى شرح مركزه بالنسبة لله الآب، وإلى قوله «أنا هو» ἐγώ εἰμι . هذه كلها هي نُطْق الآب فيه، وهي حق كل الحق، وليس فقط أن كل قول وعلم وعمل هو من الآب وإلى الآب، بل والآب نفسه المتكلم والعامل فيه وبه، هو «**كائن معه**». فالكلمة قبل التجسد كان عند الله كائناً معه، ابناً في حضن أبيه، وبعد التجسد صار الآب عند الابن كائناً معه. لأن الابن المتجسد لم يفارق الآبَ قط، ولم يفارق الآبُ الابنَ، فجوهر الألوهة يجمعهما، ويجمعهما جوهر الحب المتبادل أيضاً وبالتساوي، والحب بعد التجسد صار من جهة الآب مُعلَناً بالإرسالية، الآب أحبَّ الابن وأرسلَه. أما من جهة الابن فاستُعلن الحب فيه بالطاعة المطلقة للآب. طاعة مذعنة حتى إلى أداء الموت، ولكن لم تكن قط طاعة مَذَلَّة أو إذلال، بل طاعة رضىً وإرضاء، طاعة حب واسترضاء، طاعة تحيطها المسرة من كل جانب. طاعة قوتها العمل الجاد واحتمال المخاطر، وليست بمشاعر بشرية تتوقف عند الخطر: «ولم يتركني الآب وحدي، لأني في كل حين **أفعل ما يرضيه**».

ج ــ الجزء الثالث من الحوار
«إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»
(٨: ٣٠ــ٥١)

٨: ٣٠ــ٣٢ **«وبينما هو يتكلمُ بهذا، آمنَ بِهِ كثيرونَ. فقالَ يسوعُ لليهودِ الذين آمنوا به: إنكم إن ثَبَتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحقَّ والحقُّ يحرركم».**

في هاتين الآيتين يلزم التفريق بين مضمونهما، وهو **الإيمان.** فالترجمة العربية قاصرة جداً، حيث جاء الإيمان في الآية الأولى بشكله اليقيني مثل الإيمان في الآية الثانية تماماً دون تفريق، مما يفوِّت على القارىء المعنى الحقيقي. أما في الأصل اليوناني **فيأتي «الإيمان» في الآية الأولى بشكله اليقيني** πιστεύειν εἰς وتأتي ترجمتها الصحيحة **«يؤمن به»** وفي اللغة الإنجليزية believe **in** him. أما «الإيمان» في الآية الثانية فيأتي باللغة اليونانية πιστεύειν τινί بدون تأكيد، بمعنى «يصدق» فقط، وبالإنجليزية believe him، وبهذا يستقيم المعنى والشرح. فعندما سمع اليهود كلام المسيح المقنع **اقتنعوا**، إذ رأوا فيه ملامح المسيَّا، **فأظهروا** أو تظاهروا أنهم يؤمنون؛ ولكن المسيح عرف ما في ضمائرهم ونيَّاتهم، إذ كان ذلك مجرَّد تصديق للأقوال فقط التي جاءت على هواهم لبلوغ غاية أمانيهم الوطنية، وليس إيمان التعرف على حقيقة المسيح المخلِّص والإلتصاق به. فكان في نيتهم أن يُجاروه حتى يتأكدوا أنه «المسيَّا» الذي سيعيد المجد لإسرائيل ويحررهم من الرومان، أي **مسيَّا السياسة ودنيا اليهود.** وكان في قلبهم أنه إذا ظهر أنه ليس هو المسيَّا الذي ينتظرونه، يكون مدَّعياً ومستحقَّ الموت. لذلك بادرهم المسيح بأقوال كشفت في الحال أن إيمانهم هو مجرد تصديق أقوال جاءت على هواهم، بانتظار ما يستجد من الأمر، **وليس اتِّباعه أو الإلتصاق به على أساس الإيمان به ومعرفة الحق.**

«فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به (أي صدَّقوه) إنكم إن ثَبَتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي»:

فالمسألة ليست تصديق كلام **«ولكن ثبوت فيه»**، بمعنى اتباعه واتخاذه منهجاً وطريقاً، وحينئذ يكونون من التابعين، أي تلاميذ مبادىء وطريقٍ وحقٍّ وحياةٍ، وهكذا يتحررون من المعرفة

الخاطئة لمعلمين دُخَلاء: «وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يحرركم».

هنا يضع المسيح موضوع تحرُّرهم من عبودية الرومان الذي كان يشغل بالهم، والذي هو منتهى آمالهم وإيمانهم في المسيا المنتظر، الذي سيحرِّرهم بالسيف، موضعاً حرجاً للغاية؛ إذ يكشف لهم أن عبوديتهم للرومان هيِّنة وبسيطة بجوار عبوديتهم للجهل والخرافات التي طمست معالم الحق الإلهي في قلوبهم، وأن المسيح جاء ليحرِّرهم من الجهالة، وليس ليحرِّرهم على مستوى السياسة. وفي الأصل اليوناني يجعل المسيح «**الثبوت**» ليس ثبوت فكر مع فكر بل **ثبوت أشخاص**: «أنتم»، «**إن** (أنتم ὑμεῖς) **ثبتُّم** في كلامي»، والنتيجة أنهم **هم** يصيرون تلاميذَ. فالمسيح يردُّ تفكيرهم وآمالهم وظنونهم من أحوال دنياهم وهمومهم وأفكارهم السياسية، إلى أحوالهم القلبية الداخلية وحياتهم هم مع الله. فإذا صاروا تلاميذ للمسيح فإنهم يتتلمذون للحق، يعرفونه ويسيرون بمقتضاه، فيتحررون من سيرتهم الداخلية التي أبعدتهم عن الله وزيَّفت لهم خصائص المسيَّا. وقد سبق المسيح وقال: «إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم» (٨: ٢٤). وهنا يكمِّل التلمذة الصحيحة: «إن (أنتم) ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي»، ثم يعطي النتيجة للإيمان الصحيح والتلمذة الصحيحة وهي: «تعرفون الحقَّ، والحقُّ يحرركم». هنا يلمِّح المسيح إلى الصلة الجوهرية بين «**التلمذة له**» ــ أي التسليم المطلق للمسيح ــ و«**المعرفة**»، و«**الحق**»، و«**الحرية**»، فهذه الأصول الثلاثة «المعرفة، والحق، والحرية» تنبع منه هو، وبالتالي تنصبُّ فيهم بالطاعة وتسليم الحياة. فهو الذي جاء أساساً:

أولاً: **ليعرِّف** الناس بالله الآب، وبالحياة الأبدية، فالآب مصدر المعرفة الحقيقية: «**عرَّفتهم** اسمك وسأُعرِّفهم» (يو١٧: ٢٦). واختصارها أن الابن استعلن الآب، وهذا هو جوهر المعرفة: «هذه هي الحياة الأبدية أن **يعرفوك** أنت الإله **الحقيقي** وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلْتَه» (يو١٧: ٣). واختصارها أن معرفة الإيمان بالآب والابن هي هي الحياة الأبدية.

وثانياً: ليعرِّف الناس **الحق**: «أنا هو الطريق **والحق** والحياة» (يو١٤: ٦)، واختصارها أن المسيح هو الطريق، أي الوسيلة العملية الوحيدة لمعرفة الحق، لأنه هو الوحيد الذي حمل اللاهوت وأعلنه جسدياً، أي الوحيد الذي أعلن الحق الإلهي المطلق منظوراً ومسموعاً ومعمولاً، والحق هو جوهر الحريات.

وثالثاً: الحرية: بموته فَكَّ أسْرَ الإنسان من عبودية الخطية، فأصبحت مشيئة الإنسان حسب مشيئة الله، لأن المحدود الزمني، وهو الإنسان، أصبح متوافقاً مع المطلق الأبدي وهو الله. وهي أقصى غاية الحرية التي يمكن أن يبلغها المخلوق.

ويلاحظ أن التلمذة الصحيحة تقوم على المعرفة الصحيحة للحق، ولكن لا يمكن أن تُحسَبَ التلمذة صحيحة إلاَّ إذا اختُبِرَ ثبوتها ورسوخها وعدم تزعزعها. وهذا كان محور تأكيد المسيح التعليمي من جهة التلمذة له: «اُثبُتوا فيَّ»، «اُثبُتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي. كما أني أنا قد حفظتُ وصايا أبي وأثبتُ في محبته.» (يو١٥: ٤و٩و١٠)

من هذا يتضح أن "ثبوت الإنسان في كلام المسيح" الذي يطالب به المسيح هنا اليهود، هو الطريق الوحيد المؤدي إلى بقية الآية: «وتعرفون الحق والحق يحرركم». فالثبوت في كلام المسيح يفتح البصيرة والذهن ويستعلن «الحق».

كذلك يكون «الحق» هنا ليس هو **الحق الفلسفي** الفكري، الذي ينتهي عند العقل لمعرفة حقيقة الأشياء وجوهرها وتمييزها من مظاهر الأشياء؛ بل «الحق» الروحي الذي يؤدي إلى الحياة في الله ومعه، **الحق** الذي يحرر المشيئة من التعلُّق بالباطل والأوهام والخطية، وهو «حقٌّ» السلوك والعمل والحب والبذل.

هنا يلزم أن نضع «**المسيح**» موضع «**الحق**» لكي ينكشف لنا بساطة التعبير: «تعرفون الحق والحق يحرركم»، وهو ما فعله المسيح بعد ذلك في آية قادمة (٨: ٣٦). وهذا أيضاً ما علَّم به ق. يوحنا في رسالته الأولى بوضوح: «لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون "**الحق**"، بل لأنكم تعلمونه، وأن كل كذب ليس من الحق. مَنْ هو الكذَّاب، إلاَّ الذي ينكر أنَّ يسوع هو المسيح، هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن.» (١يو٢: ٢١و٢٢)

هنا المسيح «كحق» تكون معرفته ليست من على بُعد كمعرفة التأمل في الأمور الخارجة عن الإنسان، بل معرفة المسيح هي **قبوله شخصياً** والخضوع له بالفكر والمشيئة والقلب، لاستقبال روحه وحياته ومشيئته وحبه وعلاقته السرية بالآب!! وبالتالي نوال الفداء والخلاص والتبرير والشفاعة والمجد والتبني، وهذا هو قمة بلوغ الحق والحرية. لذلك يستحيل بلوغ الحرية ــ للحياة بها ــ إلاَّ بمعرفة الحق، ويستحيل معرفة الحق ــ للحياة به ــ إلاَّ بالمسيح. هذا هو جوهر الإيمان المسيحي، فالإيمان بالمسيح ليس نطقاً ولا فكراً ولا فهماً، بل قبول المسيح ذاته. فالإيمان المسيحي، فعل حار، خبرة ساخنة تشعل القلب، ترفع الهم، تريح النفس، تبرىء الضمير، وهذه هي الحرية: «حرية مجد أولاد الله.» (رو٨: ٢١)

٨ : ٣٣ «أجابوه: إننا ذُرِّيَّة إبراهيم، ولم نُستَعْبَد لأحد قط. كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً».

لقد استثار المسيح في هؤلاء اليهود ــ الذين أظهروا في البداية قبولاً لكلام المسيح ــ أفكارهم الدفينة المترسِّبة عَبْر الأجيال والدهور، القائمة على الغُلُوّ في الوطنية السياسية المصبوغة من الخارج بالعبادة، والموضوع عليها شعار يَهْوَه، لتصبح السياسة المقدسة التي لا يستطيع أن يمسَّها أحد. فكيف لهذا المعلم أن ينفي عنهم الحرية وهم قد أخذوا السيادة على العالم بكل شعوبه وأممه، بوعد وتعهُّد من الله لأبيهم إبراهيم! وإن كانت بلادهم وأرضهم اجتاحتها جيوش أعداءٍ على مر السنين، مصريين وبابليين وأشوريين ورومان، فكما جاءوا هكذا رحلوا دون أن يمسوا ميراثهم أو تراثهم أو عوائدهم أو عبادتهم. لقد خرج اليهود من نيْرِ الأسْرِ مراراً وهم أحرار كما كانوا، بوعد أبيهم إبراهيم. فكيف يَعِدُهم هذا بالحرية وهم في حريتهم قائمون؟

نظرة عامة في الحوار في الأصحاح الثامن: (٨: ٣١ــ٥٩).

في هذا الحوار بين المسيح واليهود الذين أظهروا في البداية قبولاً لكلام المسيح، واضح هنا المقارنة المفتوحة بين:

التمسك بافتقاد الله في القديم، وافتقاد الله الجديد الذي أُكْمِل في المسيح؛ وبين النظرة الخلفية للتاريخ، والنظرة الأمامية التي للروح.

بين مظاهر الأمور الإلهية؛ وبين جوهر الفعل الأخلاقي.

بين المعالجة الزمنية للحياة الأرضية؛ وبين الخَلْق الجديد بالروح للحياة الأبدية.

والمقارنة التي في هذا الحوار تُعْتَبَر أكمَلَ في مشتملاتها من الحوار السابق كله، لأن هنا يبدأ الحوار من إبراهيم أب الآباء كممثِّل لليهود، بينما كان موسى الممثِّل لليهود في الحوار السابق.

ومن معارضة اليهود لكلام المسيح يتبين الخط الذهبي للمفهوم اليهودي الذي كان المسيح يخاطبه:

(أ) ٨: ٣٣ **«إننا ذُرِّية إبراهيم، ولم نُستَعبد لأحدٍ قط،**
كيف تقول أنت إنكم **تصيرون أحراراً»**.
٨: ٣٩ **«أبونا هو إبراهيم»**.
٨: ٤١ «إننا لم نولد من زناً، **لنا أبٌ واحد وهو الله»**.

(ب) ٨: ٤٨ «إنك سامريٌّ وبك شيطان».
٨: ٥٣ «ألعلَّك أعظمُ من أبينا إبراهيم الذي مات ... من تجعل نفسك».
٨: ٥٧ «أفرأيت إبراهيم».

أ ـ وهنا نجد أن الثلاث الإجابات الأولى تختص:
أولاً: بفكر اليهود عن المواعيد الروحية لميراث حسب الجسد.
وثانياً: بفكر اليهود عن القرابة الجسدية كمحلّ للإفتخار بأعمال الآخرين.
وثالثاً: باتخاذ العناية الإلهية للتمجيد الذاتي، كدرع يخفي فساد السيرة.

ب ـ أما الثلاث الإجابات الأخيرة فهي ردودٌ على:
إدانتهم للمسيح، والحكم القاطع ضده من جهة مظهر سلوكه ضدهم.
ثم من جهة مصدر سلطانه كما تراءى لهم،
ثم من جهة ادعائه بالوجود السابق لوجوده (الألوهة المستترة).

وبهذا التحليل نستطيع أن ندخل إلى فهم وهدف هذا الحوار. فالمسيح بدأ الحوار بالوعد بإعطاء الحرية للذين أرادوا أن يؤمنوا به، إنْ هم ثبتوا في تعليمه، ولكنهم رفضوا الكلام من أساسه باعتبارهم أحراراً (عدد٣٣). وكان ردُّ المسيح أن حريتهم التي يزعمونها ليست حرية، لأن الذي يخطيء يصير عبداً للخطية، فالخطية تسلب الإرادة وتسلب الاختيار. فحريتهم بلؤمها عصيان أخلاقي، فهي حرية ليست روحية أو بحسب الحق والبر (٣٣ـ٣٦).

وأضاف المسيح أن الاحتفاظ بميراث الآباء الديني بينما هو لا يحمل معه السلوك والأخلاق بمقتضى الآباء، ينتفي أن يُدعى ميراثاً دينياً!! (٣٧ـ٤٢).

كذلك قال لهم إن إخفاقهم في الاستماع إليه، إنما يرجع لعدم قبولهم للحق وهذا ينبع من طغيان عنصر الشر فيهم (٤٣ـ٤٧).

وإن كان المسيح يحكم عليهم، فحكمه عن حق (٤٨ـ٥٠).
والكلمة التي يتكلم بها، هي بحدّ ذاتها مُحيية (٥١ـ٥٣).
وإن الحرية التي يدعو لها، أعلى من الحرية التي ورثوها من إبراهيم، لأنه كائن قبل أن يكون إبراهيم (٥٤ـ٥٨).

٨: ٣٤-٣٦ **«أجابهم يسوع: الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُمْ إنَّ كلَّ من يعمَلُ الخطية هو عبدٌ للخطيةِ. والعبدُ لا يبقى في البيتِ إلى الأبدِ. أما الابنُ فيبقى إلى الأبدِ. فإن حرَّركم الابنُ** (ابن الله)**، فبالحقيقةِ تكونونَ أحراراً».**

لينتبه القارىء إلى أن تكرار النطق **«بالحق»** بالنسبة للمسيح، يشير إلى حقيقة ثابتة تمتُّ إلى طبيعة المسيح وعمله، فهو هنا يقرر ماهية **«الحرية الحقيقية»**، حيث ينسبها إلى القداسة الفردية كعلاقة وثيقة مع الله، إزاء زعمهم أن الحرية هي معيار وضع الأمة سياسياً، الأمر الذي دمَّر مستقبلهم الخلاصي. لأن الذي يفعل الخطية فهو يحيا حياة الإثم والتعدي، إذ يرتبط بالعالم و يفقد حريته ثم نفسه، و يكون قد فقد **حرية البنين** وصار **عبداً للخطية،** لأن إبليس يكون قد تسيطر على إرادته وتولى قيادته: «كلُّ مَنْ يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً، والخطية هي التعدي. وتعلمون أن ذاك أُظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية. كلُّ من يَثْبُت فيه لا يخطىء» (١يو٣: ٤و٥و٦)، **«مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس،** لأن إبليس من البدء يخطىء. لأجل هذا أُظهر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس.» (١يو٣: ٨)

والمسيح هنا يتعقب الحرية ليوصِّلها إلى القداسة ثم إلى الله.
و يتعقب الخطية و يوصلها إلى العبودية ثم إلى إبليس.
وهكذا فكل من يحيا حياة الإثم **والتعدي،** يكون قد فقد حرية البنين بالنسبة لله. ولا سبيل إلى إعادة **حرية البنين** له إلاَّ بواسطة **ابن الله،** وذلك لأنه الوحيد الذي يرفع الخطيئة و يقدِّس، فيرفع يد إبليس عن المأسور، ويحرره ويعيده إلى حق البنين، و بالتالي يعيده إلى ميراث بيت الله، بمعنى الشركة في ميراث الابن.

وهكذا فإنه عوض أن كان الإنسان يفعل الخطية، أصبح يفعل الحق: «وأما مَنْ **يفعل الحق، فيُقْبِل** إلى النور لكي تظهرَ **أعمالهُ أنها بالله معمولة»** (يو٣: ٢١). والمسيح يقدِّم نفسه لهم كابن الله، الذي جاء ليحرِّرهم، بمعنى ينقلهم من عمل الخطية إلى عمل البر: «إنْ علمتُم أنه **بارٌّ هو،** فاعلموا أنَّ **كلَّ مَنْ يصنع البرَّ مولود منه.»** (١يو٢: ٢٩)

وهكذا يوضح المسيح لليهود أمراً هاماً للغاية بالنسبة إلى هدف حياتهم الكلي: «يبقى في البيت إلى الأبد»، وسلوكهم المربوط بهذا الهدف. **فالخطية تتسبب في فقدان هدف الحياة،** أما هدف الحياة فهو العلاقة مع الله. و بولس الرسول يضع هذه المقارنة وجهاً لوجه: «أنتم **عبيدٌ للذي تطيعونه،** إمَّا للخطية للموت أو للطاعة (للمسيح) للبرِّ. فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية،

ولكنكم أطَعْتُم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها، وإذ أُعْتِقْتم من الخطية صرتم عبيداً للبرِّ (أحراراً)» (رو٦: ١٦ــ١٨)؛

«لأنكم لما كنتم عبيد الخطية، كنتم أحراراً من البر. فأيُّ ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تَسْتَحون بها الآن؟ لأن نهاية تلك الأمور هي الموت. وأما الآن، إذ أُعتقتم من الخطية وصرتم **عبيداً لله** ــ أبناء ــ فلكم ثمركم للقداسة، والنهاية حياة أبدية.» (رو٦: ٢٠ــ٢٢)

فانظر أيها القارىء العزيز، كم كانت تحمل كلمة المسيح من العمق الروحي واللاهوتي والخلاصي بآن واحد، حينما قال لهم: «إنْ حرَّركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً»، وليست الحرية الكاذبة التي كانوا يفتخرون بها، وهم في الحقيقة كانوا عبيداً يعيشون في بيت الله اختلاساً، وكان طردهم وشيكاً، أما الابن (المسيح) فيبقى إلى الأبد كما يقول عنه بولس الرسول في سفر العبرانيين: «وموسى كان أميناً في كل بيته **كخادم شهادة** للعتيد أن يُتكلَّم به **(أي المسيح)**، وأما المسيح **فكابن على بيته**. وبيتهُ نحن، إن تمسَّكْنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب٣: ٥و٦)

ثم انظر أيضاً مدى الضلالة التي يقع فيها الإنسان الشارد عن الحق والله، حينما يقول (أنا حرٌّ أفعلُ ما أشاء!)؛ أو حينما يقولون (إن الناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً!)؛ أو حينما يفتخر أصحاب الأوطان بحرية أوطانهم، وهم يكونون وللأسف عبيداً للعالم الحاضر، وأَسْرَى الخطية ومشورات الشيطان.

فالحرية **الحقيقية** إنما هي علاقة مع الله تنشىء حرية من ربط الخطية، وحرية النفس من الإنحرافات المريضة حتى ولو كانت الأرجل في المِقْطرة أو الأوطان تحت الإحتلال والسُّخْرة. وهذا ما تكفَّل به المسيح على أعلى مستوى وأكمل وجه.

٨: ٣٧ــ٤٠ **«أنا عالمٌ أنكم ذُرِّيَّةُ إبراهيمَ لكنكم تطلبونَ أن تقتلوني لأن كلامي لا مَوْضِعَ له فيكم. أنا أتكلَّمُ بما رأيتُ عند أبي، وأنتم تعملُون ما رأيتم عندَ أبيكم. أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيمُ. قال لهم يسوعُ: لو كُنتم أولادَ إبراهيمَ لكنتُم تعملونَ أعمالَ إبراهيمَ. ولكنكم الآن تطلبونَ أن تقتلوني، وأنا إنسانٌ قد كلمكم بالحق الذي سَمِعَهُ من الله، هذا لم يَعْمَلْهُ إبراهيمُ».**

الرب هنا ينفي عن هؤلاء اليهود المعاندين أن يكونوا **أولاد** إبراهيم، إذ اكتفى أنهم **ذُرِّيَة** له

وحَسْب، لأنهم إن كانوا أبناء إبراهيم فكيف يسلكون هكذا تجاه المسيح الذي اشتهى إبراهيم نفسه أن يرى يومه (يوم المسيح) فرأى وفرح (يو٨: ٥٦)؟ أليس أن هؤلاء الذين يدَّعون أنهم أبناء إبراهيم، وأنهم على مستوى الوعد، قد انعَمَت بصيرتهم الروحية، وانسدَّت آذانهم عن سماع كلماته، وأثبَتوا بذلك أنهم ليسوا أبناء الوعد بل غرباءَ بل أعداءَ؟

وواضح مقدار ضعف حجّة اليهود، بل مقدار ضياعهم وجهلهم أن يقولوا إننا أولاد إبراهيم، كمصدرهم الوحيد للافتخار، ولا يذكرون مدى انتمائهم للناموس أو ميراثهم الأخلاقي والتقَويّ من الآباء أو معرفتهم الممتازة بالتوراة. وهذا واضح لأنهم بدَّدوا ميراث تقوى آبائهم، ولم يبْقَ لهم منه إلاَّ تاريخ ميت يتمسحون فيه وهم غرباء عنه. وواضح من كلام المسيح، أن اليهود كانوا غير أمناء لتاريخهم، غير أمناء على مواعيد الله لإبراهيم ولكل أنبيائهم، وقد تضخَّمت عدم أمانتهم إلى أحط صورة في محاولة قتل المسيح للتخلص من تبكيته لهم، وهو يحاول إصلاحهم. إنهم يخافون الحق ويحاولون إسكاته.

لقد جاء المسيح «الابن» الحقيقي لله ليحقق وعد الله لإبراهيم و يكمل كل الموعود به، وها هم يريدون أن يقتلوه! هو يتودد و يتكلم، وهم يتربَّصون ليقتلوه؛ هو يتكلم بما سمعه من الآب من نحوهم للحياة، وهم يتحركون لينفذوا خطة القتل كما رسمها أبوهم وسلَّمها إليهم للتنفيذ. الرب يَجْهَدُ نفسه ليبلِّغهم سر الحياة، وهم يَجهدون أنفسهم ليرتبوا خطة الصلب. فالقاتل ــ الذي نوى القتل ــ لا يسمع، وإن سمع لا يصغي، وإن أصغى لا يعي، وإن وعى نسي ما وعى. فكلام المسيح الذي للحياة لم يكن له موضع قط في قلوبهم، لأن قلوبهم كانت مملوءة حسداً وحقداً. و يكفي للتدليل على ذلك من قول الرب: «لكنكم **تطلبون** أن تقتلوني»، فهذا هو هدفهم وهذا هو فكرهم وسعيهم وقد صمُّوا آذانهم عما عداه. وفي هذا يتم التشبيه بين العبد الخائن لعهد صاحب البيت ــ الوشيك الطرد، و بين الابن صاحب البيت ــ الوشيك أن يقدم نفسه فدية عن أهل البيت الأمناء.

فالمسيح جاء ومعه خطة الآب للخلاص التي سيتممها بموته.
وهم استلموا خطة القتل كما رسمها لهم أبوهم الذي هو أبو كل كذاب وقاتل.
المسيح يحاول أن يكتسب ثقتهم ليسلمهم وديعة الحياة التي جاء بها من عند أبيه.
وهم بالإختفاء وراء إبراهيم يحاولون بالكذب أن يُخفوا عنه ضربة الموت التي رسمها الشيطان القتَّال منذ البدء.

الرب يلفت نظرهم أنه يعلم كل شيء، و يؤكِّد لهم أن عمل الشيطان لا يتطابق مع صلاح إبراهيم.

وهم بانصياعهم وراء الشيطان جحدوا ميراثهم، وهو وشيك أن يُنزع منهم بالعدل.

وأخيراً يتنازل المسيح معهم و يُحدد قضيته معهم أمام قضاة الناس، و يطرح القضية على مستوى عدل قضاة الأرض:

فإن كان إنسانٌ ــ وليس ابن الله نفسه ــ تكلم **مجرد كلام هو «الحق»** فكيف تكون أجرته الموت؟ هذه تُحسب شناعة في حق قضاء العدل على مستوى الناس؟

فكم وكم إن كان هذا الإنسان هو هو ابن الله؟

وإبراهيم أبوهم لم يكن على هذا المستوى من فهم القضاء. لقد وقف إبراهيم أمام الله يوماً يحاجه في أمر حرق سدوم وعمورة و يراجعه في قضائه: «أديَّان كل الأرض **لا يصنع عدلاً؟**» (تك١٨: ٢٥)، وذلك خوفاً على الأبرار الذين فيها. وذلك حينما أعْلَمَه الله أن هذين البلدين المنكوبين سيحرقهما الرب وسيزيلهما من الوجود. فإبراهيم حاجج الله نفسه، وهو ديان كل الأرض، حاججه في بنود حكمه خوفاً أن يؤخذ البارُّ مع الأثيم، فكيف بلغ القضاء في قلوب هذا النسل الضال المُضلّ المدعي البنوة لإبراهيم، أن يقتل البار و يترك الأثيم!! اصلب المسيح وأطلق لنا باراباس: «خذ هذا (المسيح) وأطلق لنا باراباس... اصلبه اصلبه.» (لو٢٣: ١٨و٢١)

٨: ٤١ «أنتم تعملُونَ أعمالَ أبيكُم. فقالوا له إننا لم نولد من زِناً. لنا أبٌ واحدٌ وهُوَ الله».

ولكن كلام المسيح كان بالفعل ليس له موضع فيهم، فلم يفهم هؤلاء القتلة قول المسيح حينما قال لهم: «إنكم تعملون ما رأيتموه عند **أبيكم**». وهوذا الآن يوضحها لهم أكثر، أنهم يعملون «أعمال أبيهم». وواضح أن حقدهم وحسدهم و بغضتهم الشديدة له هي في الواقع أعمال إبليس، و بالأكثر نيَّةُ القتل المبيّتة ضده، ومحاولة اغتصاب البنوة لله: «لنا أب واحد وهو الله». هذا على غير صحة و بغير ذي حق، لأنهم لا يقبلون كلام الله بفم المسيح ولا أعمال الله بيده، ولا حتى كانوا أمناء لوصايا الله بحسب الناموس والآباء. فالآن، لأن عبادتهم لله مزيَّفة، فحتماً يصبح ادعاؤهم لأُبُوَّة الله مزيفاً، هنا يتحتم بحسب قول النبيّيْن إشعياء وإرميا، أن تُقيَّم بنوتهم أنها من زناً، لأن إبليس يكون هو الذي حبل بهم وتبنَّاهم.

وهكذا عندما أخذوا يدافعون عن بنوتهم الشرعية لإبراهيم، في حين أن المسيح كان يقصد أنهم أبناء إبليس، وأنهم صاروا بالفعل أولاد زنا وليسوا أولاد إبراهيم أو أولاد الله كما يدّعون. وهاك قول النبي: «وقال الرب لي في أيام يوشيا الملك هل رأيتَ ما فَعَلَت العاصية إسرائيل؟ انطلقت إلى كل جبلٍ عالٍ وإلى كل شجرةٍ خضراءَ، وزَنَتْ هناك (عبادة الأصنام) ... فطلقتُها وأعطيتُها كتابَ طلاقها. لم تَخَف الخائنة يهوذا، أختها، بل مضت وزَنَت هي أيضاً ... نجَّستْ الأرض وزنتْ مع الحجر (أصنام الحجر) ومع الشجر (أصنام الخشب) ... لم ترجع ... يهوذا بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب.» (إر٣: ٦—١٠)

ويوضح إشعياء النبي أن الرب، بعد أن اعتبر حُبَّه لإسرائيل ويهوذا كحب عريس لعروس، عاد وطلَّقها بسبب الآثام والذنوب التي اقترفوها، بمعنى أنه باع الشعب للأمم: «هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أُمكم التي طلَّقتُها ... من أجل آثامكم قد بُعْتُمْ ومن أجل ذنوبكم طُلِّقَتْ أمكم» (إش٥٠: ١و٢). إذن، فلم يَعُدْ إبراهيم أباً لهم، ولا عاد الله يعاملهم كبنين!

هذه اللغة كان يعرفها جيداً هؤلاء اليهود المعاندون للمسيح حينما قالوا له: «إننا لم نُوْلَد من زناً. لنا أبٌ واحدٌ وهو الله» (يو٨: ٤١). ولكن، للأسف، كان كلامهم بالكذب لأن الله قالها مرة على لسان كلٍّ من إرميا النبي وإشعياء النبي: «**إني طلَّقتُ أُمَّكم**». فأصبحوا أولاد زناً بالفعل أي **أولاد عبادة الشيطان**، وإبراهيم يتبرأ منهم، وليس إبراهيم فقط بل والله والمسيح أيضاً.

و يلزم هنا أن نفهم من كلام المسيح أن «العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد» (يو٨: ٣٥)، أن المسيح يطرح قضية الحرية كفعل حياة مستقبلي يحدده سلوك الحاضر. والمسيح يقصد الحياة الأبدية التي جاء ليفتتح عهدها الجديد بموته وقيامته. فابن الخطية الذي يمثله هؤلاء اليهود هو على مستوى العبد الذي ليس له حق في ميراث البيت؛ أما الذي يؤمن «بالابن» فينعتق من عبودية الخطية، و يكون قد سجل لنفسه التبرير في الحاضر، وحقَّ الحياة الأبدية عَبْر المستقبل وإلى الأبد في ميراث الابن لله!

٨: ٤٢—٤٤ **«فقال لهم يسوعُ لو كان الله أباكُم لكنتم تحبونّني لأني خرجتُ مِنْ قِبَلِ الله وأتيتُ. لأني لم آتِ مِنْ نفسي بل ذاكَ أرسَلَني. لماذا لا تفهمونَ كلامي؟ لأنكم لا تقدِرُونَ أن تسمعُوا قَوْلي. أنتم من أبٍ هو إبليسُ، وشهواتِ أبيكم تريدون أن تعملُوا، ذاكَ كان قتَّالاً للناس مِنَ البدءِ، ولم يثبت في الحقّ لأنه**

ليسَ فيهِ حقٌّ. متى تكلَّمَ بالكذبِ، فإنما يتكلَّمُ مما لَهُ لأنه كذَّابٌ وأبُو الكذَّابِ».

المسيح هنا ينقض قولهم من جهة أن الله هو أبوهم الروحي، فبحسب إشعياء النبي وإرميا النبي تكون كل إسرائيل و يهوذا مُطَلَّقَتَيْن، وها قد باعهما الله بالفعل ليكونا تحت الإحتلال والتشتت بسبب شرورهما ــ فمن أين يكون الله أباً لهؤلاء اليهود المعاندين الذين يرفضون ابنه؟ وق. يوحنا يرفع هذه القضية إلى حكم الأمور المسلَّم بها: «كلُّ مَنْ يؤمنُ أن يسوع هو المسيح، فقد وُلد من الله.» (١يو٥: ١)

«لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني»:

واضح أن المسيح يتكلم هنا كابن الله الوحيد المحبوب. فكيف لا يتعرفون على أخيهم البكر، ثم كيف لا يحبونه؟ إلاَّ لأنهم ليسوا أبناء الله كما يدَّعون؛ ولأنهم زادوا على عدم تعرُّفهم على المسيح وعدم محبتهم له كابن الله أنهم طلبوا أن يقتلوه كبيِّنةٍ و برهانٍ أكيدٍ أنهم ليسوا أبناءً، بل أعداءً لله وللابن الوحيد، بل وقَتَلة، وليس قَتَلة وحسب بل وفيهم شهوة القتل كهواة ومحترفين يتلقَّنون فن العداوة والقتل من أستاذ عتيق. ولا يوجد أصل أو مبدأ أو أبٌ للقتل والقاتل إلاَّ القتَّال المحترف منذ البدء، هو الذي بخداعه أَوْقَعَ حواء ثم آدم في خطية العصيان، بذلك دخل الموت إلى العالم، وهو إبليس. فهم بالضرورة أبناءٌ لهذا الأب.

«لأني خرجت من (ἐκ) قِبَل الله وأتيت»:

المعنى هنا يفيد التجسد، وقد استخدم الأساقفة المجتمعون في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م هذا الاصطلاح لإثبات البنوة الإلهية للمسيح(١١). واللغة العربية هنا ركيكة ولا تفيد المعنى الصحيح. وفي الأصل اليوناني لا يوجد «من قِبَل الله» بل **«من الله»** مباشرة «**ἐκ τοῦ θεοῦ**». جوهر من جوهر، طبيعة من طبيعة و بالتالي يلزم حذف «قِبَل» من النسخة العربية لتصير **«من الله»** لتوضيح المعنى اللاهوتي الصحيح.

واللغة اليونانية(١٢) دقيقة دقة خطيرة بالنسبة للبحث اللاهوتي في حروفها، حينما تُضاف إلى الأفعال، فـ«الخروج من» تأتي على ثلاثة أوضاع بالنسبة للحرف المضاف، فهو إما:

---

(١١) «إله حق من إله حق»= θεὸν ἀληθινὸν ἐκ θεοῦ ἀληθινοῦ

12 Westcott, *op. cit.*, p. 136.

(١) خروج الابتعاد أو تغرُّب الشخص ἐξελθεῖν ἀπό = away from
(٢) خروج بجانب – أي زمالة الشخصية ἐξελθεῖν παρά = from the side of
(٣) خروج من داخل مع بقاء في الداخل لتفيد بقاء جوهر الله في جوهر الابن المتجسد. ἐξελθεῖν ἐκ

وهذه كلها للتعبير عن التجسد جوهرياً وذاتياً:

(١) ἀπό :

أما الخروج والابتعاد فهو التعبير الضعيف عن مجيء المسيح من الله، وهذا الاصطلاح **استخدمه التلاميذ للتعبير عن فهمهم** (الخاطىء نوعاً ما) لقول المسيح «**خرجت من عند**»، وقد جاءت هكذا: «الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد لهذا نؤمن **أنك من الله خرجت**» (يو١٦ : ٣٠). وهذا على قدر فهم التلاميذ أن خروجه يفيد مجيئه إلى الأرض، وهذا يستلزم تركه للسماء وابتعاده المكاني عن الله: ἀπό وهذا أيضاً هو فهم ق. يوحنا عن خروج يسوع من عند الله كتغرُّب ثم عودة ἀπό : «... يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه **من عند الله خرج** وإلى الله **يمضي**...» (يو١٣ : ٣)

(٢) παρά :

وتفيد خروج وبقاء بجانب، كزمالة، وهو تعبير المسيح ولكن من وجهة نظر التلاميذ للمسيح وليس من وجهة نظره لنفسه! «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني **وآمنتم أني من عند الله خرجت**» (يو١٦ : ٢٧). فهو على قدر فهمهم يعبِّر و يردد عمَّا آمنوا به من نحوه، الذي لم يكن قد بلغ بعد الفهم اللاهوتي الكامل.

(٣) ἐκ :

وهي الأخيرة، أي الخروج من الداخل ἐκ جاءت واضحة جداً في الآية: «**خرجت من عند الآب** وقد أتيت إلى العالم» (يو١٦ : ٢٨)، حسب القراءة الصحيحة باليونانية في النسخ الدقيقة، **وهذا هو تعبير المسيح عن نفسه**.

كما يلاحظ أن الفعلين: من الله «**خرجت**» و«**أتيت**» هما في اليونانية مضافان إلى «**من**» ἐκ بمعنى **من** الله خرجت **ومن** الله أتيت. وهما يفيدان في المعنى اللاهوتي أغواراً عميقة للغاية، إذ يكون المعنى أن الابن هو من الله في وجوده وكيانه ومجده قبل الميلاد بالجسد، والباقي مع الله وفي الله بالرغم من خروجه وظهوره واستعلانه **كابن الله** المتجسد. وأيضاً هو من الله في مجيئه إلى

العالم وتجسده، وبقائه مع الله وفي الله بالرغم من ظهوره في الجسد كيسوع المسيح.

وبهذا يكون المسيح، وكذلك ق. يوحنا في تسجيله لقول المسيح قد جمع كل اللاهوت في هذه الجملة المضغوطة ضغطاً: «من الله خرجتُ ومن الله أتيتُ». وقد شرحها المسيح شرحاً إضافياً ليكون على مستوى هؤلاء اليهود بقوله:

«لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني»:

بمعنى أني أُمثِّل الآب تمثيلاً ذاتياً وكلياً في كل ما أقول وأعمل، بل وأُمثِّلهُ بشخصي كنائب عنه دون أن يكون العمل لشخصي، أي لمجد نفسي.

«تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني.» (يو٧: ١٦)

«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً.» (يو٥: ٣٠)

«من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم.» (يو٧: ١٨)

كما سيوضحه في الآية: «الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال.» (يو١٤: ١٠)

هذا يوضحه المسيح لليهود **ليبرهن لهم عن حقيقة طبيعته الإلهية، ووجوده بينهم كمرسل من الله وكممثِّل شخصي له**، موضحاً بذلك مقدار ما سقطوا فيه، ليس من نحوه بقدر ما هو من نحو الله الذي أرسله والذي يدَّعون أنه أبوهم!

«لماذا لا تفهمون كلامي لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي»:

وتصحيحها: "لماذا لا تفهمون **حديثي** (لغتي) لأنكم لا تسمعون **كلمتي**". المقارنة هنا بين "**الفهم والسماع**"، تجاه "**الكلام والقول**".

فالفهم أو الإدراك γινώσκετε، يختص **بالحديث λαλιάν**.

والسماع بالروح ἀκούειν، أي الكشف، يختص **بالكلمة λόγον**.

هنا يقدم الرب طبقتين من كلامه: الطبقة الأُولى هي متابعة حديث الرب بالفهم السريع والإدراك؛ والطبقة الثانية الأعلى هي التعمق لكشف طبيعة الكلمة.

أما الطبقة الثانية، فهي في المقدمة وهي الهامة جداً والخطيرة، فإذا لم يكن للإنسان أُذُنٌ روحية تسمع كلمة الله فتكشف طبيعتها الإلهية، يستحيل عليه أن يفهم ما يتحدث به المسيح ويقوله، لأنه كلام روحي يحتاج إلى أُذُنٍ خاصة روحية: «من له أذن فليسمع ما يقوله الروح

للكنائس» (رؤ٢: ٧)، أما من ليس له الوعي فسيرى المسيح مجرد إنسان يتكلم. والمسيح لا يتكلم كإنسان، بل كإله، فهو يقول: «أنا هو نور العالم»، و«أنا هو الطريق والحق والحياة»، و«أنا والآب واحد» (يو٨: ١٢، ١٤: ٦، ١٠: ٣٠). فكيف يفهم الناس قول المسيح هذا إذا اعتبروه مجرد إنسان؟ إنه سيكون كمجدِّف، ولكن إن كان للسامع أُذن روحية كاشفة، **تكشف طبيعة «الكلمة»** القائلة والمقولة، فحتماً سيتعرف عليها أنها إلهية وأن صاحبها إلهي هو: «لأني لم أتكلم من نفسي» (يو١٢: ٤٩). وهنا ذات المسيح هي الذات المنظورة للناس، والمتكلم فيه هو الله. فحينئذ — وعلى أقل تقدير — سيفهمون ما يتحدث به المسيح على أنه رسالة الله لهم، وأن حديثه يحمل الصدق والحق والقوة والروح والحياة، وهو كما هو أمام أعينهم، فعَّال، يشفي ويقيم من الموت، لأن كلمة الله خالقة ومُحيية.

لذلك، فليفهم القارىء أنه يستحيل على أي إنسان مهما بلغ من قوة الذكاء والفهم والتمحيص، أن يفهم الإنجيل أو يدرك ما يقوله المسيح، إذا لم تكن له أذن روحية يسمع بها طبقة رنين كلمة الله، وتحس بحركة الحياة التي فيها وتميِّزها عن كل ما عداها من كلمات الإنسان. فالأذن التي تستطيع أن تلتقط الموجة الروحية، وتحس بالحياة والحق لكلمة الله، هي وحدها التي تستطيع أن تفهم ما يقوله المسيح والروح.

أما كيفية قبول الأذن الروحية لكلمة الله وتفهُّمها، فلا يأتي بالتمرين أو التلقين أو الدراسة، بل بقبول الرب يسوع نفسه «الكلمة» أولاً، والدخول معه في شركة الحياة الجديدة. فهو الذي يرفع مستوى قلب الإنسان وروحه لمستوى الكلمة، أي لمستواه في المعرفة. ومستواه في المعرفة بعد التجسد لم يَعُدْ في السماء، بل في قلبنا وفمنا: «**تعلَّموا** مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩)، «أنتم الآن أنقياء لسبب **الكلام** الذي كلَّمتُكم به.» (يو١٥: ٣)

ولكن، ليفهم القارىء أن لكل إنسان أذناً روحية؛ وهي إما تنفتح بالإرادة والشوق والإيمان والحب لكلمة الله فتكشف طبيعتها، وإما تنقفل بالإرادة المدفوعة بالبغضة والتعالي والتجديف، فلا تعود تسمع، ولا يعود الإنسان قادراً أن يفهم أو ينفعل للكلمة.

وإرميا النبي يخاطبهم من جهة الجهل وعدم الفهم:

«اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعْيُنٌ ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون» (إر٥: ٢١). فالجهل هو انحطاط مستوى الكشف لطبيعة كلمة الله، والجهل يؤدي حتماً إلى عدم الفهم. وقد نسب إرميا النبي **الجهل** إلى **العمى** الروحي، ونسب **عدم الفهم** إلى **الصمم**

الروحي. ولذلك أيضاً كان يطيب للمسيح أن يفتح أعين العُمْي، و يفتح آذان الصُمّ، ليس كمعجزاتِ شفاءٍ لهذا الشعب، ولكن كآياتٍ لعمل كلمة الله في طبيعة الإنسان الخاطىء.

ثم يوضح إشعياء النبي العوامل التي أدت إلى عمى عيونهم وانسداد آذانهم: «قد أعْمى عيونهم، وأغْلَظَ قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم و يشعروا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم» (يو١٢: ٤٠). لذلك يصرخ أيضاً إشعياء النبي: «يا رب مَنْ **صدَّق خبرنا**، ولمَنْ استُعْلِنَت ذراعُ الرب. لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا» (يو١٢: ٣٨و٣٩). ولكن مَنْ الذي سدَّ آذانهم وأغْلَظ قلوبهم وأعمى عيونهم؟ هنا الضمير الفاعل هو العدو الشيطان، الذي **سلَّموا أنفسهم له**، ــ حقداً و بغضة وعداوة لله بلا سبب!! ــ والذي وجَّه إليه المسيح سهمه الخاطف، ففضحه، وفضح إرادتهم: «أنتم من أبٍ هو إبليس».

«أنتم من أب هو إبليس ...»:

لم يكن المسيح في هذا القرار المرعب مهاجماً أو متعدّياً على مشاعر اليهود، بقدر ما كان مدافعاً عن الله الذي يريدون أن ينسبوا إليه أنفسهم وتعدّياتهم بقولهم إن الله هو أبوهم. فقرار قتل الابن الوحيد الذي للآب قد كتبوه في ضمائرهم، وهم يبحثون الآن فقط عن علة مناسبة لتنفيذه. الرب هنا، و بقوله هذا، يفصل بين قداسة أُبوّة الله، و بين هؤلاء القَتَلة. وفي نفس الوقت كشف عن شخصية الأب المحرك لهؤلاء اليهود المدَّعين. لأن المسيح بقوله: «أنتم من أبٍ هو إبليس ...»، يكون قد رفع الستار عن حربهم الخفية التي يشنُّونها ضد الله والمسيح تحت اسم الناموس وأُبوّة الله للشعب المختار، وقد جعل المواجهة صريحة ومكشوفة بينه و بينهم، أو بين الله الذي يتكلم باسمه، و بين الشيطان الذي ينطق فيهم.

وإن كان المسيح هنا في إنجيل يوحنا قد كشف عن شخصيات هذه الحرب المريرة بينه و بين الشيطان مواجهة و بصراحة، نجد المسيح يصيغ هذه الحرب في تشكيلاتٍ رمزية غاية في الإبداع في الأناجيل الأخرى: «فأجاب وقال لهم: **الزارعُ الزرعَ الجيد هو ابن الإنسان**، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، **والزوان هو بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس.**» (مت١٣: ٣٧ــ٣٩)

«وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدءِ ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذَّابٌ وأبو الكذاب»:

من أعجب الأمور وأكثرها ألماً وحزناً للنفس، أن يكون للشيطان القدرة الغريبة لتسليم شهواته

الشخصية للذين يخضعون له كأب، و يسيرون في طريقه كمعلّم، لأن شهوة الشيطان تنبع من عداوة شخصية لله، ولابنه يسوع المسيح، ولكل من يتبعه و يطيعه. والإنسان ضعيف جداً وأصغر من أن يتقمّص شهوة الشيطان هذه و يقف لكي يعادي الرب يسوع، سواء بفكره أو قلمه أو عمله. ولكن الذين تبنّاهم الشيطان ألبسَهم تاجه وأعطاهم صولجانه، وكانوا عظماء في عين العالم وعلى مدى التاريخ، وكانوا ذوي صيت و بطولات؛ ولكن التاريخ للعالم شيء، والتاريخ لملكوت الله شيء آخر.

«... شهوات أبيكم "تريدون = θέλετε "»:

«تريدون» تأتي باليونانية في صيغة **الإصرار المُنتهى منه**، وهذه في الحقيقة صفة غريبة يتقمصها الشخص الشارد في شرِّه، حتى ليتعجب الناس من قوة الإصرار وشدة الاستمرار في تتميم ما صمم عليه، في حين أن الشخص يكون في طبيعته الأصلية بسيطاً و وديعاً ومُسالِماً حُلو الأخلاق ومُطيعاً، ولكن إذا استماله الشيطان وتبناه صار شرساً متنمراً، لا يلين ولا يحيد عن مقصده، ولا يهدأ حتى يتمم كل ما أفرزه الشيطان في فكره، حتى و بدون وعي؛ فالشيطان يتقمَّصه. لذلك فإن قول المسيح: «شهوات أبيكم **تريدون أن تعملوا**»، جاءت في صورة واقعية تصوِّر حقيقة ما كان يجري في قلوبهم تصويراً يُذهل العقل، من حقدٍ مجاني وغضب وسرعة الانفعال للقتل ومُهاجمة كلامية شرسة وعناد لا يهدأ.

وإن هذا هو في الواقع منهج كل الذين تركوا المسيح وأبغضوا الكلمة، إذ أصبحت فيهم عداوة لا تهدأ من جهة الحق ومهاجته والإزدراء بالإيمان.

«ذاك كان قتَّالاً للناس ἀνθρωποκτόνος منذ البدء»:

منذ أن أطلق المسيح هذه الصفة على الشيطان وأصبحت اسماً للشيطان في العهد الجديد، وهي موجودة في تعاليم الرسل(١٣): ὁ ἀνθρωποκτόνος ὄφις وترجمتها: **"الحيَّة القتالة للناس"** ويختصرها سفر الرؤيا بتسمية **«الحية القديمة»** (رؤ١٢: ٩؛ ٢٠: ٢)، سواء بسبب إدخال الموت على الإنسان ـــ آدم ـــ المخلوق أصلاً على غير فساد، أو إشعال الحقد والكراهية في قلب قايين، وإقحام إرادة القتل فيه ليقتل أخاه هابيل. **ولماذا قتله؟ يقول الكتاب: «لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة.»** (١يو٣: ١٢)

---

[13] Apost. Constit. VIII.vii.5.

ولذلك، وعلى هذا الأساس، نبَّه الكتاب أن «كلَّ من يبغض أخاه **فهو قاتل نفس** ἀνθρωποκτόνος» (١يو٣: ١٥)، لأن الرب يعلم أن **صاحب مشورة وقوة البغضة هو نفسه صاحب مشورة القتل.** والخطية الأولى تحوي في بطنها الخطية الثانية، التي لا بد أن تلدها إن آجلاً أو عاجلاً، إنْ بالنيَّة أو بالفعل. و يصف ق. يوحنا هذه الخطية هكذا: «لأن هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء أن يحب بعضُنا بعضاً. ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه، ولماذا ذبحه؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة.» (١يو٣: ١١و١٢)

وتسلسل الخطية حتى إلى القتل تجيء في تقليد القداس: «والموت الذي دخل إلى العالم **بحسد** إبليس»، وهذا مأخوذ من سفر الحكمة (٢: ٢٣و٢٤). وهكذا تبنَّى الشيطان خطية القتل والقاتل معاً، والذي يهمنا جداً في هذا المجال هو كلمة «**حسد** الشيطان»، فالحسد هو الذي دفع الشيطان لإسقاط آدم. وإسقاط آدم تم على مرحلتين: الأولى «**غواية**» ثم «**فعل**» تعدي، والنتيجة موت. وكان في ظن الشيطان أن الموت سيُنهي على مستقبل آدم، و يظل ساقطاً إلى الأبد كما هو حال الشيطان نفسه: «والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم (بسبب الحسد وطلب ما هو أعظم)، **حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام**» (يهوذا ٦). ولكن آدم مخلوق على الترقي والنمو و بلوغ صورة الله في القداسة والحق. فدبَّر الله له الخلاص بالتوبة ودم المسيح. أما الشيطان وملائكته فخُلقوا على مراكز ورئاسات محددة ومساكن لا يتعدَّونها. وكل تعدٍّ لهم هو سقوط ليس له توبة أو قيامة: «لأنه إن كان **الله لم يُشْفِقْ على ملائكة** قد أخطأوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلَّمهم محروسين للقضاء...» (٢بط٢: ٤)

«ولم يثبت في الحق»:

الأصل اليوناني يفيد أنه «لم يقف» بمعنى لم «**يَدُمْ**» ἕστηκεν بحسب القراءات الصحيحة[١٤]. أي **لم يضع قدماً،** أو يَرسَخْ. هذا الأمر يهمنا للغاية، لأن فيه يوضح المسيح مسألة حساسة بالنسبة لطبيعة الله في الخلقة **على مستوى اللاهوت. فالشيطان لم يَدُمْ في الحق، أو لم يثبت في الحق،** يعني أنه كان في موقف رئاسي (رياسة)، أو موضع أو مسكن "مسئولية" (بحسب رسالة القديس يهوذا) على مستوى الحق، ولكنه تخلى عنه طمعاً أو حسداً فيما هو أعظم فحُسب له ذلك خطية؛ الأمر الذي يشرحه بطرس الرسول: «الله لم يشفق على ملائكة **قد**

(١٤) ἕστηκεν مشتقة من الفعل ἵστημι = يقف أو يضع قدماً أو يدوم. وأما ἕστηκεν التي قرئت في نسخ أخرى، فهي مشتقة من الفعل στήκω = يثبت.

أخطأوا...»، وهذا يفيد أن الله لم يخلق الشيطان على الشر أو الفساد أو الخطية، بل خلقه على مستوى الرئاسة. ولكنه تعدى وأخطأ وسقط، والله لم يشفق عليه.

«لأنه ليس فيه حق»:

هذه الجملة مربوطة بالسابقة فهو لم يثبت في الحق، بسبب أنه ليس فيه حق. ولكن المعنى هنا لا يتضح لنا إلاَّ إذا فهمنا كلمة «**يثبت**» حرفياً، حيث تعني «لم يضع **قدماً**» في الحق، أي «لم يرسخ» في الحق. بمعنى أن الله أعطاه رئاسة على مستوى الحق، وكان عليه أن يثبت، أو يرسخ، أو يضع قدمه، أو يخطو خطوة في الحق، ليكون و يدوم على مستوى الرئاسة التي أعطاه الله، **لكنه أخفق. وإخفاق الشيطان** في أن يثبت في الحق أو الرئاسة الموضوعة له، سببه أنه ليس فيه حق، بمعنى أنه ليس فيه أي شيء من «الأليثيا» التي في الله والمسيح، وكان عليه أن يكتسبها بحفظه وثباته في الرئاسة والموضع الذي وُضِعَ فيه، فلما لم يحفظ رئاسته ولم يثبت في الحق، كان سقوطه بلا شفاء ولا رجاء. ولمَّا فقد الحق، صار كذاباً وأبا الكذب كله وكلِّ الكذابين. **وما هو الكذب إلاَّ فقدان الحق؟** ومَنْ هو الكذاب إلاَّ الذي ينكر الحق؟

هنا علينا، أيها القارىء العزيز، أن نتذكر كيف غَرَس الشيطانُ الكذبَ في شعور آدم وحواء، وفي اللاشعور أيضاً، حينما قال لحواء في حواره الخادع الماكر المميت، رداً على قول حواء: «أمَّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكُلا منه **ولا تمسَّاه لئلا تموتا؛ فقالت الحية للمرأة لن تموتا**» (تك٣: ٣و٤). وهذا هو منطق الشيطان في نفي الحق وإخفائه تحت ستار المعقول والمرجَّح، والواقع **والأكثر فائدة**، والأسهل والألذ، والأسرع أيضاً. فالشيطان أبْرَزَ العصيان، ونفى الموت وأخفاه عن حواء تحت ستار المعرفة: «بل الله عالمٌ أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخير والشر.» (تك٣: ٥)

ولينتبه القارىء أن في نفي الموت عن الذي يعصي أوامر الله يكون بالتالي قد نفى الدينونة، بل ونفى الخطية، بل ونفى قيمة الخلاص، بل ونفى المخلِّص، وأخيراً نفى الحياة، حيث لا يبقى لمن يتبع الشيطان إلاَّ أن يخنق نفسه!!

«متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب»:

في هذا الوصف يهمنا كلمتان: الأولى «**الكذب**»، والثانية «يتكلم "**مما له**"». فالكذب يجيء في اليونانية ψεῦδος وتعني **الزَّيْف**، أي ما هو ليس حقاً أو صحيحاً، وهنا يتضح لنا أن الكذب أو الزيف أو ما هو ليس حقاً أو صحيحاً ليس جوهراً في حد ذاته، أي ليس شيئاً معروفاً

أو محدد الوجود، بل هو نفي الشيء أو نفي الوجود، فعندما يقول إنسان قولاً حقاً و يأتي آخرُ و يصدّقه على هذا القول، فهو يقول «الحق»؛ ولكن إذا جاء إنسان آخر ونفى هذا القول، فهو كاذب لأنه نفى الحقيقة. وإذا كان هناك شيء معروف كظهور الشمس مثلاً و يقول إنسان أن الشمس غير ظاهرة، فهو يكذب لأنه ينفي وجود الموجود. وهكذا فإن الحق يعتمد على طبيعته الموجودة، أما الكذب فليس له طبيعة بالمرة بل يعتمد على نفي الحق أو نَفْي ما هو صحيح.

وهذا هو التحليل الصحيح لطبيعة الشيطان وسلوكه وكلامه في تعريف الرب له أنه «يتكلم بالكذب، لأنه يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب». لأن الشيطان بحسب خلقته لم تكن له طبيعة الحق ولا طبيعة الكذب، بل خُلق ووُضع في رئاسة محددة له، كان المفروض أنه إذا أطاع بحسب حريته المحددة له، أن يثبت في رئاسته، و بالتالي يثبت في أمر الله، أي يثبت في الحق. ولكنه رفض الأمر بحسب حريته المحددة له، وتعالى، فسقط من رئاسته، وسقطت طبيعته من موضع الحق نهائياً، فأصبح اعتماده قائماً على ذاته **وليس على الله، أي الحق.**

وهكذا أصبح الشيطان بمقتضى سلوكه وبمحض حريته وإرادته ضد الحق، لأنه فاقده. وصارت طبيعته تتغذى من مقاومة الحق، فتشكّلت أفكاره وإيحاءاته وكلماته بحسب طبيعته، أي ضد الحق: وهذا ما يعرّفه الرب بأنه متى تكلم، فإنه يتكلم مما له، أي ليس من الله ولا من مصدر حق، بل من ذاته، أي يتكلم بحسب طبيعته **التي اكتسبها لنفسه** والتي لم تُعط له، وهي طبيعة طفيلية تقوم على **نفي الحق ومقاومته،** وهي بذلك طبيعة كاذبة مزيفة، ينحصر نشاطها كله في مقاومة الحق ونَفْيِه. وصحيح أن **نفي الحق هو لا شيء في ذاته، وهو السالبية وهو اللاوجود واللاصحيح واللاقيمة له على الإطلاق؛** ولكنه في مقاومته للحق والوجود وكل القيم الصحيحة، اكتسب له وجوداً سلبياً قائماً على نفي وجود الحق. فهو يقوم على مدى احتمال **صاحب مشيئة «الحق»،** أي الله، له ولعمله السلبي، فهو وجود مُهدَّد بالفناء. لأنه في اللحظة التي يعلن فيها الحق المطلق أي الله عن إدانته للشيطان بمقتضى الحق، فإنه ينتهي من الوجود لأنه ليس له حق الوجود الذاتي.

هذا على مستوى الله، أما على مستوى الإنسان، فهو بنفس القياس ولكن بدرجة محدودة. فالشيطان يقدم مشورته السالبية التي تقوم على الكذب والتزييف، فإذا رفضها الإنسان بمقتضى وصايا الحق التي يعيش بها، تلاشى الشيطان من الوجود في محيط العمل الفردي لمدة تتحدد بصلابة الإنسان في الحق.

ولكن إذا قَبِل الإنسان مشورة الشيطان وأفكاره المزيفة والمعروف أنها ضد الحق مائة بالمائة، فإنه يكون قد أوْجَدَ للشيطان محلاً ومسكناً ووجوداً، وهذا منتهى أمل الشيطان وغاية سَعْيه أن يكون له وجودٌ مزيّف في ذات الإنسان، فهذا يوسّع من دائرة تخريبه ومقاومته للحق، مما يُشبع وجوده وجحوده. أما إذا أتقن الإنسان حيل الشيطان وتزييفه بشغف وحذق، و برع في مقاومته للحق، فإن الإنسان يكون قد أخذ دور الشيطان بالكامل، و يكون الشيطان قد تبنى الإنسان وأحبه **ووهبه طبيعته بكل فنون التزييف** ومقاومة الحق. وهذا هو الدور الذي اتخذه اليهود لأنفسهم تجاه المسيح، وهذا ما أعلنه المسيح عنهم أنه قد صارت لهم طبيعة الشيطان في الكذب ومقاومة الحق: «أنتم **من أبٍ** هو إبليس، **وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**»! ويكون الشيطان بذلك قد صار بالفعل أباً للكذب والتزييف في العالم وأباً لكل كذاب ...

أيها القارىء العزيز، احذر الكذب بكل أنواعه فهو صناعة الشيطان، وهي صناعة لا تبني بل تهدم، ولا تدوم بل تفنى. واحذر تزييف الحق أو الحقيقة في الأشياء والأقوال والأعمال، مهما كانت صغيرة، ومهما كان لها صورة المنفعة الوقتية، لأنها من طبيعة الشيطان التي مآلها الدينونة والفناء. الزم الحق بكل قوة و بكل إصرار، لأنه انتصار للحق والوجود والحياة ضد الفناء، وانتصار لله ضد الشيطان، فانظر كيف أعطانا الله الفرص في الحياة لكي نَنْصُر الحق، فننتصر ضد قوى الشر والظلام، ونبقى ونحيا وندوم.

٨ : ٤٥و٤٦ **«وأما أنا فلأني أقولُ الحقَّ، لستم تؤمنونَ بي. مَنْ مِنْكُمْ يُبكّتُني على خطيةٍ؟».**

المسيح يبدأ قوله بـ **«أمّا»**، وكأنه يعطي المقابل لإبليس الذي تبنّاهم وأصبح ينطق فيهم كأولاد طاعة للشر وأساتذة لمقاومة الحق. المسيح هنا هو النقيض «لأبيهم»، والمناقض لهم ولأفكارهم. لو كان المسيح يتكلم بالكذب (وحاشاه)، لصدّقوه، لأنه يتكلم مما لهم ولأبيهم وللعالم الذي أحبوه وعَبَدوه؛ ولكن «"**أما أنا**" فلأني **أقول الحق** لستم تؤمنون بي». التقابل هنا صارخ بين **«هم»** و**«الكذب»** من جهة، و**«أنا»** و**«الحق»** من جهة أخرى.

والآن يتضح لنا لماذا لا يؤمنون بالمسيح، مع أن المسيح يقول الحق؟! ذلك لأن طبيعتهم التي تساوت في سلوكها مع حيل الشيطان وتزييفه للحق، أصبحت ضد الحق ــ أينما كان ــ فأصبح إيمانها بالحق أو بالمسيح أمر مستحيل عليهم.

ثم أخيراً، وفي كلمة واحدة استعملها لنا المسيح، فإن كلَّ مَنْ هو ليس ابن الحق، هو ابن إبليس بالضرورة.

«مَنْ منكم يبكِّتني على خطية؟»:

المسيح هنا يجمع كل أنواع الكذب ومقاومة الحق في كلمة واحدة هي «**الخطية**»، والتي ينصبُّ معناها على مَنْ يتعدى الحقّ، بحسب قياس نص قانون الله، أي الوصية. والخطية لا تشمل العمل فقط بل والنيَّة أيضاً. كما أن الخطية مربوطة بالمشاعر والعواطف والسلوك، لذلك يستحيل أن تعيش الخطية في الإنسان دون أن تعلن عن نفسها، ومن هنا يمكن معرفة الخاطىء بأدلة كثيرة.

ويُلاحظ هنا أن المسيح يبلور الجزء الأول من الآية: «**لأني أقول الحق**» في مفهوم عملي واضح بقوله: «مَنْ منكم يبكِّتني على خطية؟»، بمعنى أن المسيح **يقول الحق ويعمله**! وبهذه الكلمة: «مَنْ منكم يبكِّتني على خطية»، يضع قياس الحكم على أن ما يقوله هو حق، فإذا لم يعثروا له على خطية، أصبح الحكم عليهم لازماً بأنهم يقاومون الحق. كما أصبح الحكم على المسيح بأنه من الله حتماً لأنه بلا خطية، في مقابل اضطراري أنهم من إبليس لأن ليس فيهم حقٌّ، ولكن ليس معنى هذا أن المسيح يعطي حقاً لليهود أو لأي إنسان أن يقيس عليه سلوكه أو يحكم على شخصه بأي حال من الأحوال، ولكن الذي طرحه المسيح دائماً ليكون قياساً هو «كلمته». فالكلمة طرحها المسيح للفحص لتدرك منها أنه هو من الله وابن الله؛ وهنا يقول المسيح لليهود: «وأما أنا فلأني "أقول" الحق»، وهكذا يطرح المسيح قوله للفحص قياساً على سلوكه الذي يتحدى به فكر الإنسان الفاحص. وكأنه يقولها صراحة: «**أنا بلا خطية**»، «**فكل ما أقوله هو الحق**»؛ وهكذا وبالضرورة فإن كلَّ مَنْ لا يؤمن يُدان، بل وكل مَنْ لا يؤمن، فهو ليس من الله.

«يبكِّتني»:

وتأتي في اليونانية ἐλέγχει، وهذه الكلمة بحد ذاتها هي اصطلاح قانوني يفيد الفحص المضاد من محامي الخصم، وهو نوع من «**إقامة الدليل الضدّ**»، وهي تقوم على إثبات الخطأ بالدليل المدغم، إما بشهادة الشهود، أو بالوثائق الدامغة، أو بمهارة المحقق في جعل المتهم يعترف ضد نفسه. وقد أورد إنجيل يوحنا هذا الاصطلاح في ١٦ : ٨ عن الروح القدس أنه «يبكِّت العالم على خطية ...».

والمسيح بقوله: «مَنْ منكم **يبكِّتني** على خطية»، يكون قد كشف كشفاً واضحاً عن المستوى الذي تعيش به بشريته، **فهو مستوى يفوق قامة البشر حيث يستحيل أن يوجد إنسان بلا خطية.**

وبهذا يكون هذا النص هو استعلان للمستوى الإلهي الذي كان يعيشه المسيح في بشريته، وهو المعروف في اللاهوت: أن المسيح «**بلا خطية**» χωρὶς ἁμαρτίας : «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل **مجرَّب في كل شيء مثلنا "بلا خطية."**» (عب٤: ١٥)

«فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟»:

والمسيح يقصد، بقوله هذا، أنه إذا لم يبكِّتني أحد على خطية الكذب والتزييف، إذن، فأنا لا أكذب ولا أزيِّف الحق، أي إنني **أقول الحق**، فإن كنتُ أقولُ الحق، فلماذا لم تستجيبوا للحق فـ«**تؤمنوا بي**»: حيث تجيء "تؤمنون" هنا خالية من الحرف «بي» أي بمعنى «**تصدقونني**» πιστεύετέ μοι في الأصل اليوناني.

٨: ٤٧ **«الذي من الله يسمعُ كلامَ الله، لذلكَ أنتم لستم تسمَعُونَ لأنكم لستم من الله».**

هنا المسيح يذهب إلى جذور القضية، مرة أخرى، أي إلى المَصْدَرين اللذين ينحدر منهما الحق والكذب، وهما الله والشيطان. فهو يسأل ثم يجيب: «**لماذا لستم تؤمنون بي»؟** الجواب: لأنني أقول الحق ــ كلمة الله ــ لأنني من الله. وأنتم تقولون الكذب وتضمرون القتل ــ لأنكم من إبليس ــ والذي من الله (ابن الله) هو وحده الذي يسمع كلام الله ــ و يقوله و يعمله ــ و يستطيع أن يقوله باسم الله ليسمعه الناس ــ الذين من الله ــ فيؤمنون أنه من الله. هذا يوضحه ق. يوحنا في رسالته الأُولى هكذا: «**نحن من الله** فمن يعرف الله يسمع لنا ومن **ليس من الله لا يسمع لنا.** من هذا نعرف **روح الحق وروح الضلال**» (١يو٤: ٦). أما الذي من إبليس **فهو يسمع** من إبليس و يقول الكذب الذي يسمعه من إبليس و يضمر القتل، حتى لا يؤمن الناس بالحق و يصدقوا الكذب. والذي يسمع الكذب لا يسمع الحق لأنه ليس من الله.

ومرة أخرى نقول أن كلمة «**يسمع**» هنا تأتي في معناها الروحي، **فهو** سماع القلب ــ الذي يلازمه التنفيذ ــ أي **السماع والطاعة معاً**: «فقال له بيلاطس: أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك. لهذا قد وُلدتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم **لأشهد للحق، كلُّ مَنْ هو من الحق يسمع صوتي.**» (يو١٨: ٣٧)

وأيضاً نود أن نؤكد أن السماع الروحي للحق يتبعه الطاعة حتماً، كعمل أو فعل تنفيذي ــ مؤازَر من الله بقوة خاصة ــ على مستوى الروح أيضاً. ولكي ندرك هذا الأمر الخطير، فلنتأمل معاً في قول الرب: «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين **يسمع** الأموات صوت ابن

الله، والسامعون **يحيون**» (يو٥: ٢٥). هنا الطاعة تأتي كفعل تنفيذي حتمي، كنعمة، يَسْرِي في الميت روحياً فيقيمه الصوت المُحْيي من موت الخطية. وهنا أيضاً يلزمنا أن ننتبه أن فعل الطاعة التنفيذي الذي يَسْرِي في الميت روحياً، أي الميت بسبب الخطية، **لا يحتاج منه إلى جهد لأنه فِعْلُ إحياءٍ من موت، هو من صنع الله**، حيث الموت هو اللاإرادة والسكون القاتل، تماماً كما سمع لعازر صوت ابن الله وهو ميت منتن في القبر، فقام. المطلوب فقط هو **«السمع»** أي السماح للصوت المحيي أن يَسْرِي في الروح وذلك بعدم إقامة العوائق أمامه، سواء من الشكوك، أو الادّعاء بعدم الاستحقاق، أو التملُّص لعدم المناسبة الزمنية، أو من الهروب وتسويف العمر باطلاً، أو الانشغال الأحمق بالتلذذ بالخطية، **بل بتصميم ويقظة وإرادة مذعنة للصوت الإلهي المحيي، يعمل عمله بالاستعداد، والامتثال لتأثيره، في صمت الخضوع المريح**: «قلبي مستعد يا الله قلبي مستعد» (مز٥٧: ٧ حسب السبعينية). ولكن إن أبْقَيْنا على الخطية في القلب، فلن نسمع الله، ولن يسمَع لنا الله: «إن راعيتُ إثماً في قلبي، لا يستمع لي الرب.» (مز٦٦: ١٨)

أما هؤلاء اليهود المعاندون، فكانت لهم آذان حكيمة تستطيع أن تميز بين الحق والباطل، لكنهم فقدوا إرادة الصلاح، فسدُّوا آذانهم لكي لا تسمع صوت الله عن دراية وإرادة: «مثل الصِلِّ الأصمِّ (بإرادته) يسدُّ أذنه (لكي) لا يستمع إلى صوت الحُوَاة الراقِين رُقى حكيم» (مز٥٨: ٤و٥). هذا كان حال هؤلاء اليهود في عينَيْ الرب تماماً، وهُم أدركوا بالفعل أن المسيح قد كشف عوارهم، وسدَّ عليهم منافذ الهروب من مواجهة الحقيقة المُرَّة في حلقهم، فأثبتوا بسلوكهم أنهم ليسوا من الله كما سبق وواجههم، إنهم لا يؤمنون بالله، لأنهم استحوذوا على مجد الله لأنفسهم كمعلمين. كما أنهم لا يحبون الله، لأنهم **أبغضوا** مَنْ أحبه الله وأرسَله إلى العالم. لهذا كله، قال لهم، «أنتم من أبٍ هو إبليس»، مما هيَّج سُخْطهم:

٨: ٤٨ــ٥٠　**«فأجابَ اليهودُ وقالوا له: ألَسْنَا نقولُ حسناً إنك سامريٌّ وبكَ شيطانٌ؟ أجابَ يسوعُ: أنا ليس بي شيطانٌ لكني أُكْرِمُ أبي وأنتم تُهينُونَني. أنا لستُ أطلبُ مجدِي، يوجدُ مَنْ يطلُبُ ويَدِينُ».**

لم يتزحزح هؤلاء اليهود عن موقفهم المعاند، فهم فقدوا، ليس فقط القدرة على السماع من الله، بل وقطعوا خط الرجعة على أنفسهم إذ بدأوا يهينون الله في شخص مَنْ يتكلم باسمه.

«سامريٌّ»:

هذا الوصف قالوه ليشفي حقدهم على المسيح لأنه قال لهم: «أنتم لستم أولاد إبراهيم»، وهو

ما اعتبروه تجريداً من وطنيتهم. فهذا هو الاتهام الأول والأساسي الذي يقول به السامريون ضد اليهود. ومعنى الكلام الموجَّه للمسيح، أنك بهذا الكلام تكون قد تبنَّيْتَ فكر السامريين ضدنا وضد مملكتنا وميراثنا. ومعلوم مدى العداوة التي يكنُّها اليهود نحو السامريين، فهم ضمناً ينفِّسون عن عداوتهم للمسيح بهذا الوصف.

أما قولهم: «وبك شيطان»، فهو إفلاس من وجود اتهام حاضر في ذهنهم. فلا هم استطاعوا أن يبكِّتوه على كذب، ولا استطاعوا أن يقلِّلوا من سلطانه في الكلام باسم الله، أو الرد على الآيات التي يعملها. فكما تسجَّل في بقية الأناجيل، فإن مُتنفَّسهم الوحيد ضد هذه النماذج الفائقة التي يقدمها بالقول والعمل للتدليل على سلطان بنوته لله، كان أن يتهموه بأن أعماله وأقواله إنما هي بعمل الشيطان: «ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرِج الشياطين» (لو١١: ١٥). وهذا خداع منهم ومراوغة لكي يضلِّلوا أنفسهم والشعب معهم حتى لا يؤمنوا به. وهنا هم يكررون نفس الاتهام ليفلتوا من الحكم عليهم بأنهم يعملون أعمال إبليس. وذلك بتدبير خطة قتله، ليتخلَّصوا من سلطان الحق المسلَّط على رقابهم.

«أجاب يسوع: أنا ليس بي شيطان»:

المسيح ترك اتهامهم له بأنه سامريٌّ لأنه لا يريد أن يدخل في نقاش الأنساب والأجناس، ولأن نفي الاتهام في حد ذاته لا يغيِّر من حقيقة الأمر أنهم بالفعل لم يعودوا أولاداً لإبراهيم ولا شعب الله المختار، وأنه لن ينفعهم هيكل سليمان العظيم الذي لن يبقى فيه حجرٌ على حجر لا يُنقض! إنما احتفظ المسيح لنفسه بالرد على الاتهام الثاني لأهميته، بل ولخطورته في نظره لأنه يمسُّ كرامة أبيه، ولهذا استحال عليه أن يصمت تجاهه.

«لكني أكرم أبي وأنتم تهينونني»:

المسيح هنا يُوْقِع اليهود في خطيئة لا تُغْتَفَر. فكما سبق وجاء في الأناجيل الأخرى، فإن رد المسيح على نفس الاتهام أنه: «برئيس الشياطين يُخْرِج الشياطين» (مت٩: ٣٤)، و«أن معه روحاً نجساً» (مر٣: ٣٠)، اعتبر ذلك خطيئة مباشرة ضد الروح القدس، لأنه إنما كان بروح الله يُخْرِجُ الشياطين؛ فإنْ هُمْ نسبوا إلى رئيس الشياطين عمل الروح القدس، يكونون قد جدَّفوا على الروح القدس: «الحق أقول لكم: إن جميع الخطايا تُغْفَرُ لبني البشر، والتجاديف التي يجدفونها، ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس، **فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية. لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً.**» (مر٣: ٢٨ــ٣٠)

وهنا في إنجيل يوحنا اعتبر المسيح قولهم: «بك شيطان» هو إهانة؛ وأنها وإن كانت موجَّهة منهم له شخصياً، إلاّ أنها قيلت له بسبب أنه يُكرم الآب، فهنا الإهانة موجَّهة بالأصل و بالأساس إلى الآب الذي جاء ليُكرمه، وهم يهينونه بسبب ذلك. ولكي ينفي المسيح عن نفسه أنه يدينهم بسبب إهانتهم له، يكرر أنه لا يطلب مجد نفسه، ولكن الذي يطالب بالمجد هو الله الذي أهانوه، والذي سيدين مَنْ أهانَه. و بهذا ينتهي المسيح من تكييف إهانتهم له بقولهم «بك شيطان»، بأن هذه الإهانة هي موجهة ضد الله، وثمنها دينونة حتمية.

٨ : ٥١ «الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُمْ: إنْ كان أحدٌ يحفظ كلامي فلن يَرَى الموتَ إلى الأبدِ».

حينما يكرر المسيح قول «الحق» فهو إنما يبدأ استعلاناً جديداً عن نفسه.

فبإزاء الدينونة الرهيبة التي يقع فيها مَنْ يهين الابن الذي جاء ليكرم الآب، يوجد في المقابل وَعْدٌ أبديٌّ بأنَّ مَنْ يحفظ **كلمة** المسيح τὸν λόγον، أي تعاليمه في مجموعها الكلي، فإنه لن يرى الموت إلى الأبد. هنا كلمة «**يحفظ**» لا تجيء بمعنى الحراسة، بل بمعنى الاستيعاب والملاحظة والطاعة. كما تجيء كلمة «"**يرى**" الموت» ليس بمعنى النظر، بل بمعنى التأمل المستديم (ثيئوريا θεωρεῖν) في مواجهة الموت، وهي تجيء هنا للمرة الأُولى والوحيدة في جميع كتب العهد الجديد، وتفيد المعنى العكسي للموت. أي أنَّ مَنْ يحفظ و يطيع تعاليم المسيح في مجموعها ــ علماً بأن كلام المسيح هو روح وحياة ــ فلن يكون للموت سلطان مرعب على النفس أو تأثير مخيف ودائم إلى الأبد: «لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، و يعتق أُولئك الذين، خوفاً من الموت، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب٢: ١٤و١٥)، بل استمتاع برؤية وممارسة الحياة الدائمة إلى الأبد. والمعنى الكلي أن الحياة تسود بفرحها على الموت بصورته المخيفة والمستمرة إلى الأبد حتى ولو مات الإنسان بالجسد. و باختصار شديد يقول المسيح إنَّ مَنْ يهين الابن يسود عليه الموت بالدينونة والخوف من الموت إلى الأبد، ومَنْ يحفظ و يستوعب تعاليمه تسود عليه الحياة الأبدية.

د ــ الجزء الرابع من الحوار
المسيح وإبراهيم
«قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»
(٨ : ٥٢ــ٥٩)

٨ : ٥٢و٥٣ **«فقالَ لهُ اليهودُ: الآنَ علمنا أن بكَ شيطاناً. قد مات إبراهيمُ والأنبياءُ، وأنتَ تقولُ إنْ كان أحدٌ يحفظ كلامي فلن يذوقَ الموتَ إلى الأبدِ. ألعلك أعظمُ من أبينا إبراهيم الذي ماتَ والأنبياءُ ماتوا. مَنْ تَجْعَلُ نفسَكَ؟»**.

اليهود المعاندون يقولون: «الآن "عَلِمْنَا"». هذا هو العلم الكاذب بأصوله وفروعه. وماذا علموا، وماذا تأكدوا من علمهم؟ أن المسيح أيضاً وللمرة الثانية به شيطان؟ هذا يكشف عن مدى صدق المسيح ودقّته في وصف هؤلاء: إنهم من أبٍ هو إبليس، وشهوات أبيهم يعملون. وفي نفس الوقت لم يَرُد المسيح الإهانة، فصَدَقَ قولُ بطرس الرسول: «الذي إذ شُتِمَ لم يكن يَشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يُهدِّد، بل كان يُسلِّم لمن يقضي بعدلٍ.» (١بط ٢: ٢٣)

«قد مات إبراهيم والأنبياء»:

المعنى هنا مختفي بسبب شدة الاختصار، والمراد من هذا القول أن الله كلم إبراهيم وهو أبو الآباء، وكلّم الأنبياء وكانوا أمناءَ على كلمة الله وحفظوها، وبالرغم من ذلك ماتوا كلهم، ولم تَقْوَ كلمة الله على منع الموت عنهم.

«وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد»:

لم يَكْفِكَ أن تكون كإبراهيم أو أحد الأنبياء بأن لا تذوق أنت الموت إن كنت حفظت كلام الله، بل تزيد وتقول إن كان أحد آخر يحفظ كلامك أنت فإنه لا يذوق الموت إلى الأبد؟

هنا الخطأ المتعمَّد الذي وقع فيه اليهود في تحويل كلمة «**يرى الموت**» θεωρεῖν θάνατον في كلام المسيح إلى «**يذوق الموت**» γεύεσθαι θανάτου. نجد أن هذا الاصطلاح عامٌّ، فالمسيح نفسه ذاق الموت: «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل **ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد**» (عب ٢: ٩)، كذلك هذا الاصطلاح معروف لدى التقليد اليهودي في التلمود، أي أنه كان على ألسنة اليهود. وقد اختار

هؤلاء اليهود هذا الاصطلاح «يذوق الموت» بدل الاصطلاح الذي وضعه المسيح لأول مرة في العهد الجديد وهو «يرى الموت» بمعنى «يتأمل و يتصور الموت»، بمعنى يعيش الخوف الدائم منه، فهذا الاصطلاح «يذوق الموت» يجيء في الواقع ليخدم اللاهوت في أعماقه، فالمسيح ذاق الموت مرَّة، ولكنه لم يتأمله أو يراه أو يعيش الخوف منه ولا إلى لحظة. كذلك كلُّ مَنْ يؤمن بالمسيح، فإنه ينتقل من الموت إلى الحياة، أي يحيا إلى الأبد، ولا يعود **«يتأمل الموت»** بفزعه **والخوف منه:** «لكي يبيد بالموت (الذي ماته على الصليب) ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك **الذين، خوفاً من الموت، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**» (عب٢: ١٤و١٥). هذا الخوف من الموت الذي كان يجعلنا كعبيد للخوف كل أيام حياتنا هو هو الذي يقصده المسيح بخصوص الذين يحفظون كلامه: «لن يرى **الموت** إلى الأبد».

«ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات والأنبياء ماتوا. مَنْ تجْعَلُ نفسك؟»:

لا تزال الهوة التي تفصل قول المسيح عن قول اليهود سحيقة، كما كانت أيضاً في نظر السامرية: «ألعلك أعظم من أبينا يعقوب؟» (يو٤: ١٢). فالمسيح يتكلم عن موت الخطية الأبدي والحياة الأبدية، وهم يتكلمون عن الموت الزمني المحتم بحسب حياة الجسد. هو يتكلم عن الوجود الإلهي الفائق على الزمن، وهم يتكلمون عن الوجود التاريخي ــ المنظور تحت العدم. هو يتكلم عن نفسه كابن الله الأزلي، وهم يرونه ابن الناصرة، مواطن جليليٍّ، غير مثقف.

«مَنْ تجعل نفسك؟»:

سؤال على مستوى فكر اليهود المحدود، فهو يستنكر مقدماً أي احتمال أنه أعظم من إبراهيم. مَنْ تجعل نفسك بالنسبة لإبراهيم والأنبياء، تعبيراً عن حتمية الموت للإنسان مهما كان؟ سؤال لا يجيب عليه المسيح إجابة مباشرة، لأن ذلك سيكون على مستوى لاهوتي يفوق فكرهم الضيق. لذلك يبدأ المسيح يفحص الإعتراضات الجانبية، فسؤالهم: «مَنْ تجعَلُ نفسك؟»، يُستشعر منه أن المسيح **يمجد ذاته** أكثر من الآباء والأنبياء. وهنا يتحتم الرد على ذلك لئلا يُمسَّ مجد الآب وتُجرحَ طاعته لمن أرسله:

٨: ٥٤و٥٥ **«أجاب يسوع: إن كنتُ أُمجِّدُ نفسي، فليسَ مجدي شيئاً. أبي هو الذي يمجِّدُني، الذي تقولونَ أنتم إنه إلهُكُم، ولَسْتُم تعرفونَهُ، وأما أنا فأعرفهُ. وإن قلتُ إني لستُ أعرفهُ أكونُ مثلَكم كاذِباً. لكني أعرفهُ وأحفظ قولَهُ».**

المسيح هنا يستعلن حقيقة لاهوتية، ولكن على مستوى فكر اليهود، وهي ما يسمى بالإخلاء

κένωσις، وهو ما يقول عنه بولس الرسول: «لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد» (في ٢ : ٧). فبعد التجسد يظهر ابن الله في هيئة بشرية ليس لها مظهر الألوهة، أي «المجد»، ولكنه احتفظ بطبيعة الألوهة في القوة والعمل. فمن جهة بشريته يقول المسيح لليهود إنه ليس له مجد شخصي (كإنسان)، فإذا اعتبروا كلامه «إن كان أحد يحفظ كلمتي (لوغس) فلن يرى الموت إلى الأبد» أنه تمجيد لنفسه، يكونون قد أخطأوا، إذ ليس له مجد شخصي، أو أن مجده ليس شيئاً موجوداً في الاعتبار قط؛ ولكن الذي يمجّده حقاً هو أبوه، ليس كأنه سيضيف إليه شيئاً للتكريم، وإنما **يسترد منه المجد الذي سبق أن تخلّى عنه** حتى يستطيع أن يتجسد ويصير في هيئة عبدٍ: «والآن مجّدني أنت أيها الآب **عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كَوْنِ العالم**» (يو١٧ : ٥)، و«عند ذاتك» في هذه الآية تعني أن مجد الابن هو مجد ذات الله. هذا الذي نصرخ به في الذُّكْصا الكبرى: «المجد للآب والابن والروح القدس».

« ... الذي تقولون أنتم إنه إلهكم»:

هنا يوضح المسيح الفرق الجوهري بين أُبوّة الله للمسيح، وبين علاقة الله باليهود. فأُبوّة الله للمسيح قائمة على أساس بُنُوّة المسيح لله، فالأُبُوّة هي أبوّة في ذات الله، والبُنُوّة هي بُنوة في ذات الله، أي أن الله أبٌ وابنٌ ذات واحدة غير مفترقة. ومن ذلك يتضح سر قول المسيح **إن الله أبوه الشخصي «الذاتي»**. وفي نفس الوقت يدّعي اليهود أن **الله هو إلههم**، ولكن هذه النسبة بين الله وبينهم مقطوعة، بسبب عدم معرفتهم الله معرفة شخصية، والتي مِنْ أوضح مظاهرها رَفْضُهُمْ للمسيح الذي يحمل أقوى استعلان لذات الله. **فهو فوق أنه ابن ذات الله، فهو يعمل أعمال الله!** «إن كنتُ لست أعمل أعمال أبي، فلا تؤمنوا بي؛ ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه.» (يو١٠ : ٣٧و٣٨)

«الذي تقولون أنتم إنه إلهكم ولستم تعرفونه، وأما أنا فأعرفه»:

هنا معرفة المسيح للآب التي يسلّط عليها الضوء هي معرفة الجوهر للجوهر، معرفة الطبيعة للطبيعة، معرفة الذات للذات، معرفة المثيل للمثيل. هنا معرفة الابن للآب تساوي معرفة الآب للابن، أي معرفة تمام الانطباق!! فإذا دخلنا على هذه المعرفة اللاهوتية بالعقل أو الفكر أو التحليل، نتوه ونضلُّ؛ ولكن قد أُعطي لنا أن ندخلها من باب الحب والطاعة والإرادة، أي بالصفات التي نشابه فيها الله. فنحن نحس بمعرفة المسيح لله من خلال حب الله الآب ـــ المطلق ـــ للمسيح الابن، ومن خلال طاعة الابن المطلقة للآب.

ثم نحن نقيس هذه المعرفة الإلهية أيضاً بمقياس الإرادة والمشيئة، فنشعر من خلال بَذْل الله الآب لابنه بمقدار إرادة الآب الفائقة جداً على الوصف، التي تنازلت حتى إلى بذل الابن إلى أقصى حد من المذلّة والهوان بالموت على الصليب. وهذه الإرادة الأبوية التي فرّطت في مجد الابن وكرامته جاءت على نفس الإرادة التي أحبَّ بها الله عالم الخطاة، بمعنى أن الله أحب العالم ففرّط في ابنه وبَذَله ليخلّصهم ــ أي أنا وأنت ــ وسعى لخلاصهم وحياتهم، وأعطاهم نصيباً خاصاً في مجده وكرامته الشخصية!!!

والآن نستطيع أن نفهم، ولو قليلاً من **معرفة المسيح**، سواء للآب أو لنا التي يصفها بولس الرسول هكذا: «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصّلون ومُتأسّسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعُلو، **وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة**، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٧ــ١٩)

والمسيح يقول لليهود إنهم يقولون عن الله أنه إلههم، وهم لا يعرفونه، لأنهم لو عرفوه حقاً لما صلبوا ابن محبته. ثم يقول: «أما أنا فأعرفه»، ومن أعظم مظاهر هذه «**المعرفة**» وأقوى الأدلة على صدقها وعمقها اللانهائي، طاعة المسيح حتى الموت، موت الصليب. هنا جعل المسيح قياس المعرفة على المستوى العملي المطلق. فاليهود لم يعرفوا الآب، فصلبوا ابنه بجهالة وإصرار. والمسيح أظهر معرفته الخاصة بالله الآب، بأن حفظ كلمته، وأطاع مشيئة الآب طاعة مطلقة تحدَّى بها جهالة اليهود والعالم، ورضي بأن يصلبوه ليكمِّل بموته مصالحة العالم بالآب.

وهكذا يكون ادِّعاء اليهود أنهم يعرفون الله هو ادِّعاء كاذب، يفضحه ما عملوه بابنه على الصليب. والمسيح يقول إنه يستحيل عليه أن يجاريهم في هذه المعرفة التي هي منتهى عدم المعرفة... فلو كان قد تمشَّى معهم ــ في مستوى توقيرهم الحرفي للناموس وتكريمهم لموسى، والمنِّ، وتعظيمهم لميراث وعد الآباء عن إبراهيم ــ لما صُلب، ولكان احتفظ بمجد نفسه ومجد إسرائيل الكاذب، ولأصبح كاذباً مثلهم في ادِّعاء المعرفة والعمل ضدها في نفس الوقت. لأن معرفة الله هي التي تختص بخلاص العالم، والتي تبدأ من الصليب وتكمل بالقيامة من الأموات، وافتتاح الطريق إلى الحياة الأبدية!! «أيها الآب البار، **إن العالم لم يعرفك** (فأكمل صَلْب الابن). **أما أنا فعرفتُك** (ببرهان صليبي)، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني (وكانوا شهود صليبي)، وعرَّفْتُهم **اسمك، وسأُعَرِّفهم** (بقيامتي)، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٥و٢٦)

٨: ٥٦ **«أبوكم إبراهيمُ تهلل بأن يَرَى يومي فرأى وفَرِحَ».**

يفتتح المسيح هذا الإعلان بكلمة **«أبوكم»**، باعتبار أن المسيح **«ابن الله»**؛ وهكذا يرتفع المسيح بمستوى رؤيته لنفسه بالنسبة لإبراهيم. فإبراهيم أبوهم بحسب مستواهم الجسدي، أما إبراهيم نفسه فهو لا يزيد عن كونه شاهداً للمسيح من وراء الزمن؛ وهذه دائماً هي نظرة إنجيل يوحنا لكل الآباء والأنبياء والناموس والمزامير بالنسبة للمسيح.

«تهلل»:

تأتي باليونانية ἠγαλλιάσατο وتعني الإبتهاج الروحي أو السرور المفرط. وقد تحيَّر جميع علماء الكتاب المقدس قديماً وحديثاً بالنسبة لشرح هذه الكلمة، وانتحوا نواحي شتى خرجت بهم عن المعنى المقصود. وصعوبة هذه الكلمة لا تأتي في معناها بل في عملها، **فالسرور المفرط في** الاختبار التصوفي هو نفسه **حالة رؤيا واختبار**. وقد جاءت هذه الكلمة التي تفيد هذا الاختبار على لسان القديسة العذراء مريم في نبوّتها وهي عند أليصابات، حينما تكلمت عن مستقبل المسيح، وهي حامل به لأيام قليلة في بطنها: «فقالت مريم: تعظِّم نفسي الرب **وتبتهجُ** روحي بالله مخلِّصي» (لو١: ٤٦و٤٧)، وهنا مريم تتكلم وهي في حالة ابتهاج ἠγαλλίασε، أي رؤيا واختبار يختص بوعد الله لإبراهيم!! فالعجيب حقاً أن يأتي الاصطلاح (الإبتهاج ـــ السرور المفرط) على فم المسيح: «أبوكم إبراهيم **تهلل** ἠγαλλιάσατο »، كما جاء على لسان القديسة العذراء مريم ἠγαλλίασε وفي نفس الموضوع، إذ أكملت قولها: «عضَّد إسرائيل فتاه، ليذكر رحمة، **كما كلم آباءنا، لإبراهيم** ونسله إلى الأبد.» (لو١: ٥٤و٥٥)

كذلك نأتي إلى كلمة «**بأن يرى**» ἵνα ἴδῃ على نفس الصعوبة وأشدّ. وقد خرج كل الشارحين والمترجمين لإنجيل يوحنا عن المعنى الصحيح لهذا التركيب اللغوي، لأنهم حرَّفوا هذا الاصطلاح لكي يناسب الكلمة السابقة **تهلل**. إذ وجدوا أن الترجمة الصحيحة الحرفية لها «تهلل لكي» غير موافقة فجعلوها «تهلل بأن»، **فطوَّحوا** بالمعنى كله بعيداً عن المفهوم الصحيح لهذا الاختبار الروحي التصوفي. فالترجمة الصحيحة الحرفية، والتي توافق المعنى تماماً بحسب الاختبار الروحي هي: «**تهلل لكي**»، وهذا يعني بحسب الاختبار الروحي لكلمة «تهلل»، أن إبراهيم دخل في هذا الاختبار الروحي: **«لكي يرى، فرأى وفرح»**.

والصعوبة الأكثر التي واجهت الدارسين لإنجيل يوحنا هي: متى وكيف رأى إبراهيم يوم الرب فرأى وفرح؟ فريق قال: إن ذلك حدث في ميلاد إسحق، وإن ضحك إبراهيم وسارة هو هذا

«التهليل». وفريق آخر قال: عندما أَقْدَمَ إبراهيم على ذبح إسحق فمنعه الملاك ثم أبصر خروفاً قدَّمه عوض إسحق. وفريق آخر قال: وقت عتمة الليل أثناء تقديم قطع الذبيحة. وفريق قال: إن ذلك حدث على مرحلتين: مرحلة السؤال والطلبة أثناء حياة إبراهيم، ومرحلة الرؤيا والفرح تمت بعد الصَلْب أثناء نزول المسيح إلى الجحيم لفكِّ أرواح المأسورين.

ولكن بالرجوع إلى الكتاب المقدس نجد أن العذراء القديسة مريم قد حددت وعد الله لإبراهيم هكذا:

«فقالت مريم: تعظِّم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى اتضاع أَمَتِهِ... عضَّد إسرائيلَ فتاه ليذكرَ رحمةً، **كما كلَّم آباءنا. لإبراهيم ونسله** إلى الأبد.» (لو١: ٤٦و٥٤و٥٥)

وهنا الرد على السؤال **هل رأى إبراهيم يوم الرب؟** حيث جاء الرد على لسان العذراء أن الذي في بطنها **هو وعد الله لإبراهيم.**

ولكي نتحقق كيف تمت الرؤيا أثناء كلام الله مع إبراهيم نقرأ الآتي:

أ ــ في الرسالة إلى غلاطية: «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي **نسله** (باليونانية **σπέρμα** وبالقبطية **ϫⲣⲟϫ**)، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل **كأنه عن واحد، وفي نسلك** (مفرد)، **الذي هو المسيح.**» (غل٣: ١٦)

ب ــ كذلك نقرأ في سفر الأعمال: «أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً **لإبراهيم: وبنسلك (مفرد) تتبارك جميع قبائل الأرض.** إليكم أولاً إذ أقام الله فتاه **يسوع، أرسله يبارككم** بردِّ كلِّ واحدٍ منكم عن شروره.» (أع٣: ٢٥و٢٦)

ج ــ ثم نقرأ في سفر العبرانيين: «فإنه لما وعد الله إبراهيم إذ لم يكن له أعظمُ يُقْسِمُ به، أَقْسَمَ بنفسه قائلاً: إني لأُباركنَّك بركة وأُكثرنَّك تكثيراً. وهكذا إذ تأنَّى **نال الموعد.**» (عب٦: ١٣ــ١٥)

د ــ كذلك نقرأ في سفر العبرانيين: «بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرَّب. قدَّم الذي قَبِلَ المواعيد وحيده، الذي قيل له: إنه بإسحق يُدْعَى لك نسلٌ (مفرد). **إذ حَسِبَ أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات** أيضاً، الذين منهم أخذه أيضاً في مثال.» (عب١١: ١٧ــ١٩)

وهنا تأكيد الوحي الإلهي على أن فعل إرادة الذبح عند إبراهيم كان مشفوعاً بإيمان قدرة الله بالإقامة من الأموات، وهذا هو جوهر الرواية كلها.

ومن مجموع هذه الآيات أ، ب، ج، د، يتضح لنا أن **الإشارة الأساسية التي تخصُّ المسيح في حديث الله مع إبراهيم جاءت بعد أن قدَّم إبراهيم ابنه وحيدَهُ إسحق** بنيَّة ذبحه، طاعة لأمر الله، والتي جاءت في سفر التكوين الأصحاح الثاني والعشرون.

ففي الآية أ ـــ النسل الموعود به بالمفرد: **هو المسيح.**

وفي الآية ب ـــ النسل الذي به تتبارك جميع قبائل الأرض: **هو يسوع.**

وفي الآية ج ـــ الله أقسم بذاته ليؤكد ضمان الوعد بالنسل. وقد تم بالفعل إذ نال عربون الموعد في إسحق.

وفي الآية د ـــ ثم إبراهيم يقدِّم ابنه إسحق الذي فيه تم عربون الموعد، يقدِّمه ذبيحةً بإيمان أن الله قادر أن يقيمه من الموت. وبذلك تمت كل مفردات رؤية إبراهيم للمسيح، وهذا نقرأه بوضوح في سفر التكوين:

+ «وقال (الله): إبراهيم إبراهيم فقال: هأنذا. فقال لا تمدَّ يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمتُ أنك خائفٌ الله. **فلم تُمسِك ابنك وحيدك عني.** فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبشٌ وراءَه ممسكاً في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه. فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع **يَهْوَه يِرْأه** (الرب يُرى). حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يُرَى.» (تك٢٢: ١١ـــ١٤)

وهكذا عندما نفَّذ إبراهيم وصيَّة الله في ابنه بإيمان أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات (تماماً كما نفَّذ المسيح وصية الله في نفسه مقدِّماً نفسه على الصليب بإيمان القيامة من الأموات) ... **عند هذا تقف الرواية في سفر التكوين فجأة، ويتم الإعلان عن حدوث رؤية يصمت الوحي عن كشف تفاصيلها إلى أن يعلنها المسيح بنفسه: «أبوكم إبراهيم تهلل لكي يرى يومي فرأى وفرح».**

ومما سبق يتضح لنا تفاصيل معنى **"يرى يومي"**، فقد رأى إبراهيم الموت (الصليب) والقيامة معاً. رأى صورة الذبيحة بفعلها الكفَّاري لمسرة الله، ورأى القيامة في بهجة فعلها الخلاصي. ورأى كيف سيتم أن تتبارك قبائل الأرض في نسله «أي بالمسيح». ثم نكرر القول أن رؤية الرب تتم فقط للذين حفظوا كلمته من خلال السرور المفرط، أي التهليل الخلاصي. لذلك يقول المسيح: «**تهلل** "لكي" يرى يومي، فرأى **وفرح**».

٨ : ٥٧ــ٥٩ **«فقالَ لهُ اليهودُ: ليسَ لكَ خمسونَ سنةً بعدُ. أفَرَأيْتَ إبراهيمَ؟ قال لهم يسوعُ: الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم: قبلَ أن يكونَ إبراهيمُ أنا كائنٌ. فرفعوا حجارةً ليرجموه. أما يسوعُ فاختفى وخرجَ من الهيكلِ مجتازاً في وَسْطِهِم، ومضى هكذا».**

ق. يوحنا يصمم على تسجيل هذه المفارقة للحقيقة من جهة سنّه، فالمسيح لم يكن يتعدى في عمره الثلاث والثلاثين سنة، ولكن يبدو أن هيئة المسيح كانت في عيون هؤلاء اليهود تفوق سنّه. ثم يسجل عليهم المفارقة الثانية، التي هي نوع من تزييف الكلام وتحويل الأبدي إلى زمني: «أفرأيت إبراهيم». المسيح لم يقل هذا، بل قال ما هو أعظم وأخطر من هذا. فقد قال إن إبراهيم هو الذي رأى يومي، كتعبير عن تكميل المواعيد في شخص المسيح! ولكنهم لما أرادوا أن يحرِّفوا الكلام و يهبطوا به إلى مستوى تواريخ الميلاد، واجههم المسيح باستعلان أقوى عن أزلية وجوده: «الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن».

بهذا يكون المسيح قد أقرَّ بقولهم أن إبراهيم مات، ومات كل الأنبياء، ولكنه ــ أي المسيح ــ كان قبل كل هؤلاء حيًّا ومُعطي الحياة. وأقرَّ أن أباهم هو إبراهيم كما كانوا يفتخرون، ولكنه ــ أي المسيح ــ هو فخر إبراهيم ورجاؤه الذي تتم به بركة جميع قبائل الأرض. إبراهيم كان أرامياً تائهاً، آواه الرب في أرض غريبة، والمسيح هو ابن الله الذي نزل من السماء ليردَّ غُرْبَة إبراهيم ونسله إلى الوطن السماوي.

كان المسيح هذا وأكثر ألف مرة من هذا، وكان يدرك المفارقة التي لا تُحَدُّ بينه و بين إبراهيم. لذلك لم يكن أمام المسيح إلاَّ أسلوبه الإلهي العالي ليحطم به كبرياء اليهود المتعالين بالأنساب والألقاب: «الحق الحق أقول لكم...». أما المفارقة فلم يجعلها المسيح بين إبراهيم و بين شخصه، بل رفعها مرة واحدة و باستعلان متناهٍ ليبلغ بها جوهر كيانه الإلهي فقال: «قبل أن يكون (يصير أو يُخلق) γενέσθαι إبراهيم ἐγώ εἰμί أنا هو». و«أنا هو» هو اسم يهوه نفسه = أنا الكائن(١٥) الذي يكون.

و يلاحظ القارىء أن المسيح رفض أن يجعل المفارقة زمنية بأن يقول «قبل إبراهيم **كنت** أنا»، بل وضعها على مستوى المطلق الأزلي اللازمني: «قبل أن يكون إبراهيم **أنا كائن**»، لكي

(١٥) أنظر خروج٣: ١٤ النص اليوناني.
وقد تم شرح معناها اللاهوتي في المدخل ص٢١٨ــ٢٤٦، و يقابلها في العبري Ani ho.

يجعل المفارقة صارخة بين المخلوق والخالق، الزمني والأبدي. والتي على مستواها قال المسيح مرة لتلاميذه: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩). فنحن من ملء حياته الأبدية نأخذ حياة بل نأخذ ملئاً. فأية مقارنة يمكن أن توضع بين الحياة والموت؟ أو بين المحيي والميت؟

ولم يكن صعباً على هؤلاء اليهود أن يدركوا أنه يتكلم عن لاهوته، أو كما عبَّروا هم مرة، أنه يجعل نفسه مساوياً لله. إنه تجديف... فليحيا الناموس وليمت المسيح: «فرفعوا حجارة ليرجموه». كانت الحجارة جاهزة في جيوبهم [١٦] ورفعوها بالفعل بأعلى أذرعهم، ولكن أذرعهم وقفت بلا قوة على الرجم؛ إذ لم يروه؛ سقطت الحجارة من أيديهم واختفى هو عن أعينهم مع أنه جاز في وسطهم.

ولكي يمعن ق. يوحنا في إحكام ربط الأقوال بالأعمال، ثم ربط الأقوال والأعمال بالنبوات، يسجل في الختام جملة ذات مغزى سرِّي للغاية، إذ يقول: «أما يسوع **فاختفى وخرج من الهيكل** مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا». هذا تعبير حزين وموجع، له إحساس نَبَوِيٌّ صادق. فاختفاء المسيح عنهم، وهو في وسطهم، يرمز لعمى بصيرتهم (إش٦: ١٠)، وخروجُه من الهيكل (مت٢٣: ٣٨) يرمز إلى التخلي عن الأمة اليهودية بأجمعها، وإن كثَّروا الصلاة فلن يعود يسمع بعد!! أما أنه اجتاز في وسطهم ومضى، فهي صورة لختام رسالته: «إلى خاصَّته جاء وخاصَّته لم تقبله.» (يو١: ١١)

إبراهيم والنسل والأولاد بمفهوم كلام المسيح:

ولكن لا يفوتنا هنا أن نبين أن كلام المسيح عن إبراهيم لا ينتقص من إبراهيم، ولكنه يحذف حق البنوَّة لإبراهيم بالقوة. فإبراهيم لم يأخذ مكانته أمام الله، إلا بعد أن أكمل الوصية: «**سِرْ أمامي، وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك وأُكَثِّرك كثيراً جداً**» (تك١٧: ١و٢). فالعهد الذي أقامه الله مع إبراهيم تأسس على السلوك بالكمال. فإبراهيم لم يُخِلْ بالعهد، ولكن أولاد إبراهيم لم يسلكوا بالكمال، فنقضوا العهد من أساسه، فكيف سيصيرون بركة لكل الأمم، وهم صاروا لعنة لأنفسهم؟ حسبوا البركة ميراثاً يُنهب بالقوة، مع أنها رسالة ومسئولية! ولكي يصونَ الرب هذا الميراث الروحي و يفضح الناهبين و يوقظ الحالمين، ضرب الرب في إنجيل لوقا مَثَلَ إبراهيم ولعازر والبنين الشاردين، والمثل ينتهي بهذا المشهد الحزين: «فمات المسكين وحملتهُ الملائكةُ إلى حِضْنِ إبراهيم. ومات الغني أيضاً ودُفِنَ. فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب ورأى

(١٦) الهيكل لم يكن قد أكمل بناؤه بعد، والحجارة متراكمة بين أركانه.

إبراهيم من بعيد ولِعازر في حِضْنهِ. فنادى وقال يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لِعازر ليبلّ طرف إصبعهِ بماء ويبرد لساني لأني مُعذبٌ في هذا اللهيب. فقال إبراهيم يا ابني اذكر أنكَ استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لِعازر البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تتعذّبُ. وفوق هذا كلّه بيننا وبينكم هوةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت حتى إنَّ الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا. فقال أسألُكَ إذاً يا أبتِ أنْ تُرسلهُ إلى بيت أبي. لأنَّ لي خمسةَ إخوةٍ. حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم عندهم موسى والأنبياء. ليسمعوا منهم. فقال لا يا أبي إبراهيم. بل إذا مضى إليهم واحدٌ من الأموات يتوبون. فقال له إنْ كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إنْ قام واحدٌ من الأموات يُصدقون.» (لو١٦: ٢٢ـ٣١)

ويوحنا المعمدان بنظرة نبوية ثاقبة، رأى من بعيد خطورة العثرة التي وقفت أمام شعبه لتكون حجر عثرة في الإيمان بالمسيح، فبصوته الصارخ نبَّه الطالبين التوبة أن الإتكال على نسب إبراهيم لن يشفع فيهم أمام الله: «فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديَّته قال لهم: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصْنعوا أثماراً تليقُ بالتوبةِ. ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم **لنا إبراهيم أباً**. لأني أقولُ لكم **إنَّ الله قادرٌ أنْ يُقيمَ مِنْ هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم**. والآن قد وُضِعت الفأس على أصل الشجرِ. فكل شجرةٍ لا تصنع ثمراً جيداً تُقطعُ وتُلقى في النار. أنا أُعمدكم بماءٍ للتوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لستُ أهلاً أن أحمل حذاءهُ. هو سيعمدكم بالروح القدس ونارٍ. الذي رفشهُ في يدهِ وسيُنقي بيدرهُ ويجمعُ قمحهُ إلى المخزنِ. وأما التبنُ فيحرقهُ بنارٍ لا تُطفأ.» (مت٣: ٧ـ١٢)

المسيح في إنجيل متى وضع التبني فوق البنوة الجسدية، بل وجعل الغرباء أهلاً لصحبة إبراهيم في وليمة الأبدية، والأبناء المنتفخون يُطْرَدُون: «وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصريرُ الأسنانِ.» (مت٨: ١١و١٢)

وإلى اليهود المتمسكين بأُبوَّة إبراهيم فوق وصايا الله أعطى هذا المعيار الجديد بالذات في السلوك بالروح أمام الله: «لا تَدْعُوا لكم أباً على الأرض (المقصود هنا إبراهيم أبو اليهود) لأن أباكم واحد الذي في السموات.» (مت٢٣: ٩)

وعلى أساس التحديد الإلهي لقيمة النسب لإبراهيم الذي وضعه المسيح بتعاليمه، انطلق بولس الرسول ليؤكد ــ بالروح أيضاً ــ أن وعد الله وعهده لم يكونا مع أولاد إبراهيم بل مع ــ واحد ــ

نسل إبراهيم. وكلمة «نسل» بالعربية خاطئة ومُضلِّلة فهي في اليونانية σπέρμα أي «النُطْفَة» أو البذرة الحية من صُلبْه (الصُلْب هو المركز الجنسي في أسفل الظهر)، وتأتي بالقبطية **xpox** أي البذرة بكل وضوح. وشرح بولس الرسول أن هذا لا يفيد النسل ــ ككثرة ــ على وجه العموم أو الإطلاق، بل **بذرة واحدة**، تنتهي عندها ذُرِّيَّة إبراهيم موضحاً **أنها تعني المسيح، ففي المسيح وحده تتبارك الأمم**: «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي **نَسْلِهِ**. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين (من الأولاد) بل كأنه **عن واحد**: وفي نسلك σπέρματι= sperm **الذي هو المسيح**» (غل٣: ١٦)، وينتهي بولس الرسول في شرحه لهذا الموضوع الخطير بقول يطابق تعاليم المسيح: «**إن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة.**» (غل٣: ٢٩).

والمسيح سبق وأوضح مفهوم الحرية والأحرار على المستوى الروحي، ليقابل المفهوم الخاطىء للحرية على المستوى السياسي الذي يدّعيه اليهود، أنه ــ أي مفهوم الحرية ــ ضمن ميراث أولاد إبراهيم. إذ أدخل المسيح عنصر **الخطيئة كأساس للعبودية. أما الحرية فهي الأساس للخلاص من الخطية.**

وهذا يعني أن ميراث البنين لإبراهيم لا يكفي أن يجعل أولاد إبراهيم أحراراً، بل هم عبيد إنْ فعلوا الخطية، وأحرارٌ إنْ خلّصهم المسيح من الخطية.

وينوِّه المسيح من بعيد على ابنيْ إبراهيم (**إسماعيل** ابن الجارية **وإسحق** ابن الحرة) قائلاً إن «**العبد** لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما **الابن فيبقى إلى الأبد**» (يو٨: ٣٥). وبولس الرسول يلتقط هذا المعنى ويزيده وضوحاً وتطبيقاً، مشيراً إلى أن **هاجر** الجارية هي الرمز **لجبل سيناء** (غل٤: ٢٥) الذي وُلد فيه **الناموس** الوالد **للعبودية**: «لأن بدون الناموس الخطية ميتة. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً، ولكن لما جاءت الوصية، عاشت الخطية (بالوصية)، فمُتُّ أنا (بحكم الوصية)» (رو٧: ٨و٩). وبهذا الحكم يكون الناموس **ــ هاجر ــ** آيلاً للزوال، أي **الطرد** من البيت (الله)، لأنه ابن **الجارية**، لأنه والد **العبودية**.

أما **سارة الحرة** فهي باقية رمز «**الموعد**» نظير إسحق المستعلن في المسيح. والناموس الوالد للعبودية يقابله أورشليم الأرضية الواقعة تحت العبودية هي وبنيها.

وأما الموعد بسارة الحرة وبإسحق (المكمَّل بالمسيح)، **فيقابله أُورشليم العليا**، وهي (الكنيسة) حُرَّة التي هي **أُمُّنا** جميعاً (أُم المفديين من الخطية): «لكن ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها

لأنه لا يرثُ ابن الجارية (الناموس) مع ابن الحرة (المقديين)» (غل ٤ : ٣٠)؛ «إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية (عبودية الناموس)، بل أولاد الحرة (حرية المسيح بالفداء من الخطية)» (غل ٤ : ٣١)؛ «فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية (الناموس).» (غل ٥ : ١)

وهكذا، بحذق روحي مدهش ومهارة فائقة بمنطق فريسي متنصّر، يردُّ بولس **كل اليهود الرافضين للمسيح إلى هاجر كأولاد للجارية، كعبيد الخطية المحكوم عليهم من الناموس ــ وهم المتمسكون به ــ بالطرد من البيت والحرمان من الميراث.**

أما الذين قبلوا المسيح وتحرروا من نير الخطية الذي بالناموس **فردَّهم إلى سارة وإسحق كأولاد شرعيين لميراث إبراهيم في الله: «إن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة.»** (غل ٣ : ٢٩)

الأصحاح التاسع

مكان البشارة
ثامناً (تابع):
في أُورشليم
في عيد التجديد
(٩:١ــ١٠:٣٩)

مقدمة للأصحاحين التاسع والعاشر

نحن الآن في الشتاء، وقد انقضى ثلاثة أشهر على موسم عيد المظال الذي احتفل به اليهود من ١٥ــ٢٢ من شهر تشري الموافق سبتمبر / أكتوبر. وقد اختص الأصحاح السابع ومعظم الأصحاح الثامن بتعاليم المسيح ومحاوراته مع اليهود، والمناسبة لطقوس وقراءات هذا الموسم. ولم يذكر الإنجيل أن المسيح غادر أُورشليم، بل ظلَّ يعلِّم فيها وفيما حواليها. حتى جاء موسم عيد التجديد ٢٥ كِسْلو الموافق ديسمبر والذي يستمر لمدة سبعة أيام، وابتدأ المسيح يعطي تعاليمه المناسبة لاحتفالات هذا العيد.

عيد التجديد:

يبدأ ذكر عيد التجديد في الأصحاح العاشر عدد ٢٢. و يلاحَظ أن ق. يوحنا بعد أن يسرد القصة وتعاليمها، يعلِّق عليها إما من الوجهة الروحية أو التاريخية أو المكانية، وهنا يأتي التعليق تاريخياً ومكانياً، أي أن التعاليم والحوادث التي حدثت على مدى الأصحاحين التاسع والعاشر وحتى العدد ٢٢ كانت في زمن عيد التجديد وفي الهيكل.

«**وكان** عيد التجديد في أُورشليم وكان شتاءٌ، وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان.» (يو١٠: ٢٢و٢٣)

وقد احتار علماء الكتاب المقدس في تفسير «**وكان** عيد التجديد» ἐγένετο δέ ، والتي جاءت في مخطوطات أخرى منها الطيبية القبطية Thebaic ، والأرمنية Armenian : ἐγένετο τότε وقد أخذ العالم وستكوت بالنسخة الطيبية وترجمتها: «"**وفي ذلك الحين**" كان عيد التجديد»، مما يفيد أن هذا التوقيت يختص بكل ما سبق سرده، بعكس ما أخذه العلماء الآخرون ἐγένετο δέ على أنها: «**وكان قد صار**» أي أن التوقيت يختص بما سيجيء من الكلام.

ونحن نأخذ برأي وستكوت، لأنه واضح فيه الصحة والدقة، فإن تعاليم المسيح التي قدَّمها ق. يوحنا في الأصحاحين التاسع والعاشر تختص بالفعل بطقوس عيد التجديد ومعناه.

وعيد التجديد يأتي ذكره في سفر المكابيين الثاني ١:٩، وهو خاص بذكرى انتصارات المكابيين لمدة ثلاث سنوات (١٦٧—١٦٤ ق.م)، وفيه يذكر طرد يهوذا المكابي للسوريين الذين نجَّسوا مذبح المحرقة بإقامة صنم بعل «شاميم»، الذي اعتُبِرَ أنه «رجسة الخراب» التي تكلم عنها دانيال النبي (٢٧:٩)، والتي ذكرها المسيح في إنجيل القديس متى ٢٤: ١٥ على أنها ستتكرر لتكون علامة خراب الهيكل وأورشليم، وقد تمت هذه بالفعل في أيام الرومان سنة ٧٠م. وقد بنى يهوذا المكابي المذبح من جديد ودُشِّن الهيكل كله في يوم ٢٥ من شهر كسلو (١مكا٤: ٤١—٦١)، وصار يُعيَّد كل سنة لتذكار تجديد المذبح والهيكل.

والاسم اليهودي لعيد التجديد هو «حنُوكا» والتي تعني التدشين (أي المسح بالزيت = حنَّك بالتعبير العربي العامي)، وباليونانية ἐγκαίνια أي التجديد.

وكان اليهود يسمُّون هذا العيد بعيد الأنوار، وعيد مظال (مِظَلّة) شهر كسلو، معتبرين أن تجديد الهيكل هو إعادة عودتهم تحت مظلة = خيمة الله، أو عودة حلول الله في وسطهم، كما في أول خيمة في البرية وفي تدشين هيكل سليمان حينما حلَّ الله ببهائه وملأ الخيمة أو الهيكل. وهذا في الحقيقة كان رمز قرب مجيء الرب بالفعل وحلوله في وسط إسرائيل = «عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (مت١:٢٣)، ولكن ليس لكي يبني ويدشِّن خيمة من جِلْدٍ أو هيكلاً من حجر وتحف، ولكن ليدشِّن جسده هيكلاً سماوياً يجمع فيه وإليه كل مفديي الله ومختاريه منذ أول الدهور وإلى آخر الزمان. وقد أقام هيكله هذا لا في أورشليم ولا في جِرِزيم، ولكن على جبل صهيون الحقيقي، في مدينة الله، أورشليم العليا المزيَّنة بقديسيها من أرواح مكمَّلة بالمجد، وربوات هم محفل ملائكة (عب١٢: ٢٢و٢٣) وكنيسة حية على الأرض تصل أخبار كرازتها إلى السماء أولاً بأول: «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة...» (أف٣: ١٠)

أما العلاقة بين تعاليم الرب التي جاءت في هذين الأصحاحين وبين طقوس هذا العيد ومعناه، فكانت تتركز في الربط بين آمال اليهود الملتهبة التي تثيرها ذكرى انتصارات المكابيين وتخليص الأمة اليهودية من أعدائها، وبين موضوع الخلاص الذي ينادي به المسيح كقائد النور والخلاص الأبدي الذي خلَّص خرافه ودشَّن هيكله بدمه، وحيث كان يملأ الهيكل أصداء ترانيم العيد التي

تذكر جميع مواقف نجاة وخلاص الشعب في السابق، ودعاء وصلاة من أجل خلاص في الحاضر.

وبينما كانت تُضاء جميع الأنوار في الهيكل، لأن هذا العيد كان يُدعى عيد الأنوار، وقف المسيح كالعادة يقول: «ما دمت في العالم فأنا نور العالم» (يو٩: ٥). وحينما كان يُفتح باب الخراف في الهيكل لتدخل خراف العيد للذبائح اليومية، وقف المسيح يقول: «أنا هو باب الخراف» للهيكل الجديد، «كما هو مكتوب إننا من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح.» (رو٨: ٣٦)

الأصحاح التاسع

التطابق العملي لاستعلان طبيعة المسيح النورانية

الأعمى المستنير(١)

[وهبت النظر للعميان] (القداس الغريغوري).
[يا من فتح أعين العميان افتح عيون قلوبنا] (القداس الكيرلسي).

أ ــ آية تفتيح عيني المولود أعمى: (٩: ١ــ٧).

٩: ١ــ٣ «وفيما هو مجتازٌ، رأى إنساناً أعمَى منذ ولادته. فسألَه تلاميذُه قائلينَ: يا معلِّمُ مَنْ أخطأ هذا أم أبواهُ حتى وُلِد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهرَ أعمالُ الله فيه».

«من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى»:

سؤال يحيِّر العالم كله قديماً وحديثاً. ولكن إذا أخذنا بالعناصر الأساسية في موضوع الخطية والألم والعقاب، ربما نصل إلى أن حلَّ السؤال ليس هيِّناً. فهو سؤال مبتور، له أصول وفروع، وبداية واحدة ونهايات لا حصر لها.

البداية هي الخطية التي دخلت عالم الإنسان ودخل معها العقاب والألم والموت. أما الأصول التي ترتبت على دخول الخطية فمنها الطبيعي مثل:

١ ــ أن الإنسان فقد وضعه الروحي وعِشْرَته مع الله، التي كانت تحجب عنه عوامل الطبيعة المؤذية التي وقع فريسة لها: من مؤذيات حيوانية وحشرية وطفيليات وبكتريا وفيروسات لا حصر لها، بالإضافة إلى المؤذيات النفسية من جَوْر الإنسان والظروف المحيطة.

٢ ــ عوامل الزمن الذي يتعاهد مع المؤذيات الأخرى في سرعة شيخوخة خلايا الإنسان،

---

(١) إنجيل المولود أعمى يُقرأ مرتين في السنة:
ــ في الأحد السادس من الصوم الكبير، وهو أحد التناصير أي المعمودية، وهذا دليل على ارتباط هذا الإنجيل بالمعمودية في تقليد الكنيسة الأولى.
ــ وفي الأحد الرابع من شهر طوبة بعد عيد الغطاس، وهذا أيضاً بسبب ارتباط هذا الفصل بالمعمودية.

لترجيح كفة الهدم على كفة البناء في فِسْيُولوجيا أعضاء الإنسان، حتى يقع صريعاً للمرض والشيخوخة ثم الموت.

٣ ــ عوامل المعيشة، إما في بذل الجهد الزائد للحصول على لقمة العيش، حيث يبلغ الجهد فوق طاقة احتمال أجهزته العصبية والنفسية، فيمرض الإنسان و يتألم ويموت. وإما بعدم بذل الجهد اللازم، فيجوع الإنسان، و يتألم، ويمرض، ويموت. وإما لا جهد بالمرة، فتتلف أجهزة الإنسان ويمرض و يتألم ويموت.

٤ ــ عوامل كونية يتأثر بها الإنسان أشد التأثر، مثل البراكين والزلازل والحرائق الطبيعية والأوبئة والحروب والجفاف والحرارة والبرودة والمجاعات بأسبابها الكثيرة، و يستحيل على العالم أن يوجد بدونها، فهي لوازم كونية تجدِّده بأكثر مما تضرُّه. فإن كان الإنسان قد وقع تحتها لأنه خرج بحريته من حضرة الله الحافظة له، فالله لا يُلامُ في ذلك؛ إلاَّ أن هذه الآلام الطبيعية جزء لا يتجزأ من تاريخ تطوُّر حياة الإنسان إلى أفضل.

ولكن هناك أنواع من الآلام يجرُّها الإنسان على نفسه وعلى غيره ويتحمل عواقبها وأضرارها الشديدة: كأن يأكل ما يضرُّه سواء في الكَمِّ أو النوع، أو يشرب ما يؤذيه كالخمر وغيرها، أو يتعاطى المخدرات بأنواعها، أو يعاشر المرضى بأمراض جنسية، فتجرَّ عليه أنواعاً من الأمراض والآلام، لا قِبَلَ له بها، بل وتتسبب في توريث نسله أنواعاً من العاهات لا حصر لها. فالسيدات الحوامل إن هُنَّ تعاطين هذه المؤذيات وَلَدْنَ أطفالاً مشوَّهين بكل أنواع التشوُّهات الجسدية، ومنها العَمَى والخَرَس والصَمَم والشَلَل، الذي أصيب به ملايين البشر.

ولكن هناك أنواع مماثلة تماماً لمثل هذه التشوُّهات يولد بها الأطفال، ولم يكن الإنسان سبباً فيها سواء من جهة الأب أو الأم، حيث تكون التوليفات الجينية في خلايا الجنين فاقدة لعناصرها السليمة المطلوبة، وهذه تُحسب كإخفاقات في قوانين البيولوجيا الوراثية. وهذه تُحذف من مسئولية الإنسان لتُضاف لحساب مسئولية الله، مثل حالة هذا الإنسان المولود أعمى الذي لم يسأل المسيحَ ولا سأل التلاميذَ أن يُشفى، بل إن المسيح تقدم من نفسه لشفائهِ إذ حمل مسئولية عَمَى هذا الأعمى. لهذا قال لتلاميذه: «لا هذا أخْطَأ ولا أبواه، لكن لتظهَر أعمالُ الله فيه»، أو بوضوح أكثر: ليظهر نموذج عمل الله فيه!!

ولكن لا يزال السؤال المحيِّر: ما ذنبُ هذا الأعمى وغيره من الذين وُلدوا مشوهين لأي سبب كان؟ لماذا يتألمون و يُعَانون من الحزن والأسى والحرمان، مما يجرح نفوسهم و يعصر مشاعرهم،

و يلازمهم الأنين واجترار المرارة كل أيام حياتهم ؟؟

لقد قلنا إن السبب المباشر لهذه التشوُّهات هو إخفاقٌ في قانون التحام الجينات والمواريث، وقلنا إن الله يتحمل مسئولية هذه الإخفاقات؛ و بالفعل فإننا نجد أن الطبيعة تتبرع من جهتها بعملية تعويض تساوي النقص الذي هي متسبِّبَة فيه، كما يتبرع الله من جهته بعملية تعويض تفوق النقص وكل ما ينتج عنه من الآلام مئات المرات!!

تعويض الطبيعة:

قبل كل شيء يلزم أن نعرف أنه لا يوجد في الخليقة أو المخلوقات جميعاً قانون لا يقبل الخطأ، فالخطأ في قانون الطبيعة هو قانون. لأنه لا يوجد الكمال المطلق إلاَّ في الله. وكل قاعدة لها استثناء، والاستثناء يُثْبِتُ القاعدة. ولكن لكي تحمي الطبيعة نفسها من امتداد الخطأ، فإنها تقوم بتعويضه لكي تتلافى طُغيانه، ولكي تُثْبِت القاعدة. فإذا وُلد مخلوق ناقصاً في تكويناته العضوية لسبب طبيعي، فإن القوة الشاملة المخصَّصة لأعضائه تتوزع على باقيْ أعضائه، فتزداد باقي أعضائه كفاءة عن معدلها الطبيعي. فلو أخذنا مولوداً فاقد البصر، فإن حواسه الأربعة الباقية تزداد كفاءتها لتصبح كفاءة الأربع الحواس تساوي كفاءة خمس حواس عادية. ولكن قد تحتاج هذه الزيادة إلى تمرين أو تشجيع أو صبر لكي يظهر إمتيازها. وهكذا إذا فقد حاستين أو ثلاثاً، أو حتى أربعاً!! كما سمعنا عن الآنسة هيلين كيلر الواعظة والمبشِّرة العالمية التي كانت لا تملك من الحواس جميعاً سوى حاسة اللمس.

ولكن ليس هذا هو باب التعويض الوحيد في الطبيعة. فالطبيعة سبق وأن احتاطت لمثل هذه النقصانات في كيان الأفراد، بأن أضافت إلى باقي المجتمع الحيواني والإنساني، بوجه خاص وفائق، امتيازات إضافية للأصحَّاء تفوق حاجتهم. فالأم الصحيحة بوجه عام استودعتها الطبيعة من الحنوِّ والعطف والصبر والاحتمال، وكل مواهب الأمومة بوجه عام، ما يفوق حاجة تربية أولادها مهما بلغوا من الكثرة. فتوجد أمهات ممتازات في أمومتهن تستطعن، إذا شئن، تربية مائة طفل أو مائتين أو ربما ألفاً من الأطفال. كل هذا منحته الطبيعة لأولئكنَّ، احتياطاً لتلافي عجز أمهات أُخريات، أو تيتُّم أولادهن، أو تشوُّه أولاد آخرين. ومثل الأم كذلك الأب، إذ يوجد آباء لهم مواهب فائقة للغاية. فإذا جمعنا المواهب الممتازة والفائقة عن الحاجة في الطبيعة، لوجدناها في جملتها على أقل تقدير تساوي العجز المتولِّد من إخفاقات قوانينها!!

وبهذا يمكن تبرئة الطبيعة من أخطاء قوانينها، على أساس قانون التعويض الاحتياطي. وأصبح

على الإنسان المعوَّق بأي تشويه أن يطالب الطبيعة بحقِّه بالكامل، على أساس التعويض فيما بقي له من أعضاء وإمكانيات، وذلك بالجهد والمجاهدة، والتمرين والمِرَاس، والصبر، وروح الإنتصار. كما أصبح على المجتمع الإنساني أن يفرز مواهبه الممتازة والزائدة لخدمة وتعويض أعضائه المحرومين، سواء بالعلم الحديث، أو فنون التأهيل التي بلغت آفاقاً مذهلة بواسطة التكنولوجيا الحديثة. والأمثلة الناجحة في تطبيق هذا المبدأ تملأ الأقطار وتبرهن على صحة هذا الكلام.

تعويض الله:

في البدء يلزم أن نفهم أن الحياة هبة من الله مُعْطيها، والهبة لا تُصبح حقاً لمَنْ أُعطِيَتْ له. فهي هبة، وتظل هبة، إلى أن تعود إلى الله واهبها. وبالتالي فإن كل أجهزة هذه الحياة من صحة جسدية ونفسية بكل أعضاء وحواس الإنسان، هي كذلك هبة؛ أي أنها ليست حقاً من حقوق الإنسان، إذا أخذها بالكامل؛ أما إذا نقص شيء منها، فهذا ليس سلباً لحق من حقوقه. لذلك أصبح على الكامل أن يشكر فيما وُهب له وإلا يُؤخذ منه، كما أصبح على الذي افتقد شيئاً من أعضائه أن يشكر على ما أَخَذَ وإلا يُفْقَد ما بقي.

هذا بالنسبة للإنسان تجاه الله. أما بالنسبة لله تجاه الإنسان، فالله هو بمثابة الوالد للإنسان ولا يزال يحمل همَّه، يُرْضِعُه الحياة قطرة قطرة، كما ترضع الأم طفلها ليعيش. والله يحس بأحاسيس الإنسان، وليس ذلك فقط بل ويشارك الإنسان في أحاسيسه: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم.» (إش٦٣ : ٩)

فإذا كان الأب أو الأم يعتني بولده أو تعتني بولدها المعوَّق والضعيف أكثر من السليم المُعافَى، فهذا هو امتداد لصفة الله، وصَدَى عمل طبيعته في الإنسان. هنا يصعب علينا سرد مراحم الله وحنانه ولطفه وإحسانه على الضعفاء والمعوقين، كما يصعب علينا تحديد أنواع مراحمه، وأنواع وألوان حنانه لكل إنسان حسب حالته واحتياجه، يكفي أن نؤكد من واقع آية إشعياء السالفة وغيرها أن ملاكاً خاصاً مُرْسلاً من الله يُعينُ هؤلاء الضعفاء والمتضايقين في كل ضيقهم: «في الضيق دعوتَ فنجَّيْتُكَ» (مز٨١ : ٧)، «معه أنا في الضيق، أُنْقِذُه وأُمجِّدُه.» (مز٩١ : ١٥)

والسؤال هو: هل الأفضل للإنسان أن يكون الله بنفسه هو العامل عِوَضَ العضو الناقص في الإنسان، أم تكون الأعضاء كلها بدون الله؟ ثم بعد هذا، هل يمكن أن نوازن بين حزن الأعمى على فقدان بصره، وبين فرحه بحضور الله في حياته ينيرها و يهبها بصيرة تفوق كل أعوازه؟ وأيضاً

بعد هذا كله، يتحتم علينا وعلى كل معوَّق أو مشلول أو ضعيف أو مَنْ فَقَد قليلاً أو كثيراً من مقوِّمات الحياة الحاضرة بسنينها القليلة والشحيحة، أن يعلم أن حياة أخرى مفتوحة أمامنا بكل مباهج الروح، في ملء كمال حضور الله، وغِنَى نعمته المتفاضلة، ليس فيها حزنٌ ولا كآبةٌ ولا تنهُّدٌ فيما بعد.

لذلك، فحينما تقدَّم الرب من تلقاء نفسه ليشفي المولود أعمى، ثم بعد ذلك يُعدُّ له مقابلةً في الهيكل حيث يدعوه للإيمان بابن الله، فيؤمن، و يسجد له، فما هذا إلاَّ آيةٌ ونموذجٌ رائعٌ لموقف الله ـــ في النهاية ـــ من المعوَّق أيًّا كان.

٩: ٣ ـ ٥ «أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواهُ لكن لتظهَرَ أعمالُ الله فيهِ. ينبغي أن أعمَلَ أعمالَ الذي أرسَلَني ما دامَ نهارٌ. يأتي ليلٌ حين لا يستطيعُ أحدٌ أن يعملَ. ما دُمْتُ في العالمِ فأنا نورُ العالمِ».

الرب هنا جعل حالة هذا الإنسان المعوَّق وأمثاله فرصة لكي تظهر أعمال الله فيه، وما عمله المسيح له هو نموذج لأعمال الله من نحو هؤلاء؛ عطفٌ ومحبةٌ فعَّالةٌ، وتبنِّي هذا النقص وتحمُّل تعويضه بصورة عملية مذهلة. وإن كانت الوسيلة هي بحدِّ ذاتها معجزة، ولكنها في جوهرها إعادةُ تصحيح ما أخفقت فيه قوانين الطبيعة والتوريث الجيني والتحام الأصول من الأب والأم. هنا الخالق يصحح و يُعيد نواقص الخلقة، ولكن المسيح يقدِّم هذه المعجزة ـــ في الجسد ـــ كآية لمعجزة أعلى ـــ في الروح ـــ فالربُّ لم ينزل من السماء لتصحيح نواقص خلقة الإنسان الجسدية، وإنما قدَّم تفتيح عيني الأعمى لرؤية العالم كآية لتفتيح قلب الإنسان لرؤية الله. فما دام المسيح في العالم فهو حتماً يعطي من ذاته ما يختص بحياة الإنسان في العالم. فالمسيح هو «النور» بكل مفهومه وعمله على كل مستو ياته. فإن كان **«النور الحقيقي»** الذي يضيء الأبدية قد نزل إلى العالم، فهو حتماً يكون نور العالم أيضاً، أي لا بد أن يحقق ذاته في حياة الإنسان في العالم، و يعطي البرهان أنه «النور» على مستوى الرؤية في العالم. وهذا تم بالحرف الواحد في الأعمى الذي أصبح يرى نور العالم، إذ أثْبَتَ المسيح نفسه وكيانه الإلهي الخفيّ بإعطاء هبة النور المنظور، وتحقَّق أن المسيح هو حقاً **«نور العالم»** حينما نزل إلى العالم. فإن كان بتفتيحه عَيْنَيْ الأعمى قد برهن على أنه واهب النور للعالم، فحتماً و بالضرورة يكون هو «النور الحقيقي».

فإذا دققنا النظر، وجدنا أن معجزة تفتيح عينيْ الأعمى هي أصلاً و بالأساس لا تخصُّ الأعمى، ولكن الرب استخدمها ليعمل عملية توضيحية Demonstration أثبت فيها بالنهاية أنه

«**الكلمة**» الخالق الواهب النور للعالم. وقد جاء للعالم ليكمِّل عمل الآب في الخليقة، بإعطاء أو خلق عيون روحية جديدة للإنسان، يرى بها الله ونور الحياة الأبدية، وذلك بالفداء الذي أكمله للإنسان بذبيحة نفسه، رافعاً حجاب الظلمة الذي كان يحجز رؤية الإنسان لله.

وهكذا ينتقل المسيح بواسطة عملية تفتيح عيني الأعمى من الرحمة المنظورة المقدَّمة من الله نحو المتعوِّقين المتألمين الجالسين في ظلمة العالم، إلى عمل رحمة الآب ــ بواسطة المسيح الذي أرْسَلَه خصيصاً ــ من نحو الخطاة الجالسين في الظلمة وظلال الموت.

«ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار»:

قصة تفتيح عيني الأعمى المولود هكذا كانت نموذجاً دُفع به أمام المسيح لكي يُظْهِرَ فيه أعمال الله الآب، أي يُظْهِرَ مجد الله الآب، الذي وُضع للمسيح أن يَشْتَعلنه و يتمجَّد به ــ تماماً كموت لعازر. فآلام المولود أعمى كانت على مستوى مرض لعازر الذي أدَّى إلى الموت، وهذا وذاك: «هذا المرض ليس للموت **بل لأجل مجد الله، ليتمجَّد ابن الله به**» (يو١١: ٤). فتمجيد الله واستعلان مجد المسيح هو أساس المعجزتين! وعلى مستوى ما تم في عرس قانا الجليل: «**وأظهر مجده فآمن به تلاميذه.**» (يو٢: ١١)

كانت حياة المسيح في العالم هي نهار الإنسان الذي أشرق في الظلمة. ومنذ أن خرج آدم مطروداً من الفردوس، والليل يغطِّي العالم، والظلمة تلفُّ البشرية من كل جانب، وطال ليل الإنسان جداً... إلى أن نادى منادٍ من السماء: «إنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّص هو المسيح الرب» (لو٢: ١١). لقد ظل المسيح يعمل طول هذا النهار أعمالاً كثيرة **حتى أكملها**، قبل أن تغرب شمس يوم الصليب. كانت هي فرصة الإنسان منذ خمسة آلاف سنة و يزيد، وفرصة الله، بآن واحد منذ ملايين السنين. كان هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، وكان يومَ خلاص، وساعةَ قبول. أما الإنسان فقد ضيَّع ساعات هذا النهار التاريخي الجميل في مناقشات وحماقات، أكملها بذبح النور على مذبح الظلمة؛ هكذا تهيأ لمجانين الأرض. أما الله فقد غطَّى كل ساعات هذا النهار بأعمال وأقوال مضيئة ومُحيِيَة، لا يزال العالم يرددها و يتمعَّنها، ولن يَتَّسِعَ عمر الإنسان، مهما طال، أن يبلغ أعماقها أو نهايتها التي لم يُسمع بمثلها قط، واختتمها بذبيحة المحبة. لقد أتى الليل فجأة، واختتم المسيح أعماله على الصليب، ورُفِعَ في مجدٍ، وظل الإنسان يشتهي يوماً من أيام ابن الإنسان!!

«يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل»(٢):

نحن لا نزال نستمتع بنهار المسيح، فالأعمال التي عمل حيَّةٌ فينا، تعمل وتتكلم. والكلمات التي قال تُحيي قلوبنا كل يوم وتُشدِّد. ومراحمه تتجدد علينا كل صباح بإشراق نعمته في قلوبنا، فتُجدِّد فينا نهار المسيح بكل نوره وبهجته، فنعملُ ونعملُ. ولكن، حتماً، سيأتي ليلنا نحن، حين لا يَدٌ تتحرك، ولا رِجْلٌ تمشي، ولا عينٌ تنظر، ولا أُذُنٌ تسمع، ولا لسانٌ يتكلم، ولا عمل يُعمل.

فنهار المسيح حياتنا، فيه نعمل عمله ونكمِّله، وحينئذ يأتي ليلنا نحن حيث لا عملَ، بل مجازاةٌ في نور المسيح الأبدي. وإن كان نهار المسيح بدا قصيراً جداً، فنهار حياتنا أَقْصَرُ، يستغرقه ملعب الصبوَّة، فيضيع إشراق صباحه في لَهْوٍ بلا معنى. وما أن يَفيقَ الإنسان ليدرك هدف مساره، حين تنضج خبرات الرجولة فيه، حتى تداهمه الشيخوخة بخبالها، فيُضيِّع ما جمع، ويقف في الغَسَقِ يودِّع حياة ما أنْ بدأتْ حتى انتهت، لا يُحْمَل منها إلاَّ زادُ الصلاة وزِقُّ الدموع، لسَفَرٍ طويل في سِرْدابِ الظلمة المُعْتِم، إلى أن يُشرق عليه نهار اليوم الجديد.

يا إخوة، إن نهارنا قصير، والعمل أمامنا جسيم، فافْتَدُوا الوَقت لأن الأيام شريرة، وما أَشْقَانا بأنفسنا إن لم تَغْتَنِي بالرب.

«ما دمتُ في العالم، فأنا نورُ العالم»:

هذه الآية يصعب شرحها إلاَّ إذا رجعنا إلى النص اليوناني، لأنه فريد في نوعه. فهو يحذف ضمير المتكلم «أنا»، كما يحذف «الـ» أداة التعريف في «النور»:

ὅταν ἐν τῷ κόσμῳ ὦ, φῶς εἰμι τοῦ κόσμου.

وترجمتها الحرفية: «طالما كنتُ في العالم فنورَهُ أكون». وحذف **«أنا»** له أهمية كبيرة في المعنى، إذ أصبح التركيز في الآية ليس على شخص المسيح بمعنى استعلانه «أنا»، ولكن على عمل المسيح «أكون» نورَه. كذلك في حَذْف أداة التعريف في «النور»، يصبح تركيز المعنى ليس على «النور» **المطلق** في كيانه وعمله، ولكن على نور جزئي معرَّف بالعالم، أي أن التركيز على عمل المسيح كنورٍ في العالم.

وهكذا يصبح المعنى الكلي للآية ملتزماً بالتركيب اللغوي لها. وتصير الآية تختصُّ بعمل المسيح كنورِ العالم، في فترة وجوده الزمني في العالم. وهذا المعنى يزداد وضوحاً ودقة، إذا علمنا أن بعد

(٢) ارجع إلى المدخل ص١١٩ـ١٢٢: «معيار النور في إنجيل يوحنا».
وانظر أيضاً ما سيأتي عند شرح الآية (يو١١: ٩و١٠) وأيضاً (يو١٢: ٢٥).

قول المسيح ذلك أجرى معجزة تفتيح عينيْ الأعمى مباشرة! وهكذا ينصبُّ المعنى بمقتضى الآية في كيف يمكن أن نفهم أن المسيح، على المستوى العملي، هو للإنسان «نورُ الحياة»، وأنه للأعمى «أضاء في الظلمة»، وأنه لليهود «والظلمة لم تدركه». وهذا كله هو عمل المسيح في العالم. صحيح أن الشمس تضيء العالم، ولكن لا قدرة لها أن ترسل أشعتها داخل مُقْلَةِ الأعمى أو قلب الجاهل!! وهكذا يظل الإنسان «يحيا الظلمة» في الداخل والخارج، وهو تحت الشمس يسير. أما المسيح فهو النور الذي ينفذ إلى أعماق الظلمة، فيبدّدها «فيحيا الإنسانُ النورَ»، وتصير حياته أكثر ضياءً من نور الشمس، لأنه يستمد النور من المصدر الذي تستمد منه الشمس نورها: «أنتم نور العالم... فليضيء نورُكم هكذا قُدّام الناس...» (مت٥: ١٤و١٦)، «والفاهمون **يضيئون كضياء الجَلَد** (السماء)، والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ **كالكواكب** إلى أبد الدهور.» (دا١٢: ٣)

٩: ٦و٧ **«قال هذا وتَفَلَ على الأرض وصَنَع من التفل طيناً وطلى بالطين عينَيْ الأعمى. وقال له: اذهب اغتسلْ في بركةِ سلوامٍ، الذي تفسيرُهُ مُرسَلٌ "Sent". فمضى واغتسَلَ وأتى بَصِيراً».**

الآية في مضمونها الإلهي تشير إلى **عملية خَلْق** أو على وجه الأصح عملية **«خِلْقة تصحيحية»**. فكلُّ عمليات الشفاء التي أجراها المسيح تدخل تحت بَنْدِ **«الشفاء من المرض»**، أما تفتيح عيني الأعمى المولود بدون مُقْلَتَي العين فهي ليست شفاءً. فنحن هنا لسنا أمام طبيب البشرية الأعظم يسوع، بل نحن بصدد عملية خَلْقٍ، وأمام خالق.

والتركيز الأساسي في لغة الآية واقعٌ على كلمة «الطين»، لأن المقصود هو نقل عقولنا إلى سفر التكوين وكيف خَلَقَ الله الإنسان من **«تراب الأرض»**. وفي مواضع كثيرة يذكر الوحي الإلهي «التراب»؛ الذي صيَّره الله طيناً قبل أن يُشكِّل الإنسان:

+ «يداك كوَّنتاني وصنعتاني، كُلِّي جميعاً، أفتَبْتَلِعُني (بغضبك)، اذكر أنك **جَبَلْتَني كالطين، أفتُعيدُني** إلى التراب.» (أي١٠: ٨و٩)
+ «روحُ الله صَنَعني ونَسْمَةُ القدير أحْيَتْني... أنا أيضاً **من الطين** تقرَّصت.» (أي٣٣: ٤و٦)
+ «والآن يا ربُّ أنت أبونا، **نحن الطين، وأنت جَابِلُنا** وكلنا عمل يديك.» (إش٦٤: ٨)

لقد وُلِد الأعمى بدون عينين، وكأن الطينَ الذي جُبل منه تنقصه الصياغة. إذ لما شُكِّل الأعمى في بَطْنِ أمه سُهِيَ على الطبيعة أن تمدَّه بمُقْلَتَين. لقد أخفق **قانون** التوريث والتوليد في أن

يعطي صورة الكمال حسب الرسم. والمَرْجَعُ لواضعه، فهو يصحح ما نَقُصَ من صورته. وكأن عجنة الطين عادت إلى يَدِ خالقها الأول يشكِّل لها من ذات الطين عينين.

والملاحظ أن جميع الآيات التي فيها فتَّح المسيح أعين العُمْي، لم يكن فيها أعمى واحد وُلد من بطن أمه ناقص المُقْلَتين، فاكتفى المسيح بأن يمسح العينين المكفوفتين بريقه فانفتحتا ورأتا النور: «فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية **وتفل في عينيه، ووضع يديه** عليه، وسأله هل أبْصَرَ شيئاً، فتطلَّع وقال: أبصر الناس كأشجار يمشون. ثم وضع يديه أيضاً **على عينيه** وجعله يتطلع، فعاد صحيحاً، وأبصر كلَّ إنسان جليًّا.» (مر٨: ٢٣ــ٢٥)

أما هذا الأعمى المولود ناقص الخلقة، فالمسيح وقف منه موقف الخالق وجَبَلَ له من الطين ما نَقُصَ لجُبْلَته. وانصاع الطين ليد النور الإلهي الخالق، فاستنار.

والآن نأتي إلى استخدام الريق أو اللُّعاب («تَفَلَ على الأرض»)، فإذا علمنا أن لُعابَ الإنسان يحوي من الميكروبات ما يكفي لإمراض أي عين سليمة، وأمامنا الآن أن لعاب المسيح استرجع عيناً سليمة بكامل صحتها، أدركنا سر الحياة والصحة الكائنة في جسم الرب ولُعَابه بنوع خاص. فالرب نقل إلى الأعمى الفاقد مُقْلَتَيْه **«سر الحياة الجسدية السليمة والكاملة»**، لتصحيح الصورة الجسدية المشوَّهة، لينطبق المثيلُ على المثيلِ، وليعودَ الإنسانُ بمثل الصورة الجسدية الكاملة للمسيح. فلو رَجِعْنَا إلى تقليد الآباء القديسين في فهم كيف خلق الله الإنسان في البدء من التراب، الذي حوَّله الرب الإله إلى طين، لأدركنا مدى انطباق ذلك على عمل المسيح بالنسبة للأعمى: «اذكر أنك جَبَلْتَني كالطين، أَفَتُعيدُني إلى التراب؟ ألم تصُبَّني كاللَّبَنِ وخثَّرتني كالجُبْنِ، كَسَوْتَني جلداً ولحماً فَنَسجْتَني بعظام وعَصَبٍ، مَنَحتني حياةً ورحمةً وحَفِظَتْ عنايتُك روحي. لكنك كتمتَ هذه في قلبك. علمتُ أن هذا عندك.» (أي١٠: ٩ــ١٣)

فأيوب هنا يكشف كيفية ما تم في عملية الخلقة من درجات، التي أخفاها الله في قلبه، ولكنه أعْلَمَها لأيوب. ومنها نفهم أن عملية الخلق تمت على نمط نُمو الجنين في رَحِم الأم، حسب الصورة والمثال الذي كان في فكر الله. والآن كان أمام المسيح، الأعمى الفاقدُ مُقْلَتَيْهِ، وكان هو المثال الكاملَ والصحيح. فالمسيح أخذ من المثال سر الكمال، ووضعه في الصورة **لكي يقبل الأعمى سرَّ النورِ العاملِ في جسم الإنسان** الترابي، الذي كان ينقُصُ خِلْقَتَه.

«وقال له: اذهب اغتسل في بركة سلوام ــ الذي تفسيره مُرْسَل ــ فمضى واغتسل، وأتى بصيراً»:

قصة بركة سلوام قصة تحوَّلت إلى قضية ضد ق. يوحنا وإنجيله على مدى مائة عام من النقد المرير. فهذه البِرْكة رُدِمَتْ منذ زمان بعيد جداً، وضاعت معالمها كلية، فاتخذها النُقَّاد تُكْأة لنقد صحة الإنجيل بجملته، معتبرين أن ق. يوحنا لا يعرف جغرافية الأرض التي يكتب عنها، وإنما يؤلف أسماء ومسمَّيات من عنده. علماً بأن القديس جيروم (إيرونيموس) رآها رؤيا العين وكتب عنها في شرحه لسفر إشعياء (٨:٦). وفي حفريات أواخر القرن الثامن عشر اكتُشِفَت البِرْكة واكتُشِفَت القناة: «وبقية أمور حزقيَّا وكل جبروته وكيف عمل البِرْكة والقناة وأدخل الماء إلى المدينة أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا» (٢مل٢٠ : ٢٠)، هذه القناة التي تحت الأرض التي تسحب المياه من النبع العالي المسمَّى الآن **نَبْعُ مريم**(*). وقد حُفِرَت هذه البركة بقصد توصيل المياه داخل أسوار أورشليم منذ زمن بعيد ربما منذ أيام سليمان. وقد ذكرها إشعياء النبي تحت اسم «مِياهُ شيلوه، أو شيلون» (إش٨:٦). ومعنى الكلمة بالأرامي «مُرْسَل»، لأنها ليست مياه نابعة من مكانها، بل منحدرة ومُرْسَلَة إليها من نبع آخر أعلى. لذلك سمَّاها إشعياء النبي مياه شيلوه، أي مياه مُرْسَلَةٌ، أي مياه جارية، لأنها كانت ترتفع وتنخفض مرتين في اليوم. وهي مياه عذبة جيدة للشرب وكانت تسقي حدائق الملك في وادي قدرون، قبل أن يلتحم في وادي يهوشافاط. ويلاحَظ أن الاسم العربي لبركة «سلوام» هو **«سِلْوان»**. وجدران هذه البركة ملتحمة في الجدار الجنوبي للمدينة. والمكان الآن قد تحقق منه علماء الآثار أنه الحافة الجنوبية لجبل صهيون ومدينة داود.

وكانت بِرْكَة سلوام ذات اتصال وثيق بخدمات الهيكل، لأن مياهها اعتُبِرَتْ مياهاً مقدسة، وكانت تُحتسب أنها مثيلة بالمياه التي نَبَعت من الصخرة في سيناء، لذلك كانت تُستخدم في طقوس عيد المظالّ على أساس هذا المعنى.

وعندما أمر الرب المولود أعمى أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام، كان وراء هذه الإرسالية معانٍ، فالإغتسال بالمياه المقدسة في المفهوم الإنجيلي هو بحدِّ ذاته **معمودية**(٣). ومعروف في العهد الجديد أن اسم المعمودية السرِّي أو الروحي هو **«الاستنارة»**(٤)، فالمعمودية هي سر الاستنارة.

(*) أنظر الصورة.

(٣) لذلك يُقرأ إنجيل المولود أعمى في أحد التناصير (أحد المعمودية وهو الأحد السادس من الصوم الكبير).

(٤) ارجع إلى المدخل ص٣٥٨.

وواضح أن هذا الضرير المحظوظ « أُرسِلَ » أعمى، وعاد بصيراً، أرسل يتخبط في الظلام، وعاد في ضياء وملء «**نور العالم**». وكان ذلك يوم سبت!!

ب ــ الظلمة تطارد النور ولا تدركه، والنور يدين الظلمة:

٩: ٨ــ١٢ **«فالجيرانُ والذين كانوا يرونَهُ قَبْلاً أنه كان أعمى، قالوا: أليس هذا هو الذي كان يجلسُ ويستعطي، آخرون قالوا: هذا هو، وآخرون إنه يُشبِهُهُ. وأما هو فقال: إني أنا هو(٥). فقالوا له: كيف انفتحت عيناكَ. أجابَ ذاكَ وقالَ: إنسانٌ يُقالُ له يسوعُ صنعَ طيناً وطلى عينيَّ وقالَ لي اذهب إلى بركةِ سِلْوَامَ واغتسِلْ. فمضيتُ واغتسلتُ فأبصرتُ. فقالوا له: أينَ ذاكَ. قال: لا أعلمُ».**

لقد صار الأعمى آية بحد ذاته. لقد كان معروفاً لدى كافة جيرانه؛ لأنه كان يجلس في مكان عام مكشوف و يستعطي تحت أيدي الناس. والآن أصبح وجوده فوق العادة وفوق رؤية جميع الناس. وحينئذ بدأ البعض يُشكِّك في حقيقة الآية التي تمت فيه؛ ولكن كيف يمكن إخفاء الشمس، أو تُخفى الخليقةُ الجديدةُ التي وهبها المسيح كياناً من كيانه ووجوداً فعالاً من وجوده!؟

حينما صدق الناس في رؤيتهم، قالوا: «**إنه هو**»، وحينما عميت بصيرتهم قالوا: لا «**ليس هو**». و ينبري إنجيل يوحنا في إبراز معالم المسيح في الأعمى الذي يُبصر، فيجعله ينطق «**أنا هو**».

والقديس يوحنا يرمي بالمعاني إلى بعيد!!... أليس هو الأعمى الذي يحمل ريق المسيح ولمسات يديه؟ والآن، آن الأوان لينطق بلسانه، و يكشف عن أثر لمساته؟؟؟ أليس هو الخالق لعينيه، والنور الواهب له نور الحياة؟ ألم يدخل الأعمى بذلك في زُمْرَةِ الأغصانِ التي استمدت عصارتها من حياة الكرمة، و يصحُّ فيه القول: أنتم نور العالم؟

صحيح أن الإمتحان ــ الذي دخل فيه صاحب العينين المخلوقتين جديداً ــ صعبٌ للغاية، لكنه لم يخطىء الرؤيا على كل حال: «إنسانٌ يُقالُ له يسوع». هنا الترجمة العربية معيبة، ينقصها التشديد والتعريف؛ وصحتها باليونانية: «الإنسان **الذي** يُقال له يسوع». فالأعمى يرى

---

(٥) «وأنا هو» جاءت باليونانية ἐγώ εἰμι، وإنجيل يوحنا يشير بهذا اللقب عالياً إلى الإنسان الجديد أو الخليقة الجديدة في المسيح، باعتباره للمعمودية والشهادة ومحكم للجمع ضده؛ فهو قد أبرز المسيح، والمسيح بفمه يتكلم.

هنا المسيح في وضع يفوق كل الناس الذين رأوه وعطفوا عليه... لقد قدم شهادة للمسيح تتساوى فقط مع لهفة السائلين، واحتفظ لنفسه في قلبه بشهادة أعلى بالنسبة لهذا الإنسان الفائق يسوع **«إنه نبي»**. ولكنه قالها، عندما لَزِم التحدي!! وإنه **«من الله»**، عندما لَزِم الانحياز. ولما سألوه: «أين هو»، ردَّد ما يقولونه في ضمائرهم: **لا أعْلَم من أين هو، ولا أين هو!!**

كل الذي يعلمه الأعمى المُبْصِرُ عن يسوع، أنه هو صاحب الآية التي يحملها الآن في جسده!!

٩: ١٣ــ١٥ **«فأتوا إلى الفريسيينَ بالذي كان قَبْلاً أعْمَى، وكان سَبْتٌ حين صنعَ يسوعُ الطينَ، وفتحَ عينَيْهِ. فسأله الفريسيُّون أيضاً: كيف أَبْصَرَ. فقال لهم: وضَعَ طيناً على عينيَّ، واغتسلتُ، فأنا أُبصِرُ».**

كلمة «الفريسيين» هنا نفهمها على أنها هيئة صغرى متفرعة من هيئة السنهدريم، لأن السنهدريم يُكْنَى عنه في إنجيل يوحنا بـ«الفريسيين ورؤساء الكهنة». وكان يوجد في أورشليم هيئتان متفرعتان من السنهدريم، كل هيئة منهما عددها ٢٣ عضواً، وكان لها حق المحاكمة والقطع من الجماعة (شعب إسرائيل) في القضايا الصغرى، وقد كُني عنها أحياناً بـ«اليهود» في مواضع من الإنجيل. وكان يوجد في كل المدن الكبرى هيئة مماثلة.

أما نوع التعدي على قانون حفظ السبت، فيراه الفريسيون حسب تخريجاتهم المنصوص عنها في كتاب **الجمارا** "Jeros. Gemara 14": «إنه تُحسب خطيةٌ لكلِّ من يضع دواءً داخل العين». هذا بالإضافة إلى أن عَجْن الطين بالماء يوم السبت محسوب أيضاً أنه خطية "Sabbath 24:3"، وكذلك استخدام الريق أو اللعاب لعلاج العين هو أيضاً تعدٍّ. وبذلك يكون المسيح قد كسر السبت من عدة نواحٍ. (٦)

ولكن الرب، بحسب رؤيته الإلهية أن السبت لا يمنع الآب من أن يعمل، وهو يعمل عمل الآب بصفته ربَّ السبت، أي الذي يقدَّم له الاحترام والعبادة، لذلك، أقْدَمَ على شفاء الأعمى، العمل الذي أثبت به قطعاً صدق قوله وفكره أنه «ربٌّ لمجد الله الآب.» (في ٢: ١١)

لقد تجاهل الرب قوانين الفريسيين، بل ونصَّ الناموس أحياناً كثيرة، باعتبار أن حياة الإنسان وروحَه أعلى قيمة وأكثر أهمية من السبت وناموسه.

[6] Lightfoot, R.H., *op. cit.*, on John.

أما سؤال الفريسيين للأعمى البصير «"كيف أبصر"»، فكان ينصبُّ على العملية التي أجراها له المسيح من حيث خطواتها فقط، التي يرونها أنها مخالفة لقوانين حفظ السبت؛ أي لم يكن لهم أية رغبة في فحص نتيجة الآية. لا يهمُّهم أنه يرى الآن وقد كان مولوداً أعمى، ولكن الذي يهمهم جداً هو كيف انكسر السبت في عملية شفائه، وهذا هو معنى الانحراف بالناموس نحو الحرف، والحرف يقتل أو قتَّال، كما عزموا على قتل المسيح؛ أما الروح فيُحيي. فالناموس حرف، وكلامُ المسيح روح ونور وحياة.

عجيب حقاً أن يقف علماءُ وقضاةُ الناموس موقفَ القتلة، دفاعاً عن الناموس؛ و يقف الأعمى موقف النور والحق والحياة، دفاعاً عن المسيح.

وفي إجابة الأعمى البصير للفريسيين: «وضع طيناً على عينيَّ، واغتسلتُ، فأنا أبصر»، نوعٌ من الحِذْقِ الماهر الماكر. لقد أسقط الأعمى عملية عجن الطين بالريق، وهي العملية الأُولى الممنوعة في ناموس السبت، ثم أسقط عملية الذهاب إلى بركة سلوام التي فيها مسيرةٌ ربما تكون مُناقِضَة لأحكام السبت. وعلى العموم، فإن ردَّ الأعمى البصير فيه شعور واضح بالضيق، فقد اختصر القصة إلى مستوى التحدي. وسنرى في الآية ٢٧ كيف انفجر فيهم هذا البصير الذي كان أعمى ساخراً: «قد قلتُ لكم ولم تسمعوا. لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً، ألعلّكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ.» (يو٩: ٢٧)

لقد أحس هذا الموهوب أنه صار تلميذاً للذي يدافع عنه ولو لم يره بعد، وهذا عجب. أما الذين رأوه وسمعوه وشاهدوا آياته ومعجزاته فأنكروا واستعلوا أن يكونوا له تلاميذ ــ ذاك الذي هو ربُّ المجد!...

أنظر، أيها القارىء، إلى أي مدى أَعْمَى التعصُّبُ للقانون والحرف عيونَ القضاة، فرأوا اليوطا (أصغر حروف الهجاء)، أي حرفية الناموس، أكبر من الألفا والأُوميجا معاً [«أنا هو الألف والياء.» (رؤ١: ٨)]

١٦:٩ «فقال قومٌ مِنَ الفريسيين: هذا الإنسانُ ليس مِنَ الله لأنهُ لا يحفظُ السبتَ. آخرون قالوا: كيف يقدرُ إنسانٌ خاطىءٌ أن يعملَ مثل هذه الآياتِ. وكان بينهُمْ انشقاقٌ».

الانقسام الذي طالما سمعناه في ختام كل تعليم إلى الآن، ولكن كان في السابق انقساماً بين

الجموع ثم انقساماً بين اليهود. ولكن الانقسام هنا هذه المرة بين القضاة في المحكمة الجزئية. وهو انقسام بين قضاة متمسكين بالقانون وحرفيته Legalism، وقضاة منطقيين متمسكين بالواقع وتفسيره المتسع. فالقانونيون رفعوا السبت فوق كل منطق وواقع، واعتبروا المسيح مُذْمناً على كسر السبت حتى إلى سبع مرات: «**لا يحفظ السبت**». والمنطقيون حكَّموا الواقع وتفسيره في شرح معنى ومدى اعتبار أن كسر السبت خطية، بالنسبة لرجل أظهرت أعمالُه وآياتُه مدى إمكانية تبرير كسره للسبت. وهذا يُعتبَر تقدماً كبيراً في عقلية الفريسيين، فكان الانشقاق(٧). **فتأجل الحكم في القضية لإعادة الفحص.**

٩:١٧ــ٢٣ **«قالوا أيضاً (ثانية) للأعمى: ماذا تقول أنتَ عنه من حيث إنه فتَحَ عينيْكَ. فقال إنه نبيٌّ. فلم يُصدِّق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر، حتى دَعَوْا أبَوَيْ الذي أبْصَر. فسألوهما قائلينَ: أهذا ابنكما الذي تقولانِ أنه وُلِدَ أعمى؟ فكيف يُبصِرُ الآنَ؟ أجابهم أبواهُ وقالا: نعلمُ أنَّ هذا ابنُنا وأنهُ وُلِدَ أعمى. وأما كيف يُبصِرُ الآنَ فلا نعلَمُ، أو مَنْ فتَحَ عينيه فلا نعلَمُ. هو كامِلُ السنِّ، اسألوه فهو يتكلَّمُ عن نفسِهِ. قال أبواهُ هذا لأنهما كانا يخافانِ من اليهود، لأن اليهودَ كانوا قد تعاهَدُوا أنهُ إن اعترَفَ أحدٌ بأنه المسيحُ يُخْرَجُ مِنَ المجمع. لذلك قال أبواه إنهُ كاملُ السنِّ اسألوه».**

شهادة الأعمى الذي صار بصيراً تأكيد للنور الذي دخل أعماقه قبل أن يدخل مُقْلَةَ عينيه. لقد أحسَّه ذلك الموهوب وأحسَّ من أين أتى، لم يَقُلْ إن الذي أبْرَأني رجلٌ صالح أو طبيب، ولكنه تعرَّف عليه أنه من الله ونبيٌّ هو على أقل تقدير، بسبب القوة الإلهية التي هزَّت كيان خِلْقَته بأجمعها. فالعين ليست عضواً مفرداً قائماً بذاته، بل نسيج متصل بنسيج الجسم كله، ومركزُها في أهم مواقع المخ، وأعصابها منتشرة في أنحاء شتى. هذه الأنسجة وهذه الأعصاب جميعاً، بل هذا المخ، والجسد كله، اهتز كيانه اهتزازاً بدخول هذا الضيف الإلهي الغائب ليملأ الكيان المخلوق ويُكَمِّله كمالاً!! إن أول ما رآه هذا الأعمى، رأى قوة الله التي أنارت قلبه قبل أن تنير عينيه، وظل متشوِّقاً أن يُطبِّق هذه الرؤيا على الوجه النبوي الذي أبرأه، حتى رآه وتعرف عليه أنه ابن الله ورب الأنبياء، وسَجَد له متعبِّداً. لم يُلْقِ الأعمى المبصر أي اعتبار لقصد هؤلاء الفريسيين لمَّا سألوه، وتجاوز انقسامهم وشكوكهم، بل وتجاوز علمهم وتعليمهم، بل تجاوز وعدهم ووعيدهم،

(٧) هذا الإنشقاق كان بين مدرستين من مدارس الفريسيين.
ارجع إلى المدخل ص٨٣ و٨٤.

وقال قولته بشموخ الإيمان الذي لا يهاب العقاب: «**إنه نبي**».

ولـم يكن أمام الفريسيين إلاَّ أن يلجأوا إلى أولياء أمره، عسى يُخضعونهم لإرهابهم. فلما فَلَتَ الأبوان مِنْ أيديهم، إذ أحالهم هذان إلى حامل المعجزة مرة أخرى، إذ هو كامل السن، بعد أن أقرُّوا أنه هو هو الذي ولدوه أعمى، فعادوا إلى الأعمى مرة أخرى وقد بيَّتوا له النية بالقَطْع من الجماعة، والحرمان من حقوق إسرائيل.

٩: ٢٤و٢٥ **«فَدَعَوْا ثانيةً الإنسانَ الذي كان أعمى وقالوا له: أعطِ مجداً لله، نحن نعلم أنَّ هذا الإنسانَ خاطىءٌ. فأجابَ ذاكَ وقالَ: أخاطىءٌ هو لستُ أعلَمُ. إنما أعلمُ شيئاً واحداً أني كنتُ أعمى والآن أُبصِرُ».**

لقد ظن بعض علماء الكتاب المقدس أن كلمة «أعطِ مجداً لله»، هي مجرد إجراء قانوني يُلْزِمُ المتهم بالاعتراف بالحق خوفاً من الله. ولكنه في الحقيقة هو أيضاً إجراء ديني بجوار أنه إجراء قانوني، ومؤداه أنه مُزْمَعٌ إصدار حكم ضده بأن يُقْطَعَ من الجماعة أو يُحْكَمَ عليه بالموت، كما حدث في قصة عاخان بن كرمي (يش٧: ١٩). فطَلَبُهم هذا منه أن يعطي مجداً لله هو كشهادة يشهدها لله قبل أن يموت أو يُقْطَعَ، وذلك حتى يحتفظ لنفسه بحق الرحمة في الدهر الآتي(٨)، بعد أن يكون قد حُرِمَ من كل حقوق الحياة كواحدٍ من شعب الله في الحاضر. وكان هذا الإجراء يكشف ضمناً للمتهم عن مدى خطورة شهادته التي سيشهدها، فكان هذا الإجراء يستخدمونه بالدرجة الثانية، بنوع من الدهاء، للتهديد ليُرعَبَ قلبُ المتهم، حتى يبتلع شهادته السابقة «أنه نبي» ويغيِّر من أسلوب عناده. كما كان تفكير هؤلاء الفريسيين المتعاهدين ضد هذا الشاهد الخطير، هو محاولة زحزحة اعترافه بالمسيح كنبي أو المسيَّا، وذلك بإعطاء «المجد لله» دون سواه. لذلك أرْدَفوا أمرهم هذا بتقرير رسمي عن حُكْمهم كهيئة رسمية بالنسبة للمسيح: **«أنه إنسان خاطىء»**، حتى يلتزم بتغيير شهادته السابقة «**إنه نبي**»، عن إجبار واضطرار دون اختيار...

أليس هذا هو الإرهاب الديني بنصِّه و يقينه؟!... تَبّاً للقانون إذا سُلِّم لقضاة جلادين، ويا لضَيْعَةِ الحق، إذا وُضع تحت رحمة الجهلة المنافقين!

ألم يأتِ المسيح من أجل ذلك، من أجل أن يُبْطِلَ صراع الحق مع الحرية؟ **«تعرفون الحقَّ**

(٨) تقول المِشْنا: [إنهم وهم رافعون الحجر، وهم على بُعْدِ عشرة أذرع يأمرونه بأن يعترف، وذلك بقولهم: «أعطِ مجداً لله»، وذلك بقصد أنه إذا مات، يكون قد اعترف وأعطى المجد لله، فيكون له نصيب في الدهر الآتي] (ارجع إلى المدخل ص٨٤).

والحقُّ يحرركم»؟ ومن أجل أن يرفع الإنسان يده الثقيلة عن القضاء في شئون الله ليصير القضاء بمقتضى كلمة الله وحدها: «أما أنا فلستُ أدين أحداً ... الكلامُ الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير.» (يو٨: ١٥ و١٢: ٤٨)

«أخاطىءٌ هو لست أعلم، إنما أعلم شيئاً واحداً، أني كنت أعمى والآن أُبصِرُ»:

عسير جداً على الإنسان أن يطفىء الشمس بنفخة فمه، أو يرفس السيف (أو مناخِسَ) برجليه. أهكذا عميت بصائر هؤلاء الفريسيين حتى إنهم يحاولون أن يستنطقوا أعمى وُلِدَ أعمى، وعاش أعمى حتى بلغ سن البلوغ، أن يجحد من خَلَقَ له عينين يرى بهما النور والناس والدنيا والجمال؟ أمور كان قد كُتب عليه أن يُحرمَ منها حتى إلى القبر؟ أهكذا حقاً تعلّم الفريسيون علم اللاهوت وغوامض الناموس أن يقولوا للنور أنت ظلام؟

وهل الحقُّ والحياةُ والمعرفة والنور والله جُعلت هكذا مقيَّدة بقيود معرفتهم وحدهم، فإذا وُجِدَت هذه بعينها ونصها وصميمها خارجَ علمهم ومعرفتهم، كانت هي الباطل والخطية؟؟

ما أبأس الإنسان إذا ظن أنه صار بعلمه قيِّماً على أمور الله، وبسلطانه وصيًّا على وصاياه، ومتولِّياً من دون الله شئون الله.

أليس من أجل هذا نادى الرب بصوته العالي: أنا لا أعمل **من نفسي**، أنا لا أتكلم **من نفسي**، أنا لست أصنع **مشيئتي**، أنا لا أطلب مجد **نفسي**، أنا لا أدين أحداً ... ثم رأى الرب تعالي الفريسيين بعلمهم ومعرفتهم، وأن تعاليهم هذا أسقط الله من قلوب الناس: «تهلل يسوع بالروح وقال: أحْمَدُكَ أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن **الحكماء** (الحاخامات) والفهماء، وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الآب لأنَ هكذا صارت المسرة أمامك.» (لو١٠: ٢١)

وهكذا، ولهذا، أخفى الله علم معرفته الحقيقية عن الحكماء عند أنفسهم والناس. وهذه هي بعينها رؤية القديسة مريم العذراء الصبيَّة القديسة والنبية المختارة: «صَنَع قوة بذراعه، **شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم، أنْزَلَ الأعزاء عن الكراسي** ورفع المتضعين، أشبع الجياع (إلى الله) خيراتٍ **وصَرَفَ الأغنياء فارغين.**» (لو١: ٥١-٥٣)

وهكذا وقف الشحاذ الأعمى الذي كان بالأمس يستعطي حسنة، وقف بين الحاخامات يجحد معرفتهم، وينفي صحة منطقهم، ويتجاهل بأس سلطان علمهم، "علمكم الذي يقول أنه خاطىء، هذا لست أعلم"، أما الذي أعلمه علم اليقين، علم الحق والواقع الملموس والمنظور، علم النور الذي هو أصْدَقُ لي من الشمس، أني كنتُ أعمى والآن أُبصر. خلقني الله بلا عينين، وهذا

الذي تقولون عنه أنه خاطىء هو الذي خلق لي عينين صحيحتين، فاحكموا أنتم مَنْ يكون هذا!... أما أنَّه خلق لي العينين يوم سبت، فمباركٌ هذا السبت، ومباركٌ العمل الذي عُمل لي فيه.

٩: ٢٦ـــ٢٨ **«فقالوا له أيضاً ماذا صَنَعَ بك؟ كيف فتحَ عينيك؟ أجابَهُم: قد قلتُ لكم ولم تسمَعُوا. لماذا تريدونَ أن تسمَعُوا أيضاً. ألعلَّكم أنتم تريدُونَ أن تصيروا له تلاميذَ؟ فشتَمُوهُ وقالوا (له): أنت تلميذُ ذاكَ، وأما نحنُ فإننا تلاميذُ موسى».**

وعودة مرة أخرى إلى استجواب مُضَاد، لعلهم يظفرون بمعلومة تهدم شهادته وتُوقعه مُرْغماً في إدانة المسيح ... ماذا صنع بك؟ لعله يكون قد استخدم طريقة شيطانية أو استعان بقوى غير منظورة؟ ولكن الشاب كان قد طفح به الكَيْلُ، وتضايقت نفسه من محاولة الضغط عليه لكي يُفرِّط في حقِّ مَنْ أحْسَنَ إليه، فما كان منه إلاَّ أن استخدم أسلوب المراجعة والهجوم والتضييق عليهم: لقد قلت لكم ولم تسمعوا، فلماذا المحاورة؟ على ما تلوون؟ لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً؟

وهنا بلغت السخرية منهم أقصى حدودها: ألعلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟ وهنا نجح هذا البصير الأمِّي في تغيير دفة الحديث والحوار كله، بل وأسْقَطَهم في حيرة من أنفسهم جعلتهم يقفون منه موقف الدفاع، إنما في إحساس بالمهانة جعلتهم يشتمونه!! ولا نعلم بماذا شتموه، وإنما أضافوا إلى الشتيمة **إلصاق تهمة الخروج عن الناموس:** «أنت تلميذ ذاك»، باعتبار أن هناك فاصلاً عقائدياً يفصل بين المسيح وموسى: «أما نحن فإننا تلاميذ موسى». وهذا الاتهام هو الذي على أساسه أخرجوه خارج الجماعة. ولكنه في الحقيقة خرج بشهادة محفوظة له في السموات أنه **«تلميذ ذاك»!!**

٩: ٢٩ـــ٣٤ **«نحن نعلمُ أن موسى كلَّمه الله، وأما هذا فما نعلمُ من أينَ هُوَ. أجابَ الرجلُ وقالَ لهم: إنَّ في هذا عَجَباً، إنكم لستُم تعلَمُونَ من أين هو، وقد فتح عَيْنَيَّ، ونعلمُ أن الله لا يسمعُ للخطاةِ. ولكن إن كان أحدٌ يَتَّقي الله ويفعَلُ مشيئتَهُ فلهذا يسمعُ. منذُ الدهرِ لم يُسمعْ أن أحداً فَتَحَ عينَيْ مولودٍ أعمى، لو لم يكن هذا من الله لم يقدِرْ أن يفعلَ شيئاً. أجابوا وقالوا له: في الخطايا وُلدتَ أنت بجملَتِك وأنت تعلِّمنا. فأخْرَجُوهُ خارجاً».**

لا تزال عقول الفريسيين مشتبكة في المقارنة بين "أنت" و"نحن"، وبين التلمذة لذاك

ولموسى، ثم بين موسى وذاك، مما يكشف عن تشكك في عقولهم وتشكيك لعقول الآخرين. والذي زاد الهوّة والحقد أن مصدر السلطان الذي يستمد منه المسيح رسالته، لا يمرُّ بسلطانهم ولا بعلمهم ولا بمدارسهم، وهذا هو أصل المرارة التي كانت تطفح بها أقوالهم. لقد وطّدوا كيانهم وسلطانهم على أساس أنهم تلاميذ موسى، وموسى استمد سلطانه من الله، إذن، فسلطانهم هو سلطان موسى، إنهم بفم موسى يتكلمون كأنهم من الله. والمسيح يهدم نظريتهم بكل أصولها وفروعها، وذلك ببراهين وآيات. هنا جاء الشك في قلوبهم، وكثير منهم آمن وانحاز للمسيح، إنْ سرًّا أو جهراً. أما الباقون، فأصبح عليهم التشكيك والهدم أو القتل لئلا يضيع سلطانهم. وهذا الأعمى الذي أبصر، صار يمثل أخطر تهديد لهم ولنظرياتهم، لأنه شاهد عَلَنٍ، بل شاهد عَلَمٍ، أن " ذاك " — أي المسيح — هو في نظر الأعمى البصير في موقف الخالق. بل والأعمى البصير أدرك ضعف موقفهم منه ومن المسيح، فاستغل ذلك منهم أقوى استغلال، وبدأ يشدد النكير عليهم؛ وبنفس منطقهم، أخذ يسخر منهم في أسلوب استهجاني لاذع: «إنَّ في هذا عجباً إنكم...». لقد وَضَعهم في موضع ذوي التفكير الداعي للتعجب والاستهجان: «إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينيَّ». فالذي يفتح عيون العمي هو، عند جميع الأنبياء الذين تعلمتم عليهم، مسيًّا، ومسيًّا وحده، لأنه «منذ الدهر لم يُسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى». حتى موسى الذي به يفتخرون لم يفتح عين أعمى واحد!

فإذا أنكرتم «أنه نبي» وإذا تجاهلتم أنه مسيًّا، فلا ينبغي أن تنكروا تقواه، وأنه يصنع مشيئة الله، وأنه من الله. فلا يستقيم قط قولكم أنه إنسان خاطىء، لأن الله، إذ فتح عينيَّ على يديه، يكون قد سمع له، والله لا يسمع للخطاة!!

لقد أوقعهم الأعمى، الذي أبصر، في نفس الفخ الذي نصبوه له؛ وبنفس منطقهم ببساطة وهدوء قاتلٍ لكبريائهم. فإزاء قولهم: «نحن نعلم — ἡμεῖς οἴδαμεν — أن هذا الإنسان خاطىء»، حيث قصروا علمهم على أنفسهم فقط «نحن» (الفريسيين)، أجابهم بنفس منطقهم، إنما على أساس علم أعمَّ وأشمل يعرفه الجميع وبلا استثناء، ولا يمكن أن يجهله أحد أو يماحك فيه إنسان، وذلك بقوله: « οἴδαμεν » «معلوم لدى الجميع» أو «وكلنا نعلم». أما عِلْمُهم المحصور في عقولهم فينتهي عند «أن هذا الإنسان خاطىء»، وذلك بحسب قياسٍ جزئي على قانون أو ناموس كَسْرِ السبت. وأما عِلْمُ الجميع، فهو يقوم على أساس صفة مُطْلَقَة من صفات الله، وهي بديهية، لا يماحك فيها إنسانٌ قط: «إن الله لا يسمعُ للخطاة [«إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز٦٦: ١٨)] وهذا الإنسان قد فتح عينيَّ».

وكالعادة حينما استبدت بهم الحيرة، وعجزوا عن التمشي مع منطقه، بدأوا يهينونه: «في الخطايا وُلدتَ أنت بجملتك، وأنت تُعلِّمنا».

ولقد وقع الفريسيون في المحظور، فقد نَسَبوا عَمَاهُ إلى خطيته وخطية أبيه وأمه، فلو لم يكن الله قد وهبه النظر وفتح عينيه بالفعل لكانت إهانةً من أشنع الإهانات التي يمكن أن تسمعها أُذُنُ بشر. ولكن الآن وقد وهبه الرب النظر الصحيح جسداً وروحاً ـــ فقد ثبت أنه لا أخطأ هو ولا أبواه. وهكذا ارتدَّت الإهانة عليهم مضاعفة، دون أن تصيب هذا الموهوب ولا أبويه ولا قيد شعرة! ومن هذه الإهانة المقصودة، والتي لم تُصِبْ هدفها، يتضح مدى المرارة والحقد والاحتقار الذي ملأ قلوبهم نحو هذا الأعمى المُنْعَم عليه بالنظر، لأنه وقف موقف الشاهد للمسيح. كما نستشفُّ من ردود هذا الإنسان المبارك، مقدار الافتخار بالله والتمسك بكرامة المسيح وتمجيده، وعدم الانصياع إلى تهديد الفريسيين حتى إلى الطرد، مع أنه لم يكن قد رآه بعد!... ولكن كان همُّ المسيح أن يَهَبَه النور الأعظم، فسعى وراءه حتى وَجَده.

٩ : ٣٥ـــ٣٨ «فسمعَ يسوعُ أنهم أخرَجُوهُ خارجاً، فوَجَدَهُ وقالَ له: أتؤمنُ بابنِ الله. أجابَ ذاكَ وقالَ: مَنْ هو يا سيدِ لأُومِنَ به؟ فقال له يسوعُ: قد رأيتَهُ، والذي يتكلَّمُ معكَ هُوَ هُوَ. فقال: أُومنُ يا سيدُ. وسَجَدَ له».

من روح هذه الآية ندرك أن الرب هو الذي سعى مرة أخرى ليتقابل معه. لأن كلمة «فوجده» يَسْبِقُها حتماً أنه كان يطلبه. لأن الفريسيين أخرجوه خارجاً، أي خارج حظيرتهم التي وضعوا أنفسهم عليها حُرَّاساً لا رعاةً. وحتى أبواه خشيا من إيوائه، خوفاً من أن يلحقهم الطرد. أما الراعي الصالح فكان يسعى خلف الغَنَمة التي غَنِمَها لحساب الآب، حتى يكمِّل عمل الآب فيها. فلما «وجده»، وجده وعلى فمه فرح الشهادة، أما نفسه فكان عليها سمات الرب: الإهانة والطرد. وحالاً فتح له باب الحياة الأبدية على سِعَته، وطلب منه إبراز تذكرة الدخول: «أتؤمن بابن الله»؟ فأبْرَزَها الأعمى البصير بكل شجاعة وفرح، لأنه كان قد دفع ثمنها بالكامل على باب المسلحة(٩) عند جباة المكوس.(١٠)

كان يظنه أولاً أنه نبي ولكن لما علم أن الواقف أمامه والذي يرى وجهه و يتكلم معه هو هو

(٩) المسلحة أي مصلحة الضرائب.
(١٠) المكوس، أي الجمارك، ومنها كلمة المكس بالإسكندرية وكان مكان الجمرك.

ابن الله صاحب الملكوت، والحامل لمفاتيح باب الحياة، خرَّ أمامه ساجداً؛ فللحال انفتحت بصيرته ورأى صاحب النور، لأن «بنورك (يا رب) نرى نوراً.» (مز٣٦ : ٩)

٩ : ٣٩ــ٤١ **«فقالَ يسوعُ: لدينونةٍ أتيتُ أنا إلى هذا العالمِ، حتى يُبْصِرَ الذين لا يُبصرونَ ويَعْمَى الذين يُبْصِرونَ. فسمعَ هذا الذين كانوا معه من الفريسيينَ، وقالوا له: ألعلَّنا نحن أيضاً عميانٌ. قالَ لهم يسوعُ: لوْ كنتم عُمْياناً لَمَا كانت لكم خطيةٌ، ولكن الآنَ تقولونَ إننا نُبْصِرُ فخطيَّتُكم باقيةٌ».**

كان المنظر مهيباً أخّاذاً، عندما خرَّ الأعمى البصير عند قدمي الرب ساجداً في انفعال التعبُّد الصادق، وحول الرب تلاميذه والفريسيون المناكفون ينظرون ويتعجبون؛ ومن واقع هذا المشهد الشاهد لحقيقة النور الذي جاء إلى العالم، فانفتحت له أعين العُمْي بهتاف الشهادة والإيمان، والفاضح لموقف مدَّعِي الإبصار الذين يحاولون بكل جهد إطفاء النور أو إخفاءه لئلا يظهر خزيُ عَمَاهم، نادى حاملُ النور: «لدينونة أتيتُ أنا إلى هذا العالم»!!

ولكن المسيح لا يُشدِّد النكير على الفريسيين، لأنه ما ذنب النور أنه يفضح الظلام؟ إن هذا حتماً هو عمله حتى ولو لم يَشَأ، وإذا شاء فهذا حقٌّ له لأنه طبيعته، وهذا هو الحق الذي يشاؤه الله أيضاً.

«حتى يبصرَ الذي لا يُبْصرون ويَعْمى الذين يُبْصرون»:

هذه الآية هي من واقع سجود الأعمى البصير، والشهادة للمسيح، والإعلان عن إيمانه بسجود وعبادة؛ كذلك هي من واقع مقاومة الفريسيين للمسيح، ورفضهم آية تفتيح عيني الأعمى، ورفضهم الإيمان بالمسيح معاً.

وهكذا نرى أن الأعمى قَبِلَ النورَيْنِ: نور الجسدِ ونورَ الله، فأبصر واستنار معاً!!

كما نرى هؤلاء الفريسيين المبصرين ومُدَّعي البصيرة يرفضون آية النور في الجسد، وشهادة نور الله معاً!! فانحجب عنهم النور بإرادتهم، فلأنهم استحسنوا أن لا يُبْقوا النور في معرفتهم عمَّتهم الظلمة وأعمَتهم. هؤلاء الذين قال عنهم المسيح: «**أحَبَّ الناس الظلمةَ أكثرَ من النور،** لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو٣ : ١٩)، وَوَصفهم الربُّ بأنهم «**عميان قادة عميان**» (مت١٥ : ١٤)، وفي الحفرة حتماً ساقطون.

لما ذاق الأعمى النور وأحبَّه، سعى النورُ وراءَه فأدرك مصدره، ومن هوَّة الظلام الدامس انتقل إلى إشراق نور الله الكامل، هذا هو وعد الله بالمسيح يسوع لكل الجالسين في الظلمة وظلال الموت يُشْرِقُ عليهم النور، طالما سَعَوْا إليه وقَبلوه وأحبوه ومَدَحوه. ومن الفقر المدقع والجلوس على عتبات البيوت جائعاً يستعطي خبزاً، انتقل الأعمى إلى عتبة بيت الله كتلميذ، يوزع شبعاً من غِنَى نعمته على الداخلين، وهذا هو وعد الله بالمسيح يسوع الذي نطقت به العذراء القديسة مريم النبية، والمسيح لا يزال في بطنها: «**شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم، أنْزَلَ الأعزَّاء عن الكراسي، ورفعَ المتضعين، أشْبَعَ الجياع خيراتٍ، وصَرَفَ الأغنياءَ فارغين.**» (لو١: ٥١ــ٥٣)

هذه النبوة التي تحققت ولا تزال تتحقق، وسيتم كمال تحقيقها، تقوم على أساس رفض الله المطلق للمستكبرين بأفكار قلوبهم، والمعتزِّين بوظائفهم ومناصبهم، والمعتمدين على قوَّتهم وغناهم، في مقابل المتضعين والمساكين والمعتازين؛ لأن: «المستعلي عند الناس، هو رِجْسٌ قدام الله.» (لو١٦: ١٥)

ولكن المصيبة الكبرى والطامة العظمى ليست في مجرد الكبرياء بالأفكار الذاتية، ولا في التعظُّم بالوظائف والمناصب، ولا في الاعتماد على القوة والمال والعَزْوَة، ولكن أمَّ المصائب كلها هي في عدم الانتباه وفُقْدان الشعور بأن هذه أمور باطلة ومكروهة، وأنها ضد الله، وسبب خراب الإنسان، التي شرحها الرب للفريسيين المتمسكين بها دون أن يدروا: «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية، **ولكن الآن تقولون أننا نُبصر فخطيتكم باقية**»، والذي سيأتي تفسيره.

ولكن لا انتصح الفريسيون في زمانهم ولا انتصح الفريسيون في كل زمان. فالفرِّيسية المتعجرفة، بغناها الكاذب، لا تزال تملأ أرجاء العالم، والتي أرهقت روح الرب أكثر مما أرهقته الفريسية الأُولى؛ أي الذين تحصنوا واستغنوا **بالمال والعلم والتقوى الكاذبة**، وجلسوا على كرسي المسيح و«يقولون ولا يفعلون» (مت٢٣: ٣). هؤلاء رآهم ق. يوحنا الإنجيلي في رؤياه والمسيح يكاد يتقيَّأهم ويخاطبهم: «أنا مُزْمِعٌ أن أتقيَّأك من فمي، لأنك تقول إني أنا غنيٌّ، وقد استغْنَيْتُ، ولا حاجة لي إلى شيء، ولستَ تعلمُ أنك أنت الشقيُّ والبائسُ وفقيرٌ **وأعمى** وعُرْيان.» (رؤ٣: ١٦و١٧)

وبهذا تتزكى عدم المعرفة في مقابل المعرفة التي بلا عمل. والكلام في ذلك كثير، والنصيحة لم تنقطع من فم الرب لمثل هؤلاء لو استطاعوا أن يستغنوا عن غناهم وهيهات: «أُشِيرُ عليك أن تشتري مني ذهباً مُصَفًّى بالنار (الإيمان الممحَّص بالتجربة) لكي تستغني (بالحق)، وثياباً بيضاً

(مبيَّضة بآلام ودم الشهادة) لكي تلبس، فلا يظهر خِزْيُ عُرْيتك (نجاستك)، وكحِّل عينيك بكُحْلٍ (القداسة التي بدونها لا يعاين أحدٌ الله) **لكي تُبْصِرَ** (النور).» (رؤ٣: ١٨)

«فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له: ألعلَّنا نحن أيضاً عُميان. قال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية. ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية»:

سؤال الفريسيين خارج من نفوس مستكبرة بفكر قلوبها باعتبارهم: «قادة للعميان ونور للذين في الظلمة» (راجع رو٢: ١٩). وردُّ المسيح مُرْعِبٌ، فهو نُطْقُ الدينونة التي ينطق بها النورُ الحقيقي.

ولكي ندرك عمق المعنى المدفون في هذه الآية، علينا أن نتصور أن الظلمة وقفت تتكلم أمام الشمس. فقالت الظلمة: أنا هو النور، فماذا تقول الشمس؟ تقول: مباركٌ عليكِ نورُكِ أيتها الظلمة، وتصمم الشمس أن لا تشرق عليها. ولكن إن قالت الظلمة: أنا ظلمة أغيثيني أيتها الشمس، فإن الشمس تقول: مرحباً هذا نوري وهذا إشراقي. هذا الحوار يصوِّره إشعياء النبي بهذه الآية: «قومي استنيري، لأنه قد جاء نورِكِ، ومجد الرب أشرق عليكِ. **لأنه ها هي الظلمة تغطِّي الأرض والظلام الدامس الأممَ**» (إش٦٠: ١و٢). ومعنى الكلام أن الرب يسوع لم يتجسد لتنفيذ إرسالية الخلاص إلاَّ بعد أن صارت الظلمة على كل الأرض، ظلمة المعرفة والسلوك والأخلاق، أي ظلمة الخطية.

وهنا تأتي آية الرب بكل إحكام: «وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم، **وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة.**» (يو٣: ١٩)

فالذي يَعمي الناسَ عن النور هي الأعمال الشريرة، أي الخطية. فإذا تبجَّح الناس وقالوا نحن نبصر، ونحن نور للذين في الظلمة، مع أن أعمالهم شريرة؛ فهذا معناه أنهم بالحقيقة عُميان، وخطيتهم هي التي زيَّفت عليهم النور كأنه ظلمة، والظلمة كأنها نور! وطالما أصرُّوا على أنهم يبصرون، وهم لا يبصرون، فهذا معناه أن خطيتهم أعْمَتْ أعينهم، وهي باقية لهم.

الأصحاح العاشر

الأصحاح العاشر

أولاً: استعلان عمل المسيح الفدائي من نحونا

«الراعي الصالح»[١]

(١٠: ١—١٦)

نحن لا زلنا في موسم عيد التجديد. والحديث هنا هو امتداد للأصحاح التاسع، وهو يختص بالعلاقة التي تربط المسيح بخاصته الذين يؤمنون به. وهذا على أساس أن الأعمى الذي أبْصَرَ وشَهِدَ للمسيح، وصار من المؤمنين، أخرجوه خارج الجماعة، أي خارج حظيرة إسرائيل، وذلك باعتبار أنهم هم حُرَّاس الحظيرة ورعاة الخراف.

أ ــ «أنا هو باب الخراف»: (١٠: ١ــ ١٠).

١٠: ١—٦ **«الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: إنَّ الذي لا يدخُلُ من البابِ إلى حظيرةِ الخرافِ، بل يطلُعُ من موضعٍ آخرَ، فذاكَ سارقٌ ولصٌّ. وأما الذي يدخُلُ من البابِ فهو راعِي الخرافِ. لهذا يفتحُ البوابُ، والخرافُ تسمَعُ صوتَهُ، فيدعو خرافَهُ الخاصةَ بأسماءٍ، ويُخرِجُها. ومتى أخرجَ خرافه الخاصة، يذهبُ أمامها، والخرافُ تتبعُهُ، لأنها تعرفُ صوتَهُ. وأما الغريب فلا تتبعُهُ، بل تهرُبُ مِنْهُ، لأنها لا تعرفُ صوتَ الغرباءِ. هذا المثَلُ قالَهُ لهم يسوعُ. وأما هم فلم يفهمُوا ما هو الذي كان يكلِّمُهُم به».**

كان طرد الأعمى ــ الذي أعطاه المسيح موهبة النظر ــ بإجراء حكم الطرد ضده، وحرمانه من حقوق شعب إسرائيل، وإخراجُه خارج حظيرة إسرائيل دون أي سبب قانوني، من أخطر الأعمال المضادة لله التي عملها الفريسيون بصفتهم رعاة الشعب وحُرَّاس إسرائيل. وللحال رفع المسيح هذا الإجراء الشاذ الذي يُنافي الحق والعدل والرحمة إلى التطبيق العملي، الذي سبق أن تنبأ

(١) إنجيل الراعي الصالح (يو١٠: ١ــ١٦) يُقرأ كلما احتفلت الكنيسة بتذكار أحد البطاركة أو الأساقفة القديسين، مثل يوم **٣ أبيب** تذكار نياحة **القديس كيرلس الكبير** والأيام المُحَالَة إليه (٢٠ مناسبة في كل سنة)، ومثل **١٧ هاتور** تذكار نياحة **القديس يوحنا ذهبي الفم** والأيام المُحالَة إليه (١٨ مناسبة في كل سنة).

بـه الأنـبياء إرميا وحِزقِّيال وزكريا، والذي يلزم أن نوضحه للقارىء ليدرك أبعاد المعاني التي يرمي إليها المسيح(٢):

إرميا النبي (٢٣: ١—٤):

«و يلٌ للرعاة الذين يهلكون و يبددون غنم رعيتي، يقول الرب. لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل **عن الرعاة الذين يرعون شعبي: أنتم بدَّدتم غنمي وطردتموها** ولم تتعهدوها، **هأنذا أُعاقِبكم على شرِّ أعمالكم يقول الرب ... وأُقيم عليها رعاة يرعَوْنها، فلا تخاف بعد، ولا ترتعد**، ولا تُفقد، يقول الرب».

حزقيال النبي (أصحاح ٣٤):

«يا ابن آدم (ابن الإنسان) تنبأ **على رعاةِ إسرائيل**، تنبأ وقُل لهم: هكذا قال السيد الرب للرعاة، **و يلٌ لرعاة إسرائيل الذين كانوا يَرْعَوْن أنفسهم.** ألا يرعى الرعاةُ الغنم. تأكلون الشحم وتلبسون **الصوف وتذبحون** السمين ولا ترعون الغنم. المريضُ لم تُقَوّوه، والمجروح لم تَعْصِبُوه، والمكسور لم تجبروه، **والمطرود لم تستردوه**، والضال لم تطلبوه، بل بشدة و بعنف تسلَّطتم عليهم، فتشتتتْ بلا راعٍ ... على كل وجه الأرض، تشتتت غنمي، ولم يكن مَنْ يسأل أو يفتش ...

فلذلك، أيها الرعاة، اسمعوا كلام الرب، هكذا قال السيد الرب: **هأنذا على الرعاة**، وأطلبُ غنمي من يدهم **وأكفهُّم عن رَعْي الغنم ...**

هأنذا أسألُ عن غنمي وأفتقِدُها، كما يفتقد الراعي قطيعَه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة (عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا = في وسطنا). **هكذا أفتقد غنمي وأُخلِّصها ... في يوم الغيم والضباب ...**

أرعاها في مرعىً جيد ... في مراحٍ حسنٍ وفي مرعىً دسمٍ ...
أنا أرعى غنمي وأُرْبِضُها، يقول السيد الرب، وأطلبُ الضالَّ، **وأستردُّ المطرود**، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح، وأُبيد السمين والقوي، **وأرعاها بعدل ...**

وأُقيم عليها راعياً واحداً، فيرعاها عبدي داود (المسيّا)، هو يرعاها، وهو يكون لها راعياً. وأنا الربُّ أكون لهم إلهاً، وعبدي داود رئيساً **في وسطهم.** أنا الربُّ تكلمت، **وأقطعُ معهم عهد سلام، وأنزع الوحوش الرديئة** من الأرض، فيسكنون في البرية مطمئنين ...

(٢) أنظر أيضاً ما جاء بالمدخل ص٢٦٨—٢٧٠.

وأنتم يا غنمي، غنم مرعاي، **أُناسٌ أنتم.** أنا إلهكم يقول السيد الرب».

زكريا النبي (أصحاح ١١):

«**هكذا قال الرب إلهي: ارعَ غَنَم الذبح** — الذين يذبحهم مالكوهم ولا يأثمون، وبائعوهم يقولون: مباركٌ الربُّ قد استغنيت، ورُعَاتهم لا يُشفقون عليهم ...

فرعيتُ غنم الذبح — (وهم) أذلُّ الغنم — ... وأبَدْتُ الرعاةَ الثلاثة (الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة) في شهر واحد (الزمن من بعد صلب المسيح حتى حرب السبعين التي أُحرق فيها الهيكل وخربت أُورشليم وبطُلت العبادة). **وضاقت نفسي بهم وكَرَهَتْني أيضاً نفسُهُم** ... فقلتُ لهم: إن حَسُنَ في أعينكم، فأعطوني أجرتي وإلاّ فامْتَنِعوا، **فَوَزنوا أُجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب: أَلْقِها إلى الفَخَّاري، الثمن الكريم الذي ثمَّنوني به.** فأخذتُ الثلاثين من الفضة وألقيتُها إلى الفخاري في بيت الرب».

ولكي أُسهل على القارىء التقاط الآيات الهامة بالنسبة للمسيح، طبعنا الآيات التي اتخذها المسيح لنفسه بالبنط الثقيل، فليهتم القارىء بقراءتها عدة مرات. ولكن لكي أركز هذه النبوات الثلاث في رؤية واحدة اخترت للقارىء هذه الآيات:

يا ابن الإنسان تنبّأ على رعاة إسرائيل.

الضالُّ لم تطلبوه، والمطرود لم تستردُّوه، بل بشدة وبعنف تسلَّطتم عليهم ... تذبحون السمين ولا تَرْعَوْن الغنم!

هأنذا على الرعاة، أكفُّهم عن رعي الغنم.

أنا أرعى غنمي وأُربضها، يقول السيد الرب، أسألُ عن غنمي وأفتقدُها وأُخلِّصها ... كراعٍ في وسط غنمه!

أرعاها في مرعىً جيد، في مراعٍ حسنٍ، وفي مرعى دسم.
أُقيم عليها راعياً واحداً، عبدي داود، هو يرعاها، وهو يكون لها راعياً.
فرعيتُ غَنَمَ الذبح، وهم أذلُّ الغنم، وأبَدْتُ الرعاة.
وضاقت نفسي بهم، وكرهَتني أيضاً نفسُهُم.
فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة، الثمن الكريم الذي ثمَّنوني به.

وبالعودة إلى ما قاله الرب يسوع، نجد أنه ألقى «المَثَل» على المستوى العام (من عدد

١ ـــ ٥)، ولم يطبِّقه على نفسه بشيء بل ألقى الكلام كمثل، وذلك ليمهّد أمام أذهان الفريسيين حقيقة استعلان جديد عن نفسه، وذلك بالنسبة لهم على أساس رعاية الشعب بمستوى رعاية الخراف، وباعتبار إسرائيل حظيرة واحدة، مستنداً ذلك من النبوات السابقة لعلهم يتذكرون، وذلك على أساس المعاني الآتية بالترتيب:

١ ـــ **الحظيرة** ...
٢ ـــ **باب الحظيرة**، بالنسبة للراعي نفسه وليس الخراف.
٣ ـــ **راعي الخراف**، كصاحب يدخل من الباب، وليس كسارق ولص يطلع من موضع آخر.
٤ ـــ **البواب**، يفتح ويُغلق.
٥ ـــ **الخراف**، تسمع صوت الراعي وتتبعه.
٦ ـــ **الغريب**، تهرب منه الخراف ولا تتبعه.

ولأن المعاني تأتي في المثل مُكثّفة وذات أهداف بعيدة، فلم يفهمه الفريسيون. وعلينا هنا أن نشرحه على مستواه العام.

١ ـــ **فالحظيرة**، هي إسرائيل القديمة كأُمة بيت إسرائيل، يقابلها الكنيسة وأهل بيت الله ورعية القديسين.

٢ ـــ **والباب**، أي باب الحظيرة، هو في الحقيقة باب بيت الله. وباب بيت الله هو تعبير يعقوب إسرائيل نفسه: «ورأى حُلماً، وإذا سُلَّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الربُّ إله إبراهيم أبيك وإله إسحق ... فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقاً إنَّ الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلاَّ بيتُ الله، **وهذا باب السماء**» (تك٢٨: ١٢ ـــ ١٧)؛ حيث المعنى الإلهي لكلمة «**الباب**» هي الحضرة المنظورة والمسموعة لله. وقد عاد المسيح يؤكد هذا التعبير بقوله لنثنائيل: «الحق الحق أقول لكم من الآن تَرَوْنَ **السماء مفتوحة**، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يو١: ٥١). فالمسيح هنا هو الحضرة المنظورة لله على هيئة السلم، أو (الطريق) الموصِّل إلى السماء، والباب المفتوح في السماء الموصِّل للآب. وهذا الباب المفتوح في السماء رآه يوحنا في رؤياه: «بعد هذا نظرتُ، **وإذا بابٌ مفتوح في السماء**.» (رؤ٤: ١)

٣ ـــ **راعي الخراف**، الذي ليس هو سارقاً ولا لصاً، يُعرف من كونه يدخل إلى الحظيرة من

الباب، أي من التعليم الصحيح عن الآب الذي لا يعلمه أحد إلاَّ المسيح، **فهو** الباب السماوي والوحيد الذي يوصِّل إلى الله ــ وأيُّ تعليم آخر عن الآب هو مسروق ولا يوصِّل إلى الله مهما كان.

ونلاحظ أن جميع الأنبياء أشاروا إلى المسيح (الباب)، **وبهذا كانت تعاليمهم صحيحة عن الله، فكانوا رعاةً صادقين**، وأكثرهم صحة وقوة في نبوته هو يوحنا المعمدان، لأنه رآه وأشار إليه، وشهد له، واعترف بأنه لم يأتِ إلاَّ ليعلن المسيح لإسرائيل كشاهد عيانٍ سماويٍّ. وهو الوحيد الذي رآه كما هو «ابن الله»، لذلك قال المسيح عنه إنه «**أفضل من نبي.**» (لو٧:٢٦)

٤ ــ **البواب**، هو مسيًّا، الذي سيسلمه الله مفتاح بيت داود: «وأجعلُ مفتاح بيت داود على كتفه، فيفتح وليس مَنْ يُغْلق، و يُغلق وليس مَنْ يَفْتح» (إش٢٢:٢٢). فالمسيح الباب، هو الإيمان بابن الله، المدخل الوحيد إلى الآب.

والمسيح البواب، هو المسيح الديَّان، الذي يمنح ويمنع، يفتح و يُغْلق، وذلك بمقتضى الإيمان والتعليم الصحيح.

٥ ــ **الخراف**، بحسب نبوة حزقيال هم أناس الله: «وأنتم **يا غنمي**، غَنَمُ مرْعَاي، **أُناسٌ أنتم**»، أي أخصَّاء الله. والراعي الذي يدخل إلى الحظيرة من الباب، يدعو خرافه **الخاصة** بأسماءٍ، وهي تسمع صوته، ويُخرجها، ويسير **أمامها، وهي تتبعه.**

هذا التعبير الرقيق العاطفي، هو لتوضيح الفرق بين العلاقة بين رعاة إسرائيل الذين تحدث حزقيال بشدة وعنف عن تسلُّطهم عليهم، وبين العلاقة الفردية الخاصة المطلوبة بين الراعي الحقيقي والرعية المحبوبة والتي عبَّر عنها المسيح هكذا: «ها أنا أُعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء. ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل **افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات.**» (لو١٠: ١٩و٢٠)

أما كونه يدعوها ويُخْرجها، فهذه هي الدعوة العُظمى للإنطلاق إلى ملكوته. وأما كونه يسير أمامها وهي تتبعه، فهذا عكس الرعاية الطبيعية تماماً، لأن الراعي في البرية يسير خلف الغنم. ولكن هنا المسيح، كراعي الرعاة الأعظم، سار أمامنا وافتتح الطريق إلى السماء، ودخل "**كسابقٍ**" من أجلنا، فوجد لنا فداءً أبدياً. (راجع عب٦:٢٠؛ ٩:١٢)

٦ ــ **الراعي الغريب**، وهو الراعي الذي لم يدخل من الباب، وهو غير السارق واللصّ، ولكنه هو الذي لم يُرْسِلْه الله: "ليس عليه حُلَّةَ العُرْسِ" (راجع مت٢٢:١١)، أي ليس له

التعليم الصحيح، الذي يوصِّل الخراف إلى صاحبها.

التطبيق:

لمَّا لم يفهم الفريسيون المثل الذي قاله، بدأ يُطبِّق المثل على نفسه هكذا:

١٠: ٧—١٠ **«فقالَ لهُمْ يسوعُ أيضاً الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُمْ إني أنا بابُ الخرافِ، جميعُ الذينَ أتَوْا قَبْلي هُمْ سُرَّاقٌ ولصوصٌ، ولكنَّ الخرافَ لم تسمعْ لهُم. أنا هُوَ البابُ، إنْ دَخَلَ بي أحَدٌ فيخلُصُ ويَدخُلُ ويَخرُجُ ويجِدُ مَرْعىً. السارقُ لا يأتي إلاَّ ليسرِقَ ويذبَحَ، ويُهلِكَ. وأما أنا فقد أتيتُ لتكونَ لهُم حياةٌ، وليكونَ لهم أفضلُ».**

بعد أن رسم الرب الشرط الأساسي للراعي الحقيقي ومؤهلاته، ثم نوعية عمله، وذلك بناءً على رَسْمِ الوحي على فم الأنبياء، بدأ يطبِّق ذلك على نفسه، حتى يستعلن لهم وللعالم أنه جاءَ — كما هو مكتوب عنه — ليكمِّل عمل الله ويتمم مقاصده.

«أنا باب الخراف»:

لا يقول هنا «باب الحظيرة»، بل «باب الخراف» **بصورتها المفردة.** لقد انتقل الرب من كنيسة أُمَّةٍ، إلى كنيسة أفرادٍ؛ من عهده مع شعبٍ إلى عهده مع النفس. لأن ليس المطلوب بعدُ قائداً كموسى، أو قائداً كيشوع، ليفدي أُمَّة من عبودية الأمم، أو ليملِّك أسباطاً ميراث الأراضي، بل قائداً يفدي النفس من عبودية الخطية ويُقرِّبها إلى الآب ليُملِّكها ميراث السماء.

«الباب» هنا ليس لحفظ أنظمة وحدودٍ وتدابير ووصايا تختص بهيئة الشعب العامة أو بشكل الحكومةِ أو بقوانين ترابط الأفراد، بل البابُ هو الإيمانُ بابن الله. هذا هو **باب الحياة** لتدخل به ومنه النفس البشرية، لتجد حياةً "سماوية" مع الآب، وهذا هو المرعى الدسم الحقيقي.

فالمسيح أعلن نفسه أنه ابن الله، هذا هو الباب الحقيقي الموصِّل إلى السماء: «الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم، من الآن **ترون السماءَ مفتوحة**، وملائكةُ الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يو١: ٥١)، السماء المفتوحة يعني «الباب».

وبهذه المعاني، يتبين أنه يستحيل أن يكون للآب أو للسماء إلاَّ هذا الباب الوحيد، كما رآه يوحنا في رؤياه: «بعد هذا نظرتُ وإذا بابٌ مفتوحٌ في السماء» (رؤ٤: ١). وبهذا يكون قد ألغى

الحارسُ القديمُ الذي يمنع من الدخول إلى السماء: «الكروبيم ولهيبُ سيفٍ متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تك٣: ٢٤)، حتى لا «يمدّ (الإنسان) يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل، ويحيا إلى الأبد» (تك٣: ٢٢)؛ وحلَّ محلّه بابٌ مفتوحٌ في السماء مسنودٌ عليه رأسُ سُلَّم موصِّل بين الأرض والسماء، سُلَّمُ أمانٍ عليه ألوف وربوات الملائكة يحرسون ويخدمون الداخلين في باب السماء ليجدوا المرعى الدسم والحياة الأفضل. وواضح أن المسيح هو هو الباب السماوي المفتوح، وهو هو السُلَّم المرتكز على الأرض ورأسه في السماء: «لأنه هكذا يُقدَّم لكم بِسِعَةٍ دخولٌ إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي.» (٢بط ١: ١١)

«جميع الذين أتَوْا قبلي هم سُرَّاق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم»:

الحق كل الحق للمسيح أن يقول هذا، والكلام هنا منصبٌّ **أولاً**، على كل الذين جاءوا وادَّعوا أنهم قادرون بتعليمهم على تخليص إسرائيل ومُصَالحته مع الله، معتمدين على حساب نبوات الأنبياء فيما يختص **برجاء إسرائيل كأُمة**. لهذا، فقد اتخذوا اسم ومؤهلات المسيا اختطافاً وزيَّفوا عمله. فبدل أن يكونوا طريقاً وباباً للحياة، بتعليمهم الصحيح عن الله والحياة الأبدية، صاروا طريقاً لسَفْكِ الدماء بالثورات والحروب، وباباً للهلاك والموت. وبذلك حُسِبُوا في نظر المسيح: أنهم سرقوا الاسم وتلصَّصوا على النبوات والتعليم.

وثانياً، كذلك فإن أولئك الفريسيين الذي تجاهلوا هذا الباب السماوي الوحيد المفتوح، والموصِّل إلى الله والسماء، والمُشْتغِلَن بالآيات والمعجزات والأعمال والتعليم الصحيح، وادَّعوا أنهم هم وتعاليمهم وتقاليدهم ومدارسهم الطريق الوحيد والباب الوحيد لمعرفة الله والخلاص، اعتبرهم المسيح سُرَّاقَ اسمٍ وطريقٍ، ولصوصَ نبوَّاتٍ وعهودٍ ومواعيدَ: **«والخراف لم تسمع لهم»**.

كان الشعب قد تزيَّفت عليه التعاليم الصحيحة، وتزيَّف عليه الطريق والحق والحياة: «كان شعبي خرافاً ضالة **قد أضلَّتهم رُعَاتهم**. على الجبال أتاهوهم، ساروا من جبلٍ إلى أكمةٍ، **نَسُوا مَرْبَضَهُم**» (إر٥٠: ٦). وبالرغم من ذلك، وحينما بدأ الرب يسوع يعلِّم ويتكلم، انتبه الشعب في الحال، وأدركوا أن كلام الكتبة والفريسيين كلامٌ ميت ومزيَّف: «فبُهتوا من تعليمه لأنه كان يعلِّمهم كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة» (مر١: ٢٢). بل شهد له من أعدائه أمام السنهدريم، بأنه لم يتكلم إنسانٌ قط مثله: «أجاب الخدام لم يتكلم قط إنسانٌ هكذا مثل هذا الإنسان.» (يو٧: ٤٦)

والخراف قسَّمها الإنجيل إلى **«خراف خاصة»**، و«خراف ضالة».

فالخراف الخاصة هي التي لها أُذُن للسمع، فتسمع لراعيها، لأنه يتكلم بكلام الله. ولا تسمع لصوت الغرباء عن الله أو السُّرَّاق واللصوص، الذين سرقوا وظيفة الراعي والمعلم، وهم ليسوا رعاةً ولا معلمين، وتلصَّصوا على أقوال الأنبياء والقديسين، وهم غرباء عنهم وعن روحهم ومنهجهم: «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفرِّيسيون المراؤون، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولِعِلَّةٍ تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم.» (مت٢٣: ١٤)

وقد شهد المعمدان للفرق بين صوت المسيح وكلامه، وبين صوت الآخرين وكلامهم: «الذي **يأتي من فوق،** هو فوق الجميع؛ **والذي من الأرض، هو أرضي، ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع؛ وما رآه وسمعه، به يشهد** وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قَبِلَ شهادته فقد ختم أن الله صادق. **لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله.**» (يو٣: ٣١ــ٣٤)

وهذا يؤكده ق. يوحنا في رسالته الأُولى: «هم من العالَم، من أجل ذلك **يتكلمون من العالم والعالم يسمعُ لهم؛** نحن من الله، فَمَنْ يعرف الله يسمع لنا؛ **وَمَنْ ليس من الله لا يسمع لنا.** من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال.» (١يو٤: ٥و٦)

١٠: ٩ــ١٠ **«أنا هو الباب. إنْ دَخَل بي أحدٌ، فيَخْلُص، ويدخل، ويخرج، ويجد مرعىً. السارقُ لا يأتي إلاَّ ليسرق، ويذبح، ويهلك. وأما أنا فقد أتيتُ لتكونَ لهم حياةٌ، وليكون لهم أفضلُ».**

هنا يقول الرب: **«أنا هو الباب»،** بمضمونه العام، أي بالنسبة للرعاة والخراف، بدلَ **«أنا هو باب الخراف»،** بمضمونه المنسوب للخراف فقط. لأنه سَبَقَ وقال إن: «الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف». فالباب هنا يجمع بين الإيمان بابن الله، حيث يكون هو المدخل الوحيد للخراف، وبين التعليم الصحيح الذي يدخل منه الرعاة. لذلك يقول: «إنْ دَخَل بي أحدٌ»، و«أحد» تعني كل واحد، حيث الكلُّ يُعْوِزُه الخلاص، والدخول لازم للجميع ليكون مع رعية القديسين وأهل بيت الله: «هذا الباب للرب والصِّدِّيقون يدخلون فيه» (مز١١٨: ٢٠). **وفي مَثَلِ** العذارى العشر: «يشبه ملكوت السموات عشر عذارى» (مت٢٥: ١)، واضح أن **الباب الذي أُغلق** بعد أن دخل منه الخمس العذارى الحكيمات المستضيئات بزيتهن خلف العريس، **هو باب الخلاص** الذي لا يَعني إلا المخلَّص نفسه. فغَلْقُ الباب في ملكوت السموات يعني انتهاء عمل الخلاص؛ أما الخروج فهو الدعوة العظمى ــ سواء للرعاة أو الخراف ــ للانطلاق إلى المراعي الحقة

السماوية التي يُربِض فيها راعي الرعاة الأعظم خرافه ورعاته من كل الخطائر.

وواضح أنه ليس لنا دخول مع رعية القديسين إلى الآب السماوي، إلاَّ بالمسيح: «لأنَّ به لنا كِلَيْنا (الأمم واليهود) قدوماً في روح واحد إلى الآب. فَلَسْتُم، إذاً، بعد غُرَبَاءَ ونُزُلاً، بل **رعيَّةٌ مع القديسين** وأهلِ بيتِ الله.» (أف ٢: ١٨و١٩)

كذلك، فبواسطة هذا الباب، أي الإيمان بابن الله، يصير لنا الدخول في غِنَى الله والإقامة فيها والتنعُّم بها. كما يُرْبِض الراعي غنمه في المرعى الدسم وهو في وسطها: «**الذي به أيضاً** قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه **النعمة التي نحن فيها مقيمون**، ونفتخر على رجاء **مجد الله**.» (رو٥: ٢)

والآن، فالراعي أو المعلِّم الذي ليس في قدرته أن يُربِضَ غنماته في مرعى الإيمان الدسم لتَشْبعَ من نعمة الله وتقيم فيها على الدوام، ثم لا يقوى بعد ذلك على أن يُحضرها بالروح إلى الآب لتنضم مع القديسين وأهل بيت الله، ماذا يكون؟ وماذا يكون غرضه؟ إلاَّ أن يكون هو السارق لوظيفةٍ ليست له ويغتال نفوساً لم يُسْتأمن عليها، ولصًّا يخطف ليذبح كل ما يقدر أن يخطفه أو يذبحه، «تأكلون الشحم (مال الشعب) وتلبسون الصوف (التنعم) وتذبحون السمين (الغنى) ولا تَرْعَوْنَ الغنم» (حز٣٤: ٣). هنا استغلالُ الوظيفة، واستغلال النفوس الضعيفة، هو اختطاف وسرقة الله. والويل لمَنْ يقف ضد السارق لوظيفةٍ ليست له، فهو إنْ لم يقتل الجسد، فسيضطهد حتى إلى هلاك النفس. وهو حتى وإنْ لم يضطهد أحداً، فهو لأنه لا يرعى أحداً بل يرعى نفسه، فستهلك الغنم من عدم المعرفة ومن الجوع إلى كلمة الله.

«السارق لا يأتي إلاَّ ليسرق ويذبح ويهلك»:

العجيب هنا أن المسيح يصوِّر نفس الصورة التي رآها زكريا النبي منذ مئات السنين: «غَنَم الذبْح الذين يذبحهم مالكوهم ولا يأثمون (لا يشعرون أن هذا إثم)، وبائعوهم يقولون مباركٌ الربُّ، قد استغنيتُ. ورعاتهم لا يُشْفِقُون عليهم.» (زك١١: ٤و٥)

بل وحتى إذا علَّم السارقُ المغتصبُ، الذي لم يدخل من باب المسيح، فإنه يعلِّم تعليماً لا يُشْبِع ولا يُغني عن جوع، بل ويتلف حاسة القداسة عند سامعيه، ويطمس معالم الروح، ويقود النفس إلى هلاكها. «فدعاهم يسوع وقال لهم: أنتم تعلمون أن الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم، وأن عظماءهم يتسلَّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل مَنْ أرادَ أن يصيرَ فيكم عظيماً، يكون لكم خادماً. ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً، يكون للجميع عبداً. لأن ابن الإنسان

أيضاً لم يأتِ ليُخدَمَ، بل ليَخدِمَ وليبذل نفسه فِدْيةً عن كثيرين.» (مر١٠: ٤٢ــ٤٥)

وأخيراً، نستطيع أن نلمح بسهولة صورة الشيطان من خلال سرد مثل المسيح عن السارق الذي يرعى وهو ليس راعياً، بل دخل خلسةً كلصٍّ يتلصَّص على الخدمة، يهدم ما بناه الأُمناء ويلوِّث التعليم الصحيح، ويشكك في كل ما تعلمته الرعية، وأخيراً يبذر بذور الفُرْقَة والانقسام، فتقوم جماعة على جماعة، وينشغل الكلُّ في الخصام والاتهام، فتتوقف حركة النمو والبناء؛ وأخيراً تتبدد الجهود وتسود العداوة وتهرب النعمة وتحلُّ النقمة. عن هؤلاء وعن الشيطان الذي يعمل بهم، يقول بولس الرسول: «لأن مثل هؤلاء هم رُسُلٌ كَذَبة، فَعَلةٌ ماكرون، مغيِّرون شكلهم إلى شِبْه رُسُل المسيح. ولا عَجَب، لأن الشيطان نفسه يُغيِّر شَكْلَه إلى شِبْهِ ملاكِ نورٍ، فليس عظيماً، إن كان خُدَّامه أيضاً يغيِّرون شكلهم كخُدَّامٍ للبرِ.» (٢كو١١: ١٣ــ١٥)

«أما أنا فقد أتيتُ لتكونَ لهم حياة، وليكونَ لهم أفْضَلَ»:

هنا المسيح يقدم لخرافه حياتين: «لتكون لهم **حياة**، وليكون لهمْ **أفضل**»، في مقابل ما يعمله السارقون «**ذَبْحٌ وهَلاك**». فعِوَض «**الذبح**»، يقدم المسيح «**حياة**»: «النعمة التي نحن فيها مقيمون» (رو٥: ٢) = «لتكون لهم حياة». وعِوَض «**الهلاك**» يقدم المسيح «**الأفضل من الحياة**»: «يكون لهم أفضل»، والمقصود هو ملكوت الله.

فهو ينجِّي من الذبح بأن يعطي الحياة، وينجي من الهلاك بأن يعطي وعد الحياة الأبدية: «لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل»، كما جاءت في اليونانية περισσὸν ἔχωσιν بمعنى «يأخذون الحياة **ويأخذونها بفيض أو بغزارة**» وهي صفة الملكوت. وهذا يفيد أن الحياة التي يعطيها المسيح هي بنفسها تنبع إلى حياة أبدية، فالمسيح لا يعطي حياة جسدية تموت بموت الجسد. والمعنى بالنهاية، أنه يعطي هنا حياة لها شِبَعُ السرور، بالروح والنعمة، وهي نفسها تبلغ إلى الملء هناك في الحياة الأبدية.

وهكذا وضع المسيح المقارنة بين الرعاية في صورتها المزيَّفة وصورتها الأصيلة في أحدٍ وأخرَجَ صورة لها، إذ جَعَلها مقارنة بين حياة وموت، وبين خلاص وهلاك! وبالنهاية بين راعٍ صالح ولصٍّ سارق.

ب ــ «أنا هو الراعي الصالح»: (١٠: ١١ــ١٦).

١٠: ١١ــ١٣ **«أنا هو الرَّاعِي الصالحُ، والراعي الصالح يبذلُ نفسَهُ عن الخرافِ. وأما الذي هو أجيرٌ وليس راعياً، الذي ليست الخرافُ له، فيرى الذئبَ مُقْبِلاً ويتركُ الخرافَ ويهربُ. فيخطفُ الذئبُ الخرافَ ويبدِّدُها. والأجيرُ يهربُ لأنه أجيرٌ ولا يُبالي بالخرافِ».**

نلاحظ في تحليل الآيات السابقة، أن الرب يقدم نفسه في الآيات (١ــ١٠) باعتباره الباب، حيث الباب إما أن يكون هو التعليم الصحيح عن الآب الذي يدخل منه الرعاة المستأمَنون على الخراف من قِبَل راعي الرعاة الأعظم، وإما أن يكون هو الإيمان الذي تدخل به ومنه الخراف وتخرج. وبذلك يكون المثل قد انتهى عند العدد ٦: «هذا المثل قاله لهم يسوع، وأما هم فلم يفهموا ما هو الذي كان يُكلِّمهم به». ثم أكمل المسيح شرح المثل لهم من عدد ٧ــ١٠.

ثم ابتداءً من عدد ١١ يكمِّل المسيح شرح وتوضيح استعلانه لنفسه ــ من داخل المثل حيث لا يزال المثل مستمراً ــ فبالإضافة إلى: «أنا هو الباب»، يقول: «أنا هو الراعي الصالح»، حيث يوضح الرب معنى الراعي الصالح ومؤهلاته:

١ ــ الراعي الصالح **يبذل** نفسه عن الخراف (١٠: ١١ــ١٣).
٢ ــ الراعي الصالح يعرف خرافه الخاصة وخرافه تعرفه (١٠: ١٤).
٣ ــ الراعي الصالح يضع نفسه عن الخراف (١٠: ١٥).
٤ ــ الراعي الصالح لا يلتزم بحظيرة معيَّنة، بل يجمع خرافاً أُخَر، لتكون له رعية واحدة وليست لحظيرة واحدة (١٠: ١٦).

١ ــ بذل نفس بنفس لإعطاء حياة:

يبدأ الرب استعلانه عن نفسه بأنه الراعي الصالح، بقوله: «**أنا هو**». وهنا تقع **ἐγώ εἰμι** في موضع التعريف أو الاستعلان، وكأنها الرد على سؤال: «ومَنْ أنتَ بالنسبة للآخرين». فهنا الرب يعرِّف نفسه على أساس النسبة التي بين الراعي الصالح والأجير ــ حيث يقصد بالأجير كل طبقة الكهنوت والكتبة والفريسيين.

وكما هو معلوم أن **ἐγώ εἰμι** هو التعريف الخاص جداً باسم الله (أنظر المدخل ص ٢١٨ــ٢٤٦). وكأن المسيح يقول لهم: «أنا ــ الحامل **لاسم الله** ــ هو الراعي». و يلزمنا هنا أن نوضح أنه قد سئل الرب فعلاً عن مَنْ هو بالنسبة لكل مَنْ جاءوا ويجيئون باسم المسيَّا. ولكن

تأجّل السؤال في هذا الأصحاح حتى عدد ٢٤: «فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلّق أنفسنا، **إن كنتَ أنت المسيحَ فقُلْ لنا جهراً**».

فقول المسيح **«أنا هو»**، فيه ــ بحد ذاته ــ كشف لا يُستهان به عن مَنْ هو **بالنسبة لله نفسه**. ولكن بسبب ضعف الأذن وعَمَى البصيرة، اضطر الربُّ أن يعرِّف نفسه **بالنسبة للآخرين** أيضاً الذين أخذوا وظيفته خلسة ــ أو بالإيجار (أي بالأجرة) ــ، والمتكلمون معه هم عيِّنةٌ من هؤلاء الأُجرَاء، الذين يعتبرون أنفسهم رعاة الشعب: فـ«أنا هو الراعي الصالح» تجيء في مقابل: أنتم رعاة مستأجَرون.

وكلمة **«الصالح»** لا تفيد معنى الصلاح، وهي تجيء في اليونانية καλός . فهي لا تفيد صلاح الله كطبيعة. وبحسب أسلوب إنجيل يوحنا كان يلزم أن تجيء «الحقيقي» ἀληθινός لتتمشى مع الاستعلانات السابقة كـ**«النور»** و**«الخبز»**، واللاحقة كـ**«الكرمة»**. ولكن وظيفة الراعي هي وظيفة مؤقتة مستمدة من التشبيه بالبشر، وتجيء داخل مَثَلٍ، فهي ليس لها وجود دائم في المطلق الإلهي كالخبز الحقيقي والنور الحقيقي، ولكنها صفة لله منسوبة للبشر، وهي تنتهي (أي الرعاية) بانتهاء الدينونة، لذلك فـ«الحقيقي» لا تتمشى مع الراعي.

كذلك كان من المنتظر أيضاً أن تجيء الصفة بالكلمة المعروفة بـ**«الصالح»** فيما يخص الله، وهي ἀγαθός . ولكن صلاح الله هو طبيعته المطلقة فيه. أما الرعاية فلأنها صفة منسوبة للبشر، بسبب جهلهم وعوَزهم، فهي وظيفة تطلَّبتها الحاجة، لذلك جاءت كلمة καλός التي تفيد **«الحسن»**، وهي صفة عمل وليست صفة شخص، كما هي في الآية: «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا **أعمالكم الحسنة**» (مت٥: ١٦). لذلك، فبسبب قصور كلمة «حسن» (صالح) καλός عن أن تفيد صلاح المسيح الشخصي (الداخلي)، وضع لها الرب تكملة لتغطّي معنى صلاح العمل، فقال: «والراعي الصالح **يبذل نفسه عن الخراف**».

وهنا يلزم أن نعود إلى مستوى «صلاح الرعاة» في تاريخ إسرائيل، لنرى موقع المسيح منهم. فالله سبق أن أقام موسى راعياً: «أصعدهم من البحر **مع راعي غَنَمه**» (إش٦٣: ١١)، «هَدَيتَ شعبك **كالغنم بيد موسى وهارون**» (مز٧٧: ٢٠). كما أقام داود أيضاً: «اختار داود عَبْدَه، وأخذه من حظائر الغنم، من خلف المُرْضِعَات أتى به **ليرعى يعقوب، شعبه، وإسرائيل، ميراثه.**» (مز٧٨: ٧٠و٧١)

ولكن هؤلاء الرعاة جميعاً لم يزيدوا عن أنهم كانوا بدورهم خرافاً، كان الله يرعاهم، و يهدي

لهم رعيتهم. فداود يعترف بذلك: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُني، إلى مياه الراحة يوردني، يردُّ نفسي، يَهْديني إلى سُبُل البرِّ من أجل اسمه» (مز٢٣: ١—٣). ولا يمكن أن ننسى أن داود، كراعٍ، رعى رعية الله حَسَناً، **ولكنه افترس نعجة من قطيعه.**

وموسى، الذي ضُربت به الأمثال في القيادة والأمانة، نجده يقف مرة واحدة عن القيادة والمسئولية و يطلب — مُسْتَصرخاً — أن يُعْفيه الله: «فقال موسى للرب: لماذا أسأت إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثِقْل جميع هذا الشعب عليَّ. **ألعلِّي حَبِلْتُ بجميع هذا الشعب؟ أو لعلِّي وَلَدْتُه** حتى تقول لي احْمِله في حضنك، كما يحمل المربي الرضيع إلى الأرض التي حلفتَ لآبائه... لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب، **لأنه ثقيل عليَّ. فإن كنتَ تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً إن وجدتُ نعمةً في عينيك، فلا أرى بليَّتي»** (عد١١: ١١—١٥). و بسبب هذه العثرة التي عثرها موسى عيَّن الله — مضَّطراً — سبعين شيخاً يشاركون في القيادة والمسئولية، الأمر الذي لم يكن في أصل تدبير الله، وهذا هو منشأ السنهدريم الذي اجتمع ضد المسيح وقتله! ...

فبالنسبة لهؤلاء الرعاة — قادةً وحكاماً — وهم أفضل الرعاة في تاريخ البشرية، يقول المسيح و يعلن نفسه: «أنا هو الراعي الصالح». و يكمِّل معنى الرعاية والصلاح بقوله: «والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف».

و يلاحَظ أن المسيح لم يقدِّم نفسه للموت عَرَضاً، بل نزل من السماء خصيصاً من أجل ذلك، بل إنه تجسد ووُلد ليموت: «أيها الآب نجِّني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧)، ليس عن خرافِ حظيرةِ إسرائيل وحسب، بل وعن الخراف الأخرى من جميع أنحاء العالم وفي كل الأجيال.

على أن كل راعٍ — سواء كان قائداً أو حاكماً أو كاهناً أو أيًّا مَنْ كان — إذا مات دفاعاً عن خرافه فهو لن يمنحها من حياته شيئاً، بل وعلى أقصى تقدير يحفظها حيةً، أما الراعي الصالح فهو يبذل نفسه ليعطي حياته لكل مَنْ يؤمن به، فهو بذل نفساً بنفس، أو بكل النفوس على وجه الأصح. وهذا هو الخلاص في أعلى مفهوم له وقمة معناه. فالخلاص ليس خلاصاً من ذنب أو موت وحسب، بل **للفداء وإعطاء حياة:** «أما أنا فقد أتيتُ **لتكون لهم حياة،** وليكون لهم أفضل».

فبَذْلُ يسوع «لحياته» ليعطيها لأخصائه، يرفع من مفهوم «الراعي» بكل أبعاده البشرية، حتى يكاد يلغي معنى الراعي بالمفهوم البشري ويجعله **الإله الفادي.** لأنه هكذا انتهت وظيفة

المسيح المنظور ــ كراعٍ ــ على الأرض بالموت، ليَظْهرَ بحقيقة الإله. وزكريا النبي يرى هذه الصورة و يصفها بدقة عجيبة: «استيقظ **يا سيفُ على راعيَّ**، وعلى رَجُلِ رِفْقَتي، يقول رب الجنود. اِضرب الراعي **فتتشتتَ الغنم ...**» (زك١٣: ٧). و يعود المسيح و يُحيِّي هذه النبوة و ينطقُها على نفسه: «حينئذٍ قال لهم يسوع: كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدَّد خراف الرعية. ولكن بعد قيامي أسْبقكم إلى الجليل» (مت٢٦: ٣١و٣٢). وهكذا ينتهي موت الراعي إلى قيامته واستعلان لاهوته.

والملاحظ أن كلمة «تتشتَّتُ» أو «تتبدَّد» الرعية أو الغنم، التي هي مقصد الشيطان الأول في موت المسيح، أي الراعي، والتي تأتي باليونانية διασκορπίζειν في نبوة زكريا كما استشهد بها المسيح في إنجيل متى، هي نفس الكلمة التي يستخدمها إنجيل يوحنا في نبوة رئيس الكهنة التي تتضمن أن موت الراعي سينشيء بالتالي تجمُّع المتفرقين أو المتبدِّدين مرة أخرى: «تنبأ أن يسوع مُزْمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله **المتفرقين** إلى واحد» (يو١١: ٥١و٥٢) حيث جاءت كلمة **«المتفرقين»** على نفس أصل الكلمة διεσκορπισμένα.

بهذا ينتهي خط هذه النبوة العجيبة بأن «موت الراعي» الذي يُقصد منه تبدُّد الرعية، أنشأ بذاته تجمُّع المتبدِّدين من الرعية إلى واحد!! بهذا الإحساس النبويّ الفريد، كان يسوع يتكلم حينما قال: «والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»، لأنه عالمٌ أنَّ بموته، تتجمع الخراف إليه لتصير رعية واحدة لراعٍ واحد. لهذا قلنا ونقول إن وظيفة الراعي التي أخذها المسيح لنفسه، إنما استعارها استعارةً ليقارن بها نفسه بالآخرين الذين أرادوا أن يتشبَّهوا به، ليُظْهرَ مدى الفارق المستحيل تصويره. فرعاية المسيح لخرافه في المثل الذي قاله ــ لمجرد المثل ــ إن هي إلاَّ عمليةُ موتٍ وخلاصٍ بالدرجة الأُولى وبالأساس ــ فهي ليست مَثَلاً! فإن كانت هذه هي الرعاية الصالحة فمرحباً بالراعي الصالح، بل برئيس الرعاة الأعظم ــ الإله الذي تجسد واتخذ صورة الراعي، بل والحمل المذبوح ليُذْبح عِوَضَ خرافه، إن صحَّ الكلام والتعبير:

«وأما الذي هو أجيرٌ وليس راعياً، الذي ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلاً، و يترك الخراف و يهرب، فيخطف الذئب الخراف و يبدِّدها. والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالي بالخراف»:

المقارنة هنا تتركز في العلاقة بين الخراف والراعي، والراعي والخراف، علاقة مشتركة تكشف الصاحب من الأجير. فصاحب الخراف يرعى خرافه، لأنه **يمتلكها ويحبها**، و يطلب صلاحها، فهو صالح لأنه يطلب لها الصلاح. أما الأجيرُ فهو قد توظَّف، ليرعى الخراف من أجل نفسه. **فأولاً** هو

يطلب **الأجرة ثمناً للرعاية. وثانياً** وبصورة شاملة، هو يطلب **تأمين حياته. فهو** يرعى الخراف لكي يرتزق، و يرتزق لكي يؤمّن معيشته هو. فالمنطق على هذا الوضع يجعله غير مستعد أن يموت من أجل الخراف. والذي يفضح هذا الموقف هو حدوث خطر مفاجىء، الذي يمثّله ظهور الذئب. والذئب هنا لا يرصده المسيح أنه الشيطان، بل أي ضيقة أو اضطهاد يفرضه العالم. فهو في الحال يهرب، لأنه يبالى أولاً وآخراً بحياته، ولا يبالي بالخراف. وهكذا يجد الذئب الفرصة ليفتك بالخراف ويبددها. وهنا تصوير أليم لتفكّك الجماعة، وفقدان الأفراد، عند انهزام الراعي، واكتشاف عدم كفاءته.

والرب هنا لا يهدف إلى فضح فئة معيَّنة، لأنه يشرح حقيقة لا يمكن تعديلها أو تصحيحها، فالأجير لا يمكن تحويله إلى صاحب، ولكن الرب هنا يستعلن نفسه أنه الراعي الوحيد والفريد في نوعه — لأنه الابن الوحيد — ولن يكون له مثيل، لأنه «صاحب الخراف»، بمعنى الامتلاك الكلي. وبالتطبيق لا يوجد إنسان، ولن يوجد قط، مَنْ يمكن أن يمتلك أرواح ونفوس البشر، إلاَّ خالقُها ومخلِّصُها الربُّ يسوع. فالرب هنا يضع هذه المقارنة بين الصاحب والأجير، لكي يستعلن نوعية رعايته للنفوس التي تفوق قامات الملوك والآباء والأنبياء والكهنة والخدام، في كل زمان ومكان. لذلك جاءت النبوة واضحة: «وأقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها — "عبدي داود" — هو يرعاها وهو يكون لها راعياً.» (حز٣٤: ٢٣)

والراعي الواحد هو الذي يكلّف آخرين للرعاية من تحته، وهؤلاء لا يكونون بعد غُرَباء ولا أُجراء، بل مستأمنين ومختارين حسب قلب الله: «وأُقيم عليها رعاة يرعونها، فلا تخاف بعد ولا ترتعد ولا تُفقد، يقول الرب» (إر٢٣: ٤)، لأنها تحت رعاية الراعي الأعظم بالدرجة الأُولى: «وأعطيكم **رعاةً حسب قلبي،** فيرعونكم بالمعرفة والفهم» (إر٣: ١٥). هؤلاء الرعاة ليسوا أُجراء بعدُ، لأنهم يَرْعَون بالمعرفة والفهم وليس للمال والمنفعة، ولا هم غُرَباء أيضاً ولا نُزَلاء، بل هم رعية مع القديسين وأهل بيت الله، فهم أبناءٌ للراعي الصالح وليسوا عبيداً، لا يعملون لحسابهم بل حُبّاً في الذي فداهم، وهم أيضاً شُرَكَاء للراعي، وشهودٌ، سواء في موته أو في مجده، مستعدين أن يَفْدوا الرعية بأرواحهم، لأن مستوى حبهم هو حسب قلب الله. هذا واضح في قول الرب لبطرس: «يا سمعان بن يونا أتحبني ... ارعَ غنمي» (يو٢١: ١٦). وهذه هي إستجابة بطرس ومنهج رعايته: «أطلُبُ إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا الشيخ رفيقهم، **والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد** العتيد أن يُعلن، ارعَوْا **رعيَّة الله،** التي بينكم، نُظَّاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، **ولا كَمَنْ يسود على الأنصبة** بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيسُ الرعاة تنالون

إكليل المجد الذي لا يَبْلى.» (١بط ٥: ١ـــ٤)

ولينتبه كل قارىء وكل راعٍ، فالرعية هي رعية الله من الألف للياء، أما الراعي هنا فيتحتم أن يكون مَثَلاً أعلى للرعية بشبه المسيح، وإلاَّ فليمتنع. والربح القبيح ممنوع، والتجبُّر والسيادة علامة فساد، والأُجرة ليست مالاً، بل إكليلاً لا يفنى، من فوق، وليس هنا بالذهب الفاني، وحساب الوكالة سيُنشر علناً عند ظهور رئيس الرعاة.

«والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالي بالخراف»:

هو لا يبالي كما تأتي باليونانية = οὐ *μέλει* αὐτῷ بمعنى **«لا يعتني»**، لأن الخراف ليست له. ولكن شكراً لله ولرئيس الرعاة الأعظم، لأنه، وإن كان الرعاة الأُجراء لا يعتنون بالرعية، فالله يعتني وسيظل يعتني بكل من يصرخ إليه، كما يقول بطرس الرسول الذي تعيَّن راعياً من فم الرب: «مُلْقِين كل همَّكم عليه لأنه هو يعتني بكم.» αὐτῷ *μέλει* περὶ ὑμῶν (١بط ٥: ٧)

٢ ـــ الراعي الصالح يعرف خاصته وخاصته تعرفه:

١٠ : ١٤و١٥ «أما أنا فإنِّي الراعي الصالحُ، وأعرِفُ خاصَّتي، وخاصتي تعرِفُني، كما أن الآبَ يعرِفُني وأنا أعرِفُ الآبَ».

لأول وهلة قد يظن القارىء أن الرب يضع مقارنة متساوية بين معرفته لخاصته ومعرفة خاصَّته له، بالمقارنة مع معرفة الآب له ومعرفته للآب. ولكن بحسب الفكر السائد في إنجيل يوحنا، نعرف أن الرب دائماً يجعل العلاقة بين الآب وبينه **مصدراً** يستمد منه كل عمله وفكره في العالم، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لعلاقته بخاصَّته: «أنا حيٌّ بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦: ٥٧)؛

كذلك: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو١٤: ٢٠)؛

كذلك: «إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي، كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثْبُتُ في محبته» (يو١٥: ١٠)؛

كذلك: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ، وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو١٧: ٢١)

معنى هذا أن المسيح كابن الله نزل من السماء ومعه ذخيرة من العلاقة الفعَّالة التي تجمعه وتربطه بأبيه، يريد أن يجعلها هي نفسها فعَّالة في علاقته بالذين أحبوه وآمنوا به، حتى نصير نحن

أيضاً مربوطين ومجموعين فيه وفي الآب بآن واحد. فالقياس في العلاقات بينه وبين الآب ينطبق على علاقته بنا، مع حفظ الفارق الوحيد، وهو أن العلاقة بين الآب والابن، وبين الابن والآب هي علاقة صفات جوهرية وشخصية (أقنومية) مطلقة Absolute، بمعنى أنها بلا حدود ولا فواصل ولا فوارق على وجه الإطلاق؛ أما العلاقة معنا فهي مطلقة من طرف واحد فقط، أي من جهة المسيح والآب، فهو يحبنا حباً بلا حدود ولا قيود، ولكن نحن نحبه حباً له حدود وقيود. وكذلك في المعرفة، فهو يعرفنا بمعرفة مطلقة، أي أنه لا يخفى عليه شيء قط من أمورنا، أما نحن فنعرفه معرفة محدودة بحدود قدرتنا الهزيلة، ومقيَّدة بسبب ضعف إدراكنا للحق الإلهي. لذلك يقول: «أعرفُ خاصتي وخاصتي تعرفني»، فذلك يتضمن الحقيقة السابقة أن معرفته لنا مطلقة ومعرفتنا له مقيَّدة. ولكن شكراً لله، فهذه المعرفة على وجه العموم قابلة للنمو والتكامل كل حين وإلى أبد الآبدين: «انموا في النعمة وفي **معرفة** ربِّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح.» (٢بط٣: ١٨)

كما أن هذه المعرفة تشمل في طيَّاتها الحب والمشاعر الرقيقة للغاية، من جهته هي غنية بالعطاء، ومن جهتنا هي مفتوحة للأخذ كيفما شئنا وكيفما شاء الله. ألا يكفي أنه أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له؟؟

وهل توجد معرفة أغنى وأعمق من معرفة تعطي كل الذي لها حتى أعماق الله، وتمتص كل ما لنا من جهالات؟؟؟

وإن الصورة المبدعة التي يصوِّرها الروح للمسيح كراعٍ يحمل على منكبيه (لو١٥: ٥) حملاً صغيراً أجْهَدَه السيرُ في الطريق الوَعِر، يحتضنه في احتمال وصبر واشفاق يفوق الوصف، لهي صورة عاطفية نبيلة تصوِّر مقدار معرفة المسيح لكل شئون ضعفنا. ثم ألستَ أنت وأنا هو هذا الحَمَل الضعيف الذي لم يَعُدْ يَقْوَى على السير فوق الصخور؟؟

ولأن المسيح يمدُّنا بالمعرفة المستمدة من معرفته لله ومعرفة الله له على أساس الحب المطلق بينهما، استطاع بولس الرسول أن يقول بجراءة وتأكيد: «وأما الآن إذ عرفتم الله، بل بالحري عُرِفْتم من الله ...» (غل٤: ٩)

أما كون هذه المعرفة قائمة على أساس المحبة، فهذا يؤكده بولس الرسول أيضاً: «ولكن إن كان أحدٌ يحبُّ الله فهذا معروف عنده» (١كو٨: ٣). و يزيد هذا التأكيد ق. يوحنا من قول المسيح نفسه: «وعرَّفْتُهُم اسمك **وسأُعرِّفُهُم** (أيضاً)، **ليكون فيهم الحب** الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٦)

والآن، يا قارئي العزيز، إن كانت تنقُصُك معرفة المسيح بعد، فهذا لأنك لم تحبه كما ينبغي، ولم تَسْعَدْ بحبه كما يرتضي. فلا كتابَ ولا مدرسة ولا وعظ ولا أيَّ شيء من أمور العلم والمعرفة، يمكن أن يُزيدَك معرفة بالمسيح و يزيدَ معرفة المسيح لك، بقدر أن تحبَّه وأن تكون محبوباً عنده.

٣ ــ الراعي الصالح يضع نفسه عن الخراف:

١٠: ١٥ **«وأنا أضَعُ نفسي عن الخِرَافِ».**

هنا وضع النفس للموت، هو غايةٌ ونهايةٌ للتجسد. وهذا أيضاً بالنسبة للمحب الحقيقي ممكن جداً، ولائقٌ للغاية بالنسبة لحب المسيح الإلهي.

عاملان أساسيان كانا يعملان في «وضع» المسيح لنفسه، أي في موته من أجل خاصَّته الذين في العالم كله: الأول **الحب**، والثاني **الطاعة**. فالحبُّ كان يملأ كل كيان المسيح **«الإلهي البشري»**. كما أن الحب من نحو الآب أنْتَجَ طاعة مُذْعِنَة لمشيئة الآب من أجل خلاص العالم، جعل الموت الفدائي موضع سرور: «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب.» (عب١٢: ٢)

أما الحب من نحونا فكان مملوءاً مشاعرَ عميقة وقوية، لا يمكن لأي عقل بشري أو قلم كاتب أن يَصِفَها، عبَّر عنها بولس الرسول هكذا: «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، **وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبة**، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعُمْق والعُلو، **وتعرفوا محبة المسيح "الفائقة المعرفة" لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.**» (أف٣: ١٧ــ١٩)

أنظر أيها القارىء وتمعَّن الكلام جيداً: إن **المسيح إذ حلَّ في القلب بالحب، انطلقت المعرفة بلا قيود**، لتدركَ محبةَ المسيح لنا إدراكاً يفوق كل قوى العقل الطبيعي، إلى أن يبلغَ الإنسان إلى ملء الله أو الامتلاء بالله. **فالمحبة والمعرفة** هما مفتاحا سر الملء من الإلهيات، والمحبة هي الأساس. و يكفي أن نلمِّح للقارىء أن حالة الحب الإلهي الناضج، أي المسنود بالمعرفة، يسمَّى عند المتصوفين بـ**«الشهادة»**، أي أنها حالة رؤيا واستشهاد، فالشهادة مشاهدة تُنْتِج بَذْلاً، أي موتاً إرادياً عذباً. أما عند المسيح، فالحب يساوي الفداء تماماً. فالفداء الذي صنعه، استوفى الحبَّ الذي كان يملأ قلبه. وعلى القارىء أن يستجلي السر المدفون في هذه الآية: «أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت **لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد**

أحبَّ "خاصته الذين في العالم" أحبَّهم إلى المنتهى...» (يو١٣ : ١)

هذا التصوُّر الفريد من نوعه، أي تصوُّر الحب الذي يؤدي إلى الموت طواعيةً، سبق أن رآه زكريا النبي بكل دقائقه، إذ رأى من وراء الزمن هذه المعركة الأخيرة والمريرة بين المسيح الراعي الصالح وهو يحاجج رعاة إسرائيل الغشاشين، كهنةً وكتبةً وفرِّيسيين، إلى أن أعْيَتْ نفسه فيه، حتى تقيَّأهم، وأبادهم من خطة الخلاص التي أزمع أن يكملها لحساب الخراف المذلولة والمسحوقة. ونظر من بعيد، فرأى رؤساء الكهنة وهم يَزِنون الثلاثين من الفضة و يُسلِّمونها ليهوذا، كمندوب فوق العادة عن قتل المعلم:

«فرعيتُ غنم الذبح، لكنهم أذَلُّ الغنم... وأبَدْتُ الرعاة الثلاثة في شهر واحد(٣)، وضاقت نفسي بهم وكَرِهَتْني أيضاً نفْسُهم... فقلتُ لهم إن حَسُنَ في أعينكم فأعطوني أُجرتي وإلا فامتنعوا. فوَزَنُوا أُجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب: ألقها إلى الفخَّاري — **الثمن الكريم الذي ثمَّنوني به**» (زك١١: ٧و٨و١٢و١٣). وقد تم: «حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يُدعى يهوذا الإسخريوطي إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلِّمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه... حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم وردَّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا، أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحلُّ أن نلقيها في الخزانة **لأنها ثمن دم**. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخَّاري.» (مت٢٦: ١٤—١٦؛ مت٢٧: ٣—٧)

وهكذا مات الراعي الصالح على يد الرعاة الخونة واللصوص؛ ولكن كان موته لحياة الخراف.

٤ — الراعي الصالح لا يلتزم بحظيرة معينة:

١٠ : ١٦ **«ولي خراف أُخَرُ ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي وتكون رعيَّةٌ واحدة وراعٍ واحد».**(٤)

يلاحظ القارىء الصلة الجوهرية بين «أنا أضَعُ نفسي عن الخراف» وبين «لي خراف أُخَرُ

(٣) في حساب النبوات يُحسب أسبوع الأيام بسبع سنوات، فالثلاثين يوماً هي الثلاثين سنة التي انقضت بعد موت المسيح وقيامته إلى أن تم خراب أورشليم وحرق الهيكل وإبادة النظام الكهنوتي لليهود برعاته الثلاثة.

(٤) راجع شرحنا لهذه الآية في مفهوم الكنيسة في إنجيل يوحنا — المدخل ص٢٥٨.

ليست من هذه الحظيرة ينبغي (مستقبلاً) أن آتي بتلك أيضاً». فموت المسيح هو الذي سيوسّع من دائرة الرعية: «وأنا إنْ ارتفعتُ عن الأرض أجذبُ إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢). فالمسيح لا يَقْصِرُ رعايته الصالحة على حظيرة إسرائيل، سواء في فلسطين أو خارجها. وهذا هو نص نبوة رئيس الكهنة، التي قالها دون أن يدري مضمونها: «ولم يَقُلْ هذا من نفسه، بل إذْ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، تنبأ أن يسوع مزمعٌ أن يموت عن الأمّة؛ وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.» (يو١١: ٥١و٥٢)

ولقد مهّد ق. يوحنا لهذه الحقيقة في مطلع إنجيله: «كان النور الحقيقي، الذي ينير كل إنسان، آتياً إلى العالم» (يو١: ٩). وقد ألمَحَ المسيح إلى ذلك في قصة قائد المائة في إنجيل متى: «وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب و يتكئون مع إبراهيم وإسحق و يعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيُطرَحون إلى الظلمة الخارجية.» (مت٨: ١١و١٢)

و يلاحَظ أنه بالنسبة للخراف الأخر، لا يذكر الرب كلمة «حظيرة» أو «حظائر»، فهي خراف متفرقة في جميع أنحاء تلك الأرض، لا توحِّدهم عبادة سابقة؛ ولا يجمعهم ناموس ولا أرض.

«ينبغي أن آتي بتلك أيضاً»:

هنا يبدأ العمل بالنسبة للخراف الأخر بأن «يأتي» بها وليس «يجمعها»، فالرب يأتي بها إلى الآب أولاً بعمل دمه المسفوك عنه، وحينما يجمعها و يوحِّدها بالروح مع الآب، يجمعها و يوحِّدها معاً. فالوحدة المسيحية أو الوحدة الإيمانية أو الكنسية، يستحيل أن تتم في دائرة المجهود الإنساني، بل يتحتم و بالضرورة أن يتحد كل واحد وكل جماعة أو كنيسة بالله أولاً، بعمل الروح، وبعد ذلك يمكن وينبغي أن يتحد الكل معاً، حتى تصبح رعية واحدة لراعٍ واحد. والراعي الواحد يبقى دائماً وإلى الأبد هو الرب يسوع دون سواه، لأنه هو المُصالِح وليس آخر، وهو الوحيد الذي يجمع لأنه يجمع في شخصه؛ وليس في المبادىء أو القوانين، ثم هو الوحيد الذي يوحِّد بعمل روحه القدوس الذي يرفع الفوارق من كل نوع، سواء كانت فوارق لون أو جنس أو فكر أو ثقافة أو تقليد. و يكون معيار الواحد هو معيار الكل: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل٢: ٢٠)

«فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد»:

السمع هنا لا يزال يتعلق بالمثل، أي الخراف وصوت الراعي. فهي لا تتبع إلاَّ إذا ميَّزت

صوت الراعي وتعرّفت عليه. أما بالنسبة للرب وأخصّائه، فسماع صوته خبرة روحية ذات قيمة ومدلولات غنية يصعب على الفكر والقلم أن يجمعها في سطور.

فالإنسان خُلِقَ وله حاسة تمييز صوت الله، وهذا نسميه «**السماع**»، فالله كان يتكلم مع آدم وحواء، وكانا يسمعان صوت الله. وقبل الخطية كان السمع يلازمه الطاعة، ولما أخطآ لم يفقدا تمييز صوت الله: «فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت. فقال: **سمعتُ صوتك** في الجنة **فخَشِيتُ لأني عريان**، فاختبأت» (تك٣: ٩و١٠). وهكذا تحوّل السمع من «**سمع وطاعة**» إلى «**سمع وخوف**»، وهكذا ظل الإنسان الخاطىء يلازمه الخوف عند سماع صوت الله، إلى أن تعلّم كيف يتوب ويعود إلى الله. فصار صوت الله للتائب للبهجة والخلاص عِوَضَ الخشية والخوف. وتُعتبر خبرة التائب إلى الله من جهة سماع صوت الله وتمييزه، الركيزة الأُولى والعظمى في كل خبرات الإنسان على مدى حياته كلها، والتي على أساسها يبدأ يتعلم الفهم والحكمة، ويتدرب على قبول صوت المشورة الإلهية، و ينمو في تمييز صوت الله من درجة إلى درجة. فدرجة سماع صوت الله تتغير في شدتها ورِقَّتها ولُطفها وحنانها وحُبّها وقُربها من مستوى العبد الخاضع، إلى الابن، إلى الخادم الأمين، إلى النبي، إلى الملك، إلى الكاهن، إلى العروس، وكل درجة لها مسئوليتها. وهي تتعدد بتعدُّد الأشخاص، ولكن قد يحوزها إنسان واحد على مدى خبرات حياته.

ولكن أعجب درجات صوت الله، عموماً، هي درجة صوت المسيح التي تخترق كل الحواجز والمستحيلات. فالميت يسمعها ويستجيب لها ويقوم، سواء من موت الجسد كأليعازر، أو موت الخطية مثلي ومثلك، أو في اليوم الأخير حيث يكون صوت المسيح هو للقيامة العتيدة التي يتحرك لها كل مخلوق، الأموات والأحياء جميعاً بلا استثناء لقيامة الدينونة. ويعوزني الوقت والأذن التي تسمع لنتكلم عن صوت المسيح مع النفس التي دخلت معه بالتوبة في عهد حب أبدي، كيف يملأها فرحاً ونعيماً وسروراً، يفيض عليها من دسم السماء ويشرق عليها بالمراحم كل صباح، يزيِّنها بكل زينة الروح و يقودها في مراعٍ خضر، كما في المزمور (مز٢٣).

لقد جمع المسيح له رعية من كل لسان وشعب وأمة ـــ لأنه ذُبح واشتراها جميعاً ـــ ألوف ألوف وربوات ربوات مغتسلين بالدم، يقدمون له الخدمة و يَسْتَقون من نبع الحكمة. صوتهم بالفرح لا ينقطع عن التسبيح، يدوم على وجه كل الأرض بدوام مجرى الشمس!... وهكذا صارت بالحق رعية واحدة لراعٍ واحد، تسمع صوته، وتُسمعه صوتها، شهادة أبدية لصالح راعيها... أما إسرائيل فثقلت أذنه عن السمع، وتم فيهم القول: «إنه حسناً كلَّم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي قائلاً: اذهب إلى هذا الشعب وقُلْ **ستسمعون سمعاً ولا تفهمون**، وستنظرون نظراً ولا تبصرون. لأن قلب

هذا الشعب قد غَلُظ، و بآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها، لئلا يبصروا بأعينهم و يسمعوا بآذانهم و يفهموا بقلوبهم، و يرجعوا فأشفيهم. فليكن معلوماً عندكم أن **خلاص الله قد أُرسِل إلى الأمم وهم سيسمعون.**» (أع٢٨: ٢٥—٢٨)

«رعية واحدة وراعٍ واحد»:

قول الرب هنا مطابق حرفياً لنبوة حزقيال النبي: «**وأقيم عليها راعياً واحداً** فيرعاها، **عبدي داود هو يرعاها**، وهو يكون لها **راعياً**» (حز٣٤: ٢٣). وهكذا، فإن ما كان منذ الأزل وما صوَّره حزقيال بالرؤيا من وراء الزمن، تحقق في عمق التاريخ في شخص يسوع المسيح، الراعي الواحد.

و يلاحَظ أن الرب لم يذكر أنها تصير حظيرة واحدة، وكأنها أمة أو شعب محدد بحدود وقيود، وهذا يُحتَسب في المفهوم الكنسي غاية في الأهمية. فلا عودة إلى حظيرة إسرائيل، ولا شَرِكة في نظام تلك الحظيرة كأنه انضمام أو تهوُّد، ولكن هو اكتساب للأصل فقط، **وليس الفروع**، بمعنى اكتساب لكل مواعيد الله للآباء والأنبياء التي تحققت في شخص المسيح. فمن خلال المسيح وحده نستقي من نبع العهد القديم، **فهو الأصل** الذي تَصوَّر عليه العهد القديم كله بكل أمجاده: «أنا يسوع أرسلتُ ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن **الكنائس، أنا أصلُ وذُرِّية داود، كوكب الصبح المنير.**» (رؤ٢٢: ١٦)

وعلى هذا الأصل بُنِيَت **الكنائس،** ولم يقل هنا «كنيسة» بل «كنائس»، كنائس شعوب وكنائس دهور وأحقاب — ولا سيادة لكنيسة على كنيسة!! عن هذا الأصل الواحد الغني بالله والدسم بالنعمة يقول بولس الرسول: «وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين. وإن كان **الأصل مقدساً** (المسيح) **فكذلك الأغصان. فإن كان قد قُطِع بعض الأغصان** وأنت زيتونة برية **طُعِّمتَ فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها**... من أجل عدم الإيمان قُطِعتْ وأنت بالإيمان ثبتَّ. لا تستكبر بل خَفْ.» (رو١١: ١٦—٢٠)

فالمسيح هو الأصل «**أصل داود**»، أي أصل الوظيفة التي تعيَّن عليها داود كملكٍ ورئيسٍ وراعٍ ونبيٍّ للشعب. وكلمة «أصل» تجيء باليونانية «جذر» ῥίζα ، فإن كان جذر داود هو المسيح، فالمعنى أن داود كان يستمد من المسيح كل كيانه.

كذلك فالمسيح هو أصل ذرية داود، حيث «**ذرية**» تجيء باليونانية τὸ γένος وتفيد معنى الجنس أو غصن ينبت من الأصل shoot. فالمسيح هو الأصل الذي قام عليه داود هو وذريته، أي

امتداده. هذا هو "الشدّاي" (القدير)، "الأدوناي" (الرب)، "يهوه" (الله)، رب إبراهيم، وراعي إسرائيل وداود، المسيّا، ملك الدهور إلى الأبد.

وهنا لو نظرنا إلى المسيح كراعٍ واحد أي وحيد، فباعتباره أصل داود فهو وحده الذي يملك مراعي العهد القديم؛ وباعتباره هو ذُرِّيَّة داود، فعليه تقوم الرعاية إلى الأبد. والآن إذ طُعِّمتْ الكنائس على هذا الأصل، صارت تمتلك في **المسيح وحده** كل مراعي العهد القديم وامتدادها فيه إلى الأبد.

على هذا الأساس قامت العلاقات بين الأمم واليهود، لا على أساس ناموس وتعاليم ووصايا بحدّ ذاتها، بل على أساس المسيح نفسه ــ كفكر وخلاص وفداء وحياة ــ فكل ناموس في القديم يعترف بالمسيح ربًّا وإلهاً فهو عهد جديد، وكل تعاليم أو وصايا في العهد القديم تشهد للمسيح أنه رب وإله، فهي تعاليم ووصايا العهد الجديد.

وباختصار، نلقي شعاعاً من نور يوضِّح هذا القانون الإلهي: فإن إسرائيل في القديم كانت حياتها، وكان كيانها كله وبقاؤها متعلقاً بعلاقتها بالله ــ يهوه ــ، والآن قد استُعلن يهوه في المسيح. فكلُّ مَنْ لم يؤمنْ و يعترف بالمسيح من شعب إسرائيل، يكون قد فقد علاقته بالتالي مع الله يهوه. وكلُّ مَنْ آمن بالمسيح من الأمم بأنه هو «يهوه» المسيَّا الله الآتي بالجسد والمُستعلن للعالم ــ «الله ظهر في الجسد» (١تي٣:١٦)، يكون قد اكتسب بالتالي كل ميراث العهد القديم في شخص يسوع المسيح.

فالمسيحية ليست امتداداً لليهودية، ولكن المسيحية هي استعلان الله في شخص يسوع المسيح، لتكميل مقاصد الله وخطته الأزلية من أجل خلاص العالم الذي كانت إسرائيل مرحلة بدائية من مراحله الأُولى، والتي انتهت برفضها المسيح.

«رعية واحدة»:

كان هناك نزاع قديم بدأ منذ القرون الوسطى في الكنيسة الغربية ــ وقد تعدل فيما بعد ــ من جهة تغيير قراءة «رعية» ποιμήν إلى حظيرة αὐλή، بقصد جعل بابا روما هو **«الراعي الواحد»**، وكنيسة روما هي **«الحظيرة»** الواحدة للراعي الواحد، وللأسف فهذا بعينه هو الرجوع إلى الفكر اليهودي العنصري، حيث إسرائيل هي الحظيرة الأوحد ولا حظائر غيرها قط، فالأمم كلاب لا غنم!!

ولكنها جاءت في النسخة اليونانية وفي النسخ السريانية والمصرية هكذا: «رعية واحدة وراعٍ واحد» = μία ποίμνη εἷς ποιμήν .

ولكن الفولجاتا اللاتينية حصل فيها تعديل لتناسب الفكر البابوي الروماني(٥)، وذلك في بداية سنة ١٥٨٢م، وجعلوها قراءة مقدسة؟ غير قابلة للتغيير: «**حظيرة** واحدة لراعٍ واحد» **unum ovile unus pastor** . وللأسف أخذت عنها بعض الطبعات الأخرى. وكانت هذه القراءة المغلوطة سبباً في التأثير على فكر الكنيسة الرومانية إلى يومنا هذا.

والسؤال الذي بلا جواب هو: إن كانت الخراف الأُخَر التي سيجمعها المسيح من كل الشعوب والأمم لم تنشأ من أصل الحظيرة اليهودية في قليل أو كثير: «خراف أُخر **ليست من هذه الحظيرة**»، ولم يرتِّب لها الرب أن تنضم إلى الحظيرة اليهودية لتأخذ مبدأها من هناك، فقد قال: «ينبغي أن آتي بها»، ولم يقل أنه يجمعها إلى الحظيرة، بل جعلها رعية لا يجمعها إلاَّ شخصه المبارك في حظيرته السمائية، فكيف يمكن أو كيف يتصوَّر أحد أنْ يقوم في الرعية (من الخراف الأُخر) مَنْ يدَّعي هذا الحق، حتى أن تتبعه الخراف الأخرى أو تأخذ مبدأها ومنشأها منه؟ ثم فوق هذا وذاك هل «**الراعي الواحد**» الذي جمع الخراف استقال وسلَّم وظيفته لآخر؟ أم أنه يقيم رعاة كيفما يشاء ولا يميِّزهم عنده إلاَّ حساب الوكالة؟ ثم كلمة راعٍ «**واحد**»، هل كلمة «**الواحد**» هنا عددية أم أنها قرينة الابن «**الوحيد**» بل ونابعة من الله «**الواحد**»؟! فالراعي **الواحد** هنا ليس إنساناً هو كأحد الخراف، بل هو بكل المعايير إله! «وأنتم يا غنمي غنم مرعاي **أُناسٌ أنتم، أنا إلهكم** يقول السيد الرب.» (حز٣٤: ٣١)

وكأنه بالمَثَل الذي قاله المسيح، يريد الوحي الإلهي أن يصوِّر لنا المسيح بصورة شاملة وعجيبة، فهو الباب، وهو البواب، وهو الحظيرة الجديدة ــ إسرائيل الجديد ــ التي بلا حدود، وهو الراعي، والخراف هي من لحمه ومن عظامه!!! فالوحدة الشخصية معه القائمة على الخلاص الفردي وهبها المسيح لكل مَنْ يؤمن به و يأكله. وهذه الصورة الفردية الوحدوية لعلاقة الراعي الصالح بالرعية، أنهت على عهد احتكار الرعاة للغنم إلى الأبد.

---

[5] Westcott, *op. cit.,* pp. 155,162.

ثانياً: استعلان بنوة المسيح ومساواته للآب

(١٠: ١٧ـ ٣٩)

- «أنا والآب واحد.» (١٠: ٣٠)
- «لأني قلت إني ابن الله.» (١٠: ٣٦)

١٠: ١٧و١٨ **«لهذا يحبني الآبُ لأني أضعُ نفسي لآخُذَها أيضاً. ليس أحدٌ يأخُذُها مني بل أضعُها أنا من ذاتي. لي سلطانٌ أن أضعَها ولي سلطانٌ أن آخُذَها أيضاً. هذه الوصيَّةُ قبلتُها من أبي».** (٦)

هنا يلتفت المسيح نحو الآب ليقدِّم له ذبيحته، التي هي في الواقع ذبيحة حب، لتجد عند الآب ما يساويها. وإن كان هو يقدمها بحرية إرادته، إلا أنها أيضاً مُقَدَّمة في الطاعة المطلقة للآب، لأنها في الأصل هي استجابة لوصية الآب.

ولكن لكي يُبرز المسيح العنصر الإلهي في تقديم نفسه ذبيحة حسب الطاعة لوصية الآب، عاد وأوضح أنه لا يقدِّم نفسه جزافاً، كمَنْ يضيعها أو يفقدها برجاء التعويض، ولكنه قدَّمها قصداً ليَعْبُر بها الموت بكل أهواله وآلامه، وهو عالم أنه سيقيمها من الموت بسلطانه و بتأكيد الآب. فالذبيحة ليست ذبيحة للموت وحسب، بل هي ذبيحة «موت وقيامة» بحسب مضمون وصية الآب، أو بحسب اتفاق الآب والابن معاً، كخطَّة أزلية. لأن الابن وُضع عليه أن يخوض الموت بالجسد من أجل افتتاح طريق القيامة من الأموات ليقيم من الموت كل ذي جسد.

هنا لا ينبغي أن يغيب عن بالنا صورة المثل الذي وضعه المسيح من جهة الراعي والخراف والمرعى. فهنا يبلغ المسيح بنفسه حدَّ التفوق المطلق على مفهوم الراعي والرعية والمرعى. فالراعي في مفهوم المسيح هو القادر بإرادته وسلطانه وحده أن يموت من أجل الخراف، ويقوم من الأموات، ليقيم الرعية من الموت ويعطيها المرعى الذي بتذوُّقه لا تذوق الموت أبداً... هذا هو راعي الخلاص الأبدي.

(٦) يُقرأ هذا الفصل في الساعة الأولى من ليلة الخميس من البصخة المقدسة لِمَا جاء فيه من تصميم المسيح على بذل ذاته بمنتهى حريته طاعة للآب.

بهذا ينتقل المسيح ــ من داخل المثل الذي قاله ــ من صورة الراعي إلى حقيقته الأزلية أنه المخلِّص القادر أن يذهب وراء خروفه الضال حتى إلى أعماق الموت والهاوية، ليقيمه حيًّا، وليحيا أمامه إلى الأبد. ولتأكيد معنى اهتمام هذا الراعي العجيب بكل خروف على حدة يقول بولس الرسول: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة ــ يسوع ــ نراه مُكلَّلاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت **لكي يذوق** ــ بنعمة الله ــ **الموت لأجل "كل واحد".**» (عب٢: ٩)

إن الموت الذي كان يمثِّله الذئب، والذي كان يُرعب قلب الراعي والخراف معاً، لا يوجد له مكان في قلب المسيح. لقد افترس المسيح الموت والذئب معاً، وأعطى خرافه صكَّ الخلاص من موت، ووهبهم حقَّ الحياة الأبدية: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، و يعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.» (عب٢: ١٤و١٥)

١٠: ١٨ **«ليس أحد يأخذها مني، بل أضعُها أنا من ذاتي، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً، هذه الوصية قَبِلْتُها من أبي».**

عجيب حقاً أن يضع المسيح هذه المعادلة الصعبة في صورتها البسيطة المتناهية في البساطة. فهو يستعلن لنا سلطانه المطلق على الموت والحياة معاً، ثم يضع هذا السلطان في توافق مطلق أيضاً مع الآب. هنا جوهر اللاهوت حيٌّ ومتلألىء أمام عيوننا وقلوبنا. فالابن متساوٍ مع الآب في المفاعيل الذاتية للجوهر الإلهي، أي السلطان والقوة والمجد، لأن الآب والابن واحد في هذا الجوهر الإلهي المطلق، فكل ما للآب هو للابن، وما هو للابن هو للآب، **ليس على وجه التساوي بالمفهوم الحسابي الذي يفهم الثنائية في الجوهر، بل على وجه الوحدة المطلقة التي تلغي الثنائية في جوهر الله.**

على ضوء هذه الحقيقة اللاهوتية، يقول المسيح و يعلن عن سلطانه الفائق بالتالي على كل بشر وكل سلطان بني البشر: «ليس **أحدٌ** يأخذها مني، بل أضعها **أنا** من ذاتي...». المسيح هنا يتحدى كل قُوَى الظلام وكل قوى البشر المتعاهدة مع الظلام، المسيح يضع «أنا» ἐγώ إزاء أي أحد οὐδείς .

المسيح هنا يجعل موته «أضع حياتي» فعلاً إلهياً، يفوق أي تطاول شيطاني أو بشري. وقد عزَّز المسيح تأكيده هذا في مواقف عدة: «فخرج يسوع **وهو عالم بكل ما يأتي عليه،** وقال لهم:

مَنْ تطلبون، أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: **أنا هو**» (يو١٨: ٤و٥). وحينما جازف بيلاطس ليعلن سلطانه أمام المسيح بموته أو بإطلاقه، أنكر عليه المسيح هذا السلطان واستعلن هو سلطانه السامي الذي له أن يلغي أي سلطان آخر: «أما تكلمني؟ ألستَ تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟ أجاب يسوع: **لم يكن لك عليَّ سلطان البتة** لو لم تكن قد أُعطِيتَ من فوق» (يو١٩: ١٠و١١). وبهذا القول استعلن المسيح حريته المطلقة في اختيار الموت حسب مشورة الآب الأزلية. لذلك لم يكن صعباً عليه ولا ثقيلاً أن يحمل صليب العار والموت على كتفه: «فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع...» (يو١٩: ١٧). وفي اللحظة الحاسمة لاقتراب الموت، استقبله المسيح كمَنْ ينتظره وعلى رأسه إكليل الحياة والمجد: «فلما أخذ يسوع الخلَّ قال قد أُكمِل، ونكَّس رأسه، وأسْلَمَ الروح» (يو١٩: ٣٠). قالها وهو فاتح ذراعيه يُسْلِمُ الروح في يد الآب إلى حين...

«لي "سلطان" أن أضعها ولي "سلطان" أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قَبِلْتُها من أبي»:

لم يكن كافياً لعقول السامعين أن يعلن المسيح عن سلطانه في «أن أضعها من ذاتي»، لذلك أردف هذا السلطان ــ أي سلطان الموت الإرادي الذي يمكن أن يكون على مستوى البشر ــ بسلطان آخر ليس في طاقة البشر قط، وهو سلطان الإقامة من الموت! هنا يعزِّز المسيح موته كفعل إرادة إلهي غير منظور بفعل إرادة إلهي منظور ومحسوس، وهو القيامة، ليستعلن موته أنه فعل فداء وخلاص، وليبرِّىء موته من مفهوم الاضطرار أو الانهزام لقوى الظلام.

فقول الرب: «لي سلطان أن آخذها أيضاً» ــ الأمر الذي حقَّقه بالفعل ــ يستعلن فيه سلطانه على الموت، بمعنى أنه يأخذ الموت لنفسه عندما يشاء و يلقيه عنه كما يشاء. وهذا بعينه هو **«سلطان عدم الموت»** القائم والدائم في طبيعة الابن وجوهره الإلهي.

وإذا تعمقنا قليلاً في هذه الطبيعة الفائقة التي فيها يتساوى سلطان حرية الموت، مع سلطان حرية القيامة من الموت، لأدركنا أن **فعل الموت والقيامة هما حاضران معاً، كحدث واحد، في تدبير المسيح بدون اهتزاز ولا افتراق.** هذا السلطان على الموت والقيامة من الموت قَبِلَهُ المسيح من الآب، كوصية للتنفيذ لينفذه في ذاته لتكميل تدبير خطة الآب لخلاص العالم. ومن هذا **«السلطان»** عينه على الموت والإقامة من الموت ــ الذي نفَّذه المسيح الكلمة المتجسد في ذاته، حسب وصية الآب من أجل الإنسان، صار بالتالي للمسيح نفس **«هذا السلطان»** على إعطاء عبور الموت والقيامة ــ أي الميلاد الجديد السماوي ــ لكل مَنْ يؤمن به، «وأما كل الذين قَبِلُوه، فأعطاهم **"سلطاناً"** أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه، الذين وُلِدوا... من الله» (يو١:

١٢و١٣). **أي أنه نفَّذ هذا «السلطان» في نفسه ليعطيه للآخرين، إنما من خلال إخضاعه الموت والقيامة لنفسه أولاً!!**

«فسلطان» المسيح على إعطاء الحياة الأبدية للإنسان يستمده **من طبيعته، ومن وصية الآب،** ومن فعل ذبيحته التي جاز بها الموت وظفر بالحياة بالقيامة من الموت: «تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الآب قد أتت الساعة، مجِّد ابنك ليمجِّدك ابنك أيضاً، **إذ أعطيتَهُ "سلطاناً" على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل مَنْ أعطيته.»** (يو١٧: ١و٢)

أما بعد قيامته من الأموات، بعد أن داس الموت وأبطل سلطانه وأخضع كل سلاطين الظلمة تحت قدميه، أعلن لتلاميذه عن سلطانه المطلق هكذا: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: **دُفع إليَّ كل "سلطان"** في السماء وعلى الأرض.» (مت٢٨: ١٨)

ولكن لم يكن المسيح أبداً بدون هذا السلطان حتى قبل موته وقيامته، لأن هذا السلطان في طبيعته ـــ فقد أعلن بالقول والفعل عن **سلطانه** على مغفرة الخطايا (مت٩: ٦) **وسلطانه** على الدينونة (يو٥: ٢٧) **وسلطانه** على إعطاء الحياة (يو١٧: ٢) **وسلطانه** على القيامة من الموت (يو١٠: ١٨). لذلك، فإعلانه عن سلطانه المطلق في السماء وعلى الأرض لتلاميذه بعد القيامة (مت٢٨: ١٨)، لم يكن إلاَّ استعلاناً وتحقيقاً فعلياً لما كان ولما هو موجود ولكل ما سمعوه ورأوه من أقواله وأعماله، ولإعطائهم هذا **«السلطان باسمه»** على مغفرة الخطايا وإجراء المعمودية لقبول الميلاد الجديد.

وهنا يلزمنا أن نصالح بين الزمني والأبدي في أفعال المسيح من جهة موته وقيامته. فكلُّ ما صار إليه المسيح تحت الزمن والناموس، كان قائماً في العلم والمشيئة والإرادة الإلهية قبل إنشاء العالم. فكلُّ النبوات أعلنت ما سيكون قبل أن يكون، خاصة عن موته الخلاصي وقيامته المُحْيية. اسمع ما يقوله بولس الرسول حينما رفع عينيه فرأى ما هو قائم في نص الخطة الأزلية من جهة أسمائنا المكتوبة بين المخلَّصين قبل تأسيس العالم؟! «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.»** (أف١: ٣و٤)

أما ق. يوحنا فقد اطَّلع على السفر المكتوب فيه أسماء الخراف الناطقة المعيَّنين للحياة الأبدية: «فسيسجد له (للوحش) جميع الساكنين على الأرض، الذين ليست **أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف الذي ذُبح.»** (رؤ١٣: ٨)

كذلك، حينما خاطب المسيح الآب، فإنما كان يخاطبه كابن ليُسْمِعنا نحن عن سرِّ علاقته الأزلية بالآب، التي لم تتغير ولم تنقص ولم تزِدْ إلاَّ بما استلزمته مظاهر التجسد التي قَبِلَها الابن لحسابنا. فالمجد والحب وكل شيء بين الآب والابن انحجبت قليلاً بالتجسد، لتعود كما كانت بالقيامة من الأموات: «والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كَوْن العالم» (يو١٧: ٥)، «كلُّ ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي...» (يو١٧: ١٠)، «... لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم» (يو١٧: ٢٤). والمسيح ألمح إلى ذلك في لفتةٍ سريعة، إنما ذات عمق لانهائي بقوله: «فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً **إلى حيثُ كان أولاً...**» (يو٦: ٦٢). هنا يكشف المسيح عن سر كينونته الدائمة والأزلية مع الآب منذ البدء، عابراً على فعل تجسده وموته وقيامته على أنها إرسالية زمنية عابرة لغُرْبَة على الأرض، أكمل واجباتها حسب الوصية دون أن تحتجز أو تنتقص شيئاً من كيانه.

وسفر الرؤيا يعلن ذلك في اختصار شديد ورتابة مبدعة: «نعمة لكم وسلام من **الكائن** والذي **كان** والذي **يأتي...**» (رؤ١: ٤)، «**أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن** والذي **كان** والذي **يأتي** القادر على كل شيء.» (رؤ١: ٨)

وهكذا يتبين لنا من كل هذه الأقوال والنبوات، أن أعمال الله تقطع فراسخ الزمن في ومضة البرق وتطوي الأماكن والأجيال والخلائق وكل ما كان وما سيكون، في كلمة: «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية». والمسيح جاء ليكمِّل بالفعل الزمني ما كان كائناً وكاملاً في الحق الأبدي. أو باختصار أشد: إن كل أعمال الكلمة الابن المتجسد كانت جاهزة وحاضرة، بل ومكمَّلة أيضاً، لحظة مجيئه وظهوره، وذلك واضح في قوله: «**لي سلطان...**». وإن هذا السلطان هو «وصية **قَبِلْتُها من أبي**» وهي قائمة بالنبوة في انتظاره، «**لذلك عند دخوله إلى العالم** يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرِدْ ولكن هيَّأْتَ لي جسداً... ثم قلت **هأنذا أجيء**، في درج الكتاب **مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله.**» (عب١٠: ٥و٧)

١٠: ١٩-٢١ «فحدث أيضاً انشقاقٌ بين اليهودِ بسببِ هذا الكلامِ. فقال كثيرونَ منهم: به شيطانٌ وهو يَهذِي، لماذا تستمِعُون له؟ آخرون قالوا: ليس هذا كلامَ مَنْ به شيطانٌ. ألعلَّ شيطاناً يقدِرُ أن يفتحَ أعينَ العُميانِ؟».

وكما هي العادة، فبعد كل تعليم يقدمه المسيح، ينقسم السامعون إلى مُنَاقِضٍ فاقد الاتزان في النقد، وإلى مُدافِعٍ خائف متراجع عن إعلان إيمانه. كما أن الانقسام — كما رأينا سابقاً — إما

يكون بين الجموع، وهو تعبير عن عامة الشعب غير المتعلم: «فحدث انشقاقٌ في الجمع لسببه. وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه، ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه الأيادي» (يو٧: ٤٣و٤٤)؛ وإما يكون بين الفريسيين، وهي طبقة المتعلمين وحَفَظَةِ الناموس: «فقال قوم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت، آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطيء أن يعمل مثل هذه الآيات؟ وكان بينهم انشقاق» (يو٩: ١٦)؛ وإما أن يكونَ بين اليهود، وهو تعبير عام يشمل المتعلِّمين وغالباً من سكان أورشليم، كما جاء في الآية التي نحن بصددها.

وهذا الحكم المتهوِّر على تعاليم المسيح: «به شيطان وهو يهذي»، يوضح تغرُّب الأذن والقلب عند هؤلاء السامعين عن مستوى إدراك صوت الله وفهم مقاصده الإلهية. ونحن لا نستكثر عليهم هذه الجهالة والحماقة، فالتعاليم التي أسسوا عليها فكرهم وإيمانهم بلغت حدًّا من التفاهة، وذلك بالخوض في صغائر التخريجات الخرافية للوصايا والإنشغال بالأمور السياسية والدنيوية، حتى انطمست معالم الحكمة من قلوبهم فعميت بصائرهم عن رؤية الحق المُسْتعلَن لهم في المسيح قولاً وعملاً.

ولا تزال هذه الخطورة محدقة بالإيمان المسيحي حتى اليوم عندما يترك الرعاة جوهر الإيمان، والتمسك بمباديء الفداء والخلاص، والدعوة إلى التوبة وتسليم الحياة في سيرة القداسة والطهارة، و ينشغلون بالأمور الأخرى.

١٠: ٢٢ــ٢٤ «وكان عيدُ التجديدِ في أورشليمَ وكان شتاءٌ. وكان يسوعُ يتمشى في الهيكلِ في رواقِ سليمانَ. فاحتاط به اليهودُ وقالوا له إلى متى تعلِّقُ أنفسَنا؟ إن كُنْتَ أنتَ المسيحَ فَقُلْ لنا جَهْراً».

من جهة ما هو عيد التجديد، نرجو الرجوع للشرح في أول الأصحاح التاسع. أما من جهة المناسبة، فقد كان من أسلوب ق. يوحنا أن يذكر مناسبة الحديث، إما في بدء الكلام أو في نهايته. فحديث الراعي الصالح كان هو حديث عيد التجديد في أورشليم. كما يذكر ق. يوحنا أيضاً أن المسيح كان يتمشى في رواق سليمان لأن الوقت كان شتاء ــ وموسم أمطار ثقيلة ــ فكان الهيكل ورواق سليمان ملجأً للمعلم من البرد والمطر. ولو حسبنا التاريخ لوجدنا أن عيد التجديد الواقع في هذه السنة كان في ٢٥ من شهر كسلو اليهودي لسنة ٢٩م و يقابل الآن ١٩ ديسمبر.

أما المناسبة الأساسية التي تربط سؤال اليهود للمسيح بهذا العيد، فهو الرجاء الملتهب الذي

تثيره ذكريات هذا العيد في قلوب اليهود من جهة الخلاص السياسي من المستعمر والعبودية للسلطة الرومانية، كما عمل الله على يديْ يهوذا المكابي وهَزَمَ السوريين وطردهم من البلاد. والآن، قد ظنُّوا أن على يديْ المسيح أيضاً يتم الخلاص من عبودية الرومان، فكان هذا الإلحاح على المسيح لكي يكشف لهم عن شخصه، لأن أحاديث المسيح كلها كانت تمس الخلاص ولكن بنوع لم يفهموه، فتعلقت نفوسهم بين القبول والرفض. فأجابهم المسيح وكشف لهم، لا عن شخصه بل عن شخصهم، وكيف أنهم أخطأوا الرؤية والفهم، فهو هو المسيًّا ولكن ليس لهم، وهم اليهود ولكن ليسوا يهود الموعد.

«فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلِّق أنفسنا؟»:

هذا الوصف لا يمتُّ إلى شدة التعلق أو عن رغبة مُلحَّة للسماع، ولكن هي محاولة للضغط والإرهاب، فسؤال اليهود كان على مستوى التحقيق والإلزام النهائي بكشف السرِّ عن شخصيته؛ لأن المعروف عن المسيح أنه كان دائماً أبداً يتكلم بالأمثال مع الذين ليسوا من خاصَّته، مما أرهق فكرهم الضيق، فوجدوها الآن فرصة سانحة في هذا العيد أن يُلْزِمُوه بالإفصاح العلني عن شخصه. فهذا هو عيد الأنوار، وهو يقول: إنه هو «نور العالم» (٩ : ٥). وهذا عيد الحرية، وهو يقول: «إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (٨ : ٣٦). وهذا هو عيد تطهير الهيكل، وهو سبق أن تولَّى تطهيره بنفسه (٢ : ١٣ــ١٧). فلماذا إذن لا يحمل راية القائد المحرِّر؟

والآن على القارىء أن يتصور مدى تعلُّق أنفسهم فعلاً بكل كلام المسيح، ولكن لشدة الأسف كان ذلك على المستوى السياسي والوطني. كانوا على أتم استعداد لإعلان الثورة وحَمْله على الأعناق، وتقديم أجسادهم للذبح والحريق بلا أي تردد، ولكن وللأسف لم يكونوا مستعدين للتوبة عن خطاياهم أو إعلان تجديد حياتهم! أليس هذا حال الكثيرين من المتحمسين للكنيسة والدين حتى إلى سفك الدم، وهم غرباء عن الإنجيل، وغير مستعدين لقبول كلمة التوبة أو الخلاص؟

١٠ : ٢٥و٢٦ **«أجابهم يسوعُ: إني قلتُ لكم ولستم تؤمِنُونَ. الأعمالُ التي أنا أعمَلُها باسم أبي هي تشهَدُ لي. ولكنَّكُم لستم تؤمِنُونَ لأنكم لستم من خِرافي كما قلتُ لكم».**

«إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي»:

لم يكن كلام المسيح لهم إلاَّ اختباراً لإيمانهم. المسيح يتكلم بكلام هو بحدِّ ذاته نور وحق

وحياة؛ إذن فهو دينونة مريعة للذين يرفضونَ بلا عذر، ولكن إنْ قالوا إنَّ الكلام صعبٌ عليهم، فهوذا الأعمال تشهد لصدق القول وتحكم بصدق الدينونة. إذن، الكلام والأعمال هي بحدّ ذاتها تتكلم أن المسيح هو من عند الآب، وباسمه كل ما يقول ويعمل. إذن، فلا داعي أن «يقول جهراً» إنه المسيح، هذا متروك لهم هم أن يقولوه ويشهدوا له ويؤمنوا به: أليسوا هم معلمي إسرائيل؟ كيف لا يعرفون مسيحَ الكتب والأنبياء؟ لو كان رجاؤهم صحيحاً لعرفوا المسيح، ولكن رجاءهم مزيَّفٌ هو، ومعرفتهم غاشة صنعتها أهواؤهم ونسجها كبرياؤهم.

١٠: ٢٦ــ٣٠ **«ولكنكم لستم تؤمِنُونَ، لأنكم لستم من خِرافي كما قلتُ لكم. خِرافي تسمعُ صَوْتي وأنا أعرِفُها فتتبَعُني. وأنا أُعطيها حياةً أبديةً ولن تَهْلِكَ إلى الأبدِ، ولا يخطَفُها أحدٌ من يَدِي. أبي الذي أعطاني إيّاها هو أعظمُ من الكلّ، ولا يقدِرُ أحدٌ أن يخطفَ من يدِ أبي. أنا والآبُ واحِدٌ».**

المسيح هنا يكشف السبب الأساسي لإخفاقهم في معرفته وبالتالي عدم إيمانهم. **وما هو السبب الرئيسي في عدم إيمانهم؟** يقول الرب: إن خرافه تسمع صوته فتجري إليه، وهو أيضاً يعرف خرافه ويسير أمامها وهي تتبعه، وما معنى هذا؟

معناه، أن للإنسان أذناً روحية مُنحت له ووُضعت في تركيب كيانه ليسمع بها صوت الله. هذه الأذن الروحية إما تنشغل بصوت الله، وتتمرن على تمييزه فتتعرف عليه بسهولة، وتطيع مشوراته بدون حذر أو خوف أو شكوك، فتسير أمام الله بالكمال الروحي الذي يرضيه، «سر أمامي وكُنْ كاملاً» (تك١٧: ١)؛ وإما تنشغل بمشاغل الدنيا وتتلهى بها، إلى الدرجة التي تطمس معالم صوت الله، فلا يعود الإنسان ينشغل بصوت الله، بل يجد صعوبة في طاعته، وتتربى عنده حاسة العقل الشكّاك على قياس المعارف والمنطق الدنيوي الناقص، فيشكّ في كل إيحاءات الخير التي تصطدم بها أذناه، فيلقيها جانباً ريثما يتحقق منها، وهيهات إن تحقق، فإنها تتلاشى ولا تعود...

هؤلاء اليهود سلّموا آذانهم **لمجد الدنيا**، وإعلاء شأن **أرض الوطن، ومحبة المال** ــ أصل كل الشرور (١تي٦: ١٠) ــ **والتمسك بالحرف** القاتل، وفهم ميراث الآباء الروحي على أنه تركة تؤول من تلقاء ذاتها لأبناء الجسد؛ كل هذا أضْعَفَ حاسة سماع صوت الله في الأذن الروحية وازداد طنين العالم المادي فيها حتى أتْلَفَها... فلما ظهر الله بالجسد وتكلم معهم وجهاً لوجه أشد مما كلم الله موسى في القديم، لم يسمعوه على قياس أذن الآباء والأنبياء في القديم. ولما سمعوه لم

يفهموه، لأن قياس العطايا والمواهب الإلهية تلوثت عندهم بالتراب تلوُّثاً شديداً، ولم يعودوا يميِّزون بين السماويات والأرضيات. ولما سمعوه ولم يفهموه، لم يأتوا باللوم على أنفسهم، بل شتموه وأهانوه ورفعوا أيديهم عليه ليقتلوه مرات كثيرة. فقامت ضدهم القضية وتثبَّتت الدينونة عليهم؛ لأن منهم مَنْ سَمِع الصوت، وتعرَّف على الله، وأطاع، وتبع، هؤلاء هم بالحق أبناء الميراث وحَفَدَة الآباء والأنبياء، هؤلاء كانوا معروفين لله والمسيح منذ البدء منذ إنشاء العالم، أسماؤهم مكتوبة كنقش الحجارة على كفّ الله الآب منذ الدهر، هؤلاء هم بنو الله الحي، أبناء الملكوت، أهل بيت الله، خراف اليمين، أصدقاء العريس، ومدعوو العرس السماوي، ورثة العهد الأبدي، وأصحاب صهيون الجديدة: «وقالت صهيون: قد تَرَكَني الرب، وسيدي نسيني. هل تنسى المرأةُ رضيعَها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسَيْنَ وأنا لا أنساكِ. **هوذا على كفَّيَّ نقشتُكِ**. أسوارُكِ أمامي دائماً.» (إش٤٩: ١٤-١٦)

هؤلاء قد تثبَّتَتْ لهم الحياة الأبدية كميراث، كما بقسمٍ إلهي، ليس لأنهم عرفوا الرب وكأنهم اكتشفوه، بل لأنهم لما لم يريدوا أن يعرفوا سواه، أدركوا أنهم معروفون عنده، وبقي هو نصيبهم كما هو!! «نصيبي هو الرب قالت نفسي» (مرا٣: ٢٤)، «إلى مَنْ نذهب كلام الحياة الأبدية عندك.» (يو٦: ٦٨)

هؤلاء لم يحبُّوا الرب كأنهم أصحاب فضل، ولكن لأنهم لما «**لم يحبوا حياتهم حتى الموت**» (رؤ١٢: ١١)، انسكب روحُ الحياة وحبُّ الله في قلبهم، فصاروا أحياءً، أحباءً، ومحبوبين.

هؤلاء يقول الرب عنهم إنهم خراف الحياة الأبدية، فهي لن تهلك إلى الأبد، ليس لأنه حصَّنها ضد الهلاك، ولكن لأنها تحصَّنت بالرب ضد نفسها، فلا يُهلكُ النفسَ إلاَّ نفسُها... وهل الخراف الناطقة بالروح التي سمعت صوت الله وظفرت بالمسيرة خلف الراعي الصالح تخشى موارد الهلاك؟ «**أيضاً إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي**» (مز٢٣: ٤). وهل يستطيع الذئب أن يخطف نفساً أمسك بها الرب يسوع؟ فأن يُمسكَ الربُّ نفساً هو هو على المستوى اللاهوتي أن يتَّحد بها؛ وعلى المستوى الإنجيلي هي تصير من «**أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه**» (أف٥: ٣٠). وبعد هذا هل يمكن أن يخطفها أحدٌ من يده؟

الإعلان الأعظم عن سر الحياة والأمان المطلق لمختاري الله:

١٠: ٢٩و٣٠ **«أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظمُ من الكلّ، ولا يقدرُ أحدٌ أن يخطف من يَدِ أبي. أنا والآبُ واحِدٌ».**

المعنى سهل لو تتبعنا تداعي المعاني السابقة، فالفريسيون يدّعون السيادة على الشعب، بصفتهم رعاة استلموا الرعاية من آبائهم بمقتضى تلمذتهم لموسى والناموس الذي استلمه موسى بيد ملائكة. لكن المسيح يستعلن المصدر الذي استلم منه الرعاية، و بالتالي الخراف، فليس هو الآباء ولا موسى ولا الناموس من يد ملائكة، بل من الله مباشرة بصفته أباه «أبي»، والله بصفته أبا ربنا يسوع المسيح هو أعظم من الكل، أعظم من الآباء جميعاً ومن موسى ومن الملائكة ومن كل ما في السموات أو الأرض. والخراف المختارة هي في الحقيقة مِلْكُ الله وحده. والله، وإن كان قد استأمن الآباء والأنبياء والملوك قديماً — على خرافه، إلاَّ أنهم كانوا كلهم عبيداً أخطأوا، وزلّوا جميعاً على مستوى الخراف ذاتها. أما المسيح فقد أعطاه الآب الخراف عن جدارة بصفته الابن المحبوب القدوس والممجَّد والمساوي للآب. فانتقلت الخراف من يد الآب إلى يد الابن كما من المثيل إلى المثيل: «كانوا لك وأعطيتَهُم لي» (يو١٧: ٦). انتقَلَتْ من يد المالك إلى الفادي، ولو تمعن القارىء، لوجد **أن الفادي والمالك واحد**، لأن الفادي فدى خراف الآب الضالة بحياته، وإذ فداها بحياته يكون قد امتلكها، ولكنه بالنهاية امتلكها لحساب المالك: «وبعد ذلك... متى سَلَّم المُلْك لله الآب...» (١كو١٥: ٢٤). «أنا أظْهرتُ اسمك **للناس الذين أعطيتني من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لي... وكل ما هو لي فهو لك**، وما هو لك فهو لي...» (يو١٧: ٦و١٠)

«ولا يقدر أحدٌ أن يخطف من يد أبي»:

الذين فداهم المسيح، قدّسهم بالروح القدس، ثم قدّمهم للآب بالتالي لينالوا تقديس الآب كما نالوا تقديس الابن والروح القدس: **«لأن به** (بالمسيح) لنا كلينا (اليهود والأمم) قدوماً **في روح واحد إلى الآب»** (أف٢: ١٨). ثم يكمّل بولس الرسول ليوضح منتهى مشيئة الله من جهة مختاريه هكذا: «فلستم إذاً بعدُ غرباءَ ونُزُلاً، بل رعية (خراف) مع القديسين وأهل بيت الله» (أف٢: ١٩). فالذين كانوا ممسوكين بيد المسيح (متحدين)، ولم يستطِعْ أحدٌ أن يخطفهم من يد المسيح لأنه وضع حياته ثمناً لحياة كل خروف، وصاروا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه، هؤلاء صاروا بالتالي في يد الآب محفوظين مع القديسين، مختومين رعية الله الآب، محسوبين أهلاً في بيت الله. أما الذين هم في يد الآب فلم يَعُدْ يقدر أحد أن يخطفهم، ولا حتى الشيطان يستطيع أن يمسّهم، لأن **روح الله صار هو بذرة الحياة التي يحيونها في الله كأبناء**، أي **صاروا متحدين**

بالآب كما هم متحدون بالابن والروح القدس.

فالقديس يوحنا مهّد لهذا المعنى، من قبل، بقوله: «أما كلُّ الذين قَبِلوه (قَبِلوا المسيح) فأعطاهم سلطاناً (الروح القدس) أن يصيروا **أولاد الله**، أي المؤمنون باسمه (المسيح)، الذين **وُلِدوا** ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل **بل من الله**» (يو١: ١٢و١٣). ويكمل ق. يوحنا مفهوم «المولود من الله» هكذا: «كلُّ مَنْ هو مولودٌ من الله لا يفعل خطية، لأن زَرْعَه ــ **sperma** ــ (بذرة حياة الله) يَثْبُتُ فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولودٌ من الله...» (١يو٣: ٩)

ولكن، إذ يظهر من هذا أن هناك وعداً من الله بالحفظ الكامل والنهائي للذين قَبِلُوا المسيح وصاروا أولاد الله، يتحتم علينا أن نفرّق بين تأكيدات وعود الله النابعة والمتمشّية مع قدراته السرمدية اللانهائية من جهة، وبين ضعف الإنسان وتغيُّرات مشيئاته من جهة أخرى. فإذا سقط الإنسان من حياته الروحية في مرحلة من مراحل نموّه وتكامله، فهذا ليس قصوراً في عمل النعمة الإلهية، ولا هو بسبب طغيان الشر فوق ما يحتمل الإنسان، ولكن السبب والعلّة إنما هما في عدم استخدام الإنسان لعوامل النعمة المتعددة والموضوعة لخدمته، واستهانته بخديعة الخطية، **فالإنسان يستحيل أن يُحفَظ ضد نفسه رغم مشيئته!!!**

إذن، لماذا أعطى الله لنا هذه التأكيدات، وكأنها أسوار تحمينا حمايةً كلية وكاملة؟ السبب في ذلك غاية في العجب وغاية في القوة: وهو أنَّ من يتمسك بهذه التأكيدات الإلهية تمسُّكاً قويًّا بكل قلبه وفكره وقوته ومن كل نفسه، يفوز بعملها الكامل بلا نقصان، والقصص في ذلك كثيرة. لهذا يعطي ق. يوحنا تكميلاً لمفهوم الميلاد من الله وعمل بذرة **sperma** الله في كيان الإنسان إيجابياً من قِبَل استجابة الإنسان هكذا: «نعلم أنَّ كل مَنْ وُلد من الله لا يخطىء، بل المولود من الله "**يحفظ نفسه**"، والشرير لا يمسُّه» (١يو٥: ١٨). هنا «"بذرة" **sperma** الله» أثمرت **قوة في الإنسان**، يحفظ بها نفسه ضد إغراءات الخطية وسطوة الشر والشرير، إلى الدرجة التي فيها ــ في هذه القوة ــ لا يستطيع الشيطان أن يقترب إليه!! وهذا ما نسمعه كثيراً وكثيراً جداً في تاريخ حياة القديسين في كل جيل وفي كل أمة.

وهذا الكلام الذي يقوله الرب يسوع عن الأمان والعناية والرعاية معاً والحفظ في يد الله، هذه التي يطرحها كوثيقة من الآب نفسه ويضمنها المسيح بحياته للذين يتبعونه ويعيشون تحت رعايته، سبق أن عبَّر عنها الروح في العهد القديم كوعدٍ سيكون وقد كان: «أنتم شهودي يقول الرب،

وعَبْدِي، الذي اخترتُه، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي، وتفهموا **أني أنا هو**، قبلي لم يُصوَّر إِلَهٌ وبعدي لا يكون. **أنا أنا الربُّ وليس غيري مُخلِّص. أنا أَخْبَرْتُ وخلَّصتُ وأَعْلَمت** وليس بينكم غريب، وأنتم شهودي، يقول الرب، **وأنا الله. أيضاً من اليوم أنا هو ولا مُنْقِذَ من يدي، أفعل ومن يردُّ**» (إش٤٣: ١٠ــ١٣). وتوضيح ذلك، أن كلَّ الذين هم تحت رعاية المسيح، هم بالتالي تحت حماية الله نفسه كوعد... **لأن حماية الله الفائقة** المتساوية مع قدراته، **تضمنُها الآن علاقةُ المسيح بالآب.**

١٠: ٣٠ــ٣٣ **«أنا والآبُ واحِدٌ، فتناولَ اليهودُ أيضاً حجارةً ليرجُمُوهُ، أجابَهُم يسوعُ: أعمالاً كثيرةً حَسَنةً أريتُكُم من عندِ أبي بسببِ أيِّ عملٍ منها ترجُمُونني؟ أجابَهُ اليهودُ قائلينَ: لسنا نرجُمُكَ لأجلِ عملٍ حسنٍ بل لأجلِ تجديفٍ، فإنَّكَ وأنتَ إنسانٌ تجعلُ نفسَكَ إلهاً».**

كثير من المفسرين غير المستقيمي الفكر أرادوا أن يُضعفوا من فهم هذه الآية على أنها لا تختص بلاهوت المسيح ومساواته لله الآب. ولكن ردَّ فعل هذه الآية على أسماع وأفهام اليهود، وهم أقدر العلماء قاطبة في فهم وتحديد مفهوم الله، هو الذي يؤكد المعنى الذي قصده الرب يسوع: **«أنت تجدِّف»، «وأنت إنسان»، «أنت تجعل نفسك إلهاً»**. ولكن المسيح لا يجدِّف، ولا يجعل نفسه غير نفسه، **فهو إله**، وليس ذلك فقط، فقَوْلُ المسيح: «أنا والآب واحد»، يفوق ما تصوَّره اليهود أيضاً. **فهو** عندما قال: «أنا والآب واحد»، لا يقصد أن يعرِّف نفسه أنه إله وحسب، بل أراد أن يعرِّف ماهية نفسه بالنسبة لماهية الآب، حيث الـ «ماهية» هي الطبيعة، فالمسيح والآب طبيعة واحدة، ولكن لم يذكر المسيح كلمة الطبيعة ولكنه كان يعبِّر عنها في كل أحاديثه.

فالمسيح احتوى معنى الطبيعة الواحدة ــ أي الجوهر، أي الكيان اللاهوتي ــ الذي له كما هو للآب في معنى **الفداء الواحد** الذي أكمله المسيح بالعمل مع الآب، بالمشيئة، بالنسبة للخراف. فقوة الفداء غير منقسمة ولا متوزعة بالتساوي بين الآب والمسيح، بل هي قوة واحدة لله مشيئةً وعملاً. كذلك **الحب الواحد** كقوة فعّالة، لم يتنازل عنها الآب للابن من نحو الخراف، ولم تنقسم أو تتوزع أعمال الحب الواحد بين الآب والمسيح، بل المسيح أكمله تماماً ولا يزال يكمِّله مع الآب. فمحبة الله واحدة من نحو الأخصَّاء ــ الخراف ــ والآب يعبِّر عنها تعبيراً كلياً كما يعبِّر عنها المسيح تعبيراً كلياً. وهذا كان واضحاً تمام الوضوح، دون أي مفارقة أو تمييز بين الحفظ **في يد** المسيح والحفظ **في يد** الآب. فلا استطاعةَ لأحدٍ ما أن يخطفها من يد المسيح، كما لا استطاعة

لأحدٍ ما أن يخطفها من يد الآب. وهنا تعبير ضمني عن وحدة القوة الإلهية مع وحدة الحب الإلهي من نحو الخراف للآب كما للمسيح.

فإذا انتقلنا من وحدة قوى الجوهر الإلهي ـــ وهي القدرة اللانهائية والحب الأبدي للآب والابن ـــ إلى الأُبوَّة والبنُوَّة وهي صفة الجوهر الإلهي، نجد أن الآب والابن هما ذات واحدة (مع الروح القدس)، وشخصية معنوية واحدة (الله)، وكيان إلهي واحد: «أنا هو»، أزليٌّ لا بداية ولا نهاية له.

فقول المسيح: «أنا والآب واحد»، آية مانعة للخَلْطِ في الجوهر الإلهي، وهي محمَّلة بكل المعاني الإلهية، لأنها تشمل مفهوم وحدة قوى الجوهر، أي الطبيعة، ووحدة الذات أي الصفة الجوهرية، حيث لا يتبقى للتمييز بين الآب والابن إلاَّ صفة الأُبوَّة والبُنوَّة. فالآب ليس ابناً والابن ليس آباً، والأُبوَّة والبُنوَّة هما في الذات الواحدة لله. والذي يجعل هذه الآية معياراً لاهوتياً غنياً نستقي منه أعمق وأخصب، بل وأعزَّ المكاسب الروحية والخلاصية، هو أن الذي يقولها هو «**المسيح**»، الابن **متجسداً** ـــ أي الحامل جسد إنسان، فالتجسد هنا داخلٌ في الاعتبار، أي داخلٌ في التكوين المعنوي لقول المسيح: «**أنا والآب واحد**».

فإذا تنبهنا أن **البشرية المفديَّة**، أي الأعضاء الذين يؤمنون ويحبون ويحيون في الرب، **هم داخلون ومتحدون «بالجسد السري» الذي للمسيح**، لأدركنا كم تكون هذه الآية ذات اعتبار خطير وضمان وثيق لحياتنا الأبدية ورجائنا العتيد في المجد، كأبناء وورثة مع المسيح في الله، كقول بولس الرسول.

وفي النهاية، يلزم أن ننبِّه أن كل تماحُكٍ لإضعاف مفهوم هذه الآية: «أنا والآب واحد»، كأنْ ينسبَها البعض إلى واحدية أدبية أخلاقية أو روحية، يلزم أن نعترف في وجهه بشرح اليهود لهذه الآية، وهم المتعصبون لمفهوم لاهوت الله إلى أقصى حدود التعصب حتى إلى الرجم: «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل **تجديف**، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك **إلهاً**»، علماً بأن المسيح لم ينفي هذا المعنى الذي فهموه، الذي هو نفس القصد الذي قصده هو، بل زاده تأكيداً!!

ولا يفوتنا أن نعرف هنا، أن المسيح يكشف عن وحدة لاهوته مع الآب ليرفع من مستوى مفهومنا لمقدار الحفظ والأمان اللذين يتمتع بهما المؤمنون المتمسكون بالرب، فهما قائمان بضمان وحدة الابن والآب معاً. وهذا بحد ذاته هو قوة الله وقوة الرجاء في الخلاص الذي أكمله المسيح لنا.

١٠ : ٣٤ـــ٣٦ **«أجابهم يسوعُ: أليسَ مكتوباً في ناموسِكُم أنا قلتُ إنكم آلِهةٌ. إن قال آلِهةٌ لأولئك الذي صارت إليهم كلمةُ الله، ولا يمكنُ أن يُنقَضَ المكتوبُ، فالذي قدَّسَهُ الآبُ وأرسَلَه إلى العالم، أتقولونَ له إنكَ تجدِّف لأني قلتُ إني ابنُ الله».**

المسيح يستشهد بالمزمور الثاني والثمانين: «**الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي ... أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم**». فالوحي الإلهي هنا يُعطي صفة الآلهة للمجمع الذي يجتمع على أساس الحكم بكلمة الله. **فالذي أُعطي كلمة الله ليعيش وليحكم بها كمدعوٍّ من الله**، هو في الناموس اليهودي (ناموسكم) محسوب بصفة إله **من نحو الناس** من أجل كلمة الله؛ «ولا يأخذ أحد هذه **الوظيفة** بنفسه بل **المدعوُّ من الله** كما هرون أيضاً» (عب ٥ : ٤). وصفة إله أُطلقت أيضاً على موسى لأن **الله وضع كلمته في فمه يكلم بها هرون كأنها من الله**: «وهو يكلم الشعب عنك. وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً.» (خر ٤ : ١٦)

المسيح هنا يشير إشارة بالغة الخطورة إلى القيمة الإلهية للناموس، كعهد الله مع الإنسان، الذي لم يُنقض بالرغم من أن هؤلاء الناس (القضاة) الذين دُعُوا آلهة نقضوا الناموس وأهانوا الكلمة وأتعبوا قلب الله: «الله قائم ... في وسط الآلهة يقضي. **حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار ... لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشَّوْن. تتزعزع كل أسس (الحق) الأرض.** أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم. لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون. **قُمْ، يا الله، دِنْ الأرض، لأنك أنت تمتلك كل الأمم.**» (مز ٨٢ : ١ــ٨)

والإشارة هنا بليغة، تهدف إلى رفض هؤلاء القضاة الظَّلَمَة وإلى إسقاطهم من رتبتهم العالية، وهو تعبير عن نقض العهد القديم بقوله: «لكن مثل الناس تموتون»، بمعنى فُقْدان الصفة الإلهية التي كانت تؤهلهم للإتحاد بالله وبالتالي ميراث الحياة الأبدية؛ بل ويزيد على ذلك أن سقوطهم سيكون كسقوط الشيطان: «وكأحد الرؤساء تسقطون». وبنهاية سقوط حكمهم وقضائهم بالناموس، ينتهي العهد القديم، فيقوم الله ليدين ويملك على الأمم، والإشارة هنا للمسيح.

كذلك يلزم أن ننتبه إلى بقية الآية التي اختارها المسيح من المزمور: «أنا قلت إنكم **آلهة**»، لأن باقي الكلام «**وبنو العلي** كلكم»، وهذا يأتي حبكاً محكماً على تطبيق المسيح الكلام على نفسه: «أتقولون له إنك تجدف، لأني قلت **إني ابن الله؟**» فالتطبيق هنا يتم على جزئين:

الجزء الأول: «أنا قلتُ "إنكم **آلهة**"»، حيث التطبيق يأتي ردًّا على ادّعائهم أن كون المسيح

إلهاً يُعْتبر تجديفاً، في حين أن كل الذين صارت إليهم كلمة الله يُدْعَوْن في الناموس آلهة.

والتطبيق الثاني يأتي كتغطية إيجابية على قول المسيح أنه «**ابن الله**»، فلا عجب في ذلك إذا كان كلُّ مَنْ صارت إليهم كلمة الله دُعُوا في الناموس بني العليّ، وأبناءِ الله.

وقصد المسيح من طرح هذا الاقتباس من الناموس، وخاصة عند قوله: «ولا يمكن أن يُنقض المكتوب»، هو أن الناموس سَبَق ومهّد بالحق للأذهان إمكانية دعوة الإنسان في شخص يسوع المسيح لحمل صفة اللاهوت، كما أن هذه الدعوة نفسها أعطت الإنسان في شخص يسوع المسيح الإمكانية أن يكون هو ابن الله. هذا من جهة الفكر الناموسي. ولكن المسيح الآن يرتفع من هذا الفرض إلى الواقع، و يقدّم نفسه كإله وابن الله بالفعل، مبرهناً على صدق ذلك بأنه إنْ كان مجرد الذين صارت إليهم كلمة الله ليحكموا بها أو ليحكم هو (الكلمة) بهم، هكذا دُعُوا آلهة و بني العلي، فكم يكون بالحري الذي هو هو «**الكلمة**» ذاتها، الذي إذ أخذ جسداً قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، ليستعلن الله الآب، وليعطي الناس كلمة الله؟ فهل يُحسب مجدِّفاً إن قال: «**أنا ابن الله**»؟ أو إن قال: «**أنا والآب واحد**»؟

وفي الحقيقة، إن المقارنة هنا غير معقولة وغير متكافئة، و يقدمها المسيح تهكُّماً من عقولهم، لأنه إذا أردنا أن نوضح هذه المقارنة على حقيقتها تكون كالآتي: «كلمة الله»، وهو المسيح قبل التجسد، عندما أعطى رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين أن يحكموا بمقتضى إلهامه بحسب الحق، وهم لم يحكموا أبداً بالحق، دُعُوا آلهة و بني العلي، وهم لم يكونوا من القداسة في شيء. ولما جاء «كلمة الله» ذاته متجسداً، وهو المسيح، مقدّساً ومرسَلاً من الآب، وقال إنه ابن الله، قالوا له أنت تجدِّف. علماً بأن كلمة «قدّسه» تفيد التخصيص لعمل الله في العالم، والذي يتمحور حول خلاص الإنسان.

وعلينا أن ننتبه إلى العلاقة بين قول المسيح: «إني ابن الله»، وقوله السابق: «أنا والآب واحد»، وقول اليهود له: «وأنت إنسانٌ تجعل نفسك إلهاً»، فبهذه الإعلانات الثلاثة يقوم علم اللاهوت، فيما يختص بالمسيح في العهد الجديد، بكل امتداده من نحو الإنسان من جهة الإتحاد بالله والتبني.

فقول المسيح: «إني ابن الله»، هو تكميل لاهوتي مُحْكَم لقوله السابق: «أنا والآب واحد». هنا يكمل الإعلان أن الله آب وابن معاً، في وحدة ذاتية مطلقة لا تقربها الثنائية إطلاقاً، لا في

الجوهر ولا في الذاتية. كما أن شرح اليهود لمضمون معنى «أنا والآب واحد» بأن المسيح وهو إنسان (جعل) نفسه إلهاً — وموافقة المسيح على ذلك — يضيف «سر التجسد» داخل **وحدة** الآب والابن، وبالتالي يُدخل البشرية في سرِّ الله. وهنا كمال السر وكمال العجب.

ولكن العجيب حقاً أن تكون هذه الصورة اللاهوتية موجودة كاملة في العهد القديم بالذات: هذا المزمور الذي اختاره المسيح ليستعلن فيه نظرة الناموس كله من نحو لاهوته وبُنوَّته الفريدة، وبالتالي من نحو إتحاد الإنسان به؛ فقوله: «**أنا قلت إنكم آلهة**»، هذه عملية مثيلة لعملية الخلق ومكمِّلة لها: «**وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا**» (تك١ : ٢٦). ومن الاثنين يتضح أصالة تدبير الله من حيث قبول الإنسان للإتحاد بالله والحياة معه، ليس خلسةً، بل بقدر ما تنطبق الصورة على الأصل، لأنها لهذا خُلقت ولهذا عاشت، وإن ماتت فلكي تقوم وتزداد أصالة.

هذا هو روح الناموس وخلاصته، فالناموس في العهد القديم ليس كما يراه اليهود: أنه دعوة لإفراز الله بعيداً عن الإنسان بُعْداً مطلقاً، وتوحيده توحيداً مطلقاً، ضماناً لعدم مساسه بنجاسات فكر الإنسان؛ ولكن الناموس في حقيقته، وكما كشفه المسيح، على العكس تماماً، فالعهد القديم وكل الناموس يقوم على تقريب الإنسان إلى الله تقريباً شديداً جداً: «نعمل الإنسان **على صورتنا، كشبهنا**». ويظهر ذلك أكثر في محاولة الله من جهته لرفع الفوارق والحواجز التي تحرم الإنسان من الدخول في دائرة اختصاصات الله الخاصة جداً: «أنا قلتُ: إنكم آلهة».

هنا الله يمنح نفسه للإنسان بمقولة نافذة الفعل والمفعول تتخطى كل عجز الإنسان، لتُلْبِسَه تاج الألوهة بلا قيد ولا شرط، وعلى الإنسان أن يأخذ منه قدر ما يحتمل وقدر ما تطمع نفسه في سخاء حب الله، حيث أعطى المسيح لنا الصورة الأعلى والأعظم والمطلقة بلا حدود لكيف يحلُّ الله في الإنسان: «**الآب الحال فيَّ** هو يعمل الأعمال» (يو١٤ : ١٠)، «**فإن فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت** جسدياً، وأنتم مملوؤون فيه» (كو٢: ٩و١٠). ثم أليس في المسيح رُئيَ الإنسان إلهاً، أو على وجه الأصح رُئي الله في صورة الإنسان «الذي وُضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة» (عب٢ : ٩)؟ إذن، لم يكن عبثاً أن يقول الناموس «أنا قلتُ إنكم آلهة»، فالإشارة هادفة رأساً إلى المسيح، ومنه إلينا، فالوحي الإلهي هنا يخاطب الناس في المسيح!

ثم في قول الناموس: «وبنو العليِّ كلكم»، تظهر نتيجة عطاء الله لنفسه، كيف يشدُّ الإنسان ليرفعه من العبودية إلى التبني، فالذي يأخذه الإنسان من الله كفيلٌ — بحدّ ذاته — أن يمنحه حقَّ التبني. ولكن، وبطريق غير مباشر، يظهر الابن كوسيط لهذا التبني والتقرُّب إلى الآب. فالمسيح

الذي أخذ الآب لنفسه أخذاً كليًّا ومطلقاً، كابن وحيد لأبيه، أُعطِيَ أن يعطي لأحبائه قدر ما يشاء من ميراثه البَنَوي لأبيه. «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو٨: ١٦و١٧)

ولكن الناموس في العهد القديم قد أخفق في أن يعطي الناس الألوهة والبنوة للعلي التي نطق بها الله، التي كان يلزم أيضاً أن يرافقها عدم الموت، كما يقول المزمور: «ولكنكم مثل الناس **تموتون** وكأحد الرؤساء **تسقطون**». هنا يكشف الناموس عن عجزه، لأن الناموس في كُلّيَاته وجزئياته لم يكن إلاَّ **شِبْه السماويات وظلها**... كذلك لم يكن إلاَّ ليمهد **للحق الإلهي النازل من السماويات، النور الحقيقي** الذي ليس فيه ظل دوران، الذي له ملء الحياة، القائم والمقيم من الأموات، الواهب التبني لبني العلي، بضمان بنوته الإلهية القائمة في ذات الله منذ الأزل. لذلك، فإنه بالمسيح وحده يكمل الناموس، وفيه يتحقق وعد الله و يظفر الإنسان بكل المواعيد الصادقة والأمينة.

١٠: ٣٧و٣٨ **«إن كنتُ لستُ أعملُ أعمالَ أبي فلا تؤمِنُوا بي. ولكن إن كنتُ أعملُ، فإن لم تؤمِنُوا بي، فآمِنُوا بالأعمَالِ لكي تَعرِفُوا وتُؤمِنُوا أن الآبَ فيَّ وأنا فيهِ».**

الرب هنا ينتقل من الإقناع الفكري إلى الإقناع العملي، فيجعل أعماله التي يعملها بالآب هي القاعدة التي يبني عليها كيفية إدراك لاهوته. فهو يبدأ ببرهان العمل، و ينتهي بنتيجة أنه هو والآب واحد؛ وهذا على أساس أن يكون ماثلاً على الدوام في الأذهان أنه «مُرْسَلٌ» من الآب ليعمل أعمال الآب!! الأمر الذي أشار إليه: «فالذي قدّسه الآب **وأرسَلَهُ** إلى العالم...». الرب هنا يعتمد إمكانية رفض الإيمان بأقواله إذا لم تكن له أعمال الله الآب. وفي هذه الحالة يمكن رَفْضُ أقواله ــ باعتبار أنها غير صحيحة فرضاً ــ ولكن يتحتم أن يؤمنوا بأن الأعمال صحيحة، لأنها واضحة أمامهم وتشهد أنها بالله معمولة. وهنا لا يطلب المسيح ــ مبدئياً ــ **أن يؤمنوا به شخصياً** بل **أن يقبلوا صحة أعماله**، وهي حسب النص اليوناني واضحة، حيث تأتي بمعنى: «**إن كنتم لا تصدقونني، فصدقوا الأعمال**». وهي تأتي مُطَابِقَة لآية سابقة: «لو كنتم تُصدِّقون موسى، لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني» (يو٥: ٤٦)، وهي تأتي باللغة الإنجليزية واضحة بسبب الفرق بين «صدِّقني» = believe me، و بين «آمِنْ بي» = believe **in** me. فالمسيح يركِّز أساساً على الأعمال، و يطلب أن يقبلوها في حدّ ذاتها، فإذا قبلوها، فهي نفسها

تحمل الشهادة له، لأنها عُملت على أساس أنها آية تشير إلى أن الذي قام بتفتيح العين هو أعظم وأهم من العين ذاتها بلا نزاع.

فالمسيح له الحق منتهى الحق أن يجعل الآيات التي عملها علةً وسبباً مُلْزِماً لليهود أن يؤمنوا به، لأنها تفوق عمل أي بشر: «صدقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلاَّ فصدِّقوني لسبب الأعمال نفسها» (يو١٤: ١١)، ولكن إذا تمادَوْا في المقاومة ولم يصدقوا الأعمال أيضاً، فهذا يصير لهم سبب دينونة: «لو لم أكن قد عملتُ بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوْا وأبْغَضُوني أنا وأبي.» (يو١٥: ٢٤)

«فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا في الآب»:

الرب هنا يستخدم الأعمال للإقناع الفكري ثم للإيمان القلبي، وذلك بالنسبة للذين رفضوا استعلانه بالكلمة. وهنا يواجهنا في هذه الآية أربعة أفعال، كل فعل منها له أبعاده و يؤدي إلى الآخر حتى تبلغ الحقيقة الإلهية:

الفعل الأول: هو الأعمال التي عملها الرب، وهو الفعل الذي يحوي في أعماقه حقيقة صانعه. فأبعاد عمل الرب تحوي بالأساس عمل الآب وعمل الابن، و يلزم الإحساس بهما من داخل العمل، أي من قوة المعجزة المصنوعة. فتفتيح عين الأعمى هو بالأساس عمل الله، ما من ذلك شك على الإطلاق. والذي قام بالعمل هو المسيح علانية.

الفعل الثاني: هو تصديق العمل «آمنوا بالأعمال»، وفعل التصديق مستمد من صحة العمل المعمول. فالأعمى وُلد أعمى بشهادة أبويه، وهو الآن يبصر، فالتصديق أصبح حتميًا. ولكن التصديق بالآية المعمولة معناه مواجهة لتصديق صانع الآية من داخل الآية، أي مواجهة الله صاحب المشيئة والمسيح صاحب العمل الذي يعمل بحسب مشيئة الآب.

الفعل الثالث: هو «لكي تعرفوا». الفعل «تعرفوا» هنا جاء في اليونانية γνῶτε وأمامها ἵνα «لكي». المعرفة في هذا الفعل ليست معرفة سطحية عابرة، بل معرفة تؤدي إلى ما هو أكثر من معرفة، فالفعل هنا جاء بالمفهوم المَدْخَلي، أي معرفة تنتهي إلى معرفة. فإذا انتبهنا لقول المسيح: «فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا»، ندرك في الحال ماذا يريد المسيح. فتصديق الأعمال يؤدي حتماً «لكي ἵνα» إلى معرفة مستقرة ومتعمقة أو مستغرقة في الآية، لكشف قوتها وفهم مقاصدها وأهدافها، وتستمر هذه المعرفة تأخذ مجراها من كشف إلى كشف لكي تبلغ:

الفعل الرابع: «**تؤمنوا** πιστεύσητε». وفي الحقيقة جاء هذا النص هكذا في معظم المخطوطات اليونانية، فأضاعت عمق المعنى، ولكن في بعض الترجمات اللاتينية القديمة وبعض المخطوطات اليونانية ذات الحروف الكبيرة "uncials" جاءت γινώσκητε بمعنى الإدراك النهائي أو الاستقرار في المعرفة، وهذا مما جعل المخطوطات اليونانية تحوِّلها إلى «**تؤمنوا**» الذي هو الاستقرار الأخير في المعرفة، أو «**إيمان المعرفة**».

ولكن ما هو موضوع المعرفة المؤدية إلى الإيمان؟ هنا المسيح يستعلن نفسه: «إن الآب فيَّ وأنا في الآب»، كفاية ونهاية وكل مقصد الأعمال التي يعملها. والاستعلان ــ كالعادة ــ لا يأتي بصورة شخصية مفردة، بل بالنسبة للآب؛ ولا يأتي كمعلومة ليس لها برهان، بل ببرهان وقوة الآيات، فـ«الآب فيَّ» لأن العمل الإعجازي هو أصلاً عمل الله مائة بالمائة. وهذا بالتأكيد هو مسئولية «**المعرفة**» الفاحصة المستغرقة في الآية. و«أنا في الآب» لأني أنا الوحيد الذي عملتُ أعمالاً مثل هذه: «أعمالاً لم يعملْها أحدٌ غيري.» (يو١٥: ٢٤)

لذلك، أصبحت أعمال المسيح في حقيقتها استعلاناً ناطقاً لسرِّ وحدة العلاقة بين المسيح والله الآب. لهذا جعل المسيح الإيمان بأعماله هو المدخل لمعرفة مَنْ هو، بالنسبة لليهود المتشكِّكين الذين قالوا له: «إلى متى تُعلِّق أنفسنا، إن كنتَ أنت المسيح فقُلْ لنا جهراً».

ولكننا نرى أن المسيح أعلن نفسه بواسطة الكلمة فقط لتلاميذه الذين تركوا كل شيء وتبعوه، وليس بواسطة الأعمال، لأن «سِرَّ الرب لخائفيه» (مز٢٥: ١٤): «أنتم الآن أنقياء لسبب **الكلام الذي كلَّمتُكم به**» (يو١٥: ٣)، «**الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتُهم**، وهم قَبِلُوا وعلموا يقيناً أني خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتني.» (يو١٧: ٨)

فالرب يسوع المسيح مُسْتَعْلَنٌ بالكلمة بالنسبة لأحبائه: «الله... كلَّمنا... في ابنه» (عب١: ١). والذين يقبلون الكلمة في قلب صالح، هم الذين لهم آذان روحية للسمع، تدخلها الحياة الأبدية مع صوت ابن الله: «الحق الحق أقول لكم: إن مَنْ يسمع كلامي و يؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو٥: ٢٤). والذي ليست له أذن مفتوحة لسماع «الكلمة»، هيهات أن يؤمن: «لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي» (يو٨: ٤٣)، «الذي من الله يسمع كلام الله لذلك أنتم لستم تسمعون، لأنكم لستم من الله» (يو٨: ٤٧). أما الذي يطلب آية فهو الجيل الشرير، الذي لا يتبقى له إلاَّ خبر القيامة (راجع لو١١: ٢٩).

وأخيراً، فلينتبه القارىء، لأن المسيح هو «الكلمة». هكذا جاء، وهكذا تجسد، وهكذا استُعْلِن، وهذا هو إنجيل يوحنا كله. فالذي يمتلك الأذن الروحية، هو الذي له الطوبى، والقادر أن يتعرّف على المسيح «الكلمة» ويُقْبِلَ إليه: «قال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوْا.» (يو٢٠: ٢٩)

ولكن، فلينتبه القارىء أيضاً، فلا تعارضَ إطلاقاً بين «**الكلمة**» و«**الآية**»، **فالآية هي كلمة معمولة**، أو هي **فعلٌ**. والفعل هو الكلمة فعّالة. وليس أدلَّ على ذلك من الترجمة الفرنسية لمطلع إنجيل يوحنا: «في البدء كان الكلمة»، حيث تأتي: «في البدء كان الفعل...»:

''Au commencement était le Verbe''.

ويلاحظ هنا أن اليهود يطلبون «**الكلمة**»: «**قلْ لنا** إن كنت أنت المسيح»، ولكن حينما «**يتكلم**» المسيح ويعلن نفسه أنه هو المنُّ (الخبز) الحقيقي النازل من السماء، يطلبون منه «**آية**»: «أية آيةٍ تصنع لنرى ونؤمن بك؟» (٦: ٣٠). وفي هذا يتعجب عليهم ذهبي الفم بقوله:

[حينما تصرخ الأعمال عاليةً يطلبون منه قولاً؛ وحينما يعلِّم بالكلمة، فحينئذ ينسحبون ويطلبون الأعمال. وهكذا يقفون الموقف المعاكس] (على الآية ٣٠ من الأصحاح العاشر).

وفي رأي المسيح، فإن الأعمال تكفي كشهادة لليهود للإيمان به، وأما المؤمنون، فالكلمة تكفي لتكون لهم قاعدة للإيمان، ولا ينبغي أن يطلبوا معها آية ليزداد إيمانهم أو يثبت.

١٠: ٣٩ «**فطلبوا أيضاً أن يُمْسِكوهُ فخرجَ من أيديهم**».

عجبي على هؤلاء اليهود! كم مرة حاولوا هذه المحاولة الفاشلة، ولكن إلحاحهم على التخلُّص منه يعكس مدى الضيق الذي أَلَمَّ بهم بسبب الحق الظاهر في حياته وأعماله، والذي يوبِّخ ويدين حياتهم وأعمالهم. ولكن العجب الأكثر هو محاولتهم «**أن يمسكوه**»، مع أنه كان في التوِّ يقول لهم إن **لا أحد يقدر أن يخطف خروفاً واحداً من يده**. فبرهنوا على أنهم فعلاً يسمعون ولا يفهمون!! فهل استطاع الذئب الذي لم يقوَ على خطف الخروف من يد الراعي أن يضع يده على الراعي ويخطفه؟ لذلك يسخر منهم ق. يوحنا ويصف كيف انشلّت أيديهم، وخرج الرب ويدهم قابضة على الريح... مقارنة تحكي في صورة ساخرة بين أيديهم التي لم تقوَ على الإمساك به، ويده التي تمسك ولا أحد يخطف البتة. وأخيراً، صورة ملكية ذات جلال ووقار لله الآب وهو **ممسك** أيضاً بالابن، يقوده ويحفظه ولا يخطفه أحد ساعة الخطر: «أنا الرب قد دعوتُك بالبرِّ، فأُمسك

بيدك، وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمي لتُخرج من الحَبْس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.» (إش٤٢: ٦و٧)

ختام الأصحاح العاشر: اعتزال مؤقت في عبر الأُردن: (١٠: ٤٠ــ٤٢).

١٠: ٤٠ــ٤٢ **«ومَضى أيضاً إلى عَبْرِ الأُرْدُن إلى المكانِ الذي كان يُوحَنَّا يعمِّدُ فيهِ أولاً، ومكَثَ هناكَ. فأتى إليهِ كثيرونَ وقالوا: إن يوحنا لم يفعل آيةً واحدةً. ولكن كلُّ ما قالَهُ يوحنا عن هذا كان حقًّا. فآمَنَ كثيرونَ به هناكَ».**

هنا اهتم إنجيل يوحنا ــ في ختام روايته ــ أن يكمل عامل الأعمال في استعلان الرب والإيمان به، بعامل آخر اهتم به إنجيل يوحنا منذ أول مَطْلَعِه، وهو شهادة المعمدان التي لا زالت راسخة في أذهان الناس وأفواههم.

«كلُّ ما قاله يوحنا عن هذا (المسيح) كان حقاً»:

والتشديد هنا على «**كل**» وعلى «**حقاً**» من قِبَل الراوي وهو ق. يوحنا، ينبع أيضاً من شهادة ق. يوحنا ورؤيته وخبرته الشخصية. وهذه الشهادة تُعتَبَر في جملتها، سواء من شعب عَبْرِ الأُردن وهو بعيد عن مراكز العداوة للمسيح، أو من ق. يوحنا، تأتي كتاج على قمة رواية إنجيل يوحنا. كما أراد الإنجيل أن يضع في مقابل رفض أورشليم واليهودية الإيمان به، قبول أهل عَبْرِ الأُردن له والإيمان به. وبسبب ازدياد تهديد رؤساء الكهنة والفريسيين له، ترك اليهودية وانطلق إلى **عَبْرِ الأُردن**، وهي «بلاد بيرية» التي ذكرها إنجيل متى ١٩: ١، وإنجيل مرقس ١٠: ١.

ويفيد إنجيل القديس مرقس أن الجموع تقاطرت من كل الجهات تستمع إليه (١٠: ١)، وذلك بسبب شهادة المعمدان عن المسيح، والتي كانت لا تزال تملأ أسماعهم وقلوبهم. على أن عدم قدرة المعمدان على إتيان الآيات، أضافت أهمية كبيرة للمسيح، لأن الآيات التي صنعها أوضحت لهم شدة المفارقة بين «**النبي**» و«**المسيا**». وهذا بحدّ ذاته يراه إنجيل يوحنا سبباً مباشراً لإيمان «**الكثيرين به**». وهذا أيضاً هو ما يراه المسيح نفسه داعياً للإيمان به: «لو لم أكُنْ قد عملتُ بينهم أعمالاً **لم يعملْها أحد غيري**، لم تكن لهم خطية» (يو١٥: ٢٤). ومن هنا تتضح الحكمة الإلهية **أولاً** في تقييد عمل الآيات عند المعمدان إذ لم يكن لها داعٍ على الإطلاق؛ **وثانياً** في كثرة الآيات التي صنعها يسوع لتكون شاهداً له بحدّ ذاتها: «الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي.» (يو١٠: ٢٥)

وبإشارة غاية في الحكمة والإحكام، وتَنُمُّ عن نعمة زاخرة وإلهام، يختم ق. يوحنا خدمة الرب بأن ينتهي في التسجيل لها بالإشارة إلى حيث ابتدأ أولاً: «**المكان** الذي كان يوحنا **يعمِّد فيه أولاً**»، وهو عينه المكان الذي فيه أَخْضَعَ الرب نفسه للمعمودية تحت يد المعمدان ليبدأ خدمته بالصوم والتجربة. وق. يوحنا يتجاوز هنا ــ بأسلوبه السرِّي ــ مجرد الانتهاء من خدمة الرب إلى جوهر قوتها وغايتها ــ وهو الصليب ــ لأنه بقوله: «حيث كان يوحنا يعمِّد أولاً»، فهو يذكِّر ــ بغير تذكرة ــ قول المعمدان عن مضمون وجوهر خدمة الرب هذه: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩و٣٦). وهكذا ينتهي ق. يوحنا إلى الصليب من حيث ابتدأ به أولاً.

وليس ذلك فقط كل ما يحويه أسلوب ق. يوحنا السري البديع من ذكره هذا المكان: حيث ابتدأ المعمدان وابتدأ الرب، بل وحيث ابتدأ هو نفسه، أي ق. يوحنا، لأن هذا المكان يحمل الذكرى العطرة لمقابلته للرب هناك والانتقال من تلمذة المعمدان إلى تلمذة المسيح. فهذا المكان هو أيضاً الذي وُلِدَتْ فيه الشهادة للرب والإيمان به.

«فأتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة»:

هنا يتضح لنا كيف أن الناس البسطاء كانوا يُعَوِّلون على عمل الآيات في تزكية الرب، وطالما لم يتدخل رؤساء الكهنة والفريسيون، كان الإيمان بالمسيح سهلاً عليهم للغاية. ولكن تسجيل ق. يوحنا الإنجيلي لهذا القول كان في الحقيقة ذا إتجاهين:

الإتجاه الأول: كان ليرفع مستوى حرارة المقارنة بين المسيح والمعمدان إلى أقصاها، وذلك لكي يضع المعمدان أخيراً في حجمه الصحيح بالنسبة للرب.

أما الإتجاه الثاني: وهو الذي يأتي دائماً بصورة سرية وبديعة، فهو لتمهيد ذهن القارىء لاستقبالِ آخرِ وأعظمِ آية صنعها المسيح، والتي كان يعتبرها ق. يوحنا ذات مضمون لاهوتي وفريد للغاية، وهي آية إقامة لعازر من الموت، التي مهَّد بها الرب لاستعلان سلطانه على الموت، والحياة بالقيامة من الأموات، المزمع أن يتمثلها بجسده.

كذلك لنا في هذه الآية: «ومضى أيضاً إلى عَبْرِ الأُردن، إلى المكان الذي كان يوحنا يعمِّد فيه أولاً، ومكث هناك»، لنا في هذه الآية رأي خاص. فالمسيح هنا ذهب بمفرده، أو ربما مع ق. يوحنا الرسول، ولم يكن تلاميذه الآخرون معه، وهذا واضح غاية الوضوح. ولكن كان له في عَبْرِ الأُردن تلاميذٌ قدامى يُقال أن عددهم كان خمسة بحسب رواية بعض الرابيين اليهود في التلمود(٧)، وكان منهم توما، هؤلاء هم الذين رافقوه من بيت عنيا عَبْر الأُردن إلى بيت عنيا،

[7] A.M.Hunter, *The Gospel according to St. John*, p. 34.

لعازر ومرثا ومريم، حيث أقام المسيح لعازر من الموت. فلم يكن حاضراً هذه الآية من الإنجيليين إلاَّ ق. يوحنا. لذلك فهو الوحيد الذي سجَّلها كشاهد عيان، ولهذا سقطت هذه الآية من روايات الأناجيل الثلاثة الأخرى، كما سقطت معها حوادث خدمة الرب في عبر الأُردن لهذه المدة.

الأصحاح الحادي عشر

مكان البشارة
تاسعاً ــ في اليهودية
في بيت عنيا
(١١: ١ــ٥٣)

الأصحاح الحادي عشر

استعلان قوة المسيح المحيية والمقيمة من الموت

«أنا هو القيامة والحياة»

آية إقامة لعازر من الموت[١]

[أقَمْتَ الموتى مِنْ القبور، أقَمْتَ الطبيعة بالكلمة].
(القداس الغريغوري القبطي).

مقدمة عامة:

إقامة لعازر من الموت آية اختص بها إنجيل يوحنا بمفرده دون بقية الأناجيل الأخرى. ولكن الأناجيل الثلاثة تقدم ما يمكن اعتباره المقوّمات الأساسية للتركيب الإعجازي والتاريخي لهذه الآية:

فإنجيل القديس مرقس في الأصحاح الخامس (٢١ــ٤٣) يقدم الموازي الإعجازي وهو إقامة ابنة يايرس من الموت.

وإنجيل القديس لوقا في الأصحاح السابع (١١ــ١٧) يقدم المثيل الإعجازي أيضاً وهو إقامة ابن أرملة نايين.

وامتناع إنجيل ق. يوحنا عن ذكر هاتين الآيتين إنما ينبع من التقليد الذي يقوم على أساسه تدوين الإنجيل الرابع بجملته، وبعد ما يقرب من نصف قرن من تدوين أسفار العهد الجديد بأناجيله الثلاثة ورسائله، وهو تقديم آيات أخرى جديدة مختارة بنوع خاص، تكون على نفس

(١) إنجيل إقامة لعازر يُقرأ مرتين في السنة:
ــ في سبت لعازر قبل أسبوع الآلام مباشرة.
ــ وفي الأحد الرابع من شهر أبيب.

المستوى الإعجازي العالي، ولكن ذات اعتبار هام من جهة تدعيم الإيمان، وليس لمجرد السرد التاريخي، لتغطية سني حياة المسيح في الخدمة(٢). وهذا واضح غاية الوضوح من المنهج العام الذي اختطَّه ق. يوحنا في كتابة إنجيله ودوَّنه بنفسه في ختام الإنجيل: «وآيات أُخَرَ كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، حياة باسمه» (يو٢٠: ٣٠و٣١)؛ مما يؤكد لنا أن الأناجيل الثلاثة، بل والأربعة لم تستوفِ السرد الكامل لجميع الآيات التي صنعها الرب الأمر الذي لم يَفُتْ على إنجيل ق. يوحنا أن يسجله أيضاً: «وأشياءُ أُخَرُ كثيرة صنعها يسوع، إن كُتِبَت واحدة فواحدة، فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين.» (يو٢١: ٢٥)

كذلك لو لاحظنا الخط الفكري لإنجيل يوحنا في تدوينه للآيات الأخرى، نجده ينتقي الآيات ذات العناصر الخارقة لحدود الطبيعة والعقل لتخدم الغرض الأساسي من جهة الإيمان، مثل شفاء مريض بيت حسدا المشلول **لثماني وثلاثين سنة** (يو٥: ٥)، **وشفاء المولود أعمى من بطن أمه** (يو٩)، وفي الآية التي نحن بصددها إقامة لعازر من الموت ــ **وأيّ موت؟ بعد أربعة أيام في القبر**، وهذا هو العنصر الأساسي في الآية. وهكذا نرى أن آية إقامة لعازر من الموت تأتي في إنجيل يوحنا، وفي منهج كاتبه، متوافقة تماماً مع مستوى الآيات الأُخرى فيه.

القصد الأساسي من آية إقامة لعازر من الموت:

ينبغي أن نستبعد من إنجيل يوحنا ومن منهج كاتبه فكرة أنه يعرض لنا المسيح كصانع معجزات على أعلى مستوى؛ هذا خطأ. ولكنه، ومنذ مطلع إنجيله يودُّ أن يعرض لنا ــ وخاصة في هذه الآية ــ أن المسيح عنده الحياة الأبدية، وأن القيامة من الموت في حوزته وتحت سلطانه. ولكي يُلْفِتَ نظر إيماننا أنه حقاً صاحب سلطان على الموت في أعنف سطوته، ترك لعازر لأربعة أيام في القبر حتى استبد الموت بجسده، ومزَّق أوصال لحمه، وجمَّد دمه، وأنتن. وهنا صورة مصغَّرة ولكنها ذات ملامح متكاملة لقيامة الأجساد في اليوم الأخير. إذن، **فبإقامة لعازر من الموت هكذا بعد أربعة أيام في القبر، يُحضِرُنا المسيح ويوقفنا أمام القيامة في اليوم الأخير**؛ وعلى الوجه الأصح، يُحضرنا ويوقفنا أمامه باعتبار أنه هو هو القيامة وهو هو الحياة؛ الأمر الذي التبس على مرثا وصحَّحه لها المسيح: «قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير، قال لها يسوع أنا هو ἐγώ εἰμι القيامة والحياة» (يو١١: ٢٤و٢٥). هنا يظهر القصد الرئيسي من آية

(٢) راجع المدخل ص٦٢و٦٣: الغرض الأساسي من كتابة إنجيل يوحنا كما يراه ق. يوحنا نفسه، وأيضاً ص ٢٩٠ــ٢٩٣: الآيات في إنجيل ق. يوحنا.

إقامة لعازر من الموت. فالقيامة والحياة هما في المسيح، وعلينا أن نواجههما **الآن** وليس في اليوم الأخير، ولا حتى في يوم مماتنا، بل **الآن** لأن الآن هو في حوزتنا أما اليوم الأخير و يوم مماتنا فليسا في حوزتنا. و«الآن» في إنجيل يوحنا يعني «الآن»، والانتقال من الموت ونَتَنِ الموت إلى ملء الحياة هو أيضاً «الآن»: «الحق الحق أقول لكم إنَّ **من يسمع كلامي** و يؤمن بالذي أرسلني، **فله حياة** أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل **قد انتقل من الموت إلى الحياة**» (يو٥: ٢٤). ولكي يؤكد بل يزيد صحة مفهوم «الآن» يضيف المسيح مباشرة: «**الحق الحق** أقول لكم إنه **تأتي ساعة وهي الآن،** حين يسمع الأموات (بالخطية) صوت ابن الله والسامعون (التائبون) يحيون.» (يو٥: ٢٥)

والمسيح يطبِّق قوله من جهة سماع صوته «**الآن**» في القلب وقبول العفو من الدينونة، بالتوبة والاعتراف والحصول على الانتقال من الموت الأبدي بالخطية إلى الحياة الأبدية، يطبِّقه على ما سيحدث تماماً **في اليوم الأخير،** إذ عاد وقال نفس الكلمات، مع حذف كلمة «الآن»: «لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة (وهي ليست الآن) فيها يسمع جميع الذين **في القبور** صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو٥: ٢٨و٢٩). هنا ينطبق سماع الخطاة صوت ابن الله **الآن،** على سماع الأموات صوته **في اليوم الأخير** من جهة القيامة من الموت تمام الإنطباق، مما يؤكد، حتماً و بالضرورة، أن القيامة والحياة الأبدية يعملان فينا منذ الآن كاليوم الأخير تماماً. وهذا أيضاً هو نفس جوهر تعليم المسيح **من جهة أكل الجسد وشُرب الدم،** الذي يأتي بالتساوي في مقابل سماع صوت ابن الله الآن بالتوبة، وقبول الانتقال من الموت إلى الحياة، وفي اليوم الأخير، استجابة لنداء الدينونة الأخيرة للقيامة العامة: «مَنْ يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٥٤)

هذا المفهوم الإيماني هو جوهر القضية في آية إقامة لعازر من الموت. ولكن المسيح امتد بهذا الإيمان، ليزيده توضيحاً من وضع لعازر هكذا: «قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة. مَنْ آمن بي، ولو مات، فسيحيا» (يو١١: ٢٥). ثم بعد ذلك قال: «لعازر قُمْ»، فقام. والقصد هنا إعطاء النموذج التطبيقي لقدرة المسيح على الإقامة من الموت الجسدي، ليوضح نفس مستوى **قدرته على الإقامة من موت الخطية،** لكي يبرهن المسيح على أن قوة القيامة والحياة فيه هي واحدة بالنسبة للخطاة، ببرهان إقامة لعازر من الموت بعد أن أنتن. هذا من جهة قدرة المسيح، أما من جهة المسيح ذاته فواضح أنه وهو أمام قبر لعازر يبكي، ثم وهو يأمر الميت المنتن في القبر لأربعة أيام ــ ليقوم و يهبه الحياة، يكون قد حقق في شخصه ما هو للإنسان وما هو لله **بآن واحد** ــ دون

أي قصور أو تشاور! وأنه حقاً «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يو١٠: ١٨) فيما لنفسه، وأنه هو ديّان الأحياء والأموات.

العناصر التاريخية في الأناجيل الأخرى عن إقامة لعازر من الموت:

لقد رأينا أنه، وإن كان إنجيل يوحنا قد انفرد بهذه الآية، إلاّ أنها ليست غريبة عن مثيلاتها في الأناجيل الأخرى. والآن إذا دققنا وجدنا أن عناصر قصة هذه الآية بعينها قد وردت في الأناجيل الأخرى هكذا:

أ ــ مثل الرجل الغني و«لعازر» في إنجيل لوقا (١٦: ١٩ــ٣١):

ليس التشابه هنا مجرد ورود اسم «لعازر» الذي مات وانتقل إلى حضن إبراهيم، بل الكيفية التي انتهى بها المثل عندما طلب الغني الذي مات من إبراهيم أن يرسل لعازر ــ أي يقيمه من الموت ويرسله إلى بيت أبيه، ليشهد لهم بالقيامة والدينونة ــ فقال له إبراهيم: «إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون.» (لو١٦: ٣١)

واضح هنا أن ما سمعه القديس لوقا وسجّله في إنجيله عن «مَثَل» الغني ولعازر، هو الذي رآه ق. يوحنا وسجّله في إنجيله كشاهد عيان. فالمعجزة واحدة، القديس لوقا سجّل جانبها التصوّري التعليمي ــ بحسب مثل المسيح ــ عن الدينونة والقيامة والإيمان والتوبة؛ والقديس يوحنا سجّل وقائعها؛ ليعلّق بحسب الرؤية الواقعية على أن المسيح هو صاحب الدينونة والقيامة، وأساس التوبة والإيمان. فتسجيل الآيات في الأناجيل يعتمد على الغرض الذي من أجله اختار كل إنجيليّ آياته. وكملاحظة عامة، نجد أن الآيات التي صنعها المسيح في أورشليم وما حولها لم يسجلها الإنجيليون الثلاثة، بينما اهتم ق. يوحنا بتسجيلها أقصى اهتمام.

القصد التصوّري النهائي في ختام مَثَل لعازر والغني في إنجيل لوقا، يقدمه إنجيل يوحنا مطبّقاً تطبيقاً عملياً؛ فلعازر الفقير قام من الأموات فعلاً، ولكن لم يصدّق قيامته إخوة الغني الجشع، وهم الفريسيون، لأنهم لم يسمعوا لموسى والأنبياء، ولا صدّقوا مَنْ أقام لعازر من الأموات أمام عيونهم، ولا خافوا من الدينونة.

أما صحة قصة لعازر في إنجيل يوحنا، كونها آية قد حدثت ــ أو يمكن أن تحدث بالفعل، فهذا يتضح من قول المسيح لتلميذي المعمدان اللذين جاءا ليستفسرا من المسيح عن المسيح هل هو الآتي أم ينتظرون آخر؟ فكان ردّ المسيح عليهما: «فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما، أن العُمْي يبصرون، والعُرْج يمشون، والبُرْص يُطهَّرون، والصُمّ يسمعون،

والموتى يقومون، والمساكين يُبَشَّرون.» (لو٧: ٢٢)

ب ــ «مرثا ومريم» في إنجيل لوقا:

مَنْ يقرأ إنجيل لوقا (١٠: ٣٨ــ٤٢)، يسمع عن مرثا ومريم التي جلست عند قدمي الرب لأنها اختارت النصيب الصالح، وهما نفس الأختان المذكورتان في إنجيل يوحنا (١١). والمسيح هو في الإنجيلين ضيف الشرف.

ج ــ مريم بصفتها المرأة التي دهنت الرب بالطيب:

وتشترك الأناجيل الأربعة ــ في تقليد واحد ــ وهو توصيف **«مريم»** بالمرأة التي دهنت المسيح بطيب ناردين غالي الثمن ــ كانت قد حفظته عندها ــ ولم تعلم أنه كان بمثابة تكفين الجسد حسب قول الرب، وذلك في بيت سمعان الأبرص ــ الفريسي. وهذا التقليد مُحقَّق، لأنه وإن كانت الأناجيل الثلاثة لم تذكر مريم بالاسم بل ذكرتها باعتبارها المرأة التي دهنت المسيح بالطيب، إلاَّ أن إنجيل يوحنا انفرد عنهم جميعاً بأن ذكرها بالاسم، مما يوضِّح أن تقليد ق. يوحنا في إنجيله هو الأكثر مطابقة (أنظر يو١١: ٢؛ ١٢: ١ــ٨؛ مر١٤: ٣ــ٩؛ مت٢٦: ٦ــ١٣؛ لو٧: ٣٦ــ٣٩).

بهذا نرى أن التقليد الإنجيلي التاريخي العام يقف خلف مفردات قصة قيامة لعازر من الموت في إنجيل يوحنا، ليعطيها صحتها التقليدية والتاريخية معاً.

وآية إقامة لعازر من الموت هي بحسب ترتيبها في إنجيل يوحنا تكون هي الآية السابعة والأخيرة:

الآية الأُولى: تحويل الماء إلى خمر ــ الأصحاح الثاني.
الآية الثانية: شفاء ابن خادم الملك ــ الأصحاح الرابع.
الآية الثالثة: شفاء مشلول بيت حسدا بعد ٣٨ سنة ــ الأصحاح الخامس.
الآية الرابعة: إشباع الجموع من خمس خبزات وسمكتين ــ الأصحاح السادس.
الآية الخامسة: السير على الماء واسكات الريح والموج ــ الأصحاح السادس.
الآية السادسة: شفاء الأعمى المولود هكذا من بطن أُمه ــ الأصحاح التاسع.
الآية السابعة: إقامة لعازر من الموت بعد أربعة أيام في القبر ــ الأصحاح الحادي عشر.

و يلاحظ الباحث أن كلًا من الآية الأُولى والأخيرة صنعهما الرب في الوسط العائلي، **وبقصد**

اظهار مجده (٢:١١): «هذا المرض ليس للموت بل **لأجل مجد الله**، ليتمجد ابنُ الله به»، «ألم أقُلْ لكِ إن آمنتِ ترين **مجد الله**؟» (يو١١: ٤و٤٠) **ولتشديد الإيمان**: «وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك لتؤمنوا. ولكن لنذهب إليه.» (يو١١:١٥)

العناصر التاريخية داخل القصة:

الملامح الزائدة الحساسية الواردة في قصة إقامة لعازر من الموت، والتي تشير إلى حضور ق. يوحنا كشاهد عيان شديد الملاحظة دقيق التدوين، هي بحدّ ذاتها تزيد ثقل كفة الصدق التاريخي للرواية وهي:

- إبراز العلاقات الحميمة بين عائلة لعازر والمسيح (١١: ٥).
- تأخُّر المسيح عن الذهاب لبيت عنيا يومين عن قصد (١١: ٦).
- موقع قرية بيت عنيا بدقة (١١: ١٨).
- حضور اليهود (١١: ١٩).
- الرسالة السرية (١١: ٢٨).
- لقب المسيح المحبوب «المعلم» (١١: ٢٨).
- صمت يسوع (١١: ٣٠).
- انزعاج الرب لبكاء اليهود مع مريم (١١: ٣٣).
- سجود مريم أمام المسيح (١١: ٣٢).
- إظهار عواطف المسيح البشرية بحرية دون أي حذر (١١: ٣٣ و٣٥و٣٨).
- وصف هيئة لعازر عند ظهوره (١١: ٤٤).

القيمة اللاهوتية لآية إقامة لعازر من الموت:

لقد أصاب ق. يوحنا كثيراً في جعل آية لعازر ختاماً للآيات التي صنعها يسوع ولتعاليمه العامة جميعاً. فهو بهذه الآية، يجيب على جميع الأسئلة والاستفسارات التي كانت تتتابع وراء الحقائق التي أبرزها الإنجيل دون برهان أو توضيح: فالآن يتضح كيف أن المسيح هو «الكلمة» التي يسمعها الميت فيقوم من الأموات، وهو الله المتكلم الذي يُحيي من يشاء، وهو الذي يمكن أن يخلق كل شيء من العدم أو الموت؛ وكيف أن فيه الحياة، وأن الحياة هي نور الناس، وكيف أن النور أضاء في الظلمة، ثم كيف يولد الإنسان من جديد؟ وكيف أن الأموات يسمعون صوت المسيح ابن الله؟ وكيف يستطيع المسيح أن يعطي حياة للعالم؟ وكيف يمكن أن يقوم الأموات

بالجسد؟ بل كيف سيقوم المسيح من الموت بسلطانه وحده تحقيقاً لقوله: «لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يو١٠:١٨)؟ وكيف أن المسيح يبطل الموت و يقهر سلطانه؟ وأخيراً كيف يكون المسيح بالنسبة للعالم هو فعلاً الألف والياء البداية والنهاية؟

كل هذه الأسئلة يرد عليها كلُّ مَنْ يتعمق في هذه المعجزة التي صنعها الرب يسوع المسيح جهاراً أمام تلاميذه واليهود. وما عليك، أيها القارىء العزيز، إلاَّ أن تسير مع مفردات هذه المعجزة كأحد المشاهدين، وتتأمل الرب وهو واقف أمام قبر لعازر ومريم وأختها تبكيان، ومعهما اليهود والـمُـعَـزُّون يبكون، وصوت ابن الله — الكلمة — يدوِّي فجأة ليخترق ظلام القبر والهاو ية وحُجُب *العالم الآخر غير المنظور، كما يخترق النور حُجُب الظلام و يهتكها جميعاً، و يُصرعُ الموت في داره* ليقوم لعازر!! الهاو ية انشقت وخرجت منها روح لعازر، والمادة الميتة والمنتنة في القبر تقبلت رعشة الحياة، فوُلِدَ لعازر من رَحِم الحياة مرة أخرى، ووطىء الموت وقام من جديد!

كان المسيح — كما هو الإنسان المحبوب — واقفاً على باب القبر، وكلمته باعتباره ابن الله تزلزل أركان الهاو ية بسلطانها الإلهي، لترتعب لها سلاطين الظلمة والموت، فينفكَّ من أسرها أسيرُ محبة المسيح: «**سبى سبياً**، وأعطى الناس عطايا» (أف٤:٨)، ويخرج لعازر إلى الحياة بقوة الكلمة المحيية.

ثم — يا قارئي العزيز — مَنْ هو لعازر الحقيقي إلاَّ أنا وأنت الملفوف برُبُط الخطية التي أقعدَته عن حركة الروح وأسكنته صمت القبور إزاء تسابيح صهيون والأرواح المكمَّلة في المجد مع كل ملائكة الله؟ آذاننا إليك، يا ابن الله، بانتظار كلمة الحياة، «الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحُسْنى فلستُ أجد» (رو٧:١٨). ألستُ أنا ميِّتك؟ ليست لي مريم ولا مرثا ليبكوا عليَّ! وليس لي رسول يحمل رسالتي سرًّا إليك إلاَّ روحك القدوس — لا تتأخر كثيراً وتعالَ، نعم تعال سريعاً، قبل أن تعكِّر نتانتي صَفْوَ محبتك، قُلْ لمَنْ دحرج الحجر عن قبرك أن يدحرجه عني، قُلْ كلمتك وأوعزْ إلى ملائكتك أن «حلُّوه ودعوه يذهب...»(٣)

(٣) [السلام للعازر الذي أقامه بعد أربعة أيام
أقم قلبي يا ربي يسوع الذي قتله الشرير] (مرد إنجيل سبت لعازر).

القصـــة:

لعازر ومريم ومرثا وبيت عنيا: (١١: ١ـــ٢).

١:١١ «وكان إنسانٌ مريضاً وهو لِعَازَرُ من بَيْتِ عَنْيَا من قريةِ مريم ومرثا أختها».

شخصية لعازر غير واردة إلاَّ في إنجيل يوحنا. و يبدو أن صداقته للمسيح ومحبة المسيح له كانت عائلية، فلم يكن يتبع المسيح في ترحاله، ولكن كان المسيح يحط ترحاله في بيته ليجد راحة هناك. ولهذا يبدو أنه لم يكن معروفاً لدى بقية التلاميذ. لذلك نجد ق. يوحنا يضيف إليه صفة أخرى معروفة أو معلومة ثابتة تجعله معروفاً، وهي أنه من بيت عنيا وأنه أخو مريم ومرثا أختها. واسم لعازر هو مختصر «أليعازر»، ومعناه الحرفي «إيليْ عزار»، أي الله قد آزر أو أعان.

وقرية بيت عنيا هي قريبة من أورشليم على مسافة ١٥ غلوة، أي ما يساوي تقريباً ٢ كيلومتراً على الجهة الشرقية لجبل الزيتون، وهي المسافة المسموح بها للسفر يوم السبت عند اليهود، والقرية الآن مسمَّاة «ألعازاريا» نسبة لآية إقامة المسيح للعازر هناك. و يلاحَظ أنه توجد قرية أخرى مسماة بهذا الاسم عبر الأُردن والتي يُقال لها في بعض المخطوطات «بيت عبارا» (يو١: ٢٨). **وبيت عنيا** تعني بالعبرية «بيت العناء». وقد ذكرها سفر نحميا تحت اسم **«عننية»** (نح ١١: ٣٢).

«مريم ومرثا أختها»:

بحسب الشهرة الإنجيلية، تأتي مريم قبل مرثا، ولكن مرثا هي الأخت الكبرى. وهذان الاسمان كانا معروفين لدى الوسط الإنجيلي بين التلاميذ، وذكرهما القديس لوقا (١٠: ٣٨) في موضوع المحبة للمسيح باعتبارها هي الحاجة الوحيدة التي نحتاجها حقاً في هذه الدنيا. ولكن إنجيل القديسَيْن مرقس ومتى يُعرِّفان مريم بأنها «امرأة معها قارورة طيب» (مت٢٦: ٧)، ولكنهما عادا فسجَّلا لها ذكراها إلى الأبد في كل أنحاء الدنيا «الحق أقول لكم: حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها.» (مت٢٦: ١٣)

ولكن ق. يوحنا يختص الأختين بكثير من التعريف والعناية والملاحظة، مما يؤكد معرفته الشخصية لهما وللعازر أخيهما، وذلك بسبب تأثُّره الشديد بالمعجزة التي تمت لأخيهما.

٢:١١ **«وكانت مريمُ ــ التي كان لعازرُ أخوها مريضاً ــ هي التي دهنت الربَّ بطيبٍ ومَسَحت رجليه بشَعرِها».**

هنا تعريف مريم أنها هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها؛ وهذا العمل جاء بنصه في الأصحاح القادم (١٢: ٢و٣).

«**الطيب**» وجاء باليونانية μύρον و يعني العطر المستخرج من النباتات ذات الروائح الذكية، وكان يُستخدم إما نقيًّا وهو المعبَّر عنه بطيب «**خالص**» πιστική ، أو مخلوطاً بالزيت. وكان زيت الزيتون هو الزيت الوحيد المستخدم في صناعة الميرون و يُسمى ἔλαιον ، وكان يُستخدم أيضاً في دَهْن أعضاء الجسم وخاصة الرِجْلين بعد السفر الطويل.

والرب في قصة سمعان الفريسي (لو٧: ٤٦) يفرِّق بين الدهن «**بالزيت**» العادي والدهن بالميرون، وهو الزيت المعطَّر أو العِطْر الخالص: «بزيت لم تدهن رأسي وأما هي فقد دهنت بالطيب رجليَّ». والدَّهن بالزيت العادي يُعبَّر عنه في القديم باليونانية بالفعل ἀλείφω .

أما المسح بالزيت المقدس في العهد القديم فيسمى χρίω ، والعمل نفسه أي «**المسحة**» χρίειν ، وهما مُشتقاتٌ من χριστός . أما المسحة في أسفار العهد الجديد فهي عمل يتم بالروح القدس سرًّا و يسمى χρίσμα . والكنيسة القبطية تستخدم الميرون وزيت الغلاليون وزيت الزيتون البسيط مع صلوات لحضور الروح القدس في أنواع الخِدَم المقدسة المتعددة.

الرسالة الخاصة:

٣:١١ **«فأرسلت الأختانِ إليهِ قائلتينِ: يا سيدُ هوذا الذي تحبُّه مريضٌ».**

رسالة مختصرة تحمل معناها في مبناها، كمعلومة مقدَّمة إلى طبيب حاذق، تذكر الأعراض دون التدخل في شئون العلاج. وهذه هي من أروع الرسائل التي تُقدم إلى الله كصلاة، وهي نفس النموذج الذي قدمته القديسة مريم العذراء إلى الرب من أجل إسعاد ضيوف حفل زفاف عرس قانا الجليل. أما الطبيب فمُلْزَم بالعلاج، لأن الثمن مدفوع مقدماً وهو الحب المتبادل. وعن نوع هذه الطلبات المقدمة في الصلاة إلى المسيح والآب، يقول ق. يوحنا أنها معتمدة حال النطق بها، ولا يُعوز المتوسل إلاَّ انتظار التحقيق، وأيضاً يسجل ق. يوحنا هذه المعلومة الإلهية باختصار غاية في الروعة وغاية في اليقين: «وهذه هي الثقة التي لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا، وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا، **نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه.**» (١يو٥:

١٤و١٥)

والذي يلفت نظرنا في هذه الآية هو قول الأختين «الذي **تحبه**» حيث تأتي في اليونانية ὃν φιλεῖς . وهنا المعنى ينصبُّ على محبة **روحية خالصة** تعبيراً عن مودة العلاقات الشخصية والصداقة الشديدة الطبيعية، علماً بأنه لا يوجد في اليونانية كلمة «صديق»، وهذه الكلمة يحل محلها φίλος أي محب. وتأتي هذه الكلمة في إنجيل يوحنا ثلاث عشرة مرة، تعبيراً عن محبة الله الآب للابن، وعن محبة الله للذين يحبون ابنه، ومحبة المسيح لتلاميذه، ومحبة التلاميذ نحو المسيح. وتغيب هذه الكلمة من جميع رسائل يوحنا. أما محبة الأغابي ἀγαπᾶν فتنمُّ عن الثقة والتوقير والإعجاب، وهي محبة المشاعر، وتأتي نتيجة اختبار واختيار أخلاقي وحكم عقلي.

٤:١١ «فلما سَمِعَ يسوعُ قالَ: هذا المرضُ ليسَ للموتِ، بل لأجلِ مجدِ الله ليتمجّدَ ابنُ الله بهِ».

هنا رد فعل المسيح مطابق تماماً لرد الفعل على سؤال التلاميذ بالنسبة للمولود أعمى «**لتظهر أعمال الله فيه**» (يو٩: ٣)!! وهذا هو رد الله دائماً ــ ومنذ القديم ــ على كل نقص أو عوز أو ألم أو ضيق أو فقدان أو خسارة أو موت بالنسبة لأولاده. فهو أولاً وقبل كل شيء «**في كل ضيقهم تضايق**، وملاك حضرته خلّصهم» (إش٦٣: ٩)، وثانياً: «اذبح لله حمداً وأوفِ العليَّ نُذورَك. **وادْعُني في يوم الضيق أُنقِذْكَ فتمجّدني**» (مز٥٠: ١٤و١٥)، وثالثاً: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل.» (٢كو١٢: ٩)

ويلاحظ في الاصطلاح اليوناني:

οὐκ ἔστιν πρὸς θάνατον ἀλλ' ὑπὲρ τῆς δόξης τοῦ θεοῦ.

أن المعنى لا يفيد "من أجل مجد الله" ولكن ὑπέρ يفيد معنى ἵνα التي تعني «**لكي**». فهنا قصد الله حاضر، وليس مصادفة، فالله يقصد إعلان مجده بواسطة يسوع المسيح، بقصد أن يتمجد يسوع أيضاً، وبالنهاية لكي نرى ونؤمن. فالمرض **لا يتجه** πρός **نحو** الموت في قصد الله، ولكنه مقصود لإعلان مجد الله بالمسيح. ولكن لا يزال المعنى يمتد ليشمل استعلان مجد الله في المسيح نفسه، الذي سيمجده الله على نفس النمط بالقيامة من الموت.

كان هذا الرد على الرسالة المُرْسَلة من الأختين بمثابة تأشيرة في أسفل التذكرة الطبية مؤدّاها: [لا داعي للقلق، انتظروا مجد الله].

الرد مثير للإيمان، ومؤكِّد للرجاء، ومستجيبٌ للمحبة. وهذا هو رد الله دائماً، أقوى من أقوى رسالة تصل إلينا من خلال يأسنا ودموعنا واضمحلال رجائنا. وها نحن الآن عالمون تماماً أن الرب آنئذ كان عالماً تماماً بأنه قد مات فعلاً. لأنه حينما وصل الرب بيت عنيا كان لعازر له أربعة أيام في القبر، والرحلة من عَبْر الأُردن إلى بيت عنيا تستغرق يوماً واحداً، فإذا أُضيف إليها يومان تأخّرهما الرب، يكون لعازر ــ وقت أن بَلّغ الرسول رسالته ــ قد مات وله يوم كامل في القبر.

وهكذا فإن ما يراه الرب غير ما نرى نحن، دوافعنا ليست واقِعَهُ، ولو تركنا تقديراتنا لحساباته لجاءت النتائج جدّ مخالفة لظنوننا.

فالموت عندنا هو الموت، مهما أُعطيت له من المسمَّيات الملطّفة، فهو قاسٍ أقسى ما تكون القسوة على مشاعر الإنسان وأفكاره وحساباته. فهو يحطم الآمال، و يُنهي على الرجاء، ويخنق المحبة، و يكفي أن يصفه الروح على فم بولس الرسول أنه **«آخر عدو»** يتواجه معه الإنسان قبل الرحيل. ولكن كل هذه الأوصاف تتصفى كلها في مِصفاةِ رؤية الله وقدراته وإمكانيته، ليأخذ الموت عنده صفة الرقاد لا غير، حيث تكون اليقظة منه حتمية، ومعها بهجة القيامة لحياة ملؤها الحياة. وهذا الذي يراه الله لأحبائه، رآه المسيح وأجراه كنموذج أبقاه لنا على الأرض في قصة لعازر المحبوب، حتى لا يستبدّ بنا يأس الموت أبداً، فوراء آخر عدو، أعظمُ حبيب لنا. ذاك يُرْدِينا التراب، وهذا يُوْلِجُنا السماء.

حينما ترصّد الموت للعازر وأراد أن يسخر من رباط المحبة التي تربطه بالمسيح، ونوى أن يتعالى بقوته وسطوته فوق سلطان رب الحياة، و يثير الإنزعاج والرعبة في قلوب النسوة، و يطيح بهيبة المسيح أمام التلاميذ والمحبين، و يكفي للتدليل على ذلك قول اليهود: «ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت» (يو١١: ٣٧)؛ حينئذ أدرك ذلك كله المسيح من على بُعْدٍ، فأرخى الحبل للعدو ليصنع بفريسته كل ما أراد! وعقد الرب العزم أن يتمجد في لعازر من أجل نفسه والمحبين، فيستعلن للعالم قوة القيامة والحياة التي فيه، و يظفر بالموت في مَعْقِله، و يشق الهاوية، ويحطم قيود الموت، ليفكّ النفس علناً، و يقيم الجسد بالكلمة، و يُخرِجَ لعازر وسط هتاف **«المجد لله»**.

١١: ٥ــ٧ **«وكانَ يسوعُ يحبُّ مرثا وأختَها ولعازرَ، فلما سَمِعَ أنه مريضٌ مكثَ حينئذٍ في الموضعِ الذي كان فيه يومَين. ثم بعد ذلك قال لتلاميذِهِ: لنذهب إلى اليهوديةِ أيضاً»**.

محبة المسيح هذه العائلة تأتي بالكلمة أغابي « ἠγάπα » التي تنم عن الاختيار والأفضلية

الأخلاقية. وبهذا نفهم من هذه الكلمة، أن هذه العائلة اختارها المسيح لدخوله وخروجه بعد فحص ومراقبة، فارتاح إلى أفرادها **جميعاً،** فأحبهم جميعاً. وبالملاحظة نجد أن الفعل الذي استخدمته الأختان للتعبير عن محبة المسيح للعازر، جاء من الأصل φιλέω تعبيراً عن المودة الروحية أو **الصداقة** الخاصة والطبيعية. أما الكلمة التي عبَّر بها ق. يوحنا عن محبة المسيح للعائلة كلها فجاءت عن الأصل ἀγαπᾶν ، التي تعني أن المحبة تأتي بعد فحص عقلي ومعرفة وتقدير وحكم شخصي.

وهكذا، لك أيها القارىء العزيز، أن تدرك مقدار الدقة التي يسجل بها ق. يوحنا إنجيله، وليس الدقة فحسب، بل ومقدار المطابقة الشديدة الإحكام بين مشاعر كل شخص والكلام المسجَّل عنه، كلًّا على حدة، جملة جملة.

ولكن هذه الآية يصعب فهمها بحسب ترتيب الكلام الذي كُتبت به، إذ يَفهم منها القارىء لأول وهلة أن المسيح تأخر يومين **خصيصاً** وعن **قصد** لكي يصنع معجزة لعازر لأنه كان يحبه. ولكن بحسب الحساب الذي سبق أن أجريناه، فإنه حينما بلغ المسيحَ خبرُ مرض لعازر، كان لعازر في الحقيقة قد مات ودُفِنَ ليوم كامل، فلو كان قد تحرك في الحال لكان قد بلغ بيت عنيا ولعازر في القبر وله يومان، من هذا يتضح لنا أن تأخُّر الرب لم يكن عن قصد.

لذلك فإن ترتيب الكلام ينبغي أن يكون هكذا: [فلما سمع يسوع أن لعازر مريض قال لتلاميذه بعد أن مكث يومين في الموضع الذي كان فيه، لنذهب إلى اليهودية أيضاً، لأن يسوع كان يحب مرثا وأختها ولعازر].

أما حبه لمرثا فكان بحكم أنها كانت ـــ كما يبدو ـــ كبيرة العائلة، فكانت هي دائماً صاحبة الضيافة، وكانت شديدة العناية بخدمة الرب، وهذا يتضح في إنجيل القديس لوقا «وفيما هم سائرون دخل قرية، **فقَبِلَتْه امرأة اسمها مرثا في بيتها.** وكانت لهذه أختٌ تُدعَى مريم، التي جلست عند قدمي يسوع، وكانت تسمع كلامه، **وأما مرثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة.**» (لو١٠: ٣٨ـــ٤٠)

وأما محبة المسيح لمريم، فكانت بسبب كونها شديدة الإنتباه، تسمع كلامه بوعي وباتضاع، كتلميذة تركت كل شيء لتتبعه روحياً. وهذا العطاء النفسي والروحي يتضح أشد الوضوح من احتفاظها بكمية كبيرة من عِطْرِ الناردين النقي الكثير الثمن، لتضمِّخ به جسد المسيح المتعب، والذي حسبه لها المسيح بصفة التكفين.

أما حب المسيح لِلِعَازَر، فكان بشهادة الأختين حبّاً شخصيًّا ὃν φιλεῖς .

أما الموضع الذي مكث فيه الرب يومين فكان ــ إقليم بيريه ــ كما جاء في نهاية الأصحاح السابق، على جبال موآب.

أما لماذا مكث اليومين وهو يعلم أن البيت الذي يحبه قد اشتعل حزناً وغمًّا وعويلاً كثيراً، وهو بنيَّةٍ أن يرفع عنهم هذا الكرب الشديد، وقد عقد العزم على إقامة لعازر من الموت منذ أن بلغه الخبر، بدليل قوله: «هذا المرض ليس للموت... **لكنني أذهب لأُوقظه... وكان يسوع يقول عن موته**... فقال لهم يسوع علانية لعازر مات...»، سؤال لا يجيب عليه إلاّ سؤال آخر ــ أثار حيرة التلاميذ إلى حدّ الغضب ــ لماذا مكث المسيح نائماً في مؤخرة السفينة والرياح والأمواج تعصف بها حتى إلى حدّ الغرق؟ «وكان هو في المُؤخَّرِ على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له: يا معلِّم **أما يهمُّك** أننا نهلك» (مر٤: ٣٨). هنا ينبغي علينا أن لا ننسى أن المسيح كان يتصرف بين أحبائه وأعدائه كإنسان وإله معاً. فهو كان نائماً فعلاً ولكن حضرته الإلهية قائمة؛ كذلك كان المسيح بعيداً عن بيت عنيا على سفر يوم كامل، ولكنه كان حاضراً في بيت محبيه، وغيابه بالجسد لا يمنع عمله كإله. فهو الذي شفى ابن خادم الملك من الموت، وهو بعيد على سفر يوم كامل، بكلمة!

ولكن الرب أعلن لتلاميذه أن غيابه عن بيت عنيا، هو الذي آل إلى كل الحوادث التي صارت من مرض شديد وموت: «وأنا أفرح لأجلكم **أني لم أكُنْ هناك**، لتؤمنوا...»، وهذا تماماً كما تصوَّرته مرثا: «لو كنت ههنا لم يَمُتْ أخي». وهذا بحدّ ذاته صار فرصة جديدة لتلاميذه ليَروْا فيها الرب وهو يقيم لعازر من الموت، فيؤمنوا بالقيامة والحياة في المسيح. وهذا بعينه ما سيحدث بالرغم من الارتباك والحزن اللذين أصابا الأسرة المحبوبة، إلاّ أنه سيؤول إلى إيمان تلاميذه ومحبيه.

وهكذا وبنظرة متسعة، نرى أن تأخر الرب يومين عبر الأردن لم يغيِّر في الموقف إلى أسوأ بل ربما إلى أفضل. لهذا لم نَرَ الرب في عجلةٍ للعودة، كمَنْ تؤثر فيه الحوادث لاتخاذ عملٍ أو تحركٍ انفعالي تمليه عليه الظروف أو الحوادث. بل كان الرب يتحرك ــ **ولا يزال** ــ بحسب رؤيته الشاملة وسَبْق معرفته للأمور والحوادث. فعمل الله ينبع من مسرة مشيئته، ليُخْضِع كل شيء لإرادته. لهذا فكلُّ صمت من قبل الله إزاء إلحاحات توسلاتنا، إنما يخفي غرضاً أسمى!...

١١: ٧و٨ **«ثم بعد ذلك قالَ لتلاميذِه: لنذهبْ إلى اليهوديةِ أيضاً. قالَ له التلاميذُ: يا مُعلِّمُ، الآنَ كانَ اليهودُ يطلبونَ أن يرجموكَ، وتذهبُ أيضاً إلى هناكَ؟».**

يلاحَظ أن الربَّ لم يقل لنذهب إلى بيت عنيا، بل إلى **اليهودية** ـــ فعين الرب قد بدأت تتشبت على الصليب وعلى أورشليم ـــ، ومشيراً بذلك إلى أن الأرض التي هم ذاهبون إليها أرض عداوة. وكأنه هو الذي نبَّه ذهن التلاميذ إلى الخطر المخبَّأ في هذه الرحلة. علماً بأنهم كانوا في بيريه قد لقوا حفاوةً وإيماناً عند الكثيرين. فلما تنبه التلاميذ، عادوا هم وذكَّروه بما قد انتهى إليه هؤلاء الأعداء من تقرير رَجْمِه، وكأنهم يلوِّحون إليه بخطورة هذا القرار على حياته.

١١: ٩و١٠ **«أجاب يسوع أليست ساعاتُ النهارِ اثنتي عشرةَ. إن كان أحدٌ يمشي في النهارِ لا يعثُرُ، لأنه ينظُرُ نورَ هذا العالمِ، ولكن إن كانَ أحدٌ يمشي في الليلِ، يعثُرُ، لأن النورَ ليسَ فيهِ».**

وعلى مستوى أسلوب ق. يوحنا في فهمه وتسجيله لأقوال المسيح فالرد هنا يحمل معنيين: معنى ظاهر مؤدّاه أن على الإنسان أن يعمل طالما أن النهار قائم بنوره وساعاته، فقد وُضع على الإنسان أن يعمل ليغطِّي ساعات النهار الاثنتي عشرة جميعاً. والعمل هو على نمط المسيرة، فالسائر في النور وفي النهار لا يعثُر، أما إذا جازف وسار في عتمة الليل، أي في غياب النور، فالعثرة واردة. وهذا بعينه يراه المسيح أنه مأخوذ في الإعتبار بالنسبة له كما هو للتلاميذ.

ولكن المعنى الخفي متّجه رأساً نحو الصليب. فتخويف التلاميذ له غير لائق، ولا هو وارد في حساباته، فنهارُه بالنسبة للعالم لا يزال قائماً ولا يزال هو نوره، فساعته لم تتحدد بعد، وساعة أعدائه لا تزال على بُعْدٍ، وهي التي تمثل ظلمة هذا العالم بكل كثافتها وثقلها: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو٢٢: ٥٣). فهو إذن لا يزال يسير في وقته المحدد، ولم يدخل بَعْد في منطقة ليل العالم بعثراته وإعثاره. وقد أوضح المسيح ذلك لهم فيما بعد بأكثر وضوح: «فقال لهم يسوع: **النور معكم** زماناً قليلاً بَعْدُ، فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو١٢: ٣٥). أما بالنسبة للمسيح، فقد سبق وأن أوضح ذلك أيضاً فيما يخص عمله: «ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دمتُ في العالم فأنا نور العالم»[٤] (يو٩: ٤و٥)، مشيراً بذلك إلى ظلمة العالم القادمة، التي تمثل بالنسبة للمسيح الآلام والموت.

(٤) راجع شرح هذه الآية في موضعها (يو٩: ٥).

وبالنهاية نلتقط إشارة خفية من وراء هذه الآية، تفيد أن المسيح يريد أن يُطمئن التلاميذ أن يستبعدوا الموت أو العثرات طالما هم معه، لأنه هو نور العالم، وذلك بالنسبة لرحلته القادمة. فإن كانوا قد امتلكوا النور فكيف يخافون؟ لأن الخوف يكون حينما لا يكون «النور **فيهم**»(٥)، ولم يَقُل: «النور حولهم». وهنا ينكشف قصد المسيح من النور والظلمة والنهار والليل. فنهار الإنسان هو المسيح في القلب والفكر، وغياب المسيح من القلب (النور ليس فيهم) هو هو ليل الإنسان، الذي حتماً يكون متوازياً مع الخوف والموت، ومنفتحاً عليه. وإن كان الموت وارداً بالنسبة للمسيح ــ طالما أن وراء ساعات النهار الاثنتي عشرة ليلاً قادماً ــ إلاَّ أن الظلمة لن تدرك النور أبداً. ولكن التلميذ الذي تعوَّد أن يضع إصبعه في كل ثغرة، أدرك بحساسيته الحسابية الشكَّاكة، أن الخطورة لا بد مُحْدِقَة بهم من جراء هذه الرحلة. وله رأيٌ في ذلك سنقدِّمه في حينه.

١١ : ١١ــ١٣ «قال هذا، وبعد ذلك قال لهم: لعازرُ حبيبُنا قد نامَ، لكني أذهبُ لأُوقِظَهُ. فقال تلاميذُهُ: يا سيدُ إنْ كان قد نامَ فهو يُشفَى. وكان يسوعُ يقولُ عن موتِهِ، وهم ظنوا أنه يقولُ عن رقادِ النومِ».

الرب هنا يعبِّر عن العلاقة الروحية التي لا تزال قائمة بينه وبين لعازر، ويضمُّ التلاميذ معه فيها، وهي علاقة **الصداقة الروحية** " φίλος " لأن كلمة «حبيبنا» هنا تأتي في معنى الصداقة أكثر منها في الحب، وهي نفس الكلمة الواردة على فم المعمدان: «أما صديق " φίλος " العريس» (يو٣: ٢٩). كذلك هو نفس الاصطلاح الوارد في الآيات ١٣و١٤و١٥ من الأصحاح ١٥: «ليس لأحدٍ **حبٌّ** ἀγάπην أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل **أحبائه** φίλων ، ... أنتم **أحبائي** φίλοι إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أسميكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكني قد سمَّيتُكم **أحباءَ** φίλους ...». وهكذا نرى كيف أن اللغة اليونانية تجعل الصداقة الروحية على مستوى المحبة بنوع ما. ونرى أيضاً كيف قصَّرت اللغة العربية في التقاط هذه الفوارق الجوهرية في التعبيرات الروحية.

وينبغي أن نلاحظ أن المسيح أبقى على العلاقة الروحية التي على مستوى صداقة المحبة، كما هي، بعد موت لعازر؛ ما يشير أن نفس لعازر ظلت تتمتع بهذه الصداقة والمحبة الروحية في الموت،

(٥) الترجمة العربية للآية: «إن كان أحد يمشي في الليل يعثر، لأن النور **ليس فيه**» غير واضحة لأن كلمة «فيه» يمكن أن تعود على «الليل» أو على «الذي يمشي». ولكن في الأصل اليوناني «فيه» جاءت بالضمير المذكر ἐν αὐτῷ الذي لا يمكن أن يعود على «الليل» (مؤنث) بل يعود بكل وضوح على «الذي يمشي» (مذكر).

ليس مع المسيح فقط بل ومع التلاميذ. **وهذه هي حال النفس في العالم الآخر بالنسبة لألفة الجماعة هنا وهناك.** «لعازر حبيبنا **قد نام**، لكني أذهب **لأوقظه**.»

هذا الاصطلاح الجديد (تقريباً) الذي وضعه الرب للتعبير عن الموت بأنه مجرد **«نوم»**، هو نموذج لمعيار تفكير الرب وتعبيره عن الروحيات، و يتضح منه كيف يسعى المسيح لرفع مستوى الفكر البشري للتلامس مع الواقع الروحي الفائق على الطبيعة، وقد صار هو التعبير الطقسي الرسمي في الكنيسة في كل صلواتها ولكن بإضافة هامة: «فلان **رقد في الرب**»(٦) تعبيراً عن **«موت القيامة»**. لأنه طالما كان الموت في الإيمان بالمسيح، فإنه يكون مؤدياً إلى قيامة وحياة. لذلك، **فهو** مجرد رُقاد ــ حتى وإن طال زمنه ــ لأن الزمن غير محسوب بالنسبة للحياة بعد الموت.

[ليس موتٌ لعبيدك، بل هو انتقال] (القداس القبطي ــ أوشية الراقدين).

ولكن تأتي في العهد القديم: «رَقَد وانضم إلى آبائه» (أع١٣: ٣٦ راجع ١مل٢: ١٠) بمعنى الموت المقيم. وإن كان يحتج بعض النقاد أن هذا الاصطلاح كان مستخدماً عند الربيين وعند غير اليهود أيضاً؛ ولكن أن يقوله المسيح و ينطقه بروحه، فقد صار ذا معنى غير كلِّ ما كانت تعنيه الفئات الأخرى من يهودية ووثنية، خاصة وأن الرب أكمل ما يقول بالفعل. فإقامة لعازر من الموت كانت بمثابة اليقظة الجسدية العُظمى للإنسان، والتي لم يكن لها مثيل ولا مُشَابِه لرجل أنتن جسده في القبر لأربعة أيام، بعد لعنة الموت الدائم التي حلَّت عليه، توطئة ليقظة القيامة الروحية العتيدة أن تكون، وقد صارت بقيامة الرب من الموت.

فالمسيح الآن له هذا القدوم العظيم والمبارك، لإيقاظ النفوس التي غرقت في بحر الخطيئة وأخرجت نتن رائحتها ليَزْكم الأنوف: يأتيها المُبشِّر ببشرى الخلاص من ليلها الطويل: «يقول، استيقظ أيها النائم، وقُمْ من الأموات، فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤)، حيث يتلقَّفه صوت صاحب الرؤيا: «مباركٌ ومقدَّس "مَنْ" له نصيب في القيامة الأُولى، هؤلاء ليس للموت الثاني (موت الدينونة) سلطان عليهم.» (رؤ٢٠: ٦)

هذه هي القيامة الأُولى الروحية ــ الشخصية والفردية ــ من موت الخطية القاتل، التي هي بمثابة جواز الدخول إلى الأمجاد العليا عند استعلان القيامة الأخيرة العامة العتيدة أن تكون على كل العالم. وكما أن نوم الجسد هو محدَّد بالساعات؛ هكذا نومُ الموت فهو حتماً إلى ميعاد، وكما أن

(٦) راجع ١كو١٥: ١٨.

النفس تأخذ خبرة الأحلام، إن بأفراح أو بأحزانٍ هي شبه الحقيقة أثناء نوم الجسد؛ هكذا قد أعطي للنفس أن تأخذ خبرة الأفراح والأحزان الحقيقية ـــ كسَبْقِ تذوُّق للقيامة العامة ـــ أثناء نومِ الموت الطويل إلى أن تحين القيامة العامة لتعيش أفراحَها أو أحزانها الأبدية.

والصوت الذي أيقظ لعازر من نوم موت الأربعة الأيام، هو هو نفس الصوت الذي يسمعه جميع الذين في القبور، «فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو٥: ٢٩). والصوت هو صوت الله، ينطقه الابن بالسلطان الذي أعطي له أن يضع النفس ويأخذها أيضاً. وواهب الحياة هو وحده الذي يستطيع أن يُعيدها بأقوى وأشمل صورة، إذا تعدّى عليها الموت إلى حين. فالموت دائماً إلى زمن، والحياة دائماً إلى الأبد!... «لأني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩). وكلمة الله التي نطقت هذا هي حيّة وفعالة ...

١١: ١٢-١٤ **«فقال تلاميذُهُ يا سيدُ إن كان قد نامَ، فهو يُشْفَى. وكان يسوعُ يقول عن موتِهِ، وهم ظنوا أنه يقولُ عن رقادِ النومِ. فقال لهم يسوع حينئذٍ علانيةً: لعازرُ ماتَ».**

يلزمنا هنا الرجوع إلى اللغة اليونانية لندرك سبب هذا الالتباس عند التلاميذ. فكلمة نام κοιμάομαι في اليونانية تأتي بصيغتين:

الصيغة الأولى بمعنى رقاد الراحة κοίμησις، وتفيد بالتالي إمكانية الرقاد الثقيل بالمرض، كالحمى مثلاً، **أو الموت**، كما جاءت في مواضع كثيرة جداً في العهد الجديد؛ بل وتفيد أيضاً بصيغة التورية مكان رقاد راحة الموت، وهي الصيغة التي أخذتها اللغات الأخرى من الأصل اليوناني ـــ κοιμητήριον ـــ ولكن نطقتها كالآتي «cemetery» حيث قلبوا k إلى c، وهي مكان القبور وأصلاً نوم الراحة الطويل.

أما الصيغة الثانية فهي «النوم» بمعنى فقدان الوعي أو الشعور الوقتي، والذي يوضحه جداً تركيب هذه الصيغة ὕπνου، حيث مقطع νου يعني العقل، وὕπο = hypo يعني تحت أو دون. ولكن لم تأتِ كلمة ὕπνου قط بمعنى الموت، في حين أن كلمة κοιμᾶσθαι تأتي لتفيد معنى الموت في العهد الجديد(٧)، وقد تأتي أيضاً بمعنى النوم كراحة.

فالتلاميذ اعتبروا قول الرب أن لعازر κεκοίμηται رقد رقاد المرض كالحمى مثلاً. وهكذا،

(٧) ١تس٤: ١٣: «من جهة **الراقدين** لكي لا تحزنوا كالباقين».

فلا داعي أن يرتحل الرب والتلاميذ معه هذه الرحلة الخطرة التي تحمل في طيّاتها شبح الموت للمعلم ولهم، فالذي رقد للمرض فهو يُشْفَى. ولكن «يُشْفَى» σωθήσεται جاءت في اليونانية بلغة التلاميذ بقصد «**يتعافى**» أو **يعود صحيحاً**، وهذا هو المعنى الذي أخذت به في اللغة الإنجليزية he will get well؛ ولكن بالمعنى الأكثر شمولاً فهي تأتي بمعنى «يخلُص» (سوتيس باليونانية). وهنا تنفذ اللغة السرية لإنجيل يوحنا لتبلغ — دون أن يقصد التلاميذ — إلى معنى الخلاص الحقيقي بالقيامة.

ثم يعود إنجيل يوحنا ليفسر أن التلاميذ ظنوا أن المسيح يتكلم عن «**رقاد النوم**»، أو راحة النوم، على وجه الأصح، وهنا ضمَّ الإنجيل الرقاد إلى النوم الخفيف κοιμήσεως τοῦ ὕπνου ، حيث استبعد التلاميذ رقاد الموت. وتضيف الآيات: لكن «كان يسوع يقول عن موته περὶ τοῦ θανάτου »، وهنا يكشف ق. يوحنا بوضوح عن لغة المسيح الفائقة للطبيعة وللفكر العادي حينما قال عن الموت أنه نوم.

١١ : ١٤–١٦ **«فقال لهم يسوعُ حينئذٍ علانيةً: لعازرُ ماتَ، وأنا أفرحُ لأجلِكُم أني لم أكُنْ هناكَ لتؤمنوا؛ ولكن لنذهب إليه. فقال توما، الذي يقالُ له التوأمُ، للتلاميذِ رفقائِهِ: لنذهب نحن أيضاً لكي نموتَ معه».**

قول ق. يوحنا هنا أن المسيح عاد وابتدأ يتكلم "علانية" أي بدون تورية. والتورية التي تكلم بها الرب سابقاً هي أسلوبه الخفي — الرمزي — والفائق عن الطبيعة والفكر المادي، الذي يصيب المعنى الروحي أكثر مما يفيد المعنى الظاهري العادي. فقول الرب سابقاً: «لعازر ... **نام** لكني أذهب **لأُوقظه**» أرْبَكَ التلاميذ، لأنه استخدم كلمة **النوم** التي تفيد إما معنى **الموت** أو معنى الرقاد للراحة، مع كلمة **اليقظة** « ἐξυπνίσω » التي تفيد الاستيقاظ من النوم العادي. ولكن هنا كلمة «علانية» παρρησίᾳ تفيد الوضوح وبلا خوف، حيث تخلى الرب — مؤقتاً — عن المعنى الروحي من رقاد النوم بما يفيد إمكان اليقظة أو القيامة منه. علماً بأن الفعل المستخدم في «لعازر **قد نام** κεκοίμηται وأنا أذهب لأُوقظه» جاء في زمن المضارع التام perfect وهو يفيد حالة دوام النوم التي تحتمل التوقف واليقظة، أما الفعل المستخدم هنا «لعازر **مات**» ἀπέθανεν فقد جاء في زمن الماضي البسيط aorist وهو يفيد الوصول إلى نقطة تغيُّر مفاجيء قاطعة.

وذِكْرُ استخدام المسيح لهذه التورية لا يقتصر على إنجيل يوحنا، ففي إنجيل القديس مرقس في

الأصحاح الخامس عدد ٣٩، نجد المسيح يستخدم نفس الأسلوب في نفس الموقف و بنفس المعنى: «فدخل وقال لهم لماذا تضجُّون وتبكُون، لم تَمُتْ الصبية ولكنها نائمة. فضحكوا عليه ...»، لأنها كانت ميتة ولزمن ليس بقصير. وهذا الأسلوب السائد في إنجيل يوحنا يتناسب مع مستوى الإنجيل في تقديم الرب بصفته المُسْتعلِن لله: Revealer of God.

وحينما يسبق المسيح و يتكلم عن أمور قادمة، لا يقدم نفسه كمَنْ يتنبأ عن بُعْدٍ زمني، ولكن يقدم نفسه ككاشف ومُسْتعلِنٍ للحقائق، باعتبارها واقعة وكائنة في معرفته، و يعلنها قبل حدوثها الزمني، حتى إذا حدثت أدرك منها التلاميذ قدرته الإلهية كمُسْتعلِنٍ لله ذاته: «أقول لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون أني أنا هو» (يو١٣: ١٩). وقد كرّر نفس القول في ١٤: ٢٩، وكذلك بالأكثر عن آلامه التي ظل يكشف عن مجيئها الحتمي وقبولها بسرور: «لكني قد كلَّمتُكُم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم» (يو١٦: ٤). وقد لاحظ التلاميذ ذلك بالفعل، واقتنعوا بأنَّ سَبْقَ إعلانات الرب هي لتثبيت إيمانهم: «**الآن نعلم أنك عالمٌ بكل شيء،** ولست تحتاج أن يسألك أحد، **لهذا نؤمن** أنك من الله خَرَجْتَ» (يو١٦: ٣٠). و يلاحظ أن الإيمان الذي كان يهدف إليه المسيح من إعلانه المسبق ليثبِّت به تلاميذه، ليس مجرد إيمان بقدرته على الشفاء والإقامة من الموت بحد ذاتها، ولكن **الإيمان به هو: «حتى تؤمنوا أني أنا هو»** ابن الله والمُرْسَل من الله. والقصد الأساسي من آية إقامة لعازر من الموت التي كانت موضوع فرح المسيح لأجل التلاميذ، هو ليثبِّت إيمانهم من جهة قدرته على إقامة نفسه هو من الموت الحتمي القادم، وبالتالي سلطانه الأعظم في القيامة العامة والدينونة وإعطاء حياة للعالم. وأما الآن، فإعطاء النصرة في الضيقات: «في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غَلَبْتُ العالَم.» (يو١٦: ٣٣)

«وأنا أفرح لأجلكم أني لم أكن هناك، لتؤمنوا، ولكن لنذهب إليه»:

معروف قطعاً أن الموت لا يجرؤ أن يتسحَّب على حبيب للمسيح وفي حضرته، فإن كان المسيح قد أبى أن يموت لعازر، حتى في غيبته، وصمم على إقامته من الموت فكم بالحري في وجوده؟

هذه قضية مُسَلَّم بها، قالها الأعداء من اليهود: «ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت؟»، كما قالتها أخت الميت: «فقالت مرثا ليسوع: يا سيد لو كنت ههنا لم يَمُتْ أخي». وهذا حقاً و بالحقيقة، لأنه في حضرة رئيس الحياة يختشي الموت أن يفرد جناحيه. ولقد سبق للمسيح أن شلَّ حركة الموت في جميع السقماء الذين أَتَوْا إليه، وهم مشرفون على الموت؛ واستخلص من براثنه كل فرائسه.

أما فرح المسيح من أجل الذهاب إلى بيت الحزن في بيت عنيا، فهو كفرح حضوره إلى بيت الفرح في قانا الجليل، تماماً وبلا تمييز. في هذه أعلن مجده، فآمن به تلاميذه (يو٢ : ١١)؛ وفي تلك سيُعلن أيضاً مجده، ليؤمن به تلاميذه. فرحُ المسيح هو دائماً إيماننا، وهو يسعى إليه دائماً، ليُظهر مجده من وراء أحزاننا وأفراحنا على السواء.

كانت هذه بداية آياته التي صنعها أمام تلاميذه؛ وتلك ختام آياته وإنجيله الذي سلّمه إليهم. سلسلة من الآيات ينتقل فيها كل مَنْ آمن بالمسيح من مجد إلى مجد، وكما المجد ليس له نهاية كذا الإيمان يكون. وهذا هو بعينه المعيار الروحي البديع الذي يقوم عليه إنجيل يوحنا: فرح المسيح، الذي لا يُحدُّ، في إيماننا الذي ينمو من وراء كل آياته التي صنع.

«ولكن لنذهبْ إليه»:

لا يقول الرب نذهب هناك، بل نذهب إليه. لعازر الميت والمنتن لا يزال حيًّا أمام المسيح، والرب يُحضره حيًّا في مُخيّلة التلاميذ. الجسد لا يهم ولا يفيد شيئاً، فلعازر هو هو، قبل أن يموت وبعد أن مات، هذه هي حقيقة الذين يؤمنون بالمسيح: «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو١١ : ٢٥). هذا هو أساس «الرجاء» الكائن في الإيمان: «ليس هو (الله) إله أموات بل إله أحياء.» (لو٢٠ : ٣٨)

١٦:١١ **«فقال توما، الذي يقالُ له التوأمُ، للتلاميذِ رفقائِهِ: لنذهب نحن أيضاً لكي نموتَ معه».**

كان سهلاً على توما أن **يموت**، استجابة لمحبة المسيح؛ ولكن كان صعباً عليه أن يؤمن **بالقيامة من الموت!**

كان سهلاً عليه أن **يقدم الذي يملكه** بالفعل، وهو المحبة؛ **واستحال عليه أن يقدم ما ليس عنده** وهو الإيمان. توما كان يسير وإصبعه يسبق عقله، وعقله يسبق قلبه.

ولكن العجيب حقاً أن تلقائية الإستجابة عند توما لقول المسيح: «لكي تؤمنوا (بقيامة لعازر)»، جاءت لتكون: «**لنموت معه**»، عوض أن نحيا معه!! ولكن كم صار هذا التلميذ الشكّاك مؤمناً قويًّا بعد رؤيته المسيح قائماً من الأموات بلمْس إصبعه، فصار مبشراً ورسولاً لأكبر بلاد العالم عدداً آنئذ وهي الهند، لأنه صار رسولاً لها.

بقي أن تنبه ذهن القارىء بخصوص إصرار الإنجيل على تعريف اسم توما «الذي يقال له التوأم». ذلك هو بسبب أن «توما» بالعبرية تعني التوأم، وقد ترجمت كلمة «توما» إلى اليونانية بالكلمة «ديديموس». لهذا يحاول الإنجيل دائماً التعريف بأصل الاصطلاح اليوناني، لأنه وإن كان عبرانياً وطناً ولغة، إلاَّ أنه يكتب للأمم.

«المنظر في بيت عنيا»:

١١: ١٧—١٩ **«فلما أتى يسوعُ، وَجَدَ أنه قد صار له أربعةُ أيامٍ في القبرِ. وكانت بيتُ عنيا قريبةً من أورشليمَ نحوَ خمسَ عشرةَ غلوةً. وكان كثيرونَ من اليهودِ قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزُّوهما عن أخيهما».**

حينما وصل المسيح مع تلاميذه إلى بيت عنيا، «وجد» ما كان يترقَّبه، أو ما كان يعرفه تماماً: ليس أن لعازر قد مات فقط، بل وله أربعة أيام في القبر. وذِكْرُ عدد الأيام في القبر، هو لتأكيد انحلال الجسد انحلالاً يؤدي إلى تهرُّؤ هيئة الجسم والوجه وفساده. والإمعان في ذكر الأربعة الأيام في القبر لثاني مرة في الآية: «يا سيد قد أنْتَن، لأن له أربعة أيام (في القبر)»، هو لوضع الرمز اللاهوتي في المقابلة بين رعبة انحلال الجسد ونتانته، إزاء الفرحة بمجد الله التي ينتقل إليها المؤمن الذي يشاهد القيامة من الموت و يشهد لها. كما أن هذه الآية تتوازى في العمق اللاهوتي مع آية تفتيح عيني الأعمى المولود أعمى، الذي انتقل من الظلام الدامس في عالمه المظلم إلى إشراق النور بكلمة المسيح.

كما أن القصد من ذكر عدد الأيام، هو استبعاد دخول الروح في الجسد استبعاداً مطلقاً. لأنه بحسب إيمان اليهود وتقليدهم الموروث من جهة الميت، فإن الروح تبقى في الأرض ثلاثة أيام تتردد فيها على القبر وتحاول الدخول في الجسد، ولكن بعد تغيُّره وانحلاله وفساده ـــ وذلك بعد ثلاثة أيام ـــ تشمئز الروح ولا تعود إلى الجسد مرة أخرى، حيث تذهب وتنضم إلى بقية أرواح الموتى. هذا التقليد اليهودي سجَّله الرابي اليهودي «بار كبَّارا» سنة ٢٠٠م تقريباً، وكذلك رابي «ليفي» سنة ٣٠٠م تقريباً(٨). وهذا التقليد القديم هو الذي تأخذ به الكنيسة القبطية منذ القديم، حيث تقيم صلاة خاصة لروح الميت في **اليوم الثالث** في المنزل الذي تُوفِّي فيه، بقصد مساعدة الروح لانطلاقها إلى مكان راحتها.

* Schnackenburg, Rudolf, *The Gospel accord. to St. John*, Vol. II, pp. 228,515.

أما بقية التقليد القديم الذي يذكره التلمود بالنسبة للميت فهو كالآتي:
[ثلاثة أيام للبكاء على الميت. ثم سبعة أيام نواح (تراتيل حزينة). ثم ثلاثين يوماً حداداً يُمْتَع فيها قصُّ الشعر ولبس الملابس الثمينة]. (٩)

إذن، فمجيء اليهود من أورشليم لتعزية مرثا ومريم ـ لمدة سبعة أيام حسب طقس اليهود كأعلى تعبيرات المحبة التي لا يمكن لليهودي أن يفرِّط فيها ـ لا تأتي في القصة مصادفة، بل هي الوَصْلَة الملتهبة التي تفجَّرت في أورشليم بسرعة بعد قيامة لعازر من الموت، حيث بلغ الخبر للرؤساء المتربِّصين، فطار صوابهم. وتشكَّل الصليبُ في أُفق جنونهم في الحال.

ومجيء هؤلاء اليهود لم يكن بقصد التلصُّص على أخبار الرب، ولكن بانفعال صادق لِمَا رأوه سابقاً من الآيات في أورشليم، وبالأخص الآية الأخيرة التي تم فيها تفتيح عيني الأعمى بحضورهم. وهذا واضح من قولهم عندما رأوا المسيح يبكي: «ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى، أن يجعل هذا أيضاً لا يموت».

المسيح ومرثا: (٢٠ـ٢٧).

١١: ٢٠ «فلما سمعت مرثا أن يسوع آتٍ لاقَتْهُ. وأما مريمُ فاستمرت "جالسةً" في البيت».

رد فعل خبر مجيء «المعلم» المحبوب يسوع بالنسبة لمرثا ومريم، هو مطابق لما جاء عنهما في إنجيل لوقا ١٠: ٣٨ من جهة طبيعة كل واحدة. فمرثا خرجت في الحال لاستقباله، فهي كانت ربة البيت ذات الإحساس بالواجب وصاحبة الضيافة بنشاط والخدمة الكثيرة. ولا ننسى كيف رأت في نفسها الكفاءة أن تُلْفِتْ نظر المعلم أن يزجر مريم أختها لتساعدها، وكأنها ذات إدارة وإمارة. ولم تَرَ أنه كان من الواجب عليها أن تدعو أختها قبل أن تسرع للخروج. لذلك ظلت مريم جالسة في البيت وسط المعزِّين، ولم تعلمْ بخروج أختها(١٠)، علماً بأن طبيعة مريم كانت هادئة مُذْعِنة، ليست كثيرة الحركة، تتقن الجلوس تحت أقدام مَنْ يُعلِّمها، ولكن كانت قد

---

[9] Leon Morris, *op. cit.*, p. 547.

(١٠) «**جلوس مريم**» وسط المعزِّين يذكره ق. يوحنا بعناية لأن هذا هو طقس العزاء بالنسبة للميت. ويذكر العلاَّمة اليهودي المتنصر إدرزهيم هذا الترتيب كالآتي: [حالما يخرج جسد الميت من البيت للدفن، فإن كل المقاعد في البيت سواء كراسي أو دكك أو مساند (أي شلت) تُقلب (معكوسة أرجلها إلى فوق). والمعزُّون يجلسون على الأرض مباشرة أو على مقاعد واطئة بدون ظهر]. ويلاحظ أن هذا التقليد اليهودي القديم بقي كما هو بالضبط في أصول الطقس الكنسي في الكنيسة القبطية، وذلك في الإحتفال **بأسبوع الآلام**، وخاصة يوم الجمعة الحزينة، كما هو جارٍ تماماً في الأديرة.

«**أحبت الرب كثيراً**» في صمت بالغ يشهد عليه الناردين الخالص الكثير الثمن.

١١: ٢١ــ٢٤ **«فقالت مرثا ليسوع: يا سيد لو كُنتَ ههنا لم يَمُتْ أخي، لكني الآنَ أيضاً أعلمُ أن كلَّ ما تطلبُ من الله يعطيكَ الله إيّاهُ. قال لها يسوعُ: سيقومُ أخوكِ. قالت له مرثا: أنا أعلمُ أنه سيقومُ في القيامةِ في اليومِ الأخيرِ».**

مرثا تطرح انفعالها أمام الرب في صورة إيمانية بسيطة، مع حسرة على حاجة فَلَتَتْ من يديها ومن يد الزمن. ولكن عادت تتعلق برجاء. والرجاء دائماً أبداً يغطّي قصور ما لم يحققه الزمن، رجاءٌ يستند، لا على الإيمان الشخصي فقط، بل وعلى العلم بقدرة المسيح ــ «أنا أعلم» ــ، مرثا ألقت بكل ما تبقَّى لها من أملٍ على وعد المسيح: «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا»، مستندة على يقينها أنَّ طَلَبَ المسيح مستجابٌ لدى الله. وهنا تكرر مرثا حضور الله إزاء طلب المسيح مرتين: «أعلم أن كل ما تطلب من **الله** يعطيك **الله** إياه»، وذلك تأكيداً للعلاقة التي تربط المسيح بالله.

ثم، لا بد أن أحد التلاميذ أسرَّ إليها بقول المسيح لهم: «أنا أذهب **لأُوقظه**». لذلك اشتد يقينها بأن شيئاً عظيماً سيحدث على يدي المسيح، فبدأت تستحثُّ الرب على ذلك، مؤكدةً له أنها على يقين أن «كل ما تطلب من الله يعطيك الله إيّاه». لقد انطلق إيمانها مع هذه الكلمات، يحلّق بقوة الرجاء في قوة الحياة التي يمكن أن يَهَبَها المسيح، ولكن كيف؟ لم تجرؤ مرثا أن تطلب علانية ما يعزُّ على أي إنسان طَلَبُه. ولكن المحبة التي كانت تتأجج في قلبها كانت تضيء أمامها المجهول، وأن لا شيءَ مستحيلٌ لدى الرب.

«**وكلُّ**» ὅσα التي قالتها مرثا من عمق أعماق قلبها كفيلة بأن تغطي كل شيء حتى القيامة من الموت: «أنا أعلم أن "**كل**" ما تطلب...». و«كل» تترجم بالإنجليزية: whatsoever أي «مهما».

«قال لها يسوع: سيقوم أخوكِ. قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير»:

المسيح يتكلم عن القيامة كقوة إلهية فيه، سيستعلنها في شخصه كحقيقة حاضرة لا يحصرها زمان ولا تحدُّها أية قوة في العالم، وسيمارسها تجاه الموت ليُلْغي وجوده علناً، و يُظْهر الحياة كقوة غالبة ومنتصرة من داخل الموت.

والغاية من قول المسيح هذه الحقيقة: «سيقوم أخوكِ»، هو ليعلن لمرثا أن الموت ليس هو العدو

الذي ينتصر فوق الحياة، إذ توجد القيامة التي تُبْطِلُه، يقولها هنا المسيح كخبرٍ، قبل أن يكمِّله كفعلٍ، ليصير هذا هو معيارنا الجديد بالمسيح يسوع تجاه الموت: «سيقوم أخُوكِ». وفعلاً فإن مرثا أخذت قول المسيح كتعليم وفلسفة، وليس كعمل سيتم تجاه الميت. فوافقت عليه وشرحته حسب تقديرها الإيماني، كحقيقة عامة معروفة، وليس كفعل شخصي: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير».

وبهذا تكون مرثا قد أخذت قول المسيح على مستوى التعزية ليس إلاَّ، وذلك حسب أصول المجاملة في حالة الموت. وعزَّزته باستذكار التعليم اليهودي من جهة قيامة الأجساد، الذي كان الفريسيون يعلِّمون به ضد الصَدُّوقيين الذين لم يكونوا يؤمنون بالقيامة على وجه الإطلاق (مر١٢: ١٨، أع٢٣: ٨). وهذا التعليم اللاهوتي اليهودي ظهر بوضوح منذ القرن الثاني قبل الميلاد: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي.» (دا ١٢: ٢)

وقد دخلت هذه الحقيقة الإيمانية كجزء في العبادة الرسمية اليومية حيث تُقال في البركة الثانية ضمن الثماني عشرة بركة:

[أنت الجبار إلى الأبد يا رب، أنت الذي تحيي الموتى](١١).

ولكنها كانت حقيقة مفهومة من جهة الأمور الأخروية، ولا تدخل قط في مفهوم إمكانية القيامة في الحاضر، الأمر الذي حقَّقه المسيح لنفسه وللآخرين.

وهكذا أراد إنجيل يوحنا أن يضع في مقابلة ومواجهة: قانون الإيمان اليهودي، تجاه قانون الإيمان المسيحي، من جهة التعليم بالقيامة. فالأول يرى القيامة مجرد مقولة إيمانية في أمور آخر الزمان، والثاني يراها حقيقة خلاصية حاضرة الآن وكل يوم، في المسيح، وبالمسيح. وهذا هو ردُّ المسيح الاستعلاني.

١١: ٢٥ــ٢٧ «قال لها يسوع: أنا هو القيامةُ والحياةُ. "مَنْ" آمنَ بي، ولو ماتَ، فسيحيا. و"كلُّ مَنْ" كان حياً وآمنَ بي، فلن يموتَ إلى الأبدِ. أتؤمنينَ بهذا؟ قالت له: نَعَمْ يا سيدُ، أنا قد آمنتُ أنك أنت المسيحُ ابنُ الله الآتي إلى العالم».

رد المسيح لا يُخَطِّىء مِنْ قول مرثا واعترافها بالإيمان اليهودي. ولكن التصحيح هو أن القيامة

(١١) ارجع إلى كتاب: «الإفخارستيا والقداس»، للمؤلف، ص١١٨.

ليست تعليماً ولكن **حقيقة**، ليست للمستقبل بل هي **للحاضر**، ليست لجماعة (قيامة جماعية) ولكن **لكل فرد** من واقع فردية حياته، ليست نعمة يتحصَّل عليها المسيح من (الله) كطلب مرثا، بل هي كيان المسيح نفسه «أنا هو» حينما يتصل بنا، سواء الآن وكل أوان أو المستقبل.

وينبغي الآن أن نفرِّق بين أقوال المسيح السابقة عن: «أنا هو» ἐγώ εἰμι التي يَنْسب فيها إلى لاهوته تشبيهات بنور العالم والطريق والكرمة وباب الخراف والراعي الصالح وخبز الحياة، هذه كلها تصويرات لفظية تصوِّر عمل المسيح لقيادة الإنسان وتقويته وبنائه روحياً، وضمان صلته بالحياة الأبدية. أما هنا فقوله: «أنا هو "القيامة"»، ليس تشبيهاً ولا تصويراً، **ولكن استعلانُ حقيقة كائنة فيه، وهي من صميم كيانه وطبيعته**، تلك التي كان يُظنُّ ــ كما كانت مرثا أيضاً تظن ــ أن فاعليتها متوقفة على اليوم الأخير، وأن قوة هذه الإقامة من الموت هي من عمل الله. ولكن هنا يستعلن المسيح أنها من عمله هو، **وأنها ليست عمله الخاص وحسب، بل هي طبيعته: «أنا هو القيامة»**. المسيح هنا يستعلن نفسه، أو كما سبق وقال: «أنا الشاهدُ لنفسي» (يو٨: ١٨). هنا **"فعل"** الإقامة من الموت المستقبلي ينسبه المسيح إلى حاضر طبيعته الإلهية، أو على الوجه الأصح، إلى لاهوته القائم الآن فيه وإلى الأبد، وليس هو مجرد **«فعل إقامة»**، بل **"مصدر"** القيامة: **«أنا هو القيامة (ذاتها)»**[١٢]. وهكذا وبهذا يكون قد أضاف المسيح إلى كل أقواله السابقة عن «وأنا أُقيمه في اليوم الأخير»: «وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُتلف منه شيئاً بل أُقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٣٩و٤٠و٤٤) إضافة جديدة في غاية الأهمية وهي عمله في الحاضر أيضاً للإقامة من الموت، وبالتالي إعطاء الحياة الأبدية الآن في الحاضر: «أنا هو القيامة **والحياة**».

وبالتوازي مع **الإقامة من الموت الآن، وإعطاء الحياة الآن**، يؤكد المسيح في إنجيل يوحنا أنه أيضاً يباشر **الدينونة والإعفاء من الدينونة الآن أيضاً**، أو على وجه أصح منذ الآن: «الحق الحق أقول لكم: إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو٥: ٢٤)

والمسيح لا ينفي هنا الدينونة في اليوم الأخير، ولا القيامة في اليوم الأخير، ولا استعلان الحياة الأبدية في اليوم الأخير، ولكن يضيف ويكمل الإيمان اليهودي بالقيامة في اليوم الأخير بالإيمان

---

(١٢) بخصوص أن القيامة هي من صميم كيان المسيح وطبيعته وليست مجرد عمل يقوم به، فإن القديس كيرلس الكبير يدعو المسيح بعبارة تكررت مئات المرات في كتاباته هي: ἡ κατὰ φύσιν ζωή ، أي: «الذي هو بطبيعته الحياة».

المسيحي، أن القيامة والدينونة والحياة تبدأ من الآن، وذلك في المسيح وبالإتحاد معه. وكأن المسيح يخاطب الذين يبكون و ينوحون على ميِّتهم الذي يكون قد آمن بالمسيح وأحبه وعاش في حضرته، هكذا:

[لا تبكوا ولا تحزنوا بل ثقوا وآمنوا أن أخاكم حيٌّ الآن، وهو معي، لقد «انتقل من الموت إلى الحياة» ــ «لأنه قد أحب الإخوة» (راجع ١يو٣: ١٤) ــ وهو يستمتع بالحياة الأبدية بلا حزن ولا كآبة ولا تنهُّد في النور الأبدي، لقد قام أخوكم بالروح، ولكن الجسد هو الذي استُهْدِفَ وحده للفساد والفناء ــ الجسد لا يفيد شيئاً، الروح هو المؤهَّل للحياة الأبدية. الله روح وهو طالبٌ الساجدين له بالروح والحق. لا تهتموا بعد بما هو على الأرض، «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد مُتُّم، وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذٍ تُظْهَرُون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ١ــ٤)].

و«أنا هو "**القيامة**" قبل "**الحياة**"»، لأن المسيح سيبدأ من الموت ليعلن الحياة. ولكن لا بد من الاثنين معاً، لأن القيامة والحياة استعلان واحد وهو **شخصه**. **فهو** لم يقل أن القيامة عمل يُحضره لنا أو يقودنا إليه أو يَعِدُنا به، ولكنه يقول: «**أنا هو القيامة**». والقيامة التي يعلنها المسيح أنها كيانه الخاص: «أنا هو»، لا يعلنها لنعرفها فيه مجرد معرفة، بل إنه يعلنها باعتبارها لنا ومن أجلنا. هي كائنة أصلاً في صميم لاهوته، **لأنه هو الحياة ذاتها**(١٣) التي ليس فيها الموت. ولكن لأنه تجسد وأخذ بشرية الفرد الكاملة التي يمكن أن يموت بها، صارت القيامة كائنة في ناسوته أيضاً، لذلك إن مات فهو حتماً يقوم، وهكذا حقق المسيح للبشرية فردية الإنسان الدائمة والقائمة والحية إلى الأبد. ولكن قبل أن يموت، باشر إقامة لعازر من الموت، لندرك أن القيامة كائنة فيه، بل هي كيانه الذي نوى أن يمنحنا إيَّاه، بالاتصال بنا أو باتحادنا به، فنقوم به وفيه، أو نصير به قائمين. و يصير كل فردٍ مؤمنٍ ومتحدٍ به، حيًّا به؛ أو أن المسيح يصير حياة كل أحد: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)، «... احسبوا أنفسكم... أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو٦: ١١)

لذلك، كان الإيمان بالمسيح غلبة للموت وقيامة في الحياة، لأن الإيمان بالمسيح الذي هو الإتحاد بالمسيح، هو إتحاد بالقيامة والحياة: «مَنْ يسمعْ كلامي و يؤمنْ بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا

(١٣) القديس أثناسيوس الرسولي يدعو المسيح ἡ αὐτοζωή أي: «الذي هو بذاته الحياة» أو «الحياة بذاتها» (أنظر كتاب: «تجسد الكلمة»، للقديس أثناسيوس الرسولي، ٢١: ٤).

يأتي إلى دينونة، بل **قد انتقل من الموت إلى الحياة**» (يو٥: ٢٤)، «مَنْ يأكلني **فهو يحيا بي**» (يو٦: ٥٧). المسيح هنا يعطي ذاته بكيانها القائم والحي. لذلك نستطيع أن نفهم قوله:

«مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا»، و«مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد».

فلأنه هو القيامة = **فمَنْ** يؤمن به، فهو حتى ولو مات موت الجسد، فهو سيحيا ثانية، الآن أو في القيامة.

ولأنه هو الحياة = فمَنْ كان حيًّا بالروح، أي **مؤمناً** به، فهو لن يذوق الموت الروحي إلى الأبد، لأن الحياة الأبدية التي فيه قائمة وستتجلى حتماً.

وواضح أن هذا القول يشمل فئتين:

فئة الذين آمنوا وماتوا، ويهدف إلى لعازر كمثل؛ وفئة الذين هم أحياء وآمنوا فنالوا عطية الحياة الأبدية، ويهدف إلى مرثا على سبيل المثال أيضاً. فالأول سيحيا بالرغم من أنه مات، وذلك بسبب **إيمان** لعازر وحبه للمسيح. والثاني، وهو مرثا، فلن تذوق الموت (الروحي)، لأنها نالت الحياة الأبدية **بالإيمان** بالمسيح، الإيمان الذي أعلنته واضحاً: «أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم».

كما يلاحَظ أن في المثل الأول: «**الذي مات وقام**»، يكون المسيح له هو «**القيامة والحياة**»، حيث تأتي القيامة قبل الحياة لأنها سببها وعلّتها: «أنا هو القيامة والحياة».

أما في المثل الثاني، مثل الذي وُهب الإيمان وهو الآن يتمتع بمواهب الحياة الأبدية ويأكل الجسد ويشرب الدم بمعنى الشركة القائمة والإتحاد الكائن مع المسيح، يكون المسيح له هو «**الحياة والقيامة**» حيث تأتي الحياة قبل القيامة، وحيث تكون الحياة الأبدية هي سبب وعلة القيامة: «كلُّ مَنْ يرى الابن ويؤمن به تكون له **حياة أبدية**، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٤٠)، «مَنْ يأكلْ جسدي ويشرب دمي **فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير**» (يو٦: ٥٤). بمعنى أننا **الآن** نتمتع بالحياة الأبدية التي من فوق، والتي نلناها بالإيمان بالمسيح وبفعل الروح القدس، للاتحاد به بشركة تناول جسده ودمه، وهذه الحياة الأبدية التي من فوق **هي هي قوة** القيامة التي في كياننا منذ الآن، **وهي** التي سنعبر بها الموت وكأنه لم يكن**!!** «لأنه ليس موتٌ لعبيدك بل هو انتقالٌ» (أوشية الراقدين).

وباختصار شديد يكون المسيح [حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا] ــ القداس الإلهي القبطي (أوشية الإنجيل): «متى أُظهِر المسيح **حياتنا**، فحينئذ تُظهَرُون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣: ٤)

ولكن علينا أن نلمح أن محور قيامتنا وحياتنا الأبدية **هو الإيمان**، فالإيمان هو الحياة الأبدية. ليس الإيمان بالقيامة في حد ذاتها، بل الإيمان بالمسيح أنه هو حقاً و بالحقيقة قيامتنا وحياتنا، لذلك **يكون الموت قد أصبح طريقاً للحياة لا غير!!** «مَنْ آمن بي **ولو مات فسيحيا**». ولأن الحياة الأبدية قوة ذات كفاءة إلهية قادرة أن تصرع الموت — أينما كان — وتلغي وجوده، لذلك: «مَنْ كان حيًّا وآمن بي **فلن يموت** إلى الأبد»، «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إنْ أكل أحد من هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**» (يو٦: ٥١)، «مَنْ يأكل جسدي و يشرب دمي **فله حياة** أبدية **وأنا أُقيمه** في اليوم الأخير» (يو٦: ٥٤)، «الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي، **فلن يرى الموت إلى الأبد**» (يو٨: ٥١)، «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، و يسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)

هكذا يستعلن المسيح ذاته بالنسبة لنا، أنه حقاً القيامة والحياة، وأن الموت لا يزيد عن كونه نعاساً مؤقتاً، لا يلغي الحياة الأبدية التي صارت في كياننا الروحي. فهبة الحياة الأبدية التي ننالها بالإيمان بالمسيح و بالميلاد من الروح القدس من فوق، هي بحد ذاتها إلغاء صريح وواضح لعقوبة الموت التي دخلت إلى العالم بالخطية. فإذا فقد الموت عامل العقوبة واللعنة، أصبح الموت لا يزيد عن كونه راحة للجسد الذي أشقاه العالم، أو أصبح كالنوم أو النعاس حسب ما وصفه المسيح، حيث الإنسان (الصالح) لا يفقد بالموت إلا عوامل الفناء فقط التي دخلت عليه!!

المسيح أراد أن يرفع إيمان مرثا، لتفهَمَ وتتذوق طعم الحياة الأبدية الحقيقية الآن بالإيمان بالمسيح، فيصغر سلطان الموت في عينيها، وتدرك أن القيامة صارت الآن بالمسيح حقيقة قائمة حاضرة فينا بالروح، بقوة الإيمان الذي يوحِّدنا بالمسيح ويملِّكنا ما لطبيعته، وأن القيامة ليست هي رجاء المستقبل. وهذا بدا واضحاً من إجابة مرثا على سؤال المسيح: «أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يا سيد أنا قد آمنتُ أنك أنتَ المسيحُ ابنُ الله الآتي إلى العالم».

و يلاحَظ هنا، أن سؤال الرب واضح في اللغة اليونانية، أنه لا يعني «هل توافقين على هذا»: πιστεύεις τοῦτο; ؛ بل: «هل هذا هو إيمانكِ — أتؤمنين بهذا؟» τούτῳ πιστεύεις; .

وهكذا استنفر المسيح إيمان مرثا الخاص، لمواجهة المعجزة قبل أن يباشرها، واستحضر مرثا في مواجهة القيامة أو الإقامة من الموت العتيد أن يكمِّله في الحال، كفعلٍ قائمٍ في المسيح الآن في الحاضر، يقبله لعازر بالروح و يستقبله بالإيمان الذي له — والذي لا يفنى ولا يضمحل بالموت — كحق من حقوق مَنْ أحب المسيح والتصق به، ليقوم من الأموات و يشهد للقيامة وللحياة التي في المسيح والتي صارت أيضاً فيه وله: «الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة **وهي الآن**، حين

يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون!!!» (يو٥ : ٢٥)

لقد عبَّرت مرثا عن إيمانها بالمسيح مباشرة، دون أن تذكر الموت أو القيامة، وهو تعبيرٌ ليس ابن وقته، بل يبدو أنه كان محفوظاً في قلبها، وهو نفس إيمان المعمدان أن المسيح **هو ابن الله الآتي إلى العالم**، وهو إيمان نثنائيل، وإيمان الأعمى المفتوح العينين والقلب، وإيمان بطرس نيابة عن التلاميذ وعن نفسه، الإيمان الذي بدأ يشرق على العالم بتؤدة ويقين، والذي كان العالم يتلهف عليه و يتطلع بشوق نحوه، باعتباره رجاء الدهور الذي سينقذنا من الموت، الذي سبق أن رآه الأنبياء بالروح، المسيَّا الآتي للخلاص، وها هوذا قد أتى: «**أنت المسيح** ابن الله **الآتي** إلى العالم» (يو١١:٢٧). المسيَّا الآتي إلى العالم، رجاء الأنبياء بل وأكثر من رجاء الأنبياء، لأنه ابن الله الذي يُقيمنا من الموت، و يهبنا الحياة، و يصالحنا مع أبيه. لأن «**الإيمان بالمسيح**» ليس معلومة قائمة بذاتها، بل الإيمان بالمسيح يُنشيء **خلاصاً**، يُنشيء **علاقة**، يُنشيء **شركة** معه، يُنشيء **إتحاداً** فيه، يُنشيء **قبول القيامة** التي في المسيح **والحياة الأبدية**، التي فتحها علينا وعلى الآب، لتسري في كياننا كأعظم عطية يمكن أن ينالها الإنسان، لأن بها يبدأ الإنسان كالأول يعيش مع الله، هنا كما هناك وإلى الأبد.

كلمة «**ابن الله**» التي أضافتها مرثا إلى اسم «**المسيح**»، ترفع المسيح فوق كل رجاء اليهود والآباء والأنبياء وتوضح أيَّ انفتاح قد صار لنا مع الله.

لقد نطقت مرثا أعظم وأصدق قانون إيمان يطلبه الله والمسيح والإنجيل والأنبياء. انظر إلى ختام رواية ق. يوحنا التي يُبَلْور فيها كل الإنجيل وكل حياة المسيح وأعماله وآياته هكذا: «وآياتٍ أُخَرَ كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت **لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح** (المسيَّا) **ابن الله**، ولكي تكون لكم، **إذا آمنتم**، **حياة باسمه**» (يو٢٠: ٣٠و٣١). هذه الخلاصة الإيمانية المسيَّانية للإنجيل هي هي بذاتها التي عبَّرت عنها مرثا، تعبيراً تسنده المحبة القوية، والعِشْرَةُ الصادقة، والأمانة، والخدمة، في أحلك ساعات تجربتها ومرارة نفسها!!

انظر، أيها القارىء العزيز، واعلم وتعلَّم، أننا لسنا بقوانين ومفردات كثيرة للإيمان نعيش، بقدر ما يكون لنا حياة صادقة باسمه لا تُزَعْزِعها أعنف التجارب، حينئذ يصير إيماننا بابن الله حقيقة حيَّة فينا!

المسيح ومريم: (٢٨ـ٣٢)

١١: ٢٨ـ٣٢ **«ولما قالت هذا مَضَتْ، ودَعَتْ مريمَ أختها سرًّا قائلةً: المعلِّمُ قد حضر وهو يدعوكِ. أما تلك فلما سَمِعَتْ، قامَت سريعاً وجاءَتْ إليهِ. ولم يكن يسوعُ قد جاء إلى القرية، بل كان في المكانِ الذي لاقَتْهُ فيه مرثا. ثم إنَّ اليهودَ الذين كانوا معها في البيتِ يعزُّونها لما رَأَوا مريمَ قامت عاجلاً وخرجت تَبِعُوها قائلينَ: إنها تذهبُ إلى القبرِ لتَبْكي هناكَ. فمريمُ لما أتت إلى حيث كان يسوع، ورأتهُ، خَرَّتْ عند رجليه قائلةً له: يا سيِّدُ، لو كُنْتَ ههنا لم يَمُتْ أخي».**

عجيبٌ ق. يوحنا في سرده للرواية، فهو يعلِّق من عنده تعليقاتٍ تجعل القصة حيَّة ناطقة.

«ولما قالت هذا مضت»:

يقصد أنها قالت كل ما عندها، كل ما تملك من الإيمان الذي ارتفع فوق الموقف كله، لقد استجابت لاستعلان المسيح، وردَّت عليه بما ملأ قلبها راحة وسلاماً. وبقدر ما ارتاحت مرثا ودخل قلبها مناطق النور والرجاء، فإنها دعت أختها لتغترف من مراحم الرب وتعزياته. وكلمة «سرًّا» تتجه ناحية اليهود الذين جاءوا من أورشليم حتى لا يعكِّروا صفو اللقاء بفكرهم المريض.

ولقب «المعلم» الذي احترفه التلاميذ بحكم تلمذتهم، اختطفته الأختان، إذ اعتبرتا نفسيهما من التابعين، حتى وإن كانتا قد قَبَعتا في عقر دارهما. فقد أتْقَنَتا فن السماع والحب. ودعوة المعلم لمريم أكيدة، فهو يعلم مقدار الحزن والأسى الذي يعتصر قلبها. وكما سقى مرثا من ماء الحياة فارتوت، وانطفأت نار قلبها، هكذا أراد أن يسقي هذه الأخرى العزاء بعيداً عن عقول المرائين. لقد صدق الرب حينما ألْمَح عن نفسه بقدرة التعزية وسلطان العزاء، حينما وعدهم بإرسال الباراقليط المُعزِّي قائلاً: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو١٤: ١٦)؛ باعتبار أنه هو المعزي الأول!!

مريم لما سمعت، «قامت سريعاً»، وجاءت إلى المعلم حيث لاقى مرثا، لأنه لم يشأ أن يدخل القرية مباشرة. ولكن خروج مريم السريع نبَّه اليهود خطأ أنها ذاهبة لتبكي في القبر، فتبعوها، فكانت مقابلة الرب لمريم في وسط جمع اليهود. ولم تستطع مريم، بانفعالها البادي عليها من جراء هيبة الرب، إلاَّ أن تخرَّ عند رجليه ساجدة، الأمر الذي فات على مرثا، لكنها احتفظت بتكريم الرب بمشاعر قلبها الخفية. ولكن كان الفكر الطاغي على قلب مريم، هو نفس ما فكَّرت

فيه مرثا وقالته للرب: «يا سيد، لو كُنْتَ ههنا لم يمتْ أخي». أمل مفقود، ولكن كان وراءه نوعٌ من التوسل يملأ قلبها، فالمحبة تصدّق كل شيء، وترجو كل شيء، ولا تسقط أبداً، حتى وإن وقف العقل حائلاً دون النطق. لم تُسْعِفها الكلمات أكثر من ذلك، فقدّمت أعزّ وأقوى ما تملك المرأة: **دموعَها!!**

إقامة لعازر: (٣٣ـ٤٤)

١١: ٣٣ـ٣٥ **«فلما رآها يسوعُ تَبْكِي، واليهودُ الذين جاءُوا معها يبكونَ، انْزَعَجَ بالرُّوحِ، واضطربَ. وقالَ: أينَ وَضَعْتُمُوهُ. قالوا له: يا سيِّدُ، تَعَالَ وانظُرْ. بَكَى يَسُوعُ».**

مريم تبكي، واليهود يبكون، والمسيح يبكي:

هنا تنفرد اللغة اليونانية بتعبيرات البكاء، التي تُفرِّق فيها بين بكاء مريم واليهود وبين بكاء المسيح، في هذا الموقف بالذات. فبكاء مريم واليهود عبَّرت عنه اللغة اليونانية بالكلمة κλαίουσαν، وهي تفيد المعنى العربي «بكاء بالصوت المسموع **للتعبير الظاهري عن الحزن**»، وهو كمهنة عند النسوة له أصول. أما كلمة «**بكى** يسوع» فتأتي ἐδάκρυσεν وهي بمعنى «أدمعت عيناه بدون صوت». وتأتي كتأثُّرٍ مباشر عَفْوِيٍّ للحزن غير المنضبط، في صمت.

انزعج بالروح:

وتأتي باليونانية ἐνεβριμήσατο τῷ πνεύματι وتفيد الانفعال الانعكاسي للمنظر الذي أمامه (تأثُّر)، وهي لا تفيد الانزعاج كما تجيء في الترجمة العربية، ولكن تفيد التأثُّر بعدم الرضا، وهي نفس الكلمة التي جاءت في المواقف الآتية بمعنى **الانتهار**:

ــ «فانفتحت أعينهما، **فانتهرهما** يسوع قائلاً: انظرا لا يعلم أحد.» (مت٩: ٣٠)

ــ كذلك: «فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص، وطهر، **فانتهره**، وأرسله للوقت.» (مر١: ٤٢و٤٣)

ــ وتأتي بمعنى التأنيب: «لأنه كان يمكن أن يُباعَ هذا بأكثر من ثلثمئة دينار، و يُعطى للفقراء. وكانوا **يؤنِّبونها**.» (مر١٤: ٥)

وهكذا يَظْهر أن هذا الاصطلاح «انزعج»، كما جاء في الترجمة العربية، يفيد مجرد التأثُّر ولا يفيد الحزن.

أما كلمة «بالروح»، فهي تفيد أن الرب **تحرَّك أو تأثَّر بالروح** إزاء منظر البكاء **في عدم ارتياح**، وتحرك روحياً ليصنع أمراً (إقامة لعازر) يوقف به هذا العويل والنواح.

فقد يؤخذ هذا الانزعاج الروحي على أنه استنفار الروح للقيام بالمهمة الخطيرة، وهي إقامة الميت إلى الحياة. ونحن نعلم أن هذا العمل يستلزم خروج قوة هائلة من المسيح، كما حدث في نازفة الدم: «فقال يسوع قد لمسني واحد، لأني علمتُ أن قوة قد خرجت مني.» (لو٨: ٤٦)

و يلاحظ أن الكلمة اليونانية ἐνεβριμήσατο التي تُرجمت هنا «انزعج»، جاءت بالترجمة «**انتهر**»، في إثر المعجزات ذات الثقل العالي التي استلزمت انفعالاً روحياً من الرب لا يُستهان به، وهي معجزة شفاء الأبرص (مر١: ٤٣)، وشفاء الأعمى (مت٩: ٣٠)، وإقامة لعازر (يو١١: ٣٣و٣٨). لذلك لا ينبغي أن نستخفّ بما تستلزمه المعجزة من الضغط الروحي العالي الواقع على جسد المسيح الذي جعله يهتز و يئن وتدمع عيناه في مواقع كثيرة.

«واضطرب»:

وهذا طبعاً نتيجة **ما تحمَّله جسده من أحزان واضطراب الآخرين، تلك التي أخذها على نفسه في تعاطف ومشاركة وبمحض إرادته**، فجاءت كلمة «واضطرب» ἐτάραξεν ἑαυτόν للتعبير عن ذلك، والتي تفيد حرفياً «**جعل نفسه تضطرب**» = stir up، وتفيد أيضاً الارتجاف والقشعريرة.

وبذلك تكون الأصول النفسية والروحية التي استهدفها المسيح في جسده للانزعاج والاضطراب، هي عملية طوعية إرادية، اعتبرها الله أبوه، واعتبرها هو، واعتبرها علم اللاهوت بناء على ذلك وبناء على سبق النبوة عنها، أنها جزء لا يتجزأ من عملية الخلاص الكبرى التي جاء المسيح وتجسد من أجلها، فهو لم يحمل خطايانا على نفسه فقط، بل وحمل أحزاننا وأوجاعنا واضطرابنا وموتنا، و يصفها إشعياء النبي بقوة بالغة العمق في قوله:

«رجل أوجاع **ومُختبر الحزن**».
«لكن **أحزاننا حمَلها، وأوجاعنا تحملها**، ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً».
«**وهو مجروحٌ لأجل معاصينا. مسحوقٌ لأجل آثامنا...**»
«والرب **وضع عليه** إثم جميعنا».
«**أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن.**» (إش٥٣)

إذن، فانزعاج المسيح بالروح واضطرابه، بل و بكاؤه، هذا كله وهو يمثل ضعف الإنسان عامة،

حمَّل المسيح نفسه به، وثقَّل روحه تحت عبئه، وأخذه وتبنَّاه، واشترك فيه كمقدمة ومؤخرة للموت ذاته الذي أخذه لنفسه وهو غريب عن هذا كله، بل وإن الله الآب سُرَّ بهذه المشاركة الحزينة والأليمة باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من «ذبيحة الإثم» التي قدَّمها المسيح ــ (عن خطية الإنسان) ــ قدَّمها بجسده ونفسه وروحه!!!

و يلزم هنا أن نوضح أن ق. يوحنا، في إنجيله، ميَّز بين النفس والروح للمسيح في شركة الألم والموت:

«لما قال يسوع هذا، اضطرب **بالروح** πνεῦμα ، وشهد وقال: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني.» (يو١٣: ٢١)

«فلما أخذ يسوع الخلَّ قال: قد أُكْمِل. ونكَّس رأسه **وأسلم الروح.**» (يو١٩: ٣٠)

«أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه ψυχή عن الخراف.» (يو١٠: ١١)

«الآن **نفسي قد اضطربت**، وماذا أقول، أيها الآب نجِّني من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة.» (يو١٢: ٢٧)

والآن يلزم أن نفهم أن آية إقامة لعازر من الموت، مع كل ما لابسها من مشاعر وعواطف وأحزان واضطراب وانزعاج، لا يمكن اعتبارها أنها حادثة قائمة بذاتها تمثل ظروفها فقط، بل هي نموذجٌ، وصورة واقعية توضح صلة المسيح، وليس صلة المسيح فقط، بل وصلة الله بموتنا وقيامتنا، وما يُلابس موتنا من جميع النواحي البشرية كما حدث في قصة لعازر، و يكفي أن نسمع عن الله أنه «في كل ضيقهم تضايق ...» (إش٦٣: ٩). المسيح يكرِّر حضوره، ويمارس إظهار مشاعره وعواطفه من جهة كل إنسان في الكنيسة يتألم أو يموت لحسابه: «إن عِشْنا فللرب نعيش، **وإن مُتْنا فللرب نموت**» (رو١٤: ٨). ونحن أيضاً نمارس **إيمان** قيامتنا في كل ميت يموت لنا، و بهذا الإيمان بالقيامة نرى مجد الله: «إن آمنتِ ترين مجد الله».

إذن، إقامة لعازر من الموت هي منهج إيماني للكنيسة. لقد رفع إنجيل يوحنا «إقامة لعازر من الموت» من حادثة إلى آية لاستعلان مجد الله، لتدخل في الكنيسة كآية لكل من يموت، ولكل من يموت له أحد.

«وقال: أين وضعتموه. قالوا: يا سيِّدُ تعال وانظر. بَكَى يَسُوعُ»:

لأول مرة يذكر الإنجيل عن الرب أنه يستفسر، أي يطلب معرفةً عن شيء. ولكن يبدو في الحقيقة أنه يعلن بذلك عن نيته في إقامة لعازر من الموت، وليس مجرد معرفة المكان. وهذا أيضاً

بدوره هو رد الفعل المباشر في إظهار تأثره ومشاركته لعواطف الباكين، باعتبار أن الرب لا يشارك بالعواطف أو الكلمات وحسب، بل و بالعمل المباشر.

«بكى يســوع»(١٤):

الكلمة اليونانية ἐδάκρυσεν ، و يقابلها باللغة اللاتينية في الفوجلاتا Lacrimatusest ، وهي المرة الوحيدة في كل أسفار العهد الجديد التي ذُكرت فيها هذه الكلمة ولا تفيد أكثر من أن: «أدمع يسوع»، أي سالت دموعه. وهي تُعتبر أصغر آية وردت في الإنجيل. ولكن قد ذُكر أن المسيح بكى بكاء الحزن بصوت مسموع: ἔκλαυσεν في إنجيل القديس لوقا: «وفيما هو يقترب، نظر إلى المدينة، وبكى عليها» (لو١٩: ٤١). ولكن كان هذا البكاء على هلاك شعب، وكنيسة، وليس على صديق.

دموع يسوع هنا هي صورة لأحزان الرب على مصير الإنسان ــ ككلّ ــ الذي جلبه على نفسه بالخطية. وق. يوحنا أسهب في تصوير بشرية المسيح الكاملة وذلك بالأنواع التي تعبِّر عن الإنسانية التي فيه:

التعب: «فإذ كان يسوع قد **تعب** من السفر جلس هكذا على البئر.» (يو٤: ٦)

العطش: «فقال لها يسوع **أعطيني لأشرب.**» (يو٤: ٧)

« ... قال أنا **عطشان.**» (يو١٩: ٢٨)

المحبة: « ... وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع **يحبه.**» (يو٢٠: ٢)

كما جاءت تعبيرات أخرى مكملة في الأناجيل الأخرى:

الجوع: «فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، **جاع** أخيراً.» (مت٤: ٢)

التهليل: «وفي تلك الساعة، **تهلل** يسوع بالروح، وقال: أحمدك أيها الآب...» (لو١٠: ٢١)

الغضب: «فنظر حوله إليهم **بغضب، حزيناً** على غلاظة قلوبهم...» (مر٣: ٥)

الحزن: «فقال لهم: **نفسي حزينة جداً حتى الموت...**» (مت٢٦: ٣٨)

لذلك كان من المستحيل على المسيح الذي تعب وعطش وجاع وأحب وفرح وغضب وحزن

---

(١٤) [والرب قد بكى لما رأى الإنسان المخلوق على صورته الخاصة منساقاً للفساد، وذلك حتى ببكائه يضع حدًّا لدموعنا. فإنه لهذه الغاية أيضاً قد مات حتى يخلصنا من الموت!]

(القديس كيرلس الكبير في تفسير يو ١١: ٣٥).

حزناً ثقيلاً حتى الموت، أن لا يبكي وتدمع عيناه، ليس مع الإنسان وحسب بل وعلى الإنسان أيضاً. فالذي ارتضى أن يقبل غُصَّة الموت من أجلنا، كيف لا يترك عيناه تنهمر منها الدموع علينا، والذي ارتضى أن يحمل خطايانا في جسده على الصليب، كيف يمتنع عن أن يذرف الدمع علينا حينما يحل البكاء؟ لقد أحلَّ لنفسه البكاء علينا، ولكنه أبى أن يبكي عليه أحد: «يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ، بل ابكين على أنفُسِكنَّ وعلى أولادِكنَّ.» (لو٢٣:٢٨)

يقول اللاهوتيون أن بكاء المسيح أكبر شهادة على كمال ناسوت المسيح، ونحن نقول أيضاً أن بكاء يسوع هو أكبر شهادة على استعلان كمال مشاعر قلب الله!... إن دموع يسوع هي حبات الياقوت التي سقطت علينا من جوهر الله الأزلي، لنصنع منها عقوداً للبهاء والجمال وللتباهي بها لدى الملائكة والرؤساء التي لا تملك أن تبكي.

وكما أبطل المسيح الموت بموته، فلم يَعُدْ الموت للعار والعقاب، بل للقيامة والحياة؛ كذلك فالمسيح ببكائه مسح الدمع من العيون، فلم تَعُدْ دموعنا لليأس والقنوط، ولكن للحب والعزاء، كدموعه... «يبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، و ينزع عار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم.» (إش٢٥:٨)

و يا لفخرنا بدموع الرب هذه، فبعد أن مُسِحَتْ دموعنا، وقفت هذه الدموع عينها تشهد أن «ليس لنا رئيس كهنة غير قادرٍ أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّبٌ في كل شيء مثلُنا بلا خطيةٍ، فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار.» (عب٤: ١٥و١٤)

١١:٣٦و٣٧ «فقالَ اليهودُ: انظُروا كيف كانَ يُحِبُّه. وقال بعضٌ منهم: ألم يَقْدِر هذا الذي فَتَحَ عَيْنَي الأعمى، أن يَجْعَلَ هذا أيضاً لا يَمُوتُ».

هنا أراد ق. يوحنا أن يسجل الوجه الخاطىء لمعنى دموع المسيح، إذ حسبها هؤلاء اليهود أنها دموع جسدية — سقطت عن ضعف — لأنها نابعة من صداقة مفقودة. والعجيب في أسلوب ق. يوحنا السرِّي للغاية أنه يورد بعد قول اليهود هذا، ومباشرة، الرد الذي يصحح هذه النظرة الخاطئة لدموع الرب. إذ يرى اليهود أيضاً — بعضٌ منهم — أن الذي فتح عيني الأعمى، هو قادر بالتالي أن يمنع الموت؛ فالذي يعطي النور يهب الحياة، والذي يعطي النور كيف يبكي على الظلام؟

وعلى العموم كانت تعليقات اليهود هنا، ودائماً، تنمُّ عن فقدان القدرة على مجاراة الرب في

استعلاناته، فلم يستطيعوا ولا مرة واحدة أن يلتقطوا المعنى الروحي في أقوال الرب ولا حتى في آياته. وردُّ فعلهم هنا لدموع الرب، هو مماثل لردّ الفعل الذي أخذته الصوت الذي جاء من السماء استجابة لنداء المسيح: «أيها الآب مجّدْ اسمك، فجاء صوت من السماء "مجّدت وأمجّد" أيضاً. فالجمع الذي كان واقفاً وسمع، قال: قد حدث رعد وآخرون قالوا قد كلّمه ملاك. أجاب يسوع وقال: ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم» (يو١٢: ٢٨—٣٠). هكذا، ولهذا، بكى يسوع، ليس من أجل نفسه، ولكن من أجل الذين «لم يعرفوا بعد ما هو لسلامهم.» (راجع لو١٩: ٤١)

١١: ٣٨و٣٩ **«فانزعج يسوع أيضاً في نفسه، وجاءَ إلى القبْر، وكان مغارةً وقد وُضِعَ عليه حَجَرٌ. قالَ يسوعُ: ارْفَعُوا الحَجَرَ. قالت له مرثا أختُ الميتِ: يا سيّدُ قد أنتَنَ لأنَّ لهُ أربعة أيام».**

لا يزال المسيح في حالة الاستنفار العليا، والجسد واقع تحت استعداد خروج أكبر قوة خرجت من المسيح لإتيان معجزة. فإقامة الميت من القبر— والجسد قد انحل وتهرأ وأنتن — تحتاج إلى عملية تخليق وخَلْق ليعود اللحم المنحل والفاسد إلى لعازر الأول الكامل والصحيح المتعافي. المسيح هنا — يا إخوة — هو «**الكلمة**» الخالق، وهو نفسه «**المخلّص**» من براثن الموت، وهو هو «**الديّان**» الذي تسمع الموتى صوته في القبور، وهو أخيراً «القيامة والحياة»، أقصى قوة في السماء والأرض يحتاجها الميت المنتن ليقوم ويحيا ويعيش ويتكلم مرة أخرى. أيُّ جسد هذا — الذي للمسيح — الذي تحمّل خروج هذه القوى المتعاظمة التي للخالق الديّان والمخلّص المحيي!!

سار المسيح إلى القبر في تؤدة، وجسده يرتجف من ثقل هذه القوى التي تموج في داخله تنتظر الكلمة الأخيرة لتخرج منه، لتصارع قوات الظلام في ظلمة الهاوية، وتحطّم مصاريع الجحيم، وتفكّ قيود الموت، لتُطْلِقَ سبي الروح: «أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطع قيودهم. فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم. لأنه كسّر مصاريع نحاس وقطّع عوارض حديد.» (مز١٠٧: ١٤—١٦)

كان القبر عبارة عن مغارة، إما منحوتة في الجبل أو طبيعية، إما على مستوى الواقف أو منخفضة عنه حيث يوضع الحجر على فم القبر وليس أمامه، وتُغْلَقُ الفتحة بحجر كبير، يمكن لأكثر من واحد إما أن يرفعه أو يدحرجه ليقفل باب المغارة، لتُحفظ الأجساد من تعدي الوحوش.

«قال يسوع: "ارفعوا الحجر"؛ قالت له مرثا أخت الميت: "يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام"»:

«ارفعوا الحجر»: هذا كان أمر المسيح لليهود الواقفين، وذلك ليشتركوا في التمهيد للمعجزة كشهود عيان، كما أمرهم بعد ذلك أن يحلُّوا الميت من أربطة الكَفَن، لكي تكون شهادتهم بلمس اليد أيضاً. وهذه يعتني ق. يوحنا في تسجيلها، لأنها جزء لا يتجزأ من برهان صدق الآية. ويجيء تعليق مرثا باحتجاجها أن رائحة الميت ستواجه الذين يرفعون الحجر، لتكمل الشهادة العينية والملموسة والمحسوسة بالشمِّ أن لعازر مات وله أربعة أيام في القبر، حتى لا يكون منفذ للمتشككين.

أما على المستوى الروحي السرِّي، فرفع الحجر قبل المعجزة عمل حتمي بالنسبة لنصيب خدام الرب وجهد الكنيسة الذي يمهِّد بالتعليم والتوضيح، لتتدخل قوة الرب بالروح القدس ليوقظ النفوس من موت الخطية لتقوم وتتقبل الحياة الأبدية.

أما تعليق مرثا من جهة نَتَنِ رائحة الميت، فيجيء بصفتها أخت الميت. وهي تمثل صوت النفس المتألمة في صراخها إلى الرب من جهة نتن أعمال الجسد وعفن نجاسته، حينما تتوسل ليقيم الرب سيرة الجسد من وحل الخطية إلى قداسة وبرِّ المسيح: «أنْقِذْ من السيف نفسي، من يَدِ الكلب وحيدتي.» (مز٢٢: ٢٠)

«قد أنْتَنَ لأن له أربعة أيام»:

لعازر المحبوب هنا هو «**الإنسان**»، «آدم» الذي ينضوي تحت شخصه واسمه كلُّ بني البشر، وقد انقضى عليه بالفعل أربعة آلاف سنة ــ وذلك بحساب الله، فيوم الله ألف سنة، وألف سنة كيوم أمس الذي عَبَر ــ منذ أن قَبِلَ في جسده الخطيةَ وحُكْمَ الموت معاً، ولوَّثتْ رائحته الأرض وأفْسَدَتْها. وهوذا الرب مزمعٌ أن يرفع عنه الخطية وحكم الموت معاً، ويزكِّي رائحته برائحته لدى الله والملائكة، وتتولى مريم الإعلان عنها بالناردين الخالص الكثير الثمن، الذي ملأ رائحته الدنيا كلها حيث بُشِّر بالإنجيل. ولا يفوتنا هنا أن نُلمِّح أن المسيح جعل رحلته تقودها **المحبة**، بقوله «لعازر "**حبيبنا**"»، و«حبيبنا» جاءت بلفظ الجمع، «قد نام وأنا أذهب لأُوقظه»، وبهذا قد ألمح إلى **محبة الآب** من نحو الإنسان عامةً التي هي سرُّ رحلته العظمى لخلاص العالم: «هكذا **أحب الله العالم**، حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به.» (يو٣: ١٦)

١١ : ٤٠ **«قالَ لها يسوعُ: أَلَمْ أَقُلْ لكِ إن آمنتِ، تَرَيْنَ مجدَ الله»**.

هوذا الرب يعلن عن عمل الله إزاء فساد الإنسان، فعوض نتن الموت ينبثق مجد الله، والإيمان وحده هو الذي يرى ذلك ويحققه. فبدون الإيمان يستشري الموت وتفوح نتانة الجسد وتسود عتمة القبر و يأس الإنسان. و بالإيمان تُستعلن القيامة، و يشرق النور، وتفوح رائحة المسيح الزكية لله، و يقيم الفرح في الذين يخلصون!

أما «رؤية المجد» التي تخصَّص فيها ق. يوحنا وشهد لها: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب» (يو١ : ١٤)، **فهي في نُصرة القيامة على الموت**. وهذا هو الذي سبق وأعلن عنه المسيح، كمعيار عام تُقاس به قصة لعازر في جملتها: «هذا المرض ليس للموت، بل **لأجل مجد الله، ليتمجد ابنُ الله به**». أما المجد الذي يقصده المسيح، **فهو ليس في مجرد قيامة لعازر، بل في** استعلان المسيح أنه ابن الله الغالب لسلطان الموت ومُنقِذُنا من الفساد!!

١١ : ٤١و٤٢ **«فرفعوا الحَجَرَ، حيث كان الميتُ موضوعاً. ورفع يسوعُ عَيْنيهِ إلى فوقُ وقال: أيها الآبُ أشكُرُكَ لأنك سَمِعْتَ لي. وأنا عَلِمْتُ أنك في كلِّ حينٍ تَسْمَعُ لي، ولكن لأجل هذا الجَمْعِ الواقِفِ قلْتُ، ليُؤمِنوا أنك أرسَلْتني»**.

يبدو أن الحجر الموضوع على فم القبر كان مواجهاً مباشرة للميت، بمعنى أن المغارة كانت ضيقة يحتل الجسد كل مساحتها، فظهر جسد لعازر الملفوف بالأكفان «حيث كان الميت موضوعاً»، ولا بد أن فاحت معه رائحته حسبما قدَّرت مرثا، مما يفيد أنها تعلم أن الجسد لن يتأثر بالحنوط والعقاقير التي تحفظه، أو تعطيه رائحة مقبولة لسبب انحلاله. وأمام هذا المشهد الذي يمثل الإنسان ومصيره الحزين والكئيب، الذي هو نهاية كل أحد، حيث تتجلى اللعنة بكل مؤثراتها على الميت وأهل الميت وعلى الأرض التي احتوته، وقف رب القيامة وفي يده مفتاح الحياة. هذا هو المسيح، في الهيئة كإنسان يبكي بكاءً مع الباكين، وأمام الموت صاحب «كلمة الله» التي لا ترتدُّ فارغة (إش٥٥ : ١١). «**برٌّ**» من الله، و«**قداسة**»، و«**فداء**»، «الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداء» (١كو١ : ٣٠). وهو «الابن المحبوب»، الذي يتكلم مع أبيه جهاراً بخصوص المشيئة الواحدة، والعمل الواحد، والمجد الواحد والاسم الواحد « ἐγώ εἰμι ». والآب يسمع، وليس فقط يسمع، بل ويمجِّد أيضاً: «مجَّدتُ وأُمجِّدُ أيضاً»، وتسمع البشرية والأرض والسماء: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ له اسمعوا.» (مت١٧ : ٥)

ونحن نعلم أن المسيح حينما خاطب الآب قبل الصليب ــ وهو على أبواب المحنة العظمى ــ لم يخاطبه فقط كإنسان يطلب أن تُرفع عنه هذه الكأس، بل وكابن الله يطلب ما له: «والآن مجِّدني أنت، أيها **الآب، عند ذاتك** بالمجد **الذي كان لي عندك** قبل كَوْنِ العالم.» (يو١٧: ٥)

وحينما طلب المسيح من الآب المجد الذي له **في ذات الآب**، طلبه **«بالمثل»، لأن مجد الآب هو مجد الابن**: «كل ما هو لي فهو لك، **وما هو لك فهو لي**» (يو١٧: ١٠). هذه الكلمة لم يجرؤ، ولن يجرؤ، إنسان أو نبي أو ملاك أن يقولها.

أما عن هذا المجد المتساوي أو الواحد، فهذا ما أعلنه المسيح فيما يختص بإقامة لعازر من الموت، من جهة المجد المتحصِّل من المعجزة، فإن كان **الله سيتمجد حتماً** بإقامة لعازر من الموت، **فهذا المجد عينه سيستقر لحساب الابن بالضرورة**: «هذا المرض ليس للموت، بل **لأجل مجد الله، ليتمجد ابنُ الله به**». ويلاحظ هنا أن مجد الابن ليس مُضافاً لمجد الآب، بل مجدُ الآب هو نفسه لمجد الابن.

«ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أشكُرك أيها الآب، لأنك سمعتَ لي. وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي»:

كان يتحتم على المسيح، وهو بصدد استعلان مجد الله الآب من جهة قوة القيامة من الموت المزمع أن يظهر في الحال، أن يتكلم مع الآب وذلك:

أولاً: حتى يعلم الجمع أن العمل المزمع أن يتم بأمر المسيح، هو عمل الله الآب، لكي يؤمنَ الجمعُ الواقف، ولكي يدرك الأعداء والمتشككون أنه سيتم بقوة الله، وليس بعمل السحر أو بقوة الشيطان.

وثانياً: لكي لا ينسبَ المسيح عمل القيامة أو المجد المتحصِّل منها لنفسه، من دون الله. لهذا ظهر المسيح وكأنه يصلي. ولكن صلاة المسيح هذه خلت خلوًّا تاماً من أي طلب، فهي للشكر فقط، وكأنها صلاة تسبيح واستجابة. فقد ظهر فيها توافق المشيئة بصورة مُسْبَقة وعلنية: «أنك سمعت لي، وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي» ــ مما يكشف سرَّ المحبة والمشيئة الواحدة بين الآب والابن، سِرَّ الوحدة: فالابن على الأرض يسأل بفم الإنسان، والآب في السماء يستجيب دائماً وبلا تحفُّظ ولا استثناء. فهي استجابة مطلقة بسبب تطابق المشيئة تطابقاً مطلقاً: «في كل حين تسمع لي». وهذا بحد ذاته كان مسرة للمسيح وموضع شكره، لأنه يكشف للسامعين والناظرين علاقة الآب بالابن. فالابن المُرْسَلُ في صورة الإنسان، يسوع المسيح، يسمع لمشورة الآب

و يطيعها طاعة مطلقة. وحينما يطلب من الآب من أجل الإنسان و باسم الإنسان، يستجيب الآب **استجابة مطلقة**، لأنه يفعل كل حين ما يرضيه. هذا **«التوافق» المطلق** بين الطلب **والاستجابة** لحساب الإنسان يَشتعلن فيها المسيح، بكل يقين، أنه مُرْسَلٌ من الآب، وهو ابن الله بالضرورة.

ثالثاً: يلزمنا أن ننتبه جداً أن صلاة المسيح هذه هي لحسابنا، وهي بفمنا(١٥)، والمسيح يقدِّمها للآب بدالة بنويته، التي سلَّمنا سر نعمتها وسر قوتها وخصوبتها؛ لكي في دالة بنوة المسيح للآب هذه عينها، نتقدم نحن أيضاً كبنين لله بالتبنِّي بيسوع المسيح، ونسأل ونطلب بحسب روح الله الذي يُهذِّب مشيئتنا و يقويها، لتكون بحسب مشيئة الآب والابن لتُسْتَجَابَ كل طلباتنا لدى الله — كلَّ ما طلبنا ونطلب.

هذا الأمر خطير في الحقيقة، لأنها عطية فائقة، **سلَّمها لنا المسيح لنكمِّل بها عمله**، وليس لنتمجد بها نحن. هذا السرُّ يدخل دخولاً عملياً في مسئوليتنا لتكميل عملية الخلاص التي وُهبت لنا بموت الرب وقيامته. فالصلاة هي قوة منبعثة من العمل الفدائي، الذي أُعطي لنا أن نكمِّله في أنفسنا وفي الآخرين، وهي سرُّ فعل الخلاص الذي يقتحم القلوب القاسية، لتباشر كلمةُ المسيح فاعليَّتها داخل النفس، لتخلِّصها من براثن الخطية والشيطان. فالصلاة هي الموهبة العامة التي أُعطيت للجميع: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (أف ٤ : ١٢). **فالصلاة المستجابة هي أيضاً من سمات العهد الجديد، المميِّزة لأولاد الله.** ثم أخيراً، هي المنفذ الذي وعد به الرب أخصَّاءه وأحبَّاءه، تجاه الضيقات والمِحَن والتجارب، التي تحتِّم علينا أن نواجهها في العالم الحاضر: «ولكن الله أمينٌ الذي لا يَدَعُكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل **سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ**، لتستطيعوا أن تحتملوا» (١ كو ١٠ : ١٣). وهذا هو الوعد الذي قطعه الرب على نفسه:

+ «**ومهما** سألتم باسمي، فذلك أفعله، **ليتمجد الآب بالابن.** إن سألتم شيئاً باسمي، فإني

---

(١٥) يقول في ذلك القديس أثناسيوس:

[إن كل صلاة صلاَّها المخلِّص، إنما قد صلاَّها بالنيابة عن طبيعة الإنسان] (تفسير مزمور ٦٨).

و يشترك معه القديس كيرلس الكبير قائلاً:

[إنه يفعل ذلك (الصلاة) بالنيابة عنا، وطِلْبَتنا نحن هي التي صارت فيه].

(الكنز في الثالوث — PG 75,388).

[فإننا نحن الذين كُنَّا فيه نصلي بصراخ شديد ودموع، ونطلب أن يُبطِلَ سلطانَ الموت، وأن تقوى الحياة الموهوبة قديماً لطبيعتنا].

(عن الإيمان القويم PG 76,1392).

أفعله.» (يو١٤: ١٣و١٤)

وواضح هنا أن الرب يكمل نفس صلاته وسؤاله عنا لدى الآب بواسطة صلواتنا!! فصلواتنا داخلة، بالنعمة التي لنا في المسيح، دخولاً لاهوتياً ــ أي في سر علاقة الابن بالآب ــ في صلاة المسيح. ولأن علاقة الابن بالآب لا تحتمل الرفض ولا الإهمال على وجه الإطلاق، لذلك فالمسيح يؤكد ــ بسبب هذه العلاقة السرِّية بينه وبين الآب ــ أنه «**مهما** سألتم باسمي، فذلك أفعله» !!

+ «إن ثبتم **فيَّ** وثبت كلامي فيكم، **تطلبون** ما تريدون **فيكون لكم**.» (يو١٥: ٧)

واضح هنا أيضاً أن الرب يرفع من نوعية صلواتنا من مستوى السؤال الذي ينتظر الجواب، إلى صلاة الشكر بسبب الاستجابة المؤكدة: «تطلبون... فيكون لكم»، وهي نفس نوعية صلاة المسيح لدى الآب، حيث المسيح ألغى «السؤال» من لدن الآب من جهة قيامة لعازر ــ ووضع مكانه «**الشكر**» لثقته في الاستجابة الحتمية.

+ «وفي ذلك اليوم **لا تسألونني شيئاً**. الحق الحق أقول لكم: إن **كلَّ ما طلبتم** من الآب **باسمي**، يعطيكم.» (يو١٦: ٢٣)

+ «**في ذلك اليوم تطلبون باسمي**، ولست **أقول** لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، لأن **الآب نفسه يحبكم**، لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت.» (يو١٦: ٢٦و٢٧)

وهذه هي آخر درجة في نوعية الصلاة. فهي لا تعود تحتاج أن يتدخل المسيح بدالَّة بُنُوَّته لدى الآب ليرفع صلواتنا إلى الآب، بل المسيح يسلِّمنا **دالة بُنُوَّته** عينها **مع محبة الآب له**، لنطلب بمقتضاها ومن داخلها وكأننا بفم الابن نتكلم مع الآب، ونشكر. فكما يستجيب الآب للابن، يستجيب لنا، حيث اسم يسوع المسيح فقط يقدِّمنا للآب في شخصه: «الذي به، لنا جراءة وقدوم بإيمانه (إلى الآب) عن ثقة.» (أف٣: ١٢)

+ «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. **اطلبوا، تأخذوا**، ليكون فرحكم كاملاً.» (يو١٦: ٢٤)

هنا، **أولاً، يستحثُّنا المسيح أن نسأل باسمه**، وذلك الإحثاث يكشف عن لزومية السؤال والأخذ بالنسبة لنا ولحياتنا وبالنسبة لخلاص الآخرين. وهذا العمل (أي السؤال) هام بالنسبة للمسيح نفسه، **فهو** استمرار لاستعلان **قوة** وفاعلية اسم المسيح في العالم، لتكميل عمل الخلاص الذي بدأه، كما هو هام لازدياد ونمو اختبارنا لقوة المسيح وفاعلية اسمه.

وثانياً: يرى المسيح أن وراء السؤال باسمه واستجابة الآب للسؤال، استعلاناً لمحبة الله لنا: «الآب نفسه يحبكم»، وذلك نتيجة لثقتنا وإيماننا وحبنا للمسيح: «لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت.» (يو١٦: ٢٧)

واستعلان **محبة الآب لنا**، هي مصدر «**الفرح الكامل**». وليس سرًّا أن نقول، بحسب خبرة النعمة، أن **الفرح الروحي الكامل هو الإعلان الحسّي عن حضور الله**، أو الحياة في حضرته، التي هي منتهى قصد الإنسان.

وق. يوحنا يشهد من خبرته العملية على صدق هذا الكلام، بقوله: «**ومهما سألنا ننال** منه، لأننا نحفظ وصاياه (يَثْبُت كلامي فيكم)، ونعمل الأعمال المَرْضِيَّة أمامه» (١يو٣: ٢٢)، «وهذه هي الثقة التي لنا عنده، أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته، يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا، يسمع لنا، نعلم أن لنا الطِّلبات التي طلبناها منه.» (١يو٥: ١٤و١٥)

١١: ٤٢و٤٣ « ... ولكن لأجلِ هذا الجَمْعِ الواقِفِ قُلْتُ، لِيُؤمِنُوا أنكَ أرسَلْتَني. ولما قالَ هذا صَرَخَ بِصَوْتٍ عظيمٍ: لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً».

بعد أن هيأ المسيح عقول الجمع والتلاميذ ومرثا ومريم لقبول المعجزة، ورفع حرارة قلوبهم وإيمانهم إلى أعلى درجة في الإيمان، حتى صار الجميع يثقون أن لعازر سيقوم مائة بالمائة؛ «**لأنك في كل حين تسمع لي**»، وبعد أن اطمئن المسيح أن الجميع قد تعلّق قلبهم بالله الآب كصانع لمعجزة «القيامة»، ورأى الجميع المسيح وهو رافع يديه نحو السماء وسمعه وهو يتحدث مع الله الآب؛ شعر الجميع بالصلة السرية بين المسيح والآب والدالّة والتوافق بينهما، فأدرك أن ما سيعمله المسيح هو هو عمل الآب، وأن العمل الوشيك أن يعمله المسيح بسلطان فائق هو لمجد الله الآب ليتمجد به المسيح: «صرخ بصوت عظيم لعازر هلّم خارجاً».

واضح أن الرب يتعامل هنا مع قوة أخرى عنيدة، يأمرها بقوة واقتدار وجلال عظيم: «صوت الرب بالقوة، صوت الرب بالجلال... صوت الرب يقدح لُهُبَ نارٍ، صوت الرب يزلزل البرية.» (مز٢٩: ٤و٧و٨)

نعم، سمعت الهاوية فتزلزلت وأَخْلَتْ قوات الجحيم أسيرها: «استجب لي سريعاً، اقترب إلى نفسي، فُكّها، بسبب أعدائي افْدِني.» (مز٦٩: ١٧و١٨)

هنـا صورة حية ناطقة لما يصفه بولس الرسول فيما سيكون حتماً: «لأن الرب نفسه بهُتافٍ، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً.» (١تس٤: ١٦)

وصراخ المسيح «**بصوت عظيم**»، يلمّح به ق. يوحنا إلى أن «**نوم**» لعازر كان عميقاً للغاية، ويتوافق مع كلمة الرب أنا أذهب «**لأُوقظه**». وهكذا يستصغر الإنجيل من قدر الموت أمام ربّ الحياة. ولكن، وفي الحقيقة أيضاً، فإن صراخ الرب بصوت عظيم يكاد يرعب السامع والناظر وحتى القارىء، لأننا تعوّدنا أن نسمع عن الرب أنه «لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته» (مت١٢: ١٩)، فهنا وفي يقيني أن قوة هائلة خرجت من الرب لم يستطع جسد المسيح إلاَّ أن ينوء تحتها مُعْلِناً عنها بهذا الصراخ العظيم. فهذه بعينها قوة الحياة التي تفوق قوة الخَلْق، لأنها تتعامل مع نفس مقيَّدة بقيود الجحيم، ومع جثة منتنة عبثت بها كل عوامل الانحلال. والعقل يقف حائراً وقد أخذه الذهول، لأن النفس والجسد استجابا في الحال، وعادا إلى الحياة برجع صدى صوت المسيح.

١١: ٤٤ «فخَرَجَ المَيْتُ، ويَدَاهُ ورِجْلاهُ مَرْبُوطاتٌ بأقْمِطَةٍ، ووجهُهُ مَلفُوف بمِنْدِيلٍ».

خروج لعازر الميت من القبر بأقمطته، صورةٌ مرعبة حقاً لا يستطيع أن يلاحقها الخيال دون أن يُصاب الفكر بالدوار. فالإنسان تآخى مع الموت وصورة الموتى، ولم يتآخى بعد مع القيامة وصورة الخارجين من القبور. فالقيامة وإن كان اسمها حلو للغاية بالمفهوم الروحي، إلاَّ أن تصوُّرها بالجسد مرعب لأقصى حدٍّ. وهذا ما عاناه التلاميذ عند قيامة المسيح في أول الأمر: «وقف يسوع في وسطهم وقال لهم: سلام لكم. **فجزعوا وخافوا**، وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم: **ما بالكم مضطربين**، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم» (لو٢٤: ٣٦–٣٨)؛ لأن قيامة الجسد لم تكن تخطر على بال.

أما خروج الميت **وهو مربوط**، فلا داعي أن يُرْبِكَ الفكر، لأن عادة اليهود في تكفين الميت أخذوها عن المصريين الفراعنة، حيث يُلَفُّ كل ذراع بمفرده وكلُّ رِجْل بمفردها، بحيث يمكن تصوُّر لعازر وهو يقوم ويقف ويمشي ويخرج.

وبالنهاية، فإن منظر لعازر خارجاً من القبر يبسِّط لنا معنى القيامة، ويوضح لنا القوة المذخرة في المسيح التي قام بها من الموت.

١١ : ٤٤ **«... فقال لهم يسوعُ: حُلُّوهُ ودَعُوهُ يذهَبْ».**

عجيب المسيح في حاسته الحاضرة دائماً لاحتواء الذهول والرعبة التي كانت تعقب معجزاته. فهنا لا يمكن أن نتصور مدى الفزع والرعبة والخوف الذي أصاب الجميع حينما رأوا لعازر خارجاً من القبر، لذلك بادرهم المسيح في الحال بأمرٍ يستعيد به حركتهم و يطبّع به شعورهم تجاه الأمر الواقع أمامهم: «**حُلُّوه ودعوه يذهب**». هذا حدث أيضاً في المواقف الأخرى المماثلة: «فقال: أيها الشاب لك أقول قُمْ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم — **فدفعه إلى أمه**» (لو٧: ١٥)، «ونادى قائلاً: يا صبيَّة قومي. فرجعت روحها وقامت في الحال — **فأمر أن تُعطى لتأكل.**» (لو٨: ٥٥)

هذا، يا إخوة، ما حدث، وما حدث أمر لم يحدث له مثيل قط: ميت يقوم من القبر بعد أربعة أيام، وقد أنْتَنَ وتحلّل جسده. ولكن الذي نعرفه جيداً، أن آياتٍ أخرى كثيرة حدثت لم يُكشف عنها ولم يذكرها هذا الإنجيلي الرائي الفريد في روحه وأسلوبه، ولا نعلم يا إخوة ما الذي منعه عن ذكرها غير أن نموذج قيامة لعازر يجعلنا نؤمن أن المسيح هو ابن الله الحي ديَّان الأحياء والأموات، ونتيقَّن أن قيامتنا حقيقة واقعة، ونحن بانتظار صوت المسيح «**الآن**» **وكل يوم!**

التعقيب على آية إقامة لعازر: (١١: ٤٥—٥٣).

١١: ٤٥و٤٦ **«فكثيرونَ من اليهودِ الذين جاءُوا إلى مريمَ ونظروا ما فَعَلَ يسوعُ، آمنوا بِهِ. وأما قومٌ منهم، فمَضَوْا إلى الفريسيينَ وقالوا لهم عمَّا فعلَ يسوعُ».**

واضح هنا أن اليهود الذين جاءوا للتعزية كان بعض منهم أصدقاء أوفياء رأوْا وآمنوا بالمسيح، وكأنما الصوت الذي سمعه لعازر في القبر سمعوه، وقوة الحياة التي سَرَتْ في أوصال الميت فأقامته، سَرَتْ فيهم وأقامتهم، وذاقوا الحياة في المسيح، فآمنوا به كَرَبِّ القيامة والحياة الآتي إلى العالم، وهذا منتهى قصد المسيح والآب الذي أرسله. أما البعض الآخر من اليهود فلم تكن لهم آذان روحية تسمع ولا عيون روحية تبصر، وهؤلاء هم الذين قال عنهم المسيح على لسان إبراهيم في قصة لعازر والغني: «فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء. ولا إن قام واحد من الأموات يُصدِّقون» (لو١٦: ٣١)، لأن غيرتهم كانت منحصرة في الأرضيات، فكانت إقامة المسيح للعازر من الموت تمثل عندهم ضياع هيبة السنهدريم والرؤساء والكهنة والكتبة والفريسيين جميعاً، وكلّ من ارتزق من الهيكل وتمسك بالأرض والميراث والتراث التي ينادي بها المتعصبون للأمة وقضاياها. فذهبوا في الحال ليخبروا رؤساءهم بما حدث ويخبروا عن الذين آمنوا.

١١: ٤٧و٤٨ **«فجَمَعَ رؤساءُ الكهنةِ والفريسيُّون مَجْمَعاً، وقالُوا: ماذا نَصْنَعُ فإن هذا الإنسانَ يعملُ آياتٍ كثيرةً. إن تركناهُ هكذا، يُؤمِنُ الجميعُ بِهِ، فيأتي الرُّومانيُّونَ ويَأخُذُونَ مَوْضِعَنا وأُمَّتَنا».**

يلاحَظ هنا أن رؤساء الكهنة بدأوا يتحركون بسرعة، عن خوف وحقد معاً، لأن رؤساء الكهنة هم الصدُّوقيون الذين لا يؤمنون بالقيامة، فكانت إقامة لعازر من الأموات تمثل بالنسبة لهم ولمبادئهم هزيمة بالضربة القاضية، لذلك أصبح التخلص من المسيح بمثابة قضيتهم الأُولى وخلاصهم الوحيد.

وفي هذه المرة لم يرسل رؤساء الكهنة ولا الفريسيون مَنْ يحقق في صدق هذه الآية، لأنها كانت ثابتة بشهود وفوق الشبهات.

أما الفريسيون المجتمعون معهم، فلم تؤثر فيهم هذه الآية ــ أي القيامة من الموت ــ كثيراً لأنهم كانوا يؤمنون بالقيامة. ولكن عداءَهم للمسيح كان نابعاً من تعارض تعاليم المسيح مع مصالح ومستقبل مهنتهم، وبالأكثر تعارضٌ مع سلوكهم وأخلاقهم. غير أن بعضاً منهم كانوا قد آمنوا بالمسيح، ولكن بسبب الخوف أخْفَوْا أنفسهم. ولذلك لا نعود نسمع كثيراً عن تحرُّك الفريسيين في كل الأصحاحات القادمة، بل كانت القيادة والحركة دائماً لرؤساء الكهنة ولا يُسمع عن الفريسيين إلاَّ داخل السنهدريم لأنهم أعضاء بالضرورة. وفي النهاية تخلى الفريسيون عن المقاومة، وتمثَّلت العداوة للمسيح في رؤساء الكهنة وحدهم، وكانت عداوة حتى الموت. وهذا الاتجاه واضح أيضاً في الأناجيل الأخرى.

وهكذا نرى من تركُّز حركة قيادة المقاومة في رؤساء الكهنة، وذلك بصفتهم فئة الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة، أن آية إقامة لعازر من الموت **كانت السبب الأخير والمباشر** الذي بَلْوَرَ في أذهان رؤساء الكهنة حتمية سرعة موت المسيح الذي سبق وقرروه عدة مرات.

ونحن نقرأ ما كان يدور في أذهان الفريسيين ورؤساء الكهنة منذ البداية عن ضرورة موت الرب هكذا:

+ «فأجابهم يسوع: أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل. فمن أجل هذا **كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه،** لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله.» (يو٥: ١٧و١٨)

+ بعد التعليم عن أكل الجسد وشرب الدم: «وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل. لأنه لم يُرِدْ أن يتردد في اليهودية، لأن اليهود **كانوا يطلبون أن يقتلوه.**» (يو٧: ١)
+ بعد تعليمه في الهيكل وتوبيخه للفريسيين: «أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس. لماذا تطلبون أن تقتلوني.» (يو٧: ١٩)
+ «فقال قومٌ من أهل أورشليم: أليس هذا **هو الذي يطلبون أن يقتلوه.**» (يو٧: ٢٥)
+ «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم.» (يو٨: ٤٠)
+ «فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم، ومضى هكذا.» (يو٨: ٥٩)
+ «... أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه.» (يو١٠: ٣٠و٣١)

ثم جاءت أخبار آية إقامة لعازر من الموت التي جعلتهم يعقدون مجمعاً في الحال، لينظروا بجدية في أمر قتله:

«ماذا نصنع، فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به»:

كان فكر رؤساء الكهنة والفريسيين قد انشغل منذ البداية بالآيات التي كان يصنعها المسيح. وكان القلق والخوف يتزايدان بتزايد الآيات. وكانت العوامل التي تثير هذا الخوف والقلق تنبع من ثلاثة أسباب، هي بحسب أهميتها لهم كالآتي:

الأول: الخوف على مراكزهم، بصفتهم رؤساء وقضاة الأمة، وفي نفس الوقت لم يتحنَّن عليهم الرب بأي مواهب أو مميزات روحية تحفظ لهم حق هذه الرئاسة والكرامة، في مقابل الآيات التي كان يصنعها المسيح والتي بدأت تتزايد ويتزايد معها المؤمنون به.

الثاني: خلاصة تعاليم المسيح كانت تتجه نحو الحياة الروحية واستيطان السماء وإضعاف التقاليد وبخاصة حفظ السبت، مما تراءى لهم أن هذا يخلخل تمسك الشعب وخاصة الغيورين منهم بميراثهم الأرضي والآبائي والناموسي. وهذا يسهِّل على المستعمر الروماني الاستيلاء على الأرض والحكم معاً. وبذلك تتلاشى عناصر الأمة اليهودية التي تقوم على الأرض والناموس. وهذا كان يؤرقهم للغاية.

ثالثاً شخصية المسيح كانت قد بدأت تأخذ ملامحها الإلهية، ويتزايد العنصر الإلهي فيها بزيادة الآيات التي كانت تنطق كلها بأنه ليس مجرد نبي، وتصريح المسيح بأنه ابن الله (يو١٠: ٣٦)،

وأنه هو والله الآب واحد (يو١٠ : ٣٠). وهذه كانت تتعارض تعارضاً جذرياً مع مفهوم وحدانية الله عندهم. وكانت كلمات المسيح تطيح بعقولهم وتتركهم شبه مجانين. فكان المسيح يمثل عندهم حد التجديف الأعلى الذي يستوجب الموت.

وهكذا، كلما كان المسيح يتزايد قوة بالآيات التي يصنع؛ كانوا هم يتزايدون ضعفاً بسبب عدم قدرتهم على عمل أي شيء يجتذب نظر الشعب و يوقف معركة الإيمان به. فكانت حيرتهم فوق العقل: «ماذا نصنع؟».

وهكذا شكّل المسيح في قلوبهم حركة ضياع تراءت لهم أنها مصيرية، خاصة حينما رأوا أن أعداد الذين يؤمنون به تتزايد بصورة رهيبة: «إن تركناه هكذا، يؤمن الجميع به».

«فيأتي الرومانيون و يأخذون موضعنا وأُمتنا»:

وهكذا كانت سرعة الحسم في أخذ قرار متعجّل جاهل مملوء أخطاء شيئاً خارجاً عن نطاق العقل. وقد اتجه قرار مجمع السنهدريم نحو «الخوف السياسي» أكثر منه نحو الخوف على الناموس والأنبياء والتقليد والمبادىء الإلهية، مما يوضح مدى انحراف الرؤساء عن جوهر رسالتهم وعبادتهم.

وهذا الاتجاه السياسي في التفكير بالنسبة لقضية المسيح المطروحة في المجمع، يفيد أن عنصر الصدوقيين كان هو السائد والمحرك للمجمع وليس العنصر الفريسي ذي الإتجاه التعليمي.

و يقرر العلاَّمة الألماني شناكنبرج R. Schnackenburg في كتابه: «حكم الله والملكوت» (في الصفحات ٥٧ـــ٦٢)، موقف الفريسيين الشديد التمسك بالتوراة الذي ـــ في اعتقادهم ـــ هو الطريق الوحيد الذي يمهد لمجيء المسيا وبداية حكم الله. كما يصفهم العلامة الألماني W. Foerster بأنهم، أي الفريسيين، حاولوا باستمرار، أولاً في أيام بومبي Pompey الوالي الروماني، أن يعفوا أنفسهم من شئون الحكم على يدي الهاشمونيين والهيروديين بعدهم لكي يتفرغوا و يكرسوا أنفسهم تكريساً كليًّا لخدمة الناموس، راضين بالحكم الروماني الذي تولى شئون التنظيم الخارجي.

و يقرر العلاَّمة الألماني شناكنبرج أيضاً أن موقف الفريسيين هذا ظهر بوضوح عند معارضتهم ومقاومتهم للثورة المسلحة ضد الرومان عند قيام الحرب اليهودية، كما يقرر العلامة يوسيفوس المؤرّخ اليهودي (Bell II-411-24). [١٦]

[16] Schnackenburg, *op. cit.*, p. 519.

«يأخذون موضعنا»:

الموضع هنا باليونانية τόπος لا يعني الأرض ولا المدينة المقدسة كما يظن بعض العلماء، ولكنه الاسم الطقسي للهيكل المقدس ــ الذي ينبغي أن يُسجد فيه وحده ــ كما جاء في يو٤ : ٢٠ : «تقولون أن في أورشليم **الموضع** τόπος الذي ينبغي أن يُسجد فيه». ولا يزال هذا الاصطلاح يُستخدم حتى الآن في الكنيسة القبطية في القداس، وفي كل الصلوات عند البداية، في صلاة الشكر: «كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرات الناس الأشرار وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين انزعها عنا وعن سائر شعبك وعن **موضعك** المقدس هذا».

ومعروف أن الهيكل المقدس في أورشليم كان هو رمز الوجود والحياة بالنسبة لليهود، أكثر من أورشليم ذاتها ومن كل الأرض. والعجيب حقاً أن قتلهم للمسيح بسبب خوفهم من ضياع الهيكل، سبق المسيح وأعلن إزاءه أن موته سيكون سبباً مباشراً لهدم الهيكل ولقيام الهيكل الجديد (جسده) عوضاً عنه: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه.» (يو٢ : ١٩)

«يأخذون... أُمّتنا» ἔθνος :

و يقصد بها الأمة اليهودية ــ (الجنس اليهودي) ــ بمفهوم فقدان **«الحرية الدينية»** التي كان الرومان قد سمحوا بها لليهود. وهذه هي بعينها ــ أي الحرية الدينية السياسية ــ التي وقفت حجر عثرة في تقبُّلهم الحرية التي في المسيح، التي تنقذهم من عبودية الخطية وعبودية المجد الدنيوي. ولكنهم فقدوا هذه وتلك: «أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلاَّ قيصر» (يو١٩ : ١٥)؛ «لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله» (يو١٢ : ٤٣). ومعروف أنه بعد صلب المسيح بأربعين سنة، أي في سنة ٧٠م، دخل الجيش الروماني وهدم وأحرق الهيكل، وأسر الشعب اليهودي.

١١ : ٤٩و٥٠ **«فقال لهم واحدٌ منهم وهو قَيَافَا، كان رئيساً للكهنةِ في تِلْكَ السنةِ، أنتم لستم تعرفونَ شيئاً. ولا تُفكِّرُونَ أنه خيرٌ لنا أن يموتَ إنسانٌ واحدٌ عن الشعبِ ولا تَهْلِكَ الأمةُ كلُّها».**

«قيافا»:

في الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا نقرأ أن رئيس الكهنة الذي حوكم المسيح أمامه هو حنان ثم قيافا: «ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى **"حنان"** أولاً، لأنه كان حَمَا قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة.» (يو١٨ : ١٢و١٣)

وفي إنجيل لوقا نقرأ: «في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا» (لو٣: ٢)، أي أن كلًّا من حنان وقيافا كان يباشر وظيفة رئيس كهنة في ذات الوقت.

وفي سفر الأعمال نقرأ: «وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنان رئيس الكهنة وقيافا و يوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة.» (أع٤: ٥و٦)

هذه الشبكة المتشابكة من رؤساء الكهنة، يحلُّ لنا لغزها العلاَّمة والمؤرخ اليهودي يوسيفوس(١٧) حيث يقول إن فاليروس جراتوس أسقط حنان رئيس الكهنة من وظيفته سنة ١٤م، بعد أن كان قد شغلها سبع سنوات. ولكن ظلّ تأثير حنان قوياً بسبب شخصيته، حتى إن الشعب ظلّ يعتبره رئيساً رسمياً للكهنة بالرغم من إقالته. وظلَّت رئاسة الكهنوت الرسمية يتداولها أفراد عائلة حنان بالتتابع، فشغلها إشماعيل، ثم أَلِعازار ابنه، ثم سمعان ابن أَلِعازار، وأخيراً شغلها يوسف قيافا، وهو الذي يذكره ق. يوحنا في إنجيله أن حنان حماه، موضحاً بذلك رئيس الكهنة الرسمي ورئيس الكهنة بالتدخل، وهو حنان، المعروف عنه أنه كان جريئاً وغير مستقيم.

وقد شغل قيافا رئاسة الكهنوت من سنة ٢٥ حتى سنة ٣٦م، أي طوال مدة خدمة الرب يسوع، وكان معروفاً بالجهل والقسوة وأنه أرستقراطي النزعة كما يصفه يوسيفوس.

اجتمع السنهدريم مع رؤساء الكهنة والفريسيين، ونُظرت قضية المسيح، وكانت أمامهم معقَّدة أشد التعقيد، فلم يكن الرأي متفقاً على شيء، وظل النقاش مستمراً بصورة عابسة و يائسة. وهذا واضح كل الوضوح من الإشارة الواردة في محضر الجلسة: «أنتم لستم تعرفون شيئاً». وهذا يعني أن المجلس كله كان في حالة إرتباك، وهذا معروف ضمناً لأن الصراع التقليدي بين الصَّدُّوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة و بين الفريسيين الذين يؤمنون بها وارد قطعاً، لأن المجلس انعقد على أساس المعلومات الواردة بخصوص آية إقامة لعازر من الموت. ولكن مجلس اليهود لا يُعْدَم الحيل والمناورات. فقد انبرى «واحد منهم» وكأنه أشجعهم، وهو قيافا، ليُسْعِف المجلس برأيه، وكان محسوباً أنه الرأس المسئولة عن سياسة الأمة، لذلك كان يتكلم بلسان رجل دولة للأمة كلها. ولكنه ــ وللأسف ــ كان معروفاً أنه أكثرهم جهلاً.

---

17 Josephus, *Ant.*, XVIII, 2-2 and 4-3.

«كان رئيساً للكهنة في تلك السنة»:

ق. يوحنا هو المتكلم. وكلام ق. يوحنا لا يؤخذ بسهولة، فكلمة «في تلك السنة» لا تعني أن التعيين بالنسبة لرؤساء الكهنة كان يجرى سنوياً، فهذا ليس صحيحاً. فقيافا استمر في رئاسته (٢٥ــ٣٦م) حتى أسقطه الوالي فيتلُوس بعد سقوط بيلاطس بقليل. والمعروف أن رئيس الكهنة يُعيَّن لمدى الحياة، ولكن المعنى السرِّي (mystical أي الروحي غير الحرفي) يهدف إلى أن «هذه السنة» لا تعني الضبط التاريخي ولكنها منسوبة إلى «**حياة المسيح**»، فهي سنة المسيح أي «سنة الرب المقبولة» (إش ٦١ : ٢) حسب النبوات. وقيافا كان هو رئيس الكهنة لهذه السنة التي في لاهوت ق. يوحنا هي سنة النهاية والبداية، الموت والقيامة، وحيث النهاية بالنسبة للقديم، وحكم الموت بالنسبة إلى حبرية هذا الكاهن حسب كلامه، حيث ماتت (هلكت) أمة وقامت الأمم: «خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها».

هذا القول الذي قاله قيافا اعتبرته الكنيسة الأُولى أقوى تعبير نبوي نطقه رئيس كهنة العهد القديم ــ دون أن يدري ــ عن مفهوم الفداء الذي تم بموت المسيح. وهذا في الواقع هو صدى تعبير المسيح نفسه، لأن «ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخْدُم، **وليبذُلَ نفسه فِدْيَةً عن كثيرين.**» (مر ١٠ : ٤٥)

وكلام قيافا صار حقيقة واقعة، لأنه بموت المسيح صار الخلاص لشعب الله الحقيقي، وهو إسرائيل الجديد. غير أن قيافا كان يرى و يؤمن ويخطط أن يموت المسيح لتتخلص منه الأمة. ولكن الذي حدث أنه مات لتَخْلُصَ به، وليس لتتخلَّص منه. وكان سبب الإقدام على قتل المسيح عند قيافا هو إحكام إغلاق حدود الأمة اليهودية على نفسها، لتمنع تدخُّل الرومان ــ الذين كانوا في ذلك الوقت يمثِّلون جميع الأمم ــ ولكن في المقابل كان السبب الأساسي عند المسيح في قبوله الموت، هو كَسْرُ هذه الحدود بالذات التي كانت تطوِّق الأمة اليهودية عن الرومان واليونان و باقي الأمم، والتي كانت تمنع عنهم معرفة الله وقبول الخلاص.

لذلك، فإن قرار مجلس السنهدريم الذي كان يمثل في الحقيقة خلاصة «**الناموس**» على أيدي أئمة العلماء القيِّمين عليه؛ والذي يتلخص في ضرورة بل وصلاح عملية قتل المسيح الذي ثَبَتَ أنه هو هو رجاء وكمال الناموس... كان هذا القرار هو القرار النهائي ضد صلاحية الناموس!

وأبسط الحلول التي كان قيافا يتقنها كرجل دين ودولة في فنون السياسة الكهنوتية، هي القتل لتخلُّص من أي ما يعكِّر صفو الجو الكهنوتي. وسفر الأعمال يذكر استمرار هذه السياسة: «فقام

رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلأوا غيرة. فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة.» (أع ٥: ١٧و١٨)

«أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون»:

هكذا ظهر قيافا كصاحب الحكمة وسط أعضاء السنهدريم الذين لا يعرفون شيئاً من دبلوماسية الأمة ولا يفكرون جيداً لمصلحتها، حيث يلزم أن يُسفك دم البريء من أجل صالح الأمة هكذا!!

هذا ما انتهى إليه ناموس موسى على يد قيافا ومجمع السنهدريم، لذلك كانت بحق «هي السنة الأخيرة» بحساب صلاحية الناموس والكهنوت القيِّم عليه.

أما يسوع، ففي رأي قيافا، كان لا ينبغي أن يُذكر اسمه بعد، بل يكفي أن يكون مجرد **«إنسان واحد»**. ووقتُ المجلس ليس يتسع بعد لرأي الفريسيين، الذي كان على ما يبدو هو إعادة فحص سلطان المسيح و بأي سلطان كان يفعل الآيات، ولماذا أقبل الشعب على الإيمان به، وكيفية تحديد نشاطه. فقد كان قول قيافا: «أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكِّرون»، هو الرد الحاسم الذي أسكَتَ الفريسيين وأنهى على المداولة بأكملها. وجاء مشروع القرار مع مسبباته في جملة واحدة: «أن يموتَ إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها».

ونحن لو أردنا أن نعرف ماذا كان يتداوله الفريسيون قبل هذا القرار و بعده، نجده هكذا: «فقال الفريسيون بعضهم لبعض: انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً هوذا العالم قد ذهب وراءه.» (يو١٢: ١٩)

واضح من القرار قدرة قيافا على إلباس الحق ثوب الزور، وتعليل القتل بأنه عين الخلاص للحياة.

ثم يلتقط ق. يوحنا هذا القرار و يقلبه رأساً على عقب لتظهر فيه النبوة واضحة. فبحسب نظرية قيافا، كانت النتيجة شؤماً على الأمة، لأن الرومان أخذوا موضعهم وحرقوه وأهلكوا الأمة وشتتوا الشعب. فحكمة قيافا، كانت هي حكمة الشيطان بعينها بالنسبة لمصير اليهود كيهود. وإن أبدع تصوير يحقق هذه العملية، هو المثل الذي قاله المسيح قبل موته مباشرة عن الكرَّامين الأردياء: «ولكن أولئك الكرَّامين قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلمُّوا نقتله فيكون لنا الميراث، فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم. فماذا يفعل صاحب الكرم؟ يأتي و يُهلك الكرامين و يعطي الكرم إلى آخرين... عرفوا أنه قال المثل عليهم...» (مر١٢: ٨و٩و١٢)

١١ : ٥١و٥٢ **«ولم يَقُل (قيافا) هذا من نفسِهِ بل إذ كان رئيساً للكهنةِ في تلكَ السنةِ، تنبأ أن يسوعَ مُزْمِعٌ أن يموتَ عن الأمةِ. وليس عن الأمة فقط بل ليجمعَ أبناءَ الله المتفرقينَ إلى واحدٍ».**

وق. يوحنا يشير إلى قول المسيح: «وأنا أضع نفسي عن الخراف (خراف بيت إسرائيل). ولي خراف أُخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمعَ صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد» (يو١٠: ١٥و١٦)، على أن «أبناء الله» المتفرقين الذين في عُرْفِ قيافا هم يهود الشتات، يعتبرهم ق. يوحنا هم أولاد الله المعيَّنين للحياة الأبدية (يو١: ١٢).

«إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ»:

كان رئيس الكهنة يُمثل الرئاسة الإلهية لليهود، فهو الذي يسأل الله عن الشعب، ومن فمه تُطلب الشريعة، وقوله هو القول الملهم من الله في الأمور التي يعسر فهمها أو يحوطها الشك، وهذا نقرأه في (خر٢٨: ٣٠)، وفي (لا٨: ٨)، وفي سفر العدد عند تكريس يشوع قائداً للشعب: «فقال الرب لموسى: خُذْ يشوع بن نون، رجلاً فيه روحٌ وضَعْ يدك عليه... وأوْقِفْه قُدّام أَلِعَازار الكاهن... **فيقف أمام ألعازار الكاهن فيسأل له بقضاء الأُوريم أمام الرب...**» (عد٢٧: ١٨—٢١). وهذا كان معناه أن رئيس الكهنة يسأل الرب عن كل ما يريد أن يعرفه قائد الشعب.

وفي الإنجيل يوجد ما يفيد مثل هذه النبوات التي خرجت من أفواه أصحابها بعكس ما كانوا يقصدون أو يتمنُّون، مثل بيلاطس حينما قال لرؤساء الكهنة: «هوذا ملككم» (يو١٩: ١٤)، أو حينما قال رؤساء الكهنة: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت٢٧: ٢٥)، أو حينما خاطبوا المسيح المصلوب: «خلَّص آخرين أما نفسه فما يقدر أن يخلِّصها.» (مت٢٧: ٤٢)

وفي أقوال فيلو الفيلسوف اليهودي المعاصر للقديس يوحنا، ما يفيد أن رئيس الكهنة كان يُحْسَبُ كنبي. (١٨)

على هذا الأساس، يرى ق. يوحنا أن ما نطق به قيافا، كان نبوة حقيقية من الله دون أن يقصد أو يعلم، أو على وجه الأصح، بعكس ما كان يفكر فيه، ربما مثل بلعام بن بعور الذي كان كلما أراد أن يلعن إسرائيل كانت تأتيه النبوة ليباركه ويمدحه. ومعروف في العهد القديم أن نبوة الأعداء تكون أحياناً منطوقة بفم الله.

[18] Cited by Westcott, *op. cit.*, p. 174.

«تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد»:

هنا يتدخل ق. يوحنا ليوسِّع دائرة النبوة، أو بالحري ليكمِّلها، لأن موت المسيح لم يقتصر سببه ولا اقتصرت نتيجته على الأمة اليهودية من جهة الخلاص بل امتد ليشمل الأمم، لأن مَنْ آمن بين الأمم مع مَنْ آمن من شعب إسرائيل أصبحوا يمثلون إسرائيل الحقيقية: «وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً... آتي بهم إلى جبل **قُدْسي وأُفرِّحهم في** بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي **لأن بيتي بيت الصلاة يُدعَى لكل الشعوب**. يقول السيد الرب جامع منفيِّي إسرائيل...» (إش٥٦: ٦و٧و٨). هذا حينما يصير هيكل الرب الجديد هو جسد المسيح الذي سيجمع كل الشعوب: «و يرفع **رايةً للأمم، ويجمع منفيِّي إسرائيل، و يضم مشتتي يهوذا** من **أربعة أطراف الأرض.**» (إش١١: ١٢)

ومن أبدع ما صوَّر الآباء الرسل عن جمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ما تقوله الديداخي (تعاليم الرسل) في الإفخارستيا التي هي جسد المسيح:

[وفيما يخص «الكِسَر»(١٩) κλάσμα: نحن نقدم الشكر εὐχαριστεῖν إليك يا أبانا... فكما أن كِسَر الخبز هذه التي كانت مشتَّتة على الجبال (حقول القمح) ولكنها جُمعت συνάγειν (تفيد معنى المجمع أي الكنيسة)، وصارت واحداً (خبزة واحدة، وجسد واحد)، هكذا الكنيسة فلتجتمع من **أربعة أطراف الأرض** إلى ملكوتك.](٢٠)

وهذا التصوير الإفخارستي اللاهوتي، هو قائم على أساس قول المسيح في معجزة الخمس الخبزات والسمكتين: «اجمعوا Συναγάγετε الكِسَر κλάσματα المتبقية لكي لا تضيع (تهلك = ἀπόληται)» (يو٦: ١٢)، بالإضافة إلى قول ق. يوحنا في إنجيله أعلاه: «**ليجمع** συναγάγῃ أبناء الله المتفرقين إلى واحد.» (١١: ٥٢)

وهكذا يمكن أن يتأكد القارىء من لاهوت إنجيل يوحنا القائم على أساس نبويٍّ إفخارستي كنسي غاية في الإحكام.

---

(١٩) «الكِسَر» هنا في الحقيقة هي «القربانة» بعد إجراء عملية التقسيم أو القسمة عليها، فصارت «كِسَراً»، وهي العملية الهامة جداً في الإفخارستيا التي يتم فيها حلول الرب واستعلانه، وهي أيضاً محور عملية الشكر أو البركة ــ ثم يعود الكاهن ويجمع هذه الكسر في الصينية لتعود على هيئة القربانة الواحدة ــ الخبزة الواحدة (الجسد الواحد بعد أن تمزق على الصليب) جمعت ثم صارت جسداً حيًّا صحيحاً واحداً بالقيامة، مُعدًّا للأكل الروحي.

(٢٠) الديداخي ٩: ٣ـــ٤ ارجع إلى كتاب: «الإفخارستيا والقداس»، للمؤلف، ص٣٠٠.

وقد أخذ المجمع بمنطق رئيس الكهنة باعتباره القول الفصل، وكأنه من الله. وهكذا صدر حكم الموت بالموافقة العامة. وهكذا كان رد الجميل؛ بحكم الموت على مَنْ أقام الميت، وأعطى الحياة للناس؛ إنها مهزلة الإنسان.

و يلاحَظ أن قيافا استخدم كلمة «الشعب λάος»، ولكن ق. يوحنا لما ذكرها غيَّرها إلى ἔθνος. وفي هذا معنى روحي عميق. لأن المسيح مات بالفعل عن الشعب كالنبوة «خراف بيت إسرائيل الضالة»، حيث كلمة "الشعب" في التوراة تفيد شعب الله، فهي تحوي معنى العلاقة بين الناس والله التي كانت قائمة في شعب إسرائيل فقط، والتي مات المسيح ليصححها و يعيدها إلى أوج قوتها في مفهوم الكنيسة، وهي تفيد الآن شعب الله في العالم كله. أما كلمة «**الأمة**» التي ذكرها ق. يوحنا بدل كلمة **الشعب**، فقصَدَ بها ق. يوحنا **المعنى المدني**، لأن إسرائيل، كشعبٍ، لما رفض المسيح وأكمل جريمته بقتل الراعي، فقَد صفته كشعب الله، وفَقَدَ صلته الفريدة بالله «كالشعب المختار»، وأصبح **أُمَّة** مثل باقي الأمم، تمهيداً لضمِّ الأمة اليهودية إلى باقي الأمم دون تمييز... «وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين (خراف أُخَر ليست من هذه الحظيرة) إلى واحد (لتكون رعية واحدة وراع واحد)».

فانظر، أيها القارىء، إلى أي حدٍّ بلغت دقة التعبير اللاهوتي عند ق. يوحنا. وهذا المعنى نفسه عبَّر عنه ق. يوحنا في رسالته الأُولى هكذا:

«وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم.» (١يو٢: ٢). كما عبَّر عنه أيضاً في افتتاح إنجيله: «**وكلُّ** الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا **أولاد الله**.» (يو١: ١٢)

١١: ٥٣ «فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه».

ما كان في كل المرات السابقة رغبة ملحَّة للقضاء على المسيح، أصبح الآن بعد قرار هذا المجمع خطة داخلة في حكم التنفيذ، ولا يبقى إلاَّ انتهاز الفرصة المناسبة.

ونعلم من رواية القديس لوقا في إنجيله، أن بعضاً من أعضاء السنهدريم، وهم قِلَّةٌ مثل يوسف الرامي، كان غير موافق على قرارهم: «وإذا رجل اسمه يوسف، وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً، هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم، وهو من الرامة مدينة اليهود...» (لو٢٣: ٥٠و٥١)

ختام خدمة الرب:

١١ : ٥٤ «فلم يكُنْ يسوعُ أيضاً يمشي بين اليهودِ علانيةً، بل مضى من هناكَ إلى الكورةِ القريبةِ من البريةِ، إلى مدينةٍ يُقالُ لها "أفرايمُ"، ومكثَ هناكَ مع تلاميذِهِ».

وإليك، أيها القارىء العزيز، صورة نبويَّة مؤثرة تستحوذ على كل مشاعر الإنسان وعواطفه، تصف المسيح وهو يُعطي ظهره لأُورشليم والهيكل والشعب والأمة اليهودية كلها، و ينسحب حزيناً منكسراً باكياً على هذه الأمة التي لم تعرف ما هو لسلامها؛ يصفها **إرميا النبي: «**يا ليت رأسي ماء، وعينيَّ ينبوع دموع، فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي(٢١). **يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين، فأترك شعبي، وانطلق من عندهم، لأنهم جميعاً زناة، جماعة خائنين.** يمدُّون ألسنتهم كقسيِّهم. للكذب لا للحق، قوُوا في الأرض، لأنهم خرجوا من شرٍّ إلى شرٍّ وإيَّاي لم يعرفوا، يقول الرب. **احترزوا كل واحد من صاحبه**(٢٢) (يهوذا)، **وعلى كل أخ لا تتَّكلوا**(٢٣)، لأن كل أخ يعقب عقباً وكل صاحب يسعى في الوشاية. و يخْتُل الإنسان صاحبه ولا يتكلمون بالحق. **علَّموا ألسنتهم التكلم بالكذب وتعبوا في الإفتراء**(٢٤).» (إر٩: ١ــ٥)

مدينة أفرايم:

يقول العلاَّمة وستكوت Westcott أن هذه المدينة ذُكرت في أخبار الأيام الثاني مع مدينة بيت إيل تحت كلمة «عفْرون» (٢أي١٣: ١٩). و يقول العلاَّمة روبنسن Robinson في قاموسه: (Bib. Res. II, 127)، وكذلك العلاَّمة ستانلي Stanley في كتابه («سيناء وفلسطين»، ص٢١٠) أن بين حدود بنيامين وأفرايم يوجد تلٌّ هرمي الشكل على أعلاه قرية على ارتفاع ٢٦٠٠ قدم اسمها الطيِّبة، هي مدينة أفرايم القديمة. وهي نفس المدينة التي كانت تسمى «عَفْرة» أو «عفرون» بمعنى عفريت. وقد غيَّرها السلطان صلاح الدين إلى اسم الطيبة. والقديس جيروم والمؤرخ يوسابيوس يحدِّدانها على الطريق الموصِّل من أورشليم إلى شكيم شرقاً على بعد اثني عشر ميلاً = عشرون كيلو متراً من أورشليم.

(٢١) «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: إنكِ لو علمتِ أنت أيضاً حتى في يومكِ هذا ما هو لسلامكِ ولكن الآن قد أُخفي عن عينيكِ.» (لو١٩: ٤١و٤٢)

(٢٢) «فللوقت تقدم (يهوذا) إلى يسوع وقال له: سلام يا سيدي، وقبَّله. فقال له يسوع: **يا صاحب لماذا جئت؟** حينئذٍ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه.» (مت٢٦: ٤٩و٥٠)

(٢٣) «هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، **تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي.**» (يو١٦: ٣٢)

(٢٤) «وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله **يطلبون شهادة زور على يسوع** لكي يقتلوه **فلم يجدوا**، ومع أنه جاء **شهود زور كثيرون لم يجدوا.**» (مت٢٦: ٥٩و٦٠)

ما قبل الرحلة الأخيرة للفصح الأخير:

١١ : ٥٥ «وكان فِصْحُ اليهودِ قريباً، فصَعِدَ كثيرونَ من الكُورِ إلى أورشليمَ قبل الفصح ليطهِّروا أنفسَهم».

«فصح اليهود»:

هذا هو الفصح الثالث الذي يذكره ق. يوحنا في إنجيله. ففي الفصح الأول كان المسيح حاضراً ومُشارِكاً (يو٢: ١٣)، أما في الفصح الثاني (يو٦: ٤)، فلم يذكر ق. يوحنا أن المسيح حضر الإحتفال به، بل على ما يبدو كان المسيح وقتها في الجليل.

«وكان فصح اليهود قريباً»:

هذه الكلمة **«قريباً»** لا ينبغي أن تعبر علينا بسهولة، فمعناها أن ساعات المسيح والصليب صارت معدودة، والقلب يستقبل هذه الكلمة بانفعال يهزّ كيان الجسد قبل الروح. فبالرغم من أن آلام المسيح وموته انتهت ببهجة القيامة، ولكن مهما كانت بهجة القيامة فيستحيل أن تقلل من مسحة الحزن المفرط الذي نعيشه في آلام المسيح.

«فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم»:

بحسب المؤرخين ذوي الخبرة في تاريخ وعوائد اليهود، كان يتراوح عدد الحجاج بين خمسةٍ وثمانين ألفاً ومائة وخمسةٍ وعشرين ألفاً. وذلك بحسب تقدير العالم اليهودي المتنصّر يواكيم إرميا. فإذا أضفنا إلى هذا الرقم عدد سكان أورشليم الأصليين، وكان يقرب من الخمسة والعشرين ألفاً، كان مجموع المعيِّدين لا يقل عن مائة ألف. ولكن يوسيفوس[٢٥] المؤرخ اليهودي المعاصر لخراب أورشليم (٧٠م) يعطي رقماً غير عادي، إذ يقول إن الحجاج في الفصح كانت جملتهم لا تقل عن مليونين ونصف حاج. وهذا الرقم مأخوذ من التسجيلات الرومانية المعروفة بدقتها.

«ليطهِّروا أنفسهم»:

بحسب أصول الناموس، كان ممنوعاً على المتنجّسين أن يحضروا مراسيم عيد الفصح، لأن نظام ذبح خروف الفصح يستلزم من الشخص أن يمرَّ برواق الكهنة، وهذا كان يستلزم شروطاً دقيقة من جهة الطهارة: «وليعمل بنو إسرائيل الفصح في وقته في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول، بين

[25] Josephus, *War*, VI-IX, p. 422-25.

العشاءين تعملونه في وقته... لكن كان قوم قد تنجَّسوا لإنسان ميت فلم يحلّ لهم أن يعملوا الفصح في ذلك اليوم.» (عد٩: ٢و٦)

ولكن حدث تساهل بعد ذلك في هذا الأمر «لأن كثيرين من الشعب، كثيرين من أفرايم ومَنَسَّى و يسّاكر وزبولون لم يتطهَّروا بل أكلوا الفصح ليس كما هو مكتوب. إلا أن حزقيا صلَّى عنهم قائلاً: الرب الصالح يكفِّر عن كل مَنْ هيَّأ قلبه لطلب الله الرب إله آبائه وليس كطهارة القدس. فسمع الرب لحزقيا وشفى الشعب» (٢أي٣٠: ١٨ــ٢٠). وكانت عدم طهارة أولئك، راجعة لاختلاطهم بالأمم.

و يقول المؤرخ يوسيفوس أن أهل الكور كانوا يسبقون بالذهاب قبل الفصح ليتطهروا في أورشليم. وهذا ما حاول أن يعمله بولس الرسول (بعد أن اعتمد للمسيح)، فدفع ثمن هذه الرجعة إلى اليهودية أهوالاً أوقفته عن الخدمة: «حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد، وتطهَّر معهم، ودخل الهيكل مُخْبِراً بكمال أيام التطهير، إلى أن يقرِّب عن كل واحد منهم القربان. ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم، رآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل، فأهاجوا كلَّ الجمع وألْقَوْا عليه الأيادي» (أع٢١: ٢٤ــ٢٧). وظل بولس يعاني من هذا التصرف إلى أن استشهد!!!

ولكن حسب ما عوَّدنا ق. يوحنا، فهو لا يسرد رواية تاريخية قط، إلاَّ وفي ثناياها معلومة روحية، وإشارة ذات قيمة لاهوتية. والقارىء يتذكر كيف بدأ ق. يوحنا إنجيله بأن سرد لنا آية تحويل الماء إلى خمر، حيث استُخدمت الأجران الستة للتطهير، فحوَّلها المسيح إلى أجران خمر، مفتتحاً إنجيله بمعنى الانتقال من التطهير بالماء إلى التطهير بالدم لنوال الحياة الأبدية، باعتبار الخمر في إنجيل يوحنا هو مادة الإفخارستيا ذات الاعتبار التقديسي بالروح القدس، ومنتهياً بالآية إلى أن الرب أظْهَرَ فيها مجده لتلاميذه، فآمنوا به. وها نحن قادمون هنا إلى الفصح الأخير، أو على وجه الأصح لاهوتياً و بحسب إنجيل يوحنا، الفصح الأول والأساسي في العهد الجديد، حيث يعطي المسيح دمه للعالم كله **«للتطهير»** ومغفرة الخطايا، واستعلان مجد المسيح، لحساب الآب.

من هنا كان التلميح بالقول: **«ليطهِّروا أنفسهم»**. و بعدها مباشرة يذكر ق. يوحنا اسم «يسوع» بلغته التي لا تفوت على القارىء اللبيب: «قبل الفصح **"ليطهِّروا" أنفسهم، فكانوا يطلبون "يسوع"»**.

١١: ٥٦و٥٧ «فكانوا يطلبونَ يسوعَ ويقولونَ فيما بينهم وهم واقفونَ في الهيكلِ، ماذا تظنونَ، هل هو لا يأتي إلى العيد؟ وكان أيضاً رؤساءُ الكهنةِ والفريسيونَ قد أصدروا أمراً أنه إن عَرَفَ أحدٌ أين هو فليَدُلَّ عليهِ لكي يُمْسِكُوهُ».

أولاً: هذه اللهفة على رؤية المسيح وسماعه توضِّح إلى أيِّ مدى تعلَّق به الشعب سواء من أورشليم أو الأرياف، الأمر الذي سنراه بوضوح في دخوله أورشليم يوم أحد السعف.

وثانياً: هذا التردد والشك بل وربما البلبلة التي أصابت الحجاج الآتين من الكور ومن أورشليم للتطهير، فيما إذا كان المسيح سيظهر في العيد أم لا، مردُّها إلى الجزء الثاني من الآية، لأن رؤساء الكهنة والفريسيين كانوا قد أعلنوا في وسط الشعب عن قرارهم بموت المسيح، بل واستخدام الشعب للقبض عليه أو التخابر عن مكان وجوده. وكان المعقول لديهم أن المسيح لا يُظْهِر ذاته خوفاً من أو تلافياً للقبض عليه. ولكن الرب خيَّب ظنهم وظنَّ كل ما هو معقول لديهم. فالمسيح الذي أقام لعازر من الموت، كيف يخشى الموت أو كل ما يؤدي إلى الموت، ولكن فوق كل هذا، فهو قادم إلى أورشليم، ليصنع آية مجده ليحوِّل الموت إلى حياة، وظلمة العالم إلى نور، و يفكَّ المأسورين بالخطية، و يُصَالح الإنسان بالله. والحقيقة أن السنهدريم هو الذي كان يخشاه.

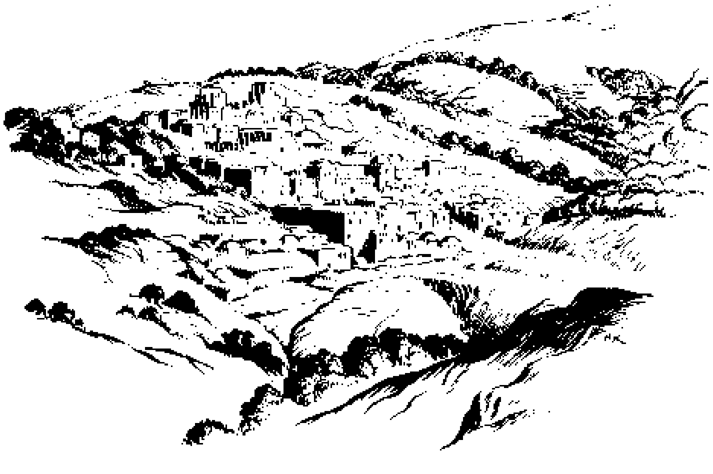

بيت عنيا

الأصحاح الثاني عشر

مكان البشارة:

عاشراً ــ من بيت عنيا

إلى أُورشليم

للمرة الأخيرة

الأصحاح الثاني عشر

استعلان ملوكية المسيح ودينونة رئيس هذا العالم

ويشمل هذا الأصحاح:

١ ــ بيت عنيا وتكفين الجسد قبل الموت: (١٢: ١ــ ١١).

٢ ــ دخول المسيح إلى أورشليم: (١٢: ١٢ــ ١٩).

٣ ــ رد المسيح على طلب اليونانيين:

«إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع.» (١٢: ٢٠ــ ٣٦).

ثم ينتهي إنجيل الاستعلان بالآية ١٢: ٣٦: «ثم مضى واختفى عنهم».

وينتهي الأصحاح الثاني عشر بالجزئين التاليين:

ــ ختام لإنجيل الاستعلان: (١٢: ٣٧ــ ٤٣).

ــ ملخص لإنجيل الاستعلان: (١٢: ٤٤ــ ٥٠).

١ ـــ بيت عنيا وتكفين الجسد قبل الموت(١)

لم يُسمع قط أن يُكفَّن الجسد قبل الموت، ولكن هذا هو جسد يسوع الذي لن يرى فساداً: «لن تَدَعْ قدوسك يرى فساداً» (أع١٣: ٣٥). وهكذا ظل جسد المسيح معطَّراً بناردين خالص تفوح منه رائحة محبة الإنسان لابن الإنسان، والتي لم يستطع القبر أن يمحوها فبقيت إلى أن قام من الموت، وتجلَّى في ملء لاهوته، وفاحت منه رائحة لاهوته الذكية التي وهبها للإنسان بالتالي عوض ناردين مريم، لِيَعْبر بها كلُّ إنسان الموت وتُرفع عنه رائحة فساد الخطية، فيتقدم بهذه الرائحة عينها إلى الله، فيشتمُّ الله فينا رائحة ذبيحة المسيح: «لأننا رائحة المسيح الذكيَّة لله ... رائحة حياة لحياة.» (٢كو٢: ١٥و١٦)

١٢: ١ «ثم قبلَ الفصح بستةِ أيامٍ، أتى يسوعُ إلى بيتِ عَنْيَا حيث كانَ لِعَازَرُ الميتُ الذي أقامَهُ من الأمواتِ».

«قبل الفصح بستة أيام»:

الفصح يقع في ١٤ نيسان، فالمسيح وصل إلى بيت عنيا قادماً من «أفرايم» ـــ حيث كان معتكفاً ـــ يوم ٨ نيسان، وهذا يقع يوم الجمعة قبل الغروب مباشرة، فاحتسب السبت واستراح السبت وحضر وليمة العشاء بعد غروب السبت وهذا يوافق أن مرثا كانت تخدم، لأنه لا يحلُّ الخدمة يوم السبت.

أما من حيث «الستة الأيام»، فأسلوب ق. يوحنا يرمي نحو الإشارة إلى ستة أيام الخليقة القديمة، حيث اليوم السابع استراحة ليجعل منها ستة أيام الخليقة الجديدة، وفي السبت استراح المسيح (الله) في القبر، وقام يوم الأحد ليعلن بدء الحياة الأبدية غير الزمنية.

ولو دققنا، نجد أن ق. يوحنا يفتتح إنجيله **«بالأسبوع»** المقدس ويختمه **«بالأسبوع»** المقدس. إذ نقرأ في بدء الإنجيل:

«هذا كان في بيت عَبْرة (بيت عنيا شرق الأردن)، في عبر الأُردن حيث كان يوحنا يُعمِّد»

(١) يُقرأ هذا الفصل في مساء سبت لعازر (عشية أحد الشعانين) تطبيقاً لقول الإنجيل: «قبل الفصح بستة أيام»، وتكرر قراءته في يوم الأربعاء من البصخة المقدسة (الساعة السادسة) لِمَا جاء فيه عن يهوذا الإسخريوطي.

(يو١ : ٢٨). هذا أول يوم.

ثم «وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١ : ٢٩)، هذا اليوم الثاني.

ثم «وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه (يوحنا واحد منهما) فنظر إلى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله» (يو١ : ٣٥و٣٦)، هذا ثالث يوم.

ثم «في الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس ...» (يو١ : ٤٣)، هذا رابع يوم.

ثم «وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل ...» (يو٢ : ١)، هذا هو اليوم السابع!!!!

ثم ليس جزافاً أن يختار الرب بيت عنيا قبل الفصح ليعتزل هناك، لأنه من المعروف في طقس ذبح خروف الفصح أن يُعزل الخروف قبل الفصح بخمسة أيام بعيداً عن الحظيرة. وهكذا يُوقِّع المسيح حياته على نغمات الفصح بشيء من الإبداع الطقسي، وكما كان يجرى على الخروف عملية تكريس استعداداً لتقديمه بعد خمسة أيام، هكذا سلَّم المسيح جسده لأيدي محبيه ليمسحوه بالطيب والدموع بعد وصوله بيوم، وذلك مساء السبت بعد الغروب و بعد الوليمة:

« ... في العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة ... شاة صحيحة ذكراً ابن سنة ... **ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر** من هذا الشهر. ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية.» (خر١٢: ٣—٦)

«لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس **قد انفصل عن الخطاة**، وصار أعلى من السموات.» (عب٧:٢٦)

٢:١٢ «فصنعوا لهُ هناكَ عشاءً. وكانت مرثا تَخْدِمُ، وأما لعازرُ فكان أحد المُتَّكئين معهُ».

أراد كثير من الشراح أن يجمعوا بين ما جاء في إنجيل ق. يوحنا وما جاء في الأناجيل الثلاثة الأخرى، عن قصة العشاء في بيت عنيا، وافترضوا أن بيت سمعان الأبرص الوارد في إنجيل ق. متى (٢٦ : ٦)، وفي إنجيل القديس مرقس (١٤ : ٣)، غير بيت مرثا ومريم ولعازر، بدليل أن لعازر كان مدعواً كضيف، على أن مرثا أيضاً حضرت لتخدم في الوليمة في بيت سمعان الأبرص، إيفاءً للدين الذي صنعه الرب لأخيها لعازر. كذلك فمريم انتهزت الفرصة وأحضرت ناردينها لتطيِّب رجلي الرب اللتين كانت هي تجلس بجوارهما تستمع لكلمات الحياة، وأن سمعان الأبرص

هو أحد العشرة البُرْص الذين شفاهم الرب.

ولكن من رأينا أن قصة إنجيل يوحنا ذات طابع سري ولاهوتي خاص يستلزم منا أن نأخذها كما هي بحد ذاتها.

ومرة أخرى يقدم لنا ق. يوحنا مرثا ومريم: الأولى تخدم، والثانية تتأمل وتحب. وليكن في علمك، يا قارئي العزيز، أن حياة التصوُّف بجملتها في المسيحية تأخذ منهجها وأسلوبها وفلسفتها من «مريم»، كما تأخذ حياة الخدمة أسلوبها ومنهجها وفلسفتها من «مرثا»، وما أبدع قول كتاب بستان الرهبان حينما حسم الخلاف القديم بين المتصوِّفين (التأمل) والنُّسَّاك (التمرُّن بضبط الجسد والخدمة)، محاولاً أن يجمع بين خدمة مرثا وتأمل مريم بقوله إن «مريم بمرثا مُدِحَتْ»، فلولا شكوى مرثا لَما مدح المسيح مريم!

ثم إن إصرار ق. يوحنا على ذكر لعازر متكئاً مع المسيح، هو في الحقيقة لفتة لا تخلو من عمق؛ فالمسيح يبدو، بينما لعازر بجواره، كمن هو قابضٌ على زمام الموت والهاوية تحت قدميه. فكان منظره كمنظر القيامة والحياة التي تتحدى قرار السنهدريم.

٣:١٢ «فأخذت مريمُ مَناً من طيبِ نارِدِينٍ، خالِصٍ، كثيرِ الثمنِ، ودَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، ومَسَحَتْ قدميهِ بشَعْرِها. فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيبِ».

«المَنُّ» هو الرطل الروماني و يساوي ثلثمائة وسبعة وعشرين جراماً وربع الجرام، أي ما يساوي ثلث اللتر.

«ناردين خالص»:
في مفهوم العقاقير يعني أنه نقي أي غير مُضَافٍ إليه شموع أو راتنجات التي تعطيه قوام المرهم أو الدهان، فهو خلاصة أو أُكْسِير حرٌّ.

والناردين هو الزيت الطيار المستخرج من الجذور وشعيرات الساق لنبات **Spikenard**، و ينمو في شمال الهند في الجهات الجبلية العالية. وكان ثمن الرطل الروماني منه حوالي ثلثمائة دينار، علماً بأن الدينار هو أجرة العامل في اليوم في ذلك الزمان. فإذا حولناه إلى لغة زماننا الحاضر يكون ثمن الرطل منه ما يقرب من ٣٠٠×٥=١,٥٠٠ جنيهاً مصرياً، بحساب أن أجرة العامل العادي هي خمسة جنيهات في اليوم.

«ودهنت قدمي يسوع، ومسحت قدميه بشعرها، فامتلأ البيت مِنْ رائحة الطيب»:

في إنجيل القديس متى نقرأ أن امرأة تقدمت إليه (دون ذكر اسمها) ومعها قارورة طيب كثير الثمن، حيث سكبته على رأسه وهو متكيء (٢٦: ٦). وفي إنجيل القديس مرقس: «جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن، فكسرت القارورة وسكبته على رأسه.» (١٤: ٣)

وفي إنجيل ق. يوحنا يقتصر الوصف على «دَهْن قدمي يسوع».

فلو أخذنا بهذا الوصف المزدوج معاً، يمكننا أن نستخلص القصد الذي يهدف إليه الوحي على فم هؤلاء الإنجيليين القديسين وذلك حينما نرجع إلى العهد القديم:

«... والكاهن الأعظم بين إخوته الذي صُبَّ على رأسه دهن المسحة ... لأن إكليل دهن مسحة إلهه عليه. أنا الرب.» (لا ٢١: ١٠و١٢)

وفي ذلك يتأمل العلاَّمة والمتصوِّف فيلو اليهودي المعاصر للقديس يوحنا:

[إن رأس اللوغُس (الكلمة) بصفته الكاهن الأعظم يُمْسَحُ بالزيت، بمعنى إظهار جوهره المتألق بالنور البهي].

وكان فيلو اليهودي يرى ما يمكن أن نراه نحن أيضاً، أن دهن المسيح بالناردين، وإن جاء على يدي امرأة امتلأ قلبها حباً وإيماناً بالمسيح، إلاَّ أن الفعل في حد ذاته كان بإيحاء من الله الآب. وهنا سرُّ جزع يوحنا في إحجامه عن ذكر دهن رأس الرب، لأنه فوق متناول الإنسان. وعِوَض أن يذكر ق. يوحنا دهن رأس الرب بيدي امرأة، عاد وصحَّح الوضع، أنها هي التي مسحت قدميه بشعر **رأسها**، وهكذا تكرمت مريم وأكرمت بني جنسها إذ توَّجت رأس المرأة بإكليل الطيب المنحدر من جسد المسيح.

ويقيناً أن رطلاً من عطر فاخر نقي قد اندفق على ثياب الرب وقميصه أيضاً، وصح قول سليمان في نشيده الإلهي حيث تخاطِب النفس البشرية ربَّها:

«ما دام "**الملك**" في مجلسه، أفاح ناردِيني رائحته.» (نش ١: ١٢)

وقد تعهد المعنى الإلهي لهتاف ثاني يوم أي يوم الأحد: «مبارك الآتي باسم الرب "**ملك**" إسرائيل.» (١٢: ١٣)

هذه المعاني البديعة لا تخرج قط عن قصد الوحي الإلهي، فكل حركة في إنجيل ق. يوحنا محسوبة بالحساب اللاهوتي. ولكي يتأكد القارىء أننا نستخلص الدرر من أعماق نهر الروح،

فليسمع ما يقوله ق. يوحنا بعدما استفاق التلاميذ من عتمة الحوادث المتتابعة، إنْ في دهن الجسد، أو في هتاف يوم الأحد: «وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً، ولكن لمَّا تمجَّد يسوع، حينئذ تذكَّروا أن **هذه كانت مكتوبة عنه**، وأنهم صنعوا هذه له.» (يو١٢:١٦)

ولكن، وللأسف، لم يذكر لنا ق. يوحنا «**هذه المكتوبة عنه**» ولكننا على كل حال نطوف على كل الزهور نلتقط من رحيق «المكتوبات» ليذوق القارىء والسامع مجرد الذوق!

«وامتلأ البيت من رائحة الطيب»:

لقد استرعى انتباه ق. يوحنا، كشاهد عيان، جمال الرائحة وهي تُعَبِّقُ كل البيت، و يقيناً فإن هذا كان هو نفسه شعور الرب، فصمم المسيح أنه كما ملأت مريم عليه البيت برائحة ناردينها الفاخر، أن يملأ الكنيسة كلها وإلى آخر الدهور برائحة محبة واسم هذه المرأة التي **أنابت نفسها عن بشرية الأجيال كلها، لكي تقدم إليه بسخاء فقرها عمل المحبة في يوم المحبة.**

وجدير بالذكر أن هذا الإنجيل (يو١٢:١—٨) هو أول قراءة تُقرأ في أسبوع الآلام (عشية أحد الشعانين)، وكأن الكنيسة بذلك تريد أن تقدم لنا في بداية هذا الأسبوع مثال المحبة التي سكبتها هذه المرأة على قدمي الرب «للتكفين»، كنموذج أعلى للمحبة التي يجب أن نقدمها للمسيح إزاء آلامه المحيية من أجلنا.

١٢:٤—٦ **«فقال واحدٌ من تلاميذِهِ، وهو يهوذا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ المُزْمِعُ أن يسلِّمَهُ. لماذا لم يُبَعْ هذا الطيب بثَلَثِمِئَةِ دينارٍ ويُعطَى للفقراءِ. قال هذا، ليس لأنه كان يُبَالي بالفقراءِ، بل لأنه كان سَارِقاً، وكان الصُّنْدُوقُ عنده وكان يَحْمِلُ ما يُلْقَى فيهِ».**

معذرة، أيها القارىء العزيز، فقد كنا نحلق معاً في سماء الحب والسخاء، ورائحة المسيح الذكية، ومسحة الآب على رأس ابن الإنسان؛ وإذ بنا فجأة وعلى غير انتظار نقع في نَقْع الطين ونتوحل في حمأة الغباء. فيعوِّض الوجه المشرق الوديع المتواضع الذي لهذه الأخت الممدوحة، وهي في ملء سعادتها، فَرِحَةً مستبشرة أنها صنعت للرب شيئاً كانت قد عَبَّأت له طاقات حبها ومالها، يظهر في المشهد وبسرعة وجه قبيح غاضب، غاضب على إسراف «**عمل المحبة**»، وفي حقده رأى أنه «كان يمكن أن **يُبَاع**»! ... كلُّ شيء كان عنده يمكن أن يُبَاع إن لم يكن بثلثمائة(٢)

(٢) يقول إنجيل مرقس ١٤:٥: «أكثر من ثلثمائة دينار». كذلك فإن إنجيل يوحنا يتفق مع إنجيل مرقس: «ثلثمائة دينار».

فبثلاثين !!!

ولكن مهما أعطينا من نظرة ناقدة نحو هذا التلميذ الذي باع سيده، فلن نستطيع أن نبلغ أعماقه لأنه كان كالهاوية. و يكفي أن نحصر، فيما حصره ق. يوحنا عنه من جهة أخلاقه، أنه سارق يلتقط ما يُلْقى في الصندوق.

فالذي يخون مال الله، سهلٌ عليه أن يبيع المسيح. ولكن الذي يسترعي انتباهنا، أن المسيح ترك الصندوق معه ولم يمانع من أن يسرق منه كما يشاء، ولا هو مَانَعَ حتى أن يبيعه (أي يبيع المسيح): «ما أنت تعمله، فاعمله بأكثر سرعة» (يو١٣: ٢٧)، وآخر كلمة قالها له الرب عندما تقدم ليسلِّمه: «**يا صاحب** لماذا جئت!!» (مت٢٦: ٥٠)

يا إخوة، الرب لا يحصِّن تلاميذه أو خدامه من السرقة، والاختباء وراء صندوق الفقراء، ولكن يا ويلهم عندما يستيقظ ضميرهم.

والآن قد وضع الإنجيل هذه المفارقة أمام أعيننا، بين امرأة مُحِبَّة من كل قلبها، باذلة بكل مالها، مؤمنة حقاً، ولها شهادة من المسيح؛ وبين تلميذ من الاثني عشر الأخصَّاء التابعين، طماعٍ، جشعٍ، سارقٍ لمال الله، خائنٍ باع المسيح بثمن بخس. وهذه المفارقة ليست مصادفة ولا هي مجرد قصة في الإنجيل، ولكنها تقسيم قائم في كنيسة الله يمارسه مَنْ أحبوا المسيح من كل القلب حسب الوصية و«**النموذج**»، ومَنْ يسلبون المسيح و يبيعونه «**كالمثال**» حباً في المال.

١٢: ٧و٨ «فقال يسوعُ اتركُوها. إنها ليومِ تكفيني قد حَفِظَتْهُ. لأن الفقراءَ معكم في كلِّ حينٍ. وأما أنا فلستُ معكم في كلِّ حينٍ».

الإشارة هنا منطلقة سرًّا نحو الخائن الذي انتهت عِشْرَته وخُطَّته إلى موت المسيح ــ عَمْداً ــ، مع لفتة سريعة نحو مريم التي ــ ودون أن تدري ــ أكرمَتْ وعظَّمت موته بأعز ما ملكت حياتها. فالأول طعن الجسد طعنة الموت؛ والثانية تلقفت الجسد بعِطْرها ومسحته بشعرها.

لقد بدأت مريم ما أكمله يوسف ونيقوديموس، فالأولى كفنت الجسد حيًّا برطل واحد من الطيب، والآخرون كفَّنوه ميتاً بمائة رطل، ولكن ذُكر عَمَلُ الأُولى من فم المسيح بالجميل والعرفان والشكر والذكرى الأبدية، أما عمل الآخرين فلم يذكره إلاَّ التاريخ.

يا إخوة، إن تكريم الأحياء خالدٌ خلود الروح، أما تكريم الأموات فهو سريع الزوال لا يقوى على حفظه وعي الإنسان!

«ليوم تكفيني قد حفظته»:

وتأتي هذه الجملة باللاتينية هكذا: ut in die sepulture mae servet illud، حيث «تكفيني» تعني "يوم القبر". مريم اجْتَهَدَتْ نفسها في حصولها على هذا الطيب الكثير الثمن، ولا نعلم كم قتَّرت على نفسها حتى اكتمل عندها ثمنه، ثم حفظته عندها دون أن تدري أنه كان ليوم القبر.

وإنجيل القديس مرقس يشرحها بالتفصيل: «أما يسوع فقال: اتركوها لماذا تُزْعِجونها، قد عَمِلت بي عملاً حسناً، لأن الفقراء معكم في كل حين، ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيراً. وأما أنا فلست معكم في كل حين. عملت ما عندها. قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين. الحق أقول لكم حيثما يُكرَزْ بهذا الإنجيل في كل العالم يُخْبَرْ أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها.» (مر١٤: ٦ــ٩)

«الفقراء معكم في كل حين»:

المسيح هنا يستعيد على أذهان التلاميذ كلام الناموس: «لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض. لذلك أنا أوصيك قائلاً: افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك» (تث١٥: ١١). ومن الجانب الآخر السري في كلام المسيح، والذي سبق أن امتحنه، أن المسيح نفسه هو موجود في الفقراء، فالمساكين والفقراء يمثلون شخص المسيح: «الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم.» (مت٢٥: ٤٠)

والمعنى واضح أن إمكانية خدمة المسيح ومحبته الشخصية قائمة بصورة دائمة في خدمة ومحبة الفقراء، حتى بعد أن يختفي المسيح عن أعينهم عائداً إلى حيث كان.

١٢: ٩ــ١١ **«فعَلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهودِ أنه هناكَ. فجاءُوا، ليس لأجلِ يسوعَ فقط، بل لينظروا أيضاً لعازرَ الذي أقامه من الأمواتِ. فتشاورَ رؤساءُ الكهنةِ ليَقتُلوا لعازرَ أيضاً. لأنَّ كثيرينَ من اليهودِ كانوا بسببِهِ يذهبونَ ويؤمنونَ بيسوعَ».**

ق. يوحنا يضع أمام القارئ المقارنة المخزية بين حاسة الشعب العامة التي لا تخطئ،

وسياسة الرؤساء التي دائماً تضلِّل البسطاء ... فالحُجَّاج بدأوا يتقاطرون من أورشليم إلى بيت عنيا، منذ أن أقام المسيح لعازر من الأموات، وازدادوا الآن عندما علموا أن الرب هناك، وهكذا تشكَّل أمام الرؤساء خطر وجود لعازر كبيِّنة لا تُدحض على قوة المسيح وتفوُّقه. وهكذا أُضيف إلى قرار قتل المسيح قتل لعازر أيضاً: «لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس.» (لو٢٣: ٣١)

٢ ــ دخول المسيح إلى أُورشليم
(عدد ١٤ إلى عدد ١٩)
أحد السعف، بدء أسبوع الآلام حسب الطقس[٣]

١٢ : ١٢و١٣ **«وفي الغدِ سَمِعَ الجمعُ الكثيرُ الذي جاءَ إلى العيدِ، أن يسوعَ آتٍ إلى أُورشليمَ، فأخذوا سُعُوفَ النَّخْلِ وخرجوا للقائهِ، وكانوا يَصرُخُونَ أُوصَنَّا، مبارَكٌ الآتي باسم الربِّ مَلِكُ إسرائيلَ».**

كان حفلُ العشاء، بعد غروب شمس السبت، وهكذا حُسِبَ الأحد أنه «**الغد**» بحساب النهار. والذي حدث أن اليهود الذين حضروا حفل العشاء الذي عُمل في بيت عنيا، عادوا إلى أورشليم وأشاعوا النبأ السار، أن يسوع قادم إلى أورشليم. وحالما سمع «الجمع» ــ وهنا كلمة «الجمع» كما سبق وأن عرفنا يُقْصَدُ بها أهل الجليل، وهم أصدق أصدقاء الرب ــ هؤلاء احتشدوا في صورة موكب عظيم. ولكي نأخذ صورة عن قرب لهذا المشهد ــ الصاخب الرائع ــ نقرأ في الأناجيل الأخرى:

«فذهب التلميذان، وفَعَلا كما أمرهما يسوع. وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما. والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق، وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر وفرشوها في الطريق. والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصَنَّا لابن داود. مباركٌ الآتي باسم الرب. أوصَنَّا في الأعالي. ولما دخل أورشليم، ارتجت المدينة كلها قائلة: مَنْ هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبيُّ الذي مِنْ ناصرة الجليل.» (مت٢١: ٦ــ١١)

وهكذا تحققت كل مخاوف رؤساء الكهنة والفريسيين، ووقفوا ينظرون خائفين، وحاقدين، وفاقدين كل قدرة على تحجيم الموقف.

ويضيف القديس لوقا إضافات ذات أهمية بالغة في تصوير الموقف، وفي توضيح رعبة الفريسيين وفقدانهم السيطرة على الجماهير:

«ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويُسبِّحون الله بصوت

---

(٣) يُقرأ هذا الفصل في قداس أحد الشعانين.

عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا. قائلين: مباركٌ الملكُ الآتي باسم الرب. سلامٌ في السماء، ومجدٌ في الأعالي. **وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له: يا معلم، انتهر تلاميذك، فأجاب وقال لهم: أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء، فالحجارة تصرخ. وفيما هو يقترب، نظر إلى المدينة وبكى عليها.** قائلاً: إنكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً، حتى في يومك هذا، ما هو لسلامِكِ (أي المسيح المخلِّص). ولكن الآن قد أُخفي عن عينيكِ (حتى يتم الصلب). (وبناءً على ذلك) فإنه ستأتي أيام ويحيط بكِ أعداؤكِ بمترسة، ويُحْدِقُون بكِ، ويحاصرونكِ من كل جهة، ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ.» (لو١٩: ٣٧—٤٤)

يُفهم من إنجيل القديس متى، أن الرب أرسل تلميذين ليستحضرا جحشاً (ابن أتان) ليركب عليه، ومن إنجيل القديس لوقا أن الرب كان راضياً بهتاف التلاميذ، ورفض رجاء الفريسيين أن ينتهر التلاميذ. هذا معناه أن الرب كان راضياً بهذا الموكب وهذا الهتاف الذي يتضمن الهتاف بملك إسرائيل، وهذا الاستقبال الملكي بكل ملابساته. فلو تذكرنا موقفاً سابقاً للرب يوم صنع معجزة الخمس الخبزات والسمكتين، إذ كان رفضه حاسماً لمثل هذا الاتجاه كله، لأنه **أولاً**، لم تكن ساعة استعلان مُلْكِهِ قد حانت بعد؛ **وثانياً** لأنهم ظنوه ملكاً سياسياً: «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده.» (يو٦: ١٥)

لو علمنا هذا، لأدركنا أن الرب هنا يستعلن حضور ساعة ملوكيته إلهياً على إسرائيل: «وأنا إن **ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع**» (يو١٢: ٣٢). فالموكب الملكي الذي ارتجَّت له المدينة، لم يكن في نظر الرب واعتباره إلاَّ موكب الصليب: «أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك. لهذا قد وُلِدْتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم.» (يو١٨: ٣٧)

ويُلاحَظ أن ق. يوحنا هو الوحيد الذي أضاف إلى جمل الهتاف جملة «ملك إسرائيل»، إمعاناً في توضيح المعاني الخفية في مفهوم دخوله أورشليم كاستعلان لملوكيته التي ليست من هذا العالم.

«فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه»:

كان المعروف أن الملوك والقادة حينما يعودون من مواقع الحرب كانوا يُستقبلون بسَعَف النخل وهذا نقرأه في ١مكا١٣: ٥١ و٢مكا١٤: ٤:

«ودخلها في اليوم الثالث والعشرين من الشهر الثاني في السنة المئة والحادية والسبعين بالحمد وبالسعف والكنّارات والصنوج والعيدان والتسابيح والأناشيد لانحطام العدو الشديد من

إسرائيل.» (١مكا١٣: ٥١)

«فأتى ديمتريوس الملك في السنة المئة والحادية والخمسين، وأهدى إليه إكليلاً من ذهب **وسعفةً** وأغصاناً من زيتون مما يختص بالهيكل وبقي في ذلك اليوم ساكتاً.» (٢مكا١٤: ٤)

وتوجد عملات مسكوكة أيام سمعان المكابي سنة ١٤١ــ١٣٥ ق.م. وعليها سعف النخل رمز النصرة.

وفي سفر الرؤيا نجد موكب أحد الخوص يتكرر بكل بهائه في منظر المسيح آتٍ وهو مُتَجَلٍّ بخلاصه لتستقبله كل شعوب الأرض:

«بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يَعُدَّه من كل الأُمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، متسربلين بثياب بيض، وفي أيديهم **سعف النخل**، وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين: **الخلاص** (= أوصنّا) لإلهنا الجالس على العرش وللخروف.» (رؤ٧: ٩و١٠)

وتصوير دخول الرب بهذا الوصف المتضمِّن معنى النصرة، كان بمثابة اللطمة الأخيرة على وجه أعداء المسيح من رؤساء الكهنة والفريسيين، والتي عجَّلت جداً بعملية الصليب، الذي هو في الحقيقة التعبير الإلهي الأخير والأبدي لنصرة المسيح، ليس على الناس بل من أجل الناس.

كما كانت سعوف النخل تُستخدم في أعياد المظالّ والتجديد. والنخلة شجرة محبوبة كونها ترتفع شامخة نحو السماء، فارشة أغصانها مثل التاج، كأذرع تتوسل، خضراء على الدوام، تزهر وتثمر إلى مئات السنين. لذلك ترنم بها صاحب المزمور كصورة للصدِّيق: «الصدِّيق كالنخلة يزهو ... مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا.» (مز٩٢: ١٢و١٣)

وقد استخدم سليمان الملك النخلة في نشيد الأنشاد ليعبِّر بها عن النفس المحبوبة للمسيح: «ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة ... قامتك هذه شبيهة بالنخلة ... قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها.» (نش٧: ٦ــ٨)

وللكنيسة القبطية شغف بها يفوق الوصف. ففي يوم أحد السعف، أو أحد الخوص الذي نحن بصدده، يتبارى كل بيت وبلا استثناء في اقتناء عدة أغصان منها، ويستمرون السبت مساءً (عشية الأحد) في جَدْل الخوص بأشكال ومناظر غاية في الإبداع، والحاذقون في جدلها يملأونها

بالزهور والورود، و يصنعون في الجريدة جيوباً يضعون فيها «قربانة» ويحتفظون بها في البيوت على مدار السنة. و يقوم بعض الكهنة ــ وهذا خطأ فاحش ــ بتكريسها بماء طقس "لقان الموتى" الذي يجريه الكهنة تحسُّباً لمن يموت في أسبوع الآلام، حيث يُمنع إجراء الصلوات على الميت، و يُكتفى برشه بماء اللقان الخاص بالموتى. كما يتبارى الباعة بالنداء على الخوص المجدول على شكل قلوب: «قلبك يا مسيحي، قلبك». وأصبح الخوص في هذا اليوم يشكِّل أجمل مظاهر الفرح، ليس عند الصغار فقط بل والكبار أيضاً. وقلَّ مَنْ يدخل الكنيسة وليس في يده سعفة يعود بها إلى بيته يحتفظ بها للتذكار والبركة. وقد احتفظت الكنيسة القبطية بهذا التراث منذ العصور الأُولى.

«أُوصنا، مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل»:

هو ترديد لمقاطع المزمور ١١٧ (حسب الترجمة السبعينية) وخاصة الآية ٢٥:

«احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته ...»

«قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً ...»

«افتحوا لي أبواب البر لأدخل فيها ...»

«هذا هو باب الرب والصدِّيقون يدخلون فيه ...»

«الحجر الذي رذله البناؤون صار رأساً للزاوية ...»

«هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه ...»

«آه يا رب خلص (أُوصنا). آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب»،

«باركناكم من بيت الرب ...»

«الرب هو الله ...»

ومن الآية **«أُوصنا مبارك الآتي باسم الرب»** يُبدأ في نشيد أحد الخوص لحن «إفلوجيمينوس»، مع إضافة «أوصنا لابن داود. أوصانا في الأعالي. أوصنا لملك إسرائيل».

و يُستخدم من المزمور الآية: **«قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً»** في الكنيسة القبطية مئات المرات طوال ساعات الليل والنهار ليوم الجمعة الكبيرة في أسبوع الآلام، كمقطع ترديدي. كما تستخدم الآية: **«هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنبتهج ونفرح فيه»** في كل أيام الآحاد عند تقديم الذبيحة.

وهذا المزمور يبدو أنه أُلِّف ليكون تسبحة لتدشين الهيكل الثاني، وربما عند وضع حجر أساسه:

«الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية.» (مز١١٨: ٢٢)

والطقس اليهودي الحالي يستخدم هذا المزمور بعناية فائقة ويحتل في العبادة مركزاً أساسياً، وذلك في عيد ظهور الهلال كل شهر.

وأما الآن، فقد تحولت النبوة وتحول الطقس بجملته إلى حقيقة واقعة تاريخية، استُعلن فيها كل المعنى والقصد الإلهي من المزمور والطقس، إذ صار هذا المزمور كله موقَّعاً على حياة المسيح آية آية، بصورة إعجازية.

وكلمة: «**أُوصنا**» أصلها الأرامي هُوشِيْعَنَّا، ومعناها: «من فضلك خلِّصْنا»، وقد أصبحت صلاة لطلب المعونة وخاصة أيام عيد المظال ولطلب المطر. ولكنها أصبحت هتافاً للتحية والتكريم كما جاءت في ٢صم ١٤: ٤:

«وكلمت المرأة التقوعيَّة الملك، وخرَّت على وجهها إلى الأرض، وسجدت، وقالت: **هوشعنا (أَعِنْ)** أيها الملك».

والسبب في أن الإنجيل لم يترجمها إلى اللغة العربية (أو أي لغة أخرى) بل بقيت بلفظها الأرامي تقريباً، هو أنها تثبّتت كاصطلاح للمديح. ولكن الكنيسة تصرفت فيها وجعلتها مقطعاً للصلاة أيضاً.

أما كلمة: **«مبارك الآتي باسم الرب»**، فكان يقولها الكهنة واللاويون ترحيباً بالحُجّاج الآتين إلى الهيكل من الأماكن البعيدة، وهوذا الرب يأتي إلى هيكله بغتة (ملا٣: ١)، ليس حاجًا، بل كصاحب البيت، كابن على بيته، وبيته نحن (عب٣: ٦) الحاجُّون إليه.

ولكن في التعبير المسيحي: «الذي كان والذي يأتي» (رؤ١: ٨) ὁ ἐρχόμενος مأخوذ على أنه تعبير عن لقب الرب يسوع **«الآتي إلى العالم»** (يو١: ٩) من عند الآب:

«أنت هو المسيح ابن الله **الآتي** إلى العالم.» (يو١١: ٢٧)

«**أنا أتيتُ باسم أبي**، ولستم تقبلونني، إن أتى آخر **باسم نفسه** فذلك تقبلونه» (يو٥: ٤٣).

أما اسم أبيه **فهو** ἐγώ εἰμι الذي طالما استخدمه المسيح ليعلن عن نفسه أنه والآب واحد.

«وعرَّفتُهم اسمك» (يو١٧: ٢٦)، «كنت أحفظهم في اسمك» (يو١٧: ١٢)، «إن لم تؤمنوا إني **أنا هو** ἐγώ εἰμι تموتون في خطاياكم.» (يو٨: ٢٤)

«ملك إسرائيل»:

ليست واردة في النص النبوي في المزمور، ولكنها واردة في نصٍ نبويٍّ آخر مأخوذ من نبوة صفنيا النبي والذي سيأتي ذكره في شرح الآية (١٥).

١٢ : ١٤و١٥ «ووجد يسوعُ جَحْشاً، فجلسَ عليه، كما هو مكتوبٌ: لا تخافي يا ابنةَ صهيونَ هوذا مَلِكُكِ يأتي جالِساً على جحشِ أتانٍ».

«جحشاً» أي «حماراً» والكلمة الأرامية حيمور Hemor واليونانية هيبوزيجيون hypozygion ὑποζύγιον (زك٩ : ٩)، ومعناه «حيوان للحَمْل»، أي لحَمْل الأثقال. والحمار (أو الأتان) ὄνος وتصغيره ὀνάριον وجحش ابن أتان πῶλον ὄνου. ولقد أخذ ق. يوحنا الكلمة من أصلها المكتوب في سفر زكريا «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم، هوذا مَلِكُكِ يأتي إليكِ. هو عادلٌ ومنصور، وديع، وراكبٌ على حمار، **وعلى جحش ابن أتان.**» (زك٩ : ٩)

ومعروف أن في الأدب النبوي اليهودي، وخاصة ما يأتي منه بالأشعار، يأتي تكرار الكلام لتحسين النغم والوزن ولتوضيح المعنى. وهنا يتضح في هذه الآية عملية التكرار، أولاً في «يا ابنة صهيون» ثم «يا بنت أورشليم»، ثم عاد يكرر «راكباً على حمار» ثم أراد أن يوضح أنه حمار صغير «ابن أتان»، **فأخطأ** النساخ وبعدهم المترجمون وكتبوها **«على حمار» وعلى «جحش ابن أتان»** بإضافة الواو فجاء المعنى مغلوطاً، وكأنه جالس على حمار وعلى جحش معاً. والصحيح أنه حمار صغير أي جحش.

ولكن كلمة «صغير» πῶλος لا تستخدم للتعبير عن صغار الحمير فقط بل وصغار الخيل أيضاً، فلزم أن تُميَّز كلمة «صغير»، فجاءت «صغير» (جحش بالعربية) مضافة إلى أنثى الحمار أي الأتان. فصار المعنى الصحيح هكذا: حمار صغير ابن أتان. ولكن كما فهم النساخ للترجمة السبعينية، هكذا نقل عنها القديس متى في إنجيله كما هي، واضطر أن يعدّل المعاني والألفاظ لتصير بالمثنّى، أي حمار وجحش ابن أتان معاً، فجاءت هكذا: «فللوقت تجدان **أتاناً** مربوطة **وجحشاً معها، فحُلاَّهما** وأتياني بهما. وإن قال لكما أحد شيئاً، فقولا: الرب محتاج **إليهما**، فللوقت **يرسلهما**. فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: قولوا لابنة صهيون، هوذا ملككِ يأتيكِ وديعاً راكباً على **أتان وجحش ابن أتان**. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع، وأتيا **بالأتان والجحش**، ووضعا **عليهما** ثيابهما فجلس **عليهما**.» (مت٢١ : ٢—٧)

هذا الخطأ بالنقل غير المقصود، تلافاه كلٌّ من القديسين مرقس ولوقا و يوحنا، حيث ذكروا أنه جحش واحد فقط. و يزيد كلٌّ من القديس مرقس والقديس لوقا كلمة: «جحشاً لم يجلس عليه أحد من الناس» (مر١١: ٢، لو١٩: ٣٠) كما جاءت في النسخة السبعينية: «جحشاً صغيراً πῶλον νέον.» (زك٩: ٩)

«جالساً»:

لم يشأ ق. يوحنا أن ينقل الكلمة الأصلية التي جاءت في النبوة، أنه «يأتي **راكباً**» بل جعلها «يأتي جالساً» [«فجلس عليه»] كما يليق بالمسيح كملك.

«لا تخافي يا ابنة صهيون»:

جاءت في أصل نبوة زكريا: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم».

وفي إنجيل القديس متى اختزلها وصارت «قولوا لابنة صهيون»، أما ق. يوحنا فيبدو أنه أضاف على نص زكريا النبي نصاً آخر من نبوة صَفَنْيَا النبي:

«لا تخافي يا صهيون... الرب إلهك في وسطكِ جبَّارٌ يُخلِّص... ملك إسرائيل، الربُّ في وسطك» (صف٣: ١٦و١٧و١٥). وواضح جداً أن ق. يوحنا أخذ هذا التعبير «**ملك إسرائيل**» في تسبحة الهتاف: «أوصنا، مبارك الآتي باسم الرب **ملك إسرائيل**».

وكلمة «لا تخافي»، المضافة إلى ركوبه على جحش رمز التواضع والوداعة والمسكنة، والتي استرعت انتباه ق. يوحنا فالتقطها من نبوة صَفَنْيَا، توضح أنه ليس ملكاً للنقمة من الأعداء يهوداً ورومانيين، بل للسلام: «لا تخافي». فدخول المسيح إلى أورشليم بهذه الصورة السلامية، هو الذي عبَّر عنه التلاميذ في إنجيل القديس لوقا: «سلامٌ في السماء، ومجدٌ في الأعالي.» (لو١٩: ٣٨)

فهذا الموكب المتواضع، بقدر ما أَبْهَجَ التلاميذ والأخصَّاء العارفين بمقاصد المسيح السلامية، بقدر ما ألهب قلوب الطالبين للخلاص من الرومان وسيادة اليهود على الأمم، وظنوا أنه بمثابة إعلان بقيام ثورة، مما أرعب قلوب الفريسيين.

ولكن بقية نبوة زكريا كانت هي وحدها التي استقرت في قلب الرب ومقاصده:

«هوذا ملكُكِ يأتي إليك، هو عادل، ومنصور، وديع، وراكب على حمار (بل) على جحش ابن أتان. **وأقطع المركبة** (مركبة الحرب) من أفرايم، **والفَرَسَ** من أورشليم (جيوش الحرب)، وتُقطع **قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم...**» (زك٩: ٩و١٠)

ولكن حتى التلاميذ لم يفهموا ما هو حادث أمامهم، فاشتركوا في الموكب وهلّلوا مع المهللين، وظلوا غير مُدرِكِين للقيم الحقيقية التي تقوم عليها الحوادث التي كانت تجري أمامهم.

١٦:١٢ **«وهذه الأمورُ لم يفهَمْها تلاميذُهُ أوَّلاً. ولكن لمّا تمجَّدَ يسوعُ، حينئذٍ تذكَّروا أن هذه كانت مكتوبةً عنه، وأنهم صَنَعُوا هذه له».**

يقول القديس كيرلس الكبير الإسكندري في تعليقه على هذه الآية:

[إن ق. يوحنا الإنجيلي لم يخجل من أن يعترف بجهل التلاميذ، ثم عاد فأظهر معرفتهم؛ لأنه لم يكن يضع في اعتباره احترام الناس، ولكنه كان يدعو لمجد الروح].

والحقيقة أن ق. يوحنا أراد أن يكشف عن مدى الخطأ الذي وقعت فيه كل الفئات، على وجه العموم، بالنسبة لدخول المسيح أورشليم ليكمل عمله الخاص ويختمه.

أولاً: فرؤساء الكهنة والفريسيون، رأوا ذلك أنه بمثابة إعلان ملكيته ببرهان هتاف تلاميذه، فكان ذلك مأخذهم الحاسم لاستخلاص سبب حكم الصلب من فم بيلاطس: «كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقتَ هذا، فلستَ مُحباً لقيصر. **كلُّ مَنْ يجعل نفسه ملكاً، يقاوم قيصر.**» (يو١٩: ١٢)

ثانياً: اليهود والجموع الذين احتشدوا لتحيته بصفته المسيَّا الآتي لإعلان بدء مملكة داود، لتخليص إسرائيل من أيدي الرومان.

ثالثاً: التلاميذ، وقد لخص ق. يوحنا موقفهم بأنهم لم يفهموا هذه الأمور. وقد توضَّح لهم أن كل ما عملوه، **تلقائياً**، كان موضوعاً في خطة الله لاستعلان أعماله من جهة الخلاص المعدّ.

أما تعليق المسيح على هذا الموكب وهذا الاستقبال فجاء في نفس الأصحاح: «وأما يسوع فأجابهما قائلاً: قد أتت الساعة **ليتمجّد** ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم، إن لم **تقع** حبة الحنطة في الأرض **وتَمُتْ**، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت، تأتي بثمر كثير.» (يو١٢: ٢٣و٢٤)

وهذا هو عين موقف الكنيسة الآن من الاحتفال بأحد الشعانين. إذ تشترك فيه وتهتف للمسيح

باعتباره قادماً للصليب(٤)، لكي يعلن من عليه انتصاره الحقيقي على الموت والخطية، من أجل خلاص العالم واستعلان حقيقة شخصه كملك المجد.

١٢ : ١٧و١٨ **«وكان الجمعُ الذي معه يشهَدُ أنه دَعَا لعازرَ من القبرِ وأقامه من الأمواتِ. لهذا أيضاً لاقاهُ الجمعُ، لأنهم سَمِعُوا أنه كان قد صَنَعَ هذه الآيَةَ».**

يلاحظ القارىء أن ق. يوحنا يضع في إنجيله السبب الواضح جداً والمباشر للاحتفال المهيب الذي لاقاه به الشعب يوم أحد السعف كاستقبال الملوك، كل الشعب على كافة طبقاته، ليس الجليليون فقط الذين رافقوه في رحلته بل **واليهود** عامة حتى من سكان أورشليم ذاتها، وهذا على غير العادة، وذلك بسبب معجزة إقامة لعازر من الموت، وهي الآية التي صنعها الرب قبل مجيئه مباشرة إلى أورشليم:

«فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع، آمنوا به.» (يو١١: ٤٥)
«لهذا أيضاً لاقاه الجمع، لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية.» (يو١٢: ١٨)

في حين أن الأناجيل الثلاثة الأخرى للقديس مرقس والقديس متى والقديس لوقا لم توضح لماذا لاقاه الشعب بالسعف والهتاف في دخوله أورشليم، بل ذكروا حادثة دخوله أورشليم مقطوعة عما قبلها وعما بعدها.

كذلك يوضح هنا ق. يوحنا أن إقامة لعازر من الموت كانت هي السبب المباشر والقوي الذي جعل رؤساء الكهنة والفريسيين يجمعون مجمعهم الأخير والخطير و يتخذون قرارهم بالقتل المسبَّب: «فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع، آمنوا به. وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع. فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً، وقالوا: ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة؟ إنْ تركناه هكذا، يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون و يأخذون موضعنا وأُمَّتنا... إنه خيرٌ لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب...» (يو١١: ٤٥ــ٥٠). «فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه» (يو١١: ٥٣)؛ بل و يؤكد ق. يوحنا أن آية إقامة لعازر من الموت هي التي أنهت على كل أمل الفريسيين في محاولة محاصرته سلمياً، واستسلموا لقرار القتل:

(٤) لذلك يقول مزمور عشية أحد الشعانين: «رتبوا عيداً في الواصلين إلى **قرون المذبح**»، على اعتبار ذراعي الصليب هما قرون المذبح الحقيقي وأحد الشعانين هو «العيد» الموصّل إلى الصليب.

١٢ : ١٩ «فقالَ الفريسيونَ بعضُهُم لبعضٍ. انظُرُوا، إنَّكم لا تنفعونَ شيئاً، هوذا العالم قد ذَهَبَ وراءَهُ».

هذه آخر مقارنة يعقدها الإنجيل بين المؤمنين والرافضين، بين أبناء النور وأبناء الظلمة والموت؛ بين الجمع الذي شاهد وآمن وشهد بحماس، وبين الفريسيين الذين رفضوا، وأخيراً شهدوا ليأسهم. وفي كلام اليأس الذي عبَّروا به عن عدم نفعهم، وعن ذهاب العالم وراء يسوع، كانت آخر نبوَّة من فم الأعداء عما سيكون حتماً: «هوذا العالم قد ذهب وراءه»، وإنهم لن ينفعوا شيئاً وأبداً.

٣ — رد المسيح على طلب اليونانيين
«إن ارتفعتُ عن الأرض، أجذب إليَّ الجميع»(*)

١٢ : ٢٠—٢٢ «وكان أناسٌ يونانيون من الذين صَعِدُوا ليسجُدُوا في العيدِ. فتقدَّمَ هؤلاء إلى فيلُبُّسَ الذي من بيتِ صيدا الجليلِ، وسألُوهُ قائلينَ: يا سيِّدُ نريدُ أن نرى يسوعَ. فأتى فيلُبُّسُ وقال لأندَرَاوُسَ، ثم قال أندَرَاوُسَ وفيلُبُّسُ لِيَسُوعَ».

وهكذا يصوِّر لنا ق. يوحنا الوجه المقابل من الغرب للمجوس الذين أتوا من المشرق، أولئك أتوا لتحية «المولود ملك اليهود» (مت٢ : ٢)؛ وهؤلاء لتحية «المصلوب ملك اليهود»، لكي يجمع المسيح في حياته ومماته الشرق بالغرب، وليحمل له الكلُّ الشهادة والعبادة والسجود والتمجيد.

المجوس قالوا: «أتينا لنسجد له»، واليونانيين «صعدوا ليسجدوا في العيد»، والاثنان كانا طلائع «الخراف الأُخَر التي ليست من هذه الحظيرة»، جاءوا ليفتتحوا عصر الأمم. ولكن كانت بعثة شرف الشرق مبكرة للغاية إذ سجلت نفسها في نفس سجل الميلاد، لتحفظ حقها بأولوية الانضمام لرعية القديسين وأهل بيت الله، وهذه سمة النشاط في أهل الشرق. أما بعثة الغرب فتأخرت للغاية، ولكنها لحقت الساعة الحادية عشرة، فأخذوا وعداً — من خلف الباب — بنصيبيهم الكامل من الثمر الكثير: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إليَّ الجميع» (يو١٢ : ٣٢). ولكن هذا كله يتم بعد أن تقع حبة الحنطة وتموت أولاً، لكي تملأ حقول الغرب كلها، مبشِّرين وقديسين ومعلِّمين وعلماء!!

كان صوت هؤلاء اليونانيين الأتقياء، بالنسبة لصخب هذا الموكب الزاخر، يبدو في المظهر خافتاً وغير مُلْفِتٍ للنظر إزاء هتاف الآلاف. ولكن في مقدَّرات الأمم وسجلات أمجاد المؤمنين، كان صوت هؤلاء اليونانيين كالرعد كما في بلاد الغرب، كصوت مياه كثيرة، كصوت الله نفسه

(*) يُقرأ هذا الفصل في مساء أحد الشعانين (الساعة الأولى من ليلة الاثنين)، لأن هذا هو الوقت المحدد الذي دار فيه هذا الحديث بعد دخول الرب أورشليم، ثم أيضاً لأن فيه دعوة صريحة من الرب لأن نشاركه في آلامه: «إنْ كان أحدٌ يخدمني فليَتْبعني». وكأن الكنيسة تنبهنا بهذه القراءة في بداية أسبوع الآلام أن لا نقف موقف المتفرجين، بل أن ندخل في شركة سرية مع الرب أثناء آلامه.

كما يُقرأ هذا الفصل أيضاً في باكر عيدي الصليب لما جاء فيه من إشارة إلى رفع الرب على الصليب وتأثير ذلك على الجميع: «إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إليَّ الجميع».

الذي تراءى لبولس في الحلم على هيئة الرجل المكدوني (يوناني) يطلب المعونة (أع١٦: ٩)؛ أو بلغة أحد الخوص: «هوشَعْنا خلِّصنا» !...

١٢: ٢٣و٢٤ **«وأما يسوعُ فأجابَهُما قائلاً: قد أتت الساعةُ ليتمجَّد ابنُ الإنسانِ. الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم: إن لم تقع حبَّةُ الحنطةِ في الأرضِ وتَمُتْ، فهي تَبْقَى وَحْدَها. ولكن إنْ ماتت، تأتي بثمرٍ كثيرٍ».**

«قد أتت الساعة»:

الرب يعلن انتهاء الخدمة العامة في الرواقات الخارجية، وبدء خدمته الخاصة أمام أبيه في قدس الأقداس، كرئيس كهنةٍ ينضح بدمه سرًّا على العالم من فوق الصليب. الزمن بعد ليس زمن رؤية وحديث مع الناس، ولكنها الآن ساعة معصرة الدم، و ينبغي أن أدوسها وحدي:

«قد دُسْتُ المعصرة وحدي، ومن **الشعوب** لم يكن معي أحد» (إش٦٣: ٣). لذلك حينما سمع باليونانيين (الشعوب)، علم أن المعصرة قد أُعدَّت.

على طول خدمة الرب، سمعنا منه أن ساعته لم تأتِ بعد، وحينئذ لم يقوَ عليه أعداؤه، لا بالتهديد ولا بالوعيد، ولا حتى برفع الحجارة، ولا رفع الأيادي، إذ كان يعبر من وسطهم دون أن يروه وأيديهم قابضة على الهواء. ولكن هذه ساعتهم وسلطان الظلمة (لو٢٢: ٥٣)، وقد أحنى رأسه للصليب وعلى الصليب برضاه، لأنه كان يرى السرور الموضوع أمامه (عب١٢: ٢)، والمجد الذي كان ينتظره. لأنه بالصليب غلّب الموت، وقام مكلَّلاً بالمجد، وظهر «يسوع قائماً عن يمين الله.» (أع٧: ٥٥)

إذن، فكانت هي الساعة التي ينتظرها للعودة إلى الآب. ولكن كان عليه أن يضع نفسه أولاً لكي يأخذها ثانياً، يضعها في هوانٍ و يأخذها في مجد، والموت والقيامة متشابكان تشابكاً مستتراً، لا يُفهم الواحد بدون الآخر، ولكن الموت كان فريضة على الواحد (يسوع)، أما القيامة فصارت عطاءً للجميع.

«حبة الحنطة»:

يلاحظ القارىء أن إجابة المسيح على سؤال اليونانيين بخصوص رؤيته والتمتع به و بالتالي التلمذة له — تأتي على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: التشبيه بالطبيعة، وهو سقوط حبة الحنطة، وأن موتها الظاهري هو الذي يحوّلها

إلى ثمر كثير.

المستوى الثاني: التطبيق على مستوى النفس، على أساس **إماتة** الذات عن وفي هذا العالم، فهو الذي يُقيمها ويُحييها إلى حياة أبدية، حيث العالم هنا هو بمثابة الأرض بالنسبة لحبة الحنطة.

المستوى الثالث: الإلتصاق بالنموذج الإلهي، فالمسيح مات بإرادته وقام. فإذا اتَّبعناه تماماً، نصير مثله، ونأخذ تجربته، فنموت معه ونقوم معه، إذ نأخذ قوة موته وقوة حياته: «**وهم غلبوه (أي غلبوا المشتكي علينا) بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت.**» (رؤ١٢: ١١)

والنتيجة التي نخرج بها من طرح هذه المستويات الثلاثة هي:

أولاً: أن المسيح سيموت ليعبر إلى اليونانيين وإلى العالم كله، بل وإلى ملء السموات والأرض.

ثانياً: ليس مجرد رؤية المسيح وسماعه يحوِّلنا إلى تلاميذ، بل يتحتم من جانبنا أن نكون مثل حبة الحنطة نموت عن ذواتنا التي تحدُّنا وتربطنا بالأرض والعالم، وذلك حتى نرى المسيح والحياة.

ثالثاً: موت المسيح وقيامته سيكون النموذج الفعَّال الذي إذا التصقنا به وخدمناه، نأخذ قوته ونشترك في نتائجه، وهذا متوفر لدى كل إنسان في العالم.

وبهذه الثلاثة المستويات، نبلغ إلى تلمذة المسيح وشركة حياته. فبدل أن يأتوا إليه ليروه، يمكنهم أن يعيشوا معه دون أن يأتوا إليه.

أولاً: التشبيه بالطبيعة:

حبة الحنطة المهيَّأة للدفن في الأرض هي الواحد (يسوع)، بكل معنى الوحدة في العزلة عن الكلّ. هذا كان عمق أعماق شعور المسيح الذي كان يعتصره ويهزُّ كل كيانه: «نفسي قد اضطربت» (يو١٢: ٢٧)، «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت٢٦: ٣٨)، «أيها الآب نجني من هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧)، «وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» (لو٢٢: ٤٤). ولولا شعوره الدائم بحلول الآب فيه، لسمعنا أكثر وأكثر، ولكنه كان يعود سريعاً لأعماقه، فيرى راحته في الآب: «**وأنا لستُ وحدي، لأن الآب معي.**» (يو١٦: ٣٢)

ولكن كما أن حبة الحنطة تغلب وحدتها بموتها ودفنها في الأرض فتصير كثيراً، هكذا رأى

المسيح «يسوع» في موته عبوراً من وحدته أي فَرَادته التي عانى منها، إذ لم يفهمه أحد ولم يسمعه أحد، وإلى خاصَّته جاء وخاصته لم تقبله، وحتى إخوته لم يكونوا يؤمنون به (يو٧: ٥)، ورئيس الكهنة مزَّق ثيابه لأنه لم يفهم كلامه، وتلاميذه خانوه وواحد منهم باعه، والمتقدِّم فيهم أنكره والباقون تركوه وهربوا؛ ثم تمَّت معجزة حبة القمح التي دُفنت في الأرض، إذ خرجت منها السنبلة تحمل **ثمراً كثيراً، كله من جسم حبة الحنطة**، «**من لحمه ومن عظامه**» (أف٥: ٣٠)، «وجيش عظيم جداً جداً» (حز٣٧: ١٠)، «فقال لي تنبأ للروح "**تنبأ يا ابن آدم**"، وقل للروح هكذا قال السيد الرب: هلم يا روح من الرياح الأربع وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأتُ كما أمرني، فدخل فيهم الروح، فَحَيُوا، وقاموا على أقدامهم، جيش عظيم جداً جداً» (حز٣٧: ٩و١٠). «بعد هذا نظرت، وإذا جَمْعٌ كثيرٌ لم يستطع أحد أن يَعُدَّه، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض، وفي أيديهم سعف النخل.» (رؤ٧: ٩)

انتقل المسيح من وحدته إلى كُلِّيتهِ، من فَرَادته إلى مُطْلَقِه، من انحصاره في فلسطين إلى مِلْئه للسماء والأرض: «صعد فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف٤: ١٠). بموته عَبَر المسيح إلى كل إنسان كان أو سيكون، وعِوَض أن كان على كل إنسان أن يَعْبُر إليه، صار هو الذي يَعْبر إلى الكل في كل مكان وزمان. عِوَضَ أن نذهب إليه ونقرع، صار هو الذي يقف على كل باب و يقرع: «هأنذا واقف على الباب، وأقرع، إنْ سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه، وأتعشى معه وهو معي.» (رؤ٣: ٢٠)

بموت المسيح ودفنه، استُعْلِنَت القيامة والروح والحياة الأبدية التي فيه، والتي طرحها الروح القدس مع الرياح الأربع على قتلى الشعوب يهوداً و يونانيين، فدخل فيهم روح المسيح فَحَيُوا، وقاموا، جيشٌ عظيمٌ جداً جداً.

وهكذا كان ردُّ الرب على سؤال اليونانيين، متضمناً رسالته الإلهية المحيية لهم من داخل آلامه وموته ومجده الذي حانت ساعته. فكأن المسيح يخاطبهم: أتركوني الآن وحدي، لأدوس معصرتي، لأنضح دمي عليكم فتحيون. سأطرح روحي عليكم، وحياتي، وكلمتي، ورسالتي، لتصيروا شعبي.

+ «ولكي يبيِّن غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدَّها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن إيَّاها، ليس من اليهود فقط، بل **من الأمم أيضاً**. كما يقول في هوشع أيضاً: **سأدعو الذي ليس**

شعبي شعبي، والتي ليست محبوبة محبوبة. و يكون في الموضع الذي قيل لهم فيه (رواق الأمم) لستم شعبي، أنه هناك يُدْعَوْن أبناء الله الحي.» (رو٩: ٢٣ــ٢٦)

ثانياً: التطبيق على مستوى النفس:

١٢: ٢٥ **«من يحبُّ نفسَهُ يُهلِكُها، ومَنْ يُبغضُ نفسَهُ في هذا العالمِ، يحفظُها إلى حياةٍ أبديةٍ».**

هنا التطبيق على المستوى الأعلى، إذ نحن لسنا بصدد موت طبيعي ولا أرض طبيعية ولا حياة طبيعية ولا ثمر طبيعي، ولكن التطبيق على الطبيعة فقط نقلنا إلى المستوى الروحي الأعلى.

وهذا هو قانون الحياة المسيحية، فكل ارتقاء إلى مستوى أعلى يحتاج أو يتم على أساس خسارة المستوى الأقل: «إن كنتم قد سمعتموه، وعُلِّمتم فيه، كما هو حق في يسوع (الموت الطبيعي بالجسد)، أن تخلعوا (الموت أو الإماتة للنفس)، من جهة التصرف السابق، الإنسان العتيق الفاسد (أهواء وشهوات النفس) بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله (الحياة الأعلى) في البرِّ وقداسة الحق» (أف٤: ٢١ــ٢٣). وهذا هو عين مَثَل حبة الحنطة، وإنما على المستوى الأعلى. و يشرحه القديس بولس الرسول عملياً: «لكن ما كان لي ربحاً (فريسيٌّ ومعلِّم إسرائيل)، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة، من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرتُ كل الأشياء، وأنا أحسبُها نفاية لكي أربَح المسيح» (في٣: ٧و٨). وواضح هنا أن الربح الروحي هو على أساس الخسارة المادية والمعنوية، والخسارة أصابت الذات والربح هو الحصول على المسيح عوض الذات: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل٢: ٢٠)

وهكذا، فإن التضحية بما هو أقل، مهما كان شهيًّا ومرغوباً ومريحاً لعظمة الذات، يفتح الطريق إلى بلوغ ما هو أعظم بكثير بالنسبة لروح الإنسان وحياته الأبدية.

كذلك، فإن بذل الذات وإخضاعها لمطالب الحياة الروحية، يُعوَّض بالربح الذي يفوق البذل، وهو ربح المسيح؛ فالمسيح يحلُّ محل الذات. كذلك أيضاً، فإن قبول الموت الإرادي، أي الإماتة، والإماتة تصيب كل ما هو قابل للفناء، يفتح باب الحياة الأبدية خطوة بخطوة.

و باختصار، فإن الذي يلتصق بما هو فانٍ، يفنى معه؛ وكلُّ مَنْ يلتصق بالحياة يمتلىء بها.

وهكذا كلُّ طمّاع يأخذ ويخزن ويضيف إلى ذاته من مسرات **الدنيا** وأمجادها، يُحطّم **ويُهلِكُ** ذاته، بمعنى أنه يجعلها بلا قيمة بالنسبة للوجود الروحي ومسراته. وكل جاحد لمُشتهيات ومسرات وأمجاد الذات، تصبح ذاته نفسها هي السُلّم الذي يصعد به إلى السماء.

هنا المسيح على ضوء سؤال اليونانيين الذين يطلبون المجيء إليه لرؤيته، **يجيب ويوضح كيفية المجيء إليه**؛ فرؤية المسيح ليست بالسهولة التي يراها هؤلاء اليونانيون، أو يراها الحجاج الذين يذهبون إلى أورشليم أو الهيكل أو الجبل المقدس ليروا الله ويجتمعوا إليه: «قال لها يسوع: يا امرأة صدّقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب ... ولكن تأتي ساعة **وهي الآن** حين الساجدون الحقيقيون **يسجدون للآب بالروح والحق**.» (يو٤: ٢١و٢٣)

ولكي يكون السجود لله **بالروح**، يتحتم أن يسبقه إخضاع وإماتة عن العالم **للجسد**.

وحبة **الحنطة هي هنا النفس، والأرض** هي هنا العالم، **والثمر** هو هنا **الحياة** الأبدية.

والملاحظ في هذه الآية أن المسيح يضع المحبة الخاطئة في مقابل البغضة الممدوحة بالنسبة للذات. ولو رجعنا إلى المحبة الخاطئة في الإنجيل تجدها محصورة في الخمسة الاتجاهات أو المجالات التي تؤدي إلى الهلاك:

١ ــ محبة **الظلمة**. ٢ ــ محبة **العالم**. ٣ ــ محبة **المجد** بين الناس.
٤ ــ محبة **الجسد**. ٥ ــ محبة **المال**.

وهذه الخمسة هي **المداخل** المتوازية لمملكة الشر أو الشيطان. **والإنحياز** لأي اتجاه أو مجال من هذه المجالات يُظْهِرُ عدم رغبة في محبة المسيح والله.

١ ــ **والظلمة**، هي الضدُّ لـ«**نور**» الكلمة: «وهذه هي الدينونة **إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة** أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة.» (يو٣: ١٩)
٢ ــ **والعالم**، هو الضدُّ للمسيح **ولله**: «مملكتي ليست من هذا العالم» (يو١٨: ٢٦)، «**محبة العالم عداوة لله**.» (يع٤: ٤)
٣ ــ **ومجد الناس**، هو الضدُّ **لمجد الله**: «كيف تقدرون أن تؤمنوا **وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض. والمجد الذي من الإله الواحد** لستم تطلبونه.» (يو٥: ٤٤)
٤ ــ **والجسد**، هو ضدٌّ **لله**: «لأن اهتمام الجسد هو موت ... هو عداوة لله.» (رو٨: ٦و٧)

٥ — **والمال،** هو ضدُّ **الإيمان** بالله: «**لأن محبة المال أصل لكل الشرور،** الذي إذ ابتغاه قوم **ضلُّوا عن الإيمان.**» (١تي٦: ١٠)

فإن كان موت المسيح حتمياً، للحصول لنا على القيامة والحياة الأبدية، فلا مفرَّ من أن يكون الموت الإرادي حتمياً لنا (شركة الموت مع المسيح)، لنحصل ونشترك في القيامة والحياة الأبدية.

١٢: ٢٦ **«إن كان أحدٌ يخدِمُني فليتبَعْني. وحيثُ أكونُ أنا، هناكَ أيضاً يكونُ خادِمِي، وإن كان أحدٌ يخدِمُني يُكرِمُهُ الآبُ».**

لو أننا وضَّحنا هذا المثل، سَهُلَ علينا التفسير، والمثل الأمثل هنا هو التلاميذ الذين ساروا على دَرْبِ المعلِّم: «يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه» (مت١٠: ٢٥). هؤلاء خدموا المسيح، حيثما سار بهم المسيح في مشارق الأرض ومغاربها، وهؤلاء كرَّمهم الآب السماوي أيما تكريم:

+ «فأجاب بطرس حينئذ وقال له: **ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك،** فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم **أنتم، الذين تبعتُموني** في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ... وكل مَنْ ترك ... مِنْ أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف، و يرث الحياة الأبدية.» (مت١٩: ٢٧—٢٩)

وعن الذين أحبوا وصمموا أن **يخدموا المسيح،** قدَّم المسيح عنهم صلاة خاصة للآب:

+ «أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني، يكونون معي، حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني ...» (يو١٧: ٢٤)

الملاحَظ هنا في طلب المسيح من الآب: «**يكونون معي حيث أكون أنا**»، أنها ليست هي نفس الطلبة التي طلبها من التلاميذ: «حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي»، لأن طلبة المسيح من الآب هي **النتيجة:** «لينظروا مجدي»، أما طلبة المسيح من التلاميذ **فهي المنهج،** أي شركة الآلام والموت: «في العالم سيكون لكم ضيق» (يو١٦: ٣٣)، «يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه» (مت١٠: ٢٥). والذي يتبع المسيح، يتحتم أن يحمل صليبه حتى يستطيع أن يتبعه، ولكن الذي يتبع المسيح حاملاً الصليب، فهو حتماً سيبلغ القيامة والحياة والمجد. فخدمة المسيح، هي بحد ذاتها تبدأ بالموت وتنتهي بالمجد، أي بتكريم الآب، كالمسيح وفي المسيح. ولكن لا كرامة من الآب لإنسان ما بدون المسيح، كما أنه لا كرامة مع المسيح بدون الصليب!! من أجل

هذا يقول بولس الرسول عن خبرة و يقين: «لأن لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح.» (في١ : ٢١)

١٢ : ٢٧ **«الآن نَفْسِي قد اضطَّرَبَتْ. وماذا أقولُ. أيها الآبُ نجِّني مِنْ هذه الساعةِ. ولكن لأجلِ هذا أتيتُ إلى هذهِ الساعةِ».**

الحديث عن الموت والحياة حديث، **والمذاقة** مرعبة. والمبادىء **العامة يَعْبُرُ** عليها العقل بخفة، ولكن الإختبار **الشخصي** محنة.

وما أبهج الحديث عن الخلاص والمجد هللو يا!! ولكن لا يأتي الخلاص إلاَّ بمرارة النفس وذَوْق الحنظل. و يكفي، يا قارئي العزيز، أن تسمع من فم المسيح ـــ الذي أقام لعازر بكلمة ـــ وهو يئن هكذا: «نفسي قد اضطربت»، «أيها الآب نجّني». فالخلاص لم يكسبه لنا المسيح سهلاً: «لأنه لاقَ بذاك ... **أن يُكمِّل رئيسَ خلاصهم بالآلام.**» (عب٢ : ١٠)

«نفسي» = ψυχή وباللاتينية anima:

نفس المسيح هي المركز الذي يتجمع فيه ملء **الحياة البشرية**، وقاعدة المشاعر الإنسانية. أما الروح πνεῦμα وباللاتينية spiritus. فهي، في المسيح، قاعدة التأثرات الروحية، استقبالاً وانعكاساً؛ استقبالاً بالحديث مع الله، وانعكاساً للتعبير والتأثير.

والنفس في المسيح جاءت بهذه الصور:
«الراعي الصالح **يبذل نفسه** عن الخراف.» (يو١٠ : ١١)
«ابن الإنسان لم يأت ليُخدَمَ بل ليَخدُمَ، **وليبذل نفسه** فِدْيةً عن كثيرين.» (مت٢٠ : ٢٨)
«**نفسي حزينة** جداً حتى الموت.» (مت٢٦ : ٣٨)
«لأنك لن **تترك نفسي في الهاوية.**» (مز١٦ : ١٠ وأع٢ : ٢٧)

أما الروح فجاءت في:
«ونكَّس رأسه وأسْلَمَ الروح.» (يو١٩ : ٣٠)
«يا أبتاه، في يديك أستودع روحي.» (لو٢٣ : ٤٦)

والموت في المسيح تم هكذا:
١ ـــ **بانفصال النفس عن الجسد،** ولكن اللاهوت بقوة القيامة التي له لم ينفصل قط، لا

عن النفس التي باشرت نزولها إلى عالم الأرواح المحبوسة، ولا عن الجسد الذي بقي مسجًى في القبر ميتاً ينتظر عودة النفس.

٢ ــ وبتسليم الروح ليد الآب.

وموقع هذه الآية: «الآن نفسي قد اضطربت» بالنسبة للآيات السابقة مهم للغاية. لأن المسيح، رداً على طلب اليونانيين، طرح ثلاثة افتراضات يتحتم أن تتم أولاً، حتى يستطيع لا اليونانيون فقط بل وكل الناس أن يروه ويتعرفوا عليه ويقبلوه ويتحدوا به!

أولاً: أن يموت هو، هنا أعطى لصورة موته وقيامته المثل من الطبيعة في حبة الحنطة.

ثانياً: أن يموت الإنسان بإرادته (الإماتة) عن الذات ومتعلقاتها المادية والدنيوية.

ثالثاً: أن يكون الإنسان مستعداً لأن يخدم المسيح بأن يتبعه أينما سار، للآلام، ثم الموت، وبالتالي القيامة والمجد.

وأخيراً جاءت هذه الآية لتتنزل بهذه النظرية كلها، بفروضها الثلاثة، إلى مستوى **التجربة العملية الواقعة حالاً «الآن»**، لكي يكشف المسيح لتلاميذه واليونانيين وكل العالم، أن الموت الذي جازَه لم يكن سهلاً، ولا كأنه بدون مجاهدة، فكشف عن رِعْدَة الموت التي بدأت تُدَاهم نفسه البشرية، عندما قرر، وانتهى من قراره، قبول الموت، وجاءت ساعته فعلاً.

وهذا أوضحه ق. يوحنا من عنده، بصورة تكشف عن قدرة هذا القديس في فهم حركات النفس داخل المجال الإلهي بصورة مبدعة: «قال هذا مشيراً إلى أيَّة ميتةٍ كان مُزمعاً أن يموت» (يو١٢:٣٣). ق. يوحنا هنا يرى أن كلام المسيح هو كشف عن حقيقة وعنف وطريقة الموت الذي سيواجهه. فالنفس البشرية ــ وهي قاعدة المشاعر ومجتمع ملء الحياة البشرية فيه ــ بدأت تنوء تحت ثقل قبوله الدخول في تجربة الموت. وهذه هي غُصَّة الموت!! التي هي بعينها المعروضة علينا دائماً حينما نقرر ونباشر عملية الإماتة عن العالم، **بقمع النفس**، وبغضة ميولها وشهواتها التي تبدو **لها** كأنها حيوية بنوع من خداع البصر.

«نفسي قد اضطربت»:

«اضطربت» باليونانية **τετάρακται** وباللاتينية **Turbata**، والاضطراب لا يعني الخوف (وقد جاءت أيضاً في يو١١:٣٣ ويو١٣:٢١)، بل هو انفعال عاطفي شديد داخل النفس.

ق. يوحنا هنا يقدِّم نفس الوصف الذي قدمه الإنجيليون الثلاثة عن المجاهدة التي عاناها

الرب في جثسيماني. ولكن لاهوت المسيح، عند ق. يوحنا، يستحيل أن يتداعى أمام سطوة الموت، حتى وإن تداعت النفس البشرية فيه نحو الاضطراب، بل يقدم ق. يوحنا لاهوت المسيح دائماً دائماً منتصراً وساحقاً للعدو. لذلك يسجل ق. يوحنا القول المقابل لهذا الاضطراب النفسي من الموت من جهة الرب، بالرعبة والانحدار اللذين أصابا الشيطان بالمقابل: «الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطْرَحُ رئيسُ هذا العالم خارجاً.» (يو١٢: ٣١)

«وماذا أقول؟»:

يعتقد بعض الشُّرَّاح أنه سؤال استنكاري، الردُّ عليه جاء بكلمة «لا» في الكلمة **«ولكن»**. ولكن الحقيقة أن المسيح هنا لا يسأل أحداً، ولكنه ينبّه السامع ليدرك عنف الانفعال الناتج عن اضطراب النفس إزاء التجربة. فهو ليس موتاً عادياً، بل أعنف موت ماته إنسان في الوجود. فهو ليس حكم موت واقع عليه، بل صراعٌ مع الموت ذاته ومع من له سلطان الموت (عب٢: ١٤)، والذي سينتهي بموت الموت ذاته، واستعلان الغلبة على الموت بالقيامة التي ستُضَافُ إلى حقوق الإنسان. نعم، سيموت المسيح بكل معنى الموت، ولكن في المقابل سيندحر الشيطان، وتتكسر شوكة أو سيف الخطية في يده. علماً بأن ما جاء بعد سؤال: «وماذا أقول»، لم يكن بالسّلْب بل بالإيجاب، فهو يطلب، والطلب استُجيب بالفعل.

«أيها الآب نجّني من هذه الساعة»:

والجواب جاء من الآب بعد ذلك: «مجّدتُ وأمجّدُ أيضاً». هذه صلاةٌ وتوسُّلٌ لدى الآب، ليس لإلغاء هذه الساعة من حياة المسيح، لأنه من أجلها جاء، ولكنه يطلب النجاة من التجربة الآتية عليه فيها، بمعنى أن يُخْرِجه منها سالماً ومنتصراً.

والتعبير اليوناني أكثر توضيحاً؛ فهو يطلب **الخروج** خارج هذه الساعة سالماً σῶσόν με ἐκ وهنا ἐκ تفيد خارجاً (وليس من ἀπό)، وباللاتينية تجيء بأكثر وضوح أيضاً **salvica me ex hora hae**، أي **الخلاص خارج**، أو الخروج من، وليس الخلاص من:

not deliverance from , but deliverance out of.

وق. يوحنا يهتم بأقصى اهتمام أن لا يجرح اللاهوت من أي جانب. فالموضع الذي جاء في الأناجيل الأخرى عن هذه الصلاة بصورة مسترسلة مثل: «يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك. **فأجزْ عني** هذه الكأس» (مر١٤: ٣٦)، يدقق فيها ق. يوحنا ليشرحها على مستوى **«النجاة منها»**، **أي الخروج من التجربة بصورة تمجّد الآب: «أيها الآب مجّد اسمك»**، وليس

إلغاءها بأي حال من الأحوال. ثم يؤكد المسيح طاعته للآب بقبوله التجربة: «**لأجل هذا أتيتُ** إلى هذه الساعة». فليست الساعة بحد ذاتها التي يطلب المسيح الخلاص منها بل التجربة، وهي **تجربة الصراع الرهيب** مع الموت «لأجل هذا». فهو جاء «**لأجل هذا الصراع**»، وهو يطلب أن يخرج من هذا الصراع سالماً بصورة تمجّد اسم الآب.

هذا واضح في قول سفر العبرانيين: «الذي في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديد ودموع، طلبات وتضرعات (في جثسيماني) للقادر أن **يخلّصه من الموت، وسُمِعَ له من أجل تقواه.**» (عب٥: ٧)

إذاً، فالمسيح كان مُحِقاً في توسله: «نجّني من هذه الساعة» أي نجّني من **تجربة الصراع مع الموت، بأن أخرج منها منتصراً.** التي جاءت هنا في سفر العبرانيين «**أن يخلّصه من الموت» والنتيجة جاءت كما توقع المسيح وكما طلب، «وسُمِعَ له»!!**

١٢: ٢٨ــ٣٠ **«أيها الآبُ مجّد اسمَكَ. فجاءَ صوتٌ من السماءِ مجّدتُ وأمجّدُ أيضاً. فالجمعُ الذي كان واقفاً وسَمِعَ، قال قد حَدَثَ رَعْدٌ. وآخرونَ قالوا: قد كلّمَهُ ملاكٌ. أجابَ يسوعُ وقال: ليس من أجلي صارَ هذا الصوتُ بل من أجلِكم».**

«أيها الآب مجّد اسمك»:

وهنا ينبغي أن ننتبه لئلا يفوت منا المعنى، فاسم الآب «أنا هو» ἐγώ εἰμι، قد أُعطي للمسيح أن يعمل به، ويستعلن نفسه فيه، ويُبرهن به أنه والآب واحد، كيان واحد؛ و«أنا هو» ἐγώ εἰμι يعني «أنا الكائن بذاتي»، قد صار كاسم المسيح.

فالمسيح هنا يطلب من الآب أن **يمجّد اسمه الذي منحه للمسيح، بأن يُمجّد الآب نفسه في المسيح**، وبالمسيح. وذلك **بأن يمجّد المسيح من خلال تجربة الموت، فيقوم منتصراً على الموت**، وبهذا يتمجد اسم الآب في المسيح. وحينئذ يدرك الناس من قيامة المسيح من الموت أن **الاسم الإلهي، «أنا هو»، قد صار اسم المسيح لمجد الآب حقاً**، وأن «المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب» (في٢: ١١)، وهذا ما سبق أن نبّه عليه المسيح لندركه في حينه.

«**فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان** (الصليب وبعده القيامة)، **فحينئذ تفهمون أني أنا هو** ἐγώ εἰμι » (يو٨: ٢٨). «**لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو** ἐγώ εἰμι **تموتون في خطاياكم**» (يو٨: ٢٤)، أي «أني أنا حامل لاسم الآب».

أي أن **القيامة من الموت** ستكون بمثابة إعلان **مجد الله في المسيح**، على أساس غَلَبة المسيح على الموت والخطية، وبالتالي تكميل التكفير عن الخطايا وغفرانها لحساب الإنسان، الأمر الذي من أجله جاء إلى العالم وجاء إلى هذه الساعة.

واضح إذاً كل الوضوح، أن المسيح يطلب الخروج من الموت وليس إلغاءه، والخروج بصورة تمجد «**اسم الآب**» الذي عليه. وهذا هو الرد على السؤال الذي سبق أن سأله: «**والآن ماذا أقول** (أطلب)»؟ نعم هذا هو الذي يطلبه.

وفي هذا نرى أن المسيح لم يفصل بين آلامه التي عبَّر عنها بأن نفسه قد **اضطربت**، وبين هدفه الذي هو الصراع مع الموت: «من أجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة». أي أن المسيح أوضح أن **آلامه** جاءت جزءاً من **عمله**: «من أجل هذا أتيتُ». كما لم يفصل المسيح في رؤيته وإحساسه وانفعاله بين **الموت والمجد، أي القيامة**، لذلك كانت «**الساعة**» تحمل له إحساس الألم والموت والقيامة بصورة مترابطة، حرص المسيح أن تكون هكذا عند الآب: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» (يو١٨: ١١). وردُّ الآب على سؤال: «مجِّد اسمك»، جاء كموافقة كاملة من الآب لقبول الابن الكأس التي أعطاه الآب ليشربها، مع وعدٍ باستمرار تمجيد عمل المسيح حتى النهاية: «مجَّدت وأُمجِّد أيضاً».

«فجاء صوتٌ من السماء: مجَّدتُ وأُمجِّد أيضاً»:

يلاحظ قارىء إنجيل يوحنا أن حادثة «التجلي» لم يذكرها هذا الإنجيل كحادثة قائمة بذاتها. ولكنه هنا يكشف بهذا الصوت العلني الآتي من السماء، والذي سمعه كل التلاميذ والجمع واليونانيون، عن تصميم الآب على استمرار رفع اسمه ــ في المسيح ــ إلى مستوى المجد؛ سواء في الماضي الذي يشمل كل حياة المسيح منذ أن أُعلن عن ميلاده بيد ملاك، ثم بواسطة جمهور من جند الملائكة، ثم بالملائكة التي جاءت لتخدمه في تجربة صومه الأربعين يوماً وغَلَبَته على الشيطان، وبعد ذلك بالآيات المستمرة وآخرها إقامة لعازر من الموت، والتي سجلها المسيح على أنها «لأجل مجد الله، ليتمجَّد ابن الله به» (يو١١: ٤)، على أن المجد مُتَبَادلٌ.

ثم يضيف الآب أنه «**يمجِّد أيضاً**» في زمن المستقبل بمعنى الاستمرار. والمعنى يشمل «الساعة» بكل مشتملاتها حتى النهاية، وما بعد الساعة من قيامة. ففي حادثة التجلي ناداه الآب من السماء: «هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا» (مر٩: ٧)، وتكلم معه موسى وإيليا عن الخروج المُزْمَع أن يكمّله في أورشليم (لو٩: ٣١)؛ وهنا، وقد أصبح بالفعل ميعاد خروجه على الأبواب، فهوذا صوت الآب من السماء يؤكد استمرار تمجيده لاسمه في المسيح على طول المدى، وعلى مستوى العالم أجمع.

لم يكن هذا الصوت لتقوية المسيح، أو استجابةً شخصية له، لأن المسيح سبق وأعلن بصوت مسموع وفي خطابه للآب: «وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمعُ لي» (يو١١: ٤٢). بل إن هذا الصوت العلني، والشديد كالرعد، قد كان ليسمعه جميع الواقفين — وليس المسيح — ومَفَادُه هو إعلان الآب لقبوله طاعة الابن وخضوعه، وموافقته على دخول التجربة مع وعدٍ علني بالمجد! وهذا يدخل حتماً في «الشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه» (١يو٥: ١٠). تماماً كما جاء صوت الآب من السماء في التجلي ليسمعه التلاميذ، وليس المسيح: «هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا» (لو٩: ٣٥). **لأن الموت الذي سيكمّله المسيح هو لأجلهم**، ولأجل العالم كله.

لهذا أسرع المسيح لكي يصحح ما فهمه الجمع خطأ، أن ملاكاً قد كلّمه، وقال لهم: «ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم»، فهو شهادة علنية مسموعة من الآب للمسيح، وموافقة علنية أمام الجميع بقبول طاعة الابن للدخول في مواجهة العدو من داخل الموت. وبذلك يُعتبر موت المسيح تكليفاً من الآب السماوي، ووعداً علنياً أيضاً بالمجد المتبادل، الآب بالابن والابن بالآب، بالقيامة العتيدة أن يكمّلها المسيح بسلطانه وتدبير الآب.

ولكن المسيح، بسماعه صوت الآب من السماء بالموافقة النهائية وقرار المجد من داخل الموت، تهلّل، وأدرك في الحال انهزام الشيطان وسقوط مملكته من السماء.

٣١:١٢ «الآنَ دينونةُ هذا العالمِ. الآنَ يُطْرَحُ رئيسُ هذا العالمِ خارجاً».

يلاحَظ أن المسيح لم يقل «الدينونة» بصورتها النهائية، بل «دينونة» بدون تعريف، كدينونة أولى بالنسبة لدينونات قادمة، كلٌّ في ميعادها. ولكن هنا دينونة حاسمة أيضاً وذات مفعول خطير، لأن آلام المسيح التي بدأ يدخلها، يقع وِزْرُها على نظام العالم القضائي من جهة العدالة المذبوحة، والتي يمسك زِمَامها الشيطانُ، ويُحرِّكها ضد الأتقياء والضعفاء، لذلك تُعتَبرُ هذه الدينونة الأولى

للعالم جزاءَ جُرْم القضاة والرؤساء، وتجريماً لروحهم التي يمتلكها الحقد والكراهية لكل ما هو حق وعدل. وهذه هي الدينونة التي ألمح إليها الروح القدس على فم سمعان الشيخ، الرجل البار الذي تكلم بروح النبوة للقديسة مريم، والمسيح كان ما زال رضيعاً في حضنها:

«وباركهما سمعان، وقال لمريم أمه: ها إن هذا قد وُضِعَ "**لسقوط**" وقيام كثيرين في إسرائيل، **ولعلامة تُقَاوَمُ**» (لو٢: ٣٤)، حيث بدأ هنا السقوط الفعلي لرأس الحية المدبِّرة لهلاك الإنسان منذ البدء.

«هذا العالم»:

لم يُفرِّق المسيح بين عالم اليهود أو اليونانيين، فهو عالم الشر المستحوز على الرؤوس والرؤساء بلا تفريق، فشرُّ اليونانيين، وإن كان قد بلغ حد السَّفَهِ والمُجون، فهو لا يزيد بأي حال عن شرِّ اليهود الذين قاوموا الله والروح القدس وذبحوا ابن صاحب الكرم، لتؤول الكرامة لهم من دون الله.

«الآن دينونة ... **الآن يُطرَحُ»:**

تكرار كلمة «**الآن**» يوضح الحد الحاسم بين المدّ والجَزْرِ، **مدّ** العالم الكاذب اللاهي عن الله والحق، **ومدّ** الشيطان في استغلال النفوس الخاضعة له، **وجَزْر** القوة الإلهية الرادعة للاثنين.

وهنا يقف الزمن عند كلمة **الآن** ــ وهي التي عرَّفها المسيح هكذا: «قد أتت الساعة» ــ وهي الفاصلة بين مرحلة الظلمة القاتمة التي خَيَّمت على العالم بتضامن الشيطان، وبين مرحلة انبثاق النور العتيد أن يَسْطع على العالم وشيكاً، بقيامة المسيح.

«الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً»:

«**رئيس هذا العالم**» هو الآن في مواجهة علنية أمام «**رئيس الحياة**»!! صاحب الموت رفع قرنه على حامل جوهر الحياة!

«أنتم أنكرتم **القدوس البار**، وطلبتم أن يُوهَب لكم **رجل قاتل**، **ورئيس الحياة قتلتموه**، الذي **أقامه الله من الأموات** ونحن شهود لذلك.» (أع٣: ١٤و١٥)

وهكذا لم يَقْوَ سلطان الموت في يد الشيطان على سلطان الحياة في جسد المسيح.

«فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، **لكي يبيد، بالموت، ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس.**» (عب٢: ١٤)

«يُطْرَحُ خارجاً»:

وقد جاءت في اليونانية بصيغة المستقبل **«سيُطْرَح»**. الطرح هو السقوط أو الإسقاط إلى أسفل بعنف نتيجة لطمة قاضية، أخرجت الشيطان من دائرة نفوذه وخارج حلقة مصارعيه، والتي كسب فيها سابقاً كل الجولات ضد الإنسان، ولكن هنا: «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠)، وهكذا خسر كل جولاته مع المسيح.

ومعروف من الكتاب أن «**العالم** كله قد وُضِعَ في الشرير» (١يو٥: ١٩)، فكانت دائرة نفوذ الشيطان تشمل العالم كله، ولكن بصورة مستورة. كلما طُرِح رئيس هذا العالم في معركة ضد المسيح، تعرَّى القائمون بتنفيذ مشوراته، ووقعوا تحت نور المسيح الكاشف، ودينت كل أعمالهم. وها الآن قد عُرِف لدى كل المسكونة، بكل شعوبها وأجيالها، فضيحة رؤساء إسرائيل وقضاته، في مدى تزييفهم للحق والعدل والإيمان في معاملة المسيح، كما تعرَّى قضاة روما أمام ضمير العالم فيما صنعه بيلاطس بالمسيح ضد المنطق والعدل والقانون. وهكذا لم يَعُدْ الشيطان ولا أعوانه مخفيين: «لأننا لا نجهل أفكاره.» (٢كو٢: ١١)

وهكذا، ومنذ صلب المسيح وقيامته، قد نُصِبَتْ على الأرض محكمة الله العليا من داخل ضمير الإنسان المستنير بنور المسيح — أي كل المؤمنين — لمحاكمة كل أعمال الشيطان وأعوانه، «كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، **وقد غلبتم الشرير**» (١يو٢: ١٤)، «**لأن كل مَنْ وُلِدَ من الله يغلب العالم، وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا.**» **(١يو٥: ٤)**

«الآن صار خلاص إلهنا وقدرته ومُلْكُه وسلطان مسيحه. لأنه قد طُرِحَ المشتكي على إخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً. وهم غلبوه بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت.» (رؤ١٢: ١٠و١١)

وهكذا فقد العالم وجوده وإغراءه بالنسبة للمؤمنين بالمسيح، وفقد الشيطان سلطانه على أولاد الله، كما فقد الموت فاعليته على حياة الذين وُلِدُوا جديداً من الله؛ وهذا هو المفهوم الواقعي والجوهري لمعنى دينونة العالم وطَرْح رئيسه خارجاً، تمهيداً لانحلال هيئة هذا العالم انحلالاً نهائياً من دائرة حياة المؤمنين، بالانتقال إلى ملكوت الله وتلاشي الشيطان تلاشياً كليًّا من الوجود، بالنسبة لحياة المؤمنين، وذلك بدخولهم تحت سلطان المسيح والله، بل وتلاشي الموت من كيان المفديين، بدخولهم نهائياً في دائرة الحياة الأبدية مع الله.

١٢ : ٣٢و٣٣ «وأنا إنْ ارتفعتُ عن الأرض، أجذبُ إليَّ الجميع. قالَ هذا مشيراً إلى أيَّةِ ميتةٍ كان مُزمِعاً أن يَموتَ».

هذه هي غاية المسيح التي من أجلها قَبِل أن يدخل إلى «ساعة» الصراع مع «هذا العالم» ومع رئيس هذا العالم، الذي طرحه أرضاً ليرتفع هو عن الأرض إلى أعلى لأنه ماذا بعد أن يكون قد دان «**عالم الشر**» وفضح مداخل الظلمة والشر فيه، وحكم عليه، وأعلن الحق عالياً فوق الكذب والخداع، إلاَّ افتتاح عالم النور ونقل مركز الجذب من الأرض إلى السماء؟ ثم ماذا بعد أن يكون قد طرح رئيس هذا العالم من دائرة نفوذه وسلطانه المتعالي فوق أفق الإنسان، و بعد أن حطَّه إلى أسفل تحت موطىء قدميه، إلاَّ أن يرفع الإنسان فوق هامة الشيطان ليتسامى بروحه إلى حيث المسيح؟

لأن المسيح، بموته مرتفعاً على الصليب، رفع الإنسان معه من داخل الموت إلى القيامة والحياة، **فتحرر الإنسان من جَذْبِ الأرض المستمر والمستبدِّ المؤدي إلى الموت الأبدي.** ولأن المسيح، بموته، قد ظفر بالشيطان على الصليب وفضحه وأشهره جهاراً، **صار الصليب هو مركز الجذب الأقوى والأعلى للإنسان.** وهذا هو المعنى المباشر الذي يتضمنه موت المسيح «**مرتفعاً**» على الصليب، مرتفعاً عن الأرض، ومرتفعاً فوق هامة الشيطان.

وقد سبق أن ركَّز إنجيل يوحنا على معنى **ارتفاع المسيح بالموت على الصليب** بقوله: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن **يُرْفَعَ** ابن الإنسان، لكي لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٤). حيث «رَفْعُ ابن الإنسان» هنا يتضمن القيامة بالموت أو الحياة من داخل الموت. فالحية النحاسية المرفوعة بواسطة موسى، كان مجرد النظر إليها يُحْيي من الموت أولئك الذين عضَّتهم الحية وسكبت سُمَّها في أجسادهم.

والتطبيق هو أن المسيح ألغى على الصليب فِعْلَ الحية، أي الشيطان، وأبطل الموت المتحصِّل منها؛ إذ عِوَضَ سُمِّ الحية المميتة، أعطانا دمه ترياق الحياة الأبدية. فكلُّ مَنْ نظر، نظرة الإيمان، إلى المسيح مرفوعاً على الصليب، تبطل فيه قوة الخطية التي هي سُمُّ الموت أو شوكته القاتلة: «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم، **حتى بذل ابنه الوحيد** (على الصليب)، **لكي لا يهلكَ كلُّ مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.**» (يو٣: ١٦)

كذلك يعود إنجيل يوحنا في موضع آخر ليركز أيضاً على ارتفاع المسيح ــ على الصليب ــ،

كونه يتضمن أيضاً استعلان حقيقة المسيح: «متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو» (يو٨:٢٨)، لأنه بصلب المسيح استُعْلِنَتْ قيامته «وتعيَّن ابنُ الله، بقوة، من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات.» (رو١:٤)

وهكذا يصرُّ إنجيل يوحنا دائماً على أن لا يفصل **الموت** عن **القيامة** عن **المجد**، ويجعل مفهوم **«الارتفاع»** على الصليب هو **«ارتفاع»** القيامة أيضاً، بل **«ارتفاع»** الصعود!

لذلك فقول المسيح هنا: «وأنا إن ارتفعتُ ... أجذب إليَّ الجميع»، يشير إلى الموت على الصليب وما يتبعه بالضرورة من قيامة وصعود ومجد، والذي يتضمن جَذْب المؤمنين واتحادهم بجسده.

«ارتفعت **"عن الأرض"**» ἐκ τῆς γῆς وتفيد ليس الارتفاع فوق الأرض بالمعنى الموضعي فقط، بل وبالمعنى الروحي، فهو ارتفاع عن مستوى الفكر الأرضي والجذب الأرضي، الذي يتضمن، ليس معنى الصلب فقط بل والقيامة بمفهومها الروحي العالي.

«أجذب إليَّ»:

المعنى هنا يتضمن شيئاً من العنف بسبب الجذب المضادّ من الأرض ومن العدو، وهذا المعنى يوضحه الروح القدس في العهد القديم: «كنت **أجذبهم بحبال البشر، برُبُط المحبة، وكنت لهم كمَنْ يرفع النير عن أعناقهم**، ومددتُ إليه مطعماً إياه.» (هوشع ١١:٤)

وعملية الجذب هي عملية روحية بحتة، تدخل في وظيفة الروح القدس مباشرة.

«الجميع»:

وتأتي بدون تخصيص، فهو «الكل»، حتى ما في السموات والأرض: «وأنْ يُصَالح به **"الكلَّ"** لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو١:٢٠)

ولكن ليس الكلُّ كمجموع كلِّي، ولكن «الكلُّ» بالمعنى الفردي واحداً واحداً: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت، لكي يذوقَ بنعمة الله الموت لأجل **كل واحد**.» (عب٢:٩)

وعملية الجذب لا تقتصر على التقريب إلى المسيح، بل وتمتد إلى داخل المسيح، كعملية تجميع

في شخص المسيح، في جسده السري الذي يملأ السماء والأرض: «لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كلَّ شيء في المسيح**، ما في السموات وما على الأرض، **في ذاك.**» (أف١: ١٠)

٣٤:١٢ «فأجابَه الجمعُ: نحن سَمِعْنا من الناموسِ أن المسيحَ يبقى إلى الأبدِ. فكيف تقولُ أنت إنه ينبغي أن يرتفعَ ابنُ الإنسانِ. مَنْ هو هذا ابنُ الإنسانِ؟».

الصعوبة التي واجهت الجمع في فهم معنى «ارتفاع ابن الإنسان»، مزدوجة. فمعروف من نبوة دانيال وبقية النبوات أن ابن الإنسان قرَّبوه إلى عتيق الأيام: «فأُعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا٧: ١٣و١٤). هذا لو كان ابن الإنسان بصفته العامة التي هم لا يفهمونها أصلاً، لأن المسيَّا هو ابن داود، وليس ابن الإنسان. وابن داود سيأخذ مملكة أبيه ليحكم إلى الأبد: «أقْسَمَ الربُّ ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز١١٠: ٤)، «قطعت عهداً مع مختاري. حلفتُ لداود عبدي، إلى الدهر أُثبِّت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيَّك. سلاه» (مز٨٩: ٣و٤)، «لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبِّتها و يعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» (إش٩: ٧)، «ويسكنون فيها هم و بنوهم و بنو بنيهم إلى الأبد، وعبدي داود رئيسٌ عليهم إلى الأبد.» (حز٣٧: ٢٥)

وهذه النبوات الخاصة بالمسيَّا كابن داود كانت محفوظة في قلوب اليهود، حفظاً يتجدد كل صباح وكل مساء، بانتظار تحقيق الوعد. لذلك كانت كلمات الرب يسوع توزن في أذهانهم عليها كلمة كلمة، بل وحرفاً حرفاً، بطريقة يستحيل معها مصالحة الحرف الناموسي مع الروح الذي يتكلم به المسيح؛ حيث الكهنوت كهنوت سماوي، وحيث المملكة هي الملكوت السماوي، وحيث كرسي داود هو العرش السماوي والرئاسة هي من واقع أنه «رئيس الحياة وملك الدهور» غير الزمنية.

ولكنهم فهموا، على كل حال، أن الارتفاع يعني الموت والانقطاع عن الوجود في الأرض، ولكن كان معنى الصليب غير مفهوم، وكان على كل حال مُثبِّطاً لعزائمهم، إذ كانوا ينتظرون المسيَّا بوضعه السياسي، مما أوقف حماسهم في الترحاب بالمسيح والإنحياز له.

١٢: ٣٥و٣٦ **«فقال لهم يسوعُ النورُ معكم زماناً قليلاً بعدُ. فسيروا، ما دام لكم النورُ، لئلا يدرككم الظلامُ. والذي يسيرُ في الظلامِ، لا يعلم إلى أين يذهبُ. ما دام لكم النورُ، آمنوا بالنورِ لتصيروا أبناءَ النورِ. تكلّم يسوعُ بهذا ثم مضى، واختفى عنهم».** (٦)

هذه هي آخر نصيحة يقدمها المسيح لليهود، على وجه الإطلاق، وهي نصيحته أيضاً لكل متشكّك أو مُرتبك من جهة من هو المسيح. وتتلخص في أنْ انتهزْ **الفرصة القليلة** التي أمامك، **وبالقدر الضئيل** الذي يملأ فكرك وقلبك، عن صحة وصلاحية المسيح في أن يقودك **ولو خطوة واحدة إلى الأمام**، تقدّم، تقدّم ولا تقف أو تتقهقر، فالخطوة الواحدة الإيجابية كفيلة أن تدفعك إلى الأمام وباستمرار، لأن المسيح واثق من أنه هو نور العالم، وهو قادر أن يقود ويجذب ويدفع ويكشف أمام الإنسان حقيقة الحياة.

فما دام هاتف الخير مسموعاً، اتبع، ومادام بصيص النور يسيراً، سِرْ لأنك إن استسلمت للخير تصير ابناً للخير، وإن سلّمت للنور قلبك ورجليك، صرت ابناً للنور وقائداً لغيرك. وكل صوت يأتيك من الخلف ليُشكّكك في النور، فهو صوت الظالم وأبي الظلمة، وهو حتماً للضلال والتضليل.

وكعادة المسيح دائماً، فهو لم يُجِبْ على سؤالهم، بل قطع طريق الشك عليهم بإلقاء شعاع من النور على فكرهم حتى لا يعثروا فيه، لو آمنوا. أما آمالهم في مسيًا يبقى معهم إلى الأبد، فاختزلها المسيح إلى «زمان قليل بعد». وحينما قال لهم: «سيروا في النور ما دام لكم النور»، فهو يذكّرهم بعمود النور الذي قاد آباءهم في سيناء وأضاء لهم ظلمة القفر، لو يتذكرون!...

«ثم مضى واختفى عنهم»:

الكلام هنا، بحسب أسلوب ق. يوحنا الخفي، يحمل معنى اختفاء النور، و يوحي بغشيان الظلمة لعقولهم التي لم تَبَع النور، ولا هي سارت على هداه. هذا هو الحبك القصصي للقديس يوحنا، لأن هنا يختم هذا القديس على كل تعاليم المسيح. فكما كانت آية إقامة لعازر من الموت

(٦) يُقرأ هذا الفصل (يو١٢: ٣٥-٥٠) في قداس الأحد الرابع من الخمسين المقدسة، وذلك بعد انتصاف الخمسين المقدسة، واقتراب عيد الصعود الذي فيه يُرفع العريس عنا، وفي ذلك دعوة صريحة من الكنيسة لأن ننتفع من نور المسيح قبل أن يُرفع عنا: «النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام».

آخر آياته لاستعلان حقيقة شخصه كونه «**القيامة والحياة**»، وهي منتهى قصد الإنسان، فهنا كذلك يعطي ق. يوحنا آخر كلمة للمسيح من جهة استعلان شخصه «**كنور الحياة**»، وهو منتهى رجاء الإنسان وآخر تعاليم المسيح. وقد تحقَّق قول المسيح هذا عملياً، فعندما صلبوه اظلمَّت الدنيا، وصارت ظلمة على الأرض كلها، تعبيراً عن اختفاء النور عندما أنكروه. وهم لم يدروا أنهم قتلوا رجاءهم لما قتلوه، فلا حصلوا على مسيًّا يبقى لهم إلى الأبد، ولا انتفعوا بالزمان القليل بعد!

ختامٌ لإنجيل الاستعلان

(١٢: ٣٧ــ٤٣)

١٢: ٣٧ــ٤١ «ومع أنه كانَ قد صَنَعَ أمامَهم آياتٍ هذا عددُها، لم يؤمِنوا بهِ. ليتمَّ قولُ إشعياءَ النبيِّ الذي قالَهُ: يا ربُّ مَنْ صدَّق خَبَرنا؟ ولِمَن استُعْلِنَتْ ذراعُ الربِّ ولهذا لم يَقدِرُوا أن يُؤمِنوا. لأن إشعياءَ قالَ أيضاً: قد أعْمَى عُيُونَهُم، وأغْلَظَ قلوبَهم، لئلا يُبْصِروا بعيونِهم، ويَشعُرُوا بقلوبِهِم، ويرجِعُوا فأشفِيَهم».

إن عدم إيمان اليهود لا بد أن يسترعي كل من يطلع على الإنجيل، سواء من جهة الآيات أو الأعمال والتعاليم. والقديس يوحنا يضع نفسه الآن، وفي ختام سرده للآيات والتعاليم، كمن ينظر إلى رسالة الخلاص التي أكملها المسيح ككلٍّ، فهو يندهش من عدم إيمان اليهود، بل والمسيح نفسه اندهش من عدم إيمانهم، بل وحتى إشعياء النبي لم يصدِّق ما يقول. والحقيقة كذلك، فإنه لا يوجد شعب في العالم قاوم رسالة الخلاص، كما قاومها اليهود في شخص المسيح نفسه، مع أنهم خاصته!!

ويعود ق. يوحنا إلى العهد القديم، عهد النبوات والأضواء، التي أرسلها الله من بعيد سابقاً ليُظهِرَ بها ويمهِّد لما سيكون، حتى إذا كان، سَهُلَ الإيمان.

ونبوات إشعياء فيها ما يكفي، سواء بالنسبة للمسيح من هو، وما هو عمله، أو بالنسبة لليهود، عن ما هو ردُّ الفعل عندهم.

والنبوة في الواقع تصوِّر ما سيكون، ولكن لا تتحكم في مجريات الأمور، ولا تعفي المجرم من إجرامه، أو الخاطئ من خطيته، فسبْقُ العلم عند الله لا يؤثر في حرية وإرادة مَنْ سيعمل، ولا تقلل من العقوبة المحتَّمة عليه. ولكن القصد الإلهي في الإعلان السابق عما سيكون، فوق أنه يمهد به الطريق والأذهان لقلوب المؤمنين، فهو يوضح مدى الإحاطة التي يشملها تدبير الله، ومدى العناية الإلهية التي تسبق وتعدُّ المتكلم والسامع معاً، الآية، وصانعها، ورائيها معاً؛ قلب المؤمن وقلب الرافض معاً. لأن الله يشمل بكيانه كل كيان، فهو يحيط بالبداية والنهاية لكل ما كان وما

سيكون، وهو سابقٌ للزمن، وكائنٌ بعد أن ينتهي الزمن. فالكل واقع في بؤرة رؤيته، ومشيئته تُهيمن بالنهاية على كل مشيئات خلائقه.

وهنا نأتي إلى لاهوت ق. يوحنا، فهو حينما يلجأ إلى نبوة إشعياء فإنما يود أن يقول أنه بقدر ما كان يعمل المسيح بحسب تدبير الآب قولاً وعملاً، بقدر ما كان اليهود المعاندون يزدادون عدم إيمان. ولكن حتى عنادهم ورفضهم هذا، كان واقعاً تحت سَبْق المعرفة، ولم يخرج عن التدبير. فكل ما قالوه وعملوه، سبق أن كشفه إشعياء، ليدرك به ق. يوحنا، وندرك نحن معه، أن العناية الإلهية تحيط بقصة الإنجيل. ولكن عدم إيمان اليهود لم يوقف تدبير الله للخلاص، بل دخل فيه كعنصر مكمِّل؛ فعدم إيمانهم وعنف رفضهم لم يَزِدْ عن أن يكون عثرة لهم وحدهم. فالصليب صار عثرة لليهود، ولكن اليهود لم يستطيعوا أن يكونوا عثرة للصليب.

«آيات هذا عددها»:

من كلام ق. يوحنا، يتبين لنا أنه كان مُلمًّا بآيات كثيرة جداً عملها الرب يسوع، ولكنه اكتفى بذكر بعض منها، وهي سبعة على وجه التحديد، رآها كافية لنؤمن على ضوئها أن المسيح هو ابن الله:

الأولى: تحويل الماء إلى خمر ــ الأصحاح الثاني.
الثانية: شفاء ابن خادم الملك ــ الأصحاح الرابع.
الثالثة: شفاء مقعد بيت حسدا ــ الأصحاح الخامس.
الرابعة: إشباع الجموع من الخمس الخبزات ــ الأصحاح السادس.
الخامسة: السير على الماء ــ الأصحاح السادس.
السادسة: شفاء المولود أعمى ــ الأصحاح التاسع.
السابعة: إقامة لعازر من الموت بعد أربعة أيام ــ الأصحاح الحادى عشر.

وفي ختام الكل آية قيامته من الأموات، مع علامات وآيات في السماء والأرض والبحر، لم يقصد بها المسيح أن يؤثر على إيمان الناس، ولكن لتُعْلن فقط عن رسالته.

«ليتم قول إشعياء»:

«ليتم» وتأتي في اليونانية بمعنى «ليكمل للملء» **ἵνα πληρωθῇ**. هنا لا يأتي يوحنا بالنبوة ليعلِّل بها تصرف بيت إسرائيل من نحو المسيح رجائهم، ولكن النبوة أتت لتغطي الفراغ المخيف الذي يتركه تصرُّف اليهود، في تفكير أي إنسان، من نحو معاملتهم للمسيح باعتباره أنه

طابعهم وسلوكهم منذ القديم، وهذا لا غرابة فيه، فهو استمرارٌ لتكميل مكيالهم (مت٢٣: ٣٢).

«مَنْ صدَّق خَبَرنا؟ ولمن استُعْلِنَتْ ذراع الرب؟»:

هذه آية إشعياء النبي (٥٣: ١)، وهنا يجمع ق. يوحنا تعاليم الرب يسوع مع الآيات التي صنعها معاً، و«**الخبر**» هو التعليم بالكلمة ومقصده هو الإيمان، و«**ذراع الرب**» كناية عن القوات التي صنعها المسيح، وجاءت على مستوى الآيات أي بصفة إشارات تشير إلى لاهوت صانعها. والاثنان معاً كانا شهادة الله المنطوقة والمعمولة بواسطة ابنه. والاثنان أيضاً رُفِضَا، فالخبر لم يُصدَّق، والآية لم تُفْهَمْ باعتبارها استعلاناً للمجد الإلهي لصاحبها.

«لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا»:

هنا يتعرض ق. يوحنا إلى استحالة أخلاقية عند اليهود، موروثة عَبْر تذمُّرات بلا عدد أعلنوها في وجه الله، منذ أن كانوا في مصر، ثم في خروجهم من مصر، وفي وجه موسى. وكلُّ قاضٍ ونبيٍّ أتى بعد ذلك لم ينجُ من هياجهم ومقاومتهم: «قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيتُ أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها» (١مل١٩: ١٠). هذا كان صراخ إيليا، ويردُّ عليه القديس استفانوس الشهيد الأول: «يا قُسَاةَ الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس. كما كان آباؤكم، كذلك أنتم. أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صِرْتُم مُسَلِّميه وقاتليه، الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه.» (أع٧: ٥١ــ٥٣)

لهذا لم يستطيعوا أن يؤمنوا!! تِرْكَةٌ ثقيلة جداً من مقاومة ورفض استعلانات الله على مدى الدهور، عيونٌ أعماها عدم استعدادها للرؤيا، وآذان أصمَّها تكرار رفضها لصوت الله، وقلوبٌ منعتها قساوتها عن الندم أو التوبة!!

«لأن إشعياء قال أيضاً: قد أعمى عيونهم، وأغْلَظَ قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ويشعروا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم»:

النص هنا من إشعياء (٦: ٩و١٠)، ولكنه بالفحص، استقر العلماء أنه غير منقول لا من النسخة السبعينية ولا من النسخة العبرانية الماسورتيك Masoretic، والتي لجأ إليها كُتَّاب الأسفار الأخرى.

فأما النسخة السبعينية: والتي يتبعها كل من إنجيل متى وكاتب سفر الأعمال فهي ترد

كالآتي :

«فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون. ومُبْصِرين تُبْصِرُون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظَ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم، لئلا يبصروا بعيونهم، و يسمعوا بآذانهم، و يفهموا بقلوبهم، و يرجعوا فأشفيهم.» (مت١٣: ١٤و١٥)

أما إنجيل القديس مرقس (٤ : ١٢) فجاءت فيه كالآتي :

«لكي يُبْصِرُوا مبصرين ولا ينظروا، و يسمعوا سامعين ولا يفهموا، لئلا يرجعوا فتُغْفَر لهم خطاياهم».

والاختصار والتصرف هنا واضحان، و يرى العلماء أن النص يقترب من النسخة العبرية الماسورتيك.

النسخة العبرية الماسورتيك: «اجعل قلب هذا الشعب غليظاً، وثقِّل آذانهم، وأغمض عيونهم، لئلا ينظروا بعيونهم، و يسمعوا بآذانهم، و يفهموا بقلوبهم، فيعودوا و يُشْفَوْا».

أما في سفر الأعمال، فإن كاتبه يتبع النسخة السبعينية حرفياً تقريباً (أع٢٨: ٢٥—٢٧):

«حسناً كلَّم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي قائلاً: اذهبْ إلى هذا الشعب وقُلْ ستسمعون سمعاً ولا تفهمون، وستنظرون نظراً ولا تُبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظ، و بآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها، لئلا يبصروا بأعينهم و يسمعوا بآذانهم و يفهموا بقلوبهم، و يرجعوا فأشفيهم».

أما إنجيل ق. يوحنا فيبدو النص حراً لا يتبع السبعينية. وقد حوَّل ما جاء في النسخة العبرية بصيغة الأمر الموجَّه للنبي، إلى تأكيد مخيف بعمل يضطلع به الله نفسه. فبدل **«إغمضْ عيونهم»** كأمر صادر للنبي، في النسخة العبرية، يأتي «غمضوا عيونهم»، كعمل قاموا به في أنفسهم؛ وما جاء في السبعينية جعله ق. يوحنا **«قد أعمى عيونهم»** τετύφλωκεν، حيث الله هنا هو الذي يصنع بهم هذا كردِّ فعلٍ لعصيانهم، **«وأغلظ قلوبهم»**... لئلا يرجعوا **فأشفيهم.**

و يلاحظ هنا أن ق. يوحنا أنهى النص على أساس أن المسيح هو الذي يشفيهم، و بذلك انتقل بالنبوة إلى الواقع بالنسبة للتاريخ الذي أُكمل على يديه! ومعناها: أني أعطيتكم فرصة لتروا وتشعروا بحقيقتي بكل الطرق فلم تستجيبوا، بل عاندتم، وقاومتم، وأسأتم إليَّ بلا سبب؛ ها أنا أطمس عيونكم، وأسدُّ قلوبكم، وأقطع الرجعة عليكم فلا تعودون بعد.

ونحن نخرج من الأوضاع المختلفة التي جاءت بها هذه النبوة بفكر واحد، وهو أن أخلاق الشعب اليهودي وسلوكه مع الله أدّيا إلى انغلاق أعينهم عن رؤية استعلانات الله، وأصابا آذانهم بالثقل، فلم تَعُدْ تميز صوت الله أو تسمعه أصلاً. وانتهى الأمر بهم إلى أن قلوبهم فقدت الإحساسات والمشاعر التي يمكن أن تتفاعل مع محبة الله، وانتهى الأمر بأن حجز الله صوته عنهم. ويَصْدُق فيهم القول: هذا ما جناه عليَّ جهلي، وما جَنَى عليَّ أحد. ولكن ليس من الهيِّن مقاومة الله، لأن إمكانية التغيير والتوبة، مفتاحها في يد القدير، فإذا تمادى الإنسان أو الشعب في معاندة الله، «**أغلق الله عليهم في العصيان**» (راجع رو١١: ٣٢). وهنا يبدو الله وكأنه هو الذي أغمض عيونهم وسدَّ آذانهم وقسَّى قلوبهم، بينما في الحقيقة أنهم هم الذين بعصيانهم المستمر حرَّضوا الله أن **يغلق عليهم فيما أغلقوا هم على أنفسهم** من جهالة وحماقة. فسيَّان أن يُقال أنهم أغمضوا عيونهم، أو أن الله أغمض عيونهم. فالذي لا يريد أن يرى الله أو يسمعه لا يستطيع الله أن يُظْهِر له ذاته أو يتكلم معه: «لماذا **لا تفهمون** كلامي. لأنكم **لا تقدرون** أن تسمعوا قولي.» (يو٨: ٤٣)

وهكذا انقلبت عدم الرغبة المستمرة في السماع لكلمة الله إلى **عدم قدرة**: «**لا تقدرون** أن تسمعوا».

١٢: ٤١ «**قال إشعياءُ هذا، حينَ رأى مَجْدَهُ وتكلَّمَ عنه**».

ق. يوحنا هنا ينقل عن نسخة «التَّرْجُوم»، أو النسخة الأرامية. وهي التي جاء فيها نص (إش٦: ١) بدل «رأيت السيد (أدوناي) جالساً...»، جاء «رأيت **مجد** السيد (أدوناي)...». لأنه بحسب ق. يوحنا ــ وبالتالي بحسب فكر المسيح ــ أن: «الله لم يَرَهُ أحد قط» (يو١: ١٨). وهذا هو التقليد القديم (الأرامي). وبهذا يكون ق. يوحنا بقوله: «قال إشعياء هذا حين رأى **مجده** وتكلم عنه»، قد فسَّر النبوة أيضاً على أساس أن إشعياء رأى «**مجد** المسيح» وتكلم عنه، باعتبار أن إشعياء كان يتنبأ عن المسيح وعن استعلان مجده، وأنه رأى المسيح على أنه هو «أدوناي». وفي نفس أصحاح إشعياء ٦: ٥ يقول: «لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود». وفي الترجمة الأرامية أي «الترجوم» تأتي هكذا: «لأن عينيَّ رأتا **شاكيناه** الرب»، حيث الشاكيناه هي الحضرة المنيرة أو نور الله. وهو التعبير عن المسيح أيضاً باعتباره «**نور الرب**»، «بهاء ــ شُعاع ــ مجده ورسم جوهره.» (عب١: ٣)

١٢ : ٤٢و٤٣ **«ولكن مع ذلك آمنَ به كثيرُونَ من الرؤساءِ أيضاً، غيْرَ أنهم لسببِ الفريسيِّينَ لم يعترِفُوا به، لئلا يصيرُوا خارجَ المجمعِ. لأنهم أحبُّوا مجدَ الناسِ، أكثرَ من مجدِ الله».**

هنا يورد ق. يوحنا نوعاً من الإيمان يساوي عدمه، وهو الإيمان الفاقد الاعتراف أو الشهادة. وهذا إيمان مصاب بإصابة مرضية قاتلة، **فهو يؤدي إلى الإنكار،** وهو أشر من عدم الإيمان.

أما السبب الذي جعل الإيمان فاقداً الاعتراف والشهادة، فهو الخوف. والخوف بالنسبة للخطايا التي تحرم الإنسان من القيامة والحياة، يأتي في المقدمة كأخطر معوِّق: «وأما **الخائفون**، وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتَّقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني» (رؤ٢١: ٨). ووضع الخوف هنا لا يُغْتَفَر، فهو ليس خوفاً على الحياة أو خوفاً من الآلام والتعذيب، بل **الخوف لئلا يفقدوا كرامتهم ومجدهم الدنيويين،** كأعضاء في مجمع اليهود!! الأمر الذي فضحه ق. يوحنا: «لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله»؛ وبهذا يكونون قد وضعوا الله في مركز أحطَّ من مركزهم. وهذا وصفه المسيح هكذا: « **كيف تقدرون أن تؤمنوا،** وأنتم **تقبلون مجداً** بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه.» (يو٥: ٤٤)

ولكن هذا لا يمنع أن كثيرين آمنوا **واعترفوا،** والرسالة إلى العبرانيين هي رسالة مكتوبة إلى رؤساء وكهنة قَبِلُوا الإيمان واعترفوا به:

ـ «من ثَمَّ، أيها الإخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا **رسول اعترافنا ورئيس كهنته** المسيح يسوع.» (عب٣: ١)

ومكتوب أيضاً:

ـ وكان «جهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان.» (أع٦: ٧)

ملخص لإنجيل الاستعلان
(١٢: ٤٤—٥٠)

بعد أن ختم إنجيل يوحنا على أقوال المسيح، وبعد أن سجّل في يوميات المسيح أنه **«مضى واختفى عنهم»** (يو١٢: ٣٦)، عاد وسجّل بعضاً من أقوال المسيح أتت بصورة جديدة غير مكررة، وبتلخيص جميل ومركّز للمبادىء العامة: النور، والدينونة، والحياة. ويختص جزؤها الأول بالمؤمنين وعلاقتهم مع المسيح، وبالتالي مع الآب، والجزء الآخر يختص بغير المؤمنين، وكيفية وقوع الدينونة عليهم.

١٢: ٤٤و٤٥ **«فنادى يسوعُ وقالَ: الذي يؤمِنُ بي، ليسَ يؤمِنُ بي بل بالذي أرسَلَني، والذي يراني يَرَى الذي أرسَلَني».**

«فنادى»:

وتأتي في اليونانية «صرخ» = ἔκραξεν ، والمعنى ليس مجرد مناداة، فالمسيح هنا ليس في موقف تعليم بين الناس.

وكلمة «يصرخ» κράζειν في العهد الجديد عامة تفيد الانفعال العاطفي في صورة نُطْق. وقد جاءت في مواضع متغيرة لمواقف وأشخاص متباينة جداً.

فصراخ الجموع المنفعلة بالفرح هو κράζειν : «والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون ἔκραξον قائلين أوصنا» (مر١١: ٩)؛ وصراخ الجموع الغاضبة هو κράζειν : «فصرخوا أيضاً ἔκραξαν أصلبه» (مر١٥: ١٣)؛ وكذلك الصراخ لطلب المعونة: «ابتدأ يصرخ κράζειν ويقول يا يسوع ابن داود ارحمني» (مر١٠: ٤٧)؛ كما جاءت أيضاً بخصوص يوحنا المعمدان: «يوحنا شهد له ونادى (صرخ) κέκραγε » (يو١: ١٥). ولكن ق. يوحنا حصر كلمة κράζειν في معنى الإعلان دون الانفعال أو مجرد الصراخ[7].

لم ترد مثل هذه الأقوال سابقاً في تعاليم المسيح، فهي صياغة جديدة لمجمل أقوال المسيح.

---

[7] C.H.Dodd, *The Fourth Gosp.*, p. 382.

والمسيح، في هاتين الآيتين، يربط ربطاً وثيقاً ـــ مع التأكيد ـــ بين الآب وبين كل مَنْ يؤمن به، وكذلك بين الآب وبين كل مَنْ يراه رؤية الاستعلان الإيماني ـــ كابن الله ـــ وليس رؤية العين.

وهدف المسيح من ذلك عدم الفصل بين اختبار الإيمان به واختبار الإيمان بالآب، باعتبار أن ذات الآب وذات الابن ذات واحدة وجوهر إلهي واحد. فالإيمان بالمسيح هو الإيمان بالله، لأن الابن والآب واحد: «**أنا والآب واحد**» (يو١٠: ٣٠)، وهذا هو الإيمان المسيحي، فالمسيح والآب **ذات واحدة**، ولاهوت واحد، آب وابن معاً، وإنما شخصان هما أو أقنومان.

علماً بأن اختفاء المسيح باستمرار وراء مَنْ أرسله، قولاً وعملاً، هو محاولة جدّ خطيرة للإحتفاظ بوحدانية الفكر والمشيئة والعمل والقول بين الابن المُرْسَل والآب المُرْسِل، لأن هذا هو صميم جوهر اللاهوت، فلا ثنائية في الله قط.

١٢: ٤٦ «**أنا قد جئتُ نوراً إلى العالم، حتى كلُّ مَنْ يؤمِنُ بي، لا يمكُثُ في الظلمةِ**».

أن يعرف الإنسان حقيقة الله، فهذا هو النور. فالله نور، بمعنى «**الحق المُدرَك الكامل**»، وكل إدراك لله هو إدراك للحق، وإدراك **جزئي** للكمال، لأن الحق في الله لا يُدْرَكُ كماله، فهو فائق على كل الإدراكات. لذلك، مَنْ يستنير بمعرفة الله، يظل كلما يمتدُّ في نوره يمتدُّ في معرفته، ومعرفة كل شيء إلى مالانهاية.

والمسيح جاء ليستعلن ذات الله المخفية، ويستعلنها في ذاته هو، أي في شخصه، لأنه ابن الله الوحيد الحامل لكل حقيقة الله في ذاته؛ لذلك، فبتجسده دخل نور الله إلى العالم، فصار نور الله ـــ أو حق الله ـــ مُستعْلَناً ومُدْرَكاً للإنسان. علماً بأن معرفة حقيقة الله في ذاته، وهي اكتشاف ذات الله كآب وابن، هي النور الحقيقي(٨)، أو الحق المنير الذي لا يمكن أَخْذُه أو إدراكُه كمعلومة أو كمعرفة قائمة بذاتها منفصلة عن ذات الله، هذا أمر مستحيل. فكل معرفة حقيقية عن الله بدون الاتصال الفعلي بالله، هي معرفة الظل، وليست معرفة النور. ولكن المسيح أعطانا معرفة الآب في ذاته هو: «الذي رآني فقد رأى الآب» و«أنا والآب واحد» (يو١٤: ٩، ١٠: ٣٠)؛ وذلك بالاتصال والاتحاد الروحي بشخصه: «بنورك نرى نوراً» (مز٣٦: ٩)، «من التصق بالرب فهو روحٌ واحدٌ.» (١كو٦: ١٧)

(٨) راجع المدخل ص١٢٠و١٢١.

وهكذا جعل المسيح الطريق إلى الله عَبْرَ نفسه التي وضعها على المستوى الإفخارستي هكذا: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦: ٥٧). فالمسيح هو نور العالم، وذلك لحساب الله، بمعنى أن حياته وكلماته هي الاستعلان الدائم لله. على أن الوصول النهائي إلى الله نبلغه، إنْ بَلَغْنا مستوى الاتحاد بالمسيح: «لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه (شخص πρόσωπον) يسوع المسيح.» (٢كو٤: ٦)

ومعروف أن الله ليس فيه ظلمة البتة، بمعنى أن الله حقٌ مطلقٌ، والحق هو الضدُّ للباطل، والباطل هو كل ما يتغير إلى زوال.

لذلك، فكل مَنْ يؤمن بالمسيح، أي يتحد به بالروح، يعيش بالحق، ولا يطيق حتى شبه الباطل، إنه يتغير إلى النور، ولا يتغير قط إلى الباطل: «وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه، ونخبركم به، أن الله نور وليس فيه ظلمة البتَّة. إنْ قلنا إن لنا شركة معه، وسلكنا في الظلمة، نكذب، ولسنا نعمل الحق.» (١يو١: ٥و٦)

١٢: ٤٧ «وإن سَمِعَ أحدٌ كلامي، ولم يُؤمن، فأنا لا أَدِينُهُ. لأني لم آتِ لأَدينَ العالمَ بل لأُخلِّص العالمَ».

اتفق معظم علماء الكتاب المقدس، بل وعلماء المخطوطات، أن القراءة الصحيحة لهذه الآية هي كالآتي: «إن سمع أحد كلامي، **ولم يحفظه** φυλάξῃ guard»([٩])، لأن السمع لكلام المسيح جاء هنا إيجابياً، بمعنى أنه سماعٌ وفهمٌ. فالمفروض أن يأتي بعده إما حفظٌ أو إهمالٌ، إما قبولٌ أو رَذْلٌ.

والآن، وبعد أن أوضح المسيح أنه جاء نوراً للعالم حتى كل مَنْ يؤمن به لا يمكث في الظلمة، يعود ويأتي باللوم على مَنْ لا يحفظ كلامه، إذ هو كلام الله وهو روح وحياة؛ وهو، بحسب القديس بولس الرسول، السيف ذو الحدين، الذي يخترق ويميِّز أفكار القلب ونيَّاته، حتى إلى مفارق النفس والروح، فهو ميزان القلوب والأفكار. فكلام المسيح، بحد ذاته، لأنه نور، فهو يحمل قوة الكشف والإدانة؛ فكل مَنْ لا يحفظه، سيقع تحت كشف النور، لذلك فهو حتماً سيدين نفسه على ضوء الكلمة اللوغُس λόγος التي سمعها ورفضها.

---

[٩] See The Pulpit Commentary, *op. cit.*, p. 148.

ولكن المسيح وعد أنه لن يدين ـــ بمعنى يعاقب ـــ مَنْ لا يحفظ كلامه، ولكن الكلام نفسه سيدينه، لأن عمله الأساسي بالنسبة للعالم هو عمل الخلاص والحياة والإنارة وليس الدينونة.

قد يلاحظ القارىء التقليدي الملمُّ بعقيدة الكنيسة، أن قانون الإيمان ينص صراحة و بوضوح على أن المسيح سيأتي في مُلْكِه **«ليدين الأحياء والأموات»**، وهنا يبدو أنه توجد مناقضة بينه و بين هذه الآية ومثيلاتها (يو٨: ١٥؛ يو٣: ١٧). ولكن لكي نزيل هذا التعارض، يلزمنا أن نعيد فهم كلمة «يدين κρίνω »، فهي لا تعني الحكم بالعقاب أو إيقاع غير المؤمنين تحت التأديب أو التغريم، بل تعني مجرد التمييز أو التفريق to discriminate، أي التمييز بين المستحق وغير المستحق للحياة الأبدية، وهذا يتم بفعل النور. فالمسيح بصفته نور العالم ونور الحياة، فقد جاء ليميز بين أبناء النور الذين قبلوا النور، وأبناء الظلمة الذين رفضوا النور. والمسيح نور وحياة معاً، لذلك يكرر المسيح باستمرار أنه جاء إلى العالم، كنور وحياة، لتخليص العالم من الظلمة، وليس ليحكم على العالم. ولكن لأن المسيح نور، والعالم ظلمة، فبالضرورة ودون قصد منه، فضح الظلمة لأنه **دان** أي **ميَّز** النور عن الظلمة، والظلمة لم تُدركْهُ.

وهذا واضح جداً في فهم بولس الرسول لمعنى الدينونة بالنسبة للظلمة والنور: «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنورٌ في الرب. اسلكوا كأولاد نور... ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري وبِّخوها... ولكن الكلّ إذا توبخ، يُظْهَرُ بالنور، لأن كل ما أُظْهِرَ، فهو نور. لذلك يقول: استيقظ أيها النائم، وقُمْ من الأموات، فيضيء لك المسيح.» (أف٥: ٨ــ١٤)

المسيح هنا هو المضيء والمنير في مواضع العالم المظلمة، وهو بالتالي الموبِّخُ والمميِّزُ بين أعمال الظلمة وأعمال النور، بين النائم الميت وبين اليَقِظ الحي.

هذا هو عمل المسيح، **كديان العالم، وديان الأحياء والأموات.** بمعنى أنه عندما يضيء على النائم والميت بالخطية، العائش في الظلمة، يدينه في الحال و يوبّخه، فيبتدىء النائم في الخطية والميتُ بسُمِّها يميز بين الظلمة التي يعيشها و بين نور المسيح، فيستيقظ و يضيء له المسيح فيحيا، لأن المسيح هو النور المحيي: «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس».

فالمسيح جاء نوراً للعالم، وفي الحال صار نور المسيح (الكلام والتعليم) بمثابة دينونة للعالم، ليس على أساس القضاء السلبي والهدم، بل على أساس التمييز والتفريق الإيجابي بين ما هو للنور وما هو للظلمة:

ـــ «فقال يسوع لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون (محبو النور) و يعمى الذين يبصرون (مبغضو النور).» (يو٩: ٣٩)

وقد شرح ق. يوحنا معنى الدينونة وفعلها بوضوح في قوله: «وهذه هي الدينونة، أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كلَّ مَنْ يعمل السيئات، يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا توبَّخ أعماله. وأما مَنْ يفعل الحق فيُقْبِلُ إلى النور، لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة.» (يو٣: ١٩ـــ٢١)

إذن، فالدينونة التي صارت بمجيء المسيح، كنور، ليست هدَّامة أو سلبية، بل إيجابية مطلقة وخالقة ومحيية، ولكنها مميِّزة تمييزاً حاداً وقاطعاً بين الحق والباطل، بين الخير والشر. وهكذا أصبح نور المسيح، أي «كلامه»، دياناً للأحياء والأموات. فبالنسبة للأحياء، فالدينونة (أي النور، أي كلام المسيح) تَسْتَعْلِن استحقاقهم للحياة، وفي نفس الوقت تفرز الأموات الرافضين للمجيء إلى النور، فيدركون من أنفسهم أنهم غير مستحقين للحياة: «فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين، وقالوا له: ألعلَّنا نحن أيضاً عميانٌ» (يو٩: ٤١). فإن كانت الدينونة قائمة منذ الآن، فهي ستُستعلن بصورة شاملة في اليوم الأخير.

١٢: ٤٨ـــ٥٠ **«مَنْ رَذَلَني ولم يَقْبَل كلامي، فله مَنْ يَدِينُهُ. الكلامُ الذي تكلَّمتُ به هو يَدينُهُ في اليومِ الأخيرِ. لأني لم أتكلَّمْ من نفسي لكن الآبَ الذي أرسَلَني هو أعطاني وصيةً ماذا أقولُ، وبماذا أتكلَّمُ. وأنا أعلَمُ أن وصيَّتَهُ هي حياةٌ أبديةٌ. فما أتكلَّمُ أنا به، فكما قالَ لي الآبُ هكذا أتكلَّمُ».**

رَذْلُ المسيح هو درجة أحط من الدرجة السابقة، فليس هنا عدم سماع لكلمة المسيح وحسب بل رفضٌ وعدم قبول، وهذا ناتج من رَذْلِ شخص المسيح، حيث الرَذْل هنا يحمل معنى الازدراء، وهي خطية عامدة متعمَّدة، تدخل تحت السلوك الأخلاقي الرديء الذي هو أشرُّ من عدم الإيمان ومضافٌ إليه.

هنا كلمة المسيح بالمفرد «اللوغُس λόγος» يفرزها المسيح لتقوم بحد ذاتها بالشهادة والإدانة ضد مَنْ لم يقبلها، و بالأكثر والأخطر ضدَّ مَنْ يرذل أو يزدري بشخص المسيح. فكلمة المسيح بقدر ما تقدِّس، وتطهِّر، وتُحيي، وتَلِدُ من جديد وتحرر؛ فهي لها جانبها الخطر، لأن الذي يُحيي بسلطان كلمته، هو بسلطان كلمته أيضاً يُميت؛ والكلمة التي لها قوة الخلاص لها بالضرورة قوة

الدينونة (١٠).

وكلمة المسيح، التي هي الآن وعلى طول المدى تذكّر وتُبكّت، في النهاية ستحكم حتماً وتدين **«في اليوم الأخير»**. وهذا التحذير الأخير الذي يعلنه الرب لسامعيه، هو ما جاء بالنص في سفر التثنية كنبوة عن المسيح: «**أقيم** لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، **وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به.** و يكون أن الإنسان الذي **لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه.**» (تث١٨: ١٨و١٩)

و يُلاحَظ هنا، في نبوة موسى عن المسيح، أنه لا يدين، بل الآب هو الذي يدين: **«أنا أُطالبه».** كما يُلاحَظ التكرار فيما يخص الكلام:

فأولاً: «الآب يضع كلامه في فمه»،
وثانياً: «يتكلم بكل ما أُوصيه به»،
ثالثاً: «الذي لا **يسمع لكلامي**»،
رابعاً: «الذي **يتكلم به باسمي**».

و يكاد هذا التكرار يطابق التكرار الذي أعلنه المسيح:
أولاً: «**إن سمع أحد كلامي** ولم يؤمن...».
ثانياً: «مَنْ رذلني **ولم يقبل كلامي**...».
ثالثاً: «الكلام الذي تكلمتُ به، هو يدينه في اليوم الأخير».
رابعاً: «لأني لم **أتكلم من نفسي**».
خامساً: «الآب الذي أرسلني **أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم**».
سادساً: «وأنا أعلم أن **وصيته هي حياة أبدية**».
سابعاً: «فما أتكلم أنا به، فكما قال لي الآب، هكذا أتكلم».

---

(١٠) راجع المدخل ص١٤٤ـــ١٤٥.

كلام المسيح	كلام موسى
«إن سمع أحد كلامي»...	«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي **له تسمعون**.» (تث١٨: ١٥)
«فما أتكلم أنا به، فكما قال لي الآب هكذا أتكلم».	«الإنسان الذي **لا يسمع لكلامي (أنا) الذي يتكلم به (هو) باسمي**».
«من رذلني ولم يقبل كلامي، فله مَنْ يدينه. الكلام (ὁ λόγος) الذي تكلمتُ به هو يدينه».	«أنا أطالبه» (تث١٨: ١٩) [**كلام الله يدينه** — «ممرا إلوهيم» — بحسب الترجوم النسخة الأرامية].
«الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم».	«وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به.» (تث١٨: ١٨)
«وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية».	«أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكي **توصوا** بها أولادكم ... **لأنها هي حياتكم**.» (تث٣٢: ٤٦و٤٧)

كما يلاحظ الباحث أن الوارد في سفر التثنية (النسخة السبعينية) من جهة «أنا أطالب»، أي "أنا أنتقم"، أي الديننونة التي يضطلع بها الآب، جاءت في نسخة الترجوم (الأرامية) أن الذي سينتقم ليس «أنا» بل «**كلام الله**»: «**ممرا إلوهيم**». وهو المطابق لما قاله المسيح في إنجيل يوحنا: «**الكلام الذي تكلمتُ به (وهو كلام الآب) هو يدينه في اليوم الأخير**». وما جاء في التوراة مُطابقاً لما قاله المسيح يدعو للدهشة، لأن الله كرَّر مراراً أن كلام التوراة أي كلامه سيكون شاهداً عليهم (أي سيدينهم):

«خذوا كتاب التوراة هذا، وضَعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، **ليكون هناك شاهداً عليكم**. لأني أنا عارف تمرُّدكم ورقابكم الصلبة. هوذا، وأنا بعدُ حيٌّ معكم، اليوم، قد صرتم تقاومون الرب، فكم **بالحري بعد موتي**.» (تث٣١: ٢٦و٢٧)

كما يلاحظ الباحث أن الله كلم موسى بهذا الكلام **وأوصاه أن يقول لبني إسرائيل قبل موته مباشرة وبعد أن أكمل كتابة التوراة**: «وقال الرب لموسى **هوذا أيامك قد قربت لكي تموت ... فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد**، وعلّمْ بني إسرائيل إيّاه، **ضعه في أفواههم** ... فعندما كمَّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: **خُذُوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم**،

ليكون هناك شاهداً عليكم.» (تث٣١: ١٤و١٩ و٢٤و٢٥و٢٦)

فإذا عدنا إلى كلام المسيح في إنجيل يوحنا بخصوص سماع كلامه وحفظه، وأنه **«كلام الآب»**، **«ووصية الآب»**، وأن الكلام الذي قاله هو **شاهد عليهم وسيدينهم** في اليوم الأخير، نجد التطابق الشديد، ليس في نص الكلام فقط، بل وفي المناسبة، لأن المسيح قال هذا في نهاية خدمته، وقبل أن يموت مباشرة، إذ نقرأ بعد هذا الكلام مباشرة: «أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت ...» (يو١٣: ١)

من هذا يتضح، بأبلغ بيان، أن اختيار ق. يوحنا هذا الموضع المناسب لكلام المسيح في نهاية الأصحاح الثاني عشر ــ أي قبل موته مباشرة ــ جزءٌ أساسي وهام جداً من خطة تنسيق الإنجيل، وليس كما طلع علينا النُّقَّاد أن هذا الكلام غير مناسب وليس له موضع في هذا الأصحاح، وعلى حدِّ قولهم أنه إضافة غريبة من وضع كاتب آخر غير ق. يوحنا!! وأنه جاء غير مناسب في نهاية سرد حياة المسيح؛ ولكن ورود هذه الوصية على فم المسيح، في نهاية سرد ق. يوحنا لحياة المسيح، تجيء مُحْكَمَةً غاية في الحكمة والإحكام، ومتوازية تماماً مع ما جاء في نهاية سيرة موسى النبي وقبل موته مباشرة وعن المسيح أيضاً، وهذا بحسب رأيي إعجازٌ يضع صياغة إنجيل يوحنا على مستوى الإلهام الرفيع الذي يهزُّ القلوب ويبهرها.

والذي يسترعي انتباهنا أيضاً هنا، في ختام خدمة المسيح، تكرار كلمة **«الكلام»** سبع مرات في ثلاث آيات، مع توضيح أن كلمة «الكلام» باللغة العربية في هذه الآية: **«الكلام** الذي تكلمتُ به، هو يدينه في اليوم الأخير»، لم تأتِ بصيغة الجمع بل بصيغة المفرد **«الكلمة»: اللوغُس** ὁ λόγος فالذي سيدين هو **«الكلمة»** اللوغس.

نستخلص من هذا أنه، كما بدأ إنجيل ق. يوحنا بـ**«الكلمة»** في البدء، انتهى بـ**«الكلمة»** في **النهاية** كديَّان. ولكي يتضح ذلك أمام ذهن القارىء، نورد أول آية يفتتح بها ق. يوحنا إنجيله، وآخر كلمة يُنْهي بها سرد روايته:

1. ἐν ἀρχῇ ἦν *ὁ λόγος* «في البدء كان الكلمة»

2. *ὁ λόγος* ὃν ἐλάλησα ἐκεῖνος κρινεῖ αὐτὸν ἐν τῇ ἐσχάτῃ ἡμέρᾳ
«الكلام (الكلمة) الذي تكلمتُ به هو يدينه في اليوم الأخير.»

هذه هي أيضاً لفتة من اللفتات التي تجعلنا على قناعة أن وراء قلم ق. يوحنا، روحاً يشهد ويُمْلي ويُبْدِع!

فهرس الآيات

(م = المدخل ؛ ش ١ = الجزء الأول من الشرح ؛ ش ٢ = الجزء الثاني من الشرح)

***

أخنوخ (من الأبوكريفا)

٤٢	٢:		م	٣٩١
٤٨	٦:		ش١	٤٩١

أعمال الرسل

١	١:	–٣	ش٢	١٣١٧
	٣:		ش٢	٩٩١
	٤:		ش١	٥٠٠
	٥:		ش٢	١٢٨٨
	٨:		ش١	٢٦٧
			ش٢	١٠٥٠
			ش٢	١٢٨٩
	١٠:		ش٢	١٢٧١
	١٣:	–١٤	ش٢	١٢٨٠
	١٤:		ش٢	٩٢٤
	٢١:	–٢٢	ش١	١٢٤
			ش٢	٩٤٤
			ش٢	١٣١٨
٢	٤:		ش٢	١٢٨٩
			ش٢	١٢٩٠
	٢٢:	–٢٤	ش٢	١٣١٨
	٢٣:		ش٢	١١٨٢
			ش٢	١١٩٣
	٢٤:		ش٢	١٠١٤
	٢٧:		ش١	٧٤٠
			ش٢	١٢٥٥
	٢٩:	–٣٢	ش٢	١٢٦٨
			ش٢	١٣١٨
	٣٦:		م	٢٣٦
	٣٨:		ش١	٢٠٣
	٤١:		ش٢	١٣٣٦
	٤٢:	–٤٧	ش٢	١٠٤٤
	٤٤:	–٤٦	ش٢	١٠٧٥
	٤٦:		ش٢	٩٢٠
	٤٦:	–٤٧	ش١	٤٦٠
٣	١:		ش٢	٨١١
	٥:		ش١	١٩٧
	١٣:		ش٢	١١٥٩
	١٣:	–١٥	ش٢	١١٧٨
	١٤:	–١٥	ش١	٧٤٦
			ش٢	١٣١٩
	١٥:		ش٢	١٣
			ش٢	١١٩٣
			ش٢	١٣٥٣
	١٩:		ش٢	١٢٩٨
	٢٢:	–٢٣	ش١	٢٥٨
	٢٥:	–٢٦	ش١	٥٧١
	٢٦:		ش٢	١٣١٩
			ش٢	١٣١٩
٤	١:	–٢	ش٢	١٣١٩
			ش٢	١٣١٩
	٥:	–٦	ش١	٤٩٣
			ش١	٧٠٢
	٦:		ش١	١٨٨
	٨:		ش١	٢٠٤
	٨:	–١٠	ش١	٢٠٥
٤	١٠:		ش١	١٩٧
	١٠:	–١٢	ش٢	١٣١٩
			ش٢	١٣١٩
	١٣:		م	٣٠
	١٨:	–٢٢	م	٣٤
	٢٣:	–٣١	ش٢	٨١١
	٢٦:	–٢٨	ش٢	١١٨٢
	٣١:		ش١	٣٦١
			ش٢	٩٨٦
	٣٢:		ش٢	١٠٧٥
	٣٣:		ش٢	١٣٢٠
٥	١٧:	–١٨	ش١	٧٠٤
	٢٠:		م	١٣٢
	٢٧:	–٣١	ش٢	١٣٥٣
	٣٠:		ش١	١٩٧
			ش٢	١١٧٨
	٣٠:	–٣١	م	١٢٤
	٣٠:	–٣٢	ش٢	١٣٢٠
	٣٢:		ش٢	٩٤٤
			ش٢	١٢٣٥
	٣٩:		ش٢	١١٨٠
	٤٠:	–٤١	ش١	٣١٠
			ش٢	٩٢٨
			ش٢	٩٣٢
			ش٢	٩٧٤
			ش٢	١٠٤٩
٦	٧:		ش١	٧٥٨
	١٣:		ش٢	٩٥٠
٧	٩:		م	١٢٣
	٥١:	–٥٣	ش١	٧٥٥
	٥٣:		ش١	١٩١
	٥٥:		م	١٢٥
			ش١	٧٣٤
			ش٢	٨٠١
	٥٥:	–٥٦	ش٢	١٠٢٩
	٥٧:	–٥٨	ش٢	٩٥٠
٨	١:		ش١	٢٦٣
	٥:	–٨	ش١	٢٦٣
	١٤:		م	٣٥
	١٤:	–١٧	م	٣٤
			ش١	٢٦٤
	٢٥:		م	٣٥
٩	٤:		ش٢	٨٦٢
			ش٢	٩٩٩
	٤:	–٥	ش١	٢٥٩
	٥:		ش١	٤٨
	١٥:		ش٢	٨٦٥
	١٥:	–١٧	ش٢	١٢٨٦
	١٩:	–٢٠	ش٢	٨٥٦
	٢٥:		ش١	٤٠٢
١٠	٣٧:	–٣٨	ش١	١٢٤
	٣٧:	–٤٣	م	٣٤٣
	٣٨:	–٤١	ش٢	١٣٢٠
	٤٠:		ش١	١٩٧
	٤٠:	–٤١	ش٢	٨٥٥
١٠	٤٠:	–٤١	ش٢	٩٩١
			ش٢	١٢٥٣
			ش٢	١٢٨٤
	٤٠:	–٤٢	ش١	٣٦٧
١١	١٧:	–١٨	م	١٣١
١٢	١:	–٢	م	٣٢
			ش٢	١١٢٨
	٢:		م	٢٩
١٣	١:		ش١	٣١٥
	١٦:	–٢٤	ش١	١٢٤
	٢٢:	–٣٢	م	٣٤٣
	٢٥:		ش١	١٣٠
	٢٧:	–٢٩	ش٢	١٢١٥
			ش٢	١٢٤٩
	٢٧:	–٣٧	ش٢	١٣٢١
	٣٠:		ش١	١٩٧
	٣١:		ش٢	٩٩١
	٣٥:		ش١	٧١٥
	٣٦:		ش١	٦٦٩
	٣٧:		ش١	١٩٧
١٤	١١:		ش٢	١١٨٠
١٥	٧:	–١٠	م	٩٧
	٩:		ش٢	٩٠٢
	١٦:		م	٥٥
	٢٢:		م	٣٥
	٣٢:		م	٣٥
١٦	٩:		ش١	٧٣٤
١٧	٢٨:		ش١	٤١
			ش١	٤٤
			ش٢	١١٨٠
	٣٠:	–٣١	ش١	٣٦٧
١٨	٩:	–١٠	ش٢	٨٦٥
	٢٤:	–٢٥	م	٣٨٧
			ش١	٥٧
١٩	١:	–٧	ش١	٥٧
	٢:		ش٢	٨٥١
	٢٦:	–٢٧	م	٢٠
			م	٣٦
	٣٥:		م	١٩
٢٠	٢٤:		ش٢	١٠٧٥
			ش٢	١٠٧٨
	٢٦:		ش١	٥٠٢
	٣٤:		ش٢	١٣٣٢
٢١	١٢:	–١٣	ش٢	١٠٥١
	٢٤:	–٢٧	ش١	٧١٠
٢٢	٦:	–٧	ش١	٤٧
	١٤:	–١٥	ش١	٢٣
	١٦:		ش٢	١٢٣٤
	١٧:		ش١	٤٧
٢٣	٥:		ش٢	١١٣٩
	٨:		ش١	٦٧٧
	١١:		ش٢	١٠٥١
٢٦	٩:	–١١	ش٢	٩٥١
	١٣:		ش١	٤٧
			ش١	٤٩

٢٦	١٣:	–١٥	ش١	٨٦
	١٩:		ش٢	٩٩١
	٢٣:		ش٢	١٢٥٢
			ش٢	١٣٢١
٢٨	٢٥:	–٢٧	ش١	٧٥٩
			ش١	٩٢٧

أفسس (رسالة)

١	٣:		ش٢	٩٨٠
			ش٢	١٢٧٧
	٣:	–٤	ش١	٣٥
			ش١	٤٣٠
			ش١	٩٣٣
			ش٢	٩٨٨
	٤:		م	٥٨
			م	١٦٠
			ش٢	١٠٦٣
	٤:	–٥	ش٢	١٠٦٣
	٥:		م	٥٨
			ش١	٤٣٠
	٩:	–١٠	ش١	٣٤٠
	١٠:		ش١	٧٥٠
	١١:		م	٥٩
	١١:	–١٢	ش١	٣٥
	١٢:	–١٤	ش١	٣٥٩
	١٣:		ش١	٤١٨
			ش١	٥٠٠
	١٣:	–١٤	ش١	٢٥٧
	١٦:	–٢٠	ش٢	٨٣٠
	١٧:		ش٢	١٢٧٧
	١٧:	–٢٣	ش٢	٨٩٧
	١٨:	–٢٢	ش٢	٨٨٤
	١٩:	–٢٠	ش٢	٨٩٧
	٢٢:		ش٢	٨٩٤
	٢٢:	–٢٣	ش١	١١١
			ش٢	٨٥٤
	٢٣:		ش١	١٧٥
			ش٢	١٢١٢
٢	١:	–٥	ش١	٣٦١
	٢:		ش١	٤٠٩
			ش٢	٨٨٨
	٤:		ش١	٣٩٦
	٤:	–٥	ش٢	٨٥٥
			ش٢	١٠٧٧
	٥:	–٦	ش٢	١٠٢٨
	٦:		ش١	٤٦٣
	٨:		ش١	٢٥١
	١٠:		ش١	٤٠
			ش٢	١٠٨١
			ش٢	١٢٨٩
	١٢:		م	١٤٣
	١٢:		ش٢	١٢٢١
	١٣:	–١٥	م	١٤٣
	١٤:		ش٢	٨٧٠
			ش٢	٩٩٩
	١٤:	–١٩	ش٢	٦٨٧
	١٨:		ش١	٩٣٩
			ش٢	٨٢٦
			ش٢	٨٤٣
	١٨:	–١٩	ش١	٦١٤
			ش٢	٩١٣
	١٩:		ش١	٨٣

٣	١٩:		ش١	٦٣٦
			ش٢	٨٣٣
			ش٢	٨٦٥
	٢٠:		ش٢	١٠٧٣
٣	٣:	–٥	م	٤٠١
	٣:	–٦	م	١٢١
			م	١٧٥
			ش٢	٩٣٣
	٣:	–١٠	ش٢	٩٩٣
	٥:	–٦	ش٢	١٠٧١
	٦:		م	٥٩
			م	٢٠٠
	٨:		ش١	١٧٥
			ش٢	١٣١٢
	٨:	–١١	ش١	٣٣٦
	٩:		ش٢	١٠٧١
	١٠:		ش١	٥٨١
	١٢:		ش١	٦٩٤
	١٤:	–١٧	ش٢	٩٠٥
	١٤:	–٢٠	ش٢	١٠٨٢
	١٦:		ش١	١٧٥
	١٦:	–١٨	ش٢	٨٩٩
			ش٢	١٠٩٣
	١٦:	–١٩	ش٢	٨٤٦
	١٧:		ش١	٨٨
			ش٢	٨٦٥
			ش٢	٩٥٦
	١٧:	–١٨	ش٢	٨٠٧
	١٧:	–١٩	ش١	٥٦٩
			ش١	٦٢٣
	١٧:	–٢٠	ش٢	٨٤٠
	١٩:		ش١	٨٨
			ش١	٩٢
			ش١	١١١
			ش٢	٨٣٤
			ش٢	٨٤٣
			ش٢	٩١٣
			ش٢	٩٦٩
			ش٢	١٠٢٨
			ش٢	١٠٧٧
			ش٢	١٠٨١
	٢٠:		ش١	١٧٥
			ش١	٢٨٢
			ش٢	٩١١
٤	٣:	–٥	ش٢	١٠٧٣
	٤:		ش٢	١٠٧٥
	٥:		م	٢٣٧
	٨:		ش١	٤٦٣
			ش١	٦٦٠
			ش٢	١٢٤٨
	٨:	–١٠	ش٢	٨٨٤
			ش٢	١٢٥٠
	١٠:		ش١	٧٣٦
	١١:	–١٢	ش٢	١٠٧٢
	١٢:	–١٣	م	٢٠٠
	١٢:	–١٦	ش٢	٩١٩
	١٣:		ش١	١١١
			ش١	١١٢
			ش٢	٩٧٠
			ش٢	١٠٧٢
	١٥:		ش٢	٩٠٦

٤	١٥:	–١٦	م	٥٩
			م	٢٠١
	٢١:	–٢٣	ش١	٧٢٧
	٢١:	–٢٤	ش٢	١٠٥٩
	٢٤:		ش٢	١٢٨٩
			ش٢	١٢٨٩
٥	١:	–٢	ش٢	٩٢٤
	٢:		ش٢	١٢٤٥
	٨:	–١٤	ش١	٧٦٢
	١١:		ش٢	٩٥٧
			ش٢	١٠٥٥
	١٢:	–١٤	ش١	٢٤٣
	١٤:		ش١	٦٦٩
	١٨:		ش٢	٩٥٦
	٢٠:		ش١	٣٥٤
			ش١	٣٥٨
	٢٥:	–٢٦	م	٢٨٥
	٣٠:		م	٥٩
			م	٢٦٠
			ش١	٦٩
			ش١	٧٠
			ش١	٤٤١
			ش١	٤٥٠
			ش١	٤٥٤
			ش١	٦٣٨
			ش٢	٨٩٤
	٣١:	–٣٢	م	١٢٦
٦	١٣:		ش٢	٨٨٨
	١٥:		ش٢	٧٨٦
١٨	٢:		م	٢٨٦

الأمثال

١	٢٩:		م	٣٩١
٢	٣٠:		ش١	٣١٤
٣	١٣:		ش١	٤٢٦
	١٨:		ش١	٤٢٦
	١٩:		م	٣٩٠
٨	١٧:		ش١	١٥٧
			ش٢	٨٦٠
			ش٢	١٢٥٩
	٢٢:		م	٣٩٠
	٢٩:	–٣١	ش١	٤٣
	٣٠:		م	٣٩٠
	٣٤:		ش٢	٩٨٥
	٣٤:	–٣٥	ش٢	١٠٢٣
	٣٥:		م	٣٩٠
٩	١:	–٦	ش١	٤٢٤
	٢:		ش٢	١٢٣٤
	٥:		م	٨٧
			ش٢	١٢٣٤
١١	٣٠:		ش١	٤٢٦
١٨	١٠:		ش٢	١٠٤٣
٢٣	٢٦:		ش١	٢٧٧
٣١	٦:		ش٢	١٢١٥

أيوب

٥	١:		ش١	٧٢
٩	٨:		م	٢٢٣
			ش١	٤٠٨
	١٧:		ش١	٢٢٣
١٠	٨:	–٩	ش١	٥٩٠
	٩:	–١٣	ش١	٥٩١
١٧	١٣:	–١٦	ش١	٢٣٠

٢٦	٧:		ش٢	١٢٤٦
٣٣	٤:	-٦	ش١	٥٩٠
٤٠	٨:		ش١	٣٣٣
٤١	٣١:		ش٢	١٢٤٦
أيام ثاني (أخبار)				
١٣	١٩:		ش١	٧٠٨
١٥	١:	-٢	ش٢	١٣٠٠
	٢:		ش٢	١٣٠١
١٦	١٣:	-١٤	ش٢	١٢٤٤
٣٠	١٨:	-٢٠	ش١	٧١٠
إرميا				
١	٥:		م	١٦٠
٢	٢:		ش١	٢٤٥
	٧:		ش١	٦٥
	١٣:		م	٢٧٩
			م	٣٨٩
			ش١	٢٧٥
	٢١:	-٢٢	ش٢	٨٩٥
٣	٦:	-١٠	ش١	٥٥٠
	١٥:		ش١	٦٢٠
٤	٣:		م	١٥٤
٥	١٠:		ش٢	٩٠٠
	٢١:		ش١	٥٥٤
٧	١١:		ش١	١٩١
	١٦:		ش٢	١٠٣٧
	٢٤:		ش١	٦٦
٩	١:	-٥	ش١	٧٠٨
١١	١٩:		ش١	١٣٩
	٢٠:	-٢٢	ش١	٣١٤
	٢٠:	-٢٣	ش٢	١١١٨
١٢	٣:		م	١٦٠
	٥:		ش٢	٨٠٩
١٥	١٦:		ش٢	٩٨١
			ش٢	١٠٣٤
١٧	١٠:		م	٢٤٦
	١٣:	-١٤	ش١	٢٨١
١٩	١:	-٣	م	٢٩١
٢٣	١:	-٤	م	٢٦٩
			ش١	٦٠٧
	٤:		ش١	٦٢٠
	٢٣:	-٢٤	م	٢٢٧
٢٥	٣٠:		ش١	١٨٤
٣١	٧:	-٨	ش١	٣٣٠
	٣١:	-٣٤	م	١٠٠
			ش١	٢٢٢
	٣٣:		ش٢	٨٦٦
	٣٣:	-٣٤	ش١	٤٣٤
٣٢	٣٨:		ش٢	٨٦٦
٣٤	٥:		ش٢	١٢٤٣
٥٠	٦:		ش١	٦١٢
إشعياء				
١	٢:	-٧	ش٢	١١٧٥
	٣:		م	٢٣٤
	٦:		ش٢	١١٩٥
	١٠:	-١٧	ش١	١٨٩
	١٥:	-١٦	م	٢٧٨
	١٦:		ش١	١٣٥
٢	١:		ش١	١٨٣
	٣:		ش١	١٨٣
			ش١	١٨٦
	٤:		ش١	١٨٦

٣	١:		ش١	١٨٣
	١٤:		ش١	١٨٣
٤	٣:		ش١	١٨٣
	٣:	-٤	م	٢٧٧
	٤:		ش١	١٨٣
٥	١:	-٦	ش٢	٩٠٠
	١:	-٧	م	٢٧١
	٣:		ش١	١٨٣
٦	١:		م	١٢٦
			ش١	٧٥٧
	١:	-١٠	ش١	٦٧
	٥:		ش١	٧٥٧
	٩:	-١٠	ش١	٢٢٠
			ش١	٧٥٥
	١٠:		ش١	٥٧٤
٧	١٤:		ش٢	١٢١١
٨	٦:		ش١	٥٩٢
٩	١:	-٢	ش١	١٨٤
	٢:		ش١	٥٢
			ش١	٥١٨
	٢:	-٣	ش٢	٩١٩
	٦:		م	٢٠٣
			ش١	٢٧٩
			ش٢	٨٧٠
	٧:		م	٩١
			ش١	٧٥٠
١١	١:		ش١	١٥٨
	١٢:		ش١	٧٠٦
١٢	٢:	-٣	م	٢٨٤
			ش١	٢٨٥
	٢:	-٦	ش١	٤٧٦
	٣:		ش١	٢٧٩
١٤	١٣:	-١٥	ش٢	٨١٠
٢١	٨:	-١٢	ش٢	١٣٣٣
٢٢	٢٢:		م	١٦٦
			ش١	٦١٠
			ش٢	١٢٩٢
٢٥	٨:		ش١	٦٨٨
٢٦	١:	-٣	ش٢	٨٧٣
	٤:		ش٢	٨١٧
	١٥:	-٢١	ش٢	٩٧٥
	٢٠:		ش٢	٩٧٦
	٢١:		ش٢	٩٧٧
٢٨	٧:	-٩	ش١	١٧٨
٢٩	١٨:		م	٢٩٠
	١٨:	-١٩	ش١	٣٣٠
٣٠	٢٦:		ش١	٤٩
	٢٧:	-٢٨	م	١٩٢
٣٥	٤:	-٦	ش١	٣٣٠
	٥:		م	٢٩٠
	١٠:		م	٤١٤
			ش١	٣٠٢
			ش٢	٩١٩
٣٧	٣:		م	٤١٤
			ش١	٢٩٩
٤٠	١:	-٥	ش١	٩٩
			ش١	١٣١
	٥:		ش١	٩٩
	١٠:	-١١	م	٢٦٩
٤١	٤:		م	١٥٧
			م	٢٢٧

٤١	٤:		م	٢٤٦
	٨:		ش٢	٩٢٤
	١٠:		م	١٥٧
٤٢	١:	-٤	م	١٨٣
	٦:	-٧	ش١	٥٣٢
			ش١	٦٥٠
٤٣	١٠:		م	١٥٧
			م	٢٢٩
			م	٢٤٤
			ش١	٥٣٦
	١٠:	-١١	م	١٥٧
			ش٢	٧٩٣
	١٠:	-١٣	ش١	٦٤١
	٢٥:		م	٢٢٨
			م	٢٣٣
٤٤	٣:		م	٢٧٩
			ش١	٢٧٩
			ش١	٤٩٩
	٦:		م	١٨٣
	٢٢:		ش٢	١٢٩٨
٤٥	٨:		م	١٥٧
	١٥:		م	١٩٧
			ش١	٢٥
			ش١	١٠٤
			ش٢	٩٨٧
	١٨:		م	١٥٧
	١٩:		م	١٥٧
			م	١٩٢
			م	٢٢٩
			ش٢	١١٣٦
٤٦	٤:		م	١٥٧
	٩:		م	١٥٧
٤٧	٨:		م	١٥٧
	١٠:		م	١٥٧
٤٨	١٢:		م	١٥٧
	١٢:	-١٣	م	٢٢٧
			م	٢٤٥
	١٧:		م	١٥٧
			م	٢٢٩
			م	٢٤٥
	٢٠:	-٢١	ش١	٥٠٠
٤٩	٣:		م	٢٠٢
	٤:		ش٢	١٣٣٣
	٥:		م	٢٠٢
	٦:		م	٢٠٢
			ش١	٤٥
	٦:	-٧	ش١	٢٧٧
	٦:	-١٠	ش١	٥٢٣
	٧:		م	٣٠٥
			م	٤١٣
	٧:	-٨	ش١	٤٧٥
	٨:		ش١	٣٥٩
	٨:	-١٠	ش١	٣٩١
	٩:		م	٢٠٢
	٩:	-١٠	م	٢٠٣
	١٠:		م	٢٨٤
			ش١	٢٨٣
			ش١	٢٨٤
	١٤:	-١٦	ش١	٦٣٨
	١٥:		ش٢	١٣٠١
	١٨:		ش١	٣٠٨

٥٠	١:	-٢	م	٢٥٩
			ش١	٥٥٠
	٤:		ش١	٢٨٨
	٤:	-٥	ش١	٣٥٦
	٥:	-٩	ش٢	٨٩٠
	٦:		ش٢	١١٣٩
			ش٢	١١٧٠
٥١	٩:	-١٠	م	٢٨٠
	٩:	-١١	م	٢٧٦
	١١:	-١٢	ش٢	٩٧٩
	١٢:		م	١٥٧
			م	٢٢٨
	١٥:	-١٦	ش٢	١٠٣١
	١٦:		ش١	٣٨
٥٢	٦:		م	٢٢٩
	٦:		م	٢٣٣
	٧:		م	٣٣٥
	١٠:		ش١	٢٣٩
	١٤:		م	٢٥٣
			ش١	١٠٠
			ش٢	٧٨٣
			ش٢	٩١٥
	١٤:	-١٥	ش٢	١١٧٦
٥٣	١:		م	٢٥٣
			ش١	٧٥٥
	١:	-٩	ش٢	١١٧٦
	٢:		ش١	١٠٠
			ش٢	٩١٥
	٢:	-٣	ش٢	٧٨٣
	٣:		ش١	١٥٨
			ش٢	٩١٥
			ش٢	١١٧٣
	٣:	-١٠	ش١	٦٨٥
	٣:	-١٠	ش٢	١١٤٠
	٤:		م	٤١٣
			ش٢	١٠٠٨
	٤:	-٥	ش١	٤٩٠
			ش٢	٩١٥
	٥:		ش٢	١١٤٠
			ش٢	١١٧٠
	٦:	-٧	ش١	١٣٩
	٦:	-٩	ش٢	٩١٥
	٧:		ش١	٥٠١
			ش٢	١١٨٠
	٩:		ش٢	١٢٤٠
	١٠:		ش٢	٨٣٠
			ش٢	٩٥٦
			ش٢	١١٩٦
	١١:	-١٢	ش٢	١٣٣٨
	١٢:		ش٢	١٢١٨
٥٥	١:		م	٢٧٩
			ش١	٢٨٣
	١:	-٣	ش١	٣٠٣
	٤:		ش١	٢٠٤
	٥:		ش١	٣٠٣
	٩:		ش٢	١٠٨٠
	١١:		ش١	٦٩١
			ش٢	٨٣٨
			ش٢	٨٧٣
	١٢:		ش٢	٩١٩
	١٢:	-١٣	ش٢	٨٧٢
٥٦	٦:	-٨	ش١	٧٠٦
	٧:		ش١	١٨٨
			ش١	١٩١
٥٨	٦:		ش٢	١٣٠٠
	٧:		ش٢	١٣٠٠
	٨:	-٩	ش٢	١٣٠٠
	١١:		ش١	٤٢٧
٥٩	١٦:		ش١	٣٣٣
	١٧:		ش١	٣٣٣
	١٩:		ش٢	٨٨٨
			ش٢	١١١١
	٢٠:		ش١	١٨٣
			ش١	٣٣٣
٦٠	١:		ش١	٣٣٣
	١:	-٢	ش١	٦٠٤
	١:	-٣	ش١	٥٢٢
	١٠:		ش١	٣٣٣
	١٨:		ش٢	٧٧٦
	١٨:	-٢١	ش١	٥٢٢
٦١	١:		م	٢٩٠
	٢:		ش١	٣٥٩
			ش١	٧٠٣
٦٢	٥:		ش١	١٧٠
٦٣	١:		ش٢	١١٧٧
	١:	-٣	ش٢	١١٧٣
	١:	-٤	ش٢	١١٠٤
	١:	-٦	ش٢	٩٩٥
	٣:		ش١	٧٣٤
			ش٢	٩٤٦
	٩:		ش١	٨٩
			ش١	٥٨٦
			ش١	٦٦٣
			ش١	٦٨٦
			ش٢	١٣٣٥
	١١:		ش١	٦١٧
٦٤	٨:		ش١	٥٩٠
٦٥	١:		ش١	٣١٥
	٢:		ش١	٣١٥
	١٨:	-١٩	ش١	٢٢٢
			ش٢	٩١٩
	٢٤:		ش٢	٩٩٢
٦٦	٧:	-١٤	ش٢	٩٧٦
	٨:	-٩	ش١	٢٢٢

بطرس الأولى (رسالة)

١	٣:		ش١	٢٠٨
	٣:	-٤	م	١٣١
	٥:	-٨	ش٢	١٣١٠
	٨:		ش١	٩٦
			ش٢	٨٨٢
			ش٢	٩٦٦
			ش٢	١٠٤١
			ش٢	١٢٦٣
	٩:		ش٢	٩١٢
	١٠:	-١١	ش١	٣٨١
	١١:		م	١٢٥
			ش٢	١٠٨٣
	١٢:		ش١	٤٠٠
	١٥:		ش٢	١٠٦٤
	١٩:		ش١	١٣٩
			ش٢	١٢٩٥
	١٩:	-٢٠	ش١	٣٣٧
	٢١:		م	١٢٥
	٢٣:		ش١	٢٠٨
	٢٣:	-٢٥	ش٢	٨٤٩
٢	٩:		ش١	٧٠
	٢٣:		ش١	٥٦٦
	٢٤:		ش١	٢٢٩
٣	١٤:	-١٥	ش٢	١٣٠٥
	١٨:	-١٩	ش٢	١٢٤٧
	١٩:		ش٢	١٢٢٣
	٢١:	-٢٢	ش٢	١٣٢٣
٤	٥:		ش١	٣٦٧
	١١:		م	١٢٥
	١٢:	-١٩	ش٢	٩٢٩
	١٣:		م	١٢٦
	١٤:		ش٢	٩٣٣
			ش٢	١٠٨٣
			ش٢	١٠٨٥
	١٧:		ش١	١٨٩
٥	١:		م	١٢٦
			ش٢	١٠٨٥
	١:	-٤	ش١	٦٢١
			ش٢	١٣٤٨
	٧:		ش١	٦٢١
			ش٢	٩٩٦
	١٠:		ش٢	١٠٢٨

بطرس الثانية (رسالة)

١	٣:	-٤	ش١	٧١
			ش١	٨٨
			ش١	٤٥٥
			ش٢	١٠١٩
	٤:		ش١	٧٠
	٤:	-٥	م	١٥٧
	٥:		ش١	٤٦٧
	١١:		ش١	٦١٢
	١٤:		ش١	٩٣
			ش٢	١٣٤٩
			ش٢	١٣٥٤
	١٦:	-١٨	ش١	٩٨
	١٦:	-١٩	م	٣٣٤
	١٧:		ش١	١٠١
			ش١	١٠٤
	١٧:	-٢١	ش١	٣٨١
	١٩:		ش١	٥٩
	٢١:		ش٢	٨٦٨
٢	٤:		ش١	٥٥٧
٣	١٥:	-١٦	ش٢	٩٦٤
	١٨:		ش١	٦٢٢

تثنية

٢	١٣:	-١٥	ش١	٣٣٢
٤	١٢:	-١٣	م	٩٥
	٣٦:	-٣٧	م	٩٥
٥	٤:	-٥	م	٩٥
	٢٦:		ش١	٤٥٢
٧	٦:	-٧	ش١	٦٥
٨	٣:		م	٤٠٧
	٤:		ش١	٣٢٩
	١٥:		ش١	٤٩٩
١١	٢٢:	-٢٨	م	٨٦
	٢٩:		ش١	٢٧٣
١٢	٢٣:		ش١	٤٤٤
١٤	١:	-٢	ش١	٦٥

١٥	١١:		ش١	٧٢١
١٦	١٦:		ش١	١٩٠
١٧	٦:		م	٨٣
			ش١	٥٢٩
١٨	١٥:		ش١	١٢٦
			ش١	١٥٧
			ش١	٤٠٥
			ش١	٧٦٥
	١٥:	-١٩	ش١	٣٨٥
			ش٢	٩٣٤
			ش٢	٩٨١
	١٨:		ش١	١٣٣
			ش١	٢٩٨
			ش١	٧٦٥
	١٨:	-١٩	ش١	٣٥٦
			ش١	٧٦٤
			ش٢	١٠٥٣
	١٩:		ش١	٣٨٤
			ش١	٥٢٩
			ش١	٧٦٥
	٢٠:	-٢٢	ش١	١٢٦
١٩	١٥:		م	٨٣
			ش٢	١٢٣٥
٢١	١:	-٨	م	٢٧٨
	٢٢:	-٢٣	ش٢	١٢١٩
	٢٣:		ش٢	١٢٢١
٢٢	٢٢:		ش١	٥١١
	٢٣:	-٢٤	ش١	٥١١
	٢٥:	-٢٦	ش١	٥١١
	٢٨:	-٢٩	ش١	٥١٢
٢٥	١:	-٤	ش٢	١١٣٩
٢٦	١٨:	-١٩	ش١	٦٦
٢٧	٤:	-٨	ش١	٢٩١
	١١:	-١٣	ش١	٢٧٣
	١٢:		ش١	٢٩٠
٣٠	١٩:		ش١	٢٤١
			ش٢	١٠٤٧
	٢٠:		ش١	٤٤
٣١	١٤:	-٢٦	ش١	٧٦٦
	٢٦:	-٢٧	ش١	٧٦٥
٣٢	١:	-٢١	ش١	٦٦
	٦:		ش٢	١١١٩
	٨:	-١٢	ش١	٦٤
	٢٢:		ش٢	٩٠٩
	٣٩:		م	١٥٧
			م	٢٢٩
			م	٢٣١
			م	٢٤٤
			ش١	٥٣٦
	٤٦:	-٤٧	ش١	٧٦٥
٣٣	٢٦:	-٢٨	ش١	٢٧٤
٣٤	١٠:		م	١٥٩

تسالونيكي الأولى

٢	١٢:		ش٢	١٠٢٨
٣	٣:		ش	١٠٥١
	٣:	-٤	ش٢	١٠٥٠
٤	١٣:		ش١	٦٧٠
	١٤:		ش٢	١٣٢٣
	١٦:		ش١	٦٩٦
٥	٢٣:		ش١	٢٩٤

تسالونيكي الثانية

٢	٧:	-٨	ش٢	٩٣٨
٢	٨:		ش٢	٨٨٨
٢	١٤:		ش٢	١٠٢٨
٣	٨:		ش٢	١٣٣٢

تكوين

١	٣:		ش٢	١٢٥٩
	٦:	-٨	ش١	٢١٤
	٢٦:		ش١	٦٤٥
٢	١:	-٢	ش٢	١٢١٤
	٧:		ش٢	١٢٨٨
	٩:		ش٢	٤٢٦
	١٠:		ش١	٤٢٦
	٢٣:		م	٢٦٠
٣	١:		ش١	٥٣
	٢:	-٤	ش١	٥٣
	٣:	-٤	ش١	٥٥٨
	٥:		ش١	٥٥٨
	٩:	-١٠	ش١	٦٢٦
	١٥:		ش١	٥٣
	١٦:	-١٧	م	٢٥٦
	١٧:	-١٨	ش٢	١١٧٣
	١٩:		ش٢	١٠٠٧
	٢٢:		ش١	٤٢٦
			ش١	٦١٢
	٢٤:		ش١	٦١٢
٤	٢٦:		ش١	٦٣
٥	٢٤:		ش١	٦٣
٦	٩:		ش١	٦٤
	١١:	-١٢	ش١	٦٤
٩	٤:		ش١	٤٤٤
١٤	١٨:		ش٢	١٣٤١
١٥	٢:		م	٢٢٢
١٧			م	٢٢١
			م	٢٢٥
			ش١	٦٣٧
	١:	-٢	ش١	٥٧٤
	٤:	-٦	ش١	٢٣٣
١٨	٢٥:		ش١	٥٤٩
			ش٢	١٠٩٢
٢٢	١:	-٢	ش١	١٠٢
	٦:		ش٢	١١٩٣
	٧:	-٨	م	١٨٢
	٨:		ش١	١٣٩
	٩:		ش٢	١١١٨
	١٠:		ش١	١٣٩
	١١:	-١٤	ش١	٥٧٢
	١٦:		ش١	٣٤٩
	١٦:	-١٨	ش١	٢٣٣
٢٦	٢٤:		م	٢٢٥
			م	٢٤٥
			ش١	٢٠٦
٢٧	١٨:	-٢٤	ش١	١٥٩
٢٨	١٠:	-١٥	ش١	١٥٩
	١٢:		م	١٨٤
	١٢:	-١٥	ش١	١٦٢
	١٢:	-١٧	ش١	٦٠٩
	١٧:		ش١	١٦١
٢٩	٢٢:	-٢٧	ش١	١٧١
٣٢	١٠:		ش٢	٨٤١
	٢٦:		ش٢	١٢٧٥
	٣٠:		م	٩٤
٣٣	١٧:	-٢٠	ش١	٢٧٣
	١٨:	-٢٠	ش١	٢٧٤
			ش١	٢٩٠
٤٠	١٣:		ش١	٥٣٩
	١٩:		ش١	٥٣٩
٤٨	١٥:	-١٦	ش٢	١٠٥١
	٢٠:	-٢٢	ش١	٢٧٣
٤٩	١:		ش٢	١٣٤٣
٥٠	١:	-١٣	ش٢	١٢٤١

تيطس (رسالة)

١	٩:		ش٢	٩٥٧
٣	٥:		ش١	٢٠٨
			ش١	٢١٦
			ش٢	١٢٣٤
	٥:	-٦	م	٢٨٥

تيموثاوس الأولى

١	١٣:		ش٢	٩٥١
	١٧:		ش٢	١١٧٧
٣	٤:		ش٢	٧٨١
	١٦:		م	١٠٨
			م	١٢٤
			ش١	٢٣
			ش١	٣١
			ش١	٧٧
			ش١	٢٢٧
			ش١	٦٢٨
			ش٢	٨٣٢
			ش٢	٨٦٩
			ش٢	٩٦٠
			ش٢	١٠٠٤
			ش٢	١٠١٦
			ش٢	١٠٨٣
			ش٢	١٢٥٥
			ش٢	١٣٣٠
٤	٨:		م	١٣٠
٥	٢٠:		ش٢	٩٥٧
٦	١٠:		ش١	٦٣٧
			ش١	٧٣٩
			ش٢	٧٧٩
	١٢:		م	١٣١
	١٣:		ش٢	١١٣٨
			ش٢	١١٤٤
	١٦:		م	١٣٠
			ش١	٤٧

تيموثاوس الثانية

١	٩:		ش٢	١٠٦٣
	٩:	-١٠	م	١٣٢
٢	٨:		ش٢	١٣٢٤
٣	٥:		ش٢	٩٠٤
	١٦:		ش٢	٩٥٨
٤	١:		ش١	٣٦٧
	٦:	-٨	ش٢	٩١٧
	٧:	-٨	ش١	٣١٠
			ش١	٣٥٢
	٨:		ش٢	٨٢١
	١٦:	-١٧	ش٢	٩٤٣

جامعة

١١	٥:		ش١	٢١٩

حبقوق

٢	١٤:		م	١٠٠

حزقيال

٥	١٣:		ش٢	٩١٧
	١٥:		ش٢	٩١٧
	١٧:		ش٢	٩١٧
٦	١٠:		ش٢	٩١٧
١١	١٩:		ش١	٢٢١
	٢٠:		ش٢	٨٦٦
١٣	١٩:		ش١	٤٠٢
١٤	٦:	-٨	ش٢	٩٠٨
١٥	٢:	-٦	ش٢	٩٠٩
١٦	٨:		ش١	٢٥٣
	٩:		ش٢	٧٨٥
١٧	٢١:		ش٢	٩١٧
	٢٤:		ش٢	٩١٧
١٨	٢٠:		ش١	٣٥٢
	٣١:		ش١	٢٢١
٢٤	٢٤:		ش٢	٧٩٢
٣٣	١١:		ش١	٢٣٧
٣٤	١:	-١٥	م	٢٦٩
	١:	-٣١	ش١	٦٠٧
	٣:		ش١	٦١٤
	١٥:		م	٢٢٨
	١٥:		م	٢٤٥
	٢٣:		ش١	٦٢٠
	٢٣:		ش١	٦٢٧
	٣٠:		م	٢٤٥
	٣١:		ش١	٦٢٩
٣٦	٢٥:	-٢٦	م	٢٧٧
			ش١	٢٢١
	٢٥:	-٢٧	م	٢٧٨
	٢٧:		م	٢٧٧
	٢٨:		ش٢	٨٦٦
٣٧	٣:		ش١	٢٨١
	٤:	-٢٤	ش١	٣٦٠
	٥:		ش١	٢٨١
	٥:	-٦	م	٢٢٧
	٦:		م	٢٤٥
	٩:		ش٢	١٢٨٨
	٩:	-١٠	ش١	٧٣٦
	٩:	-١٤	ش١	٢٢٢
	١٠:		ش١	٧٣٦
	١٢:	-١٤	م	٢٤٥
	١٣:	-١٤	م	٢٢٨
	٢٥:		ش١	٧٥٠
	٢٦:		ش٢	٨٦٦
	٢٦:		ش٢	٨٧٠
	٢٧:		ش١	٩٣
	٢٧:		ش١	٩٥

حكمة

٢	٢٣:		ش١	٤٥
	٢٣:	-٢٤	ش١	٥٥٧
٧	٢٢:		م	٣٩٠
	٢٢:	-٢٥	م	٣٩١
	٢٦:		م	٣٩٠
	٢٧:		م	٣٩١
	٢٩:		م	٣٩٠
	٣٠:		م	٣٩٠
٩	٢:		م	٣٩٠

خروج

٢	١٣:	-١٤	م	٢٢٤
٣	١٣:	-١٤	م	٢٢١
	١٣:	-١٤	م	٢٤٤

٣	١٣:	-١٤	ش١	٣١
	١٤:		م	١٥٧
			ش١	٥٧٣
	١٥:		م	٢٢٠
			م	٢٢٥
	١٦:		ش٢	٩٨٠
٤	٦:		ش٢	١٣٠٣
			ش١	٦٤٣
	٢٢:		ش١	٧٠
٦	٢:	-٣	م	٢٢١
			م	٢٣٧
	٣:		م	٢٢٥
٧	٥:		م	٢٢٦
	١٠:	-١٢	م	٣٨٤
١٢	٣:	-٦	ش١	٧١٦
	٥:	-١١	ش١	٨٧
	١٣:		ش٢	١١٩٨
	١٥:	-١٦	ش٢	١٢٢٠
١٣	٢:		ش٢	١٠٦٢
	٢١:		ش١	٥١٩
١٤	١٨:		م	٢٢٦
			م	٢٤٤
١٥	٢٦:		م	٢٢٨
١٦	١٥:		م	٢٧٣
	١٨:		ش١	٤٠٣
	٢٠:		ش١	٤٠٣
١٧	٦:		م	٢٨١
	٦:		ش١	٤٩٩
	١٦:		ش١	٥٢
١٩	٥:	-٦	ش١	٦٥
١٩	١١:		ش١	٢٢٧
٢٠	٢:	-٣	م	٢٢٦
	٥:		م	٢٢٦
	٥:		م	٣٥٨
	١٨:	-١٩	م	٩٤
٢٢	٢٨:		ش٢	١١٣٩
٢٣	٦:	-٧	ش٢	١١٤٣
	١٥:		ش١	١٩٠
	٢٠:	-٢١	م	١٩٢
	٢١:		ش٢	١٠٤٢
٢٤	١:	-٢	ش١	٣٩٤
	٩:	-١١	ش١	٣٩٩
	١٠:	-١١	م	٩٥
	١٥:	-١٧	ش١	٩٨
٢٥	٨:		ش١	٩٥
	١٩:	-٢٢	ش٢	١٢٧٠
	٢٢:		ش١	٩٤
٢٨	٣٠:		ش١	٧٠٥
٢٩	٤٥:		ش٢	٨٦٦
٣٠	٢٢:		ش٢	١٢٤٣
٣٣	١٨:	-٢٠	ش١	١١٩
	١٨:	-٢٣	ش١	٤١٢
	٢٠:		م	١٦٢
	٢٠:		ش٢	١٢٧٥
٣٤	٥:	-٧	ش١	١٠٥
٣٧	٦:	-٩	ش١	٩٤
٤٠	٣٤:	-٣٥	ش١	٩٣

دانيال

٣	٢٥:		ش١	١٤٧
٤	٣٢:	-٣٧	ش٢	١١٨٥
٧	١٣:	-١٤	م	١٩٩

٧	١٣:	-١٤	ش١	٣٦٤
			ش١	٤٤٥
			ش١	٧٥٠
			ش٢	١١٥٩
٧	١٣:	-٢٧	م	٢٠٠
	٢٨:		م	٢٠١
٩	٢٧:		ش١	٥٨١
١٠	١٣:		ش١	٦٤
	٢١:		ش١	٦٤
١٢	١:		ش١	٦٤
	٢:		ش١	٦٧٧
	٣:		ش١	٣٠٩
			ش١	٥٩٠
	٢٢:		م	٣٢٤

رؤيا

١	١:	-٢	م	١٩٠
			م	٣٢٨
			م	٤٠٠
			ش١	٢٣
	٤:		م	٣٥
			ش١	٦٣٤
	٥:		م	٣٣٣
			ش٢	١١٧٤
			ش٢	١٢٢٤
			ش٢	١٢٣١
	٥:	-٦	م	٣١٩
			م	٣٢٥
			ش٢	١١٧١
	٦:		م	٢٠٢
	٦:	-٩	ش١	٢١١
	٧:		م	٣٢٦
			م	٣٢٧
			م	٣٣٣
			ش١	٩٩
			ش١	٥٣٩
			ش٢	٩٧٥
			ش٢	١٢٣٨
	٨:		م	٢٤٥
			م	٣٣١
			م	٣٣٣
			م	٣٣٤
			م	٣٤٢
			م	٤١٤
			ش١	٢٠
			ش١	٢٥
			ش١	٥٩٥
			ش١	٦٣٤
			ش١	٧٢٧
			ش٢	٨٢١
	٩:		م	٤١
			م	٣٢٨
	٩:	-١١	م	١٩٠
	١٠:		م	٣٥
	١٠:	-١١	م	١٩٠
	١٠:	-١٦	ش٢	٨٦٣
	١١:		م	٣٥
	١٢:		م	٣٣٣
	١١:		ش٢	١٢٠٥
	١٦:		م	٢٥١
	١٦:		ش١	١٠١
	١٧:		م	٣٣٣

	١٧:		م	٣٣٤
			ش١	٢١
			ش٢	١١١١
	١٧:	-١٨	م	٢٤٥
			ش٢	١٢٨٣
	١٨:		م	٣٤٢
	١:	-٢	م	٦٧
	٢:	-١٧	م	٣٢٧
	٣:		م	٣٥
	٧:		ش١	٣٥٦
			ش١	٤٢٦
			ش١	٥٥٤
	٨:		ش١	٢٥
	٩:		م	٢١
			م	٣٦
			م	٦٨
			م	٣٢٦
			ش٢	٩٤٩
	١٧:		م	٣٨
			ش٢	١٠٤٥
	١٨:		م	٣٢٨
			م	٣٣٣
	٢٣:		م	٢٤٦
			ش١	٢٠٠
	٢٧:		م	٣٢٨
			م	٣٣٣
	١:	-٢	ش٢	٩٠٤
	١:	-٣	ش١	٣٦٩
	٣:		ش٢	٩٨٥
	٥:		م	٣٢٨
			م	٣٣٣
	٧:		م	٣٣٣
			ش١	٤٦٨
			ش٢	١٠٢٢
	٧:	-٩	م	٢٠
	٩:		م	٣٢٦
			ش٢	٩٤٩
	١٢:		م	٣٣٠
	١٤:		م	٣٣٤
			ش٢	٨٨٦
			ش٢	١٠٢٣
	١٦:	-١٧	ش١	٦٠٣
	١٨:		ش١	٦٠٤
			ش٢	١٣٣٧
	١٩:		ش١	٢٤٣
			ش٢	٩٥٧
	٢٠:		م	٣٢٨
			ش١	٧٣٦
			ش٢	١٠٨٠
	٢١:		ش٢	١٠١١
			ش٢	١٠٨٧
	١:		ش١	٦٠٩
			ش١	٦١١
	١١:		م	١٢٥
	١٤:		م	٢٦٣
	٣:	-٥	م	٣٢٦
	٥:		م	٣٣٣
	٦:		ش١	١٣٩
			ش٢	٨٨٢
			ش٢	١٢٨٣
	٨:	-٩	ش١	١٣٨

٥	٩:		م	٣٢٦
			م	٣٣٣
			ش٢	١٢٣١
			ش٢	١٢٨٣
	١٠:		ش١	٢١١
	١٢:		م	٣٢٦
			م	٣٣٣
			ش٢	١٠٣٩
	١٢:	-١٣	م	١٢٥
	١٣:		م	٣٢٨
			م	٣٣٣
٦	٢:		ش١	٥٣
			ش٢	٧٧٨
			ش٢	١٠١١
٧	٤:		م	٣٣٠
	٩:		ش١	٧٣٦
	٩:	-١٠	ش١	٧٢٥
	١١:	-١٢	ش٢	١٠٣٩
	١٤:		م	٣٢٥
			ش٢	١٢٢٤
	١٦:		ش١	٢٨٣
			ش١	٢٨٥
	١٧:		ش١	٢٧٩
١١	٨:		م	٣٣٣
	٨:		ش١	٨٧
			ش١	٣٣٦
	١٥:		م	٣٢٧
			م	٣٣٤
	١٧:		م	٣٣١
	١٨:		م	٣٣١
	١٩:		ش٢	١٢٤٩
١٢	١:		م	٢٥٩
	٤:	-٥	م	٣٢٦
	٩:		ش١	٥٥٦
	٩:	-١١	ش٢	٩٦١
	١٠:		م	٣٢٧
	١٠:	-١١	ش١	٧٤٧
	١١:		م	٣٢٥
			م	٣٣٣
			ش١	٢٧
			ش١	٥٣٤
			ش١	٦٣٨
			ش١	٧٣٥
			ش٢	١٢٣١
	١٧:		م	٣٢٧
١٣	٨:		ش١	٦٣٣
١٤	٤:	-٥	ش٢	٨٢٣
	٤:	-٥	ش٢	١٠٨٧
	١٢:		م	٣٢٧
	١٥:	-١٦	ش١	٣٠٧
١٦	٥:		ش١	٣٢٨
١٧	١٤:		م	٢٠٢
	١٤:		م	٣٣٣
١٩	٧:	-٨	م	٢٥٩
	٧:	-٨	ش٢	٧٧٦
	٧:	-٩	ش١	١٧٩
	١٠:		م	٣٢٨
			م	٣٣٣
			م	٣٨٩
			ش٢	٩٦٨
			ش٢	١٠٢٣

١٩	١١:	-١٤	م	١٩٠
	١٢:		ش٢	١١٧٧
	١٢:	-١٣	ش١	٢٦
	١٣:		م	٣٣٣
			م	٣٣٤
			ش١	٢٠
			ش٢	١١٧٣
	١٤:		م	٣٣٣
			ش١	٤٣
	١٤:	-١٦	ش١	٢٧
٢٠	٢:		ش١	٥٥٦
	٦:		ش١	٣٦١
	٦:		ش١	٦٦٩
	١١:	-١٣	م	٣٢٩
٢١	٢:	-٣	م	٢٥٩
	٣:		م	٣٢٨
	٥:	-٢٥	ش١	٥٢١
	٦:		م	٢٤٦
			ش١	٤٤
			ش١	٢٧٥
			ش١	٢٨٣
			ش١	٤٢٦
	٨:		ش١	٧٥٨
	٨:		ش٢	٨٧٣
	٩:	-١٠	م	٢٥٩
	٩:	-٢٧	ش٢	٧٧٦
	١٠:		ش١	٢٦٩
	١٠:	-١٤	ش٢	١٣٠١
	١٤:		م	٢٦٣
	٢٢:		م	٣٣٠
			ش١	٢٦٩
	٢٣:		ش٢	٨٢٠
	٢٣:	-٢٤	ش١	٥٢٣
٢٢	١:		ش١	٢٧٩
			ش١	٢٨٦
			ش٢	١٣١٥
	١:	-٢	ش١	٤٢٦
	٣:		م	٣٣١
	٤:		ش٢	١٠٤٥
	١٥:		م	٣٣١
	١٦:		م	٣٣٣
			ش١	٥٩
			ش١	٦٢٧
	١٧:		م	٣٣١
			ش١	٢٧٥
	٢٠:		م	٧١
			ش١	٤٦٤
			ش٢	١٣٥٤

راعوث

٢	١٣:	-١٤	ش٢	٧٩٦

رومية (رسالة)

١	١:	-٢	م	٣٣٥
	١:	-٣	ش١	٨٥
	٣:		ش١	١٠٣
	٤:		م	٢٦٦
			ش١	٤١٨
			ش١	٧٤٩
			ش٢	٩٥٥
			ش٢	١٣٢٢
			ش٢	١٣٣٠
	٥:		م	٦٠

	٨:	-٩	ش١	٢٩٤
	١٨:	-٢٠	ش٢	٨٤٨
	١٩:	-٢٠	ش١	٤١
	٢٠:	-٢١	ش٢	١٠٩٢
	٢١:	-٢٣	ش١	٥٢
	٢٨:		م	١٥٥
			ش١	٤٦٤
	١:	-٣	ش١	٥١٥
	٢:	-١٠	ش١	٣٦٦
	٤:	-٥	ش٢	١٠٤٧
	٦:	-٧	م	١٣٤
	٩:		م	٥٥
	١٤:	-١٥	ش١	٥٠
	١٩:		ش١	٦٠٤
	٥:		ش٢	١٢٣١
	١٩:		م	١٦٤
	٢٠:		م	١٦٤
	٢١:		م	٩٧
	٢١:		ش١	٩٩
	٢١:	-٢٢	م	١١٥
	٢١:	-٢٥	م	١٦٤
	٢٣:		ش١	٤٤٠
	٢٥:		ش١	٩٤
			ش١	٩٥
			ش٢	١٢٣١
	٥:		ش١	٥١٥
	١٤:	-١٦	ش١	١١٢
	١٧:		م	١٣٠
			م	١٦٠
			م	١٩٨
	٢٤:		ش١	١٩٧
	٢٤:	-٢٥	ش٢	١٣٢٢
	١:		ش٢	٨٧٠
	١:	-٢	ش٢	٩٨٠
	٢:		ش١	٦١٤
			ش١	٦١٥
	٥:		ش٢	١٠٧٦
	٨:	-١٠	ش٢	١٠٧٧
	٩:		ش٢	١٢٣١
	١٠:		ش٢	٩٢٢
	١٠:		ش٢	٩٢٣
	١٠:	-١١	ش٢	٨٨٥
	١٧:		م	١٣٢
			م	١٣٤
	٢١:		م	١٣٤
	٤:		م	١٢٤
			م	١٣٤
			ش١	١٠٣
	١١:		م	١٣٤
			ش١	٦٧٩
	١٣:		م	١٣٤
	١٦:	-١٨	ش١	٥٤٧
	١٩:	-٢٠	ش١	٥٠
	٢٠:	-٢٢	ش١	٥٤٧
	٢٠:	-٢٢	ش٢	١٠٥٨
	٢٣:		ش٢	١٢١٧
	٧:		م	١٦٤
	٨:	-٩	ش١	٥٧٦
	١١:	-١٣	ش١	١١٧
	١٤:	-٢٥	ش١	٣٣٠
	١٥:		م	١٠٨
٧	١٨:		ش١	٦٦٠
	٢٢:	-٢٤	ش٢	١٠٥٤
	٢٣:		ش١	١٤٠
	٢٤:		ش٢	١٢٥٣
٨	١:	-٢	م	١٣٨
	١:	-٤	ش١	١١٧
	٢:		م	١٣٣
	٢:		م	١٣٤
	٣:		ش١	٨٥
			ش١	٢٢٨
			ش٢	١٠٠٥
	٣:	-٤	ش١	٥٢٨
	٦:		م	١٣٢
	٦:	-٧	ش١	٧٣٨
	١٠:		م	١٣٣
	١١:		ش١	١٩٧
			ش٢	٨٥٤
			ش٢	١٣١٦
			ش٢	١٣٢٢
	١٣:	-١٤	م	١٣٣
	١٤:	-١٦	ش١	٧٦
	١٤:	-١٧	ش٢	٨٥٦
	١٥:		ش٢	١٠١٢
	١٦:	-١٧	م	١٥٧
			ش١	٦٤٦
			ش٢	٨٨٥
	١٧:		م	٣٠٣
			ش٢	٨٧٨
			ش٢	٩٣١
			ش٢	١٠٢٨
			ش٢	١٠٦٥
			ش٢	١٠٨٣
	١٨:		م	١٣٣
			ش٢	٩٧٥
	٢١:		ش١	٥٤٣
	٢٣:		م	١٣٢
	٢٤:	-٢٥	م	١٣٢
	٢٦:		ش٢	٨٤٢
	٢٩:		م	١٣١
			ش٢	١٠٦٤
	٣٠:		ش٢	١٠١٥
	٣٢:		ش١	٢٣٤
			ش١	٢٣٨
			ش٢	١٠٩٠
	٣٣:	-٣٤	م	١٤٣
	٣٣:	-٣٤	ش١	٣٧١
	٣٤:		ش١	٣٦٣
	٣٥:	-٣٩	م	١٧٤
	٣٦:		ش١	٥٨٢
	٣٧:		ش٢	١٠١١
٩	٢٣:	-٢٦	ش١	٧٣٧
	٢٥:		م	٣٠٦
	٢٥:	-٢٦	ش١	٣١٢
	٢٨:		م	٢٩١
	٢٨:		م	٤١٠
	٢٨:		ش١	٢٧٧
	٢٨:		ش٢	٧٧٧
١٠	٢:		ش٢	٩٤٨
	٨:		ش١	٤٣٥
	٩:		ش١	١٩٧
	٩:	-١٣	م	٢٣٦
١٠	١٠:		ش١	٤٦٨
	١٥:		ش٢	٧٨٧
	٢١:		ش١	٢٧٤
			ش١	٣١٥
	٥:	-٦	ش١	٢٢٠
	١٦:	-٢٠	ش١	٦٢٧
	١٩:	-٢٠	ش٢	٨٩٩
	٢٥:	-٢٩	ش١	٢٣٣
	٢٩:		ش١	٧٠
			ش٢	٩٠٣
	٣٢:		ش١	٧٥٧
	٣٣:		ش٢	١٠٨٠
١٢	٣:		ش٢	١٠٧٣
	٥:		ش٢	٨٩٤
	١٢:		ش٢	٨٧١
١٣	١:		ش٢	١١٨٢
	٨:		ش٢	٩٢٢
	١٢:		ش٢	١٣٣٤
١٤	٨:		ش١	٦٨٦
	٩:		ش٢	١٣٢٣
	١٧:		ش١	٢١١
	١٧:		ش٢	٨٧٢
١٥	٦:		ش٢	١٢٧٧
	١٣:		ش٢	٩١٩
١٦	١٣:		ش٢	١١٩٧

زكريا

٢	١٠:		ش١	٩٣
	١٠:	-١٢	ش١	٦٥
٣	٣:	-٥	ش١	٣٠٠
٦	١٢:	-١٣	ش١	١٨٥
			ش١	١٩٣
٧	٩:	-١٤	ش٢	١١٤٣
٩	٩:		ش١	٧٢٨
			ش١	٧٢٩
	٩:	-١٠	ش١	٧٢٩
١١	٤:	-٥	ش١	٦١٤
	٤:	-١٣	ش١	٦٠٨
	٧:	-١٣	ش١	٦٢٤
١٢	١٠:		ش٢	١٢٢٣
			ش٢	١٢٣٨
١٣	٦:		ش٢	١١٩٩
	٧:		ش١	٦١٩
	٧:		ش٢	٩٩٤
	٧:		ش٢	١١١١
	٩:		ش٢	١٣٠٧
١٤	٦:	-٩	ش٢	١٢٢٤
	١٦:		ش١	٤٨٤
	٢١:		ش١	١٩٠

سيراخ (يشوع بن)

٢٤	٥:	-٦	م	٣٩١
	٨:		م	٣٩١
	٢١:		م	٢٨٣

صفنيا

٣	١٤:	-١٧	ش٢	٩١٩
	١٥:	-١٧	ش١	٧٢٩

صموئيل الأول

٢	٣٠:		ش٢	٨٦٠
٨	٥:	-٧	ش٢	١١١٧
	٧:		ش٢	١١٩٠
١٠	١:	-١٠	ش١	٢٢٠
١٦	١٣:		ش١	٢٢٠

صموئيل الثاني

٧	٦:		ش١	٩٣
	١٢:	١٧-	م	٨٩
١٤	٤:		ش١	٧٢٧
١٥	٢٣:		ش٢	١١٠٤
	٣٠:		ش٢	١١٠٤
١٧	٢٣:		ش٢	١٠٤٧
			ش٢	١١٠٤

عاموس

١	٢:		ش١	١٨٣
٣	٢:		م	١٥٩
	٧:		ش٢	١٠٧١
٨	١١:		م	٢٧٩
٩	١١:		م	٥٥

عبرانيين (رسالة)

١	١:		ش١	٤٣٥
			ش١	٦٤٨
	١:	٢-	ش١	٦٦
			ش١	٤٣٦
			ش٢	٨٣٧
	١:	٣-	م	١٠٧
			ش١	٣٤٠
			ش٢	٨٧٨
	١:	٤-	ش١	٢٢
			ش٢	٨٢٩
	٢:		ش١	١٠٧
	٢:	٣-	م	٢٠٥
			ش١	٤١
	٣:		ش١	٧٥٧
			ش٢	١٠٨٣
			ش٢	١٢١٧
	٣:	٤-	ش٢	٧٨٠
			ش٢	١٠٩٠
	٦:		ش١	١٣٩
			ش٢	١٠٦٢
			ش٢	١٠٦٤
	٨:	١٢-	ش١	٣٤٠
	١٠:	١٢-	ش٢	١٠٤٠
٢	١:		ش٢	١٠٦٠
	٢:	٣-	ش١	١٩٢
	٩:		ش١	٥٦٦
			ش١	٦٣١
			ش١	٦٤٥
			ش١	٧٤٩
			ش٢	١٠٨٤
			ش٢	١٠٨٩
	٩:	١٠-	ش٢	١٠٠٦
	١٠:		ش١	٣٠٥
			ش١	٣٧٩
			ش١	٧٤٠
			ش٢	٨١٧
			ش٢	٩٥٢
			ش٢	١٠٢٨
			ش٢	١٠٨٤
			ش٢	١٢١٦
	١١:		ش٢	١٢١١
	١٤:		ش١	٨٥
			ش١	١٦٢
			ش١	٧٤٢
			ش١	٧٤٦
	١٤:	١٥-	ش١	٥٦٥

٢	١٤:	١٥-	ش١	٥٦٧
	١٤:	١٥-	ش١	٦٣١
	١٧:	١٨-	ش١	٣٦٣
٣	١:		ش١	٧٥٨
	٥:	٦-	ش١	٥٤٧
	٦:		ش١	٦٩
			ش١	٧٢٧
	١١:	١٩-	ش١	٣٤٢
	١٨:	١٩-	ش١	٤٣٩
٤	١:		ش٢	١٢٢٠
	١:	١١-	ش١	٣٤٢
	٩:		ش١	٣٤١
	١٠:		ش١	٣٣٥
			ش٢	١٢١٨
	١٠:	١١-	ش١	٣٤١
	١١:		ش١	٤٣٩
			ش٢	١٢٢٠
	١٢:		ش١	٤٦٤
	١٤:	١٥-	ش١	٦٨٨
	١٥:		ش١	٥٦٢
			ش٢	٩٨٨
	١٥:	١٦-	ش١	٣٦٣
٥	٤:		ش١	٦٤٣
			ش٢	٩٢٧
	٧:		ش١	٧٤٣
			ش٢	١٠٠٥
	٧:	٨-	ش٢	١٠٠٦
	٨:	٩-	ش٢	٩٥١
	٩:		ش١	٣٠٥
			ش١	٣٧٩
	١٣:	١٤-	ش١	٢٢٤
	١٤:		ش٢	٨٤٨
٦	٢:		ش١	٣٦٧
	١٣:	١٥-	ش١	٥٧١
	٢٠:		ش١	٤٦٣
			ش١	٦١٠
			ش٢	٨١٩
			ش٢	٩٩١
٧	١١:	١٢-	ش١	٣٤٢
	١٨:	١٩-	ش١	٣٤٢
	٢٢:	٢٧-	ش٢	٨٩٠
	٢٤:	٢٥-	ش١	٣٦٣
			ش٢	٨٨٤
	٢٥:		ش٢	٨٤٣
	٢٦:		ش١	٧١٦
			ش٢	١٠٤٣
٨	٤:	٥-	ش١	١٠٦
	٥:		م	٥٥
			م	٨٧
			م	٢٧٤
	٨:	١٠-	ش١	٤٥٥
٩	١١:	١٢-	ش٢	٨١٩
	١٢:		ش١	٤٦٣
			ش١	٦١٠
			ش٢	٨٨٤
			ش٢	٩٨٢
			ش٢	٩٨٧
	١٣:	١٤-	ش١	٤٤٥
			ش٢	١٢٩٥
	١٤:		م	٢٦٦
			ش١	٨٩

٩	١٤:		ش٢	١٢٢٥
			ش٢	١٢٣٤
	١٩:	٢٢-	ش٢	١٢٣٣
	٢٢:		ش٢	١٢٩٥
	٢٤:		ش٢	٨٤٢
			ش٢	٨٦٠
			ش٢	٨٨٤
	٢٨:		ش٢	٨٢٠
١٠	٥:		ش١	١٣٩
	٥:	٧-	ش١	٣٠٥
			ش١	٦٣٤
	٥:	١٠-	ش٢	١٠٦٢
	١٠:		م	١١٠
			ش٢	١٠٦٣
	١٩:		ش١	١٦١
	١٩:	٢٠-	ش١	٨٦
			ش٢	٨٢٥
	١٩:	٢٣-	ش٢	٩٨٢
	٢٠:		ش١	٢٩٩
			ش١	٤٦٣
	٢٨:	٣١-	ش١	٣٥٣
	٢٩:		ش٢	١٢٣١
	٢٩:	٣١-	ش٢	٧٩٦
	٣١:		ش٢	١١٩٠
	٣٤:	٣٥-	ش٢	٩٧٤
	٣٧:		ش٢	٨٢١
١١	١:		م	١٤٧
			م	٣٠٩
	١٣:		ش١	٣١٠
			ش٢	٧٧٨
	١٧:		ش١	٣٩٧
	١٧:	١٩-	ش١	٥٧١
	٢٥:	٢٦-	ش٢	١٠٢٥
	٣٤:		ش٢	١٠٤٨
	٣٥:	٤٠-	ش١	٣١٠
١٢	٢:		ش١	٦٢٣
			ش٢	٧٧٧
			ش٢	٩٥٦
			ش٢	١٠٠٦
	٢:	٣-	ش٢	٩٣٠
	٣:		ش٢	١٠٠٦
	٤:		ش٢	١٠٥١
	١٨:	٢٤-	م	٤٠٥
	٢٢:		ش٢	١٠٦٤
	٢٢:	٢٣-	ش١	٥٨١
	٢٤:		ش٢	٩٢٨
			ش٢	١٢٣٥
١٣	٧:		ش١	٣١٧
	٨:		ش٢	١٠٤٠
	١١:	١٤-	ش٢	١١٩٤
	١٢:	١٣-	ش١	٤٧٦
	٢٠:		ش٢	١٣٢٤
	٢١:		م	١٢٥

عدد

٦	٥٢:		م	٨٨
٩	٢:	٦-	ش١	٧١٠
	١٢:		ش٢	١٢٣٨
	١٣:		ش٢	٩٣٥
١١	١١:	١٥-	ش١	٦١٨
	١٧:		ش١	٢٢٧
	٢٤:	٢٩-	ش٢	١٢٩٢

١٢	٥:	–٨	ش١	٤٣٦
	٦:	–٨	ش١	١٠٦
			ش٢	١٠٢١
١٥	٣٥:		ش٢	١١٩٣
١٦	٤:	–٥	م	١٦٠
٢٠	١١:		ش١	٤٩٩
٢١	٧:		ش١	٢٢٨
٢٢	٢٢:	–٣٥	م	٢٣٤
٢٤	٦:		ش٢	١٢٤٣
٢٥	٦:	–١٥	ش٢	٩٥٠
	١٠:	–١١	ش٢	٩٥٠
٢٧	١٨:	–٢١	ش١	٧٠٥
٢٩	١٢:	–٣٨	ش١	٤٧٦
٣٥	٣٠:		م	٨٣

عزرا الرابع (أبوكريفا)

١٣	٥١:		ش١	٤٩١

غلاطية (رسالة)

١	١١:	–١٢	م	٤٠١
			ش١	٢٣
			ش٢	٨٦٢
	١١:	–١٣	ش١	٤٨
	١١:	–١٩	ش٢	٩٦٤
	١٣:	–١٤	ش٢	٩٥١
	١٥:	–١٧	ش٢	١٠٣٢
٢	١:	–٢	م	١٨
	١:	–١٠	م	٣٩
	٩:		م	٣٤
	٩:		م	٣٥
	١٦:		ش٢	٩٠٤
	١٩:	–٢٠	م	١٣٣
	٢٠:		م	١٧٢
			ش١	٨٨
			ش١	٣٤٨
			ش١	٥٢٤
			ش١	٦٢٥
			ش١	٦٧٩
			ش١	٧٣٧
			ش٢	٨٠٤
			ش٢	٨٥٤
			ش٢	٨٥٥
			ش٢	٨٥٧
			ش٢	٩٢٣
			ش٢	٩٨٨
			ش٢	٩٩٩
			ش٢	١٠٧٥
			ش٢	١٠٧٧
			ش٢	١٠٧٨
			ش٢	١٣١١
٣	١٣:		ش٢	١٠٨٤
			ش٢	١٢١٩
	١٦:		ش١	٥٧١
			ش١	٥٧٦
	٢٣:	–٢٥	م	١١٥
	٢٨:		ش١	٣٠١
	٢٩:		ش١	٥٧٦
			ش١	٥٧٧
٤	٤:		ش٢	١٠٠٥
	٤:	–٧	م	٤١٣
	٥:	–٦	ش٢	٨٦٥
	٦:		ش٢	١٠١٢
	٩:		ش١	٦٢٢
	١٩:		ش٢	٩٧٨
			ش٢	١٢٨٩
			ش٢	١٢٩٠
	٢٥:		ش١	٥٧٦
	٣٠:		ش١	٥٧٧
	٣١:		ش١	٥٧٧
٥	١:		ش١	٥٧٧
	٦:		م	١٧٢
	٢٢:		م	١٣٤
	٢٢:		ش٢	٨٧٢
	٢٥:		م	١٣٣
٦	٢:		م	٢٥٤
	١٤:		ش٢	٨٣١
	١٤:		ش٢	١٠٦١
	١٥:	–١٦	ش٢	٩٤٩

فيلبي (رسالة)

١	٢١:		م	١٣٣
			م	٢٨٣
			ش١	٧٤٠
			ش٢	١١١٣
	٢٣:		ش٢	١٠٥٢
	٢٣:	–٢٤	ش٢	٨٢٣
٢	٥:	–٨	ش٢	٩١٦
	٦:	–٧	ش١	٨٦
	٦:	–١١	ش١	٢٢
	٧:		ش١	٤٦٥
			ش١	٤٨٧
			ش١	٥٦٨
			ش٢	٧٨٢
			ش٢	٧٨٣
			ش٢	١١٧٧
	٧:	–٨	ش٢	١٠٠٥
	٨:	–١١	م	٢٣٦
	٨:	–١١	ش٢	١٠٨٩
	٩:	–١١	ش٢	١٠١٣
			ش٢	١٠٤٢
	١٠:		ش٢	٨٠١
	١١:		ش١	٤٠٧
			ش١	٥٩٤
			ش١	٧٤٣
			ش٢	٨٧٧
	١٣:		ش١	٢٤٥
			ش١	٣٤٨
			ش٢	٨٤١
			ش٢	٩٠٤
	١٦:		م	١٣٢
٣	٧:	–٨	ش١	٧٣٧
			ش٢	١٠١١
	١٣:		ش٢	٩٦٨
	٢٠:		م	٤٠٥
			م	٤١٥
			ش٢	١٠٣٩
			ش٢	١٠٥٢
	٢٠:	–٢١	ش٢	٨٢١
	٢١:		ش٢	٧٨٤
			ش٢	٨٢٠
			ش٢	١٠٢٨
	٧:		ش٢	٨٧٠
			ش٢	٨٧١
	٩:		ش٢	٨٧٠

قضاة

٦	١٢:		ش١	٢٠٦
٧	٢٤:		ش١	١٣٦
١١	٣٤:		ش١	١٠٢
١٤	١١:	–١٢	ش١	١٧١
١٩	٥:		ش١	٤٠٢

كولوسي (رسالة)

١	١٢:	–١٣	ش٢	٨٨٣
			ش٢	١٠٢٨
	١٣:		ش١	٢١١
	١٥:		م	١٠٧
			ش١	٨٤
	١٥:	–١٧	م	٢٠٤
	١٥:	–٢٠	ش١	٢٣
	١٦:		ش١	٦٢
	١٦:	١٧	ش١	٣٩
			ش١	٤١
			ش١	٤٣
	١٨:		م	١٣٢
			ش٢	٨٩٤
			ش٢	١٠٦٤
	١٩:		ش١	١١٠
	١٩:	–٢٠	ش١	١١١
	٢٠:		ش١	٧٤٩
			ش٢	٨٧٠
	٢٠:		ش٢	٨٧٤
			ش٢	١٢٣١
	٢٤:		ش١	٣١٠
٢	٩:		م	١٨٦
			ش١	٨٦
			ش١	٩٢
	٩:	–١٠	ش١	١١١
			ش١	٦٤٥
			ش٢	٨٩٤
			ش٢	١٠٧٩
٢	١٠:		ش١	٩٢
			ش٢	١٠٨١
	١٤:	–١٥	ش١	٥٤
	١٥:		م	٩٨
			ش٢	٨٨٩
٣	١:		ش١	٢١٧
	١:		ش٢	١٠٥٣
			ش٢	١٣٢٣
	١:	–٤	ش١	٦٧٩
	٢:	–٤	م	١٣١
	٤:		ش١	٦٨٠
			ش٢	٧٨١
			ش٢	٨٢١
			ش٢	٩٧٢
			ش٢	١٠٢٨
			ش٢	١٠٨٩
	٩:	–١٠	ش٢	١٢٨٩
	١٤:		ش٢	٩٢٢
	١٥:		ش٢	٨٧١
	١٧:		ش١	٣٥٤
٤	٢:		ش٢	٩٨٥

كورنثوس الأولى (رسالة)

١	٤:	–٧	ش٢	٩٧٨
	٢١:		ش١	٥٢
			ش٢	١٠٩٢
	٢١:	–٢٤	م	٢٠٤
	٣٠:		م	١١٠

١	٣٠:		م	٣٩٣
			ش١	١٩١
			ش٢	٨٤٣
			ش٢	١٠٨٠
٢	٨:		م	١٢٥
	٩:		ش٢	١٠٨٨
	٩:	-١٠	ش٢	٨٦٢
	٩:	-١٢	ش٢	٨٥٢
	١٠:		م	١٤٧
			ش٢	١٣٠٩
	١١:	-١٩	ش٢	٨٤٩
	١٦:		ش٢	٨٦٨
			ش٢	٩٧٨
			ش٢	١٠٨٠
٣	١:	-٢	ش١	٢٢٤
	٧:	-٨	ش٢	٨٩٨
٤	٧:		ش٢	١٣٤٧
٥	٥:		ش٣	١٢٩٣
	٧:		ش١	٨٧
			ش١	١٢٩
	٧:	-٨	ش٢	١١٤٨
			ش٢	١١٨٨
٩	٤:	-٩	م	٣٠٤
	١١:		ش٢	١٢٨٨
	١٣:		ش١	٤٢٢
	١٤:		ش٢	١٣٢٢
	١٥:		م	٥٩
	١٧:		م	١٤٣
			ش١	٨٣
			ش١	٥٢١
			ش١	٧٦٠
			ش٢	٨٢٤
			ش٢	٨٦٠
	١٩:		م	٥٩
٧	٢٩:	-٣٢	م	٤٠٤
٨	٣:		ش١	٩٢٢
	٩:		م	٧٠٤
			م	٢٣٦
			م	٢٣٧
٩	١:		ش١	٧٨
١٠	٣:	-٤	م	٢٨١
			ش١	٤٤٩
	٣:	-١٠	ش١	٤٣٩
	٤:		ش١	٣٢٩
	٥:	-٦	م	٢٨١
	٧:	-٨	م	٢٧٥
			ش١	٤٤٩
			ش١	٤٧٨
	١٣:		ش١	٦٩٣
	١٦:		ش١	٤٠٣
	١٩:	-١٧	ش٢	١٠٧٩
	٢١:		ش٢	١١٦٤
١١	٢٤:		ش٢	١٠٦٤
	٢٦:		م	٢٨٣
			ش٢	٧٨٦
	٢٦:		ش٢	١٢٢٥
	٢٧:		ش٢	٧٩٦
١٢	٣:		م	٢٢٦
			ش٢	٨٦٩
	١٢:		ش٢	١٠٧٩
	٢٧:		م	٥٩

١٢	٢٧:		ش٢	٨٩٤
	٣١:		ش٢	١٠٧٣
١٣	٩:		م	١٥٠
	١٢:		ش٢	١٠٨٨
	١٢:	-١٣	م	١٥٠
	١٣:		ش٢	١٣٤٥
١٤	٣٢:		م	٤٠٠
١٥	٣:	-٨	ش٢	١٣١١
			ش٢	١٣٢١
	١٢:	-١٥	ش٢	١٣٢٢
	١٥:		ش١	١٩٧
	١٧:	-١٨	ش٢	١١١٢
	١٨:		ش١	٦٦٩
	٢٠:		م	١٣١
	٢١:		ش١	٣٦٤
	٢٣:		م	١٣١
	٢٤:		ش١	٦٣٩
	٢٥:	-٢٦	ش١	٣٤١
	٣٣:		م	٤٠
	٤١:		ش٢	١١١٥
	٤٢:	-٤٤	ش١	٣٦٨
			ش٢	١٢٥٣
	٤٩:		م	١٣٣
	٥٥:		م	٤٠٤
			ش٢	٩٧٦

كورنثوس الثانية (رسالة)

١	٣:		ش٢	١٢٧٢
	٢٢:		م	١٣٢
			ش١	٤١٨
٢	٧:		ش٢	١٢٩٣
	١١:		ش١	٧٤٧
			ش٢	١٠٥٠
			ش٢	١٠٥٦
	١٥:		ش٢	٩٠٠
			ش٢	١٠٦٣
			ش٢	١٢٤٥
	١٥:	-١٦	م	١٣٢
			ش١	٧١٥
	١٦:		ش٢	١٠٦٢
٣	٦:		م	١٣٢
			م	٢٣٩
	١٨:		م	٤٢٤
			م	١٢٥
			ش٢	١٠٨٩
٤	٢:	-٤	ش٢	٨٨٨
	٦:		ش١	٧٦٩
	١٠:		م	١٣٣
	١١:		م	١٢٢
	١٤:		ش٢	١٣٣٣
	١٦:		م	١٢٥
٥	١:		ش١	٩٣
			ش٢	٨١٨
	١:	-١٠	م	١٣٤
	٢:		ش٢	٨١٨
	١٠:		ش١	٣٦٦
	١٤:		ش٢	٩٨٨
	١٥:		ش٢	١٠٧٥
			ش٢	١٣٢٢
	١٧:		ش١	١٧٥
			ش٢	١٢٧٢
			ش٢	١٢٨٩

٥	١٨:	-٢٠	ش٢	١٠٨٤
	١٩:		ش١	٧٩
			ش٢	٨٧٨
	٢١:		ش٢	١٠٨٤
٦	٩:		م	١٣٣
	١٦:		ش٢	٨٦٦
٨	٩:		م	٣٠٧
١١	٣:		ش١	٥٣
	١٣:	-١٥	ش١	٦١٥
	٢١:	-٢٧	ش٢	١٠٤٩
	٢٣:		ش٢	٩١٦
	٢٣:	-٢٦	ش٢	٩١٦
	٣٣:		ش١	٤٠٢
١٢	١:	-٤	ش٢	٨٦٢
	٤:		ش٢	١٠٨٨
	٧:		ش٢	٨٩٩
	٩:		ش١	٦٦٣
			ش٢	٧٩٢
١٣	١١:		ش٢	٨٧٠

لاويين

٨	٨:		ش١	٧٠٥
١١	٤٤:		م	٢٢٦
	٤٤:	-٤٥	م	١٥٧
١٤	٥:	-٧	م	٢٧٧
١٦	٢:		ش١	٩٤
١٧	١٠:		م	٢٦٦
	١١:		م	٢٨٧
			ش٢	١٢٩٥
	١٦:		م	٢٦٦
١٩	١٢:		م	٢٢٦
	١٤:		م	٢٢٧
	١٨:		ش١	٢٦٧
			ش٢	٨٠٤
	٢٣:	-٢٥	ش٢	٩٠١
٢٠	١٠:		ش١	٥١١
٢١	١٠:	-١٢	ش١	٧١٨
٢٣	٩:	-١١	ش٢	١٢٢٠
	١٥:	-٢١	ش٢	١١٤٩
	٢٤:	-٣٦	ش١	٤٧٥
٢٤	١٦:		م	٢٢٠
			م	٢٢١
			ش٢	١١٧٩
٢٥	٢٣:		ش١	٦٥
	٥٥:		ش١	٦٥
٢٦	١١:	-١٢	ش٣	٨٦٦

لوقا (إنجيل)

١	١:	-٤	م	٣٩٥
	٥:		م	٣٨
	١١:		ش٢	١٣٣٥
	١٧:		ش١	١٢٠
	٣٢:		م	٢٣
	٣٥:		م	٢٣
			م	٤٠٤
			ش١	٩٥
			ش١	١٠٣
			ش١	١٤٥
			ش١	٤١٨
			ش٢	٨٥٤
	٣٦:		م	٣٨
	٤١:	-٤٢	ش١	١٠٨
	٤٦:		ش١	١٧٢

	٤٦:	-٤٧	ش١	٥٧٠
	٤٦:	-٥٥	ش١	٥٧١
	٥١:	-٥٣	ش١	٥٩٨
			ش١	٦٠٣
	٥٤:	-٥٥	ش١	٥٧٠
	٥٩:	-٦٦	ش١	٥٥
	٦٧:	-٧٩	ش١	٦٠
	٧٦:	-٧٧	ش١	١٢٥
	٧٩:		ش٢	٧٨٧
			ش٢	٨٧١
	٨٠:		ش١	١٤٣
١	١١:		ش١	٥٨٨
	١٢:		ش٢	١٢٧١
	٢٥:	-٣١	ش٢	١٠٣٣
	٢٩:	-٣٠	ش١	٤٨٥
	٣٢:		م	٩٣
			ش١	٥٢
	٣٤:		ش١	٤٦٠
			ش١	٧٤٦
	٣٤:	-٣٥	ش٢	١٢٠٩
	٣٥:		م	٣٢
	٣٦:	-٣٨	ش٢	١٠٣٣
	٣٧:		ش١	١٨٧
	٤٦:		ش١	١٨٧
	٤٩:		ش١	١٩١
			ش٢	١٠١١
	٤٩:	-٥١	ش١	١٨٠
	٥٢:		م	٣٣٩
			م	٤١٢
١	٢:		ش١	٧٠٢
			ش٢	١١٢٦
	٨:		ش٢	١٢٩٩
	١٥:		م	٣٥٠
			ش١	٥٦
			ش١	١٣٠
	١٦:		م	٢٣
			ش١	١٠٩
	١٨:		ش٢	١٣١٢
	١٩:		ش٢	٩٥٨
	١:		ش١	٢١٨
	١:	-٢	ش٢	١٣٤٨
	٥:	-٦	ش٢	٨٨٨
	١٠:	-١١	ش٢	٧٨٧
	٢٢:		ش١	٤٨٥
	٢٥:		ش١	٣١٩
	١:	-١١	م	٣٥٠
	٤:	-٧	ش٢	١٣٣٩
	١٠:		ش٢	١٣٣١
	٥:		ش١	٣٣٥
	١٢:		ش٢	١١٠٧
	١٢:		ش١	١٠٢
	١٥:		ش١	٦٩٧
	٢٢:		م	١٤١
			م	٤٠٨
			ش١	٦٥٨
	٢٢:	-٢٣	م	٢٩٠
	٢٦:		ش١	٦١٠
	٢٦:	-٢٨	ش١	٥٨
	٢٩:	-٣٠	ش١	٣٧٥
	٣٠:		ش١	٢١٥
	٣٦:	-٣٩	ش١	٦٥٨

٧	٣٦:	-٥٠	م	٣٥١
	٤٦:		ش١	٦٦٢
	٤٧:		ش٢	٨٦٠
٨	١٠:		ش١	٤٥٦
	١٥:	-١٨	ش٢	١٠٣٤
	١٨:		ش٢	٨٠٩
	٤١:	-٤٢	ش١	١٠٢
	٤٦:		ش١	٦٨٥
	٥٥:		ش١	٦٩٧
٩	١٠:		ش١	٣٩٣
	١٠:	-١٧	ش١	٣٩١
	١٢:		م	٢٩٨
	١٧:		ش١	٤٠١
	١٨:		م	٤٠٢
	٢٠:	-٢١	م	٩١
	٢٦:		ش١	١٠٣
			ش١	٤٦٣
	٢٨:	-٣٥	ش١	٩٧
	٣٠:	-٣١	ش١	١٣٩
	٣٠:	-٣٣	ش١	٤٧٦
	٣٥:		ش١	٧٤٥
	٤٤:		ش٢	١١٥٨
	٤٥:		ش٢	٩٨٤
	٥١:		ش٢	٧٧٧
	٥٢:	-٥٦	ش١	٢٦٩
	٥٣:	-٥٤	م	٣٣
	٦٠:		م	٤٠٤
١٠	٥:	-٦	ش٢	٨٧٣
	٦:		ش٢	٨٧١
	٩:		م	٢٩٠
	١٦:		م	٢٠٠
	١٧:		ش١	٧٢
	١٩:	-٢٠	ش١	٦١٠
	٢١:		ش١	٥٩٨
			ش١	٦٨٧
	٢١:	-٢٤	ش٢	٨٣٢
	٢٢:		ش٢	٨٣١
	٢٣:	-٢٤	ش١	٣١٠
	٢٤:		ش١	٤٠٠
	٣٣:	-٣٦	ش١	٢٦٧
	٣٦:	-٣٧	ش٢	٨٠٦
	٣٨:		ش١	٦٦١
			ش١	٦٧٥
	٣٨:	-٣٩	ش١	٤٨٢
	٣٨:	-٤٠	ش١	٦٦٥
	٣٨:	-٤٢	م	٣٥١
			ش١	٦٥٨
	٤٠:		ش٢	١٣٥٢
	٤٢:		ش٢	٨٦٠
			ش٢	١٣٥٢
١١	١٣:		ش٢	٩٨٠
	١٥:		ش١	٥٦٤
	٢٠:		م	٢٩٠
	٢٩:		ش١	٦٤٨
١٢	٦:		ش١	٤٣
	١١:		م	٢٤٨
	١٣:		م	١١٠
	٣١:		ش٢	٩١٠
	٣٩:		م	٣٥٣
	٤٩:		ش٢	٩٥٩
	٥٠:		ش٢	٧٩٤

١٢	٥٠:		ش٢	١٢٢٩
١٣	٣:		ش٢	١٢٩٩
	٢٧:	-٢٨	ش١	٣٥٢
	٣٤:		ش١	٤٩٦
١٤	١١:		ش١	١١٣
	١٦:	-٢٣	ش١	٢٨١
	١٦:	-٢٣	ش١	٣١١
	٢٤:		ش١	٣١١
١٥	٥:		ش١	٦٢٢
	٧:		ش٢	١٢٩٩
١٦	١٥:		ش١	٦٠٣
	١٩:	-٣١	ش١	٦٥٧
	٢٢:	-٣١	ش١	٥٧٥
	٣١:		ش١	٦٩٧
١٧	٣:	-٤	ش٢	١٢٩٩
	١٥:	-١٨	ش١	٢٦٧
	٢١:		ش١	٢١١
	٢٤:		م	٣٣
	٢٥:		ش٢	٨٤٧
١٨	١٢:		ش٢	١٢٥٩
	١٤:		ش١	١١٣
	٢٨:		ش١	٤٦٧
	٢٩:		ش١	٢١٠
	٣٤:		ش٢	٩٨٤
١٩	٣٠:		ش١	٧٢٩
	٣٧:	-٤٤	ش١	٧٢٤
	٣٨:		ش١	٧٢٩
			ش٢	١١٥٧
	٣٨:	-٣٩	م	٣٥١
	٣٩:	-٤٠	ش٢	١١٥٧
	٤١:		ش١	٦٨٧
			ش١	٦٨٩
	٤١:	-٤٢	ش١	٧٠٨
	٤٦:		ش١	١٩١
			ش١	١٩١
٢٠	١٢:		ش١	١٦٢
	١٤:		ش٢	١١٧٧
	٣٨:		ش١	٦٧٣
٢١	٢٢:	-٢٤	م	٥٤
	٢٤:		ش١	٢٣٣
	٣٧:		ش٢	١١٠٧
	٣٧:	-٣٨	ش١	٥١٠
٢٢	٣:		م	٣٥٣
	١٥:	-١٦	ش٢	١١٥٠
	١٨:		ش٢	٨٩٣
	٢٤:		ش٢	٧٩٥
	٢٤:	-٢٦	ش٢	١٣٤٥
	٢٤:	-٢٨	م	٣٥٢
	٢٧:	-٣٠	ش٢	٧٨٧
	٢٨:		ش٢	٧٨١
	٢٨:	-٣٠	ش٢	١٠٨٣
	٢٩:		ش٢	٨٨٥
	٢٩:	-٣٠	ش٢	١٣٣٨
	٣١:	-٣٤	ش٢	١٣٤٤
	٣٢:		ش١	٤٧١
			ش٢	١١٣٣
			ش٢	١٣٤٦
	٣٥:		م	٣٥٢
	٣٥:	-٣٦	ش٢	١٣٣٢
	٤٢:		ش١	٤٤٦
	٤٣:		ش٢	١٢٧١

٢٢	٤٤:		ش١	٧٣٥
	٥١:	-٥٣	ش٢	١١١٣
	٥٣:		م	٣٥٣
			ش١	٥١
			ش١	٦٦٧
			ش١	٧٣٤
			ش٢	٧٧٧
			ش٢	٧٩٨
			ش٢	١١٨٥
	٥٦:		ش٢	١١٣٤
	٥٨:	-٦٠	م	٣٥٤
	٦٠:	-٦٢	ش٢	١١٤٢
	٦٣:	-٦٥	ش٢	١١٤٠
	٦٦:		ش٢	١١٠١
٢٣	٢:		م	٩٠
			ش١	٤٨٣
			ش٢	١١٣٥
			ش٢	١١٥٥
	٤:		م	٣٤١
	٤:	-٢٢	م	٣٥٤
	١١:		م	٣٤١
			ش٢	١١٧٤
	١٣:	-٢٣	ش٢	١١٦٥
	١٤:		ش١	٤٨٣
	١٤:	-١٥	ش٢	١١٤٤
	١٩:		ش٢	١١٦٦
	٢٢:		ش٢	١.١٤٤
			ش٢	١١٧٠
	٢٥:		ش٢	١١٩٢
	٢٦:	-٢٧	ش٢	١١٩٧
	٢٧:		ش٢	٩٧٥
	٢٧:	-٣١	ش٢	١١٩٤
	٢٨:		ش١	٦٨٨
	٣١:		ش١	٧٢٢
	٣٣:		ش٢	١١٩٩
	٣٤:		ش١	٥٢٨
			ش٢	٩٣٣
			ش٢	٩٥١
			ش٢	١٢٠٠
			ش٢	١٢١٨
	٤٠:		ش٢	١٢٠٠
	٤٢:		ش٢	١٢٠٠
	٤٣:		ش٢	١٢٠٠
			ش٢	١٢١٨
	٤٤:		ش٢	١١٠٢
	٤٦:		ش١	٧٤٠
	:		ش٢	١٢١٨
	٥٠:	-٥١	ش١	٧٠٧
			ش٢	١١٢٩
			ش٢	١٢٤٠
	٥٥:	-٥٦	م	٢٨
٢٤	٥:		ش٢	١٢٥٤
			ش٢	١٢٥٤
			ش٢	١٢٧٣
	٥:	-٦	ش٢	١٢٢٣
			ش٢	١٢٧٠
	٦:	-٧	ش٢	١٢٧٣
	٧:		ش١	١٩٧
	١٠:	-١١	ش٢	١٢٦٣
	١٢:		ش٢	١٢٥٤
			ش٢	١٢٦٢

٢٤	١٢:		ش٢	١٢٦٣
	١٣:	-٣٥	ش٢	١٣١٥
	١٥:	-٣٢	م	١٢٤
	١٦:		ش٢	١٣٠٩
	١٧:	-٢٣	ش٢	١٢٨٢
	١٩:	-٢١	ش٢	٩١٥
	٢٢:	-٢٣	ش٢	١٢٦٢
	٢٢:	-٢٤	ش٢	١٢٦٣
	٢٤:		ش٢	١٢٦٢
	٢٥:	-٢٦	ش٢	١٢٥٤
	٢٦:		م	١٢٧
			ش١	٣٤١
			ش٢	٨٨٣
			ش٢	٩٥٢
			ش٢	١٠٨٣
			ش٢	١٢١٦
			ش٢	١٢١٨
	٢٧:		ش١	٣٨٠
			ش٢	١٢٨٢
	٣٠:	-٣١	ش٢	١٣٠٩
	٣٣:		ش٢	١٢٨٠
	٣٦:	-٣٨	ش١	٦٩٦
	٣٦:	-٤٣	ش٢	١٢٥٤
	٣٩:		ش٢	١٢٧٥
	٤١:	-٥١	م	٣٤١
	٤٢:	-٤٣	ش٢	١٣٣٠
	٤٤:		م	٣٨٠
	٤٤:	-٤٥	ش١	١٩٨
			ش٢	٨٤٦
	٤٥:		ش٢	١٠٤٢
			ش٢	١٣٠٩
	٤٥:	-٥١	ش٢	١٣٢٧
	٤٦:		ش٢	١٢٩٨
	٤٦:	-٤٧	ش٢	١٢٩٣
	٤٩:		م	٣٥٥

متى (إنجيل ،)

١	١:		م	٣٣٩
	١٨:		م	٣٣٩
	٢٠:		ش١	٤١٨
	٢٣:		م	٢٣
			ش١	٤٦٣
			ش١	٥٨١
٢	١:	-٢	ش٢	١١٦٠
	٢:		ش١	٧٣٣
	١١:		ش٢	١٢٤٣
	٢٢:	-٢٣	ش١	١٨٠
٣	١:		ش١	١٣٦
	٢:		ش١	٢١٠
			ش١	٢١١
	٧:		ش٢	١١٢٥
	٧:	-٩	ش١	١٢٩
	٧:	-١٢	ش١	٥٧٥
	٩:		ش١	٧٤
	١١:		م	٢٣
			ش١	١٠٩
	١٣:	-١٥	ش١	١٤٢
	١٤:	-١٥	ش٢	١٢٣٢
	١٥:		ش٢	٧٨٢
	١٧:		ش١	١٤٦
			ش١	٢٥٨
	٥٤:		ش١	١٨٢

٤	١:		ش١	١٨٧
	٢:		ش١	٦٨٧
	٣:		ش١	٣٩٧
	٤:		م	٤٠٧
	٩:		ش١	٤٧١
	١٠:		ش١	٤٧١
	١١:		ش٢	١٢٧١
	١٣:		ش١	١٨٠
	١٧:		ش١	١٦٨
			ش١	٢٠٢
			ش١	٢١١
	١٨:	-٢٢	ش١	١٥٦
	١٩:		ش١	٢١٠
٥	٣:		ش١	٢١٠
	٨:		ش٢	٨٢٠
	١٤:		ش١	٥٢١
			ش٢	٩٢٢
	١٤:	-١٦	ش١	٥٩٠
	١٦:		م	١٠٩
			ش١	٦١٧
			ش٢	٩١٢
			ش٢	٩٥٩
	١٧:		م	٩٧
			م	١١٥
			ش١	١١٦
			ش١	٥١٣
	١٧:	-١٨	ش١	١١٦
	١٩:		ش٢	٨٦٠
	٢١:م		ش١	١٦٤
			ش٢	١١٢٤
	٢١:	-٤٣	ش١	١٦٤
			ش١	١٨٢
	٣٨:	-٣٩	ش١	١١٦
	٤٢:		ش٢	١٠٧٥
	٤٣:	-٤٥	ش٢	٨٠٦
	٤٤:		ش٢	٨٠٦
			ش٢	١٠٧٧
			ش٢	١١٥٩
	٤٥:		ش١	٥٢
٦	٨:		ش٢	٩٩٢
	١٠:		ش١	٢١١
	١٣:		ش٢	١١١٢
	٣٢:		م	٢١٥
٧	٧:		ش١	٤٩٦
			ش٢	٩٨١
	٨:		ش١	٤٨٥
	١٩:	-٢٠	ش١	٣٦٥
	٢٩:		ش١	١٠٠
٨	١١:		ش١	٢١٠
	١١:	-١٢	ش١	٥٧٥
			ش١	٦٢٥
	١٢:		ش٢	٩٠٩
	١٦:	-١٧	ش٢	٩٣٧
	٢٢:		م	٣٠٥
			م	٤٠٤
			ش١	١٥٧
٩	٦:		ش١	٣٥٣
			ش١	٦٣٣
	٢٧:		م	٣٣٩
	٣٠:		ش١	٦٨٤
			ش١	٦٨٥

٩	٣٤:		ش١	٥٦٤
	٣٧:	-٣٨	ش١	٣٠٧
١٠	٣:		ش٢	١٢٠٨
	٧:	-٨	م	٢٩٠
	١٢:	-١٣	ش٢	١٢٨٥
	٢٥:		ش١	٧٣٩
			ش١	٧٣٩
			ش٢	٩٣٢
	٢٧:		ش٢	١١٣٧
	٢٩:	-٣١	ش١	٤٣
	٣٣:		ش٢	٩٤٨
	٤٠:		م	٢٠٠
١١	١:	-٦	ش١	٢٥٦
	٢:	-٦	م	٤٠٨
	٥:		م	١٤١
	٦:		م	١٨٥
			ش١	٧٨
	١١:		ش١	١٤٢
	١٢:	-١٥	ش١	٥٨
	١٤:		ش١	١٣١
	١٤:	-١٥	ش١	٣٥٦
	٢٠:	-٢٤	ش١	١٨١
	٢٧:		م	١٦٢
			ش١	٤٣٦
			ش٢	٩٤٢
	٢٨:		م	١٤٣
	٢٩:		ش١	٥٥٤
			ش٢	٨٥٣
	٢٩:	-٣٠	م	٢٥٤
١٢	١:	-٨	م	٣٤٠
	٦:		ش١	١٨٧
			ش١	١٩٥
			ش١	٢٨٣
	٨:		م	٤١٠
	١٨:		م	١٨٣
	١٩:		ش١	٦٩٦
	٢٠:		ش١	٣١٨
			ش١	٣١٨
			ش١	٣٣٢
	٢٨:		م	٢٩٠
			ش١	٢١١
	٣٠:		ش١	٤٦١
	٣٩:	-٤٠	ش٢	١٢٥٠
	٤١:		ش١	٢٨٣
	٤٢:		ش١	٢٨٣
	٤٨:	-٥٠	ش١	٣٠٥
١٣	٩:		م	١٤٧
	١٤:	-١٥	ش١	٧٥٦
	١٧:		ش١	٤٢٨
	٢٠:	-٢١	ش١	٢٠٠
	٣٧:	-٣٩	ش١	٥٥٥
	٤٣:		م	١٤٧
			ش٢	٨٢٠
			ش٢	٨٢٠
	٤٤:		ش٢	١٠٣٤
	٤٦:		ش٢	١٠٣٤
	٤٧:	-٤٩	ش٢	١٣٣٩
	٥٤:		م	٣٤٠
			ش١	٤٨٥
	٥٥:		ش١	١٨٠
			ش١	٤٧٨

١٣	٥٥:	-٥٦	ش٢	٨٣٣
	٥٨:		م	١٤٦
١٤	١٣:	-٢١	ش١	٣٩١
	١٥:		م	٢٩٨
	٢٠:		ش١	٤٠١
	٢١:		م	٢٩٧
	٢٢:		ش١	٤٠٨
	٢٥:	-٢٨	ش١	٤١١
	٣٠:	-٣١	ش٢	٨١٦
١٥	٩:		م	٩٣
	١٤:		م	٨٢
			م	٩٤
			ش١	٦٠٢
	٢٤:		ش١	٦٩
١٦	٤:		ش١	١٩٤
	٩:		ش٢	١٢٠٤
	١٣:		م	٤٠٢
	١٥:	-١٩	ش٢	١٣٢٦
	١٧:		ش١	٤٨
			ش١	١٤٩
			ش٢	٨٣١
	١٨:		ش١	٧٠
			ش٢	٩٩٦
			ش٢	١٣٤٦
			ش٢	١٣٥٢
	١٩:		م	١٦٦
	٢٢:	-٢٣	ش١	٤٧١
			ش٢	١١١٣
١٧	٢:		ش١	٩٨
	٢:	-٣	م	٨٨
	٥:		ش١	٨٢
			ش١	٦٩١
			ش٢	١٠٩٠
			ش٢	١٢٠٠
	١٠:		ش١	١٣٣
	١٠:	-١٣	ش١	٥٨
	١١:	-١٣	ش١	١٢٣
	١٢:		ش١	١٣١
١٨	١٥:		ش٢	٩٥٧
	١٥:	-١٧	ش٢	١٢٩٦
	٢٠:		ش٢	١٣٠٤
	٢١:	-٢٢	ش٢	١٢٩٧
١٩	١:		ش١	٤٨٢
			ش١	٦٥٠
	١٧:		ش١	٤٨٣
	٢٧:	-٢٩	ش١	٧٣٩
	٢٨:		ش١	١٤٢
			ش١	١٦٤
			ش٢	٨٨٥
			ش٢	٨٨٧
٢٠	٣:	-٤	ش٢	٩٢٧
	١٥:		ش١	٤٧٠
	١٦:		ش١	٤٦٠
	١٨:	-١٩	ش٢	١١٥٥
	٢٠:	-٢١	م	٢٨
	٢٣:		ش٢	١٢٨٥
	٢٨:		ش١	٧٤٠
٢١	٢:	-٧	ش١	٧٢٨
	٩:		ش٢	١٢١١
	١٠:	-١١	م	٢٩٨
			ش٢	١١٥٦

٢١	١٣:		ش١	١٩١
			ش٢	٨١٧
			ش٢	١١٠٣
	١٥:		ش١	١٩٠
	١٥:	-١٦	ش٢	١١٥٧
	١٦:		ش١	١٩٠
	١٨:		ش٢	٩٠٩
	٣٨:		ش٢	١١٨٤
	٤١:		ش٢	٩٠٨
٢٢	٢:	-١٤	ش١	١٦٨
	١١:		ش١	٦١٠
	١١:	-١٢	ش٢	٧٨٣
	١٣:	-١٤	ش١	٤٦٠
	١٥:		ش٢	٩٣٢
	٣٧:	-٤٠	ش٢	٩٢٢
	٤١:	-٤٤	م	٢٣٦
٢٣	٣:		ش١	٦٠٣
	٩:		ش١	٧٤
			ش١	٥٧٥
	١٢:		ش١	١١٣
	١٣:		م	٩٧
	١٤:		ش١	٦١٣
	١٦:	-١٧	ش١	١٨٧
	٢٤:		ش١	٣٣٦
			ش٢	١١٤٧
	٣٢:		ش١	٧٥٥
	٣٥:		ش١	١٨٧
	٣٧:		ش١	١٨٦
	٣٧:	-٣٨	ش١	١٩٤
	٣٨:		ش١	١٩١
٢٤	١:		ش١	١٨٧
	٢:		ش١	١٩٤
	١٥:		ش١	٥٨١
	٢٨:		ش٢	١١٨٣
	٣٠:		ش١	٩٩
٢٥	١:		ش١	٦١٣
	١:	-١٣	ش١	١٦٨
			ش١	٢١٠
	٢١:		ش١	٣٥٠
	٣٣:		ش٢	١٣٣٥
	٣٥:	-٤٠	م	٢٠٠
	٤٠:		ش١	٧٢١
٢٦	٥:		ش١	٤٨٣
	٦:		ش١	٧١٦
			ش١	٧١٨
	٦:	-١٣	ش١	٦٥٨
	٧:		ش١	٦٦١
	١٣:		ش١	٦٦١
	١٤:	-١٦	ش١	٦٢٤
	١٧:		ش٢	١١٥٠
	١٨:		ش٢	١١٠٦
	٢٦:		م	٤٠٧
			ش٢	٩٢٥
	٢٧:	-٢٨	ش١	١٦٩
	٢٨:		ش٢	١٠٦٤
			ش٢	١٢٢٥
			ش٢	١٢٣٤
	٢٩:		ش١	١٧٨
			ش٢	٨٩٣
	٣١:		ش٢	٩٩٤
	٣١:	-٣٢	ش١	٦١٩

٢٦	٣١:	-٣٥	ش٢	١٣٤٣
	٣٣		ش٢	١٣٤٤
	٣٦	-٣٩	م	٣٤٠
	٣٨		ش١	٦٨٧
			ش١	٧٣٥
			ش١	٧٤٠
			ش٢	١١٩٥
	٤٩	-٥٠	ش١	٧٠٨
	٥٠		ش١	٧٢٠
			ش٢	٧٨٠
	٥٣		ش١	١٦٢
	٥٣	-٥٤	ش٢	١١٠٨
	٥٦		ش٢	٩٩٤
	٥٧	-٦٤	ش٢	١١٣٧
	٥٩	-٦٠	ش١	٧٠٨
			ش٢	١١٣٨
	٦٢	-٦٣	ش٢	١١٣٨
	٦٣	-٦٥	ش٢	١١٢١
	٦٥	-٦٨	ش٢	١١٣٩
	٦٦		ش٢	١١٢١
	٧١		ش٢	١١٣١
	٧٤		ش٢	١٣١٠
٢٧	١:		ش٢	١١٠١
	١	-٢	ش٢	١١٤٦
	٣	-٧	ش١	٦٢٤
	٥		ش١	١٨٧
	١١		ش٢	١١٤٤
	١٨		ش٢	١١٢٩
			ش٢	١١٦٦
	١٩		ش٢	١١٠٩
			ش٢	١١٥٣
			ش٢	١١٧٨
	٢٠		م	٢٩٨
			ش٢	١١٠٩
	٢٣		ش٢	١١٤٤
	٢٤		م	٢٧٨
			ش٢	١١٤٤
	٢٤	-٢٥	ش٢	١١٨٧
	٢٤	-٢٥	ش٢	١١٩٣
	٢٥		م	٢٧٨
			ش١	٦٨
			ش١	٧٠٥
			ش٢	٩٣٥
	٢٦		ش٢	١١٩٢
	٢٨	-٣٠	ش٢	١١٧١
	٣٠		ش٢	١١٧٤
	٣١		ش٢	١١٧٢
	٣٤		ش٢	١٢١٦
	٣٧		ش٢	١٢٠١
	٣٩	-٤٣	ش٢	١١٩٨
	٤٢		م	٩٠
			ش١	٧٠٥
	٤٥		ش٢	١١٠٢
	٤٦		ش٢	١٢١٨
	٥١		ش١	١٨٧
	٥٢	-٥٣	ش٢	١٢١٥
	٥٥	-٥٦	م	٢٨
			ش٢	١٢٠٧
	٥٩		ش٢	١٢٤٦
	٥٩	-٦٠	ش٢	١٢٤٠
	٦٢	-٦٤	ش١	١٩٤

٢٨	٥:	-١٠	ش٢	١٣١٥
	٩		ش٢	١٢٦٢
	١٠		ش٢	١٢٥٣
	١٦	-١٩	ش٢	١٣١٦
	١٧		ش٢	١٢٥٣
			ش٢	١٣٠١
	١٨		ش١	٦٣٣
			ش١	٦٣٣
			ش٢	١٢٠٤
	١٨	-١٩	ش٢	٨٨٤
	١٨	-٢٠	ش٢	٩٤٤
	١٩		م	٢١٧
			ش١	٧٢
			ش٢	٧٨١
			ش٢	٩١١
			ش٢	١٠٤٥
			ش٢	١٢٣٣
	١٩	-٢٠	ش٢	١٣٢٦
	٢٠		م	٢٩٢
			ش١	٩٦
			ش٢	٨٠٢
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٨٥٩
			ش٢	٨٦٥
			ش٢	٩٥٥

مرقس (إنجيل)

١	١		م	٢٣
	١	-٤	ش١	١٢٥
	٤	-٨	م	٣٤٧
	٧		م	٣٤٧
			ش١	١٠٩
	٨	-١١	م	٣٤٨
	٩		ش١	١٨٠
	١٠	-١١	م	٢٤٩
	١٣		ش١	١٦٢
	١٤		م	٣٤٧
			ش١	١٦٨
	١٤	-١٥	م	٣٣٥
			م	٤١٢
			ش١	٢٤٨
	١٥		ش١	٢٤٧
	١٩		م	٢٩
	٢٠		م	٢٩
			م	٢٩
	٢١		ش١	١٥٦
	٢١	-٢٢	ش١	٤٨٥
	٢٢		م	١٩٥
			ش١	٦١٢
	٢٩		ش١	١٥٦
	٣٢	-٣٤	ش٢	٩٣٧
	٤٢	-٤٣	ش١	٦٨٤
	٤٣		ش١	٦٨٥
٢	١٨:	-٢٠	ش١	١٦٨
	٢٧		م	٤١٠
	٢٧	-٢٨	ش١	٣٤١
	٢٨		ش١	٣٣٥
٣	٥:		ش١	٦٨٧
	١٦	-١٩	ش١	١٥٧
	١٧		م	٣٢
	١٨		ش١	٢٥٩
	٢١	-٣١	ش١	٤٧٨

٣	٢٨:	-٣٠	ش١	٥٦٤
	٣٠		ش١	٥٦٤
٤	١٢:		ش١	٧٥٦
	١٩		ش١	٢٤٥
	٣٧	-٤١	ش١	٤١١
	٣٨		ش١	٦٦٦
	٣٨	-٤١	م	٢٨٠
	٤٠:		ش١	٤١١
٥	٢٧:	-٣٠	ش١	١٧٦
	٣٠		ش٢	٩٤٠
٦	١:		م	٣٤٠
	١	-٤	ش١	١٨٢
	١	-٦	ش١	١٨١
	٣		ش١	١٨٠
	٢١		ش١	٤٨٥
	٢٢		ش٢	٩٨٢
	٣٠	-٤٤	ش١	٣٩١
	٣٢	-٤٤	م	٤٠٨
	٣٤		ش١	٣٩٥
	٣٤	-٣٥	م	٢٩٨
	٣٤	-٤٤	م	٣٤٧
	٣٧	-٤٤	م	٣٤٨
	٣٩	-٤٠	ش١	٣٩٨
	٤٢		ش١	٤٠١
	٤٥		ش١	٤٠٨
	٤٥	-٤٦	ش١	٤٠٨
	٤٥	-٥٢	م	٣٤٧
	٤٧	-٤٨	ش١	٤٠٩
	٤٨		ش١	٤١٠
	٥٠		م	٣٤٨
	٥١		ش١	٤١٠
	٥٦		ش٢	٩٣٧
٧	٢:	-٧	م	٢٧٩
	٣	-٤	ش١	١٧٤
	٤		ش٢	١٢٣٤
	٧		م	٩٣
	١٨		ش٢	٩٨٤
٨	٢١:		ش٢	٩٨٤
	٢٣	-٢٥	ش١	٥٩١
	٢٤	-٢٥	ش١	٢٨٩
	٢٧		م	٤٠٢
	٢٩		م	٣٤٧
			م	٣٤٨
	٢٩	-٣١	م	١٩٩
	٣١		ش١	١٩٧
٩	١:		م	٤١٣
	٧		ش١	٧٤٥
	٩		ش١	١٩٧
	١٣		ش١	١٣١
	٢٤		ش١	٣١٦
			ش٢	٩٩٣
			ش٢	١٣٠٦
	٣٠		م	٣٤٧
	٣٢		ش٢	٩٨٤
	٤١		ش١	٢٩٩
	٤٣		م	١٣٠
			م	١٣٠
	٤٧		ش١	٢١٠
١٠	١:		م	٣٤٧
			ش١	٤٨٢
			ش١	٦٥٠

١٠	٢:	-٩	ش١	١١٦
	٦		ش١	٤٠
	١٥		ش١	٢١٠
	١٧		م	١٣٠
			ش١	٢٠٤
	٢٣		ش١	٢١٠
	٣٠		م	١٣٠
	٣٢		م	٣٤٧
	٤٢	-٤٥	ش١	٦١٥
	٤٥		ش١	٧٠٣
	٤٦		م	٣٤٧
	٤٧		ش١	٧٥٩
١١	١	-١٠	م	٣٤٧
	٢		ش١	٧٢٩
	٩		م	٣٤٩
			ش١	٧٥٩
	١٢	-١٤	ش٢	٩٠٩
	١٧		ش١	١٩١
١٢	٨	-١٢	ش١	٧٠٤
	١٨		ش١	٦٧٧
١٣	٢٦		م	١٢٦
١٤	٣		م	٣٤٩
	٣		ش١	٧١٦
			ش١	٧١٨
	٣	-٩	م	٣٤٧
			ش١	٦٥٨
	٥		م	٣٤٩
			ش١	٦٨٤
			ش١	٧١٩
	٦	-٩	ش١	٧٢١
	٧		م	٣٤٩
	١٧	-٢٦	م	٣٤٧
	١٨		م	٣٤٩
	٢٢		م	٤٠٧
	٢٢	-٢٤	ش١	٤٥٤
	٢٤		ش٢	٨٠٠
			ش٢	٨٠٦
	٣٠		م	٣٤٩
	٣٢		ش٢	١٠٠٥
			ش٢	١٠٠٧
	٣٦		ش١	٧٤٢
			ش٢	١٠٨٧
			ش٢	١١١٣
	٤١	-٤٢	ش٢	١١١٠
	٤٢		ش٢	٧٨٨
			ش٢	٨٨٨
	٤٣	-٥٢	م	٣٤٧
	٤٤	-٤٧	ش٢	١١١٢
	٤٧		م	٣٥٠
	٤٨	-٤٩	ش٢	١١٣٧
	٤٨	-٥٢	ش٢	١١٠٦
	٥٣		ش٢	١١٢٢
	٥٦		ش٢	١١٣٨
	٥٨		ش٢	١١٢٧
	٦٠	-٦١	ش٢	١١٣٨
	٦١	-٦٢	م	١٩٩
			ش٢	١١٣٧
	٦٥		ش٢	١١٤٠
	٦٦		ش٢	١١٣١
	٦٧	-٧٢	ش٢	١١٣٤
	٦٨		ش٢	١١٣١

١٤	٦٨:		ش٢	١١٣٢
	٧١		ش٢	٨١٠
			ش٢	١١٣٢
			ش٢	١٣١٠
	٧٢		ش٢	١٣٤٧
١٥	١:		ش٢	١١٠١
			ش٢	١١٢٢
	٣	-٥	ش٢	١١٥٧
	٧		ش٢	١١٦٦
	٩		ش٢	١١٤٤
	٩	-١٠	ش١	٥٤
			ش٢	١١٢٩
١٥	١٠:		ش١	٥٢٨
			ش٢	١١١٧
			ش٢	١١٤٤
	١١		ش٢	١١٦٥
	١٣		ش١	٧٥٩
	١٥		ش٢	١١٧١
			ش٢	١١٩٢
	٢١		ش٢	١١٧٢
			ش٢	١١٩٧
	٢٣		ش٢	١٢٤٣
	٢٥		ش٢	١١٠٢
	٢٦		م	٣٥٠
	٢٧	-٢٨	ش٢	١١٩٩
	٢٩		ش٢	١١٢٧
	٣٢		م	٩٠
	٣٣		ش٢	١١٠٢
	٣٤		ش٢	١٢١٨
	٤٠		م	٢٨
	٤٠		ش٢	١٢٠٧
	٤٢	-٤٣	ش٢	١٢٢١
	٤٣		ش٢	١٢٤٠
			ش٢	١٢٤٢
	٤٤		ش٢	١٢٢٢
١٦	١		م	٢٨
	٢		ش٢	١٢٦٠
	٣	-٤	ش٢	١٢٦١
	٧		ش٢	١٢٦١
	٨		ش٢	١٢٥٤
	١٠		ش٢	١٢٦٩
	١٣		ش٢	١٢٥٤
	١٤		ش٢	٩٩١
			ش٢	١٢٥٤
			ش٢	١٣٠٢
			ش٢	١٣٠٧
	١٥		ش٢	٩٢٧
	١٦		م	٢١٧
	٢٤		ش٢	١٣٠٣

مراثي إرميا

١	١٢:		ش٢	١١٧٦
			ش٢	١١٩٥
٣	١:	-٢٦	ش٢	١١٨٨
٣	٢٤:		ش١	٦٣٨

مزامير

٢	١:	-٢	ش٢	١١٩٢
٧	٩:		ش١	٢٠٠
٨	٢:		ش١	١٩٠
	٤	-٥	م	١٩٩
	٧		ش١	١٩٠
١٤	٣:		ش١	٤٤٠

١٦	٩:	-١٠	ش٢	١٢٦٨
	١٠		ش١	٧٤٠
	١١		م	٣٠٨
			ش١	٣٩٦
			ش١	٤٣٧
١٩	٤:		ش٢	٩٥٩
٢٠	٦:		ش٢	١٣٣٥
٢٢	١:	-١٨	ش٢	١٢٠٤
	١٥		ش٢	١٢١٣
	١٦		ش٢	١١٩٩
	١٦	-١٧	ش٢	١١٩٩
	١٦	-٢٠	ش٢	٩٩٥
	١٩	-٢٠	ش١	١٠٢
	٢٠		ش١	٦٩٠
	٢٢		ش٢	١٠٣٢
٢٣	١	-٢	ش١	٣٩٩
	١	-٣	ش١	٦١٨
			ش١	٦٢٦
	٤		ش١	٦٣٨
٢٥	١٤:		ش١	٤٥٦
			ش١	٦٤٨
			ش٢	١٠٧١
	١٦		ش١	١٠٢
٢٦	٦:		م	٢٧٨
٢٧	١:		م	٣٨٨
			ش١	٤٥
			ش١	٥٢١
			ش١	٥٢٣
٢٩	٣:		م	٣٢
	٤	-٨	ش١	٦٩٥
٣١	١٠:	-١٣	ش٢	١١٧٦
٣٣	٩:		ش٢	٩١٠
٣٤	١٩:	-٢٠	ش٢	١٢٣٧
٣٥	٥:		م	٢٢٨
	١١		ش٢	١١٣٤
	١٥		ش٢	١١٧٤
	١٧		ش١	١٠٢
	١٩		ش١	٦٨
			ش٢	٩٣٨
٣٦	٨:		م	٢٨٥
	٨	-٩	م	٢٧٩
			ش١	٤٢٦
			م	١٢٢
			ش١	٤٤
			ش١	٤٣٣
			ش١	٤٥٢
			ش١	٥٢٤
			ش١	٦٠٢
			ش١	٧٦٠
			ش٢	٨٦١
٣٧	٣٢:		ش١	٣٣٩
٤٠	٦:		ش٢	١٠٦٢
	٨		ش٢	١٠٦٢
٤١	٩		م	١٠١
			م	٣٠٤
			ش٢	١٠٤٧
	٩	-١٠	ش٢	٧٩٢
٤٢	١:		م	٢٧٩
	٢		م	٢٧٩
٤٤	١٧:	-١٨	ش١	٤٦٦
	٢٤		ش٢	٩٨٧

٤٥	٨:		ش٢	١٢٤٣
			ش٢	١٢٤٤
٤٦	١٠:		م	٢٢٦
٤٩	٧:		ش١	٣٣٢
			ش١	٤٢٩
٥٠	١٤:	-١٥	ش١	٦٦٣
٥١	٣:		ش١	٢٨٨
	٧:	-٩	م	٢٧٧
	١٠:		ش١	٢٢١
	١١:		ش١	٢٩٧
٥٤	١٠:		ش٢	٧٧٩
	١٨:		ش٢	٧٧٩
٥٨	٤:	-٥	ش١	٥٦٣
٦٣	١:		م	٢٧٩
			ش١	٢٨٠
٦٥	٢:		ش٢	١٠١٦
	٧:		م	٢٨٠
٦٦	٦:		ش١	١٥٢
	١٨:		ش١	٥٦٣
			ش١	٦٠٠
٦٩	١:	-٢٠	ش٢	١١٩٦
	٣:		ش١	١٩٢
	٤:		ش١	٦٨
			ش١	١٩٢
			ش٢	٩٣٨
	٧:	-٩	ش١	١٩٢
	٩:		ش١	١٩٢
	١٧:	-١٨	ش١	٦٩٥
	٢٠:		ش٢	١١٧٧
	٢١:		ش١	١٩٢
			ش٢	١٢١٣
			ش٢	١٢١٦
	٣٠:	-٣١	ش١	١٩٢
	٣٢:	-٣٤	ش١	١٩٣
٧٢	١٦:		ش١	٤٢١
٧٣	٢٥:		ش١	٨٣
	٢٥:		ش٢	١٠٤٨
٧٧	١٥:		ش٢	١٢٤٧
	١٦:		م	٢٧٦
	١٦:	-١٩	ش١	٤٠٨
			ش١	٤١٠
	١٩:		م	٢٧٦
	٢٠:		ش١	٦١٧
٧٨	١٣:		م	٢٧٥
	٢٤:	-٢٥	ش١	٤٢١
	٢٥:		م	٢٧٣
	٦٥:	-٦٦	ش٢	١٢٢٣
	٧٠:	-٧١	ش١	٦١٧
	٧٠:	-٧٢	م	٢٦٩
٧٩	١٣:		م	٢٦٨
٨٠	١:	-٢	ش٢	١٢٧٠
			م	٢٥٦
			ش٢	٨٩٧
	٨:	-١٧	م	٢٧١
	٨:	-١٧	م	٢٧٢
	١٤:		م	٢٥٦
	١٤:	-١٥	م	١٨٢
	١٤:	-١٩	م	٢٠١
			ش٢	٨٩٧
٨١	٧:		ش١	٥٨٦
٨٢	١:	-٨	ش١	٦٤٣

٨٩	٣:	-٤	ش١	٧٥٠
	٨:	-٩	م	٢٨٠
	٩:		ش١	٤٠٨
	١٩:	-٣٧	ش٢	١٢١١
	٢٦:	-٢٧	ش٢	١٠٦٢
	٣٦:	-٣٧	ش١	٤٧٧
	٥٠:		ش٢	١١٧٦
٩١	١٥:		ش١	٥٨٦
٩٢	١٢:	-١٣	ش١	٧٢٥
٩٣	١:		ش٢	١٢٦٧
٩٧	١:	-٢	ش١	٢٠٩
٩٩	١:		ش١	٢٠٩
١٠٤	٢:		ش١	٥٢١
			ش٢	١١٧٧
			ش٢	١٢٦٧
	٢٩:		ش٢	١٢٤٧
١٠٥	٤٠:		م	٢٧٣
١٠٦	٩:	-١١	م	٢٧٦
١٠٧	١٠:	-١٤	ش١	٥١٨
	١٤:	-١٦	ش١	٦٨٩
	٢٣:	-٣٠	م	٢٨٠
	٢٣:	-٣١	ش١	٤١٠
	٢٩:	-٣٠	ش١	٤١٣
١٠٩	٤:	-٦	ش٢	٧٩٧
١١٠	٤:		ش١	٧٥٠
١١٤	٨:		ش١	٤٩٩
١١٧	٢٥:		ش١	٧٢٦
١١٨	٢٠:		ش١	٦١٣
	٢٢:		ش١	٧٢٧
	٢٤:		ش٢	٩٨٦
	٢٧:		ش٢	١١١٩
			م	١٠٦
	٦٧:		ش٢	١٠٣٤
	٩٦:		م	٦٦
	١١٧:		ش١	٢٨٨
١٣٢	١١:		ش٢	١١٥٧
			ش٢	١٢١١
١٤٦	٧:	-٨	ش١	٣٣٠

مكابيين الأول

٤	٤١:	-٦١	ش١	٥٨١
١٣	٥١:		ش١	٧٢٤
			ش١	٧٢٥

مكابيين الثاني

١	٩:		ش١	٥٨١
١٤	٤:		ش١	٧٢٤
			ش١	٧٢٥

ملوك الأول دول

٢	١٠:		ش١	٢٦٩
٦	٥:	-٦	ش٢	٨١٨
١٦	٢٣:	-٢٥	ش١	٢٦٥
١٧	٢٢:	-٢٤	ش١	٣١٩
١٨	٣٣:	-٣٨	ش٢	١٢٣٢
١٩	٤:		ش٢	١٠٥٠
	١٠:		ش١	٧٥٥
	١١:	-١٣	ش١	٤١٢

ملوك الثاني

٢	١:	-١١	ش١	٤٦٣
	٨:		م	٢٧٦
	١١:		ش١	١٣١
١٤	٢٥:		ش١	٥٠٦

٢٠	٢٠:		ش١	٥٩٢

ملاخي

١	١٤:		م	٢٢٨
٣	١:		ش١	٥٨
٣	:		ش١	١٢٨
٣			ش١	١٣١
			ش١	١٤١
			ش١	١٨٤
			ش١	٧٢٧
	١:	-٢	ش١	٤٨٤
	١:	-٤	ش١	١٨٥
٤	٢:		ش١	٥٢٣
	٥:		ش١	٥٨
			ش١	١٣٠
			ش١	١٣١

نحميا

٣	١:		ش١	٣٢٦
٨	١٠:		ش٢	٩٧٧
			ش٢	١٢٨٥
٩	١٥:		م	٢٧٣
			ش١	٤٢٣
١١	٣٢:		ش١	٦٦١
١٣	٢٨:		ش١	٢٩١

نشيد الأنشاد

١	٢:	-٤	ش٢	٧٧٨
	١٢:		ش١	٧١٨
٢	١٦:		ش٢	١٢٧٥
٣	١:	-٤	ش٢	١٢٧٣
٤	١٢:		ش١	٢٨٥
			ش١	٢٨٦
	١٥:		ش١	٢٨٦
٥	١:		ش٢	٧٧٩
٦	٣:		ش٢	١٣٠٨
٧	٦:	-٨	ش١	٧٢٥

هوشع

٢	١٩:	-٢١	ش١	٢٥٢
	٢٣:		م	٣٠٦
٥	٣:		م	١٥٩
	٤:	-٧	ش١	٥٣٢
٦	١:	-٣	م	١٥٦
٩	١:	-٣	ش١	٦٥
١٠	١٢:		م	١٥٤
١١	١:		ش١	٧٠
	٤:		ش١	٧٤٩
	٩:		ش٢	١٠٤٣
١٢	٧:		ش١	١٩١
١٣	٤:		ش١	٢٢٣
	١٤:		ش٢	٩٧٦

يشوع

٣	٨:		م	٢٧٦
	١٤:		م	٢٧٦
٧	١٩:		م	٨٤
	١٩:		ش١	٥٩٧
٢٤	٣٢:		ش١	٢٧٣

يعقوب (رسالة)

١	١٨:		ش١	٧٠
			ش١	٧٣
			ش٢	١٢٨٩
	٢٥:		م	٨٢
٢	١:		م	١٢٥
	٩:		ش٢	٩٥٨

٢	٢٣:		ش٢	٩٢٤
٣	١٨:		ش٢	٨٧١
٤	٤:		ش١	٧٣٨
			ش٢	٨٣٥
	٧:		ش٢	١٠٥٦
٥	١٤:	-١٥	ش٢	١٢٩٨
	١٦:		ش٢	١٢٩٧

يهوذا (رسالة)

١			ش١	٥٥٧
١٥			ش٢	٩٥٧

يوحنا (إنجيل)

١	١:		م	٢٩
			م	٣٠
			م	٧٩
			م	١٧٨
			م	١٧٨
			م	١٩٢
			م	١٩٣
			م	٣١٦
			م	٣٢٢
			م	٣٢٤
			م	٣٣٩
			م	٣٩٠
			م	٤١٥
			ش١	٥٥
			ش٢	١٠٠٥
			ش٢	١٠٣٦
	٢:		م	١٩٣
			م	١٩٣
			ش١	٨٤
	٣:		م	٧٨
			م	٣٩٠
			ش١	٥٥
			ش٣	٩٠٦
			ش٢	٩٠٧
			ش٣	١٠٢٦
	٤:		م	١٢١
			م	١٣٥
			م	١٣٩
			م	١٤١
			م	١٧٨
			م	١٨٨
			م	٣١٣
			م	٣١٦
			م	٣٩٠
			ش١	٢٧٩
			ش١	٤٨٥
			ش١	٥٢٠
			ش٢	٨٣٦
			ش٢	١٠١٨
	٥:		م	٦١
			م	١٢٠
			م	١٧٨
			م	٣٩٠
	٦:		ش١	١٢٥
	٦:	-٧	م	١١٦
	٧:		ش١	١٣٤
			ش١	١٤٠
		-٨	م	٧٩
	٨:	-٩	م	٦٣
			م	١١٦
١	٩:		م	١٢٠
			م	١٢١
			م	١٤١
			م	١٧٨
			م	٢٢٢
			ش١	١٢٥
			ش١	٧٢٧
			ش٢	٨٢١
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٨٩٤
	١٠:		م	١٥٥
			م	٣٩١
			ش٢	٩٥٩
	١١:		م	٥٤
			م	٩٠
			م	٣٩١
			ش١	٤٧٤
			ش١	٥٣٩
			ش١	٥٧٤
			ش٢	١١٥٨
		-١٣	م	٢٥٦
	١٢:		م	٦٠
			م	٧٦
			م	١٦٨
			م	٣٠٤
			م	٣٣٣
			م	٣٩١
			ش١	٧٠٥
			ش١	٧٠٧
			ش٢	١٠٣٦
	١٢:	-١٣	م	٥٨
			م	٣١٤
			ش١	٩٢٢
			ش١	٩٤٠
	١٣:		م	٣٢٣
			ش١	٢٠٨
	١٤:		م	٠
			م	٣١
			م	٥٢
			م	٥٧
			م	٦١
			م	٦٩
			م	١٤٧
			م	١٦٣
			م	١٧٨
			م	١٨٠
			م	١٨١
			م	١٨٧
			م	١٩٠
			م	٢٠٨
			م	٢٩٣
			م	٣٢٣
			م	٣٢٨
			م	٣٣٤
			م	٣٣٩
			م	٣٣٩
			م	٣٩١
			م	٣٩٦
			م	٤٠٧
			م	٤١٥
			ش١	٤٠
١	١٤:		ش١	٤٤٨
			ش١	٤٦٣
			ش١	٥٢١
			ش١	٥٢٦
			ش١	٦٩١
			ش٣	١٠٠٤
			ش٢	١٠٨٨
	١٤:	-١٦	م	١٢٧
			م	١٤٦
			م	٢٨٨
			م	٣٣٩
			ش٢	١٠٨١
	١٤:	-١٧	م	١٠٨
	١٥:		م	١٧٩
			ش١	١٢٤
			ش١	٧٥٩
			م	٢٨
	١٦:		م	١١٠
			م	٢٥٩
			م	٤١٣
			ش١	٩٧
			ش١	١٧٥
			ش١	٤٠١
			ش٢	٨٣٣
			ش٢	١٠٨٠
			ش٢	١٠٩٣
	١٦:	-١٧	م	٢٠
	١٧:		م	٨٥
			م	١١٠
			م	١١٥
			م	١٨٦
			ش١	٤٠
			ش١	١٠٥
			ش١	٤٢٤
			ش٣	٨٩٤
	١٧:	-١٨	ش١	١٤٧
	١٨:		م	١٠٧
			م	١٢٠
			م	١٦١
			م	١٩٣
			م	١٧٨
			م	١٧٩
			م	١٨٠
			م	١٨١
			م	١٨٢
			م	١٩١
			م	١٩٣
			م	٣٢٣
			م	٣٤٠
			م	٣٤٢
			ش١	٣٥
			ش١	٣٧٠
			ش١	٤٣٦
			ش١	٧٥٧
			ش٢	٨٢٥
			ش٢	٨٢٩
			ش٢	٨٣٣
			ش٢	٨٣٩
			ش٢	٩٢٥
	١٩:		م	٢٩٨
	١٩:	-٢٠	م	٣٥٠

١	١٩: – ٢٨	م	٢٤٥
	١٩: – ٣٦	م	٢٤٧
	٢٠:	م	٧٨
	٢٢: – ٢٣	م	١١٦
	٢٤:	م	٣٠٢
	٢٦: – ٣٣	ش١	٢٥٤
	٢٦: – ٣٤	م	٣٤٨
	٢٧:	م	٧٦
		م	١٧٩
		م	٣٤٧
		ش١	١٢٤
	٢٨:	م	٣٤٥
		ش١	٦٦١
		ش١	٧١٦
	٢٩:	م	٣٠
		م	٩٨
		م	١٧٨
		م	١٨٢
		م	٣٩٦
		ش١	١٥١
		ش١	٢٣١
		ش١	٣٩٤
		ش١	٦٥١
		ش١	٧١٦
		ش٢	١٠٣٨
		ش٢	١١٤٨
		ش٢	١٢٣٩
		ش٢	١٣٩٥
	٢٩: – ٣٤	م	٢٤٥
	٣٠:	م	١٧٩
		م	٣١٥
	٣١: – ٣٤	م	١١٧
		م	٢٤٩
		ش١	١٢٩
	٣٢:	م	١٧٩
		م	٢٤٩
		ش٢	١٢٧٢
	٣٣: – ٣٤	ش١	٤١٨
	٣٤:	م	١٧٨
		م	١٨٣
		م	٢٠٧
		م	٣٠٦
		م	٣٩٦
		ش١	٥٧
		ش١	٥٩
		ش١	٢٥٨
	٣٥: – ٣٦	ش١	٧١٦
	٣٥: – ٣٩	م	٣٩
		ش١	٥٩
	٣٥: – ٥١	م	٣٤٥
	٣٦:	م	١٧٨
		م	١٨٢
		ش١	٥٧
		ش١	١٥١
	٣٩:	م	٣٩
		ش٢	١٣٥٠
	٤٠:	ش١	١٥٠
	٤١:	م	٧٦
		م	٨٩
		م	١٧٨
		م	١٨٣

١	٤١:	م	٣٠٥
	٤٢:	م	٧٥
		ش٢	١٣٤٤
	٤٣:	ش١	١٧٠
		ش١	٢٧٠
		ش١	٣٩٥
		ش١	٧١٦
	٤٤:	م	٣٤٥
	٤٥:	م	١٨٣
		م	٣٠٥
		ش١	١٧١
		ش٢	١٠٣٣
		ش٢	١١١٠
	٤٧:	م	٩٦
		م	١٨٣
		م	٣٠٠
	٤٧: – ٤٩	م	١٢٣
		م	٣٠٦
	٤٨:	م	٨٠
	٤٩:	م	٩٠
		م	١٤٧
		م	١٧٨
		م	١٨٢
		م	١٨٣
		م	٢٠٥
		م	٢٠٦
		ش١	٧٢
		ش١	١٤٩
	٥٠:	م	٨٠
	٥١:	م	٩٧
		م	١٧٨
		م	١٨٣
		م	١٩٦
		م	١٩٧
		م	٢٠١
		ش١	٦٠٩
		ش١	٦١١
		ش٢	٨٢٤
٢	١:	ش١	١٥٧
		ش١	١٦٨
		ش١	٧١٦
	١: – ١١	م	٣٤٥
		م	٣٤٥
٢	٣:	ش٢	٩٧١
		ش٢	١٠١٢
٢	٦:	م	٣٠٠
٢	١١:	م	١٢٣
		م	١٢٦
		م	٢٩٢
		ش١	١٨٠
		ش١	٥٨٨
		ش١	٦٥٩
		ش١	٩٧٣
	١٢:	ش١	٣٢٥
	١٣:	ش١	٣٢٦
		ش١	٧٠٩
	١٣: – ١٧	ش١	٩٢٦
	١٣: – ٢٢	م	٣٤٥
	١٤:	م	٣٥٧
	١٥: – ١٦	م	٣٥٧
	١٥: – ١٧	م	١٠١

٢	١٦:	م	٦٣
		م	٩٦
		م	٢١٤
		م	٣٢٩
		ش٢	٨١٧
		ش٢	١١٦٠
٢	١٩:	م	٨٠
		م	٣٢٩
		ش١	٣٤٣
		ش١	٧٠١
	١٩: – ٢١	م	١٠٠
		ش٢	٩٢٥
	٢١:	م	٥٩
		م	١٤٨
		م	٣٢٩
		ش١	٣٤٣
		ش٢	٧٨٦
	٢١: – ٢٣	م	٥٧
	٢٣:	ش٢	١٣١١
	٢٣: – ٢٥	م	٢٠٦
	٢٤:	م	١٦١
		ش١	٢٠٣
	٢٤: – ٢٥	م	٧٨
	٢٥:	ش١	٢٠٤
	٢٨:	م	٣١٩
٣	١:	ش١	٤٧٨
		ش٢	١١٢٩
	١: – ١١	م	٣٤٥
	٢:	م	٢٩٢
		م	٣٠٧
		ش١	٢٠٣
		ش١	٥٠٥
		ش٢	٩٩٣
		ش٢	١٢٤٢
	٣:	م	٥٨
		م	٢٩٥
		ش١	٢٣٨
	٣: – ٥	م	٢٩٤
		ش١	٢١٠
	٣: – ٦	م	٢١٧
	٣: – ٧	م	١٦٨
	٣: – ٨	م	٢٦٥
	٤:	م	٣٠٧
	٥:	م	٥٦
		م	٢٤٨
		م	٢٤٩
		م	٢٦٥
		م	٢٨٦
		ش٢	١٠١٧
		ش٢	١٢٢٤
	٦:	م	٥٩
		م	٧٠
		م	١٤٧
		ش١	٤٥٧
	٦: – ٨	م	٢٨٩
	٧:	م	٧٠
		م	٢١٢
		ش١	٢٦٥
	٩:	م	٣٠٧
		ش١	٤٥٩
	١٠:	م	٨٠

١٠:		م	٣١٤
		ش١	٥٠٥
١١:		م	١٥٨
		م	٣٢٠
		ش١	٥٦
١١:	-١٣	م	١١٤
		ش١	٣٤٧
		ش١	٣٤٧
١٢:		م	١٩٦
		م	١٩٧
		ش٢	١٠٨٨
١٣:		م	١٢٦
		م	١٩٩
		م	٣٤٠
		م	٣٤٢
		ش١	٩١
		ش١	٩٥
		ش١	١٢٠
		ش١	١٦٢
		ش١	٤٦٢
		ش١	٤٦٣
		ش١	٥٣٤
		ش٢	٨٢٤
		ش٢	٨٣٥
		ش٢	٩٨٩
١٤:		م	١٩٦
		م	١٩٧
		ش١	٧٤٧
		ش١	٧٤٨
١٤:	-١٥	م	٩٩
١٥:		م	١٣٦
		ش٢	١٣١٣
١٦:		م	٧٨
		م	١٠٨
		م	١٦٧
		م	١٧١
		م	١٧١
		م	١٧٢
		م	١٨١
		م	١٨٧
		م	٢٠٨
		م	٢٠٨
		م	٣٢٠
		ش١	٣٤
		ش١	٤٣
		ش١	٦٢
		ش١	٧٥
		ش١	١٠١
		ش١	١٠٤
		ش١	٢٣٨
		ش١	٢٧٩
		ش١	٣٤٦
		ش١	٣٥٧
		ش١	٤٤٥
		ش١	٦٩٠
		ش١	٧٤٨
		ش٢	٨٠٤
		ش٢	٩٢٠
		ش٢	١٠٩٠
١٦:	-١٧	م	٢٠٩
١٧:		م	٩٣

٣	١٧:		م	١٤٤
			م	٢٠٨
			م	٢١٠
			ش١	٣٤٦
			ش١	٥١٣
			ش١	٧٦٢
	١٨:		م	٠
			م	١٠١
			م	١٣٩
			م	١٦٩
			م	١٨١
			م	٢٣٦
			م	٣٩٧
			ش١	١٠١
			ش١	٣٤٤
			ش١	٣٦٦
	١٨:	-١٩	م	٥٥
	١٨:	-١٩	م	١٢٩
	١٩:		م	٥٥
			م	١٠٤
			م	١٢٠
			م	١٥٢
			م	١٧١
			ش١	٤٨
			ش١	٤٩
			ش١	٦٠٢
			ش١	٦٠٤
			ش١	٧٣٨
			ش٢	٧٩٨
			ش٢	١٠٥٦
	١٩:	-٢١	م	١٤٤
	١٩:	-٢١	ش١	٧٦٣
	٢٠:		م	١٢٠
			م	١٥٢
			ش٢	١٠٥٦
	٢١:		م	٩٣
			م	١١١
			ش١	٥٤٦
	٢٢:		ش١	٣٢٤
			ش١	٣٢٥
	٢٢:	-٣٠	م	٣٤٥
	٢٣:		م	٣٤٥
	٢٦:		م	٣١٥
			ش١	٢٤٨
	٢٨:		م	٦٣
			م	٣١٥
	٢٨:	-٣٠	م	١١٧
	٢٩:		ش١	١٦٨
			ش١	٦٦٨
			ش٢	٩١٨
	٢٩:	-٣٠	م	٢٥٨
	٢٩:	-٣٠	ش١	٥٨
	٣٠:		م	١٨٢
			ش١	٢٤٨
	٣١:		م	١٦٥
			م	٢٠٧
			ش١	٢٠٨
	٣١:	-٣٢	ش١	٣٤٧
	٣١:	-٣٣	م	١١٤
			ش١	٧٠
	٣١:	-٣٤	ش١	٦١٣

٣	٣٢:		ش١	٥٦
			ش١	٢٢٣
			ش١	٢٥٠
	٣٢:	-٣٣	م	١٨٠
	٣٣:		ش١	٢٢٣
			ش١	٣٧٦
			ش١	٤١٨
	٣٣:	-٣٤	ش١	٤٢٠
	٣٤:		م	٢١٠
			ش١	١١٣
	٣٤:		ش١	١٧٥
			ش١	٤٣٥
	٣٥:		م	١٧١
			م	١٨١
			م	١٩١
			م	١٩٢
			م	٢٠٦
			م	٢٠٧
			م	٢٠٨
			م	٢١١
			م	٤١٢
			ش١	١١١
			ش١	٣٤٦
			ش١	٣٧٧
			ش٢	١٠١٦
			ش٢	١٠٧٦
	٣٦:		م	١٤٩
			م	٢٠٧
			م	٢٠٨
			ش١	٣٤٦
			ش١	٥٣٢
			ش٢	٨٣٧
٤	١:		ش١	٤٧٨
	١:	-٣	م	٣٠٢
	١:	-٤٢	م	٣٤٥
	٢:		م	٢٥٠
			ش١	٢٤٧
	٥:		م	٣٤٥
	٦:		ش١	٦٨٧
	٧:		ش١	٦٨٧
	٩:		م	٣٠٧
	١٠:		ش١	٣٥٤
			ش١	٤١٧
			ش٢	١٠١٧
	١١:		م	٣٤٥
			ش١	٢٧٥
	١٢:		ش١	٢٧٥
			ش١	٥٦٧
	١٣:		م	٨٠
	١٣:	-١٤	م	٢٨٢
	١٣:	-١٤	ش٢	٨٥١
	١٤:		م	١٣٧
			م	٢٠٣
			م	٣٨٩
			ش١	٢٧٥
			ش١	٤٢٧
	١٥:		ش١	٤٢٥
	١٧:	-١٩	م	٢٠٦
	١٩:		م	١٢٣
			م	٣٠٧
	٢٠:		م	١٤٣

	٢٠:	٢١-	ش١	١٩٤
	٢٠:	٢٤-	م	٥٥
			م	٧٩
	٢١:		ش١	١٩٠
			ش١	٤٢٣
	٢١:	٢٣-	ش١	٧٣٨
	٢٢:		م	٩٤
			م	٩٦
			م	٣٠٠
			م	٣٠١
			م	٣٢٧
			ش١	١٨٢
	٢٣:		ش١	٣٦١
			ش١	٤٢٢
			ش٢	٩٤٠
	٢٣:	٢٤-	م	٢٤٨
			م	٢٥٦
	٢٤:		م	١٠٩
			م	١٤٦
			م	١٦٨
	٢٥:		م	٨٩
			م	٣٠٧
	٢٦:		م	١٥٨
			م	٢٣٢
			م	٣٠٧
	٢٧:		ش١	٢٧٦
			ش١	٢٧٨
	٢٩:		م	٣٠٧
			ش١	٢٨٨
	٣١:	٣٤-	ش١	٤٢٠
	٣٢:		ش٢	١٣٣٠
	٣٤:		م	٢٩٦
			ش١	٣٤٨
			ش١	٣٥٠
			ش١	٣٥٣
			ش١	٣٧١
			ش١	٣٧٦
			ش٢	٨٧٩
			ش٢	١٠٢٥
			ش٢	١٢٢٣
	٣٨:		م	٢٦٢
	٣٩:		م	٣٤٥
	٤٢:		م	١٤٧
			م	١٧٩
			م	٣٠٦
	٤٤:		ش١	١٨٢
	٤٥:		م	٢٩٧
	٤٦:	٥٤-	م	٣٤٥
			م	٣٤٥
	٤٧:		م	٣٠١
	٤٨:		م	١٣٩
			م	٢٩٥
	٥٤:		م	٣٠١
٥	١:		م	٣٠١
			ش٢	١٣٣٠
	٢:		م	٣٤٥
	٣:		م	١٩٢
	٥:		ش١	٦٥٥
	٦:		م	١٣٨
	٩:		م	٩٨
	١٠:		م	٢٩٩
٥	١١:		م	٢٤٩
	١٣:		ش١	٣٢٦
	١٤:		م	٢٩٤
			ش١	٣٣٠
			ش١	٣٣١
	١٦:	١٨-	م	٣٤٠
	١٧:		م	٩٨
			م	١١٤
	١٧:		م	١٨١
	١٧:		م	٢٠٨
	١٧:		م	٢١٤
	١٧:		م	٢٩٣
	١٧:		م	٢٩٤
	١٧:		م	٤١٠
	١٧:		ش١	٣٣٨
			ش٢	٨٨١
	١٧:	١٨-	ش١	٦٩٨
	١٨:		م	١٨١
			م	٢١٥
	١٩:		م	١٧٩
			م	١٧٩
			م	١٨١
			م	٢٠٨
			ش١	٣٣
			ش١	٣٧
			ش١	٣٤٦
			ش٢	٨٨٠
			ش٢	٩٠٤
	١٩:	٢١-	م	١١٥
	٢٠:		م	١٧١
			م	٢٠٨
			م	٢١٢
			م	٤١٢
			ش٢	٨٧٩
	٢٠:	٢٣-	ش١	٣٧
	٢٠:	٢٦-	ش١	٣٤٦
	٢١:		م	٢٠٨
			م	٢٣١
			ش١	٤٤
			ش١	٣٢٠
			ش١	٣٣٤
			ش١	٣٣٨
			ش١	٣٦٧
			ش٢	١٠١٧
	٢٢:		م	٢٠٨
			م	٢١١
			ش١	٣٣٨
			ش١	٣٧٧
			ش٢	١٠١٦
	٢٣:		م	٢٠٨
			ش١	٣٣٨
			ش١	٤٥٢
			ش٢	٨٨١
			ش٢	١٣٠٧
	٢٤:		م	٦١
			م	١٢٩
			م	١٣٦
			م	١٣٨
			م	١٤٧
			م	١٨٩
			م	٣٢١
٥	٢٤:		م	٣٢٩
			م	٤٠٥
			ش١	٢٧
			ش١	٩٢
			ش١	٢٤١
			ش١	٣٢٠
			ش١	٣٣٨
			ش١	٣٨١
			ش١	٤٦٧
			ش١	٦٤٨
			ش١	٦٥٦
			ش١	٦٧٨
			ش١	٦٨٠
			ش٢	٨٢٦
			ش٢	٨٣٨
			ش٢	٨٧٢
			ش٢	٩٨٦
			ش٢	١٠١٧
			ش٢	١٠١٩
			ش٢	١٠٢١
			ش٢	١١٦٢
	٢٤:	٢٥-	م	٣٢٤
	٢٥:		م	١٢٩
			م	١٣٦
			م	٣١٥
			م	٤٠٨
			ش١	٣٣٤
			ش١	٣٣٨
			ش١	٣٥٨
			ش١	٥٦٣
			ش١	٦٥٦
			ش١	٦٨٢
			ش٢	٩٢٦
			ش٢	٩٤٠
			ش٢	١٢٧٤
	٢٦:		م	١٣٥
			م	١٥٣
			م	١٩٨
			م	٢٠٩
			م	٢١١
			م	٣١٥
			ش١	٤٤
			ش١	٣٣٩
			ش١	٣٧٧
			ش١	٤٥٣
			ش٢	٨٧٧
			ش٢	١٠١٧
			ش٢	١٠١٩
			ش٢	١٢٨٣
	٢٦:	٢٧-	م	١٩٦
	٢٧:		م	١١٦
			م	٢١١
			م	٣٢٤
			ش١	٣٣٩
			ش١	٣٧٧
			ش١	٦٣٣
	٢٨:		م	٣١٨
			م	٣٢٤
			ش١	٣٣٤
			ش٢	٨٣٨
	٢٨:	٢٩-	م	١٢٩

٥	٢٨:	-٢٩	م	٤٠٨
			ش١	٣٣٩
			ش١	٣٥١
			ش١	٦٥٦
	٢٨:	-٣٠	م	١٤٥
	٢٩:		م	١٤٥
			م	٣٢٤
			ش١	٦٧٠
			ش٢	٨٣٨
	٣٠:		م	١١٦
			ش١	٣٤٧
			ش١	٥٥٣
			ش٢	٨٨٠
	٣١:		م	١١٦
			ش١	٥٦
			ش١	٥٢٥
			ش٢	١٣٥٥
	٣١:	-٣٩	م	٧٩
	٣٢:	-٣٣	ش١	١٢٨
	٣٢:	-٣٤	م	٣٢٠
	٣٣:		م	٣١٥
	٣٣:	-٣٤	م	١١٧
	٣٣:	-٣٦	م	٦٣
	٣٤:		م	٧١
			م	١١٢
			م	١١٦
			ش١	٥٦
			ش١	٣٧٢
			ش١	٣٨٢
	٣٥:		م	١١٦
	٣٦:		م	٢١٠
			م	٢١١
			م	٢١٣
			ش١	٥٦
			ش١	٣٤٧
			ش١	٣٤٧
			ش١	٣٥١
			ش١	٣٧٧
	٣٦:	-٣٧	م	١١٤
	٣٧:		م	١١٢
			م	٢١٠
			م	٢١٣
			ش١	٥٦
			ش١	١١٨
			ش٢	٩٤٢
	٣٧:	-٣٨	م	٩٤
			ش١	٣٧٤
	٣٧:	-٣٩	ش١	٢٩
	٣٧:	-٤٠	م	٨٥
	٣٨:		م	٣٢١
			ش٢	٩٠٣
			م	٩٦
			ش١	٥٦
			ش١	٤٨٨
			ش١	٦٧٢
			ش٢	١٢٣٧
	٣٩:	-٤٠	م	١١٥
	٤١:		ش١	٣٧٢
			ش١	٤٨٧
	٤٢:		م	٢٠٦
			ش١	٣٧٤

٥	٤٢:		ش١	٣٨١
	٤٣:		م	٢١٤
			م	٢٣٤
			ش١	٧٢٧
			ش٢	٨٦٩
	٤٤:		م	١٥٢
			ش١	٣٨١
			ش١	٤٨٧
			ش١	٧٣٨
			ش١	٧٥٨
	٤٤:	-٤٥	ش١	٤٨٣
	٤٥:		ش١	٤٨٨
	٤٥:	-٤٦	ش٢	١١٢٤
	٤٥:	-٤٧	م	١١٥
			ش١	٣٢٦
			ش١	٥٢٩
	٤٦:		م	٩٧
			ش١	٥٦
			ش١	١٥٨
			ش١	٦٤٦
	٤٦:	-٤٧	م	٩٥
			ش٢	١٢٣٧
٦	١:		م	٣٤٥
			ش١	٣٢٥
	١:	-١٣	م	٣٤٧
	١:	-١٥	ش١	٣٩١
	٢:		ش١	٤٠٥
	٣:	-٤	م	٣٠٠
	٤:		ش١	٣٢٦
			ش١	٧٠٩
	٥:		م	٣٠٨
	٦:		م	٣٠٨
	٧:		م	٣٠٨
	٧:	-١٣	م	٣٤٨
	١٠:		ش٢	١٠٢٢
	١٢:		ش١	٢٣٨
			ش١	٤١٧
			ش١	٧٠٦
	١٢:	-١٣	ش١	٣٩٦
	١٤:	-١٥	م	٣٠
	١٥:		م	٢٩٨
			ش١	٧٢٤
	١٦:	-٢١	م	٣٤٧
	١٧:	-٢٠	م	٢٤٥
	١٨:	-١٩	م	٢٨٠
	١٩:		م	٢٠٧
	٢٠:		م	١٥٨
			م	٢٣٢
	٢٠:		م	٣٤٨
	٢٣:		م	٣٤٥
	٢٤:	-٢٥	م	٩١
	٢٦:		ش١	٤٠١
			ش١	٤٢٨
	٢٧:		م	١٣٧
			م	١٥٨
	٢٧:		م	١٩٦
			م	٢٩٢
	٢٧:		ش١	٢٣٨
			ش١	٢٥٧
			ش١	٣٠٩
			ش٢	٨٥١

٦	٢٧:	-٥٨	م	٧٩
	٢٨:	-٢٩	م	١٤٩
			ش١	٣٦٥
	٢٩:		م	٢١٠
			ش١	٣٠٨
			ش١	٤٢٨
	٣٠:		ش١	٦٤٩
	٣١:	-٣٥	م	٨٧
			م	٩٩
	٣٢:		م	٩٩
			م	٢١٤
			م	٢٧٤
			ش٢	٨٩٤
	٣٢:	-٣٥	م	٢١٢
	٣٣:		م	٢٧٤
	٣٤:		م	١٧٩
			م	٢٩٩
	٣٥:		م	١٥٨
			م	٢٠٣
			م	٢٣١
			م	٢٤٠
			م	٢٧٤
			م	٢٨٣
			م	٢٩٢
			ش١	٢٨٤
			ش١	٤٢٣
			ش١	٤٩٨
			ش٢	٨٥١
			ش٢	١٠١٧
	٣٦:		ش١	٤٣٢
	٣٧:		م	٥٩
			م	١٥١
	٣٧:		م	١٥١
			م	٢١١
			م	٢١٣
			ش١	٣١٨
			ش١	٤٦٦
			ش٢	٨٩٨
			ش٢	١٠١٧
	٣٨:		ش١	٢٢٧
	٣٩:		م	٢١٣
			ش١	٣٧٧
			ش١	٤٠٢
			ش٢	١١٣٥
	٣٩:	-٤٠	ش١	٣٦٨
			ش١	٣٧١
	٣٩:	-٤٤	ش١	٦٧٨
	٤٠:		م	١٣٨
			م	٢٠٩
			م	٣١٨
			ش١	٣٤٦
			ش١	٦٨٠
	٤١:		م	١٥٨
			م	٢٤٠
			م	٢٦٤
			م	٢٩٩
	٤١:	-٤٢	ش١	٤٤٣
	٤٢:		ش١	٢٢٧
			ش٢	٨٣٣
	٤٣:	-٤٧	ش١	٤٤٣
	٤٤:		م	٥٩

٦	٤٤:		م	١٥١
			م	١٥٢
			م	١٦١
			م	٢١٠
			م	٢١٣
			م	٣١٨
			ش١	٢٤٥
			ش١	٣٥٤
			ش٢	٨٩٨
			ش٢	١٠٣١
	٤٤:	-٤٥	م	١٠١
	٤٥:		ش٢	١٠٣٣
			ش٢	١٣١٥
	٤٦:		م	١٢٢
			م	١٦٣
			ش١	٤٣٥
			ش١	٤٣٦
	٤٧:		م	١٣٦
			م	١٤٧
	٤٨:		م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	٢٤٠
			ش١	٣٨٨
			ش٢	١٠١٧
٦	٤٨:	-٥٠	م	٢٧٤
	٥٠:		م	٧٧
			م	١٦٨
			ش١	٦٢
			ش١	٣٨٨
	٥١:		م	١٣٦
			م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	٢١٢
			م	٢٤١
			م	٢٧٣
			م	٢٧٤
			م	٢٧٥
			م	٢٩٢
			ش١	٣٨٨
			ش١	٦٨١
	٥٢:		م	٢٩٩
			ش١	٣٢٧
			ش١	٤٨٣
	٥٣:		م	١٩٦
			م	٢٠٣
			م	٢٦٥
			ش١	٨٧
			ش٢	٨٩٦
	٥٣:	-٥٤	ش١	٤٢٦
	٥٤:		م	٢٠٣
			ش١	٨٧
			ش١	٩٢
			ش١	٢٨٦
			ش١	٣٦٨
			ش١	٦٥٦
			ش١	٦٨٠
			ش١	٦٨١
			ش٢	٨٥١
	٥٥:		م	١٠٩
			م	٢٧٤
			ش٢	١٠٦٥

٦	٥٥:	-٥٧	ش١	٨٧
			م	٢٠٣
			م	٢٧٥
			م	٣٢١
			ش٢	٨٥٧
			ش٢	٨٩٦
			ش٢	٩٠٢
			ش٢	١٠٨٨
	٥٧:		م	١٣٥
			م	١٥٨
			م	١٨٩
			م	١٩١
			م	٢١٠
			م	٢٧٥
			م	٢٨٣
			م	٢٩٢
			ش١	١١١
			ش١	٣٠٤
			ش١	٣٨٨
			ش١	٤٠١
			ش١	٤٤٦
			ش١	٦٢١
			ش١	٦٨٠
			ش١	٧٦١
			ش٢	٨٠٧
			ش٢	٨٢٦
			ش٢	٨٥٧
			ش٢	٨٩٦
	٦١:		ش٢	٩٤٧
	٦١:	-٦٢	ش٢	١٠٢٧
	٦٢:		م	١٩٦
			م	١٩٧
			ش١	٦٣٤
	٦٣:		م	٨٦
			م	١٣٢
			م	١٣٦
			م	١٨٧
			م	٢٤٨
			م	٢٥٠
			م	٢٦٥
			م	٢٩٢
			م	٣٥٩
			م	٣٩٣
			ش١	٢٩٤
			ش١	٣٣٤
			ش١	٣٤٧
			ش١	٤٢٣
			ش١	٤٤٦
			ش١	٤٤٦
			ش١	٤٦٧
			ش١	٥٢٤
			ش٢	٨٢٦
			ش٢	٨٣٨
			ش٢	١٠١٨
			ش٢	١٠١٨
			ش٢	١٠٢١
			ش٢	١٣١٣
	٦٤:		م	١٥١
			م	١٦١
			م	٢٠٦
	٦٥:		م	٥٩

٦	٦٥:		ش٢	١٠٣١
	٦٦:		ش١	٣١٥
			ش٢	٩٤٧
	٦٨:		م	١٨٨
			ش١	٢٥٧
			ش١	٣٥٧
			ش١	٤٩٥
			ش١	٦٣٨
			ش٢	٩٥٣
			ش٢	١٠١٨
			ش٢	١٠١٨
	٦٨:	-٦٩	م	٢٥٨
			م	٣٤٧
			م	٣٤٨
			ش١	٤٧٨
	٦٩:		م	١٥٠
			م	١٧٩
	٧٠:		م	١٦١
			م	٢٥٨
	٧٠:	-٧١	ش٢	٧٩١
			ش٢	١٠٤٦
٧	١:		م	٣٠١
			ش١	١٨١
			ش١	٦٩٩
	٢:		ش١	٤٩٧
	٥:		ش١	١٤٦
			ش١	٧٣٦
	٨:		ش١	٤٨٣
	١٠:		ش١	٤٧٤
	١٠:	-١٤	م	٣٤٧
	١١:		م	٢١٨
	١٢:	-١٣	م	٢٩٩
	١٣:		ش١	٤٧٥
	١٥:		ش١	٢٠٦
	١٦:		م	١٩٥
			ش١	٢٠٦
			ش١	٣٤٧
			ش١	٥٥٣
			ش٢	٨٨٠
	١٦:	-١٧	م	٣٩٣
			ش١	٤٨٨
	١٦:	-١٨	ش١	٣٧٧
	١٨:		ش١	٣٥٣
			ش١	٥٥٣
			ش٢	١٠١٤
	١٩:		ش١	٤٧٥
			ش١	٤٧٧
			ش١	٦٩٩
	٢٣:		م	٨٣
	٢٥:		ش١	٤٧٥
			ش١	٦٩٩
	٢٦:		ش١	٣٢٤
	٢٧:		م	٩١
	٢٨:		ش١	٥٠٣
	٢٨:	-٢٩	م	٩١
			م	١٥٠
	٢٩:		م	١٦١
			ش١	١٠٣
	٣٠:		ش١	٤٧٥
	٣٢:		م	٣٠٢
			ش١	٤٧٥

٧	٣٣:		ش١	٤٦٢
			ش٢	٩٧٠
	٣٣:	-٣٤	ش١	٥٣٢
	٣٤:		م	٢٣٨
			م	٣١٥
			ش٢	٨٠٢
	٣٥:		ش١	٥٣٣
			ش١	٥٣٧
	٣٦:		م	٢٣٨
	٣٧:		ش١	١٨٢
			ش١	٣٨٨
			ش١	٥١٩
	٣٧:	-٣٨	م	٢٨١
			م	٢٨٤
			ش١	٤٧٧
			ش١	٥١٨
	٣٧:	-٣٩	م	٣٥٧
	٣٧:	-٤١	م	١٠١
	٣٨:		م	١٣٦
			ش١	٣٨٨
			ش١	٥١٩
			ش٢	١٠١٨
	٣٨:	-٣٩	م	٢٥٠
			ش٢	١٢٢٦
	٣٩:		م	١٢٧
			م	٢٨٤
			ش١	٣٨٨
			ش٢	٨٠٠
			ش٢	١٠٨٢
			ش٢	١١٩٩
	٤٣:	-٤٤	ش١	٦٣٥
	٤٤:		ش١	٤٧٥
	٤٥:		م	٣٠٢
			ش١	٤٩٤
	٤٥:	-٤٦	ش١	١٧٧
	٤٥:	-٤٩	ش٢	١١٢٧
	٤٦:		م	١٩٥
			ش١	٦١٢
	٤٧:	-٤٩	م	٣٠٢
			ش١	١٢٧
	٥٠:		ش١	٢٠٥
	٥٠:	-٥١	م	٨٣
	٥٠:	-٥٣	ش٢	١٢٤٢
	٥٢:		ش١	١٥٨
٨	٩:		ش١	١٣٥
	١٢:		م	٨٨
			م	١٤١
			م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	١٨٨
			م	٢٠٢
			م	٢٤١
			م	٢٤٢
			م	٣٢٠
			م	٣٥٧
			ش١	٤٨
			ش١	٦١
			ش١	٦٢
			ش١	٣٥٢
			ش١	٣٨٨
			ش١	٤٧٧

٨	١٢:		ش١	٤٨٥
			ش١	٥٥٤
			ش٢	٩٤٧
			ش٢	١٠٠٥
			ش٢	١٠١٨
			ش٢	١٠٥٧
	١٣:		م	٣٠٢
	١٣:	-١٤	م	٨٨
			ش١	٣٧٣
	١٤:		م	٢٠٦
			م	٢٣٨
			ش١	٥٦
			ش١	٣٧٢
			ش١	٤٩٥
			ش٢	٨٣٩
	١٤:	-١٥	م	١١٣
			ش١	٥٣٤
	١٤:	-١٦	ش٢	١٣٥٥
	١٥:		ش١	٤٧٠
			ش١	٥٩٨
	١٥:		ش١	٧٦٢
	١٦:		م	٢١٠
			ش١	١٢٠
			ش١	٣٧٩
			ش٢	١٢٨٦
	١٧:		ش١	١٥٠
	١٧:	-١٨	م	٨٣
	١٨:		م	١١٢
			م	١١٣
			م	١٥٨
			م	٢٠٨
			م	٢١٠
			م	٢١٣
			ش١	٥٦
			ش١	٣٧٩
			ش١	٥٢٥
			ش١	٦٧٨
	١٨:	-١٩	م	٢٣٨
	١٩:		م	٩٤
			م	٢١٤
			ش١	٣٧٤
			ش١	٤٢٩
			ش٢	٨٤٧
	٢١:		ش١	٥٣٦
	٢٣:		م	١٥٨
			م	١٦٥
			م	١٦٥
			م	١٦٥
			م	٢٣١
			م	٢٣٨
			م	٣٤٠
			م	٣٨٢
			ش١	٣٢
			ش٢	٨٨٩
			ش٢	١١٥٩
			ش٢	١٢٦٧
			ش٢	١٢٧٥
			ش٢	١٢٧٦
	٢٣:	-٢٤	م	١٦٥
	٢٤:		م	١٤٤
			م	١٥٨

٨	٢٤:		م	١٧٩
			م	٢٣٢
			م	٢٤٤
			ش١	٣١
			ش١	٣١
			ش١	٩١
			ش١	٢٤١
			ش١	٥٤٢
			ش١	٧٢٧
	٢٥:		م	١٨٨
			م	١٩٥
			ش١	٣١
	٢٦:		ش١	١١٨
			ش١	٢٥٧
			ش١	٣٤٧
			ش١	٣٤٧
	٢٧:		ش١	٧٤٤
			ش٢	٩٨٤
	٢٨:		م	١٥٧
			م	١٥٨
			م	١٨٨
			م	١٩٦
			م	١٩٧
			م	٢١٤
			م	٢٣٢
			م	٢٤٤
			ش١	٧٤٤
			ش١	٧٤٩
			ش٢	٨٨٠
			ش٢	٩٨٤
			ش٢	١٠٨٣
			ش٢	١٣٠٧
	٢٩:		م	٣٢١
			ش١	١٢٠
			ش١	٣٧٩
			ش٢	٨٨٠
			ش٢	١٢٨٦
	٣١:		ش١	١٠٧
	٣١:	-٣٢	ش١	٢٨
	٣١:	-٣٣	م	٢٩٩
	٣٢:		م	٦٠
			م	١١٠
			م	١٥٩
			ش١	١٠٥
	٣٣:		م	٩٧
			ش٢	١١٨٩
	٣٣:	-٣٦	ش١	٥٤٥
	٣٤:		م	٦١
			م	٧٧
			م	١٦٧
			ش٢	١٠٥٤
	٣٤:	-٣٥	م	١٥٩
	٣٥:		م	٢٠٩
			م	٢٤٤
			ش١	٥٥٠
	٣٥:	-٣٦	ش١	٣٤٦
	٣٦:		م	٦١
			م	٩٧
			م	١١٠
			م	١٥٩
			م	١٦٧

٨	٣٦:		م	٢٠٩
			ش١	١٠٥
			ش١	١٠٧
			ش١	٣٨٨
			ش١	٥٤٣
			ش١	٦٣٦
			ش٢	١١٦٣
	٣٧:		ش١	٤٧٥
	٣٧:	-٤٢	ش١	٥٤٥
	٣٨:		م	١٨٨
			م	٢٠٩
			ش١	٣٤٧
			ش١	٣٤٧
			ش٢	١٠٢٦
	٣٨:	-٤٠	ش١	٢٥٦
	٣٩:		م	٩٥
			ش١	٥٤٤
	٣٩:	-٤٤	م	٣٣١
	٤٠:		ش١	١١٨
			ش١	٤٧٥
	٤٠:		ش١	٦٩٩
			ش٢	٨٨٠
	٤١:		ش١	٥٤٤
			ش١	٥٥٠
	٤١:	-٤٤	م	١١٣
			م	١٥٩
	٤٢:		م	٢١٠
			ش١	٣٤٧
			ش١	٤٥٠
			ش٢	٨٨٠
	٤٢:	-٤٤	م	١٥٢
			ش٢	١٠٣٧
	٤٣:		ش١	٢٩
			ش١	٦٤٨
			ش١	٧٥٧
			ش٢	٨٣٤
			ش٢	٩١٠
			م	٩٤
	٤٣:	-٤٤	م	٢٩٩
			ش١	٤٣٥
	٤٣:	-٤٧	ش١	٥٤٥
	٤٤:		م	١٤٣
			م	١٥٧
			م	١٦٧
			م	٣٢١
			م	٣٢٦
			ش١	٥١
			ش٢	٨٨٩
			ش٢	٩٣١
			ش٢	٩٥٨
			ش٢	١٠٥٥
			ش٢	١١٠٧
	٤٤:	-٤٨	م	١١١
	٤٦:		م	١٠٨
			م	٣٢١
			ش١	٥٣
			ش٢	٨٨٩
			ش٢	٩٥٨
			ش٢	١١١٩
			ش٢	١١٨٠
			ش٢	١٢١٧

٨	٤٦:	-٤٧	م	١٥٢
			ش١	٤٢٩
	٤٧:		م	٩٥
			م	١٦٥
			م	٣٢١
			ش١	٦٤٨
	٤٨:		ش١	٥٤٥
	٤٩:		م	٢١٤
			ش٢	٨٨٠
	٤٩:	-٥٠	ش١	٣٥٣
			ش١	٤٨٨
	٥٠:		ش١	٤٧٥
	٥١:		ش١	٢٨
			ش١	٦٨١
			ش٢	٩٢١
			ش٢	١٠٣٤
	٥١:	-٥٣	ش١	٥٤٥
	٥٣:		م	٣٩٣
			م	٤٠٢
			ش١	٢٨٣
			ش١	٥٤٥
	٥٤:		م	٢١٤
	٥٤:	-٥٥	م	٩٤
			م	١٥٠
			م	١٥٧
			ش٢	١٠٧٠
	٥٤:	-٥٨	ش١	٥٤٥
	٥٦:		م	٩٧
			ش١	٥٤٨
	٥٦:	-٥٨	ش١	٣٠
			ش١	٥٣٨
	٥٧:		ش١	٥٤٥
	٥٨:		م	٩٧
			م	١٥٨
			م	١٩٣
			م	٢٠٦
			م	٢٣١
			م	٢٣٢
			م	٢٤٤
			م	٤١٢
			ش١	٥٥
			ش١	١٠٨
			ش١	٢٨٣
			ش١	٣٨٨
	٥٩:		م	٢٣٤
			ش١	٦٩٩
	٦٨:	-٦٩	ش١	٤٨
٩	٢:		م	٢٩٥
	٢:	-٣	ش١	٣٣٧
	٣:		ش١	٦٦٣
	٣:	-٤	م	٢٩٥
	٤:		م	٢٣١
			م	٣٥٣
	٤:	-٥	م	١١٩
			ش١	٦٦٧
	٥:		م	٧٠
			م	١٢١
			م	١٤٤
			م	٢٧٤
			م	٢٩٢
			م	٣١٣

٩	٥:		ش١	٤٦
			ش١	٣٨٩
			ش١	٥٨٢
			ش١	٦٣٦
	٦:	-٧	م	٧٦
	٧:		م	٧٦
			م	٣٣٩
			م	٣٤٥
	١١:		م	٣٤٥
	١٤:		م	٩٨
	١٦:		م	٣٠٢
			ش١	٦٣٥
	٢٢:		ش٢	٩٤٨
	٢٧:		ش١	٥٩٥
	٣٥:	-٣٧	ش١	٣٨٩
	٣٥:	-٣٨	م	٣٣٩
	٣٦:	-٣٨	م	١٣٩
	٣٩:		م	١٤٤
			م	٢٩٧
			ش١	٦١
			ش١	٣٨٩
			ش١	٧٦٣
			ش٢	١١٩٦
			ش٢	١٢٩٤
	٤١:		ش١	٧٦٣
			ش٢	٩٣٥
			ش٢	١٢٩٣
١٠	١:	-٣	م	١٦٦
	٥:		م	٧٨
	٧:		م	١٥٨
			م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	٢٤١
	٧:	-٨	م	٢٧٠
	٨:		م	٢٦٩
	٩:		م	١٦٦
			م	٢٠٣
			م	٢٤١
			ش٢	٨٢٦
			ش٢	١٠٨٠
	١٠:		ش١	٣٩٦
			ش١	٤٠٣
			ش٢	٨٢٦
	١١:		م	١٣٥
			م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	٢٣١
			م	٢٤١
			م	٢٧٠
			ش١	١٧٨
			ش١	٣٨٩
			ش١	٦٨٦
			ش١	٧٤٠
	١١:	-١٤	م	٧٩
	١٤:		م	١٥٨
			م	١٦١
			م	١٧٩
			م	٢٤١
			م	٢٤٥
	١٤:	-١٥	م	١٥٠
			ش١	٤٥٢

١٠	١٥:		م	١٦٢
			م	٢٦٨
			م	٣٣١
			ش٢	١٠٧٠
	١٥:	-١٦	ش١	٧٠٥
	١٦:		م	٥٩
			م	٩٣
			م	٢٥٨
			م	٢٥٨
	١٧:		م	١٧٢
			م	٢١٢
	١٨:		م	٢١٢
			م	٢١٤
			ش١	٦٥٧
			ش١	٦٦٠
			ش٢	١٢١٩
			ش٢	١٢٢٣
	٢٢:	-٢٣	ش١	٥٨٠
	٢٣:		ش١	١٨٧
	٢٤:		م	١١٤
			ش٢	١١٨١
	٢٤:	-٢٥	ش٢	٩٨٥
	٢٤:	-٢٦	ش٢	١٠٣٧
	٢٥:		م	١١٤
			م	٢١٤
			م	٢٢٤
			ش١	٥٦
			ش١	٣٧٩
			ش١	٦٥٠
			ش٢	١١٨١
	٢٦:		م	٥٤
	٢٦:	-٣٠	ش١	٤٣١
	٢٧:		ش١	٣٥٧
	٢٧:	-٢٨	ش١	٣٨٩
	٢٧:	-٢٩	م	١٦٨
			ش٢	١٠٣٢
	٢٧:	-٣٠	م	١٧٤
	٢٨:		ش٢	٨٧١
			ش٢	١٠١٧
	٢٨:	-٢٩	ش١	٤٣٠
	٢٩:		م	٢١٣
			م	٢١٤
	٣٠:		م	١٩
			م	٥٧
			م	١١٤
			م	١٧٢
			م	١٨١
			م	١٩١
			م	١٩٢
			م	٢٠٨
			م	٢٣٢
			م	٢٣٤
			م	٣٢٨
			ش١	٣٧
			ش١	٢٥٤
			ش١	٣٨٩
			ش١	٤٢٩
			ش١	٥٥٤
			ش١	٦٣٠
			ش١	٦٤٩
			ش١	٧٠٠
١٠	٣٠:		ش١	٧٩٠
			ش٢	٨٣٥
			ش٢	٨٧٨
			ش٢	٨٨١
			ش٢	١٠٠٥
			ش٢	١٠٧٠
	٣٠:	-٣١	ش١	٦٩٩
	٣١:		م	٢٩٩
	٣٢:		م	٢١٤
			ش١	١١٨
			ش١	١٧٨
			ش١	٣٧٦
	٣٢:	-٣٣	م	١٩٥
	٣٣:		م	٢٣٤
			ش١	٣٤٣
	٣٥:		ش١	٣٧٩
	٣٦:		م	٢٠٥
			م	٢١٠
			ش١	١٠٣
			ش١	٣٦٢
			ش١	٣٨٩
			ش١	٤١٨
			ش١	٤٩٨
			ش١	٩٣٠
			ش٢	١٠٥٣
			ش٢	١٠٩٠
	٣٧:		م	٢١٤
	٣٧:	-٣٨	ش١	٣٧٦
			ش١	٤٣٩
			ش١	٥٩٨
	٣٨:		م	٦٨
			م	١٣٩
			م	٢٩٥
			ش٢	١٠٦٩
	٣٩:	-٤٠	ش١	٤٨٣
	٤٠:		م	٣٤٥
			ش١	١٣٦
١١	٢:		ش١	٦٥٨
	٤:		م	١٢٢
			ش١	٣٢٧
			ش١	٣٦٢
			ش١	٥٨٨
			ش١	٦٥٩
			ش١	٧٤٤
	٥:		ش١	٩٥٩
	٦:		ش١	٦٥٩
	٧:		ش١	٣٢٥
	٩:	١٠٠٠	ش١	٥٨٩
			ش٢	٩٤٧
	١٠:		م	٣٥٣
			ش٢	٧٩٨
	١١:	-١٤	ش٢	١٢٢٣
	١٥:		ش١	٦٥٩
	١٦:		م	٧٦
			م	٢٠٦
			م	٣٠٩
	١٨:		ش١	٦٥٩
	١٩:		ش١	٦٥٩
	٢٤:	-٢٥	ش١	٧٥٥
	٢٤:	-٢٦	م	٣٢٤
	٢٥:		م	٥٧
١١	٢٥:		م	١٠٨
			م	١٣٦
			م	١٣٧
			م	١٥٨
			م	١٦٣
			م	١٧٩
			م	٢٣١
			م	٢٤١
			م	٢٤٥
			م	٣١٥
			م	٤١٢
			م	٤١٢
			ش١	٨٩
			ش١	٣٨٩
			ش١	٤٥٣
			ش١	٦٥٦
			ش١	٦٧٣
			ش٢	١٠٠٥
			ش٢	١٠١٧
			ش٢	١٠٨٩
	٢٥:	-٢٦	م	١٣٧
			ش١	٩٢
	٢٦:		ش٢	٨٥٥
	٢٦:	-٢٧	م	١٤٧
			ش١	١٤٩
	٢٧:		م	٣٠٦
			ش١	٦٨٢
			ش١	٧٢٧
			ش٢	١١٤٠
	٢٨:		ش١	٦٥٩
	٣٠:		ش١	٦٥٩
	٣٢:		ش١	٩٥٩
	٣٣:		ش١	٩٥٩
			ش١	٧٤١
	٣٥:		ش١	٩٥٩
			ش٢	١٠٠٦
	٣٧:		ش١	٦٦٤
	٣٨:		ش١	٦٥٩
			ش٢	١٢٦١
	٣٨:	٣٩٠٠	ش٢	١٣٦٠
	٤٠:		م	١٢٦
			م	١٣٩
			م	٤١٢
			ش١	٩٥٩
	٤١:	-٤٢	م	٢١٠
	٤٢:		ش١	٧٤٥
			ش٢	١٠٨٦
	٤٣:		م	٦٩
			م	٢٤٥
			م	٣١٦
			م	٣٢٤
			ش١	٣٨٩
	٤٤:		ش١	٦٥٩
			ش٢	١٢٤٧
	٤٥:		ش١	٧٣١
	٤٥:	-٥٠	ش١	٧٣١
	٤٧:		م	٣٠٢
	٤٧:	-٥٠	م	٣٩
	٤٨:		م	٩٧
	٤٩:	-٥١	م	٣٠٣
			ش٢	١١٢٨

١١	٤٩:	٥٠-	ش٢	١٢٠٢
	٥٠:		ش٢	٩٥٠
	٥٠:	٥٢-	م	٢٥٨
	٥١:	٥٢-	م	٢٠٢
			ش١	٦١٩
			ش١	٦٢٥
	٥٢:		م	٩٣
			ش١	٧٠٦
	٥٣:		م	٤٠٩
			ش١	٧٣١
	٥٤:		م	٣٤٥
	٥٧:		م	٣٠٢
			ش١	٤٩٤
	١:	٨-	م	٣٤٧
			ش١	٦٥٨
	٢:	٣-	م	٣٥١
			ش١	٦٦٢
	٣:		م	٣٤٩
			م	٣٥١
			ش٢	١٢٤٥
	٥:		م	٣٤٩
	٦:		ش١	٤٧١
	٧:		ش١	٢٨٣
			ش٢	١٢٤٥
	٨:		م	٣٤٩
	١٢:	١٥-	م	٣٤٧
	١٣:		م	٣٤٩
			ش١	٣٨٩
			ش١	٧١٨
			ش٢	١١٥٧
	١٣:	١٦-	م	١٠٠
	١٣:	١٩-	م	٣٥١
	١٦:		م	١٢٧
			ش١	٧١٩
	١٨:		ش١	٧٣١
	١٩:		م	٣٠٢
			ش١	٢٥١
			ش١	٤٩٤
			ش١	٧٠٤
			ش٢	١١٢٩
	٢٣:		م	١٩٦
			م	١٩٧
			م	٢٣٥
			ش٢	٨٠٠
			ش٢	١٠١٣
	٢٣:	٢٤-	م	١٢٧
			ش١	٧٣٠
	٢٣:	٣٣-	ش٢	١١٠٥
	٢٤:		م	٣٣٨
			ش١	٣٠٦
			ش٢	٩١١
	٢٥:		ش١	٥٨٩
	٢٦:		م	٢٣٨
			ش٢	١٠٨٧
	٢٧:		ش١	٢٢٩
			ش١	٤٤٦
			ش١	٦١٨
			ش١	٦٨٦
			ش١	٧٣٥
			ش٢	٧٧٧
			ش٢	٨١٥

١٢	٢٧:		ش٢	١٠١٤
	٢٧:	٢٨-	ش٢	١٠١٤
	٢٧:	٣١-	ش١	٥٢٨
	٢٨:		م	٢١٣
			م	٢٣٥
			م	٤١٢
			ش١	١٠٠
			ش١	٥٠٠
			ش٢	١٠١٦
	٢٨:	٣٠-	ش١	٦٨٩
	٣٠:		ش٢	١٠١٤
	٣١:		م	١٦٧
			م	١٩٨
			م	٣٢٤
			م	٣٨٧
	٣١:		ش١	٢٤٣
			ش١	٤٣٠
			ش١	٥٠٠
			ش١	٧٤٢
			ش٢	٨٨٦
			ش٢	٨٨٨
			ش٢	١٠٣٨
	٣٢:		م	١٦١
			ش١	٥٣٤
			ش١	٦٢٥
			ش١	٧٢٤
			ش٢	١٠٣١
			ش٢	١٠٥٥
			ش٢	١٢٤٥
			ش٢	١٢٧٦
	٣٣:		ش١	٧٤١
	٣٤:		م	٩١
			م	١٩٦
			م	١٩٧
	٣٥:		م	٧٠
			م	١٠٤
			م	١٠٩
			م	١١٩
			م	١١٩
			م	١٢٢
			م	٢٣٩
			م	٣٢١
			م	٣٥٣
			ش٢	٩٧٠
	٣٦:		م	١١٩
			م	١٢٢
			م	١٢٤
			ش١	٧١
			ش١	٢٤١
			ش١	٧٥٩
	٣٧:	٤٠-	م	١٠٢
			ش٢	١٣١١
	٣٧:	٤١-	ش١	٦٧
	٣٧:	٤٣-	ش١	٣٨٩
	٣٨:	٣٩-	ش١	٥٥٥
	٤٠:		ش١	٦١
			ش١	٥٥٥
	٤١:		ش١	٦٨
			ش٢	١٢٤٢
	٤٢:		ش٢	١٢٤٠
	٤٢:	٤٣-	م	٣٠٢

١٢	٤٢:	٤٣-	ش٢	٩٤٨
	٤٣:		ش١	٧٠١
			ش٢	١٢٤٠
	٤٤:	٤٥-	م	١٦٣
			ش١	٣٧
			ش٢	٨٣٣
	٤٤:	٥٠-	ش١	٣٨٩
	٤٥:		ش٢	٨٣٦
			ش٢	١٣٠٩
	٤٥:	٤٦-	ش١	٤٣٢
	٤٦:		م	١٢٠
			م	١٢٦
			م	٢٠٢
	٤٧:		ش١	٥١٣
	٤٧:	٤٨-	ش١	٣٥٧
			ش١	٤٧٠
	٤٨:		م	١٠٤
			م	١٤٤
			م	١٤٥
			م	٣٢٩
			ش١	٥٩٨
	٤٩:		م	١٨٨
			م	٢١٠
			ش١	٣٤٥
			ش١	٣٤٧
			ش١	٣٧٨
			ش١	٥٥٤
			ش٢	٨٨٠
	٤٩:	٥٠-	م	٢١٢
			م	٢١٣
			ش١	٣٧
	٥٠:		م	١٣٦
			م	١٨٨
١٣	١:		م	٣٤٧
			ش١	٤٦٢
			ش١	٤٦٥
			ش١	٦٢٤
			ش١	٧٦٦
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٩٥٤
			ش٢	١٠١٣
	١:	٢-	ش٢	٧٩٠
			ش٢	١١٥٠
	٢:		م	٣٥٣
	٣:		م	٢٠٦
			م	٢١١
			ش١	٣٧٧
			ش١	٥٥٢
			ش٢	٧٧٨
			ش٢	٨٢٥
			ش٢	٨٢٥
			ش٢	١٠١٦
	٤:	١٤-	م	٣٥٢
			ش١	٤٦٥
	٧:		م	٥٦
			ش٢	٩٨٤
	٨:		ش٢	٧٨٢
			ش٢	٩٩٨
	١٠:	١١-	ش٢	٩٠١
	١٢:	١٧-	م	٢٦٢
	١٣:		م	١٧٩

١٣	١٦:		م	٣٥٢
			ش٢	٧٨٩
			ش٢	٩٣٢
	١٨:		م	١٦١
			م	٢٨٠
			م	٣٠٤
			ش٢	١٠٤٧
	١٩:		م	١٥٨
			م	٢٣٣
			ش١	٦٧٢
			ش٢	٨٨٦
	٢٠:		م	٢٠٠
			م	٢٦٢
			ش٢	٧٨١
			ش٢	٩٩٨
			ش٢	١٢٨٦
			ش٢	١٢٨٧
	٢١:		م	٣٤٩
			ش١	٦٨٦
			ش١	٧٤١
			ش٢	٨١٥
	٢٣:		م	١٧١
	٢٦:	-٢٧	ش٢	١١٠٧
	٢٧:		ش١	٤٧١
			ش١	٧٢٠
			ش٢	٨٨٧
	٢٨:		ش٢	٩٨٤
	٣٠:		م	٣٥٣
			ش١	٢٠٦
	٣١:		م	١٢٧
			م	١٩٧
	٣١:		م	٢٠٢
	٣١:		ش١	٣٨٩
	٣١:		ش١	٥٠٠
			ش٢	٨٣٠
	٣١:	-٣٢	م	١٩٦
			ش٢	١٠٨٢
	٣٢:		م	١٢٧
	٣٣:		م	٤١
			م	٦٨
			م	٣١٥
			ش١	٥٣٥
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٩٧٠
			ش٢	١١٣٦
	٣٤:		م	٣٢١
			ش٢	٩٢١
			ش٢	٩٩٨
	٣٥:		م	١٤٠
			م	٢١٢
			م	٢٥٧
	٣٦:		ش١	٥٣٥
			ش٢	٨٩٠
			ش٢	٩٥٤
			ش٢	٩٨٤
			ش٢	١٠٢٩
			ش٢	١٠٤١
			ش٢	١٠٨٧
			ش٢	١٣٤٩
	٣٧:		ش٢	١٠٤٧
	٣٧:	-٣٨	ش٢	٩٩٤

١٣	٣٧:	-٣٨	ش٢	١٣٤٣
	٣٨:		م	٣٤٩
١٤	١:		م	٥٨
			م	١٤٨
			م	٣٠٩
			ش٢	٨٧٣
			ش٢	٨٨١
			ش٢	٨٨٦
	١:	-٣	م	٤١٥
	١:	-٩	م	٢١٦
			ش٢	٩٩٩
	٢:		م	٢١٤
			م	٣٢٩
			ش١	٤٦٢
			ش١	٤٧٧
	٢:	-٣	ش٢	٨٥٨
			ش٢	٨٨٥
	٢:	-٤	م	٣١٠
			ش١	٥٣٥
	٣:		م	٢٣٨
			م	٣١٨
			ش١	٢٨٧
			ش١	٤٩٥
			ش٢	١٠٤٠
			ش٢	١٠٨٧
			ش٢	١٠٩٠
	٤:		ش١	٤٦٢
			ش١	٤٦٣
			ش١	٤٩٥
	٤:	-٦	م	٢٤٥
	٥:		م	٣١٠
			ش٢	٩٥٤
	٦:		م	٦٠
			م	١٠٨
			م	١١٠
			م	١١٤
			م	١٣٦
			م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	٢٣١
			م	٢٣٢
			م	٢٤١
			م	٣١٠
			ش١	٢٨
			ش١	٤٦
			ش١	٦٢
			ش١	١٠٥
			ش١	١٠٧
			ش١	١٦١
			ش١	٤٤٢
			ش١	٤٥٣
			ش١	٥٤٢
			ش١	٥٥٤
			ش٢	٧٨١
			ش٢	٧٩٠
			ش٢	٨١٧
			ش٢	٨٤٥
			ش٢	٨٤٦
			ش٢	٨٩٦
			ش٢	١٠١٧
			ش٢	١٠٥٧

١٤	٦:		ش٢	١٠٨٠
			ش٢	١١٣٧
			ش٢	١١٦٢
	٦:	-١٠	م	٥٧
	٧:		م	١٦٢
			م	٢١٤
			ش١	١١٨
			ش٢	١٠٧٠
	٨:		م	٣٠٩
			ش١	٥٣٠
			ش٢	٩٨٧
	٨:	-٩	ش١	٣٩٥
	٩:		م	٥٧
			م	٦٨
			م	١٤٦
			م	١٦٢
			م	١٦٣
			م	١٩٣
			م	٣٠٩
			م	٤١٣
			ش١	٣٢
			ش١	٣٧
			ش١	١٠٠
			ش١	١٠٧
			ش١	١١٨
			ش١	٣٤٥
			ش١	٤٢٨
			ش١	٤٣٦
			ش١	٧٦٠
			ش٢	٨٢٩
			ش٢	٨٣١
			ش٢	٨٦٤
			ش٢	٨٨١
			ش٢	١٠٠٥
			ش٢	١٠٢٢
			ش٢	١٣٠٨
			ش٢	١٣٠٩
	٩:	-١٠	م	٣٠٩
	١٠:		م	١١٤
			م	١٨٨
			م	١٩١
			م	١٩١
			م	٢٠٨
			م	٢٣٢
			م	٢٩٤
			ش١	٣٧
			ش١	١٢٠
			ش١	٣٤٥
			ش١	٣٤٨
			ش١	٥٥٣
			ش١	٦٤٥
			ش٢	٨٥٢
			ش٢	٨٨٠
			ش٢	٩٠٢
			ش٢	٩٣٦
			ش٢	١٠٥٣
			ش٢	١٠٧٠
			ش٢	١١٦٣
	١٠:	-١١	م	١١٥
			ش١	٣٧٦
	١١:		م	٢٣٢

١٤	١١:		ش١	٥٦
			ش١	٦٤٧
	١٢:		ش١	٤٦٢
	١٢:	-١٣	م	١١٥
			ش٢	٨٠١
			ش٢	٨٨٥
	١٣:		م	٦٠
			م	٢٠٩
			م	٢١٤
			م	٢٣٥
			ش١	٣٤٦
	١٣:	-١٤	ش١	٦٩٤
			ش٢	٩٨٦
	١٤:		م	٢٣٥
	١٥:		ش٢	٩٢١
			ش٢	٩٨٤
	١٦:		م	١٨٨
			ش١	٦٨٣
			ش٢	٩٦٥
	١٦:	-١٧	م	٢٥٠
	١٦:	-١٨	ش٢	٨٨٥
	١٧:		م	٢٥٢
			ش١	١٠٩
			ش١	٢٨٦
			ش٢	٨٦٤
			ش٢	٩٤٠
			ش٢	٩٤٢
			ش٢	٩٦٤
			ش٢	٩٦٥
			ش٢	٩٩١
			ش٢	١٠٢٦
			ش٢	١١٦٣
	١٨:		ش٢	٨٢١
			ش٢	١٠٤٠
	١٩:		م	١٣٥
			م	٢٦٦
			م	٤١٢
			م	٤١٥
			ش١	٤٣٣
			ش١	٤٣٧
			ش١	٤٥٤
			ش١	٥٧٤
			ش١	٦٧٠
			ش٢	٩٧٠
			ش٢	٩٩١
			ش٢	١٢٧٢
			ش٢	١٢٨٨
			ش٢	١٣١٣
	٢٠:		م	٥٩
			م	٢١٤
			ش١	٦٢١
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٩٧٨
			ش٢	١٠٦٩
	٢٠:	-٢١	ش١	٤٥٠
	٢١:		م	٦٩
			م	٢١٤
			م	٢٣٩
			م	٢٥٧
			ش١	٨٢
			ش٢	٩٢١
١٤	٢١:		ش٢	٩٦٦
			ش٢	٩٨٨
			ش٢	٩٩١
			ش٢	٩٩١
			ش٢	١٢٦٣
			ش٢	١٣٢٩
			ش٢	١٣٣٧
	٢٢:		ش١	٤٨٠
	٢٣:		م	٢١٤
			م	٢١٤
			م	٣٢٨
			ش١	٨٨
			ش١	٤٨٠
			ش٢	٨١٨
	٢٤:		م	٢١٠
			م	٢٣٢
			ش١	٢٨
			ش١	١١٨
			ش١	٣٤٧
			ش٢	٩٢١
	٢٥:		ش٢	٨٥٢
			ش٢	٩١٧
	٢٥:	-٢٦	م	٢٥٠
	٢٦:		م	٢٣٥
			م	٢٦٢
			م	٣٥٩
			م	٣٩٢
			م	٣٩٣
			ش٢	٨٨٥
			ش٢	٨٨٧
			ش٢	٩٣٩
			ش٢	٩٦٥
	٢٧:		م	١٤٨
			ش٢	٨٥٠
			ش٢	٩٩٦
			ش٢	١٠٥٤
			ش٢	١١٧٥
			ش٢	١٢٨٥
	٢٨:		ش١	٤٦٢
	٢٩:		ش١	٦٧٢
			ش٢	١١٤٣
			ش٢	١٣١٠
	٣٠:		م	١٦٧
			ش١	٥٣
			ش١	٧٤٧
			ش٢	٨٣١
			ش٢	١٠١١
			ش٢	١١١٦
	٣١:		م	١٩١
			م	٢١٢
			ش٢	١٠٠٨
			ش٢	١٠٧٦
			ش٢	١١٠٣
١٥	١:		م	٥٩
			م	١٥٨
			م	١٧٩
			م	٢١٤
			م	٢٤١
			م	٢٧٢
١٥	١:	-٩	ش٢	٩٩٩
		-١٠	م	٧٩
١٥	٢:		م	٥٩
			م	٢٥٧
	٣:		م	١١٠
			م	٢٥٠
			ش١	٢٨
			ش١	٥٥٤
			ش١	٦٤٨
	٣:	-٤	ش١	٥٢٤
	٤:		م	١٣٩
			م	١٤٣
			م	١٥٨
			م	٢٥٧
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٨٧٢
			ش٢	٨٧٨
	٤:	-١٠	ش١	٥٤٣
	٥:		م	٥٩
			م	١٥٨
			م	٢٠١
			م	٢٤١
			م	٢٥٧
			م	٢٧٠
			ش١	٤٠
			ش٢	٨١٠
			ش٢	٨٤٢
	٦:		ش٢	٩٠٥
	٧:		ش١	٢٨
			ش١	٦٩٤
			ش٢	٩٠٣
			ش٢	٩٢١
			ش٢	٩٨٦
	٨:		م	٢١٤
			ش٢	٨٩٨
			ش٢	٩٠١
			ش٢	٩٩٩
	٩:		م	١٧٤
			م	٢١٣
			ش١	٤٥٢
			ش٢	٨٧٢
			ش٢	١٠٧٦
١٥	٩:	-١٠	م	٣٢٧
١٥	٩:	-١١	م	١٣٩
١٥	١٠:		م	١٧٥
			م	٢١٢
			م	٢١٤
			م	٣٢٢
			ش١	٥٢٤
			ش١	٦٢١
			ش٢	٨٢٥
	١١:		ش٢	٨٧٢
			ش٢	٩٤٧
			ش٢	٩٨٣
	١٢:		م	١٣٩
			ش٢	٩٢٤
			ش٢	١٠٧٧
	١٣:		م	١٧١
			م	١٧٢
			ش١	٤٥٠
			ش٢	٧٧٨
			ش٢	٨٠٥
			ش٢	٩٩٩

١٤	١٣:		ش٢	١٣٤٤
	١٣:	-١٤	م	١٤٠
	١٣:	-١٥	ش١	٦٦٨
	١٥:		م	٦٨
			م	١٤٣
			م	١٧٣
			م	٢١٥
			ش١	١١٨
			ش١	٣٤٧
			ش١	٣٥٢
			ش٢	٩١٣
			ش٢	٩٦٢
			ش٢	٩٦٩
			ش٢	٩٨٧
			ش٢	٩٩٩
			ش٢	١٢٧٧
	١٦:		م	٥٩
			م	٢٣٥
			ش٢	٩٨٦
			ش٢	١٠٣٢
	١٨:		م	١٦٩
			م	٣٢٢
	١٨:	-١٩	ش٢	٨٤٧
	١٨:	-٢٠	م	٣٢٧
	١٨:	-٢١	ش٢	١٠٣٧
	١٩:		م	١٦٥
	٢٠:		ش٢	٩٥١
	٢٠:	-٢١	م	١٦٩
			ش٢	٨٤٧
			ش٢	٩٩٩
	٢٢:		ش١	٤٢٩
			ش٢	١١٣٤
			ش٢	١٢٣٧
	٢٣:		م	٦٩
			م	٣٢٠
	٢٣:	-٢٥	ش٢	٨٣٣
	٢٤:		م	١١٥
			م	١٩٥
			م	٢١٥
			م	٤١١
			ش١	٥٦
			ش١	٣٧٦
			ش١	٦٤٧
			ش١	٦٤٨
			ش١	٦٥٠
			ش٢	١٠٤١
	٢٤:	-٢٥	ش١	٦٨
			ش١	٣٨٣
			ش١	٥٣١
			ش٢	٨٤٧
			ش٢	١٠٩٢
	٢٥:		ش١	١٩٢
	٢٦:		م	١١٧
			م	١١٨
			م	٢٤٩
			م	٣٥٥
			ش١	٥٦
			ش٢	٨٦٩
	٢٦:	-٢٧	م	٢٠
			م	١١٧
			م	٢٥١

١٥	٢٦:	-٢٧	م	٢٥٣
			م	٢٦٣
			م	٢٨٤
			ش١	٢١
			ش٢	٩٦٥
			ش٢	١٠٥٠
	٢٧:		م	١٥٨
			م	٢٦٣
			ش١	٥٦
١٦	١:		ش٢	٩١٧
	٢:		م	٧٧
			م	٣٢٧
	٣:		م	٩٤
			ش٢	٩٤٩
	٤:		ش١	٦٧٢
			ش٢	٩١٧
	٥:		ش١	٤٩٥
	٥:	-٧	ش١	٤٦٢
	٦:		ش٢	٩١٧
	٧:		ش١	٤٩٥
			ش١	٤٩٥
			ش١	٥٠٠
			ش٢	٨٧٥
			ش٢	٩٣٩
			ش٢	١٠٤١
			ش٢	١٢٢٣
			ش٢	١٢٧٧
	٧:	-١١	م	١٩٨
			م	٢٥٣
			ش١	٥٢٨
	٨:		ش١	٥٦١
			ش٢	٩٤٢
			ش٢	١٠٥٩
	٨:	-٩	م	١٥١
	٩:		ش٢	٩٥٩
	١٠:		م	٢١٥
			ش١	٤٦٢
	١١:		ش١	٢٤٢
			ش٢	٨٨٨
	١٢:		م	٢٥١
			م	٢٥٣
			ش٢	١٣١٢
	١٢:	-١٣	م	٣٩٩
			ش٢	٨٧٠
	١٢:	-١٤	م	٢٥٣
	١٣:		م	٢٠
			م	١٠٨
			م	١١٠
			م	١١٧
			م	١٤٩
			م	٢٤٩
			م	٤١٣
			ش٢	٨٦٩
			ش٢	٩٤٠
			ش٢	٩٤١
			ش٢	٩٦٥
			ش٢	١٠٩٣
	١٣:	-١٤	م	٢٦٣
			م	٣٥٩
	١٤:		م	٢٠
			م	١١٠

١٦	١٤:		ش١	٥٦
			ش١	٥٠٢
			ش٢	٨٦٩
			ش٢	٩٦٥
	١٥:		م	١٧٥
	١٦:		ش٢	١٠٤٠
	١٩:		ش٢	٩٩٢
	٢٠:	-٢٢	م	٣٢٧
			ش٢	٨٨٧
	٢٢:		ش٢	٨٥٠
			ش٢	٨٥٨
			ش٢	٨٧٢
			ش٢	١٠٤١
			ش٢	١٠٥٤
			ش٢	١٠٦٧
			ش٢	١٢٧٤
			ش٢	١٢٨٣
			ش٢	١٢٨٤
			ش٢	١٣٢٩
	٢٣:		م	٢٣٥
			ش١	٦٩٤
			ش٢	٩٨٦
	٢٤:		م	٣٢٢
			ش١	٦٩٤
			ش٢	١٠٤٨
	٢٥:		م	١٩
			م	٣٩٩
			ش١	١١٨
			ش١	٤٥٦
			ش٢	٩١٧
	٢٦:		ش١	١٠١
	٢٦:	-٢٧	م	٢١٤
			ش١	٣٥٤
			ش١	٦٩٤
			ش٢	٩٢٨
	٢٧:		م	١٧٥
			م	٢٥١
			ش١	٣٥٨
			ش١	٥٥٢
			ش١	٦٩٥
			ش٢	٨٤٣
			ش٢	٩١٧
			ش٢	٩٢٥
			ش٢	١٠٩٣
	٢٨:		م	٢٠٦
			م	٣٤٠
			م	٣٤١
			م	٤١٥
			ش١	٤٦٢
			ش١	٥٥٢
			ش٢	٩٤٦
	٣٠:		ش١	٥٥٢
			ش١	٦٧٢
	٣١:		ش٢	١١٤٢
			ش٢	١٣٠٧
	٣٢:		ش١	١٢٠
			ش١	٣٠٦
			ش١	٧٠٨
			ش١	٧٣٥
			ش٢	٨٣٥
			ش٢	٩٧٧

١٦	٣٢:		ش٢	١٠٤٠
			ش٢	١٠٤١
			ش٢	١٣٣٢
	٣٣:		م	٣٢٢
			ش١	٢٧
			ش١	٦٧٢
			ش١	٧٣٩
			ش٢	٨٣١
			ش٢	٨٧٢
			ش٢	٨٩٠
			ش٢	٩١٧
			ش٢	٩٩٠
			ش٢	١٠١٠
			ش٢	١٠٥٥
			ش٢	١٠٨٧
			ش٢	١١٧٣
			ش٢	١٣١٢
١٧	١:		م	٢٠٩
			م	٣٩٧
			ش١	٣٤٦
			ش٢	٩٧١
	١:	-٢	ش١	٤٣٠
			ش١	٦٣٣
	١:	-٥	م	٣٤٠
	٢:		م	٢١١
			ش١	٧٨
			ش١	٣٧٨
			ش١	٤٣٠
			ش١	٦٣٣
			ش٢	١٠١٥
			ش٢	١٠٨٧
١٧	٣:		م	٦١
			م	١١٣
			م	١٤١
			م	١٥٣
			م	١٦٢
			م	٢١٠
			ش١	٤٥
			ش١	٦٠
			ش١	١١٥
			ش١	٢٨٤
			ش١	٢٩٤
			ش١	٥٤٢
			ش١	٦٨١
			ش٢	٨٨١
			ش٢	٩٢٦
			ش٢	٩٣٣
			ش٢	١٠١٥
			ش٢	١٠٢٩
			ش٢	١٠٩٢
			ش٢	١١٦٣
١٧	٤:		م	٢١١
			م	٢٩٣
			م	٢٩٦
			ش١	٢٣٥
			ش١	٣٠٥
			ش١	٣٥٠
			ش١	٣٥٣
			ش١	٣٧٦
			ش١	٣٧٨
			ش١	٣٧٨

١٧	٤:		ش١	٤٠٧
			ش٢	٨٧٨
			ش٢	٨٩٨
			ش٢	١٠١٥
			ش٢	١٠٣١
			ش٢	١٠٥٥
			ش٢	١٢٢٣
	٤:	-٥	ش١	٥٠٠
			ش٢	٨٠٠
	٤:	-٦	م	٢٩٥
			ش٢	١٠١٤
١	٥:		م	٥٨
			م	١٩٢
			ش١	٢٦
			ش١	٣٣
			ش١	١٠٠
			ش١	٥٦٨
			ش١	٦٣٤
			ش١	٦٩١
			ش١	٦٩٢
			ش٢	٨٧٧
١٧	٦:		م	٥٨
			م	١٥١
			م	١٦٠
			م	٢١٢
			م	٢٣٥
			ش١	٣٥٤
			ش١	٣٧٨
			ش١	٥٣٦
			ش١	٦٣٩
			ش٢	١٠٥٩
			ش٢	١٠٦١
			ش٢	١٠٨١
	٧:		م	٢١٢
	٨:		م	٧٦
			م	١٧٥
			م	١٨٨
			م	٢١١
			م	٢١١
			ش١	٣٥٨
			ش١	٤٦٨
	٩:		م	٥٨
			م	١٥١
	١٠:		م	١٧٥
			م	١٩٢
			ش١	٣٥٤
			ش١	٤٣٦
			ش١	٦٣٤
			ش١	٦٣٩
			ش١	٦٩٢
			ش٢	٨٧٨
			ش٢	٨٨١
	١١:		م	١٧٥
			م	٢١١
			م	٢٣٥
			ش١	٤٦٢
			ش١	٤٦٨
			ش٢	١٠٤٠
			ش٢	١٠٥٨
			ش٢	١٠٦٧
			ش٢	١٠٦٨

١٧	١١:		ش٢	١٠٩١
	١٢:		م	١٥١
			م	٢١١
			م	٢١٨
			م	٢٣٥
			ش١	٣٧٨
			ش١	٧٢٧
			ش٢	٨٩٨
			ش٢	١٠٣٢
			ش٢	١١٣٥
	١٣:		ش١	٤٦٢
			ش٢	٨٧١
			ش٢	٩٧٩
			ش٢	٩٨٣
			م	١٦٥
			م	١٨٨
			ش١	٢٨
			ش٢	٨٨٩
			ش٢	١٠٨١
	١٤:	-١٥	م	١٦٨
			م	٣٠٣
	١٥:		ش٢	١٠٥٢
			ش٢	١٠٥٨
			ش٢	١٠٦٦
	١٦:	-١٧	ش٢	١٠٩١
			م	١١٠
			ش١	٢٨
			ش٢	١١٦٢
			ش٢	١١٦٣
	١٧:	-١٨	ش٢	١٢٨٥
	١٧:	-٢٣	ش٢	١٠٤٥
	١٨:		م	٢١١
			ش١	٤٥٢
			ش٢	٩٨٩
			ش٢	١٠٥٣
	١٩:		ش١	٨٥
			ش١	١٧٢
			ش١	٣٠٥
			ش٢	١٠٠٩
			ش٢	١٠٥٣
			ش٢	١٠٧٩
			ش٢	١٠٨٠
			ش٢	١٢٨٧
	٢٠:	-٢١	م	١٧٥
			ش٢	٨٧٨
	٢١:		م	١٧٣
			م	٢١١
			م	٢٥٧
			م	٢٦٠
			ش١	٩٠
			ش١	٤٥٢
			ش١	٦٢١
			ش٢	٨٠٧
			ش٢	٨٨١
			ش٢	٩٨٣
			ش٢	٩٨٩
			ش٢	١٠١٦
	٢٢:		م	١٢٤
			م	١٢٧
			م	١٣٧
			م	١٧٥

١٧	٢٢:		م	١٧٥
			م	٢١٠
			م	٢١١
			م	٣٠٣
			ش١	١١١
			ش١	٤٦٥
			ش٢	٨٧٩
			ش٢	٩٢٦
			ش٢	٩٥٥
			ش٢	١٠١٦
			ش٢	١٠٩٠
	٢٢:	-٢٣	ش٢	٧٩٨
	٢٣:		م	٥٩
			م	١٤٣
			م	١٥٧
			م	١٧٥
			م	١٨٧
			م	١٩١
			م	٢١١
			م	٢٥٠
			م	٢٦١
			ش١	٩٠
			ش١	١١٣
			ش١	٣٧٨
			ش١	٥٢٤
			ش٢	٨٠٧
			ش٢	٨٥٣
			ش٢	٨٥٧
			ش٢	٨٧٩
			ش٢	٩١٢
			ش٢	٩٦٩
			ش٢	٩٨٣
			ش٢	٩٨٩
			ش٢	١٠٧٦
			ش٢	١٠٩٠
	٢٤:		م	٥٨
			م	١٣٧
			م	١٥١
			م	١٦٨
			م	١٨٠
			م	١٩٣
			م	٣١١
			م	٢٣٨
			ش١	٢٦
			ش١	٣٣
			ش١	١٠٠
			ش١	١٥٣
			ش١	٣٧٨
			ش١	٥٠٠
			ش١	٥٣٥
			ش١	٩٣٤
			ش١	٧٣٩
			ش٢	٨٢٣
			ش٢	١٠٢٨
			ش٢	١٠٧٦
	٢٥:		م	٧٦
			م	١٥٠
			م	١٥٦
			م	٢١١
			ش٢	٩٨٩
	٢٥:	-٢٦	م	٣٩٩
١٧	٢٥:	-٢٦	ش١	٥٦٩
			ش٢	٨٣٩
			م	١٥٠
			م	١٧٤
			م	٢٣٥
			م	٢٩٦
			م	٣٤٧
			ش١	٥٣٦
			ش١	٥٤٢
			ش١	٦٢٢
			ش١	٧٢٧
			ش٢	٨٠٧
			ش٢	٨٧٨
			ش٢	٩١٣
			ش٢	١٠٧٦
١٨	١		ش٢	١٠٠٨
	١	-١١	م	٣٤٧
	٢	-٤	م	٢٥٣
	٣		م	٣٠٢
			ش١	٤٩٤
	٤		م	٢٠٦
			م	٢٤٠
			ش٢	١٠٩٧
	٤	-٥	م	٢٣٣
			ش١	٦٣٢
	٥		م	١٥٨
	٦		م	١٥٨
			م	٢٣٣
			ش١	١٨٩
			ش٢	١٠٩٨
	٨		م	١٥٨
			م	٢٣٣
			ش٢	٩٩٣
			ش٢	١٠٩٧
	٨:	-٩	ش٢	١٠٩٨
	٩:		م	٢١٢
	١٠:		م	٣٥٠
	١١:		م	٢١٢
			ش١	٣٣٥
			ش١	٧٤٤
			ش٢	١٠٩٧
			ش٢	١٠٩٨
			ش٢	١١٠٦
			ش٢	١١١٦
			ش٢	١١١٩
	١٢:		ش٢	١١٠٨
	١٢:	-١٣	ش١	٧٠١
			ش٢	١١٢٠
	١٤:		م	٣٠٠
			ش٢	١١٢٠
	١٥:		م	٣٠
			م	٢٨
			ش٢	١١١٤
			ش٢	١١٢٢
			ش٢	١٢٥٠
	١٦:		ش٢	١١٣١
	١٨:		م	٣٥٤
	١٩:		ش٢	١١١٤
			ش٢	١١٢٦
			ش٢	١١٤١
	١٩:	-٢٠	ش١	٥٣١
١٨	١٩:	-٢١	ش٢	١١٢٠
	٢٠		م	٧٨
			م	٩٧
	٢٠	-٢١	ش٢	١٠٩٨
	٢٣		ش٢	٩٢٠
	٢٤		ش٢	١١٢٢
			ش٢	١١٢٤
	٢٥		ش٢	١١٨١
	٢٥	-٢٧	م	٣٥٤
	٢٦		ش١	٧٢٨
			ش٢	١١١٠
	٢٨		ش٢	١١٠٩
			ش٢	١١٢٢
	٢٩		ش٢	١١٠٩
	٣١		م	٣٠٠
			م	٣٠٣
			ش٢	١١٤٣
	٣١	-٣٤	م	٥١
	٣٣		م	٩٠
			ش٢	١١٣٥
	٣٣	-٣٤	م	٩٠
	٣٣	-٣٧	م	٣٤١
	٣٣	-٣٨	ش٢	١١٧٩
	٣٥		م	٣٠٣
	٣٦		م	٣٠٠
			م	٣٢٤
			ش٢	١٠٩٨
			ش٢	١٢٧١
	٣٦	-٣٧	م	٩٠
	٣٧		م	٩٣
			م	١١٤
			ش١	٥٦
			ش١	٥٦٢
			ش١	٧٢٤
			ش٢	٨٢٦
			ش٢	١٠٩٨
			ش٢	١١١٦
			ش٢	١١١٦
	٣٧:	-٣٨	م	٥١
	٣٧:	-٣٨	م	١١٠
	٣٨:		م	٣٠٣
			م	٣٥٤
			ش٢	١١١٦
			ش٢	١١١٦
			ش٢	١١٧٨
	٣٨	-٤٠	م	٣٠٠
١٩	٤:		ش٢	١١١٦
	٤	-٦	م	٣٥٤
	٦		م	٣٠٣
			ش٢	١١١٦
	٦	-٩	ش١	٢٤٣
	٧		ش٢	١١٨٣
	٧	-٨	م	٢٠٧
	٨	-٩	ش٢	١١١٦
	١٠	-١١	ش١	٩٣٢
	١١		م	٣٠٤
			م	٣٥٣
			ش١	٢٠٨
			ش١	٤٧٠
			ش١	٥٢٨
			ش٢	١٠٩٨

١٩	١١:		ش٢	١١١٠
			ش٢	١١١٩
	١٢:		ش١	٧٣٠
			ش٢	١١١٩
			ش٣	١١١٦
			ش٢	١١١٧
	١٣:		م	٧٩
			ش٢	١١١٧
	١٤:		ش١	٧٠٥
			ش٢	١١٥١
	١٤:	–٢١	م	٩٠
	١٥:		م	٣٠٣
			ش١	٣١٣
			ش١	٧٠١
			ش٢	١١١٧
	١٦:		ش٢	١١١٧
	١٧:		م	٧٩
			م	٣٤٥
			ش١	٦٣٣
	١٩:		م	٣٥٠
	٢٠:		ش٢	١١٩٧
	٢٢:		ش١	٢٠٨
	٢٣:	–٢٤	م	٦٦
	٢٤:		ش٢	١٠٩٨
	٢٥:	–٢٧	م	٣٨
	٢٦:		م	٣٠١
			ش٢	١٢١٨
	٢٦:	–٢٧	م	٣١
	٢٧:		م	٣٠١
	٢٨:		م	٣٠٦
			ش١	٢٧٩
			ش١	٩٨٧
			ش٢	١٠٩٨
			ش٢	١٠٩٨
			ش٢	١٢١٨
	٢٨:	–٢٩	ش١	١٩٢
	٢٩:		ش٢	١٣٣٣
	٣٠:		ش١	١١٦
			ش١	١٤٦
			ش١	٣٠٥
			ش١	٣٤١
			ش١	٦٣٢
			ش١	٦٨٦
			ش١	٧٤٠
			ش٢	٩١٦
			ش٢	١٠٩٨
			ش٢	١١٣٩
			ش٢	١٢٣٣
	٣١:		م	٢٩٩
			ش١	٣٤١
			ش٢	١١٥١
			ش٢	١١٨٧
			ش٢	١٢٣٧
			ش٢	١٢٤١
	٣٣:		م	٩٨
	٣٣:	–٣٦	ش١	٤٠٠
	٣٤:		م	٢٨٤
			م	٣٥٩
	٣٥:		م	١١٧
			م	٣٦٠
			ش١	٥٦

١٩	٣٦:		م	٩٨
	٣٦:	–٣٧	ش٢	١٠٩٨
	٣٨:		ش١	٢٠٥
	٣٩:		ش١	٢٠٥
			ش٢	١١٢٩
	٤١:		م	٣٤٥
			ش٢	١١٠٥
٢٠	٢:		ش١	٦٨٧
	٨:		ش٢	١٢١٤
			ش٢	١٢٢٦
	٩:		ش٣	٧٧٧
	١٤:	–١٨	ش٢	١٣١٤
	١٥:		م	٣٤٥
			ش٢	١١٠٥
	١٦:		م	٧٦
	١٧:		م	٢١٥
			م	٣٤١
			ش١	٤٦٢
	١٨:		ش٢	١٣٢٩
	١٩:		ش١	١٥٤
			ش٢	٩٧٦
	١٩:	–٢٠	ش٢	١٣١٤
	٢٠:		ش٢	١٢٨٣
	٢١:		م	٢١٠
			ش٣	٧٨٦
			ش٢	١٢٩٤
	٢١:	–٢٢	م	٣٤٨
	٢١:	–٢٣	م	٥٦
			م	٣٥٥
			م	٢٩٣
	٢٢:		م	٢٥٠
			م	٣٥٩
			ش٢	٨٥٢
			ش٢	٩١٣
			ش٢	١٢٩٠
	٢٢:	–٢٣	م	١٦٥
	٢٣:		ش٢	١٠٨٤
	٢٥:		م	٣١٠
			م	٤٠٥
			ش١	٢٨٣
	٢٦:	–٢٨	ش٢	١٣١٦
	٢٧:		م	٣١٠
			ش٢	١٣٥٤
	٢٨:		م	١٧٩
			م	١٩٢
			م	٢٣٧
			م	٣٠٥
			م	٣١٠
			م	٣٤١
			ش٢	٩٧١
	٢٩:		م	٣١٠
			ش١	٩٦
			ش١	٩٤٩
			ش٢	١٠٤١
			ش٣	١٢٦٣
			ش٢	١٣٠٣
	٣٠:		م	٢٩٥
			م	٢٩٨
	٣٠:	–٣١	م	٩٢
			م	٢٩٣
			م	٢٩٥

٢٠	٣٠:	–٣١	ش١	١١٥
			ش١	٦٥٥
			ش١	٦٨٢
			ش٢	٨٥٦
			ش٢	١٣٠٧
	٣١:		م	٢٣
			م	٦٠
			م	٦٥
			م	١٣٦
			م	١٩٠
			م	٣١٣
			م	٣٢٣
			م	٣٤١
			م	٣٩٩
			ش١	٧٣
			ش١	٧٥
			ش١	٢٦٣
			ش١	٣٦٢
			ش٢	٨٣٦
٢١	١:		م	٢٤٥
			ش٢	١٣١٧
	١:	–١٩	م	٢٥١
	٢:		م	٣٤٥
			ش١	١٥٧
	٣:	–١١	ش٢	١٣٣٩
	٥:		م	٦٨
	٦:		م	٢٨٦
	٧:		م	٣٢
			ش٢	٧٨٤
	١٥:		م	٢٦٢
	١٥:	–١٧	م	١٧٠
	١٦:		م	١٧٢
			ش١	٦٢٠
	١٨:		ش٢	٨٠٩
	١٨:	–١٩	ش١	٩٣
			ش٢	١٢٢٨
	١٩:		ش٢	١٣٤٧
	٢١:	–٢٣	م	٤٣
	٢٢:		م	٣٢
			م	٣١٨
			ش٢	٨٢١
	٢٤:		م	٧٠
			م	١١٧
			ش١	٣٠
			ش١	٥٦
			ش٢	١٣١٧
			ش٢	١٣٥٤
	٢٥:		م	٦٦
			م	٣٩٨
			ش١	٦٥٥

يوحنا الأولى (رسالة)

١	١:		م	٤٩
			م	٣٩٠
			ش١	٩٧
			ش٢	٩٩٠
			ش٢	١٣٥٩
	١:	–٣	م	٣٠
			م	٦٨
			م	١٣٥
			م	٤١٣

١	١:	-٢	ش١	٢١
	١:	-٣	ش٢	١٠٨٠
	١:	-٤	ش١	٢٢
			ش٢	٩٣٦
			ش٢	١٠١٨
			ش٢	١٠٢١
	٢:		م	١٦٢
			م	٣٢٠
			م	٤٠٤
			ش١	٤٥
			ش١	٣٨٢
			ش١	٤٥٣
			ش٢	١٣٣٠
	٢:	-٣	م	٦٧
			ش٢	١٠٢٢
			ش٢	١٠٧١
	٢:	-٤	ش١	٣٥٩
	٣:		ش٢	٨٣٢
			ش٢	٨٥٧
			ش٢	١٠٢١
	٣:	-٤	م	١٧٤
			م	١٩٠
			م	٢٦١
			م	٢٦٣
			ش٢	٩٨٣
	٤:		م	٤٩
			م	٣٢٢
			ش٢	١٣٥٦
	٥:		م	٧٨
			م	١٢٢
			م	١٢٢
			ش١	٤٧
			ش١	٥١
			ش٢	١٠١٨
			ش٢	١٠٥٧
	٥:	-٦	ش١	٧٦١
	٥:	-٧	م	٣٢٠
	٦:		م	١١١
			م	١٢٢
			ش٢	١٠٥٧
			ش٢	١١٦٤
	٧:		م	١٦٩
			م	٢٦٦
			ش٢	١٢٣١
	٨:		م	٧٨
			م	١١١
	٨:	-٩	م	١٦٩
			م	٢٦٦
			م	٣١٩
	٩:		ش٢	١٠٩١
			ش٢	١٢٩٤
	١٠:		م	٧٨
			م	١٦٩
			م	٢٦٦
٢	١:		ش٢	٨٨٥
	١:	-٢	م	٢٦٦
			م	٣١٩
			ش٢	١٢٩٤
	٢:		ش١	٧٠٧
	٣:	-٤	م	١١١

٢	٣:	-٦	ش٢	٩١٨
	٤:		م	٧٨
	٦:		ش١	٤٥٢
			ش٢	٩٠٣
			ش٢	٩٦٨
	٨:		م	٣٢٢
			م	٤١٥
			ش٢	٩٤٧
	٨:	-١١	م	١٣٢
	٩:	-١٠	م	٣٣
	٩:	-١١	ش٢	١٠٥٧
	١١:		م	٣٢١
	١٣:		ش٢	٨٣١
	١٣:	-١٤	م	٤١
	١٤:		م	٣٢١
			ش١	٢٨٦
			ش١	٧٤٧
	١٥:		ش٢	٨٣١
			ش٢	٨٤٨
	١٧:		ش٢	٨٤٩
	١٨:		م	٤١
			م	٦٣
	٢٠:		م	٣١٩
	٢٠:	-٢١	م	١١٠
	٢١:	-٢٢	ش١	٥٤٣
	٢٢:		م	٦٣
	٢٣:		م	١٤٩
			م	٣٢٠
			ش٢	٩٣٥
	٢٤:		م	٢٦٣
	٢٧:		م	١٤٩
			م	٣١٩
			ش١	٢٨٦
			ش٢	٩٠٣
	٢٨:		م	٤١
			م	٧٨
			م	٣١٩
			ش٢	٨٢١
	٢٩:		ش١	٧٥
			ش١	٢٠٨
			ش١	٥٤٦
٣	١:		ش٢	٩١٣
			ش٢	٩٢٩
			ش٢	٩٨٨
	١:	-٢	م	٣٢٣
			ش١	٧٥
	٢:		م	١٥١
			ش١	٩٠
			ش١	٢٠٩
			ش٢	٨٢١
			ش٢	٩١٣
			ش٢	٩٦٦
			ش٢	٩٧٢
			ش٢	١٠٨٨
			ش٢	١٠٨٩
			ش٢	١٣٥٦
	٤:	-٦	ش١	٥٤٦
	٥:		م	٣٢١
			ش١	١٤١
	٧:	-٩	م	١٦٦
	٨:		م	٣٢١

٣	٨:		ش١	٥٤٦
			ش٢	١٠٥٢
			ش٢	١٣٣٠
	٩:		ش١	٧٥
			ش١	١٠٦
			ش١	٢٠٨
			ش١	٢٨٢
			ش١	٦٤٠
	١١:	-١٢	ش١	٥٥٧
	١٢:		ش١	٥٥٦
	١٣:		م	٣٢٢
			ش٢	١٠٣٧
	١٤:		م	١٧١
			م	٣٢١
			م	٤٠٥
			ش١	٦٧٩
			ش٢	٨٠٧
			ش٢	٩٠٠
			ش٢	١٠٧٨
			ش٢	١٣٥٢
	١٤:	-١٥	م	٣٣
			م	١٤١
			ش٢	٩٠٠
	١٥:		ش١	٥٥٧
			ش٢	٩٠٣
	١٦:		م	١٧٢
			م	٣٢١
			ش٢	٩٢٣
			ش٢	١٠٧٧
	١٨:	-١٩	م	٣٣
			م	١٧٣
	١٨:	-٢١	م	١٤١
	١٩:	-٢١	م	١٤٤
	٢٠:	-٢٢	ش٢	٩٨١
	٢١:	-٢٢	ش٢	٩١١
	٢٢:		م	٣٢١
			ش١	٦٩٥
	٢٣:		م	٣٢١
			ش٢	٩٢٢
	٢٤:		ش٢	٨٤٦
			ش٢	٨٦٦
			ش٢	٩٢٢
٤	١:	-٣	م	٦٤
	٢:		م	٣٢٣
			ش١	٨٥
	٢:	-٣	م	٣١٨
	٣:		ش٢	٩٤٠
	٥:	-٦	ش١	٦١٣
			ش٢	١٠٣٧
	٦:		م	١١١
			م	٣٢١
			ش١	٥٦٢
			ش٢	٩٤٠
	٧:		م	١٤٠
			ش١	٧٥
			ش١	١٠٧
			ش١	٢٠٨
			ش٢	٩٢٠
	٧:	-٨	م	٣٣
			م	١٧٢
			ش٢	٩٠٠

٤	٧:	-٨	ش٢	١٠٧٧
	٧:	-٢١	م	١٤٠
	٨:		م	٣٠
			م	١٧٠
	٩:		م	٣٣
			م	١٨١
			م	٣٢٠
			ش١	١٠١
			ش١	٢٤٠
			ش٢	٩٢١
	١٠:		م	٣٣
			ش٢	٩٨٨
	١٢:		م	٣٢٣
	١٣:		ش٢	٨٦٦
	١٣:	-١٥	ش٢	٨٤٦
	١٤:		ش١	٩٧
			ش٢	١٣٥٦
	١٥:		م	٣٢١
			ش٢	٨٣٧
	١٦:		م	١٢٢
			م	٣٢٢
			ش٢	٩٠٠
			ش٢	٩٠٣
			ش٢	١٠٥٧
	١٧:		م	١٤١
	١٩:		م	٣٣
			م	١٤٠
			م	١٧٢
			ش٢	٩٨٨
			ش٢	١٣٥٦
	٢٠:		م	٣٣
	٢١:		م	٣٣
			م	١٧١
٥	١:		م	٢٦٧
			م	٣٢٣
			ش١	٧٢
			ش١	٢٠٨
			ش١	٥٥١
٥	١:	-٥	ش٢	١٠١١
	٢:		م	١٤٠
	٤:		م	١٤٧
			م	٢٦٧
			م	٣٢٢
			ش١	٧٤٧
			ش٢	٩٤٨
			ش٢	٩٧٠
			ش٢	٩٩٦
	٤:	-٥	م	١٦٩
	٥:		م	٢٦٧
			ش٢	١٠٥٨
			ش٢	١٣١٢
	٦:		م	١٠٩
			م	١١٠
			م	١١٨
			م	٢٦٦
			م	٣٥٩
			ش٢	١٢٣٠
			ش٢	١٢٣٤
	٦:	-٨	م	٢٨٥
	٨:		م	٢٦٠
			م	٢٦٦

٥	٨:		ش١	٧٥
			ش٢	١٢٣٥
	٨:	-١٢	ش٢	١٢٣٦
	٩:		م	٣٢٠
			ش١	٧٥
	٩:	-١٠	م	١١٣
			ش١	٢٥٧
			ش١	٣٧٧
	٩:	-١٢	ش١	٣٦٦
	١٠:		م	١١٣
			ش١	٧٤٥
	١١:	-١٢	م	١١٣
			م	١٣٥
			ش١	٤٥٤
	١٢:		ش٢	٨٣٧
	١٣:		م	٦٠
			م	٣٢٢
			م	٣٢٣
			ش١	٧١
	١٤:		ش٢	٩٨١
	١٤:	-١٥	ش١	٦٦٢
			ش١	٦٩٥
	١٨:		م	١٦٧
			ش١	٦٤٠
	١٩:		ش١	٧٤٧
			ش٢	١٠٥٠
			ش٢	١٠٥٤
			ش٢	١١٦٤
	١٩:	-٢٠	م	١١٢
			ش٢	١٠٥٧
	٢٠:		م	١٠٨
			م	١٣٥
			ش١	٤٥٤
			ش٢	٨٤٦
			ش٢	١٠٢٤
			ش٢	١١٦٤
			ش٢	١٣٥٦
	٢٠:	-٢١	ش٢	١٠٥٨

يوحنا الثانية (رسالة)

١			ش٢	١٠٩٣
٢			ش١	٢٨٦
			ش٢	٩٠٣
٤			ش٢	١٠٥٦
٧			م	٣١٩
٩			ش٢	٨٦٠
١٠-١١			م	٤٠

يوحنا الثالثة (رسالة)

١٢			ش٢	٩٤٢

يونان

٤	٩:		ش٢	١٣٣٤

يوئيل

١	٥:		ش١	١٦٩
٢	١٢:	-١٣	ش٢	١٢٩٨
	٢٤:		ش١	١٧٠
	٢٧:		م	٢٢٧
	٢٨:		ش١	٨٤
			ش١	٢٧٩
	٢٨:	-٢٩	م	٢٨٥
			ش١	٢٢٢
			ش١	٥٠٠
٣	١٦:		ش١	١٨٣

فهرس الإقتباسات من كتابات آباء الكنيسة

(م = المدخل ، ش = الشرح)

أبولونيوس
م ٤٠
أبوليناريوس (من لاودكية)
ش ١٢٢٨
إبيفانيوس
م ٣٩ و٤٠ و٥٣
ش ٢٢٨ و٤٧٨ و١١٣٠ و١٢١٢
إبيكتاتوس
م ٤٢
أثناسيوس الرسولي
م ٢٣ و٣٦٤ و٣٦٦
ش ٦٧٩ و٦٩٣ و٧٨٩ و١٢١٢
أثيناغوراس
م ١٦٦
أغسطينوس
م ٢٢ و٢٩ و٥١ و٢٥٢ و٢٦٠ و٣٣٦ و٣٤٣ و٣٦٧
ش ٢١ و٣١ و٤٢ و٧٤ و١١٠ و١١٣ و١٢٠ و١٦٢
و٢٠٨ و٢١٢ و٢٢٨ و٢٤٧ و٢٥٥ و٤٣٥ و٤٦٠ و٥٠٩ و٥١٥
و٧٨٥ و٩٠٠ و٩٠٩ و٩٣٠ و١٠٠٣ و١١٤٠ و١٢٢٩ و١٢٧٠
و١٣٤١ و١٣٤٢ و١٣٤٦ و١٣٤٩ و١٣٥٢
إغناطيوس
م ٤٢ و٢٦٤ و٢٨٦ و٤٠٣
أفرآم السرياني
ش ١٢١٢
أمبروسيوس
م ١٨٢
ش ٢٢٨ و٥٠٩ و١٢٢٩
أنطونيوس الكبير
ش ٩٣٠ و٩٣١
أوريجانوس
م ٣١ و٣٥ و٤٩ و٢٨٦ و٣٦١ و٣٦٢ و٣٦٣ و٣٦٤
و٣٦٥ و٣٨٦
ش ١١٠ و٢٢٨ و٥١٠ و١٢٢٧ و١٢٢٩
إيرينيئوس
م ٢٢ و٣٥ و٣٧ و٤٠ و٤٢ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٩ و٥٠
و٦٣ و٢٨٦ و٣٨٥ و٤٠٣
ش ٨١٨
إيلاريون
ش ١٢١٢
بابياس
م ٤٢ و٤٩
ش ٨١٨
باسيليوس
ش ٤٥
بنتينوس
م ٤٨ و٣٤٢
بوليكاربوس
م ٣٥ و٣٧ و٤٠ و٤٢ و٤٣ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٥٠ و٢٦٤
و٤٠٣
بوليكراتوس
م ٣٨ و٤٧ و٤٨
ترتليانوس
م ٣٥ و٤٠ و٤٩ و٥٠ و٢٨٠
ش ٢٠٨ و١٢٢٩ و١٣٤٩

جيروم
م ٢٩ و٣٥ و٤٠ و٤٢ و٥٠ و٦٣ و٦٤ و٣٦١ و٣٦٨
ش ٢٠٨ و٥٠٩ و٥٩٢ و٨٠٥ و١٣٥٤
ديديموس الضرير
ش ٤٣٥
روفينوس
م ٣٦١
غريغوريوس الكبير
ش ١٣٣٢
غريغوريوس النزينزي
ش ١٢٢٨
غريغوريوس النيسي
ش ٢٢٨
فيكتورينوس
م ٥٢
كاسيان
م ٤١
كبريانوس
م ٢٨٦
ش ٥١٠ و١٢٠٥
كلوديوس أبوليناريوس
ش ١٢٢٧
كليمندس الإسكندري
م ٢١ و٣٥ و٣٩ و٤٨ و٤٩ و٦٤ و٣٠٥ و٣٤٢ و٤٠٢
و٤١١
ش ١٥٠ و٢٠٨ و٨١٨ و١٣٥٥
كليمندس الروماني
ش ١٣٤٩
كيرلس الأورشليمي
م ٢٦٠
ش ١٢٢٧
كيرلس الإسكندري
م ٢٤ و١٢١ و٢٨٦ و٣٦٥ و٣٦٦
ش ٢٥ و٩١ و١١٠ و١١٢ و١٤٩ و٢١٥ و٣١٤ و٣٢٥
و٦٠٦ و٦٧٨ و٦٨٧ و٦٩٣ و٧٣٠ و١٠٠٤ و١١٥١ و١١٥٢
و١١٧١ و١٢٢٨ و١٢٨٩ و١٢٩١ و١٢٩٢ و١٢٩٣ و١٣٠٤
هرماس
م ٥١
هيبوليتوس الإسكندري
ش ٤٦٤
هيبوليتوس الروماني
م ٢١ و٤٨ و٤٩ و٢٨٦ و٣٨٥
هيجيسيبوس
م ٣٩
هيراكليدس
ش ١١٠
يوحنا ذهبي الفم
م ٣٠ و٣٥ و٢٦٠ و٣٦٣ و٣٦٤ و٣٦٥ و٣٦٧
ش ٢١ و٣٨ و٤٢ و١١٠ و١١٢ و١٣٧ و١٤٢ و١٤٣
و١٤٦ و٢٤٧ و٢٥٥ و٣٢٥ و٣٢٨ و٣٤٦ و٣٦٢ و٥١٠ و٦٤٩
و٧٨٥ و١٢٢٨ و١٢٣٥ و١٢٩٠ و١٢٩١
يوسابيوس
م ٢١ و٣٠ و٣٥ و٣٧ و٣٨ و٤٠ و٤٢ و٤٥ و٤٦ و٤٧
و٤٨ و٤٩ و٦٤ و٢٦٤ و٣٤٢ و٣٥٧ و٣٦١ و٤١١
ش ١١٣٠ و١١٨٢ و١٣٤٩
يوستينوس
م ٥١
ش ١٣١ و١٤٣ و٢٠٨ و٢٢٨ و٩٤٩ و١٣٤٩

فهرس موضوعي
لكتاب شرح إنجيل القديس يوحنا

(م = المدخل ؛ ش = الشرح)

ooo

الآب :
ورود الكلمة بصورتها المطلقة في إنجيل يوحنا :
م ٢١٠
ش ٣٧٦ــ٣٧٩ و٤٣٤ــ٤٣٦ و٤٥١ــ٤٥٥
و٥٢٧ــ٥٢٩ و٦٤٣ــ٦٤٩ و٧٦٣ــ٧٦٦ و٨٦٧ــ٨٧٠
و١٢٨٥ــ١٢٨٨
ــ الله الآب :
م ٢١٠
ش ٢٣٩ و٢٤٠ و٢٥٧ و٤١٩ و٥٥١
الآب والابن :
م ٢٠٧
ش ٥٢٩ و٦٤١ و٦٤٢ و٦٤٦ــ٦٤٩ و٨٣٤ــ٨٣٧
ــ الآب أرسل الابن :
م ٢١٠
ش ٢٣٩ و٢٤٠ و٢٥٧ و٣٧٦ــ٣٧٩ و٤١٩
و٤٣٤ــ٤٣٦ و٤٥١ــ٤٥٥ و٥٢٧ــ٥٢٩ و٥٥١
و٦٤٣ــ٦٤٩ و٧٦٣ــ٧٦٦ و٨٦٧ــ٨٧٠ و١٢٨٥ــ١٢٨٨
ــ الآب يحب الابن :
م ٢١٢
ش ٢٥٨ و٣٤٩ و٦٣٠ و٩١٢ــ٩١٣
ــ الآب يعطي الابن :
م ٢١١
ش ٢٥٨ و٣٥٢ و٣٦٢ و٣٦٣ و٣٧٦ــ٣٧٩
و٤٢٢ــ٤٣٢ و٦٣٩ و٧٦٣ و٧٦٤ و١٠١٦ و١٠١٧ و١٠١٩
و١٠٢٤ــ١٠٣٧ و١٠٤٠ــ١٠٤٢ و١٠٤٨ و١٠٤٩
و١٠٨٠ــ١٠٨٣ و١٠٨٩

ــ الآب يشهد للابن :
م ١١٢ و٢١٣
ش ٣٧٩ و٥٢٩
الآب والإنسان : الله أبونا بالتبني :
م ٢١٥
ش ٦٩ــ٧٧
ــ ونحن أبناؤه أي المؤمنون باسمه :
ش ٦٩ ــ ٧٥

أبي : ورود الكلمة بصورتها التخصصية من فم المسيح :
م ٢١٤
ش ١٨٩ــ١٩١ و٣٤٠ و٣٨٣ و٤٢٢ و٥٣٠ و٥٤٠
و٥٦٤ و٥٦٧ و٦٣٢ و٦٣٩ و٦٤١ و٦٤٦ و٨١٧ و٨٢٩
و٨٥٦ــ٨٥٩ و٨٦٤ و٨٩٣ و٩١٢ و٩١٤ و٩٢٤ و٩٢٥ و٩٣٦
و٩٥٧ و١٢٧٥ــ١٢٧٧
الطريق من الآب وإليه :
م ٢١٦ و٢١٧

الابن :
ورود الكلمة بصورتها المطلقة في إنجيل يوحنا :
م ٢٠٨
ش ١٠٣ و١٠٤ و٢٣١ و٢٤٠ و٢٥٨ و٣٤٦ و٣٤٨
و٣٤٩ــ ٣٥٤ و٣٦٢ و٤٣٢ و٤٣٣ و٥٤٦ و٥٤٧
و٨٤١ــ٨٤٣ و١٠٠١
ــ ابن الله :
م ١٨٢ و٢٠٤
ش ١٤٧ و١٦٠ و١٣١٠

+ كائن منذ الأزل :
م ١٨٠
ش ٣٠ و٣٨ و٥٧٣ و١٠٨٩ و١٠٩٠
+ قبل إبراهيم :
ش ٥٧٣
+ مولود من الآب :
م ١٨٠
ش ٥٥١ و٥٥٢ و٩٨٩ و٩٩٠ و١٠٣٥
+ في حضن الآب :
م ١٨١
ش ١١٩ ـــ ١٢٢
ـــ هدف إنجيل يوحنا إثبات أن المسيح ابن الله :
ش ١٣١٠
ـــ الابن الوحيد والحبيب «مونوجينيس» :
م ١٨٠ و١٨١
ش ١٠١ و١٠٣ و١١٨ و٢٣٨
ـــ مساواته للآب في كل شيء (وحدة الجوهر والذات) :
م ٢٠٧
ش ٥٢٧ و٥٢٨ و٦٤١ و٦٤٢ و٦٤٦ ـــ ٦٤٩
و٨٣٥ ـــ ٨٤٠ و١٠١٠ ـــ ١٠١٦ و١٠٣٨ و١٠٣٩
+ في القدرة :
ش ٣٤٠ ـــ ٣٤٢ و٣٤٦ ـــ ٣٤٩ و٣٥١ و٣٥٢
+ في المعرفة :
م ١٦١ و٢٠٥
ش ٢٠٠ و٤٦٤ ـــ ٤٦٦ و٤٩١ و٤٩٢ و٥٢٤ ـــ ٥٢٦
و٥٣٠ و٥٣١ و٦٢١ ـــ ٦٢٣ و٧٨٠ و٧٨١ و٨٢٩ ـــ ٨٣٣
و١١٠٩ و١١١٠
+ في المشيئة :
م ٢٠٧
ش ٣٠٤ و٣٠٥ و٣٧١ و٤٣١
+ في المجد :
م ١٢٥
ش ٨٤١ ـــ ٨٤٣ و١٠٢٤ ـــ ١٠٢٨
+ في إحياء الأموات :
م ١٢٩ و١٣٥
ش ٣٥٩ ـــ ٣٦٩

+ في الديونة :
م ١٤٢ ـــ ١٤٥
ش ٣٥٢ و٣٦٩ ـــ ٣٧١
+ خاضع للآب ، بالرغم من المساواة :
ش ٣٦٩ ـــ ٣٧١ و٨٣٧ ـــ ٨٣٩ و٨٧٤ ـــ ٨٨٧
+ في وضع التجسد والإخلاء :
م ٢٠٩ و٢١٠
ش ٨٦ و٩٩
ـــ ابن الله والعالم :
+ يبذل نفسه من أجل العالم :
م ١٣٥
ش ٢٢٨ ـــ ٢٣٨ و٤٣٨ و٦١٦ ـــ ٦٢١ و٩٢٢ ـــ ٩٢٤
+ يحرر الإنسان :
ش ٥٤٦ و٥٤٧
+ يحبه :
ش ٢٢٨ ـــ ٢٣٨ و٧٧٥ ـــ ٧٧٩ و٩١٢ ـــ ٩١٤ و٩٨٨
و٩٨٩ و١٠٨٥ و١٠٨٦
+ يمنحه حياة أبدية :
م ١٣٦ ـــ ١٣٨
ش ٢٢٨ ـــ ٢٣٨ و٢٨٣ ـــ ٢٨٧ و٣٥٥ و٣٥٦
و٤٢٢ ـــ ٤٢٥ و٤٣٢ و٤٣٣ و٦١٣ ـــ ٦١٥ و٦٣٧ و٦٣٨
و٦٧٧ ـــ ٦٨٢ و٧٣٧ ـــ ٧٣٩ و٧٦٣ ـــ ٧٦٦
و١٠١٦ ـــ ١٠٢٤
+ يقيمه في اليوم الأخير :
م ١٣٨
ش ٣٦٤ ـــ ٣٦٩ و٤٣١ ـــ ٤٣٥ و٤٤٧
ـــ ابن الإنسان :
م ١٨٣ و١٩٦ ـــ ٢٠٣
+ ثلاث مجموعات لاستخدام لقب ابن الإنسان :
م ١٩٧
١ . ابن الإنسان ينزل من السماء ويصعد ثانية :
م ١٩٦
ش ٢٢٥ ـــ ٢٢٧ و٤٦٢ و٤٦٣
٢ . ابن الإنسان يرتفع على الصليب :
م ١٩٦
ش ٢٢٩ و٢٣٠ و٥٣٩ و٥٤٠ و٧٤٨ ـــ ٧٥٠

٣. ابن الإنسان يتمجد:
م ١٩٦
ش ٧٣٤ ــ ٧٣٦ و٧٩٩ ــ ٨٠١
+ ملائكة الله صاعدة ونازلة على ابن الإنسان:
م ١٩٦
ش ١٦٠ ــ ١٦٢
+ يبذل جسده عن حياة العالم:
م ١٩٦
ش ٤٣٧ ــ ٤٤٢
+ يعطي جسده ودمه مأكلاً ومشرباً حقيقياً:
م ١٩٦
ش ٤٤٤ ــ ٤٤٦
ــ البشر أولاد الله بالتبني:
+ مولودون منه:
م ٢١٥
ش ٦٩ ــ ٧٧
+ مولودون من فوق:
ش ٢٠٧ و٢٠٨
+ مولودون من الماء والروح:
ش ٢١٦ ــ ٢٢٢

إبراهيم:
ذرية إبراهيم:
م ٩٧
ش ٥٤٤ و٥٤٧ ــ ٥٤٩
+ أولاد إبراهيم الذين يعملون أعماله:
م ٩٧
ش ٥٤٧ ــ ٥٤٩
+ إبراهيم تهلل برؤية يوم الرب:
م ٩٧
ش ٥٧٠ ــ ٥٧٢
+ المسيح كائن قبل إبراهيم:
م ٩٧
ش ٥٧٣ ــ ٥٧٧

إتحاد (= وحدة):
ــ الاتحاد بالله أو وحدة الشركة مع الآب والابن:
م ١٧٣ ــ ١٧٦
+ «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠):
م ١٧٣
ش ٦٤١ و٦٤٢
الاتحاد بالله هو جوهر رسالة المسيح:
م ١٧٣ و١٧٤
ش ١٠٤٣ ــ ١٠٤٥ و١٠٦٨ ــ ١٠٨٦
+ المحبة توحِّدنا بالله:
م ١٧٤
ش ٨٥٦ ــ ٨٦٦ و٩١٢ ــ ٩٢٢
+ عمل الروح القدس في وحدتنا مع الآب والابن:
م ١٧٥
ش ٩٦٨ ــ ٩٧٠
+ الاتحاد بالمسيح بالاشتراك في جسده ودمه:
م ٢٠٣
ش ٤٤٩ ــ ٤٥١
+ الكنيسة في جوهرها وحدة في الآب والابن:
م ٢٦٠ و٢٦١
ش ١٠٧٢ ــ ١٠٨٦
+ إتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية:
م ١٩٩ ــ ٢٠٣
ش ٨٩ ــ ٩١

أخ:
المحبة الأخوية:
م ١٧٠ ــ ١٧٣
ش ٨٠٤ ــ ٨٠٨ و٩٢٠ ــ ٩٢٤ و٩٢٨ و٩٢٩
المسيح دعانا إخوة له:
م ١٧٣
ش ٩٢٤ ــ ٩٢٦ و١٢٧٥
إخوة الرب:
م ٣١
ش ٤٧٨

اختيار:
ــ المسيح مختار الله:
م ١٨٠ و١٨٣

ش ١١٩ — ١٢٢
— المعين من الله ديّاناً :
م ٢١١
ش ٣٥٢
— قدّسه الآب وأرسله للعالم :
م ٢١٠
ش ٦٤٣ — ٦٤٦
— إسرائيل الشعب المختار :
م ٩٣ — ٩٥
ش ٦٤ — ٦٩
— اختيار المسيح للاثني عشر :
م ٣٠٤ — ٣١١
ش ٤٦٩ — ٤٧١ و٧٩١ و٧٩٢
— ولكل من يعطيه الآب له :
ش ٤٣٤ و٤٣٥ و٦٠٦ — ٦١٠ و٦٣٧ — ٦٤١
— يرجع لاختيار الآب :
ش ٤٢٩ — ٤٣١ و٦٣٩
— وهو اختيار للحياة الأبدية :
ش ١٠١٦ و١٠١٧
— المسيح يعرف خاصته وخاصته تعرف صوته :
ش ٦٢١ و٦٢٢
— مختارون من كل العالم :
ش ٦٢٤ — ٦٢٩
— و يضع نفسه من أجلهم :
ش ٦١٦ — ٦٢١
— ولا يقدر أحد أن يخطفهم من يده :
ش ٦٣٩ و٦٤٠
— الذين ليسوا من خاصته لا يؤمنون به :
ش ٦٣٦ و٦٣٧

إرادة الله / مشيئة الله :

— كل ما يريد يفعل ، كل شيء به كان :
ش ٣٨ — ٤٣
— تطابق كامل بين إرادة الله وفعل كلمته :
ش ٣٦
— المسيح طعامه أن يعمل مشيئة الذي أرسله :
ش ٣٠٤ و٣٠٥ و٣٧١ و٤٣١
— مشيئة الآب حياة أبدية لكل من يؤمن بالابن :
ش ٤٣١ — ٤٣٣
— معرفة مشيئة الله هي بالسلوك حسب وصاياه :
ش ٤٨٦ و٤٨٧ و٥٩٩ و٦٠٠

استعلان :

هو الكشف عن أسرار الله :
م ٩٧ — ٩٥
— طابع إنجيل يوحنا استعلان إلهي مرتب وموقع تاريخياً :
م ٦٦ — ٧١
— لقب الكلمة كأساس لاستعلان بنوة المسيح لله :
م ٢٠٤ و٢٠٥
— استعلان الكلمة المتجسد :
ش ١٩ — ١٢٢
+ فهو الكلمة الكلية المطلقة :
ش ٢٠
+ وهو المدرك الكامل الذي يُدرك لكن لا يُدرك كماله :
ش ٢٠
+ الأول والآخر، البداية والنهاية :
ش ٢٥
+ الكائن بذاته :
ش ٢٦
— مراحل استعلان الكلمة : (أنظر **الكلمة**).
— التدرج في الاستعلان من أجل عجز الإنسان :
ش ٦٣ — ٦٩
— المسيح يعلن عن لاهوته وشخصيته الماسيانية في خطوات متتابعة :
ش ٣٣٨ — ٣٦٩
— إنجيل الاستعلان :
ش ٣٨٨ — ٧٥٩
+ استعلان طبيعة المسيح المحيية وشخصه السماوي :
ش ٣٩٠ — ٤٧٣
+ استعلان طبيعة المسيح الروحية :
ش ٤٧٤ — ٥٠٦
+ استعلان طبيعة المسيح النورانية :
ش ٥٠٨ — ٦٠٤
+ استعلان عمل المسيح الفدائي من نحونا :

ش ٦٠٦ ــ ٦٢٩

+ استعلان بنوة المسيح ومساواته للآب:

ش ١٤٥ و٦٣٠ ــ ٦٥٢

+ استعلان قوة المسيح المحيية والمقيمة من الموت:

ش ٦٥٤ ــ ٧٠٨

+ استعلان ملوكية المسيح ودينونة رئيس هذا العالم:

ش ٧١٤ ــ ٧٥٢

ــ ختام لإنجيل الاستعلان:

ش ٧٥٣ ــ ٧٥٤

ــ ملخص لإنجيل الاستعلان:

ش ٧٥٤ ــ ٧٧٢

ــ استعلان الآب السماوي:

ش ٨٢٥

ــ الإعلان الأعظم عن سر الحياة والإعلان المطلق لمختاري الله:

ش ٦٣٠ ــ ٦٣٩

اسم الله:

+ «أنا هو»:

م ٢١٨ ــ ٢٤٦

+ الاسم في لاهوت ق. يوحنا:

ش ٧٢

+ الإيمان باسم ابن الله وباسم الثالوث هو حالة تجلي وحضور إلهي؛

+ الدعاء باسم الله وباسم الثالوث هو للحضور والتجلي والمشاركة؛

+ الدعاء باسم الثالوث في الإفخارستيا وفي كل أسرار الكنيسة:

ش ٨٤٤

+ مناداة القديسين بأسمائهم للحضور والمعونة؛

+ الإيمان باسم يسوع أنه المسيح هو انتقال من العهد القديم للجديد؛

+ اسم الآب «أنا هو» أعطي للمسيح:

ش ٧٤٣

+ المسيح يطلب من الآب أن يمجد اسمه فيه:

ش ٧٤٤

+ مهما سألنا باسم المسيح يفعله لنا:

ش ٨٤١ ــ ٨٤٤

+ الامتلاء بالروح القدس يعطي استجابة فورية لكل ما نطلبه باسم المسيح:

ش ٩٧٨ ــ ٩٨٢

+ الفرح الكامل ثمرة استجابة الطلبة باسم المسيح:

ش ٩٨١ ــ ٩٨٨

o لأن الآب نفسه يحب الذين أحبوا الابن وآمنوا بأنه خرج من عند الآب:

ش ٩٨٨ ــ ٩٩١

+ المسيح استعلن الآب للناس:

o بكونه الابن الذي أطاع الآب حتى الموت؛

o بإعطائه تعاليم الآب وكلماته باسم الآب «أنا هو»؛

o بصنع الآيات والقوات التي تعلن عن الآب الحال فيه:

ش ١٠٣٠ و١٠٣١

+ صلاة المسيح لكي يحفظ المؤمنين في اسمه الذي أعطي له:

ش ١٠٤٢ و١٠٤٣

o بأن يكونوا واحداً بقوة الوحدة التي للآب والابن:

ش ١٠٤٤ ــ ١٠٤٧

+ المسيح عرفنا باسم الله باستعلان الله في ذاته:

ش ١٠٩٢ و١٠٩٣

أم يسوع:

مريم أم الرب في عرس قانا الجليل:

ش ١٧١

مريم أم الرب في كفرناحوم:

ش ١٧٩

نحن عارفون بأبيه وأمه:

ش ٤٣٣

مريم عند صليب يسوع «فلما رأى يسوع أمه»:

ش ١٢٠٧ و١٢٠٨

أنا هو: Ego Eimi

م ٢١٨ ــ ٢٤٦

ــ لقب «أنا هو» في أسفار العهد القديم:

م ٢٢٠ ــ ٢٣٠

ش ٣٠ و٣١
ـ لقب «أنا هو» في إنجيل يوحنا:
م ٢٣١ ـ ٢٤٣
ش ٢٩٩ و٣٠٠ و٤٠٨ و٥٣٢ ـ ٥٤٠ و٥٧٣ ـ ٥٧٧ و٧٩٢ و٧٩٣ ١١١٠ ـ ١١١٢
ـ مقارنة بين اللقب في العهد القديم وإنجيل يوحنا:
م ٢٤٤ ـ ٢٤٦
ش ٣٩٠ و٤٣٣ و٤٣٧ و٤٣٨ و٤٩٢ و٥١٨ ـ ٥٢٣ و٥٢٩ و٦١١ و٦١٢ و٦١٦ و٦١٧ و٦٢١ و٦٧٧ و٦٧٨ و٧٣٩ و٨٢٠ و٨٢٥ ـ ٨٢٨ و٨٩٤ ـ ٨٩٧ و٩٠٥ و١٠٨٦

إنجيل:
ما هو الإنجيل وكيف نقترب إليه:
م ٣٣٥
كاتب إنجيل يوحنا: شخصيته وألقابه وصفاته وخدمته وتلاميذه:
م ٢٨ ـ ٤٤ و٤٥ ـ ٥٢
ظروف وملابسات كتابة الإنجيل وزمانها:
م ٤٥ ـ ٦٥
ـ شهادات من التقليد الكنسي المبكر:
م ٤٥ ـ ٥١
ـ الأسباب الملحّة لكتابة الإنجيل:
م ٥٢ ـ ٦١
ـ الغرض الأساسي من كتابته:
م ٦٢
ش ١٣١٠ ـ ١٣١٣ و١٣٥٥ ـ ١٣٥٨
ـ القديس يوحنا يشهد لإنجيله:
ش ١٣٥٥ ـ ١٣٥٨
ـ تفنيد بعض الآراء فيما يخص الغرض من كتابته:
ش ٦٣ ـ ٦٥
طابع إنجيل يوحنا:
م ٦٦ ـ ٧٢
الخلفية العبرية في أسلوب إنجيل يوحنا:
م ٧٥ ـ ٨٠
إنجيل يوحنا والثلاثة الأناجيل الأخرى:
ـ نقط التلاقي والاختلاف ومجمل الأبحاث من جهة علاقة إنجيل يوحنا بالأناجيل الأخرى:
م ٣٣٦ ـ ٣٥٩
شرح ونقد إنجيل القديس يوحنا على مدى العصور:
م ٣٦٠ ـ ٤١٦
ـ عند آباء الكنيسة:
م ٣٦١ ـ ٣٦٧
ـ في العصر الحديث:
م ٣٦٨ ـ ٣٧٩
ـ النقد الموجه والرد عليه:
م ٣٨٠ ـ ٤١٣

إيمان:
ـ أحد المعايير الروحية التي يقوم عليها إنجيل يوحنا:
م ١٤٦ ـ ١٥٢
ـ أعظم هبة:
م ١٤٦
ـ معنى الإيمان في إنجيل يوحنا:
م ١٤٦ و١٤٩
+ الإيمان بالمسيح بصفته الكلمة الذاتي الناطق بسر الآب:
م ١٤٨
ش ٧١ و٧٢
+ الإيمان بالمسيح بصفته الابن الوحيد الذي في حضن الآب:
ش ١١٧ و١١٨
+ لذلك فهو الطريق الوحيد لمعرفة سر الله الآب ونوال عطاياه:
م ١٤٨
ش ٨٢٨ و٨٢٩
+ الإيمان بالمسيح كابن وحيد يعلن عن أبوة الله بالقول والعمل والآية:
م ١٤٨
ش ٣٣٨ ـ ٣٦٩ و٤١٩ و٤٢٠
+ الإيمان بالمسيح هو الذي يُدخل البشرية إلى محبة الآب وبنويته:
ش ٥٤١ ـ ٥٤٢
+ الإيمان بالمسيح هو الذي يحرر البشرية من كل عبودية وقبول الحياة الأبدية:

م ١٤٨
ش ٥٤٣ و٥٤٦ و٥٤٧
ـــ عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله :
م ١٤٩
ش ٤١٨ ـــ ٤٢٠
ـــ موقع المعرفة من الإيمان : الإيمان ثم المعرفة ، ثم تعود المعرفة ترسّخ الإيمان ؛ وتبقى المعرفة في الأبدية ويتخلّف الإيمان :
م ١٥٠
ش ١٠٩٢ ـــ ١٠٩٣
المعرفة ثمرة الإيمان الفاخرة :
م ١٥١
ش ١٠٩٢ ـــ ١٠٩٣
الإيمان ليس للجميع بل للمختارين والاختيار يتوقف على الإيمان :
م ١٥١ و١٥٢
ش ٤٣٤ و٤٦٤ و٦٣٧ و٦٣٨
علم الله السابق بإرادة الإنسان الصالحة أو التالفة :
ش ٥٦٢ و٧٥٥ ـــ ٧٥٧ و١١٦٠ ـــ ١١٦٢
معوقات الإيمان :
م ١٥٢
ش ٢٤١ ـــ ٢٤٤ و٣٨٤ و٥٥١ ـــ ٥٦٢
الإيمان والأعمال :
م ١٥٢
ش ٣٦٦ ـــ ٣٦٩

آية :

الآيات في إنجيل يوحنا ؛ مرات ورودها ؛ معناها :
م ٢٨٩ ـــ ٢٩٦
مقارنة بين مفهوم المعجزات في الثلاثة أناجيل ومفهوم الآيات في إنجيل يوحنا :
م ٢٩٣

باب :

المسيح باب السماء والسماء مفتوحة به :
ش ١٦١ و١٦٢ و٦١١ و٦١٢
المسيح باب الخراف :
ش ٦٠٦ ـــ ٦١٥
أي الحضرة المنظورة لله الموصّل للآب :
ش ٦٠٩
باب الخراف بصورتها المفردة ؛ باب الحياة :
ش ٦١١
المسيح هو الباب للجميع ، خراف ورعاة ؛ باب الخلاص :
م ٢٤٣
ش ٦١٣ و٦١٤

باراكليت ، الروح القدس المعزي :

+ أصل الكلمة ومفهومها :
م ٢٤٧ و٢٤٨
+ عمل الروح القدس في إنجيل يوحنا :
م ٢٤٨ و٢٤٩
١ ـــ الشاهد للمسيح :
ش ١٤٤ ـــ ١٤٩ و٩٣٩ ـــ ٩٤٢
٢ ـــ العامل الأساسي في فاعلية الأسرار :
أ ـــ المعمودية :
ش ٢١٤ ـــ ٢١٩
ب ـــ الإفخارستيا :
ش ٤٥٧ ـــ ٤٦١
٣ ـــ عماد الاقتراب لله بالعبادة :
ش ٢٩٣ ـــ ٢٩٧
٤ ـــ أساس وقوة الخدمة :
ش ١٢٨٥ ـــ ١٢٩٩
٥ ـــ مقارعة الروح القدس لروح العالم :
ش ٩٥٧ ـــ ٩٦١
٦ ـــ عمله مع التلاميذ ليعدّهم للمستقبل :
ش ٩٦٤ ـــ ٩٦٩
+ تعريفه :
ـــ روح الشهادة والإعلان :
م ٢٤٩ و٢٥٠
ش ١٤٤ ـــ ١٤٩ و٩٣٩ ـــ ٩٤٢
ـــ روح الحق :
م ٢٥٠
ش ٨٤٥ ـــ ٨٥٣

ـــ المعزي، والمعلم بكل شيء:

م ٢٥٠ و٢٥١

ش ٨٦٩ و٨٧٠

ـــ المنبثق من الآب:

م ٢٥١ و٢٥٢

ش ٩٣٩ـــ ٩٤٣

ـــ المبكِّت:

م ٢٥٢ و٢٥٣

ش ٩٥٧ـــ ٩٦١

ـــ المخبر بأمور آتية:

م ٢٥٣ و٢٥٤

ش ٩٦٤ـــ ٩٦٩

+ لا يأتي إن لم ينطلق المسيح:

م ٢٥٢ و٢٥٣

ش ٩٥٤ـــ ٩٥٧

بدء:

البدء الذي بلا بدء:

ش ٢٥

بدء الخليقة الجديدة غير بدء التكوين:

ش ٢٥

تفيد الأزلية:

ش ٣٠ و٣٢

«في البدء كان الكلمة» وعلاقتها بـ «أنا الكائن» = «أنا هو»:

ش ٣٠ـــ ٣٢

بر:

الروح القدس يبكِّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة:

ش ٩٤٧ـــ ٩٦١

بيت الله (الهيكل):

السيد يأتي إلى هيكله بغتة؛ المسيح يدعوه بيت أبي؛ جعلوه بيت تجارة؛ «غيرة بيتك أكلتني»:

ش ١٨٤ـــ ٢٠٠

تطهير الهيكل في بداية خدمة المسيح وفي نهايتها:

ش ٢٠٠

في بيت أبي منازل كثيرة:

ش ٨١٧ـــ ٨٢١

تجديد:

إنجيل التجديد بداية خدمة المسيح؛ مقابلة واضحة بين القديم والجديد:

ش ١٦٤ـــ ٣١٢

١ ـــ معجزة تحويل الماء إلى خمر؛ ماء التطهير والخمر الجديدة (دم المسيح):

ش ١٦٨ ـــ ١٨٢

٢ ـــ تطهير الهيكل: هيكل أورشليم وهيكل جسد الرب المقام:

ش ١٨٤ ـــ ٢٠١

٣ ـــ الحديث مع نيقوديموس:

ش ٢٠٢ ـــ ٢٢٣

ـــ ملكوت الله بالمعرفة وملكوت الله بالميلاد الثاني من فوق؛

ـــ الحية النحاسية المرفوعة على خشبة، وابن الإنسان المصلوب لكي لا يهلك كل من يؤمن به:

ش ٢٢٤ ـــ ٢٤٥

٤ ـــ المعمدان يكمل شهادته عن المسيح:

ـــ الذي من فوق هو فوق الجميع:

ش ٢٤٦ ـــ ٢٦٢

٥ ـــ الحديث مع السامرية: بئر الماء المعطش، والماء الحي الذي من يشرب به لا يعطش أبداً:

ـــ السجود في جبل أورشليم والسجود لله بالروح والحق:

ـــ مسيا الآتي والمسيح الحاضر بشخصه «أنا هو»:

ش ٢٦٣ ـــ ٣١٣

٦ ـــ الحديث مع التلاميذ:

ـــ طعام الجسد وطعام عمل مشيئة الله؛

ـــ الأنبياء زرعوا بالدموع، والتلاميذ يحصدون ما لم يتعبوا فيه:

ش ٣٠٤ ـــ ٣١٢

تجلي:

ش ٩٨ و١٣٢ ـــ ١٣٣ و١٣٩ ـــ ١٤٠

تحرير :

«إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» ؛ التحرر من عبودية الجهالة والخطية بالثبوت في كلام المسيح :

ش ٥٤١ — ٥٦٥

— المسيح هو الطريق الوحيد لمعرفة الحق ؛

— الحق هو جوهر الحريات، وهو المسيح ؛

— الحرية الحقيقية هي عدم التعبد للخطية ؛

— الذي يفعل الخطية هو عبد للخطية وابن لإبليس ؛

— المسيح لم يعمل خطية لذلك هو قادر أن يحرر من الخطية :

م ١٥٩ — ١٦٦

تسليم :

المسيح عالم بمن هو الذي سيسلمه :

ش ٤٦٤ و٤٦٩ — ٤٧١ و٧١٩ و٧٢٠ و٧٨٨ و٧٩١ — ٧٩٨

الشيطان وضع في قلب يهوذا أن يسلِّم المسيح :

ش ٧٧٩

رؤساء الكهنة أسلموه لبيلاطس حسداً :

ش ١١٥٨

أسلمه إليهم ليصلب :

ش ١١٩٢ — ١١٩٣

ونكس رأسه وأسلم الروح :

ش ١٢١٦

تعليم :

دعوة المسيح بالمعلم «رابي» :

ش ١٥٣ و١٦٠ و٢٠٦ و٢٥٠ و٣٠٤ و٤١٥ و٥١٠ و٥٨٣ و٦٦٧ و٦٨٣ و٧٨٩

معنى اللقب «رابي» في المفهوم اليهودي، وخطأ نيقوديموس في تقديره :

ش ٢٠٦

قبول المسيح لهذا اللقب من التلاميذ مع تصحيح المفهوم :

ش ٧٨٩

تعليم المسيح ليس له بل للذي أرسله :

ش ٤٨٦ — ٤٨٨ و٥٣٩ و٥٤٠

المسيح لم يعلِّم شيئاً في الخفاء ؛ فهو معلِّم العالم كله والناطق بكلمة الله في كل زمان ومكان ولكل إنسان :

ش ١١٣٦

تلمذة :

— المسيح يبدأ عمله باختيار تلاميذه :

ش ١٤٩ — ١٥٢

— شهادة التلاميذ :

ش ١٥٢ — ١٦٢

— المسيح يبدأ آياته بتحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه :

ش ١٧٩

— حديث المسيح مع تلاميذه عن عملهم الكرازي :

ش ٣٠٦ — ٣١٠

— رجوع الكثيرين من التلاميذ، الذين ظنوا اتِّباعه غنيمة وكرامات :

ش ٤٦٥ و٤٦٦

— بطرس يعلن تمسك الاثني عشر بالرب لأن كلام الحياة الأبدية عنده :

ش ٤٦٦

وهم آمنوا وعرفوا أنه المسيح ابن الله الحي :

ش ٤٦٧ — ٤٦٨

— ولكن المسيح يعلن أنه هو الذي اختارهم وواحد منهم شيطان :

ش ٤٦٩ — ٤٧١

— التلمذة الحقيقية ثبوت في كلام المسيح :

ش ٥٤١ — ٥٤٣

— التلمذة شهادة الأعمى الذي أبصر وثمنها الطرد من المجمع :

ش ٥٩٨ — ٦٠٢

— أحاديث الوداع مع التلاميذ: غسل الأرجل :

ش ٧٧٤ — ١٠٠٣

— دليل التلمذة المحبة المتبادلة بين التلاميذ :

ش ٧٧٤ و٨٠٤ — ٨٠٨

— لن يتركهم يتامى، الوعد بإرسال الروح القدس المعزي :

ش ٨٤٤ و٩٣٩ و٩٦٤

— يترك سلامه لهم :

ش ٨٧٠
ــ مضايقات العالم لهم ومعاناتهم بعد انطلاق المسيح :
ش ٩٢٨ و٩٤٧
ــ صلاة المسيح من أجل التلاميذ ومن يؤمن به بواسطتهم :
ش ١٠٠٤ ــ ١٠٨٥
تلاميذ للمسيح ولكن خفية :
ش ١٢٣٩
ــ التلميذ الذي كان يسوع يحبه :
ش ٧٩٥ و١١١٤ و١٢٠٤ و١٣٥٠

توراة / ناموس / عهد قديم وصلته بإنجيل يوحنا :

م ٧٣ ــ ١٠٢
+ التوراة والترجمة السبعينية :
م ٨١
+ مفهوم الناموس في العهد الجديد :
م ٨٢
+ الناموس في إنجيل يوحنا :
م ٨٣ ــ ٨٥
ــ الناموس والنعمة :
ش ١١٤ ــ ١٢٢
ــ الناموس والختان :
ش ٤٨٨ ــ ٤٩٠
ــ الناموس لا يدين إنساناً لم يسمع منه :
ش ٥٠٤ ــ ٥٠٦
ــ حكم الناموس في خطية الزنا :
ش ٥١٠ ــ ٥١٧
ــ الشهادة في الناموس :
ش ٥٢٩
ــ الناموس والسبت :
ش ٥٩٤ ــ ٥٩٦
○ الحياة الأبدية بين التوراة والمسيح :
م ٨٥ و٨٦
ــ دراسة التوراة تؤدي إلى الحياة الأبدية :
ش ٣٨٠ ــ ٣٨٢
○ ماء الحياة بين التوراة والمسيح :
م ٨٦ و٢٧٥ ــ ٢٧٩
ــ ماء التطهير للجسد تحوّل إلى خمر لتقديس الروح بدم المسيح :
ش ١٧٤ ــ ١٧٩
ــ ماء بئر يعقوب والماء الذي يشرب منه لا يعطش أبداً :
ش ٢٧٦ ــ ٢٨٧
ــ المسيح الصخرة الروحية النابع منها ماء الحياة :
ش ٤٧٤ ــ ٥٠٠
○ خبز الحياة بين التوراة والمسيح :
م ٨٦ و٨٧ و٢٧٣ و٢٧٤
ــ المن والمسيح الخبز الحي النازل من السماء :
ش ٣٩٠ ــ ٤٠٧ و٤٢٠ ــ ٤٣٧
ــ المسيح يعطي جسده ودمه مأكلاً ومشرباً حقاً :
ش ٤٣٧ ــ ٤٥٦
○ الخمر بين التوراة والمسيح :
م ٨٧
ــ تحويل الماء إلى خمر :
ش ١٧٤ ــ ١٧٩
○ النور بين التوراة والمسيح :
م ٨٨
ــ الحياة نور الناس :
ش ٤٤ ــ ٤٩
النور والظلمة :
ش ٤٩ ــ ٥٤ و٥٩٣
المعمدان يشهد للنور الحقيقي :
ش ٥٤ ــ ٦٢
المسيح نور العالم :
ش ٥١٨ ــ ٥٢٤ و٥٨٩ و٧٥١
○ مسيا التوراة في إنجيل يوحنا :
لقب المسيا خالياً من المفهوم السياسي :
م ٨٩ و٩٠
ــ «لقد وجدنا مسيا» :
ش ١٥٤
ــ «مسيا يأتي ويخبرنا بكل شيء» :
ش ٢٩٨
ــ المسيح هو المسيا وهو يهوه :
ش ٢٩٩

□ المسيا لا يعرف أحد من أين يأتي :
م ٩١
ش ٤٩٠ ــ ٤٩٢
□ المسيا لا يموت :
م ٩١
ش ٧٥٠
○ دراية إنجيل يوحنا بالنسبة للعهد القديم :
ــ إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله :
م ٩٣ ــ ٩٥
ــ الإسرائيلي الحق :
م ٩٦
ش ١٥٩
ــ الهيكل بيت الله «بيت أبي» :
م ٩٦
ش ١٨٩ ــ ١٩٣
ــ الخلاص من اليهود :
م ٩٦
ش ٢٩٠ ــ ٢٩٣
ــ فتشوا الكتب :
م ٩٦
ش ٣٨٠ ــ ٣٨٢
ــ إبراهيم تهلل برؤية يوم المسيح :
م ٩٧
ش ٥٧٠ ــ ٥٧٧
ــ حلم يعقوب تحقق :
م ٩٧
ش ١٦٠ ــ ١٦٢
بئر يعقوب لا تروي بل الماء الحي :
م ٩٧
ش ٢٨٢ ــ ٢٨٧
ــ موسى تنبأ عن المسيح :
م ٩٧
ش ٣٨٤ و٣٨٥
ــ السبت اليهودي والراحة الحقيقية :
م ٩٨
ش ٣٣٩ ــ ٣٤٤ و٥٩٤ ــ ٥٩٦

ــ الفصح اليهودي والمسيح خروف الفصح :
م ٩٨
ش ١٣٦ ــ ١٤١ و١٤٩ ــ ١٥١ و١٢١٩
ــ الحية النحاسية وصليب المسيح :
م ٩٨
ش ٢٢٨ ــ ٢٣٧
ــ المن السماوي والخبز النازل من السماء :
م ٩٩
ش ٤٢٠ ــ ٤٣٣
○ النبوات عن المسيح في إنجيل يوحنا :
م ٩٩ ــ ١٠٢
ــ هو الهيكل الجديد :
ش ١٩٢ ــ ١٩٨
ــ هو الملك الآتي :
ش ٧٢٣ ــ ٧٣٠
ــ سمة زمان الملك الآتي :
أ ــ يكون الجميع متعلمين من الله :
ش ٤٣٤ و٤٣٥
ب ــ من آمن به تجري من بطنه أنهار ماء حي :
ش ٤٩٧ ــ ٥٠٠
ــ الذي أكل خبزي رفع عليَّ عقبه :
م ١٠١
ش ٧٩١ و٧٩٢
ــ نبوة إشعياء عن أعمال المسيا وعدم إيمانهم به :
م ١٠١
ش ٧٥٣ ــ ٧٥٧

الثبات في المسيح :

ــ هدف المسيح أن نثبت فيه ونتحد به :
م ١٧٣ ــ ١٧٦
ش ٩٠٢ ــ ٩١١
+ بالثبات في كلمته :
ش ٣٧٩ و٣٨٠
+ وأكل جسده وشرب دمه :
ش ٤٤١ ــ ٤٥٦
+ وحفظ وصاياه :
ش ٩١٤ ــ ٩١٧

+ والثبات في محبته:
ش ٩١٢ ــ ٩١٤
+ بهذا يثبت فرحه فينا:
ش ٩١٧ ــ ٩٢٠

ثمر:
حقول الخدمة ابيضت للحصاد:
ش ٣٠٦ ــ ٣٠٨
والحاصد يجمع ثمراً للحياة الأبدية:
ش ٣٠٨ و٣٠٩
حبة الحنطة لا تأتي بثمر إن لم تمت:
ش ٧٣٤ ــ ٧٣٩
من لا يأتي بثمر هو قريب من الحريق:
ش ٨٩٨ ــ ٩٠٩
من يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر:
ش ٨٩٩ ــ ٩٠٢
الثبات في المسيح ضرورة للإتيان بثمر:
ش ٩٠٢ ــ ٩٠٧
بهذا يتمجد الآب أن نأتي بثمر كثير فنكون تلاميذ المسيح:
ش ٩١١ ــ ٩١٢

جسد:
الكلمة صار جسداً:
ش ٨٤ ــ ٩٢
ــ وحل بيننا:
ش ٩٣ ــ ٩٦
ــ المولود من الجسد والمولود من الروح:
ش ٧٣ ــ ٧٧ و٢١٦ ــ ٢١٨
ــ هيكل جسد المسيح المقام في ثلاثة أيام:
ش ١٩٦ ــ ١٩٨
ــ جسد المسيح ودمه:
ش ٤٣٧ ــ ٤٥٦
ــ الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً:
ش ٤٥٧ ــ ٤٦١

حب / محبة:
المحبة والاتحاد بالآب والابن:
م ١٧٠ ــ ١٧٦
ش ١٠٧٦ ــ ١٠٩٣
ــ الفرق بين «الأغابي» و«الفيلين»:
م ١٧٠
ــ إنجيل يوحنا إنجيل المحبة: الله محبة:
م ١٧١
ــ المحبة فعل بذل:
م ١٧٢
□ هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد:
ش ٢٣١ ــ ٢٤٠
□ «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع نفسه لأجل أحبائه»:
ش ٩٢٢ ــ ٩٢٤
□ «لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي»:
ش ٦٣٠
□ «أتحبني؟ ارع غنمي»:
ش ١٣٤٣ ــ ١٣٤٩
ــ الإيمان العامل بالمحبة:
م ١٧٢
□ الحب هو الحق: نحب بالعمل والحق:
م ١٧٣
□ «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي»:
ش ٨٤٤ و٨٥٩ و٨٦٠
□ «تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم»:
ش ٨٠٤ ــ ٨٠٨ و٩٢٠ ــ ٩٢٢
ــ محبة الله سابقة ودخولنا في محبة الآب تلغي عبوديتنا:
م ١٧٣
□ «أحب خاصته الذين في العالم ... إلى المنتهى»:
ش ٧٧٨
□ «كما أحبني الآب أحببتكم»:
ش ٩١٢ ــ ٩١٤
□ «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به»:
ش ٩٢٤ ــ ٩٢٨
□ «الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني»:
ش ٩٨٨ و٩٨٩
□ صلاة المسيح ليكون فينا الحب الذي للآب والابن:

ش ١٠٧٦ ــ ١٠٩٣
ــ المحبة المسيحية تولّد في العالم المعاكس بغضة:
ش ٩٢٨ ــ ٩٣٩
□ «لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني»:
ش ٥٥١
□ «الذي يعمل السيئات يبغض النور»:
ش ٢٤٣

حرية:

ــ الحرية بالإيمان بالمسيح والثبات في كلامه ومعرفة الحق والحق يحررنا:
ش ٥٤١ ــ ٥٤٣
ــ الحرية هي التحرر من عبودية الخطية:
ش ٥٤٦ و٥٤٧
ــ لا سبيل إلى حرية البنين إلا بابن الله:
ش ٥٤٦ و٥٤٧

حفظ (استيعاب، ملاحظة، طاعة / حراسة / حماية):

ــ من يحفظ كلام المسيح لن يرى الموت إلى الأبد:
ش ٥٦٥
ــ المسيح يعرف الآب ويحفظ قوله:
ش ٥٦٧ ــ ٥٦٩
ــ «من يبغض نفسه في هذا العالم، يحفظها إلى حياة أبدية»:
ش ٧٣٧ ــ ٧٣٩
ــ حفظ الوصايا دليل محبة الله والذي لا يحبه لا يحفظ كلامه:
ش ٧٣٧ ــ ٧٣٩
ــ المسيح يطلب من الآب أن يحفظ تلاميذه في اسمه:
ش ١٠٤٢ و١٠٤٣
ــ لما كان في العالم كان يحفظهم ... وحفظهم:
ش ١٠٤٥ ــ ١٠٤٧
ــ لا يسأل أن يأخذهم من العالم بل أن يحفظهم من الشرير:
ش ١٠٥٠ ــ ١٠٥١

حق:

«الحق» الكلمة المفضلة على لسان المسيح:
م ١٠٦
ــ معناه العبري: الأمانة، الصدق، الديمومة، الثقة المؤكدة:
م ١٠٦
ــ معناه اليوناني: الحقيقة المضادة للغش، أو الحقيقة المضادة للمظهر:
م ١٠٧
ــ في المسيح تصالح المعنيان:
م ١٠٧
ــ الحق في إنجيل يوحنا تعبير عن المسيح كمعرفة تجمع في مسيحها كمال الأصول:
م ١٠٧
ــ المسيح كلمة الله استعلان كامل لذات الله ولطبيعته:
«الابن الوحيد ... **هو خبَّر**»:
م ١٠٧
ش ١١٣ ــ ١٢٢
ــ وهو استعلان كامل للحياة الأبدية:
م ١٠٨
ش ٦٧٧ ــ ٦٨١
ــ المسيح قال: «أنا هو الحق»:
م ١٠٨
ش ٨٢٦ ــ ٨٢٨
ــ بتجسد المسيح رأينا مجده مملوءاً نعمة وحقاً، والنعمة والحق به صارا:
ش ١٠٥ ــ ١٠٧ و١١٤ ــ ١١٧
ــ «من يثبت في الحق يثبت في الله»، و«من يفعل الحق يقبل إلى النور (الله)»:
م ١٠٨
ش ٢٤٤
ــ الله روح وعبادته بالروح والحق:
ش ٢٩٣ ــ ٢٩٧
ــ «وتعرفون الحق والحق يحرركم»:
م ١١٠
ش ٥٤١ ــ ٥٤٣
ــ جسده ودمه مأكل حق ومشرب حق:

م ١٠٩
ش ٤٤٧ — ٤٤٩
— الروح القدس يرشدنا إلى جميع الحق:
— م ١٠٨
ش ٩٦٦ و٩٦٧
— و يضطلع بإعلان الحق وإعلان المسيح معاً:
م ١١٠
ش ٩٦٨ — ٩٧٠
— الحق يقدس الإنسان بالكلمة:
م ١١٠
ش ١٠٥٢ — ١٠٦٦
— معرفة الحق بالتقوى ومخافة الله ولا يقبلها من يتبع إبليس الكذاب:
م ١١١
ش ٥٥٥ — ٥٦٢
— المسيح جاء ليشهد للحق، وكل من هو من الحق يسمع له:
ش ١١٦٠ — ١١٦٤
— الشهادة للحق: (أنظر أيضاً: **شهادة**):
م ١١٢ — ١١٨
— «الحق الحق أقول لك ...»:
ش ٢٠٧ و٢١٤ و٢٢٣ و٨١٠ و١٣٤٨
— «الحق الحق أقول لكم ...»:
ش ١٦٠ و٣٤٦ و٣٥٥ و٣٥٩ و٣٦١ و٤١٦ و٤٢٢ و٤٣٦ و٤٤٤ و٥٤٦ و٥٦٥ و٥٧٣ و٦٠٦ و٦١١ و٧٣٤ و٧٩٠ و٧٩٣ و٨٤٠ و٩٧٣ و٩٧٩

حكم :

«لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكماً عادلاً»:
ش ٤٨٩ و٤٩٠
— حكم المسيح حق:
ش ٥٣٨
— محاكمة المسيح: الأولى:
ش ١١١٨ — ١١٤٣
— محاكمة المسيح: الثانية:
ش ١١٤٤ — ١١٩٠
— تنفيذ الحكم:
ش ١١٩٢

حَمَل الله :

ش ١٣٧ — ١٤٢ و١٤٩ — ١٥١

حياة :

م ١٣٠ — ١٤١
— الحياة في أسفار العهد الجديد:
م ١٣٠
— الحياة عند ق. بولس الرسول:
م ١٣١ — ١٣٥
— الحياة في إنجيل ق. يوحنا:
م ١٣٥ — ١٤١
+ فيه كانت الحياة:
م ١٣٥
ش ٤٤
+ الحياة نور الناس — علاقة الحياة بالنور:
ش ٤٥ — ٤٩
+ نور معرفة الله هو الحياة:
م ١٤١
ش ٤٥ و١٠١٧ — ١٠٢١
+ شجرة الحياة:
ش ٤٦ و٤٢٦
+ خبز الحياة:
م ٨٦ و١٣٦ و٢٧٣ و٢٨٢
ش ٤٦ و٤٢٢ — ٤٢٧ و٤٣٧ — ٤٤٢
+ ماء الحياة:
م ٨٦ و١٣٦ و٢٧٥ — ٢٨٢
ش ٢٧٩ — ٢٨٧ و٤٩٨ — ٥٠٠
+ المسيح هو الحياة:
م ١٣٥
ش ٤٦ و٦٧٧ — ٦٨٢ و٨٢٥ — ٨٢٨ و٨٥٥
+ كلامه هو روح وحياة:
م ١٣٦
ش ٤٥٧ — ٤٦٠
— من يؤمن به له حياة أبدية:
م ١٣٦ — ١٣٨

ش ٢٢٨ — ٢٣٠ و٢٣٨ و٣٥٥ — ٣٥٨ و٤٣٢ و٤٣٦ و٦٧٧ — ٦٨٢

— المحبة والفرح ثمار الحياة الأبدية:
م ١٣٩ — ١٤١
ش ٩١٤ — ٩٢٠

— الحياة توصِّل إلى معرفة أعماق الله:
م ١٤١
ش ١٠١٧ — ١٠٢١

— الحياة والدينونة:
م ١٤٢
ش ٣٥٥ — ٣٥٩ و٣٦٤ — ٣٧١

— من يأكل جسد المسيح و يشرب دمه له حياة أبدية:
م ١٣٥
ش ٤٤٤ — ٤٥٦

— الحياة الأفضل:
ش ٦١٥

— بذل نفس بنفس لإعطاء حياة:
ش ٦١٦ — ٦٢٠

— غاية إنجيل يوحنا «لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه»:
م ١٣٦
ش ١٣١٢ و١٣١٣

خاصة الله :

الخاصة هم شعب إسرائيل / ابنه البكر :
م ٩٣ و٩٦ — ١٠٢
ش ٦٣ و٧٠

المسيح إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله:
م ٩٣ — ٩٥
ش ٦٣ — ٦٩

أما الذين قبلوه فهم خاصته الجديدة:
ش ٦٩ و٧٠

وهم أولاد الله المولودون منه وشركاء الطبيعة الإلهية:
ش ٧٠ — ٧٧

وهو الراعي الصالح الذي يعرف خاصته وخاصته تعرفه:
ش ٦٢١ — ٦٢٣

وهم خرافه الأخرى من كل العالم:
ش ٦٢٤ — ٦٢٩

وهو أحب خاصته إلى المنتهى:
ش ٦٢٤ و٧٧٥

خبز :

— خبز الحياة بين التوراة والمسيح:
م ٨٦

— رمز الخبز النازل من السماء:
م ٢٧٣ و٢٧٤

— رمز الخبز والماء معاً:
م ٢٨٢ — ٢٨٨

— معجزة الخمس الخبزات والسمكتين:
ش ٣٩١ — ٤٠٤

— الخبز البائد والخبز الباقي للحياة الأبدية:
ش ٤١٦ — ٤١٨

— الخبز النازل من السماء:
ش ٤٢٠ — ٤٢٧ و٤٣٧ — ٤٤٢

— هو جسد المسيح الذي يبذله عن حياة العالم:
ش ٤٤٣ — ٤٥٦

— «الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه»:
ش ٧٩١ و٧٩٢

— مائدة الخبز والسمك بعد القيامة:
ش ١٣٢٨ — ١٣٤٢

ختان :

السبت يُكسر بالختان، فكم بالأولى شفاء إنسان بأكمله:
ش ٤٨٩ و٤٩٠

خدمة :

+ خدّام الأسرار:
ش ١٧٣ و١٧٤

+ يلزم للخادم أن يتبع منهج سيده حاملاً الصليب:
ش ٧٣٩ — ٧٤٠

+ الذي يخدم المسيح يكرمه الآب:
ش ٧٣٩

+ خدّام اليهود المكلّفون بخدمة الهيكل قبضوا على يسوع:
ش ٧٣٩

+ بطرس وسط الخدّام :
ش ١١٣٢ ـــ ١١٣٤
+ خادم يلطم المسيح :
ش ١١٣٨ ـــ ١١٤١

خراف :

+ الله يرعى شعبه بمثابة راعي يرعى خرافه :
م ٢٦٨ ـــ ٢٧٠
+ الخراف تعرف صوت راعيها :
ش ٦٠٩ و٦١٠ و٦١٢
+ خراف خاصة وخراف ضالة :
ش ٦١٢
+ الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف :
ش ٦١٦ ـــ ٦٢٤
+ جمع الخراف لتكون رعية واحدة وراع واحد :
ش ٦٢٤ ـــ ٦٢٩

خطية :

م ١٦٤ ـــ ١٦٧
ـــ الخطية مصدرها أسفل، من الأرض والجسد والشيطان :
م ١٦٢ ـــ ١٦٧
ش ٥٣٣ ـــ ٥٣٧ و٥٥٥ ـــ ٥٥٦
ـــ المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه :
م ١٦٦ و١٦٧
ـــ الخطية العلة الأولى لمرض الإنسان وموته :
ش ٣٣٧
ـــ لا يدين الخاطيء إلا الذي بلا خطية :
ش ٥١٣ و٥١٤
ـــ المسيح أدان الخطية و برّأ الخاطيء لأنه بلا خطية :
ش ٥١٥ و٥٦١
ـــ خطية رفض المسيح نتيجتها موت مؤبد :
ش ٥٣٢ و٥٣٣ و٥٣٦
ـــ «من يعمل الخطية هو عبد للخطية» :
ش ٥٤٦
ـــ «من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى» :
ش ٥٨٣ ـــ ٥٨٧
ـــ «الله لا يسمع للخطاة» :
ش ٦٠٠ و٦٠١
ـــ الخطية باقية على الذين يحسبون أنفسهم أبراراً ومبصرين :
ش ٦٠٢ ـــ ٦٠٤
ـــ الروح القدس يبكّت على خطية :
ش ٩٥٧ ـــ ٩٥٩
ـــ سلطان مغفرة الخطايا وعلاقته بالمعمودية والاعتراف :
ش ١٢٩٢ ـــ ١٣٠٠

خلاص :

م ١٦٧ ـــ ١٦٩
ـــ الخلاص بالإيمان بابن الله الذي بذل نفسه من أجل حياة العالم :
ش ٢٢٨ ـــ ٢٤٠
ـــ المسيح جاء ليخلّص العالم لا ليدينه :
ش ٢٣٩
ـــ باب خلاص الإنسان بالولادة من فوق :
ش ٢٠٧ ـــ ٢١٦
ـــ الذي في يده لن يهلك :
ش ٦٣٧ ـــ ٦٤١
الإفخارستيا ترياق الخلاص وعدم الموت :
ش ٤٣٨ ـــ ٤٤٢
ـــ العبادة بالروح والحق سلاح المؤمن للخلاص والمحاربة :
م ١٦٨
ش ٢٩٥ ـــ ٢٩٧
ـــ الخلاص من الخطية بدم المسيح لكل من يعترف بها :
م ١٦٨
ش ١٢٩٢ ـــ ١٣٠٠

خمر :

الخمر بين التوراة والمسيح :
م ٨٧
تحويل الماء إلى خمر ومغزاها السري :
ش ١٧٢ ـــ ١٧٩

دم :

« دمي مشرب حق » :

ش ٤٤٤ ــ ٤٥٢

خروج الماء والدم من جنب المسيح :

ش ١٢٢٤ ــ ١٢٣٦

دينونة :

خلفية إنجيل يوحنا : إما الحياة أو الدينونة :

م ١٢٩ و١٤٢ ــ ١٤٥

المسيح جاء لا ليدين بل ليخلّص :

ش ٢٣٩ ــ ٢٤١ و٧٦١ ــ ٧٦٣

ــ ماهية الدينونة : النور جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور :

ش ٢٤٢ ــ ٢٤٥ و٦٠٢ ــ ٦٠٤

ــ الآب أعطى كل الدينونة للابن الذي ينفذ كل مشيئة الآب :

ش ٣٥٢ و٣٦٣ و٣٦٩ ــ ٣٧١

ــ الذي يؤمن بالابن وبمن أرسله لا يدان :

ش ٢٤٠ و٢٤١ و٣٥٥ ــ ٣٥٩

ــ الدينونة في القيامة الأخيرة :

ش ٣٦٤ ــ ٣٦٩

ــ لا يدين الخاطىء إلا الذي بلا خطية :

ش ٥١٣ و٥١٤

ــ المسيح أدان الخطية وبرّأ الخاطىء لأنه الوحيد الذي بلا خطية :

ش ٥١٥ و٥٦١

ــ الناس يدينون حسب الجسد :

ش ٥٢٧ و٥٢٨

ــ الآن دينونة هذا العالم ورئيسه :

ش ٧٤٥ ــ ٧٤٧

ــ كلمة المسيح تشهد وتدين في اليوم الأخير :

ش ٧٦١ ــ ٧٦٦

ــ الروح القدس يبكّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة :

ش ٩٥٩ ــ ٩٦١

ذِكْر / تذكُّر :

تذكر التلاميذ لما هو مكتوب :

ش ١٩٢ و١٩٧ و١٩٨ و٧٣٠

الروح القدس يعلمنا كل شيء و يذكرنا بكل ما قاله المسيح :

ش ٨٦٨ ــ ٨٧٠

رؤيا :

ــ كلمة «يرى» عند ق. يوحنا وردت على ستة تركيبات :

ش ٩٦

+ θεᾶσθαι = الرؤيا الخاصة بالاستعلان و بالإيمان : « رأينا مجده » :

ش ٩٦ ــ ١٠٠

وهي رؤية الإيمان بلا عيان :

ش ١٣٠٩ ــ ١٣١٠

ــ الله لم يره أحد قط الابن الوحيد هو خبّر :

ش ١١٧ ــ ١٢٢

+ τεθέαμαι = رؤيا المشاهدة فوق العادة : « رأيت الروح نازلاً... » :

ش ١٤٤

+ ὄψεσθαι = رؤية ما هو أعظم : «سوف ترى أعظم من هذا» :

ش ١٦٠

= رؤية الحق كما هو : «من الآن ترون السماء مفتوحة...» :

ش ١٦١

« إن آمنتِ ترين مجد الله » :

ش ٦٩١

«ثم بعد قليل أيضاً ترونني» :

ش ٩٧١

+ ὁρᾶν = الرؤية الذاتية : « وما رآه وسمعه به يشهد » :

ش ٢٥٦

« ليس أحد رأى الآب إلا الذي من الله » ؛ « أتكلم بما رأيت عند أبي » ؛ «يا سيد أرى أنك نبي» :

ش ١٨٩ و٤٣٦ و٥٤٨

« ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه » :

ش ٨٣٠
«أخبرت التلاميذ أنها رأت الرب»:
ش ١٢٧٨
«قد رأينا الرب»:
ش ١٣٠٢
+ θεωρῶν = رؤية بالقلب والفكر الروحي المدرب بالكلمة: «كل من يرى الابن ويؤمن به...»:
ش ٤٣٢ و٤٣٣
«إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت»:
ش ٥٦٥
«الذي يراني يرى الذي أرسلني»:
ش ٧٦٠
«بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني»:
ش ٨٥٥
«بعد قليل لا تبصرونني»:
ش ٩٧١
+ ἰδεῖν = «إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح»:
ش ٥٧٢
«قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه»:
ش ٧٥٧
«طوبى للذين آمنوا ولم يروا»:
ش ١٣١٠

رسول؛ إرسالية؛ مُرسَل:

ـــ الإرسالية وتنصيب الرعاة ومنحهم سلطان الحل والربط: ٥
م ٢٦٢
ش ١٠٦٠ و١٠٦١ و١٢٨٥ ـــ ١٢٩٧
ـــ مركز الرسل في الكنيسة:
م ٢٦٣
ش ٣٠٩ و٩٤٣ و١٠٨٥ و١٠٩٢
ـــ «كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا»:
ش ٥٥
ـــ رسالة يوحنا المعمدان: الشهادة للمسيح:
ش ٥٧ ـــ ٥٩ و١٤٤ ـــ ١٤٧ و٢٥٢
لم يأت من نفسه:
ش ٥٥٠ ـــ ٥٥٥
ـــ رسالة ابن الله إلى العالم: ليخلِّص العالم:
ش ٢٣٩ و٢٤٠ و٢٥٧
ليعمل مشيئة الذي أرسله:
ش ٣٠٤ و٣٧١ و٤٣١ و٤٣٢ و٥٨٧
ـــ من يكرم الابن يكرم الآب الذي أرسله:
ش ٣٥٣ و٤٥١ و٤٥٢
ـــ أعماله تشهد بأن الآب قد أرسله:
ش ٣٧٦ ـــ ٣٧٩
ـــ الآب الذي أرسله أيضاً يشهد له لأنه معه:
ش ٣٧٩ و٥٢٧ ـــ ٥٢٩ و٥٣٩ و٥٤٠
ـــ عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله:
ش ٤١٩ و٤٢٠ و٧٥٩
ـــ إرسالية المسيح على أساس وحدته بالآب ومساواته له:
ش ٥٥١ و٥٥٢ و٦٤٣ ـــ ٦٤٥
ـــ تعليم المسيح من الآب رأساً:
ش ٤٨٦ ـــ ٤٨٨
ـــ الله الحق الذي أرسله المسيح لا يعرفه إلا المسيح:
ش ٤٩١ و٤٩٢
ـــ وسيمضي إلى الذي أرسله:
ش ٤٩٥ و٤٩٦
ـــ الذي يراه يرى الذي أرسله:
ش ٧٥٩ و٧٦٠
ـــ الذي يقبل المرسل يقبل الراسل:
ش ٧٩٣
ـــ إرسالية الروح القدس من الآب باسم المسيح:
ش ٨٦٨ و٨٦٩
ومن المسيح من عند الآب:
ش ٩٣٩ ـــ ٩٤٢ و٩٥٤ ـــ ٩٥٧

رعاية؛ راعي؛ رعية:

ـــ مواصفات الراعي الصالح:
ش ٦٠٦ ـــ ٦٢٥ و٦٣٩ ـــ ٦٤٨
ـــ رعية واحدة وراع واحد:
ش ٦٢٥ ـــ ٦٢٩
ـــ المحبة للمسيح شرط الرعاية «أتحبني. ارع خرافي»:
ش ١٣٤٣ ـــ ١٣٤٨

رمز :
الرموز في إنجيل يوحنا :
م ٢٦٨ — ٢٨٨
+ رمز الراعي الصالح :
م ٢٦٨ — ٢٧٠
ش ٦٠٦ — ٦٢٩
+ رمز الكرمة :
م ٢٧٠ — ٢٧٣
ش ٨٩٢ — ٩٠٩
+ رمز الخبز النازل من السماء :
م ٢٧٣ — ٢٧٥
ش ٤٢٠ — ٤٣٤ و٤٣٧ — ٤٥٦
+ رمز المياه :
م ٢٧٥ — ٢٨٨
○ الوجه السلبي للمياه :
ش ٤٠٨ — ٤١١
○ الوجه الإيجابي للمياه :
ش ٢٧٩ — ٢٨٧ و٤٩٧ — ٥٠٢
+ رمز الخبز والماء معاً :
م ٢٨٢ — ٢٨٨

روح : (أنظر باراكليت) .

سبت :
م ٩٨
+ المسيح يشفي في السبت واليهود يعتبرونه نقضاً للناموس :
م ٨٣ و٨٤
ش ٣٣٥ — ٣٤٤ و٥٩٤ — ٦١٠
+ الناموس يسمح بكسر السبت لأجل الختان ، والمسيح شفى إنساناً بأكمله في السبت :
ش ٤٨٩ و٤٩٠
+ سبت الفصح يُحسب عظيماً :
ش ١٢١٩ — ١٢٢١

سجود :
+ النفس التائبة تطلب السجود :
ش ٢٩٠
+ سجود اليهود بمعرفة :
م ٩٦
ش ٢٩١ — ٢٩٣
+ السجود لله بالروح والحق :
ش ٢٩٣ — ٢٩٧
+ السجود قرين الإيمان بالله :
ش ٦٠١ — ٦٠٢

سر / أسرار :
الأسرار الكنسية في إنجيل يوحنا :
م ٢٦٤ — ٢٦٧
الميلاد من فوق من الماء والروح وسر المعمودية :
ش ٢٠٧ — ٢٢٢
الماء الحي والمعمودية :
ش ٢٨٠
الماء الحي وعطية الروح القدس :
ش ٤٩٨ — ٥٠٢
تفتيح عيني المولود أعمى بالاغتسال في بركة سلوام وعلاقته بالمعمودية :
ش ٥٩٠ — ٥٩٢
بركة بيت حسدا وتحريك الماء سَبْق تصوير للمعمودية :
ش ٣٢٨ و٣٢٩
تحويل الماء إلى خمر وسر الإفخارستيا :
ش ١٧٣ — ١٧٨
معجزة إشباع الجموع وسر الإفخارستيا :
ش ٣٩٠ — ٤٠٤
الخبز النازل من السماء وسر التناول من جسد الرب ودمه :
ش ٤٢٢ — ٤٥٦
حضور المسيح والعذراء في عرس قانا الجليل وسر الزيجة :
ش ١٧٠ — ١٧٩
نفخ الروح القدس في وجه التلاميذ وإعطاؤهم سلطان غفران الخطايا وعلاقته بسرّي الكهنوت والاعتراف :
ش ١٢٨٥ — ١٢٩٩

سلام :
سلام المسيح غير سلام العالم :

ش ٨٧٠ ــ ٨٧٤
سلام في شخصه لأنه غلب العالم :
ش ٩٩٥ ــ ٩٩٧
قال لهم : «سلام لكم» :
ش ١٢٨٠ ــ ١٢٨٨ و١٣٠٤ و١٣٠٥

سلطان :

+ سلطان الانتساب لله «خاصة الله» :
م ٩٣
ش ٦٣ و٧٠
+ كان لشعب إسرائيل فقط :
ش ٧٠
+ ثم أعطي بلا قيود للمؤمنين كأفراد :
ش ٧٠
أن يصيروا أولاد الله ، أي المؤمنين باسمه ، شركاء الطبيعة الإلهية :
ش ٧١ و٦٣٢
+ النطق باسم الله له قوة وسلطان الحضور الإلهي :
ش ٧٢
+ سلطان البنوة لله ليس بالولادة الجسدية بل الولادة من فوق ، من الله :
ش ٧٣ و٢٠٧
من الماء والروح :
ش ٢١٤ ــ ٢٢٠
+ الابن له كل سلطان الآب :
ش ٣٣٨ ــ ٣٧١
فقد دفع كل شيء إلى يديه :
ش ٧٨٠
+ وأعطي سلطان أن يدين لأنه ابن الإنسان :
ش ٣٦٣
+ المسيح له سلطانه المطلق على الموت والحياة معاً ؛ وبحريته المطلقة قدم ذبيحة نفسه استجابة لوصية الآب :
ش ٦٣٠ ــ ٦٣٤
+ سلطان المسيح على إعطاء الحياة الأبدية :
ش ٦٣٣
يعطيه لكل من أعطي له من الآب :
ش ١٠١٦ ــ ١٠٢٤
+ أعطى للتلاميذ السلطان باسمه على مغفرة الخطايا ؛ وإجراء المعمودية لقبول الميلاد الجديد :
ش ٦٣٣
+ ليس لأحد سلطان ما لم يُعطَ من الآب :
ش ٦٣٢ و١١٨٢

سماء / سماويات :

الروح نازلاً مثل حمامة من السماء :
ش ١٤٤
انفتاح السماء بمجيء المسيح :
ش ١٦١ و١٦٢
الأرضيات والسماويات في كلام المسيح :
ش ٢٢٣ و٢٢٤
الذي صعد إلى السماء هو الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء :
ش ٢٢٥ ــ ٢٢٧
لا يأخذ أحد شيئاً إلا ما أعطي من السماء :
ش ٢٥١ و٢٥٢
الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع :
ش ٢٥٥
المسيح هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت :
ش ٤٣١ و٤٣٣ ــ ٤٤٢

سمع :

«من يسمع كلمتي ويؤمن بالذي أرسلني له حياة أبدية» :
ش ٣٥٦ ــ ٣٥٨
الأموات يسمعون صوت ابن الله فيحيون :
ش ٣٥٩ ــ ٣٦٢
في القيامة يسمع الذين في القبور صوت ابن الله فيقومون للدينونة :
ش ٣٦٤ ــ ٣٦٥
قدرة الابن المساوية لقدرة الآب في تنفيذ كل ما يسمعه من الآب :
ش ٣٦٩ ــ ٣٧٠
المسيح صوت الآب وهيئته وكلمته :

ش ٣٨٠ و٨٦٧
من يسمع من الآب يُقبل إلى المسيح :
ش ٤٣٤ و٤٣٥
لا يُفهم كلام الله إلا بالأذن الروحية :
ش ٥٥٣ ــ ٥٥٥ و٦٣٧ و٦٣٨
الذي من الله يسمع كلام الله ، «خرافي تسمع صوتي» :
ش ٥٦٢ و٥٦٣ و٦٣٧ و٦٣٨
الآب في كل حين يسمع للابن :
ش ٦٩٢ و٦٩٣
الذي يسمع ولا يؤمن يدينه الكلام الذي سمعه :
ش ٧٦١ ــ ٧٦٦
كل ما يسمعه الروح القدس يتكلم به ويخبرنا :
ش ٩٦٦ و٩٦٧
كل من هو من الحق يسمع صوت الله :
ش ١١٦١ و١١٦٢

شفاء :

شفاء ابن خادم الملك :
ش ٣١٤ ــ ٣٢٠
شفاء المخلع :
ش ٣٢٩ ــ ٣٣٧
الشفاء في السبت ليس نقضاً للناموس :
ش ٤٨٩ و٤٩٠
شفاء المولود أعمى :
ش ٥٨٣ ــ ٥٩٣

شهادة :

+ الحق والشهادة :
م ١٠٦ ــ ١١٨
+ شهادة الآب :
ش ٣٧٢ ــ ٣٧٩ و٥٢٩
+ شهادة المسيح لنفسه حق لأنه لا يطلب مجداً من الناس :
ش ٣٧٢ و٣٧٣
ولأنه ليس وحده :
ش ٥٢٩
ولأنه يتكلم بما يعلم ويشهد بما رأى :
ش ٢٢٢ و٢٢٣ و٢٥٦ و٣٥٧
ولأنه الحق وأتى ليشهد للحق :
ش ١١٦١
+ أعمال المسيح تشهد له :
ش ٣٧٦ ــ ٣٧٩ و٦٣٦ و٦٣٧
ــ لأن مهما عمل الآب فهذا يعمله الابن كذلك :
ش ٣٤٦ ــ ٣٥١
ــ لأنه لم يعملها أحد غيره :
ش ٨٣٩ و٨٤٠
ــ لأن من يؤمن به يعمل أعماله وأعظم منها :
ش ٨٤٠ ــ ٨٤١
+ شهادة الأسفار المقدسة :
ش ٥٤ ــ ٦٠ و١٠٨ و١٠٩
+ شهادة يوحنا المعمدان :
ش ٥٤ ــ ٦٠ و١٠٨ و١٠٩
ــ الجواب بالنفي :
ش ١٢٦ ــ ١٣٣
ــ الجواب بالإيجاب :
ش ١٣٤ ــ ١٣٦
ــ الشهادة للمسيح ابن الله :
ش ١٣٦ ــ ١٤٩
ــ المعمدان يسلِّم الوديعة :
ش ١٤٩ ــ ١٥١
ــ المعمدان يكمِّل شهادته :
ش ٢٤٦ ــ ٢٥٩
ــ المسيح يتكلم عن شهادة يوحنا له :
ش ٣٧٤ ــ ٣٧٦
+ شهادة التلاميذ :
ــ عند اختيارهم :
ش ١٥٢ ــ ١٦٢
ــ شهادتهم بعد القيامة :
ش ٩٤٣ ــ ٩٤٤
ــ شهادة يوحنا الإنجيلي :
ش ١٢٣٦ و١٣٥٥ ــ ١٣٥٧
+ شهادة الروح القدس :
ش ٩٣٩ ــ ٩٤٢ و٩٦٦ ــ ٩٦٩

شيطان / إبليس / رئيس العالم :

ـ ذاك كان قتّالاً للناس منذ البدء :

ش ٥٥٥ ـ ٥٥٧

ـ ولم يثبت في الحق :

ش ٥٥٨ ـ ٥٦٠

ـ من يعمل الشر هو من إبليس أبيه :

ش ٥٤٩ ـ ٥٥٦

ـ المسيح اختار التلاميذ وواحد منهم شيطان :

ش ٤٦٩ ـ ٤٧١

ـ اليهود يشتمون المسيح أن به شيطان :

ش ٤٨٩ و٥٦٣ ـ ٥٦٥ و٦٣٤ و٦٣٥

ـ الشيطان ألقى في قلب يهوذا خيانة المسيح :

ش ٧٧٩ و٧٨٠

ـ بعد اللقمة دخله الشيطان :

ش ٧٩٦ و٧٩٧

ـ هو رئيس هذا العالم الذي هُزم بالصليب :

ش ٧٤٦ و٧٤٨

ـ ولكنه ليس له في المسيح شيء :

ش ٨٨٨ ـ ٨٩٠

ـ الروح القدس وعمله ضد رئيس هذا العالم :

ش ٩٦٠ ـ ٩٦١

صعود :

ـ ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء :

ش ٢٢٥ و٢٢٦

ـ لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي :

ش ١٢٧٥ ـ ١٢٧٨

صليب :

ـ الحية المرفوعة في البرية رمز لصليب المسيح :

م ٩٨

ش ٢٢٨ ـ ٢٣٠

ـ المسيح بموته مرتفعاً على الصليب جذب إليه الجميع :

ش ٧٤٨ ـ ٧٥٠

ـ رؤساء الكهنة والخدام صرخوا « اصلبه اصلبه » :

ش ١١٧٨

ـ بيلاطس لا يجد فيه علّة للصلب :

ش ١١٧٨

ـ و يدّعي أن له سلطاناً أن يصلبه أو يطلقه ، والمسيح يصحح قوله :

ش ١١٨١ ـ ١١٨٤

ـ تكرار صراخ اليهود : اصلبه ، و بيلاطس يسألهم : « أأصلب ملككم ؟ » :

ش ١١٨٩ و١١٩٠

ـ ثم أسلمه إليهم ليُصلب ، فخرج وهو حامل صليبه :

ش ١١٩٢ ـ ١١٩٧

ـ وصلبوا معه اثنين :

ش ١١٩٨ ـ ١٢٠١

ـ عنوان على الصليب : يسوع الناصري ملك اليهود :

ش ١٢٠١ ـ ١٢٠٤

ـ المرافقون للصليب :

ش ١٢٠٤ ـ ١٢١٣

ـ انزال جسد الرب من على الصليب :

ش ١٢٣٩ ـ ١٢٤٨

طريق :

ـ المسيح افتتح طريقاً من الأرض إلى السماء :

ش ٨٢٣

ـ التلاميذ يسألون عن هذا الطريق :

ش ٨٢٣ ـ ٨٢٥

ـ المسيح يجيب : « أنا هو الطريق... » :

ش ٨٢٥ ـ ٨٢٩

طعام :

ـ « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » :

ش ٣٠٤ و٣٠٥

ـ اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي :

ش ٤١٦ ـ ٤١٨

طلبة :

ـ استحالة الإيمان بدون طلب المجد لله وحده :

ش ٣٨٤

ـ طلب المسيح وليس عطاياه :

ش ٤١٦ و٤١٧

ــ الذين يطلبون المسيح ولا يجدونه:

ش ٤٩٦ و٥٣٢ و٥٣٣

ــ الله يطلب الساجدين له بالروح والحق:

ش ٢٩٥

ــ «إن ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم»:

ش ٩٠٩ ــ ٩١١

ــ «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم»:

ش ٩٧٨ ــ ٩٨١

ــ «اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً»:

ش ٩٨١ ــ ٩٨٣

ظلمة: (أنظر: نور).

عرس / عريس / عروس:

ــ سر الكنيسة كعروس المسيح:

م ٢٥٨ و٢٥٩

ش ١٧٨

ــ حضور المسيح وأمه وتلاميذه في عرس قانا الجليل:

ش ١٦٨ ــ ١٧٩

ــ من له العروس فهو العريس أما صديق العريس فيفرح لصوت العريس:

ش ٢٥٢ ــ ٢٥٤

عطاء:

ــ الناموس بموسى أعطيَ:

ش ١١٤ ــ ١١٧

ــ ليس أحد يأخذ شيئاً إن لم يُعطَ من السماء:

ش ٢٥١ و٢٥٢

ــ ليس بكيل يعطي الله الروح:

ش ٢٥٧

ــ عطية الله:

ش ٢٧٩ و٢٨٠ و٤١٧

ــ الآب أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته:

ش ٣٦٢

ــ وأعطاه سلطاناً أن يدين:

ش ٣٦٣

ــ وأعطاه أعمالاً ليكملها:

ش ٣٧٧ ــ ٣٧٩

ــ ليس موسى أعطاهم الخبز من السماء بل الآب يعطيهم الخبز الحقيقي من السماء:

ش ٤٢٢ ــ ٤٢٥

ــ كل ما يعطيه الآب للابن فإليه يقبل ولا يخطفهم أحد من يده:

ش ٤٢٩ ــ ٤٣١ و٦٣٩ ــ ٦٤١

ــ عطية الروح القدس:

ش ٥٠١ و٨٤٤ ــ ٨٤٧

ــ عطية السلام:

ش ٨٧٠ ــ ٨٧٢

ــ العمل الذي أعطاه الآب للمسيح قد أكمله:

ش ١٠٢٤ و١٠٢٥

ــ المسيح أظهر اسمه للناس الذين أعطاهم الآب له:

ش ١٠٣٠ ــ ١٠٣٣

ــ وهم علموا أن كل ما أعطيَ هو من عند الآب:

ش ١٠٣٥ و١٠٣٦

ــ الآب أعطى اسمه للابن:

ش ١٠٤٢ ــ ١٠٤٥

ــ المجد الذي أعطاه الآب للمسيح فأعطاه المسيح لنا:

ش ١٠٨٢ ــ ١٠٩٠

عمل / أعمال:

ــ أعمال المسيح هي أعمال الله وهي معجزات في نظرنا، لاستعلان طبيعة المسيح الإلهية واظهار مجده (أي التجلي):

م ٢٩٤ ــ ٢٩٦

ــ شهادة نيقوديموس القاصرة عن أعمال المسيح:

ش ٢٠٦ و٢٠٧

ــ طعام المسيح أن يعمل مشيئة الذي أرسله ويتمم عمله:

ش ٣٠٤ و٣٠٥

ــ وليس كطلب الناس لكي يؤمنوا به ويمجدوه:

ش ٣١٦

ــ وإنما لتكميل أعمال الخليقة التي بدأها مع الآب ولا يزال يعمل معه:

ش ٣٤٠ ــ ٣٤٢

ــ مهما عمله الآب فهذا يعمله الابن كذلك:

ش ٣٤٦ — ٣٤٩
ــ لأن الآب يحب الابن و يريه جميع ما يعمله :
ش ٣٤٩ — ٣٥١
ــ الأعمال التي أعطاها الآب للابن ليكملها هي تشهد له :
ش ٣٧٦ — ٣٧٩ و٦٣٦ و٦٣٧
ــ المولود أعمى وأمثاله فرصة لإظهار أعمال الله فيه :
ش ٥٨٧ — ٥٩١
ــ والمسيح يعمل أعمال الذي أرسله ما دام نهار :
ش ٥٨٨ و٥٩١
ــ أعماله تشهد أن الآب فيه وهو في الآب :
ش ٦٤٦ — ٦٤٩ و٨٣٥ — ٨٤٠
ــ وكل من يؤمن به يعمل أعماله وأعظم منها :
ش ٨٤٠ — ٨٤٤
ــ خطية الذي لا يؤمن هي أن المسيح عمل أعمالاً لم يعملها أحد غيره :
ش ٩٣٦ و٩٣٧
ــ العمل الذي أعطاه الآب لكي يعمله قد أكمله إلى الكمال :
ش ١٠٢٥
ــ الذي يعمل السيئات يهرب من النور لئلا توبَّخ أعماله :
ش ٢٤١ — ٢٤٣
ــ أما من يعمل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة :
ش ٢٤٤ و٢٤٥
ــ اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية :
ش ٤١٦ — ٤١٨
ــ عمل الله أن نؤمن بالذي هو أرسله :
ش ٤١٨ — ٤٢٠
ــ من يعمل مشيئة الله يعرف المصدر الإلهي لتعليم المسيح :
ش ٤٨٦ و٤٨٧
ــ من يعمل الخطية هو عبد للخطية وابن إبليس :
ش ٥٤٦ — ٥٥٦

عيد / أعياد اليهود في إنجيل يوحنا :

ــ أول فصح لليهود يحضره الرب بعد بدء خدمته :
ش ١٨٥
ــ صاحبه تطهير الهيكل :
ش ١٨٦ — ١٩٩
ــ في أول عيد للفصح آمن كثيرون باسمه ، ولكنه لم يأتمنهم على نفسه :
ش ٢٠٠
ــ صعود يسوع ثانية لأورشليم في عيد لليهود هو عيد الخمسين أو عيد الفصح الثاني :
ش ٣٢٥ و٣٢٦
ــ وفيه صنع معجزة شفاء مريض بيت حسدا :
ش ٣٢٦ — ٣٣٣
ــ المسيح في أورشليم في عيد المظال :
ش ٤٧٤ — ٤٨٤
ــ محادثاته في منتصف عيد المظال :
ش ٤٨٤ — ٤٩٧
ــ محادثاته في اليوم الأخير من العيد :
ش ٤٩٧ — ٥٠٦
ــ تكملة حديث المسيح في اليوم الأخير من عيد المظال :
ش ٥١٩
ــ الموضع الذي تكلم فيه الرب :
ش ٥٣١
ــ المسيح ظل في أورشليم حتى عيد التجديد :
ش ٥٨٠ — ٥٨٢
ــ فيه شفى المولود أعمى :
ش ٥٨٣
ــ وفيه تكلم المسيح عن مثل الراعي الصالح :
ش ٦٠٦ — ٦٣٥
ــ وفيه سأله اليهود : إلى متى تعلّق أنفسنا ، ورده عليهم :
ش ٦٣٥ و٦٥٠
ــ قبل عيد الفصح الأخير بستة أيام في بيت عنيا :
ش ٧١٥
ــ الجمع الذي جاء إلى العيد يستقبل المسيح بالسعف في أورشليم :
ش ٧٢٣

ـ قبل عيد الفصح، ليلة العشاء الأخير:

ش ٧٧٥ و٧٧٦

ـ في الصباح الباكر في يوم عيد الفصح، جاءوا بيسوع إلى دار الولاية:

ش ١١٤٦ ـ ١١٥٢

ـ الاستعداد للفصح يوم الجمعة، طلبوا انزال جسد الرب من على الصليب:

ش ١٢١٩

ـ السبت العظيم:

ش ١٢٢٠

غسل / اغتسال:

اغتسال المولود أعمى في بركة سلوام وإشارتها إلى المعمودية:

ش ٥٩٠ ـ ٥٩٣

ـ غسل الأرجل:

غسل الأرجل خدمة المحبة:

ش ٧٧٤ ـ ٧٨٥

بطرس الرسول يتمنع:

ش ٧٨٥ ـ ٧٨٩

الرب يشرح للتلاميذ قصده من غسل أرجلهم:

ش ٧٨٩ ـ ٧٩١

فرح:

صديق العريس يفرح فرحاً من أجل صوت العريس:

ش ٢٥٢ و٢٥٣

فرح المعمدان وجميع الآباء والأنبياء قد كمل بمجيء المسيح:

ش ٢٥٤

الزارع والحاصد يفرحان معاً في جمع الثمر للحياة الأبدية:

ش ٣٠٨ و٣٠٩

إبراهيم تهلل بأن يرى يوم الرب فرأى وفرح:

ش ٥٧٠ ـ ٥٧٢

فرح المسيح لأجل إيمان التلاميذ:

ش ٦٧٢ و٦٧٣

حبنا للمسيح يجعلنا نفرح لانطلاقه إلى الآب:

ش ٨٧٤ ـ ٨٨٦

كيف يثبت فرح المسيح فينا ويكمل فرحنا:

ش ٩١٨ ـ ٩٢٠

حزن المسيحي الذي يتحول إلى فرح لا ينزع منه:

ش ٩٧٣ ـ ٩٧٨

اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً:

ش ٩٨١ ـ ٩٨٣

فرح التلاميذ برؤية الرب بعد القيامة:

ش ١٢٨٣ ـ ١٢٨٥

قبر:

تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوت ابن الله:

ش ٣٦٤ ـ ٣٦٦

إقامة لعازر بعد بقائه في القبر أربعة أيام:

ش ٦٧٤ ـ ٦٩٧

دفن جسد يسوع في قبر جديد:

ش ١٢٤٨ ـ ١٢٥٠

القبر الفارغ:

ش ١٢٥٩ ـ ١٢٦٧

قداسة: (أنظر أيضاً: باراكليت).

الابن الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم:

ش ٦٤٣ ـ ٦٤٦

المعزي الروح القدس:

ش ٨٦٨ ـ ٨٦٩

الآب القدوس:

ش ١٠٤٠ ـ ١٠٤٢

الذين آمنوا: احفظهم في اسمك (أيها الآب):

ش ١٠٤٢ ـ ١٠٤٥

وقدسهم في حقك:

ش ١٠٥٢ ـ ١٠٥٩

لأجلهم أقدس أنا (المسيح) ذاتي:

ش ١٠٦١ ـ ١٠٦٣

ليكونوا هم (التلاميذ) مقدسين في الحق:

ش ١٠٦٣ ـ ١٠٦٦

قيامة :

انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه :

ش ١٩٣ ـ ١٩٨

كما أن الآب يقيم الأموات و يُحيي كذلك الابن أيضاً :

ش ٣٥١ ـ ٣٥٢

قيامة الحياة وقيامة الدينونة :

ش ٣٦٤ ـ ٣٦٩

من يُؤمن بالابن له حياة أبدية ويقيمه في اليوم الأخير :

ش ٤٣٢ ـ ٤٣٥

من يأكل جسد المسيح و يشرب دمه له حياة أبدية ويقيمه في اليوم الأخير:

ش ٤٤٧

« أنا هو القيامة والحياة... » :

ش ٦٧٦ ـ ٦٨٢

القيامة أي الحياة الجديدة:

ش ١٢٥٢ ـ ١٣٢٤

ينبغي أن يقوم الرب من الأموات :

ش ١٢٦٧ و١٢٦٨

+ ظهوره للمجدلية :

ش ١٢٧٢ ـ ١٢٧٩

+ ظهوره للتلاميذ بدون توما الرسول :

ش ١٢٨٠ ـ ١٢٨٥

+ ظهوره للتلاميذ ومعهم توما الرسول :

ش ١٣٠٠ ـ ١٣١٠

+ ظهوره لبعض التلاميذ على بحيرة طبرية :

ش ١٣٢٩ ـ ١٣٥٣

+ الصورة الإنجيلية العامة لظهورات الرب بعد القيامة :

ش ١٣١٤ ـ ١٣٢٤

الكأس :

الكأس والسيف : الذي يحمل الصليب لا يحمل السيف :

ش ١١١٣

كتاب ؛ كتب ؛ المكتوب :

« وجدنا الذي كتب عنه موسى » :

ش ١٥٧ و١٥٨

«فتذكر تلاميذه المكتوب : غيرة بيتك أكلتني» :

ش ١٩٢

تذكر التلاميذ ما قاله الرب فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله :

ش ١٩٧ و١٩٨

«فتشوا الكتب فهي تشهد لي» :

ش ٣٨١ و٣٨٢

«لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني» :

ش ٣٨٥

كيف يعرف المسيح الكتب وهو لم يتعلم ؟ :

ش ٤٨٥ و٤٨٦

«من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» :

ش ٤٩٨ و٤٩٩

الإنجيل كُتب لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه :

ش ١٣١٢ و١٣١٣

أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت جميعها لا يسع العالم الكتب المكتوبة :

ش ١٣٥٦ و١٣٥٧

كرمة :

ــ الفردية والجماعية في الكنيسة في مثل الكرمة :

م ٢٥٦ و٢٥٧

ــ رمز الكرمة ونبوة إشعياء ، ونبوة كرمة داود :

م ٢٧٠ ـ ٢٧٢

ــ اتحاد المسيح بالمؤمنين به كاتحاد الأصل في الكرمة بالأغصان:

ش ٨٩٢ ـ ٩٠٩

+ الكرمة في موضع ذات المسيح وصفته الإلهية: «أنا هو...» :

ش ٨٩٤

+ وهي كرمة حقيقية :

ش ٨٩٥ ـ ٨٩٧

+ الآب هو الكرام الغارس يطلب الثمر وينقي الغصن المثمر وينزع غير المثمر:

ش ٨٩٧ــ ٩٠٠
+ لا يقدر الغصن أن يأتي بثمر من ذاته :
ش ٩٠٢ــ ٩٠٩

الكلمة (اللوغُس):

ــ لماذا اللوغُس :
م ١٨٥
ــ من أين أتى القديس يوحنا بهذا اللقب :
م ١٨٧
م ٢٦ و٢٧
ــ المسيح يعلن أنه هو الكلمة :
م ١٨٨ و١٨٩
ش ٢٧ و٣٠ و٥٣٩ و٥٤٠ و٥٤٧ــ ٥٤٩ و٧٦٣ــ ٧٦٦ و٨٣٥ــ ٨٣٩ و١٠٣٥ و١٠٣٦ و١٠٤٨ و١٠٤٩
ــ ق. يوحنا يسلمنا سر معرفته للوغس :
م ١٨٩ و١٩٠
ــ رؤية ق. يوحنا للوغس :
م ١٩٠ و١٩١
+ كان في البدء :
م ١٩٠ و١٩١
ش ٢٥ــ ٣٢
+ عند الله :
م ١٩١
ش ٣٣ــ ٣٥ و٣٧ و٣٨
+ مع الله :
م ١٩١
ش ٣٤
+ في الله :
م ١٩١
ش ٢٤ و٣٧
+ هو الله :
م ١٩٢ و١٩٣
ش ٣٥ و٣٦
+ هو يسوع المسيح قبل التجسد :
م ١٩٢
ش ٢٠
+ الكلمة الكلية المطلقة :
م ١٨٩
ش ٢٠
+ كلمة الحياة :
م ١٨٧ و١٨٨
ش ٢١
+ الله متكلماً :
م ١٩٣
ش ٢٢
+ هو يهوه :
م ٢١٨ــ ٢٤٦
ش ٣١ و٦٧ و٦٨
ــ معنى الكلمة اللوغس :
م ١٩٤
ش ٣٠ و٤٨٦ و٥٣٧ و٥٣٨
ــ لم يُؤخذ من الفلاسفة :
م ١٩٥
ــ الكلمة صار جسداً :
م ١٨٠ و١٨٧
ش ٧٧ و٨٤ و٨٢٧
+ يسوع المسيح : كلمة الله المتجسد، منظور الله وإيقونة الله :
ش ٢٣
+ استعلان الكلمة المتجسد :
ش ١٩ــ ١٢٢
○ أول استعلان للكلمة في الخلق فهو علة الوجود وقوة دوامه :
ش ٣٢ و٣٩ــ ٤٣
○ ثاني استعلان للكلمة في العالم المخلوق كنور وحياة :
ش ٣٢ و٤٤ــ ٤٩ و٦٢ و٦٣
○ ثالث استعلان للكلمة في خلقة الإنسان على صورة الله :
ش ٣٢ و٨١
○ رابع استعلان للكلمة في التجسد :
ش ٣٢
ــ كلمة الله وكلمة الإنسان :
ش ٣٦ و٣٧

ـــ الكلمة فيه وبه الحياة:
م ٣٥
ش ٤٤ و٤٥ و٣٥١ و٣٦٢

كنيسة :

ـــ الكنيسة بالمفهوم اللاهوتي في إنجيل يوحنا:
م ٢٥٥
ش ١٢٨٥ــ١٢٨٨
+ تعريف شعب المسيح:
م ٢٥٦
ش ٦٩ــ٧٧
+ قاعدة العبادة الكنسية:
م ٢٥٦
ش ٢٩٣ــ٢٩٧
+ الفردية والجماعية في الكنيسة: في مثل الكرمة:
م ٢٥٦ و٢٥٧
ش ٨٩٢ــ٩٠٩
+ الفردية والجماعية في الكنيسة: في مثل الراعي الصالح:
م ٢٥٨
ش ٦٠٦ــ٦٢٩
+ سر الكنيسة كعروس المسيح:
م ٢٥٨
ش ٢٥٢ــ٢٥٤
+ سر الكنيسة وخروج الماء والدم من جنب المسيح:
م ٢٦٠
ش ١٢٢٢ــ١٢٣٧
+ الكنيسة في جوهرها وحدة في الآب والابن:
م ٢٦٠
ش ١٠٦٧ــ١٠٩٣
+ النظام وتدبير الخدمة في الكنيسة:
م ٢٦١
ش ٧٧٤ــ٧٩١
+ الإرسالية وتنصيب الرعاية ومنحهم سلطاناً لمغفرة الخطايا والكرازة:
م ٢٦٢
ش ٧٩٣ و١٢٨٥ــ١٣٠٠ و١٣٤٣ــ١٣٤٩
+ مركز الرسل في الكنيسة:
م ٢٦٣
ش ٩٣٩ــ٩٤٤
+ رؤية الكنيسة من الداخل:
م ٢٦٣
ـــ الأسرار الكنسية: (أنظر أيضاً: سر / أسرار):
م ٢٦٤

مَثَل ؛ أمثال :

مثل الراعي الصالح:
م ٢٥٧ و٢٥٨
ش ٦٠٦ــ٦٢٩
مثل الكرمة:
م ٢٥٦ و٢٥٧
ش ٨٩٢ــ٩٠٩
الإنجيل كله كان على مستوى الأمثال:
ش ٩٨٤
تأتي ساعة حين لا يكلم المسيح تلاميذه بأمثال بل يخبرهم علانية عن الآب:
ش ٩٨٤ــ٩٨٦

مجد :

النور والمجد كمعيار للتدرج المنهجي لإنجيل يوحنا:
م ١١٩ــ١٢٨
معاني المجد في المفهوم اللاهوتي:
م ١٢٣
إظهار المجد لا يفيد رؤية عينية بل منظر معقول:
م ١٢٣
ش ٩٦ــ١٠٠ و١٧٩
تعرُّف نثنائيل على مجد المسيح رؤية عقلية لعظمته الإلهية:
م ١٢٣
ش ١٥٩ و١٦٠
تعرُّف السامرية أيضاً على مجد المسيح «يا سيد أرى أنك نبي»:
م ١٢٣
ش ٢٨٩
الثلاثة الأناجيل وبقية الأسفار اقتصرت على إعلان مجد

المسيح بعد القيامة :
م ١٢٤ ــ ١٢٦
إنجيل يوحنا أعلن مجده في حياته على الأرض :
م ١٢٦
المسيح لا يقبل مجداً من الناس :
ش ٣٨٢
الناس لا يقدرون أن يؤمنوا وهم يقبلون مجداً من بعضهم البعض :
ش ٣٨٤ و٧٥٨
المسيح لا يطلب مجد نفسه بل مجد الذي أرسله :
ش ٤٨٧ و٤٨٨ و٥٦٧ و٥٦٨
موت لعازر كان لإعلان مجد الله ليتمجد ابن الله به :
ش ٦٦٣ و٦٦٤ و٦٩١
أول ظهور علني لمجد المسيح على مستوى العالم هو الصليب :
م ١٢٧
ش ٤١٩ و٧٣٠ و٧٣٤ و٧٥٧ و٧٩٩ ــ ٨٠١ و١٠١٣
مجد الابن من مجد الآب :
ش ١٠١٣ ــ ١٠١٦
تمجيد الآب على الأرض باستعلان أبوته وتمجيد المسيح باستعلان بنوته لله :
ش ١٠٢٤ ــ ١٠٢٥
بهذا يتمجد الآب أن نأتي بثمر كثير :
ش ٩١١ و٩١٢
المسيح ممجّد في تلاميذه :
ش ١٠٣٩
وهو يطلب لتلاميذه أن ينظروا مجده المعطى له :
ش ١٠٨٢ ــ ١٠٨٥ و١٠٨٩ و١٠٩٠
الروح القدس يمجد المسيح لأنه يأخذ مما له ويخبرنا :
ش ٩٦٨ و٩٦٩
القيامة : صفحة المجد في حياة الإنسان :
ش ١٢٥٧ ــ ١٢٥٧

مجيء المسيح :
ش ٨٢١ و٨٥٣ و٨٥٤ و٨٧٥

مسيا ؛ المسيح :
لقب المسيا خالياً من المفهوم السياسي :
م ٨٩ ــ ٩١
ش ١٥٤ و٢٩٧ و٢٩٨
المسيا لا يعرف أحد من أين يأتي :
م ٩١
ش ٤٩١ و٤٩٢
المسيا لا يموت :
م ٩١
ش ٧٥٠

مشيئة الله : (أنظر: **إرادة الله**).

معجزة :
معنى المعجزة في الأناجيل الثلاثة الأولى :
م ٢٨٩ و٢٩٠
مقارنة بين مفهوم المعجزات في الثلاثة الأناجيل ومفهوم الآيات والمعجزات في إنجيل يوحنا :
م ٢٩٣ ــ ٢٩٦
أنظر أيضاً : **آية ؛ عمل / أعمال**.

معرفة :
علاقة الإيمان بالمعرفة :
م ١٤٦ ــ ١٥٢
ش ١٠٣٥ ــ ١٠٣٦
المعرفة الإلهية في إدراكها الواقعي العملي هي الحياة الأبدية :
م ١٥٣
ش ١٠١٧ ــ ١٠٢٤
معرفة الله في الفلسفة اليونانية :
م ١٥٣
معرفة الله عند العبرانيين :
م ١٥٣
معرفة الله عند ق. يوحنا :
م ١٥٥ ــ ١٥٧
+ العالم لم يعرف الله الكائن فيه والذي كوّنه :
م ١٥٥
ش ٦٢ و٦٣

+ لا يمكن الإدعاء بمعرفة الله بينما الأعمال تشهد بعكس ذلك:
م ١٥٦ و١٥٧
ش ٥٦٨ و٥٦٩
تعرفون أني أنا هو:
م ١٥٧
ش ٥٣٩
معرفة التأله ومعرفة الاتحاد:
م ١٥٨
ش ٩١٤ ــ ٩١٧
معرفة الحق والحق يحرر:
م ١٥٩
ش ٥٤١ ــ ٥٤٣
معرفة الله للإنسان: يعرف خاصته؛ يعرف من البدء من هم له؛ يعرف الجميع؛ يعرف من اختارهم؛ لا يقبل إليه أحد إلا من اجتذبه الآب:
م ١٥٩ ــ ١٦١
ش ٢٠٠ و٤٣٤ و٤٦٤ و٤٦٩ و٦٢١ و٧٩١ و٧٩٢
+ رؤية الله:
ــ المسيح هو الوحيد الذي يعرف الآب؛
ــ لا يمكن أن نعرف الآب إلا بالمسيح؛
ــ من يرى المسيح يرى الآب و يعرفه:
م ١٦١ ــ ١٦٣
ش ١١٧ ــ ١٢٢ و٤٩١ و٤٩٢ و٦٢١ و٦٢٢ و٨٢٩ ــ ٨٣٥

معمودية: (أنظر أيضاً: سر / أسرار).
معمودية يوحنا المعمدان للمسيح:
ش ١٢٤ ــ ١٤٩
عماد المسيح لم يكن إلا وسيلة لاستعلانه والتعرف عليه:
ش ١٤٢ ــ ١٤٩
سر المعمودية والولادة من الماء والروح:
ش ٢١٤ ــ ٢١٩

مغفرة:
المغفرة حكم براءة قائم على فداء حياة بحياة ونفس بنفس:
ش ٥١٠ ــ ٥١٧
لا يدين إلا الذي بلا خطية، وهو الذي يقدر أن يغفر ويبرىء:
ش ٥١٥ ــ ٥١٧
سلطان مغفرة الخطايا:
م ٢٦٢
ش ١٢٩٢ ــ ١٣٠٠

ملك؛ ملكوت؛ ملاك؛ ملائكة:
+ المسيح ابن الله الذي يرد المُلك لإسرائيل:
ش ١٦٠
+ المسيح فتح السماء بتجسده وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان:
ش ١٦١ و١٦٢
+ ملكوت الله: يذكرها إنجيل يوحنا مرتين فقط:
م ٣٣٨
ش ٢٠٨ ــ ٢١٢ و٢١٦
الولادة من فوق ورؤية ملكوت الله أو التعرف عليه:
ش ٢٠٨
الولادة من الماء والروح ودخول ملكوت الله بالمعمودية:
ش ٢١٦
+ ملاك الماء لشفاء الأمراض المستعصية:
ش ٣٢٨
+ محاولة الشعب أن يختطفوا المسيح ليجعلوه ملكاً أرضياً:
ش ٤٠٥ ــ ٤٠٧
+ دخول المسيح أورشليم كملك، وصراخ الشعب «مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل»:
ش ٧٢٣ ــ ٧٣٢
+ محاكمة المسيح أمام بيلاطس بتهمة إدعائه أنه ملك اليهود:
ش ١١٥٦ ــ ١١٦١
+ بيلاطس يبرِّىء المسيح من تهمة الملك السياسي:
ش ١١٦٦
+ الاستهزاء بالمسيح كملك:
ش ١١٧٠ ــ ١١٧٧
+ بيلاطس يطلب أن يطلقه واليهود يهددونه بأنه ليس لهم ملك إلا قيصر:

ش ١١٨٤ ــ ١١٩٠

+ بيلاطس يضع عنواناً على الصليب: «يسوع الناصري ملك اليهود»:

ش ١٢٠١ ــ ١٢٠٤

+ ملائكة القيامة:

ش ١٢٧٠ و١٢٧١ و١٣١٥

موت : (أنظر: حياة ، قيامة).

مياه ؛ ماء :

+ رمز الماء النابع من الصخرة:

م ٢٧٥

أولاً: رمز المياه في العهد القديم:

م ٢٧٥

ــ الوجه السلبي للمياه:

م ٢٧٥

ش ٤٠٨ ــ ٤١٣

ــ الوجه الإيجابي للمياه:

م ٢٧٦

١. المياه النابعة من جنب الصخرة:

م ٢٧٦

ش ٤٩٨ ــ ٥٠٠ و١٢٢٤ ــ ١٢٣٦

٢. مياه التطهير:

م ٢٧٧ ــ ٢٧٨

٣. الله مصدر المياه الحية:

م ٢٧٩

ثانياً: رمز المياه في العهد الجديد:

م ٢٧٩ ــ ٢٨١

ــ السير على المياه كعدو يهدد بالموت:

م ٢٨٠

ــ المسيح هو الصخرة: إن عطش أحد فليُقبل إليَّ و يشرب:

م ٢٨٠ ــ ٢٨٢

ش ٢٧٩ ــ ٢٨٧ و٤٠٨ ــ ٤١٣ و٤٩٧ ــ ٥٠٠

ــ من جنب المسيح المطعون خرج ماء ودم لخلاص العالم:

م ٢٨١ و٢٨٢

ش ١٢٢٤ ــ ١٢٣٦

+ رمز الخبز والماء معاً:

م ٢٨٢ ــ ٢٨٨

ــ المسيح يعطي خبز الحياة وماء الحياة:

م ٢٨٣

ش ٤٢٥ ــ ٤٢٧

ــ سر المعمودية والماء الحي:

م ٢٨٤ ــ ٢٨٧

ش ٢١٤ ــ ٢١٦ و٤٩٧ ــ ٥٠٠

ــ سر الإفخارستيا والخبز الحي:

م ٢٨٧

ش ٣٩٩ ــ ٤٠٣ و٤٢٥ ــ ٤٢٧ و٤٣٧ ــ ٤٥٦

نبي ؛ نبوات :

ــ المعمدان ينفي عن نفسه أنه «النبي»:

ش ١٣٣

ــ السامرية ترى في المسيح أنه نبي:

ش ٢٨٩

ــ المولود أعمى يرى في المسيح أنه نبي:

ش ٥٩٦ ــ ٦٠٠

ــ الشعب الذي رأى آية إشباع الجموع قال إنه بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم:

ش ٤٠٥ ــ ٤٠٧ و٥٠٢ و٥٠٣

ــ رؤساء الكهنة والفريسيون أنكروا نبوته بحجة أنه لم يقم نبي من الجليل:

ش ٥٠٣ ــ ٥٠٦

ــ النبوات التي جاءت في إنجيل يوحنا وعن المسيح:

م ٩٩ ــ ١٠٢

+ «مكتوب غيرة بيتك أكلتني»:

ش ١٩٢ و١٩٣

+ «مكتوب في الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله»:

ش ٤٣٤ و٤٣٥

+ دخول المسيح أورشليم وما جاء عنه في الأنبياء:

ش ٧٢٣ ــ ٧٣١

+ خيانة يهوذا: «ليتم الكتاب: الذي أكل خبزي رفع عليَّ عقبه»:

ش ٧٩٢
+ نبوة إشعياء عن تنكر الشعب المختار للمسيح :
ش ٧٥٣ ـ ٧٥٧
+ « ليتم الكتاب القائل : عظمٌ لا يُكسَر منه » :
ش ١٢٣٧ و١٢٣٨
+ « وأيضاً : سينظرون إلى الذي طعنوه » :
ش ١٢٣٨ و١٢٣٩
+ النبوات عن قيامته :
ش ١٢٦٧ و١٢٦٨

نعمة :
وحيد الآب المملوء نعمة وحقاً :
ش ١٠٥ ـ ١٠٧
من ملئه نحن جميعاً أخذنا ، ونعمة فوق نعمة :
ش ١٠٩ ـ ١١٤
«لأن الناموس بموسى أعطي ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» :
ش ١١٤ ـ ١١٧

النور :
م ١١٩ ـ ١٢٢
ـ الحياة نور الناس :
م ١٢١
ش ٤٤ ـ ٤٦
ـ النور يكشف الظلمة :
م ١٢٠
ش ٤٩ و٦٠٢ ـ ٦٠٤
ـ والظلمة تتعقب النور ولن تدركه :
م ١٢٠
ش ٤٩ ـ ٥٤
ـ النور الحقيقي هو الله :
م ١٢٠
ش ٤٥
المسيح هو النور الحقيقي الآتي إلى العالم :
م ١٢٠
ش ٦٠ ـ ٦٢ و٥١٨ ـ ٥٢٤ و٥٨٧ ـ ٥٩٠
والمؤمنون به هم نور العالم :
م ١٢٢
ش ٧٥١
والظلمة هي العالم الرافض للنور :
م ١٢٠
ش ٤٩ و٦٠ ـ ٦٣ و٢٤١ ـ ٢٤٤ و٧٥١
نور الاستعلان :
م ١٢١
ش ٧٦٠ و٧٦١
النور والحب يقابلهما الظلمة والبغضة :
م ١٢٢
ش ٥١٨ ـ ٥٢٤
النور بين التوراة والمسيح :
م ٨٨

هيكل : (أنظر أيضاً : بيت الله).
تطهير الهيكل :
ش ١٨٤ ـ ١٩٣ و١٩٩
انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه :
ش ١٩٣ ـ ١٩٨
المسيح يعلّم في الهيكل :
ش ٣٣٦ و٣٣٧ و٥١٠ و٥٧٣ و٦٣٥ و١١٣٦

وحدة : (أنظر : اتحاد).

وصية :
وصية الآب للمسيح :
+ أن يضع نفسه ليأخذها أيضاً :
ش ٦٣٠ ـ ٦٣٤
+ ماذا يقول وبماذا يتكلم :
ش ٧٦٣ ـ ٧٦٦
+ كما أوصاه الآب هكذا يفعل :
ش ٨٩٠
ـ وصية المسيح لنا :
+ «وصية جديدة أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا» :
ش ٨٠٤ ـ ٨٠٨ و٩٢٠ ـ ٩٢٢ و٩٢٨
+ « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» :

ش ٨٤٤ و٨٤٥ و٨٥٩ — ٨٦٣
+ «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي» :
ش ٩١٤ — ٩١٧
+ «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به» :
ش ٩٢٤ — ٩٢٦

ولادة ؛ أولاد الله : (أنظر أيضاً : **معمودية**).
— الذين قبلوا المسيح أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله :
ش ٦٩ — ٧٣
— الذين وُلدوا من الله :
ش ٧٣ — ٧٧
+ من فوق :
ش ٢٠٧ و٢٠٨
+ من الماء والروح :
ش ٢١٤ — ٢١٦
— «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» :
ش ٢١٦ — ٢٢٢

يوحنا :
— يوحنا المعمدان جاء للشهادة ليشهد للنور:
ش ٥٣ و٥٤
— شهادة يوحنا المعمدان :
ش ١٢٤ — ١٥١
— يوحنا المعمدان يكمل شهادته :
ش ٢٤٧ — ٢٥٩
— رأي المسيح في شهادة يوحنا عنه :
ش ٣٧٤ — ٣٧٦
— يوحنا الرسول والإنجيلي كاتب إنجيل يوحنا :
+ شخصيته :
م ٢٨
+ ألقابه :
م ٢٩
+ صفاته كما تظهر في الإنجيل :
١. أول من تبع يسوع ؛
٢. جليلي ؛
٣. معروف عند رئيس الكهنة ؛
٤. واحد من الثلاثة المقربين للمسيح ؛
٥. التلميذ الذي كان يسوع يحبه ؛
٦. عاين التجلي ؛
٧. رافق يسوع في المحاكمة حتى الصليب ؛
٨. سلّمه المسيح مريم أمه لتبقى معه بعد صلبه :
م ٣٠ و٣١
ش ١٥٠ — ١٥٣ و٧٩٥ و١١٢٨ — ١٢٠٨
و١١٢٩ — ١١٣٢ و١٢٠٨ — ١٢١٣
+ بوانرجس :
م ٣٢
+ رسول المحبة :
م ٣٢ و٣٣
+ القديس يوحنا الرسول كما يظهر في سفر الأعمال :
م ٣٤
+ القديس يوحنا الرسول في أفسس :
م ٣٥ — ٣٨
+ رعاية القديس يوحنا لأسقفيته :
م ٣٩ و٤٠
+ القديس يوحنا في جزيرة بطمس :
م ٤١
+ تلاميذ القديس يوحنا :
م ٤٢
+ «يبقى حتى أجيء» :
م ٤٣
ش ١٣٥١ — ١٣٥٤

صورة الغلاف

لقد أعطى التقليد المسيحي لكل إنجيل من الإنجيليين الأربعة شعاراً خاصاً، يُفصح عن المضمون الفكري العام للإنجيل المختص به. وقد أعطى للقديس يوحنا الإنجيلي رمز «النسر»، لأنه حلّق في سماوات الروح وأعطانا صوراً خاطفة للمسيح في وجوده قبل التجسد.

والصورة المرسومة هي لنِسْرٍ جسور، اقتنص سمكة ضخمة. والسمكة في التقليد المسيحي المبكِّر جداً هي شعار المسيحي الذي كان يتعارف به المسيحيون مع بعضهم، بِرَسْمِها أو بكتابة اسمها ΙΧΘΥΣ وهذه الحروف الخمسة هي اختزال اسم المسيح وصفته، وتعني: «يسوع، المسيح، ابن، الله، المخلِّص».

فالصورة تعني القدرة الفائقة للقديس يوحنا على استعلان اسم المسيح وصفاته.